



الجامعة الإسلامية - غزة

The Islamic University of Gaza

كلية الشريعة والقانون

المؤتمر العلمي الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م



كتاب الأبحاث العلمية - الجزء الأول

كتاب

## الأبحاث العلمية المحكمة

المؤتمر العلمي الدولي

تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

والذي تنظمه كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بالتعاون مع كلية الإلهيات - جامعة

سكارية - تركيا

## لجان المؤتمر

### رئيس المؤتمر

أ.د. سلمان نصر الداية

### نائب رئيس المؤتمر

أ.د. أحمد بوسطنجي

### رئيس اللجنة العلمية

د. زياد إبراهيم مقداد

### اللجنة العلمية

أ.د. صالح الرقب

د. تيسير إبراهيم

د. ماهر السوسي

أ.د. ماهر الحولي

أ.د. محمد مقداد

د. وليد العمودي

أ.د. سلمان الداية

أ.د. عبد السلام اللوح

د. يونس الأسطل

### رئيس اللجنة التحضيرية

د. تيسير كامل إبراهيم

### اللجنة التحضيرية

أ.د. ناهدة حسين

د. محمد امباكي

أ.د. جنان هموندي

د. أحمد العامر

د. صبا المولي

أ.د. محمد مقداد

أ.د. حازم الدوري

### سكرتارية المؤتمر

أ. جمانه يوسف الزغول

أ. محمد جمعة الغول

أ. خليل ماجد مطر

## كلمة رئيس المؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين وبعد:

مؤتمر تجديد الخطاب الديني الذي تعقده كلية الشريعة والقانون بغزة بالتعاون مع كلية الإلهيات بجامعة سكاريا التركية يعالج قضية من أهم القضايا التي تؤثر في المجتمعات، وهي قضية الخطاب الديني؛ في محاولة لتجديده بحيث يناسب هذا الزمان، وأهله خاصة بعد أن كثرت منابر الخطاب، وبعد أن خاض فيه من خاض مما تسبب بمفاسد جمّة، وانحرافات كثيرة، ولعلنا بهذا المؤتمر أن نسهم في إعادة تتبني الإسلام الوسطي فلسفةً ومنهاج حياة.

وإنني لأتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهموا في إنجاح هذا المؤتمر، وأخص بالشكر اللجنة العلمية وعلى رأسها د. زياد مقداد، واللجنة التحضيرية، والشكر موصول لشركائنا في هذا المؤتمر، ونخص منهم جامعة سكاريا التركية.

أسأل الله أن ينفع الإسلام والمسلمين بما قدم من أبحاث ومدخلات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

أ.د. سلمان نصر الداية

رئيس المؤتمر

## كلمة رئيس اللجنة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي تتم بنعمته الصالحات، وتيسر بعونه وفضله الصعوبات، وتحقق بإذنه الإنجازات والنجاحات، القائل في محكم الآيات:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ الْبَقْرَةَ 142  
والقائل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (71) الأحزاب.

والقائل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ الحجرات 13

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة لكل المخلوقات، محمد عليه أفضل الصلوات والتسليمات، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى أن يرث الله الأرض والسموات، وبعد.

إن للخطاب الديني عظيم الأثر في استقرار العلاقات بين الشعوب أو اضطرابها وفي توطيد أركان التعايش السلمي بينهم أو انتفائها؛ ولذلك اهتمت الشريعة الإسلامية به ف جاء معتدلاً وسطياً مبنياً على الإقناع والإفهام، ويهدف إلى بناء مجتمع عالمي مستقر يتعايش فيه الناس جميعاً في أمن واطمئنان وسلامة وأمان ويشجع على الدعوة للحق والخطاب المقنع والصالح والحكيم، قال تعالى: "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ النحل 125 "

وعلى هذا النهج القرآني سار سلفنا الصالح فانشر دين الحق ودخل الناس في دين الله مختارين غير مكرهين وظل العدل بعرشه على البلاد والعباد، ولكن حدثت في هذا الزمان من التغيرات واستجدت على الناس من الأحوال ما جعلهم يغيرون الخطاب الديني الذي انتهجه القرآن وخاطب به الناس النبي العدنان فانعكس ذلك على العلاقات الإنسانية واستقرار البشرية؛ مما استدعى ضرورة إعادة النظر في خطابنا الديني وتجديده على أمل إعادة ترسيخ قيم التعايش والتعاون الإنساني وأن يعيش الناس في أمن ورخاء واستقرار وهناء؛ فكان هذا المؤتمر والذي جاء بعنوان:

( تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش السلمي بين الشعوب )

ومن فضل الله وتوفيقه أن لقي هذا المؤتمر استجابة واسعة وتفاعلاً كبيراً من قبل الباحثين حيث بلغ عدد الذين تقدموا بملخصات للمشاركة في هذا المؤتمر نحو المائة وعشرين باحثاً ينتمون إلى أكثر من عشرين دولة عربية وإسلامية، وقد قدم ما يزيد عن السبعين باحثاً أبحاثهم لهذا المؤتمر

للمساهمة بأرائهم في علاج هذه الظاهرة، وقد استغرقت هذه الأبحاث محاور المؤتمر المختلفة التي وضعها القائمون على المؤتمر.

ولقد تم تحكيم هذه الأبحاث بناءً على قواعد البحث العلمي ومناهجه، وطلب من أصحاب الأبحاث الالتزام بالتعديلات التي أشار إليها المحكمون.

ولعل من أهم ما يتميز به هذا المؤتمر أنه مؤتمر تشاركي تقوم عليه جامعتان عريقتان، الأولى فلسطينية هي الجامعة الإسلامية بغزة ممثلة بكلية الشريعة والقانون، والثانية تركية هي جامعة سكاريا ممثلة بكلية الإلهيات؛ مما أضفى على المؤتمر وأبحاثه قوة وجودة، وليكون العمل باكورة لأعمال علمية مشتركة في المستقبل بإذن الله.

وقد نتجت عن هذا البحث توصيات مهمة ، نأمل أن تجد طريقها للتطبيق وأن تساهم في معالجة الخلل الواقع.

وفي الختام نتقدم بالشكر للعلماء والباحثين الذين شاركوا هذا المؤتمر وقدموا أبحاثهم وآراءهم، ولكل من الجامعتين اللتين قامتا على رعاية هذا المؤتمر، ولكل من ساهم في إنجاح هذا المؤتمر؛ متمنيا للجميع التوفيق والسداد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

د. زياد إبراهيم مقداد

رئيس اللجنة العلمية

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث	م.
9	د. تيسير إبراهيم، د. زياد مقداد	الاجتهاد في العقليات وأثره في الحكم على المجتهدين	1.
25	د. محمد محمد على بعيو	تجديد الفتوى في الخطاب الديني	2.
55	د. صالح فليح زعل المذهان	دور المدارس في تجديد الخطاب الديني	3.
67	د. نذير مصطفى، م. هشيار مصطفى	الكلمة الطيبة وأثرها في وأد الإرهاب	4.
84	أ.د. نايل ممدوح أبو زيد	الوسطية الحضارية وضرورتها وحاجة البشرية إليها من منظور قرآني	5.
101	د. عبدالله بن سالم بن حمد الهنائي	معالم التجديد عند الإمام السالمي العماني (ت:1332هـ/1914م)	6.
117	أ.د. محمد إبراهيم مقداد	واقع الخطاب الديني في الاقتصاد وأفق تجديده	7.
133	د. بدر إدريس، د. عروب القطان	أثر التربية الإسلامية في تعامل الفرد مع الآخر	8.
172	د. عبد الرحمن الدايه، أ.محمد البنا	الغلو وأثره في رفض الخطاب الديني	9.
199	د. عبد الرحمن سلمان الداية	الوسطية وأثرها في قبول الخطاب الديني	10.
227	د. حنان رقاد، د. ابتسام حمديني	آثار انتقال الخطاب الديني إلى الفضاء العام عبر مواقع التواصل الاجتماعي	11.
243	د. خيريه حامد شنيكات	مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن	12.
274	د. سعيدة درويش	الوسطية في الخطاب الديني خيار أم ضرورة	13.
289	أ. فتيحة ساطع	التجربة المغربية في التعامل مع الأقليات غير المسلمة	14.
300	د. رائد بن طلال بن عبد القادر شعت	الخطاب الديني في العلاقات السياسية بين الثوابت والمتغيرات في ضوء السنة النبوية	15.
328	د.محمد الحفظاوي	أثر أصول الفقه ومقاصد الشريعة في تجديد الخطاب الديني	16.
347	د إدريس مولودي	بصائر ربانية للتجديد في النوازل والقضايا المعاصرة	17.
364	أ.د. سليمان قوراري	معالم تجديد الخطاب الديني من خلال مدرسة الإمام محمد الغزالي	18.
391	د. خالد الطرودي	دلالات الوسطية عند المفسرين	19.
415	أ. محمد محمد على بعيو	تجديد الفتوى في الخطاب الديني	20.
444	د.سهام عبران	مسؤولية و دور المؤسسات التعليمية في تجديد الخطاب الديني	21.
456	أ. سمية الريامية، د. ميمونة الزدجالية	توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية وتدريبها	22.
466	أ.م.د. خليل نوري العاني	الاعتزاز بالذات الحضارية "رؤية شرعية"	23.

- 480 د. أحمد محيي الدين صالح 24. أحكام التعايش السلمي في منظور القرآن الكريم خلال الدعوة المكيّة
- 505 د. إسلام ياسين 25. المنهج النبوي في نشر الوسطية بين الشعوب
- 521 د. قيس سالم المعاينة 26. تجديد الخطاب الديني ودوره في مواجهة التطرف
- 533 أ. عفاف جعواني 27. دور المؤسسات الدينية والعلمية في تجديد الخطاب الديني
- 542 د. جلول بوطيبة، أ. عمار منور 28. تجديد الخطاب الديني في ضوء النظريات الحجاجية
- 554 أ. سليمان بن محمد الكعبي 29. ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية





الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الاجتهاد في العقلية وأثره في الحكم على المجتهدين

إعداد

د. تيسير إبراهيم      د. زياد مقداد

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## مقدمة

درج الأصوليون على تقسيم الخلاف في مسألة تصويب الاجتهاد أو تخطئته إلى قسمين؛ القسم الأول: في حكم الاجتهاد في العقلیات، ويعبر عنها بالأمر العلمية أو العقائدية أو الأصولية، ويضمنون بحثهم في هذا القسم أمرين؛ الأول: في الاجتهاد؛ من حيث الحكم عليه بالصواب أو الخطأ، والثاني: في المجتهدين أنفسهم؛ من حيث الحكم عليهم بالكفر، أو الإيمان، أو التفسير في الدنيا، ومن حيث العذر في الآخرة، والقسم الثاني: في حكم الاجتهاد في الفروعيات، ويعبرون عنها أحياناً بالفقهيات أو الشرعيات، ويضمنون بحثهم في هذا القسم أمرين كذلك؛ الأول: في الاجتهاد؛ من حيث الحكم عليه بالصواب أو الخطأ، والثاني: في المجتهدين أنفسهم؛ من حيث الحكم بعذرهم، وإثبات الأجر لهم، ومن حيث وصفهم، أو عدم وصفهم بتفسير أو تضليل أو تبديع، وقسموا كل قسم من القسمين إلى أقسام عديدة؛ وهذا يعني أن الأمر عند التفصيل لا يتعلق بمسألة واحدة إنما بمسائل عديدة، وبحثنا هذا معقوداً فقط لعرض أقوال الأصوليين في القسم الأول وهو "الاجتهاد في العقلیات" مع بيان أثر ذلك في الحكم على المجتهدين.

## أهمية البحث:

يكتسب البحث أهميته في ظل تزايد حدة التعصب الديني، والكراهية بين أتباع الديانات، وكذلك بين أتباع المذاهب العقائدية المختلفة المنسوبة للإسلام؛ حتى وصل الأمر إلى رمي هؤلاء الأتباع بعضهم بالفسق والابتداع؛ بما يهدد أحياناً الأمن والسلم المجتمعي في بعض البلاد، فبتقرير أن كل مجتهد مصيب نخفف من غلواء التعصب المذهبي، والكراهية بين البشر، ونقدم خطاباً دينياً يعزز قيم التسامح، وقبول الخلاف، وينبذ التعصب.

## مشكلة البحث:

تتناخص مشكلة البحث في استيضاح مجال عمل قاعدة هل المصيب واحد أم أن الجميع مصيب في العقلیات، وهل هذا المجال ينسب ليشمل ما له حقيقة ذاتية في الواقع، وما ليس له حقيقة، أم أنه يقتصر فقط على أحد هذه المجالات؟ ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما هي أقوال الأصوليين في قضية البحث، وما هي أدلتهم؟

2- هل للخلاف في القضية أثر على طبيعة الخطاب الذي ساد بين أتباع المذاهب.

## أهداف البحث:

سيعمل البحث على إنجاز مجموعة الأهداف التي تحقق الإجابة عن الأسئلة سالفة الذكر؛ حيث سيعمل على ما يلي:

1- نقل أقوال الأصوليين في القضية مشفوعة باستدلالاتهم.

2- بيان أثر الخلاف في القضية على نوع الخطاب الذي ساد بين أتباع المذاهب.

### منهج البحث:

لتحقيق الأهداف سالفة الذكر استخدم البحث المنهج الوصفي في عرض أقوال الأصوليين، والمنهج التحليلي في بيان أثر الخلاف في هذه القضية على نوع الخطاب الذي ساد بين أتباع المذاهب المختلفة.

### هيكلية البحث:

تم تقسيم البحث إلى مقدمة اشتملت على موضوع البحث، وطبيعته، وأهميته، ومشكلته، ثم أسئلة البحث، وأهدافه، والمنهج المستخدم، ومبشرين:

المبحث الأول: حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات وأثره في الحكم على المجتهدين، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات.

المطلب الثاني: أثر الخلاف في الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات في الحكم على المجتهدين.

المبحث الثاني: حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة من أصول الملة الإسلامية وأثره في الحكم على المجتهدين، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: حكم الاجتهاد في العقلية من أصول الملة الإسلامية وما لا يوصف بالشرعي منها.

المطلب الثاني: أثر الخلاف في الاجتهاد في العقلية من أصول الملة الإسلامية في الحكم على المجتهدين.

### المبحث الأول: حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات وأثره في الحكم على المجتهدين

لم يعتبر الأصوليون كل المسائل العقلية في رتبة واحدة؛ حيث قسموها إلى أقسام ورتبوا على الخلاف في كل قسم آثارًا مختلفة، وهذا المطلب سنعهده لعرض أقوال الأصوليين في حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات، ثم نعطف عليه بيان أثر ذلك في الحكم على المجتهدين.

ويعبر الأصوليون عن هذا النوع من المسائل بالاجتهاد فيما يكون الغلط فيها مانعًا من معرفة الله ورسوله، ومثلوا لها بالعلم بالصانع وثبوت البارئ سبحانه، والتوحيد، والعدل، وحدوث العالم، وبعثة الرسل<sup>(1)</sup>، وهنا قد يسأل سائل، وهل يمكن لمسلم آمن بالله، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون لاجتهاده في هذه المسائل مسرح، ولو كان في مثل هذه القضايا مسرح للاجتهاد فهل يمكن للمجتهد أن يخطئ فيها؟ أم أن الأدلة السمعية فيها قاطعة صريحة؟ والجواب عن هذا السؤال؛ أن الخطأ في مثل هذا النوع من القضايا لا يمكن أن يعرض لمؤمن، لكن الحديث يدور عن خطأ المجتهدين من غير المسلمين، الباحثين عن الحق والجاهدين في طلبه بما أوتوا من مكينات عقلية، وإذا اعترض معترض بأن أمثال هؤلاء من غير المسلمين لا يسمون مجتهدين شرعًا، فالجواب عن ذلك أنهم يسمون مجتهدين لغةً بحكم بذل الوسع والاجتهاد.

### المطلب الأول: حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات

اختلف العلماء في حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات؛ مثل العلم بالصانع وثبوت البارئ، والتوحيد، والتصديق ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على قولين:

**القول الأول:** ذهب جمهور العلماء إلى أن الحق فيها واحد، وليس متعددًا، وبناءً عليه فإن المصيب فيها واحد، والمخالف مخطئ<sup>(2)</sup>، قال الجويني في هذا النوع من المسائل: "قلا نقل فيما هذا سبيله إن كل مجتهد مصيب بل المصيب واحد ومن عاده جاهل مخطئ، وهذا ما صار إليه كافة الأصوليين"<sup>(3)</sup>، وقال السبكي: "ولا يعلم خلاف بين المسلمين في ذلك، إلا ما نقل عن الجاحظ، وعبيد الله بن الحسين العنبري"<sup>(4)</sup>، وقال الأمدى: "مذهب الجمهور من المسلمين أنه ليس كل مجتهد في العقلية مصيبًا"<sup>(5)</sup>.

### دليل القول الأول:

استدل الجمهور لقوله بأدلة عديدة سمعية وعقلية؛ من القرآن، والسنة، والإجماع، ليس المقام مقام التفصيل في عرضها، إلا أن أهم استدلال من وجهة نظر الباحثين هو الاستحالة العقلية للقول بتصويب الكل؛ حيث إن لهذا

(1) انظر: الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227)، الآلوسي، جلاء العينين (192).

(2) انظر: الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227)، البزدوي، أصول البزدوي (ص: 278)، الصنعاني، إجابة السائل (391)، الجويني، التلخيص في أصول الفقه (3/ 334)، السبكي، الإبهاج (3/ 257)، الزركشي، البحر المحيط (3/ 258)، الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 184).

(3) الجويني، التلخيص في أصول الفقه (3/ 334).

(4) السبكي، الإبهاج (3/ 257).

(5) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 184).

النوع من المسائل حقائق ذاتية في الواقع؛ فمن وافق قوله فيها الواقع فهو مصيب، ومن خالف قوله الحقائق الماثلة في الواقع فهو مخطئ، وما كان شأنه كذلك من المسائل يستحيل أن يُقال فيه إن كل مجتهد مصيب؛ لأنه يفضي إلى المستحيل؛ وهو اجتماع النقيضين. قال الغزالي في الرد على العنبري موظفًا دليل الاستحالة: "إن عنيت به [التصويب] أن ما اعتقده فهو على ما اعتقده، فنقول كيف يكون قدم العالم وحدثه حقًا، وإثبات الصانع ونفيه حقًا، وتصديق الرسول وتكذيبه حقًا، وليست هذه الأوصاف وضعية كالأحكام الشرعية؛ إذ يجوز [يعني في الأحكام الشرعية] أن يكون الشيء حرامًا على زيد، وحلالًا لعمرو، أما الأمور الذاتية فلا تتبع الاعتقاد بل الاعتقاد يتبعها"<sup>(1)</sup>، وقال الشهرستاني: "إن المختلف فيه لا يحتمل توارد الصدق والكذب، والصواب والخطأ عليه في حالة واحدة"<sup>(2)</sup>، ومثّل للمسألة بقوله: "وهو مثل قول أحد المخبرين: زيد في هذه الدار في هذه الساعة، وقول الثاني: ليس زيد في هذه الدار في هذه الساعة؛ فإننا نعلم قطعًا أن أحد المخبرين صادق والآخر كاذب لأن المخبر عنه لا يحتمل اجتماع الحالتين فيه معًا فيكون زيد في الدار ولا يكون في الدار"<sup>(3)</sup>، ومن الأمثلة الشرعية على هذا النوع من المسائل "هل للكون خالقٌ وإله" فإن لها في الواقع حقيقةً واحدة وهي أن لهذا الكون خالقًا وإلهًا، فمن أداه اجتهاده إلى ذلك فهو مصيب؛ أي أن اجتهاده وافق الواقع، ومن أداه اجتهاده إلى خلاف ذلك فهو مخطئ؛ أي أن اجتهاده خالف الحقيقة التي في الواقع، وكذلك مسألة قدم العالم؛ فإن لها حقيقةً واحدة في الواقع، وهي أن العالم حادثٌ، وحينئذٍ فيستحيل أن نقول بتصويب القولين، قال الزركشي يشرح فكرة هذا الدليل في مسألة قدم العالم: "يستحيل أن يكون الحق أن العالم قديم، وأنه محدث"<sup>(4)</sup>، وقال الأمدى إن من قال بذلك "فقد أحال وخرج عن المعقول، وإلا كان يلزم من ذلك أن يكون حدوث العالم وقدمه في نفس الأمر حقًا عند اختلاف الاجتهاد، وكذلك في كل قضية عقلية اعتقد فيها النفي والإثبات بناء على ما أدى إليه من الاجتهاد وهو من أمحل المحالات وما أظن عاقلًا يذهب إلى ذلك"<sup>(5)</sup>.

**القول الثاني:** حُكي عن العنبري والجاحظ أنهما قالوا: إن كل مجتهد فيها مصيب، قال الجويني: "إلا عبيد الله بن الحسن العنبري، فإنه ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب في الأصول كما أن كل مجتهد مصيب في الفروع"<sup>(6)</sup>، وقال الشاطبي: إن العنبري كان يقول بأن كل مجتهد من أهل الأديان مصيب<sup>(7)</sup>، وقال الشهرستاني: "وقد صار أبو الحسن العنبري إلى أن كل مجتهد ناظر في الأصول مصيب"<sup>(8)</sup>، وأضاف الشوكاني أن ممن قال بهذا الرأي داود

(1) الغزالي، المستصفى (349).

(2) الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 200).

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) الزركشي، البحر المحيط (4/ 524).

(5) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 184).

(6) الجويني، التلخيص في أصول الفقه (3/ 335)، وانظر: الصنعاني، إجابة السائل (389)، الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 184).

(7) الشاطبي، الاعتصام (1/ 113).

(8) الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 200).

بن علي الأصفهاني إمام مذهب الظاهر<sup>(1)</sup>. وأن الغزالي نحا قريباً من هذا المنحى<sup>(2)</sup>، وقد اضطرب النقل عن الغزالي في المسألة؛ حيث نحا مرةً إلى إنكار قول العنبري كما هو واضح في كتابه المستصفي على سبق وكما سيرد، ونحا مرةً أخرى نحواً قريباً من رأي العنبري على ما سيرد في كتابه فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، فلا يُعلم على وجه الدقة ما هو رأيه الذي انتهى إليه، وما هو رأيه الذي رجع عنه.

#### دليل القول الثاني، ومناقشته:

قول العنبري، والجاحظ مشكلاً إن فرسنا التصويب بموافقة الواقع؛ والسبب في ذلك؛ أن مقولتهما تقضي إلى تصويب ما عليه غير المسلمين من عقائد فاسدة، وتقضي اجتماع النقيضين وهو مستحيل عقلاً، قال الزركشي: يلزم من مذهب العنبري أن لا يكون أحد من المخالفين في الدين مخطئاً، ولأنه يقتضي تصويب اليهود، والنصارى، وسائر الكفار في اجتهادهم<sup>(3)</sup>؛ لذا حاول كثير من العلماء تأويل كلام العنبري؛ فمنهم من قال إنه رجع عنه، وأقر بخطئه وقال: أرجع عن قلبي، وأنا من الأصاغر<sup>(4)</sup>، ومن العلماء من قال: لعله يقصد أصول الديانات التي اختلف فيها أهل القبلية؛ كالرؤية، وخلق الأفعال، ونحوه، مما وقع فيه الخلاف بين الأشاعرة وغيرهم من الفرق الإسلامية<sup>(5)</sup>، قال الآمدي: "وقد نقل عن بعض المعتزلة أنهم أولوا قول الجاحظ وابن العنبري بالحمل على المسائل الكلامية المختلف فيها بين المسلمين"<sup>(6)</sup>، ونقلوا عنه قوله: "إنما أصوب كل مجتهد في الدين لجمعهم الملة، فأما الكفرة فلا يصوبون"<sup>(7)</sup>، بينما أكد بعض العلماء روايةً أخرى عن العنبري صرح فيها بتصويب الكافرين المجتهدين دون الراكنين إلى البدعة، والمعرضين عن أمر الاجتهاد<sup>(8)</sup>؛ لذا قال الشهرستاني: إن سياق مذهب العنبري يقتضي تصويب كل مجتهد على الإطلاق<sup>(9)</sup>، وحينئذ فإن كلام العنبري يحتاج إلى بيان معنى التصويب؛ لرفع الإشكال؛ الأمر الذي اختلف فيه العلماء؛ كما قال القاضي أبو بكر الباقلاني: "واختلف في معنى قوله أصاب"<sup>(10)</sup>، وقد أورد الزركشي المعنيين اللذين دار عليهما كلام العلماء، وردهما وشنع على قائلهما فقال: "إذا أردتما بذلك مطابقة الاعتقاد للمعتقد فقد خرجتما عن حيز العقلاء، وانخرطتما في سلك الأنعام، وإن أردتما الخروج عن عهدة التكليف ونفي الحرج كما نقل عن الجاحظ، فالبراهين العقلية من الكتاب والسنة والإجماع الخارجة عن حد الحصر ترد هذه

(1) انظر: الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 229).

(2) انظر: الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (22) وسيرد تفصيل قول الغزالي لاحقاً.

(3) الزركشي، البحر المحيط (4/ 524).

(4) الشاطبي، الاعتصام (1/ 113).

(5) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227)، الزركشي، البحر المحيط (4/ 524)، المارديني، الأنجم الزاهرات (ص:

57)، الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 200).

(6) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 186).

(7) السبكي، الإبهاج (3/ 257).

(8) الجويني، التلخيص في أصول الفقه (3/ 335).

(9) الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 200).

(10) القاضي أبو بكر الباقلاني، التقريب والإرشاد (2/ 185)،

المقالة<sup>(1)</sup>، وكذلك فعل الأمدي فقال: إن أراد بالإصابة موافقة الاعتقاد للمعتقد فقد أحال وخرج عن المعقول، وإلا كان يلزم من ذلك أن يكون حدوث العالم وقدمه في نفس الأمر حقاً عند اختلاف الاجتهاد، وكذلك في كل قضية عقلية اعتقد فيها النفي والإثبات بناءً على ما أدى إليه من الاجتهاد؛ وهو من أمحل المحالات وما أظن عاقلاً يذهب إلى ذلك، وإن أراد بالإصابة أنه أتى بما كلف به مما هو داخل تحت وسعه وقدرته من الاجتهاد، وأنه معذور في المخالفة غير آثم؛ فهو أبعد عن الأول في القبح<sup>(2)</sup>، إلا أن الغزالي رد التفسير الثاني للتصويب لا من ناحية عقلية، إنما من ناحية سمعية؛ فقال: "ذهب الجاحظ إلى أن مخالف ملة الإسلام من اليهود، والنصارى، والديهية إن كان معانداً على خلاف اعتقاده فهو آثم، وإن نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم، وإن لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر فهو أيضاً معذور وإنما الآثم المعذب هو المعاند فقط؛ لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهؤلاء قد عجزوا عن درك الحق ولزموا عقائدهم خوفاً من الله تعالى؛ إذا استند عليهم طريق المعرفة، وهذا الذي ذكره ليس بمحال عقلاً لو ورد الشرع به وهو جائز، ولو ورد التعبد كذلك لوقع، ولكن الواقع خلاف هذا؛ فهو باطل بأدلة سمعية ضرورية"<sup>(3)</sup>، ونحا نحو الغزالي في المنع من القول بالتصويب سمعاً لا عقلاً الأمدي حيث قال: "ولا شك أنه غير محال عقلاً، وإنما النزاع في إحالة ذلك وجوازه شرعاً"<sup>(4)</sup>، ونقل الشهرستاني قول العنبري مفسراً معنى الإصابة بأن المجتهد أدى ما كلف به، ثم رده بالنصوص، والإجماع مرجحاً أن مراده المجتهدين من أهل الإسلام؛ حيث قال: "وقد صار أبو الحسن العنبري إلى أن كل مجتهد ناظر في الأصول مصيب؛ لأنه أدى ما كلف به من المبالغة في تسديد النظر في المنظور فيه، وإن كان متعينا نفيًا وإثباتًا إلا أنه أصاب من وجه، وإنما ذكر هذا في الإسلاميين من الفرق، وأما الخارجون عن الملة فقد تقررت النصوص والإجماع على كفرهم وخطئهم"<sup>(5)</sup>.

### الترجيح:

وما يرجحه الباحثان أن المصيب في هذا النوع من المسائل واحد؛ إذا فسرنا التصويب بأنه موافقة الواقع؛ لأن هذا النوع من المسائل له حقيقة ذاتية في الواقع من أصابها أصاب، ومن أخطأها أخطأ كما سبق بيانه، أما إذا فسرنا التصويب لا بالمعنى السابق، بل بمعنى أن المجتهد فعل المطلوب منه بقطع النظر عن النتيجة التي توصل إليها، فإنه يمكن القول بأن كل مجتهدٍ فيها مصيب.

(1) الزركشي، البحر المحيط (4/ 524).

(2) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 185).

(3) الغزالي، المستصفى (349).

(4) الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 185).

(5) الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 200).

وإذا اعترض معترضٌ قائلاً لو كان كل أحد مصيباً في هذه المسائل لجاز اتباعه فيها، قلنا ما نقله الجويني في التلخيص بأنه قد يكون "كل مجتهد مصيب ثم لا يجب اتباع كلهم، وكذلك المسافر يصيب في استباحة الرخص، ولا يتبعه المقيم"<sup>(1)</sup>.

#### المطلب الثاني: أثر الخلاف في الاجتهاد في العقلية المختلفة باختلاف الديانات في الحكم على المجتهدين

أولاً: أثر القول بأن المصيب واحد: من رأى من العلماء أن المصيب واحد في هذا النوع من المسائل حكم بإثم، وكفر المخطئ فيها، وأجرى أحكام غير المسلمين عليهم في الدنيا، والآخرة<sup>(2)</sup>، قال الزركشي في الخطأ في هذا النوع من المسائل: "ومن أخطأه [أي الحق] فهو كافر"<sup>(3)</sup>، وقال الأمدى: "مذهب الجمهور من المسلمين أنه ليس كل مجتهد في العقلية مصيباً، وأن الإثم غير محطوط عن مخالف ملة الإسلام سواءً نظر وعجز عن معرفة الحق، أم لم ينظر"<sup>(4)</sup>، وتعميم الأمدى في الحكم على من نظر وعجز، ومن لم ينظر لم يعجب الغزالي في أحد قوليّه، ولا العنبري؛ لذا فإنهم فرقوا بين من نظر، ومن لم ينظر، وفرقوا كذلك في حكم من اختلفت أسباب عدم نظرهم، وعدم اهتدائهم للحق بعد النظر على ما سيأتي.

الأدلة: ودليل التأثيم والتكفير أن هذا النوع من المسائل من الوضوح بحيث إن المخالف فيها لا يخرج عن أن يكون معانداً، أو مقصراً تقصيراً بيئاً في طلب الحق؛ قال ابن دقيق العيد: "ولا يجيء الخلاف الشاذ المقول عن العنبري والجاحظ؛ لأنهم [الكفار] بين مقصّر أو معانيد، وكيفما كان فالهلاك واقع بهم"<sup>(5)</sup>، وتقصيرهم إما بسبب عدم طلبهم للحق حيث وجب عليهم، أو بسبب عدم وقوفهم عليه بعد الطلب؛ والحال أنه يدرك بأدنى تأمل، حتى أن الصنعاني قال إن هذه المسائل لا يتوقف إثباتها على السمع<sup>(6)</sup>، وقال ابن تيمية ناقلاً دليل من قال بالتأثيم والتكفير؛ بأن المسائل العلمية منصوب عليها أدلة قطعية تعرف بها، ومن لم يعرف الحق في مسألة أصولية فإنما هو لتفريطه، وعدم بذل وسعه في الوصول للحق فيما يجب عليه، لا لعجزه<sup>(7)</sup>، لكن القاضي أبو بكر الباقلاني نفى أن العلم بهذه المسائل يحصل اضطراراً لا "ابتداءً وإلهاماً، ولا بعد نظر"<sup>(8)</sup>.

هذا بالإضافة إلى الأدلة السمعية التي أطلقت الحكم بكفر اليهود، والنصارى دون تفصيل مثل قوله تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}** [المائدة: 17]، وقوله: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ}**

(1) الجويني، التلخيص في أصول الفقه (37 / 3).

(2) انظر: الشوكاني، إرشاد الفحول (227 / 2).

(3) الزركشي، البحر المحيط (523 / 4).

(4) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (184 / 4).

(5) ابن دقيق العيد، شرح الإمام (494 / 4).

(6) الصنعاني، إجابة السائل (391).

(7) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (48 / 5).

(8) القاضي أبو بكر الباقلاني، التقريب والإرشاد (185 / 2).



[المائدة: 73]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"<sup>(1)</sup>.

ثانياً: أثر القول بأن كل مجتهد مصيب: على رأي العنبري، والجاحظ ومن وافق قولهما من العلماء؛ فإنه يُحكم للمجتهدين في هذا النوع من المسائل برفع الإثم، مهما كانت النتائج التي توصلوا إليها، ولو أدتهم إلى مخالفة الإسلام، ورفع الإثم يعني رفع العذاب في الآخرة قال الصنعاني: "وقد نقل عن الجاحظ أنه لا إثم في القطعيات على المجتهد، وحكوا ذلك على جهة التعميم؛ يعني ولو كان كافراً"<sup>(2)</sup>، وقال الأمدى موضعاً أثر قول العنبري في الحكم على المجتهدين: "وقال الجاحظ وعبيد الله بن الحسن العنبري من المعتزلة بحط الإثم عن مخالف ملة الإسلام إذا نظر واجتهد، فأداء اجتهاده إلى معتقده، وأنه معذور بخلاف المعاند"<sup>(3)</sup>.

وقال البخاري: "وزاد الجاحظ أن مخالف ملة الإسلام كاليهود والنصارى والمجوس إن نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم، وإن لم ينظر باعتبار أنه لم يعرف وجوب النظر فهو معذور أيضاً، وإن عاند على خلاف اعتقاده فهو آثم معذب"<sup>(4)</sup>، وبالغ الجاحظ فلم يكتف بالحكم بعذرهم، ورفع الإثم عنهم واللوم، بل لم يحكم عليهم بالكفر فقال: "من لم يقع له العلم بالتوحيد والنبوة بعد نظره، فإنه معذور غير كافر ولا ملوم"<sup>(5)</sup>، وكلامه هذا يقتضي الحكم لهم بالإسلام، فإنه لا واسطة بين الإسلام، والكفر، فإن المرء إما أن يكون كافراً، وإما أن يكون مسلماً.

أدلة قول العنبري: استدلال العنبري والجاحظ على قولهم بأدلة عديدة، كلها تدور على فكرة واحدة تقريباً وهي أن المجتهد فعل المطلوب منه، حيث بذل وسعه في طلب الحق لكنه لم يدركه، وطالما أنه فعل ذلك، ولم يكن معانداً ولا مقصراً فإنه معذور، إعمالاً لقواعد التكليف التي تفيد بأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهذا لم يكن بوسعه الوصول للحق، قال القاضي ناقلاً استدلال الجاحظ: "وإن من لم يقع له العلم بالتوحيد والنبوة بعد نظره فإنه معذور غير كافر ولا ملوم"<sup>(6)</sup>، وقال الأمدى ناقلاً استدلال العنبري بأن ذلك لأن المجتهد "أتى بما كلف به مما هو داخل تحت وسعه وقدرته من الاجتهاد، وأنه معذور في المخالفة غير آثم"<sup>(7)</sup>، ومن كان شأنه كذلك من الناس لا يطلق عليه وصف الكفر؛ لأن الكفر هو العناد، وستر الحق مع العلم به، ونقل البخاري استدلال الجاحظ وجعله يدور على أن كرم الله يتعارض مع تعذيب من اجتهد فلم يصل إلى الحق حيث قال: "واحتجاً بأن الله تعالى لا يكلف

(1) مسلم، صحيح مسلم (1/ 134)

(2) الصنعاني، إجابة السائل (389)

(3) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 185).

(4) البخاري، كشف الأسرار (4/ 24).

(5) القاضي أبو بكر الباقلاني، التقريب والإرشاد (2/ 185).

(6) المرجع السابق نفسه.

(7) الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 185).

نفسًا إلا وسعها، وهؤلاء الكفار، وأهل الأهواء من أهل القبلة قد عجزوا عن درك الحق، ولازموا عقائدهم خوفًا من الله سبحانه إذا انسد عليهم طريق المعرفة؛ فلا يليق بكرم الله تعالى ورحمته تعذيبهم على ما لا قدرة لهم عليه<sup>(1)</sup>.

وسبق أن أوردنا أن الغزالي نحا قريبًا من نحو العنبري؛ وسبب هذه المقالة أنه صرح في كتابه فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة بأن كثيرًا من الكفار معذرون يوم القيامة، ومشمولون برحمة الله، ومن ذلك قوله: إن أكثر نصارى الروم، والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى، حتى أنه أدخل في المشمولين برحمة الله الكفار الذين سمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنهم لم تتحرك فيهم داعية النظر في الطلب والبحث عن صدقه بسبب التشويش الحاصل لهم منذ الصغر بأنه صلى الله عليه وسلم كذاب<sup>(2)</sup>، أما أصرح ما قاله الغزالي مما يدل على أنه نحا نحوًا قريبًا جدًا من العنبري قوله: "فإن اشتغل بالنظر والطلب، ولم يقصر، فأدركه الموت قبل تمام التحقيق، فهو أيضًا مغفور له، ثم له الرحمة الواسعة"<sup>(3)</sup>، والواضح الجلي من كلامه على طول رسالته أن الكافر المستحق للعذاب إنما هو الجاحد المعاند، المكذب بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم التارك للحق بعد ظهوره، أو ظهور مخايله، المقصر التارك للنظر؛ حيث قال: "من كذبه بعدما قرع سمعه بالتواتر عن خروجه، وصفته، ومعجزاته الخارقة للعادة، كشق القمر، وتسبيح الحصى، ونبع الماء من بين أصابعه، والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه، فإذا قرع ذلك سمعه، فأعرض عنه، وتولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل، ولم يبادر إلى التصديق، فهذا هو الجاحد الكاذب، وهو الكافر، ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين"<sup>(4)</sup>.

#### الترجيح:

وما يرجحه الباحثان أن أمر هؤلاء موكول إلى الله يوم القيامة، ولا نستطيع أن نجزم بما هو فاعل بهم، فقد يعذرهم لقصورهم عن إدراك الحق بعد أن علم منهم صدق بحثهم عنه، وقد يعذبهم لأن قصورهم عن إدراك الحق لا يخلو -فيما يظهر- من تقصير من جانبهم، وخصوصًا أن هذه المسائل تدرك بأدنى تأمل، وخصوصًا من كان منهم ممن آتاه الله عقولًا ذكية واسعة المدارك، أما في الدنيا فما من بد من إجراء أحكام الكفار عليهم؛ لأنه ليس بين الكفر والإسلام واسطة، أما الآخرة فأمرها إلى الله، ورحمة الله واسعة.

(1) البخاري، كشف الأسرار (4/ 24).

(2) الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (22).

(3) المرجع السابق ص (24).

(4) المرجع السابق نفسه.

المبحث الثاني: حكم الاجتهاد في العقلية المختلفة من أصول الملة الإسلامية وما لا يوصف بالشرعي منها وأثره على الخطاب الديني في العلاقة مع المسلمين.

المطلب الأول: حكم الاجتهاد في العقلية من أصول الملة الإسلامية وما لا يوصف بالشرعي منها

أولاً: الاجتهاد في المسائل العقلية من أصول الملة الإسلامية، ومثل لها الأصوليون بأمثلة كرؤية الله في الآخرة، وخلق القرآن، وخروج الموحدين من النار وما يشابه ذلك من المسائل.

أقوال العلماء في حكم الاجتهاد في هذا النوع من المسائل؛ حيث اختلف العلماء على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء إلى أن الحق فيها واحد، فمن أصابه أصاب الحق، فالمصيب فيها واحد، والمخالف مخطئ<sup>(1)</sup>.

أدلة القول الأول: استدل الجمهور هنا بالأدلة ذاتها التي استدلوا بها في القسم الأول؛ فنستغني بذكرها هناك عن تكرارها هنا، والتي تدور على الاستحالة العقلية؛ حيث يلزم من القول بتصويب الجميع اجتماع النقيضين، يقول البخاري: "وذهب عبد الله بن الحسين العنبري إلى أن كل مجتهد في المسائل الكلامية التي لا يلزم منها كفر؛ كمسألة خلق القرآن؛ والإرادة؛ وخلق الأفعال مصيب، ولم يرد به أن ما اعتقده كل مجتهد في المسائل الكلامية مطابق للحق؛ إذ يلزم منه أن يكون القرآن مخلوقاً وغير مخلوق، والمعاصي داخلة تحت إرادة الله وخارجة عن إرادته، والرؤية ممكنة وغير ممكنة، وفساد ذلك معلوم بالضرورة"<sup>(2)</sup>.

القول الثاني: ذهب العنبري، والجاحظ أن كل مجتهد فيها مصيب<sup>(3)</sup>، ونقلوا عن العنبري قوله: "إنما أصوب كل مجتهد في الدين لجمعهم الملة"<sup>(4)</sup>، وحكي عنه أنه سئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجمار، فقال: كل مصيب<sup>(5)</sup>.

أدلة القول الثاني: استدل العنبري على قوله بأن الأدلة السمعية محتملة، وكل من قال برأي إنما استند إلى وجه من وجوه الاستدلال المقبولة، ومما ينقل عنه في ذلك أنه قال: إن القول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب، والقول بالإجمار صحيح وله أصل في الكتاب ومن قال بهذا فهو مصيب؛ ومن قال بهذا فهو مصيب؛ وما من مقالة إلا ولها أصل اعتمد عليه أصحابها؛ لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين<sup>(6)</sup>، ونقل البخاري عنه

(1) انظر: الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227)، البزدوي، أصول البزدوي (ص: 278)، الصنعاني، إجابة السائل (391)، الجويني، التلخيص في أصول الفقه (3/ 334)، السبكي، الإبهاج (3/ 257)، الزركشي، البحر المحيط (3/ 258)، الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام (4/ 184).

(2) البخاري، كشف الأسرار (4/ 24).

(3) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227)، المارديني، الأنجم الزاهرات (ص: 57).

(4) السبكي، الإبهاج (3/ 257).

(5) الشاطبي، الاعتصام (1/ 113).

(6) المرجع السابق نفسه.

أنه قال: "الآيات في مسائل الأصول متشابهة، وأدلة الشرع فيها متعارضة وكل فريق ذهب إلى أن آراءه أوفق بكلام الله"<sup>(1)</sup>.

### الترجيح:

وما يرجحه الباحثان أن ما كان من هذه المسائل له حقيقة ذاتية في الواقع؛ مثل رؤية الله يوم القيامة؛ فإن لها حقيقة في الواقع وهي أننا إما سنرى الله، أو أننا لن نراه؛ فإن المصيب فيها واحد؛ إذا فسرنا التصويب بأنه موافقة الواقع؛ أما إذا فسرنا التصويب لا بالمعنى السابق، بل بمعنى أن المجتهد فعل المطلوب منه بقطع النظر عن النتيجة التي توصل إليها، فإنه يمكن القول بأن كل مجتهد فيها مصيب، وبناءً عليه فإنه يمكن توجيه كلام العنبري والجاحظ بأن مقصدهما من التصويب أن المجتهد في هذه المسائل بذل وسعه في الوصول إلى الحق ولم يقصر؛ لا أن ما توصل إليه صائب في ذاته أي مطابق للواقع، وقد وقف الباحثان على ما يدل على أن العنبري كان يقصد ذلك من قوله بالتصويب؛ حيث نقل عنه أنه قال في خلاف أهل القبلة في مسائل الاعتقاد: كل مجتهد "كان مصيباً إذا كان إنما يريد بقوله إن الله تعبه بذلك، وليس عليه علم الغيب"<sup>(2)</sup>.

ثانياً: الاجتهاد في المسائل العقلية التي ليست مسائل دينية؛ كما في مسألة تركيب الأجسام من ثمانية أجزاء، وانحصار اللفظ في المفرد والمؤلف.

### أقوال العلماء في هذا النوع من المسائل:

قالوا: هذه وما يشابهها من المسائل يجرى مجرى الاختلاف في كون مكة أكبر من المدينة، أو أصغر منها<sup>(3)</sup> بمعنى أنها مسائل ليست ذات طابع ديني، ولا يبنني عليها خلاف شرعي. المطلب الثاني: أثر الخلاف في الاجتهاد في العقلية من أصول الملة الإسلامية وما لا يوصف بالديني منها في الحكم على المجتهدين.

### أولاً: أثر الخلاف في الاجتهاد في العقلية من أصول الملة الإسلامية:

- أثر القول بأن المصيب واحد في العقلية من أصول الملة الإسلامية: من رأى من العلماء أن المصيب واحد في هذا النوع من المسائل اختلفوا فيما بينهم في حكم المخالف على قولين:

القول الأول: حكم بكفر المخطئ فيه؛ حيث ذهب جماعة من العلماء منهم الإمام الشافعي، والأشعري في أحد قوليهِ إلى كفر المخطئ فيها، إلا أن أصحاب الشافعي اختلفوا في مراده من الكفر؛ فمنهم من حمّله على ظاهره، ومنهم من حمّله على كفران النعم<sup>(4)</sup>، قال الزركشي: "وإن كان في غير ذلك، كما في مسألة الرؤية، وخلق القرآن،

(1) البخاري، كشف الأسرار (4/ 24).

(2) الشاطبي، الاعتصام (1/ 113).

(3) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227).

(4) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 228).

وكما في وجوب متابعة الإجماع، والعمل بخبر الواحد، فقد أطلق الشافعي عليه اسم الكفر، فمن أصحابه من أجراه على ظاهره، ومنهم من أوله على كفران النعم<sup>(1)</sup>.

**القول الثاني:** عدم تكفير المخطئ فيها: وعليه الأشعري في أظهر قولييه، وقد حكى إمام الحرمين عن معظم أصحاب الشافعي ترك التكفير، وقالوا: إنما يكفر من جهل وجود الرب، أو علم وجوده، ولكن فعل فعلاً، أو قال قولاً أجمعت الأمة على أنه لا يصدر ذلك إلا عن كافر<sup>(2)</sup>.

#### الأدلة على عدم التكفير:

استدل أصحاب هذا الرأي بأن قائل هذه المقولات من المسلمين لم يأتوا بمنافٍ لإيمانهم؛ حيث رأوا أن منافاة الإيمان، والحكم بالكفر إنما تكون لمن جهل وجود الرب، أو علم وجوده، ولكن فعل فعلاً، أو قال قولاً أجمعت الأمة على أنه لا يصدر ذلك إلا عن كافر، ولأن الجهل بالصفات ليس جهلاً بالموصفات<sup>(3)</sup>.  
وأدار الغزالي كتابه الفيصل في التفرقة بين الإسلام والزندقة على رد القول بتكفير أحد من أهل القبلة بالخلاف في مثل هذه المسائل، وجعل الكفر منحصراً بالتكذيب والعناد، ومثل هذه الخلافات لا يصدق عليها أنها تكذيب بما جاء به الإسلام، ولا عناد له؛ حيث رأى أن المنجي من الوقوع في ورطة التكفير هو معرفة حد الكفر فقال: "قالحنبلي يكفر الأشعري، زاعماً أنه كذب الرسول في إثبات الفوق لله تعالى، وفي الاستواء على العرش، والأشعري يكفره زاعماً أنه مشبه، وكذب الرسول في أنه ليس كمثله شيء، والأشعري يكفر المعتزلي زاعماً أنه كذب الرسول في جواز رؤية الله تعالى، وفي إثبات العلم والقدرة، والصفات له، والمعتزلي يكفر الأشعري، زاعماً أن إثبات الصفات تكثير للقدماء، وتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم في التوحيد، ولا ينجيك من هذه الورطة إلا أن تعرف: حد: التكذيب والتصديق"<sup>(4)</sup> ثم شرع في حد كل من الكفر، والتصديق بما يجعل المختلفين في مثل هذه المسائل غير خارجين عن حد الإيمان والتصديق، ثم وجه نصيحته للمتحممين عقبة التكفير: "كف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك، ماداموا قائلين لا إله إلا الله، محمد رسول الله، غير مناقضين لها، والمناقضة تجوزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر، أو غير عذر، فإن التكفير فيه خطر. والسكوت لا خطر فيه"<sup>(5)</sup>.

يقول الشوكاني في الاستدلال لهذا الرأي، ومبالغاً في الإنكار على من يكفر المجتهدين بالخلاف في مسائل العقيدة: واعلم أن التكفير لمجتهد الإسلام بمجرد الخطأ في الاجتهاد في شيء من مسائل العقل عقبة كنود لا يصعد إليها إلا من لا يبالي بدينه، ويصف تمسكهم ببعض الاستدلالات من الأدلة السمعية من كتاب أو سنة، بأنها مجرد شبه واهية، وليست من الحجة في شيء<sup>(6)</sup>.

(1) الزركشي، البحر المحيط (4/ 523)

(2) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 228)

(3) المرجع السابق نفسه

(4) الغزالي، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (22).

(5) المرجع السابق نفسه

(6) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 228).

ومع القول بعدم تكفير المخطئ في هذا القسم إلا أنهم اتفقوا على تفسيقهم، وتضليلهم، يقول الشوكاني: " وأما المخطئ في الأصول: كالمجسمة فلا شك في تأثيمه، وتفسيقه، وتضليله"<sup>(1)</sup>، ويقول الزركشي: " ولا شك في أنه مبتدع فاسق لعدوله عن الحق"<sup>(2)</sup>.

- ثانيًا: أثر القول بأن الكل مصيب في العقلية من أصول الملة الإسلامية: ذهب العنبري بناءً على قوله إلى إغذار المجتهدين في هذه المسائل؛ حيث قال في مثبتي القدر: هؤلاء عظموا الله، وفي نافي القدر: هؤلاء نزهوا الله<sup>(3)</sup>، وقال: "هم معذورون لأنه قصدوا تعظيمه تعالى"<sup>(4)</sup>، وكان يقول " إن الله تعبد المجتهد بذلك، وليس عليه علم الغيب"<sup>(5)</sup>، وهذا تصريح منه بأنه لا تكفير، ولا تفسيق، ولا تبديع بالخلاف في هذه المسائل.

أدلة قول العنبري: نقل البخاري استدلال العنبري والجاحظ على رفع الإثم عن المجتهدين، وعدم تكفيرهم ولا تفسيقهم، وأداره على أن المجتهد فعل المطلوب منه، وبذل وسعه، ولا يليق بكرم الله أن يعذب من أدى المطلوب منه حيث قال: " واحتجا بأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وهؤلاء الكفار، وأهل الأهواء من أهل القبلة قد عجزوا عن درك الحق، ولازموا عقائدهم خوفًا من الله سبحانه إذا انسد عليهم طريق المعرفة؛ فلا يليق بكرم الله تعالى ورحمته تعذيبهم على ما لا قدرة لهم عليه"<sup>(6)</sup>.

قال ابن دقيق العيد مناقشًا قول العنبري، والجاحظ في محاولة واضحة لتقريب معناه بما يؤول إلى قبوله حيث قال: ما نقل عن العنبري، والجاحظ إن أرادوا أن كل واحد من المجتهدين مصيب لما في نفس الأمر، فباطل، وإن أريد به أن من بذل الوسع، ولم يقصر في الأصوليات، يكون معذورًا غير معاقب، فهذا أقرب؛ لأنه قد يعتقد فيه أنه لو عوقب، وكلف بعد استقراغه غاية الجهد، لزم تكليفه بما لا يطاق<sup>(7)</sup>.

على أن الشهرستاني سلك طريقًا آخر يمكن معه القول بأن كل مجتهد مصيب؛ ورفع كل آثار التكفير، والتفسيق، وحتى التخطئة؛ باعتبار أن محل الخلاف في هذه المسائل ليس واحدًا حيث قال: لعمرى قد يختلف المختلفان في حكم عقلي في مسألة، ويكون محل الاختلاف مشتركًا، وشرط تقابل القضيتين نافذًا؛ فحينئذ يمكن أن يصوب المتنازعان ويرتفع النزاع بينهما برفع الاشتراك، أو يعود النزاع إلى أحد الطرفين، مثال ذلك المختلفان في مسألة الكلام، والرؤية ليسا يتواردان على معنى واحد بالنفي والإثبات. ثم شرع في بيان كيف أنها يمكن ألا تتوارد على محل واحد<sup>(8)</sup>.

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) الزركشي، البحر المحيط (4/ 524)

(3) انظر: السمعاني، قواطع الأدلة في الأصول (2/ 307).

(4) المارديني، الأنجم الزاهرات (57)

(5) الشاطبي، الاعتصام (1/ 113).

(6) البخاري، كشف الأسرار (4/ 24).

(7) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 229)،

(8) الشهرستاني، الملل والنحل (1/ 200).

## الترجيح:

وما يرححه الباحثان أنه لا تكفير، ولا تفسيق، ولا تبديع، ولا تضليل بالخلاف في مثل هذه المسائل؛ لأن ما كان له وجه في الاستدلال فلا يصح التكفير به، ولا التفسيق ولا التبديع، أما التخطئة فممكنة حيث صح عن الصحابة الإنكار على القدرية، والخوارج<sup>(1)</sup>، قال الشاطبي: "الابتداع من المجتهد لا يقع إلا فلتة، وبالعرض لا بالذات، وإنما تسمى غلطة، أو زلة؛ لأن صاحبها لم يقصد اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة تأويل الكتاب أي لم يتبع هواه، ولا جعله عمدة، والدليل عليه أنه إذا ظهر له الحق أذعن له، وأقر به، ومثاله ما يذكر عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أنه كان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه"<sup>(2)</sup>.

## ثانيًا: أثر الخلاف في الاجتهاد في المسائل العقلية التي ليست مسائل دينية

هذا النوع من المسائل لا عناية للمجتهدين بترتيب آثار على الاختلاف فيها حتى قالوا: ليس المخطئ فيها بأثم، ولا المصيب فيها بمأجور<sup>(3)</sup>، قال ابن تيمية: "تتأزع الناس في دقيق الكلام؛ كمسألة الجوهر الفرد، وتماتل الأجسام، وبقاء الأعراض ونحو ذلك؛ فليس في هذا تكفير ولا تفسيق"<sup>(4)</sup>.

## الخاتمة

### نتائج البحث

1. ذهب جماهير العلماء إلى أن المصيب واحد في المسائل العقلية، بينما ذهب العنبري والجاحظ إلى أن كل مجتهد فيها مصيب.
2. تفسير المراد بتصويب المجتهدين له أثر واضح في خلاف العلماء السابق.
3. رجح الباحثان أن تفسير التصويب بموافقة الواقع يُحيل القول بتصويب المجتهدين، أما تفسيره بفعل المطلوب؛ فإنه يقرب القول بتصويبهم.
4. رجح الباحثان أن أمر المجتهدين في العقليات من الأصول المختلفة بين الديانات الذين لم يصلوا إلى الحق الموافق لعقائد الإسلام موكولٌ إلى الله يوم القيامة طالما أنهم لم يكونوا معاندين، ولا مقصرين.
5. رجح الباحثان أنه لا تكفير، ولا تفسيق، ولا تبديع، ولا تضليل للمجتهدين في العقليات التي من أصول الأمة الإسلامية، مع إمكان التخطئة لأقوالهم.

(1) المارديني، الأنجم الزاهرات (57)

(2) الشاطبي، الاعتصام (1/ 113).

(3) الشوكاني، إرشاد الفحول (2/ 227).

(4) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية (5/ 50).

### مراجع البحث

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم. منهاج السنة النبوية. تحقيق: محمد سالم. ط1. مؤسسة قرطبة.
2. ابن حزم، علي بن أحمد. الإحكام في أصول الأحكام. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
3. ابن دقيق العيد، محمد بن علي. شرح الإمام. تحقيق: محمد العبد الله. ط2 سوريا: دار النوادر.
4. الأوسى، نعمان بن محمود. جلاء العينين. تحقيق: علي السيد ط1981. مطبعة المدني.
5. الأمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: السيد الجميلي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
6. البخاري، عبد العزيز بن أحمد. كشف الأسرار. تحقيق: عبد الله عمر ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
7. البزدوي، علي بن محمد. أصول البزدوي. كراتشي: مطبعة جاويد بريس.
8. الجويني، عبد الملك بن عبد الله. التلخيص في أصول الفقه. تحقيق عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري، الناشر بيروت: دار البشائر الإسلامية.
9. الزركشي، محمد بن بهادر. البحر المحيط في أصول الفقه. تحقيق: محمد تامر. بيروت: دار الكتب العلمية.
10. السبكي، علي بن عبد الكافي. الإبهاج. تحقيق: مجموعة من العلماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
11. السمعاني، منصور بن محمد. قواطع الأدلة في الأصول. تحقيق: محمد إسماعيل ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. الاعتصام. ط1. دار ابن عفا.
13. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. تحقيق: محمد كيلاني. بيروت: دار المعرفة.
14. الشوكاني، محمد بن علي. (1999م). إرشاد الفحول. تحقيق: أحمد عناية. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
15. الصنعاني، محمد بن إسماعيل. إجابة السائل. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي.
16. الغزالي، أحمد بن محمد. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة. ط1. مصر: مطابع السعادة.
17. الغزالي، محمد بن محمد. المستصفى. تحقيق: محمد عبد الشافي ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.
18. القاضي أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب. التقريب والإرشاد. تحقيق: عبد الحميد أبو زيد. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.
19. المارديني، محمد بن عثمان. الأنجم الزاهرات. تحقيق: عبد الكريم النملة ط3. الرياض: مؤسسة الرشيد.
20. مسلم، مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث.





الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## تجديد الفتوى في الخطاب الديني

إعداد

محمد محمد علي بعيو

عضو هيئة التدريس بالجامعة الأسمرية الإسلامية - ليبيا -

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## الملخص

تتجلى أهمية البحث في ارتباطه الارتباط الوثيق بالاجتهاد؛ ذلك أن الفتوى هي ترجمان الاجتهاد وأثره العملي في الخطاب الديني، فإذا ما تم بإحسان مراعاة متطلبات الخطاب الديني الناشئ عن الاجتهاد؛ قلّ الخلاف واجتمعت الكلمة، وإن تمّ الإعراض عن هذا الإحسان وقع الخلل في الخطاب الديني، وتفرقت الأمة، وتشتت شبابها إلى جماعات يعادي بعضها بعضاً، وتكالب على الإسلام أعداؤه ووصموه بما ليس فيه.

وقد تألف البحث من خمسة مباحث وخاتمة:

**المبحث الأول:** مفهوم تجديد الفتوى والخطاب الديني، وقد بينت فيه مفهوم التجديد ومصطلح الفتوى والخطاب الديني، وأثر المفتي في تجديد الخطاب الديني.

**المبحث الثاني:** دواعي تجديد الفتوى، وقد هدف هذا المبحث إلى إلقاء نظرة على داعية تجديد الأحكام وفق مصالح الخلق الدينية والدنيوية.

**المبحث الثالث:** التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى، وقد تعرّضت فيه إلى التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول والاستقراء لتجديد الفتوى عند حصول الموجب.

**المبحث الرابع:** ضوابط تجديد الفتوى، وقد بينت فيه إلى الضوابط التي على المجتهد أن يراعيها في اجتهاده؛ كي يُثبت ما اعتقده من الصواب فيما ساغ له فيه الاجتهاد، وإلى ضوابط الفتوى عبر وسائل الإعلام.

**المبحث الخامس:** مزايا تجديد الفتوى، وقد تعرّضت فيه إلى المزايا التي أضفت على التجديد ميزة في أنّ بناء أحكام الشرع قام على تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم نتائج البحث وتوصياته.

## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه؛ وبعد:  
فتجديد الخطاب الديني عن طريق الفتوى له الأثر البالغ في اجتماع المسلمين على كلمة سواء، وفي تلافى الخلل الناتج من التشدد والتساهل في الفتوى، وما يحدثه من آثار سلبية على الأمة من ضعف وتفرق، وكذلك في إصلاح ما ترتب على فقد المرجعية للخطاب مع الآخرين في القضايا الدينية والنوازل المستجدة من التعصب والتشدد، ومن التّعدي في مشارب الخطاب بين شباب الأمة الذي أفسد ذات البين، وأعطى لأعداء الإسلام ذريعة الكيد له ولأهله.

ولا تصفو حياة الأمة في جميع المجالات، بل ولا معنى لتجديد حياتها الدينية والدنيوية وفق تحقيق مصالحها نحو النهوض والرقى إلا باجتهادٍ موقفٍ وفتوى رشيدة مع خطاب الوسطية الذي لا إفراط فيه ولا تفريط؛ ذلك أنّ

العالم هو عصا كل أعمى من العوام، بها يصول على الباطل ليدحضه<sup>(1)</sup>، وبها تتصلح العوائد النفسية الخاطئة التي انقادت وراء داعية الأهواء.

كما أنّ النوازل - وهي المسائل المستجدة - في مخاض مطرد متلاحق، وهو ما يستدعي بإلحاح نظر الاجتهاد المواكب؛ حتى يكون العباد على بصيرة بحكم الشرع من خطابه، ذلك « أن الصبغة الدينية تذهب التنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرّد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء؛ لأنّ الوجهة واحدة والمطلوب متساوٍ عندهم، وهم مستميتون عليه»<sup>(2)</sup>.

ومراعاة سنة التغيير على الأمكنة والأزمنة وردّ ما يجد على حياة الأمة إلى الأصول والثوابت؛ له الأثر العظيم النفع على كيان الأمة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي، ففيه سلامة الإسلام من الادعاء بدعوى الإرهاب والعصبية المقبولة، وسلامة الفقه من عواقب الهرم والشيخوخة والإصابة بداء التقهقر والانحطاط والانكماش عن الواقع المعيش.

ولما كان لتجديد الفتوى تلك الأهمية على صعيد الخطاب الديني مع الفرد والأمة؛ جاء هذا البحث الموسوم بـ«تجديد الفتوى في الخطاب الديني».

#### إشكالية البحث:

إنّ الواقع المعيش يتجدد ويتغير، ومن لوازم صالحة الخطاب الديني وفعاليتها في المجتمعات تجديده - بما يتناسب والعصر -، والذي من أهم مرتكزات تأثيره؛ الفتوى، وعدم تجديدها ليتجدد الخطاب الديني بها تجعل من ذلك وصفاً للشريعة بشبهة الجمود والتشدد وعدم ملاءمتها للعصر، وهذا يحدث تناقضاً بين دعوى المرونة في الشريعة وجمودها في الفتوى؛ فكيف السبيل لتجديد الفتوى في الخطاب الديني؟

#### خطة البحث ومنهجه:

جاء البحث في خمسة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: مفهوم تجديد الفتوى والخطاب الديني.

المبحث الثاني: دواعي تجديد الفتوى.

المبحث الثالث: التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى.

المبحث الرابع: ضوابط تجديد الفتوى في الخطاب الديني.

المبحث الخامس: مزايا تجديد الفتوى في الخطاب الديني.

(1) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، 293/9.

(2) المقدمة، لابن خلدون، ص 158.

والخاتمة فيها نتائج البحث وأهم التوصيات.

أمّا المنهج الذي سلكته في بيان هذه المباحث فهو المنهج التحليلي الاستقرائي يقوم على قواعد البحث العلمي في ترتيب المادة العلمية، وتوثيق النقول من مظانها، وتخريج الأحاديث وبيان حكمها إن كانت في غير الصحيحين.

أسأل الله العليّ القدير أن يهبنا الإخلاص والسداد فيما قصدناه، ويهدينا سواء الصراط، ويجنبنا مضلات الفتن، وأن يغفر لنا خطايانا، وأستغفر الله العظيم على كلّ حال ومقال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

## المبحث الأول

### مفهوم تجديد الفتوى والخطاب الديني

#### تحديد المفهوم:

التجديد في اللغة: يقال: جدّد فلان الأمر، إذا أحدثه وصيّره جديدًا، وتجدّد الشيء صار جديدًا، والجديد: خلاف القديم<sup>(1)</sup>.

وعرّف تجديد الفتوى بأنه: مراعاة الفتوى لتغيّر الزمان والمكان، وتنزيل النوازل على ما يتطلبه الحال وتقتضيه الحياة التامة المتجدّدة بتجدّد الأيام<sup>(2)</sup>.

والمراد بتجديد الفتوى هنا: قبل إصدارها يعني: التأكّد من صلاحيتها الزمانية، والمكانية، والشّرعية، وبعد إصدارها: مراجعتها والحكم عليها بمدى استمرارية مناسبتها؛ للإبقاء عليها أو تطويرها أو استبدالها لتُسهم في تطوير الخطاب الديني.

والمجتهد المجدّد: هو الفقيه المستقرخ لوسعه في تحصيل حكم شرعيّ عمليّ بطريق الاستنباط<sup>(3)</sup>؛ لإحياء ما اندرس من الحقّ أو لتحقيق المناط على الوقائع المتجددة، مع مراعاة الظروف والأحوال والأزمان والأمكنة والمصالح في تقرير العدل.

وإنّما كان المجدّد بهذا التعريف؛ لأنّ المجتهد إنّما يتّسع مجال اجتهاده بإجراء العلل والالتفات إليها، فإذا نظر في علة الحكم عدّى الحكم بها إلى محلّ هي فيه؛ لتقع المصلحة المشروع لها الحكم، ولولا ذلك لم يستقم له إجراء الأحكام على وفق المصالح إلا بنص أو إجماع<sup>(4)</sup>.

**والفتوى في اللغة:** ما أفتى به الفقيه، إذا بين الحكم، يقال: أفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء، إذا أجابه وأبان الحكم فيها، وأصل الفتوى من الفتى وهو الشّاب الحدث الذي شبّ وقويّ، فكأنّه يقويّ ما أشكل ببيانه، فيشبّ ويصير فتياً قوياً<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: مصباح المنير، للفيومي، 92/1، المعجم الوسيط، 160/1.

(2) نظرية الاجتهاد وعلاقتها بالفتوى، للصادق الغرياني، ص9. وهو بحث مقدّم إلى المؤتمر الأول لإدارة الفتوى في دول شرق آسيا الذي نظّمته الجامعة الإسلامية بماليزيا.

(3) ينظر: إرشاد الفحول، للشوكاني، ص418.

(4) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 200/1.

(5) ينظر: لسان العرب، لابن المنظور، تاج العروس، للزبيدي، 211/39، 212.

واصطلاحاً: هي الإخبار بالحكم الشرعي لا على وجه الإلزام<sup>(1)</sup>.

**والخطاب في اللغة:** الكلام بين متكلم وسماع، ومنه اشتقاق الخطبة - بضم الخاء وكسرهما -<sup>(2)</sup>.

وعرفه الأصوليون بأنه: الكلام المقصود منه إفهامٌ من هو متهيئٌ للفهم، وعرفه قوم بأنه: ما يقصد به الإفهام، وهو أعم من أن يكون من قصد إفهامه متهيئاً أم لا<sup>(3)</sup>.

والأحكام التي خاطبنا الشَّرع بها نوعان: نوعٌ لا يتغير عن حالة واحدة، هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً؛ كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها؛ فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة<sup>(4)</sup>، وهذا ليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ ذلك لأن الشَّرع موضوعٌ على أنه دائمٌ أبديٌّ لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية، والتكليف كذلك لم يحتج في الشَّرع إلى مزيد، وإنما معنى الاختلاف أن المصلحة إذا اختلفت رجعت كل واقعة إلى أصل شرعي يحكم به عليها<sup>(5)</sup>.

**أثر تجديد الفتوى في معالجة التشدد أو الانحلال في الخطاب الديني:**

لقد حظي المفتي في الشَّرع بالحظوة الرفيعة والمنزلة السامية؛ فهو المخبر عن الله تعالى بالحق، وهو مع الله - ﷻ - كالمترجم مع الحاكم<sup>(6)</sup>، وقائم مقام النبي - ﷺ - ونائب منابه<sup>(7)</sup>؛ لأن من بلغ مبلغاً فهم عن الشَّارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصف، هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي - ﷺ - في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله<sup>(8)</sup>.

ومن المهام المنوطة بالمفتي شرعاً: أن يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال؛ لأنه إذا ذهب بالمستفتي مذهب العنت والحرص بغض إليه الدين وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة، وإذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنةً للمشي مع الهوى والشهوة، والشَّرع إنما جاء بالنهي عن الهوى، وإتباع الهوى مهلكة<sup>(9)</sup>.

واندراس كثير من معالم الدين بظهور التشدد أو الانحلال في الخطاب الديني له أسبابه، منها:

(1) شرح مختصر خليل، للخرشي، 3/109.

(2) ينظر: المصباح المنير، للفيومي، 1/173.

(3) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، 1/98.

(4) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، 1/330، 331.

(5) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 2/285، 286.

(6) ينظر: الفروق، للقرافي، 2/541.

(7) الموافقات، للشاطبي، 4/248.

(8) ينظر: المصدر نفسه، 4/106، 107.

(9) ينظر: المصدر نفسه، 4/258، 259.

• ضياع العلم بسبب حفظ النص من غير فهم له أو عمل به، وفي هذا يقول أبو الدرداء - رضي الله عنه - حيث قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَشَخَّصَ بَصِيرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: (هَذَا أَوْأُنْ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ)، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنقرأنه نساءنا وأبنائنا، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (تَكَلَّتْ أُمُّكَ يَا زَيْدًا! إِنْ كُنْتَ لِأَعْدَتِكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ النَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟!)(1).

• تنصيب من ليس أهلا للاجتهاد لبيان الحكم الشرعي، وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك بقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَسُئِلُوا، فَأُفْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)(2).

• نقصان العلم وقلة مجالسه؛ لذهاب أهله، يقول ابن مسعود - رضي الله عنه -: «عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب بأصحابه، عليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يفترق إليه أو يفترق إلى ما عنده، إنكم ستجدون أقباما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم؛ فعليكم بالعلم، وإياكم والتبذع، وإياكم والتنتطح، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق»(3).

• تعمّد تجفيف منابع العلم الشرعي ومحاربة أهله بشتى وسائل القمع من قبل ولاية الأمور بذرة سيئة لغراس التشدد المذموم؛ فإنه كما قال الإمام مالك - رحمه الله -: «إذا قلّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قلّت الآثار كثرت الأهواء»(4).

• توسّع رقعة الخلاف في أصول الدين ومسائله بين من ليس لهم به علم سبب في نشأة التباغض والتنافر بين أخوة الدين، وعن هذا الأمر صرح ابن رجب - رحمه الله - بقوله: «ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم؛ كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكلّ منهم يظهر أنه يبغض الله، وقد يكون في نفس الأمر معذورا، وقد لا يكون معذورا، بل يكون متبعا لهواه، مقصرا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه»(5).

• التعصّب المذموم للمذهب الفقهي وجهل المتعصّب بمقاصد الشريعة وروحها السمحة، فأرضين الفهم الخادج على الواقع المعيش ولو بقوة السلاح.

وفي هذا الخصوص نبّه الإمام ابن تيمية على سبب احتلال التتار لبلاد الشرق بقوله: «وببلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتار عليها: كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصّب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصّب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصّب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا، وفي

(1) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، (ح2653)، 31/5، 32، قال عنه الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني. ينظر: صحيح سنن الترمذي، 3/59.

(2) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (ح100)، 35/1، مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (ح26732)، 4/2058.

(3) أخرجه الدارمي في سننه، باب من هاب الفتيا وكره التنطح والتبذع، (ح143)، 1/66.

(4) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 17/308، 20/163.

(5) جامع العلوم والحكم، ص330.

المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصب لمذهبه على هذا أو هذا، وكلّ هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه، وكلّ هؤلاء المتعصبين بالباطل المتبعين الظنّ وما تهوى الأنفس، المتبعين لأهوائهم بغير هدى من الله مستحقون للذمّ والعقاب، وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفتيا لبسطه؛ فإنّ الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدّين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية؛ فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع؟»<sup>(1)</sup>.

- عدم مراعاة الواقع المعيش من قبل المفتي ولا سيما في هذا الزمان؛ حيث يخرج على الإعلام مرئياً كان أو مسموعاً أو مكتوباً من يطلق حكماً واحداً في كلّ حالة دون مراعاة واقع المستفتي، وهو مخالفٌ للمقصود الشرعيّ في تلقي التكاليف الذي يقصد: «النظر فيما يصلح بكلّ مكلف في نفسه بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص؛ إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزن واحد»<sup>(2)</sup>.
- تقاعس وليّ الأمر عن تصفّح أحوال المفتين وغضّ الطرف عن المتصدّين للرئاسة بالعلم؛ عاملٌ للإخلال بميزان القسط، وانتشار الفساد، وتكثير لأهله»<sup>(3)</sup>.

ولا يظهر أثر المفتي على صعيد الفرد والأمة في تحقيق معنى صالحية الشريعة لكلّ زمان ومكان، وفي كون أحكامها كليّات ومعانٍ مشتملة على حكمٍ ومصالحٍ سالحة لأن تتفرّع منها أحكامٌ مختلفة الصور متحدة المقاصد<sup>(4)</sup> إلا بما يبرز الدور المنوط به من خلال إرساء آليات عملية على المجتهد فيه، من أهمّها:

- تنصيب المفتي من الدولة يكون بالاعتماد على غلبة الظنّ ممّن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه<sup>(5)</sup>، ولا يفتي العالم حتى يراه الناس أهلاً للفتوى<sup>(6)</sup>.

- حرص وليّ الأمر على اختيار المفتي العالم لعادات وتصرفات الناس في معاشهم حتى يتمكّن من إصدار الحكم الصائب القاصد تحقيق مصالح العباد .

يقول عبد السلام الهوّاري - رحمه الله -: «إنّ الغرابة في استعمال كليّات علم الفقه وانطباقها على جزئيات الوقائع بين الناس وهو عسير على كثير من الناس؛ فتجد الرجل يحفظ كثيرا من العلم ويفهم ويعلم غيره، فإذا سئل عن واقعة ببعض العوام من مسائل الصلاة أو من مسائل الإيمان لا يحسن الجواب، بل لا يفهم مراد السائل عنها إلا بعد عسر، وللشيوخ في ذلك حكايات»<sup>(7)</sup>.

- بيان النهج الذي سلكه المفتي في فتواه للمستفتي على الوقائع، والابتعاد عن الفتوى من غريب الأحكام «التي لم تشتهر حتى تتصافر عليها الخواطر ويعلم صحّة ما فيها»<sup>(8)</sup>.

(1) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 454/22.

(2) الموافقات، للشاطبي، 98/4.

(3) ينظر: الذريعة في مكارم الشريعة، للأصفهاني، ص 182.

(4) ينظر: المقاصد، لابن عاشور، ص 92.

(5) عون المعبود، لشمس الدين آبادي، 263/11.

(6) الذخيرة، للقراني، 52/1.

(7) المعيار المغرب، للونشريسي، 79/10، 80. وينظر: مواهب الجليل، للحطاب، 87/6.

(8) الأحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام، للقراني، ص 262. وينظر: تبصرة الحكام، لابن فرحون، 61/1.

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في بيان مسلكه في الإفتاء: «ولست ممن يحمل الناس على غير المعروف المشهور من مذهب مالك وأصحابه؛ لأنّ الورع قلّ، بل كاد يعدم، والتّحفظ على الديانات كذلك، وكثرت الشّهوات وكثر من يدّعي العلم ويتجاسر على الفتوى فيه، فلو فتح لهم باب في مخالفة المذهب لانتسح الخرق على الرّاقع، وهتكوا حجاب هيبة المذهب، وهذا من المفسدات التي لا خفاء بها»<sup>(1)</sup>.

• توظيف المفتي الإعلام عبر وسائله الحديثة في نشر العلم الصائب؛ لتبصير الناس أمور دينهم ولإسهام في اجتثاث الفكر المشوش؛ فقد كان النبي - ﷺ - يفتي بالقول وهو أمر مشهور<sup>(2)</sup>، وبالفعل؛ ومنه قوله - ﷺ -: (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) <sup>(3)</sup>، وبالتقرير وبالكتابة؛ ومنه قوله - ﷺ - لأصحابه للذي سأله أن يكتب له: (أكتبوا لأبي شاه)<sup>(4)</sup>.

وقد قال الإمام الشاطبي في هذا الشأن معلقاً على قول النبي - ﷺ -: (أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ)<sup>(5)</sup>: «والتبليغ كما لا يتقيد بكيفية معلومة؛ لأنه من قبيل المعقول المعنى، فيصح بأي شيء أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها، كذلك لا يتقيد حفظه عن التحريف والزّيف بكيفية دون أخرى إذا لم يعد على الأصل بإبطال؛ كمسألة المصحف»<sup>(6)</sup>.

وليس المجتهد في طريق الاستنباط إلى التّجديد متروكاً على شأنه، موكولاً لأمره، بل لا يقرّر الصّواب ولا يُبطل الباطل ولا يفحص في كلّ مسألة عن وجوه الدلائل إلا إن كانت هناك دواعٍ تستدعي منه التّجديد لمحيط معيشه، وضوابط يتمّ العمل عليها؛ حتّى يصاحب الحكم الجديد نصّ الدليل ومقتضاه، ولا يعرف قدر هذا المسلك إلا من صفا فهمه عن التعصبات، وأخلص ذهنه عن الاعتقادات المألوفات، والله المستعان»<sup>(7)</sup>.

\* \* \*

## المبحث الثاني

### دواعي تجديد الفتوى

لا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قُصد بها مصالح الخلق الدنيوية والدنيوية<sup>(8)</sup>، وإنما تتبدل الأحكام وتتغير عند تغيير مناهج الحكم أو عند إصابة متعلّقه بسوء الفهم وقصوره؛ انسجاماً مع مصالح الخلق. ومما يدعو إلى تجديد الفتوى كي يسلم الخطاب الديني من التشدد أو الانحلال ما يلي:

○ صدور الفتوى ممن ليس أهلاً للاجتهاد:

(1) الموافقات، 4/146.

(2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 4/246.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ...، (ح631)، 1/154.

(4) أخرجه الدارقطني في سننه، 3/96، 97.

(5) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب لِيُبَلِّغَ الْعِلْمَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، (105)، 1/36.

(6) الاعتصام، 1/318.

(7) الروضة الندية، لصديق حسن خان، 2/475.

(8) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 2/64.



الاجتهادُ الصادر عمّن ليس بعارف بما يفقر الاجتهاد إليه غيرُ معتبرٍ في الشّرع؛ لأنّ حقيقته أنّه رأيٌ بمجرد التشهي والأغراض، وخبطٌ في عماية، واتّباعٌ للهوى، فكلّ رأيٍ صدر على هذا الوجه فلا مزية في عدم اعتباره؛ لأنّه ضدّ الحقّ<sup>(1)</sup>، وفي بيان حكم الصواب من قوّة الدليل من المجتهد تجديداً للدين، من حيث إنّ في البيان إحياء لما اندرس من العمل بالكتاب والسنة وإماتةً للبدع والمحدثات، ولا سيما إذا كان صاحبها ذا صيت واسع وله أتباع كثير.

○ الأحكام التي مدرکہا العوائد:

كلّ ما هو في الشريعة يتبع العوائد، يتغيّر الحكم فيه عند تغيّر العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة<sup>(2)</sup>، على أن يؤخذ في الاعتبار العوائد والأعراف التي أقرها الشرع وعدّها من المحاسن أو التي نفاها الشرع وعدّها من القبائح، فهذه ثابتة أبداً لا تتبدل ولا تتغير<sup>(3)</sup>، وإنّ العادة لتختلف باختلاف الناس والأحوال والأوقات<sup>(4)</sup>.

○ فساد أهل الزمان وطروء طارئٍ فيه:

كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان؛ لتغيّر عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولاً للزم منه المشقة والضّرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضّرر والفساد لبقاء العالم على أتمّ نظام وأحسن إحكام<sup>(5)</sup>.

○ مراعاة أحوال الأشخاص ونياتهم:

الأحاديث التي وردت في أنواع من أعمال البرّ بأنّها أفضل الأعمال ليست متعارضة، وإنما تدلّ على أنّ النبي - ﷺ - يجب كلّ مخاطبٍ بما هو أليقّ به، وهو به أقوم، وإليه أرغب، ونفعه فيه أكثر<sup>(6)</sup>.

○ بناء الحكم على الحيل؛ لأنّ الحيل ليست من مسالك الاجتهاد، « وقد اتفق السلف على أنّها بدعةٌ محدثةٌ، فلا يجوز تقليد من يُفتي بها ويجب نقض حكمه »<sup>(7)</sup>.

○ اتضاح الحقّ في حكم المسألة للمفتي بعد بيان الخطأ؛ حيث « أجمع المسلمون على أنّ من استبانته له سنة رسول الله - ﷺ - لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس »<sup>(8)</sup>، وفي هذا يقول الإمام مالك - رحمه الله - : « إنّما أنا بشرٌ أخطئ وأصيب، فانظروا في قولي؛ فكلّ ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 167/4.

(2) الإحكام، للقراني، ص 218.

(3) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 283/2.

(4) ينظر: حاشية الجمل، 300/5.

(5) نشر العرف، لابن عابدين، 125/2. وينظر: المدخل الفقهي العام، للزرقا، 938/2.

(6) ينظر: سبل السلام، للصنعاني، 116/1.

(7) إعلام الموقعين، لابن القيم، 287/3.

(8) المصدر نفسه، 7/1، 282/2.

(9) الاتباع، لابن أبي العز الحنفي، ص 79، إعلام الموقعين، لابن القيم، 75/1.

فمن أفتى من أهل العلم وغلط في فتواه أنكر عليه فتواه التي ليست مطابقة للحق وردت عليه؛ فقد أنكر النبي - ﷺ - على أبي السنابل بن بعكك قوله لسبيعة الأسلمية لما مات زوجها ووضعت حملها بعد ذلك بأيام: إنها لا تتقصي عدتها إلا بعد أربعة أشهر وعشر ليال(1).

○ قصور الفهم في تصوّر المسألة وحدوث خطأ التنزيل عن كلام الشرع:

○ نبّه الإمام ابن القيم - رحمه الله - على هذا في قوله: « تنزيلُ كلامه - أي: كلام الشّرع - على الاصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين والفقهاء وعلم أحوال القلوب وغيرها؛ فإنّ لكلّ من هؤلاء اصطلاحات حادثة في مخاطبتهم وتصانيفهم، فيجيء من ألف تلك الاصطلاحات الحادثة وسبقت معانيها إلى قلبه فلم يعرف سواها، فيسمع كلام الشارع فيحمله على ما ألفه من الاصطلاح، فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع ما لم يرده بكلامه، ويقع الخلل في نظره ومناظرته ما يقع، وهذا من أعظم أسباب الغلط عليه مع قلة البضاعة من معرفة نصوصه»(2). حمل اصطلاحات أهل العلم المتقدمين على عرف أهل العلم المتأخرين:

«قد غلط كثير من المتأخرين من أتباع الأئمة على أئمتهم بسبب ذلك؛ حيث تورّع الأئمة عن إطلاق لفظ التحريم وأطلقوا لفظ الكراهة، فنفي المتأخرون التحريم عما أطلق عليه الأئمة الكراهة، ثم سهل عليهم لفظ الكراهة وخفت مؤنته عليهم، فحمله بعضهم على التنزيه، وتجاوز به آخرون إلى كراهة ترك الأولى، وهذا كثير جداً في تصرفاتهم؛ فحصل بسببه غلط عظيم على الشريعة وعلى الأئمة»(3).

○ مراعاة الأخذ في قوة التجربة والتطور العلمي الدقيق لتغيير الأحكام:

«إنّ التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة»(4)، والأمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطور جديد، ولكن كلّ ذلك مع التمسك بالدين(5).

○ ظهور الانترنت وسوشيال ميديا (مواقع التواصل الاجتماعي) الذي أثر في خصوصية الزمان والمكان إلى حدّ ما، وما يشهده العالم من انفتاح على الثقافات وتشابك المصالح وسهولة التنقلات، وما أثمرته العولمة والتيارات الفكرية من تغيرات على الواقع المعيش؛ لهو - لعمرى - من أهم دواعي تجديد الفتوى في الخطاب الديني الهادف نحو صالحية الدين لكل زمان ومكان، ولكل ظرف وحال

## المبحث الثالث

### التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى

إنّ الفساد المنتشر بعد العصر الأول موجب لاختلاف الحكم، لكن بحيث لا يخرج عن الشّرع بالكلية؛ دفعا للضرر والفساد(6)، ومما يدلّ على ذلك:

(1) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 335/7.

(2) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، 271/2، 272.

(3) إعلام الموقعين، لابن القيم، 39/1، 40.

(4) فتح الباري، لابن حجر، 218/7.

(5) أضواء البيان، للشنقيطي، 38/3.

(6) بدائع السلك، لابن الأزرق، 295/1.



النَّاسَ يَنْخُدُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ صَحَائِهِمْ وَيَجْمُلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فقال رسول الله - ﷺ - : (وما ذاك؟)، قالوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الصَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثِ، فقال: (إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا)<sup>(1)</sup>.  
وجه الدلالة: أن النهي عن أكل لحوم الصحايا بعد ثلاث لم يكن عبادة فنسخت، وإنما كان لعلّة الدافّة<sup>(2)</sup>؛ ليدلّ على ارتباط الأحكام معلّلة بالأوصاف المؤثرة فيها وتعديها بتعدي أوصافها وعللها<sup>(3)</sup>.  
○ سئل النبي - ﷺ - في أوقات مختلفة عن أفضل الأعمال وخير الأعمال، فأجاب بأجوبة مختلفة كلّ واحد منها لو حمل على إطلاقه أو عمومه لاقتضى مع غيره التّضاد<sup>(4)</sup>، وما ذاك إلا لاختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات.

### ثالثاً: عمل الصحابة والسلف الصالح:

قد كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يجتهدون في التّوازن ويقيسون بعض الأحكام على بعض ويعتبرون النّظير بنظيره<sup>(5)</sup>؛ لاختلاف أحوال الناس وظروف زمانهم ومكانهم، ف«إن تجدد الأحكام لتعدّد عللها في المحال بعده - ﷺ - ليس نسخاً، وإنما النسخ تجديد حكم مطلقاً»<sup>(6)</sup> فمن ذلك:

• قول عمر بن الخطاب - ؓ - لأبي موسى الأشعري - ؓ -: (لا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك، أن تراجع الحق؛ فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التّماذي في الباطل)<sup>(7)</sup>.  
قال الإمام السرخسي معلقاً: « وهذا ليس في القاضي خاصّة، بل هو في كلّ من بيّن لغيره شيئاً من أمور الدّين، الواعظ والمفتي والقاضي في ذلك سواء إذا تبيّن له أنّه زلّ فليظهر رجوعه عن ذلك؛ فزلة العالم سبب لفتنة الناس<sup>(8)</sup>، ومراجعة الحق يكون بتعهده مع متطلبات الحياة نحو مواكبة سير الحكم للزمان والمكان - والله أعلم -

• روى الإمام مالك أنّه سمع ابن شهاب يقول: كانت صوّالُ الإبلِ في زمانِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ إبلا مؤبلةً تَنَاتُجُ لَا يَمْسُهَا أَحَدٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ زَمَانُ عُثْمَانَ بنِ عُمَرَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْمَنَظَرِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْمَنَظَرِ، إِذَا جَاءَ صَاحِبُهَا أُعْطِيَ تَمَنَّاها<sup>(9)</sup>.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي ...، (ح1971)، 1561/3.

(2) الاستدكار، لابن عبد البر، 232/5.

(3) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، 198/1.

(4) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 99/4.

(5) إعلام الموقعين، لابن القيم، 203/1.

(6) الذخيرة، للقرافي، 393/12.

(7) سنن الدارقطني، 206/4.

(8) المبسوط، 62 / 16 .

(9) الموطأ، كتاب الأضحية، باب القضاء في الضوال، (1449)، 759/2، البيهقي في سننه الكبرى، (11860)، 191/6، ومعرفة السنن

والآثار (3826)، 32/5.

• عن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتي بالشَّارِبِ على عهد رسول الله - ﷺ - وإمرة أبي بكرٍ وَصَدْرًا من خِلافةِ عُمَرَ فَتَقُومُ إليه بِأَيْدِينَا وَنِعَالِنَا وَأُزْدِيَّتِنَا، حتى كان آخرُ إمْرَةٍ عُمَرَ فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ، حتى إذا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ<sup>(1)</sup>.

وجه الدلالة: إنَّما جاز لهم أن يجمعوا على تعيّن الحكم، والحكم المعلوم منه - ﷺ - عدم تعيّنهم؛ لعلمهم بأنه - ﷺ - انتهى إلى هذه الغاية في ذلك الرّجل لزيادة فساد فيه، ثم رأوا أهل الزمان قد تغيّروا إلى نحوه أو أكثر، حتى إذا عتوا وفسقوا وعلموا أنّ الرّمان كلّما تأخّر كان فساد أهله أكثر، فكان ما أجمعوا عليه هو ما كان حكمه - ﷺ - في أمثالهم<sup>(2)</sup>.

• عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - قال: كان الطّلاقُ على عهد رسول الله - ﷺ - وأبي بكرٍ وَسَنَّتَيْنِ من خِلافةِ عُمَرَ طَلاقُ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً، فقال عُمَرُ بنُ الحُطَّابِ - ﷺ -: (إنّ النّاسَ قد اسْتَعَجَلُوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناها عليهم، فأَمْضَاهُ عليهم)<sup>(3)</sup>.

قال الإمام ابن القيم: « فهذا مما تغيّرت به الفتوى لتغيّر الزمان، وعلم الصحابة - ﷺ - حُسنَ سياسةِ عُمَرَ وتأييده لرعيته في ذلك فوافقوه على ما ألزم به، وصرّحوا لمن استفتاهم بذلك<sup>(4)</sup> ».

• عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة - رضي الله عنها - تقول: لو أنّ رسول الله - ﷺ - رأى ما أحدثت النساءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيل، قال: فقلت لِعَمْرَةَ: أنيساءُ بني إسرائيلٍ ممنعهن المسجدُ؟ قالت: نعم<sup>(5)</sup>.

وجه الدلالة: إنّ الحكم يتغيّر عند فساد الزمان؛ لأنّ « المفسدة في ذلك الرّمن كانت مأمونة بخلاف اليوم<sup>(6)</sup> ».

• قال عمر بن عبد العزيز: « تحدث للنّاس أفضية على قدر ما أحدثوا من الفجور<sup>(7)</sup> ». وجه الدلالة: لم يرد - رحمه الله - نسخ حكم، بل المجتهد فيه ينتقل له الاجتهاد؛ لاختلاف الأسباب<sup>(8)</sup>، فاختلفت المناط موجب لاختلاف الحكم؛ ردعاً لأهل الباطل عن بطلانهم<sup>(9)</sup>.

(1) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، (ح6779)، 276/4.

(2) ينظر: شرح فتح القدير، لابن الهمام، 310/5، 311. وينظر: البحر الرائق، لابن نجيم، 31/5.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، (ح1472)، 1099/2.

(4) إعلام الموقعين، 36/3.

(5) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم، (ح869)، 207/1، مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة...، (ح445)، 329/1، واللفظ لمسلم.

(6) شرح النووي على صحيح مسلم 178/6. وينظر: عمدة القاري، 296/6.

(7) الذخيرة، للقرافي، 206/8، 122/12.

(8) الفروق، للقرافي، 1314/4.

(9) ينظر: الاعتصام، للشاطبي، 294/2.

#### رابعاً: الإجماع:

إن إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغيير تلك العوائد خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة ما يتبع العوائد، يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة<sup>(1)</sup>، وقد اتفقت كلمة فقهاء المذاهب على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس هي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصليحية، أي: التي قررها الاجتهاد بناءً على القياس أو على دواعي المصلحة<sup>(2)</sup>.

#### خامساً: المعقول:

يقول الإمام الجويني - رحمه الله - : «كم من أمر تقضي العقول بأنه الصواب في حكم الایالة والسیاسة، والشرع وارد بتحريمه، فلسنا ننكر تعلق مسائل الشرع بوجوه من المصالح، ولكنها مقصورة على الأصول المحصورة وليست ثابتة على الاسترسال في جميع وجوه الاستصلاح ومسالك الاستصواب»<sup>(3)</sup>.

#### سادساً: الاستقراء:

إن الأصل المقتضى في الشرع أن الأحكام محمولة على معانٍ يترتب الحكم عليها وإنما وجدت إلا أن يدل نص أو إجماع على اختصاص الحكم بمورده فيمتنع إلحاق غيره به<sup>(4)</sup>، ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفاسد لا يجوز قربانها وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص؛ فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك<sup>(5)</sup>، وإن اختلاف الأحكام والشرائع بحسب اختلاف الأزمان والأحوال سنة الله في جميع الأمم، وشرع من قبلنا شرع لنا، فيكون ذلك بياناً على اختلاف الأحكام عند اختلاف الأحوال في زماننا، وظهر أنها من قواعد الشرع وأصول القواعد، ولم يكن بدعاً عما جاء به الشرع<sup>(6)</sup>.

#### المبحث الرابع

##### ضوابط تجديد الفتوى في الخطاب الديني

تنزيل الأحكام على الوقائع من أدق وجوه الفقه وأكثرها للغلط<sup>(7)</sup>، وإنما ينتفي الخطأ متى صدر الاجتهاد من أهله، وتم في نفسه ووضع في محله ولم يقع مخالفاً لدليل قاطع<sup>(8)</sup>؛ فالاجتهاد طريق لمعرفة حكم الله تعالى في كل

(1) الإحكام، للقراني، ص 218 .

(2) المدخل الفقهي العام، للزرقا، 2/941، 942.

(3) غياث الأمم، ص 310.

(4) ينظر: شفاء الغليل، للغزالي، ص 640، 642.

(5) قواعد الأحكام، للغز بن عبد السلام، 2/160.

(6) ينظر: الذخيرة، للقراني، 10/47.

(7) ينظر: البحر المحيط، للزركشي، 4/571.

(8) المستصفي، للغزالي، ص 361.

حادثه، فلو لم يبق مجتهد؛ لتعطّلت أحكام الله، فإنّ غير المجتهد إنّما يقول حرّاً وتخميناً، وذلك ليس بطريق الشرع<sup>(1)</sup>.

إنّ الأحكام التي يُرجع في معرفتها إلى الاجتهاد، ما كان الاجتهاد فيها ممّا لا يُزيل الألفة ولا يُوجب الوحشة ولا يوجب البراءة ولا يقطع موافقة الإسلام، وهو الاختلاف الواقع في النوازل التي عُدمت فيها النصوص في الفروع وعُمضت فيها الأدلة<sup>(2)</sup>؛ فإنّ كلّ ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيّناً أو ثبت بإجماع الصحابة أو فقهاء الأمصار لم يحلّ ولا يسوغ الاجتهاد والاختلاف فيه لمن علمه<sup>(3)</sup>؛ فعلى المجتهد أن يراعي في اجتهاده الضوابط والآليات التالية؛ حتى يثبت ما اعتقده من الصواب فيما يسوغ له فيه الاجتهاد:

( أ ) - تكييف النّازلة:

لإدراك عقل المعاني في النازلة وإثبات الفهم والتطبيق على الأدلة على المجتهد أن يقوم بالفحص ممثلاً لما يلي:

• ألا يتصدّر للإفتاء حتى يراه الناس أهلاً للفتيا؛ كي يكون نائباً عن الشرع في الحكم على أفعال المكلفين<sup>(4)</sup>، وأن ينتصب « للفتوى بفعله وقوله، بمعنى أنه لا بدّ له من المحافظة على أفعاله حتّى تجري على قانون الشرع؛ ليتخذَ فيها أسوة »<sup>(5)</sup>.

• أن يكون بصيراً بأحوال الناس واصطلاحاتهم؛ ليعرف مكر الناس وخداعهم، وأن يكون حذراً فطنا ممّا يصورونه في سؤالاتهم؛ لئلا يوقعوه في المكروه، فلربّما تصوّر له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحقّ بصورة المبطل وعكسه<sup>(6)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول الإمام القرافي - رحمه الله - : « وعلى هذا القانون تُراعى الفتاوى على طول الأيام، فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجلٌ من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وافته به دون عرف بلدك والمقرّر في كتبك، فهذا هو الحقّ الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين وسلف الماضين »<sup>(7)</sup>.

اعتبار خصوصيات الأحوال والأبواب وغير ذلك من الخصوصيات الجزئية؛ فإن للخصوصيات خواصّ يليق بكلّ محلٍ منها ما لا يليق بمحلٍ آخر، كما في النكاح مثلاً، فإنه لا يسوغ أن يُجرى مجرى المعاوضات من كل وجه<sup>(8)</sup>.

(1) ينظر: الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء، 422/5.

(2) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول، للسمعاني، 308/2.

(3) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 560. وينظر: اللمع في أصول الفقه، للشيرازي، ص 129.

(4) ينظر: المدونة، 149/12.

(5) الموافقات، للشاطبي، 251/4.

(6) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، 204/4. وينظر: مطالب أولي النهى، للرحبياني، 438/6.

(7) الفروق، 314/1، وينظر: الإحكام، للقرافي، ص 232، تبصرة الأحكام، لابن فرحون، 73/3، إعلام الموقعين، لابن القيم، 78/3.

(8) الموافقات، للشاطبي، 228/4.

• وقوف المجتهد على فهم النّازلة بنفسه، فمن ذلك ما قرّره الإمام القرافي في الحشيشة هل تبطل الصلاة؟ فقال: « سئل بعض فقهاء العصر عن صليّ بالحشيشة معه هل تبطل صلاته أم لا؟ فأفتى أنّه إن صلى بها قبل أن تحمّص أو تعلق صحتّ صلاته، أو بعد ذلك بطلت صلاته، وقال في تعليل الفرق: بأنّها إنّما تغيب العقل بعد التحميص أو الصلق، أمّا قبل ذلك فهي ورق أخضر فلا، بل هي كالعصير الذي للعنب وتحميصها كغليانه، وسألْتُ عن هذا الفرق جماعة ممن يعانيتها فاختلّفوا على قولين: فمنهم من سلّم هذا الفرق، وقال: لا تؤثر إلا بعد مباشرة النّار، ومنهم من قال: بل تؤثر مطلقاً، وإنّما تحمّص لإصلاح طعمها وتعديل كيفيتها خاصّة، فعلى القول بعدم هذا الفرق تبطل الصلاة مطلقاً، وعلى القول بالفرق يكون الحقّ ما قاله المفتي إن صحّ أنّها من المسكرات وإلا صحتّ الصلاة بها مطلقاً، وهو الذي أعتقده أنّها مفسدة، والمفسدة لا تبطل الصلاة كالبنج والسيكران وجوزة بابل»<sup>(1)</sup>.

• الإحاطة بأقوال من قبله واستدلالاتهم في الحادثة قبل الشّروع في الفتوى.  
يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقوال السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل، وحتى يفرق بين المشتبه، ولا يعجل بالقول به دون التثبيت<sup>(2)</sup>؛ فلا يكون فقيهاً في الحادث من لم يكن عالماً بالماضي<sup>(3)</sup>.  
وعلم المفتي بالماضي لا يبيح له أن يفتي بما سطره الأوائل في كتبهم إلا بعد أن يتقّد العرف هل هو باق أم لا؟ فإن وجدته باقياً أفتى به، وإلا توقّف عن الفتيا، وهذه هي القاعدة في جميع الأحكام المبنية على العوائد، كالنقود والسكك في المعاملات والمنافع في الإجازات، والأيمان والوصايا والنذور في الإطلاقات، فلا يجوز له أن يفتي بتلك الفتاوى المسطرة في الكتب بعد أن زالت تلك العوائد؛ ضرورة أنّها فتيا بالحكم المبنية على مدرك بعد زوال مدركه، والفتيا بذلك الحكم خلاف الإجماع<sup>(4)</sup>.

• معرفة مواقع الخلاف لا حفظ مجرد الخلاف<sup>(5)</sup>؛ فلا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس، فإنّه إن لم يكن كذلك ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه<sup>(6)</sup>.  
• استشارة أهل العلم والصّلاح وأهل الخبرة في الواقعة، « والمرجع في كل شيء إلى الصّالحين من أهل الخبرة به»<sup>(7)</sup>.

(1) الفروق، 361/1، 362.

(2) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 510.

وفي هذا الصّدّد قال الإمام الشاطبي مبيّناً الهدف من إحاطة المفتي لفتوى من قبله: « يجب على كلّ ناظر في الدليل الشّرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصّواب وأقوم في العلم والعمل». الموافقات، 77/3.

(3) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، 47/2، إيقاظ المهمل، للعمري، ص 33.

(4) ينظر: الفروق، للقرافي، 958/3.

(5) الموافقات، للشاطبي، 162/4.

(6) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، 46/2، إيقاظ المهمل، للعمري، ص 32.

(7) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 36/29.



عن شريح القاضي قال: قال لي عمر بن الخطاب: (أَنْ اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله - ﷺ -، فإن لم تعلم كلَّ أفضية رسول الله - ﷺ - فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كلَّ ما قضت به أئمة المهتدين؛ فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح)<sup>(1)</sup>.

• مدارس المفتي من خلفه من أهل العلم في حكم الحادثة قبل الصدع بما يراه هو الحق.  
قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه؛ لأنه قد يتبته بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثبتاً فيما اعتقده من الصواب، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك<sup>(2)</sup>.  
فالمناظرة والاستشارة في النوازل وفي الأحكام مشروعَةٌ؛ فإنَّ العالم قد يكون عنده ما لا يكون عند غيره ممن هو أعلم منه<sup>(3)</sup>.

• فهم مقاصد الشريعة على كمالها؛ للتمكّن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها<sup>(4)</sup>.  
يقول الإمام الجويني: «لا أبتدع ولا أخترع شيئاً بل ألاحظ وضع الشَّرع، واستشير معنًى يناسب ما أراه واتحرّاه، وهكذا سبيل النَّصرف في الوقائع المستجدة التي لا يوجد فيها أجوبة العلماء معدّة، وأصحاب المصطفى - صلوات الله عليه ورضي الله عنهم - لم يجدوا في الكتاب والسنة إلا نصوصاً معدودة، وأحكاماً محصورةً محدودةً، ثم حكموا في كلِّ واقعة عنت، ولم يجاوزوا وضع الشَّرع، ولا تعدوا حدوده؛ فعلمونا أنّ أحكام الله تعالى لا تنتهي في الوقائع، وهي مع انتفاء النّهاية عنها صادرةً عن قواعد مضبوطة»<sup>(5)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب في كتابه إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما -: «ثمَّ الفهم الفهم فيما أدلى إليك ممّا ورد عليك ممّا ليس في قرآن ولا سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبّها إلى الله وأشبهها بالحق»<sup>(6)</sup>.

• بذلُّ الوسع والجهد في تقرير حكم الحادثة، يقول الإمام مالك - رحمه الله -: «ربّما وردت عليّ المسألة فأفكر فيها ليالي»<sup>(7)</sup>.

وجمهور علماء المسلمين على أنّ القدرة على الاجتهاد والاستدلال مما ينقسم ويتبعّض، فقد يكون الرّجل قادراً على الاجتهاد والاستدلال في مسألة أو نوع من العلم دون الآخر، وهذا حال أكثر علماء المسلمين، لكن يتفاوتون في القوّة والكثرة، فالأئمة المشهورون أقدر على الاجتهاد والاستدلال في أكثر مسائل الشَّرع من غيرهم<sup>(8)</sup>.

(1) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، 491/1. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، 19/23، إعلام الموقعين، 84/1، 204/1.

(2) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 510، 511.

(3) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، 190/10.

(4) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 105/4، 106.

(5) غياث الأمم، ص 196، 197.

(6) أخرج البيهقي في سننه الكبرى، (20324)، 150/10، معرفة السنن والآثار، (5873)، 366/7.

(7) الموافقات، للشاطبي، 286/4. وينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض، 70/1.

(8) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، 244/2، 245.

• الصدع بالحق، وألا يخاف في الحق لومة لائم .

لا خلاف بين علماء المسلمين على أنه لا يجوز ولا يسوغ ولا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا بالحق الذي يعتقد أنه حق، رضي بذلك من رضيه، وسخطه من سخطه، وإنما المفتي مخبر عن الله تعالى في حكمه؛ فلا يُخبر عنه إلا بما يعتقد أنه حكم به وأوجبه<sup>(1)</sup>.

فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدّته، وأن يتأهب له أهبتة، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدق به؛ فإن الله ناصرُه وهاديهِ<sup>(2)</sup>.

### (ب) - حكم النازلة:

وهو ما أدى إليه بذلُ الجهد واستفراغُ الوسع من تطبيق لفهم الواقع والتفقه فيه على فهم الواجب في الواقع. وفي توصل المجتهد بمعرفة واقعه إلى معرفة حكم الشرع فيه الأمور الآتية:

• التجرد عن الانصاف بالمؤثرات السلبية، كالتعصب واتباع الهوى، والانقياد بموضوعية لاتباع الحق؛ فإن مسلك الاجتهاد يتطلب « الانفكاك عن داعية العناد، وضراوة الاعتقاد، وحلاوة المألوف من الاعتقاد؛ فالضراوة بالعادة مخيلة البلادة، والشغف بالعناد مجلبة الفساد، والجمود على تقليد الاعتقاد مدفعة الرّشاد»<sup>(3)</sup>.

• تحقق الأسباب والشروط وانعدام الموانع؛ «فأحكام الإله مضبوطة بالحكم، محالة على الأسباب والشرائط التي شرعها»<sup>(4)</sup>، والله - ﷻ - أحكاماً تحدث عن حدوث أسباب لم تكن موجودة في الصدر الأول<sup>(5)</sup>.

• مراعاة مآل الحكم، وضابطه: أن المجتهد يعرض المسألة على الشريعة، فإن صحّت في ميزانها فليُنظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة، فليعرضها في ذهنه على العقول، فإن قبلتها، فله أن يتكلم فيها إما على العموم إن كانت مما قبلها العقول على العموم، وإما على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن للمسألة هذا المساغ، فالتسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية<sup>(6)</sup>.

• حمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب المجتهد بهم مذهب الشدة ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال<sup>(7)</sup>؛ تحقيقاً لقول النبي - ﷺ -: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»<sup>(8)</sup>.

والمراد بالمعهود الوسط: أن يكون «التشريع لأجل انحراف المكلف أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التشريع راداً إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر؛ ليحصل الاعتدال

(1) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 4/140.

(2) إعلام الموقعين، لابن القيم، 1/11.

(3) شفاء الغليل، للغزالي، ص 7.

(4) قواعد الأحكام، لابن عبد السلام، 2/130.

(5) الفتاوى الفقهية الكبرى، لابن حجر، 4/248.

(6) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 4/191.

(7) المصدر نفسه، 4/258.

(8) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي - ﷺ - يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (ح69)، 1/27، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (ح1732)، 3/1358، واللفظ لمسلم.

فيه فعل الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته وقوة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلت صحته هيأ له طريقاً في التدبير وسطاً لائقاً به في جميع أحواله»<sup>(1)</sup>.

• الحكم علم يُراعى في إبلاغه إلى الناس أن يكون مما تدرکه الأفهام؛ حسماً لباب الفساد والضلال.  
قال علي بن أبي طالب - عليه السلام - : «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتَحِبُّونَ أَنْ يُكَدَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(2)</sup>، وعن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : «ما أنت بمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِيَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»<sup>(3)</sup>؛ لأن الشخص إذا سمع ما لا يفهمه وما لا يتصور إمكانه يعتقد استحالتة جهلاً فلا يصدق وجوده، فإذا أُسند إلى الله ورسوله يلزم تكذيبهما<sup>(4)</sup>.

### (ج) - دليل الحكم:

ليس لأحد دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول إلا بالاستدلال<sup>(5)</sup>، كما أن إلزام الحاكم في مسائل النزاع بالتزام قول بلا حجة من الكتاب والسنة لا يجوز بإجماع المسلمين، فلا يفيد حكم المجتهد بصحة قول دون قول في مثل ذلك إلا إذا كان معه حجة يجب الرجوع إليها<sup>(6)</sup>، ف-«على العالم أن لا يقول إلا من جهة العلم، وجهة العلم الخبير اللآزم بالقياس بالدلائل على الصواب؛ حتى يكون صاحب العلم أبداً متبعاً خبيراً وطالب الخبير بالقياس، كما يكون متبعاً البيت بالبيان وطالب قصده بالاستدلال بالأعلام مجتهداً»<sup>(7)</sup>، وفيما يلي طائفة لما يكون على الحكم دليلاً:

#### • النص على حكم المسألة:

أجمع المسلمون على أن من استبانته له سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس<sup>(8)</sup>.

#### • الأخذ بالظن في تقرير الأحكام:

« للظن حالتان: حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة، فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتفادات وأروش الجنائيات، والحالة الثانية: أن يقع في النفس شيء من غير دلالة، فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به وهو المنهي عنه»<sup>(9)</sup>.

(1) الموافقات، للشاطبي، 163/2.

(2) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، 41/1.

(3) صحيح مسلم، 11/1.

(4) عمدة القاري، للعيني، 205/2.

(5) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 25.

(6) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 240/3.

(7) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 507.

(8) إعلام الموقعين، لابن القيم، 7/1، 282/2، مدارج السالكين، لابن القيم، 335/2، وينظر: إيقاظ المهمل، للعمري، ص 114.

(9) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 332/16.

• الأخذ بأقوى الوسائل لتحصيل المصلحة الكاملة عند تعددها:

فقد تتعدّد الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها أقوى تلك الوسائل تحصيلًا للمقصد المتوسل إليه؛ بحيث يحصل كاملاً راسخاً عاجلاً ميسوراً فتقدّمها على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل<sup>(1)</sup>.

وعلى المفتي أن يُراعي في هذا الجانب أمراً، وهو أنّ هذا النّظر كلّه أساسه كون المصالح مشروعة والمفاسد ممنوعة؛ لإقامة هذه الحياة، لا لنيل الشهوات واتباع الأهواء<sup>(2)</sup>، وأنّ اتباع المصالح مبنّي على ضوابط الشرع ومراسمه<sup>(3)</sup>.

• الاستناد إلى قرائن الأحوال:

فالشّارع لم يبلغ القرائن والأمارات ودلالات الأحوال بل من استقرأ الشّرع في مصادره وموارده وجده شاهداً لها بالاعتبار مرتّباً عليها الأحكام<sup>(4)</sup>.

• ردّ المسألة إلى أصولها الكليّة؛ فإنّه أوعى لحفظها وأدعى لضبطها، وحسماً لفتنة الفساد:

لابدّ أن يكون مع المفتي أصول كليّة تردّ إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلّا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات؛ فيتولد فسادٌ عظيم<sup>(5)</sup>. ولا يخفى على المجتهد أنّ الفروع إنّما تُبنى على الأصول، وأنّ من لا يفهم كيفية الاستنباط ولا يهتدي إلى وجه الارتباط بين أحكام الفروع وأدلتها التي هي أصول الفقه، لا يتسع له المجال، ولا يمكنه التفرّيع عليها بحال؛ فإنّ المسائل الفرعية على اتساعها وتبعدها غاياتها لها أصولٌ معلومة، وأوضاعٌ منظومة، ومن لم يعرف أصولها لم يحط بها علماً<sup>(6)</sup>.

ضوابط الفتوى عبر وسائل الإعلام:

لا شك أنّ للفتوى عبر وسائل الإعلام المختلفة فوائدٌ جمة، تتلخّص في بثّ ثقافة شرعية من خلال بيان الحكم الشرعيّ للواقعة على مدى أوسع ونطاق أرحب من الفتوى التي تكون بعد محاورة المفتي للمستفتي وجهها لوجه؛ لذا كان على المفتي أن يتقيّد بالضوابط التالية إن خرجت فتواه عبر وسائل الإعلام؛ أهمّها:

• أن يكون المفتي مؤهلاً للفتوى عبر وسائل الإعلام، وخبيراً بالتعامل مع الناس مشهوداً له بالفضل والأمانة؛ كي يكون وقع فتواه على الأسماع علماً راسخاً يُقنّدى به، وفي هذا المعنى قال الإمام مالك - رحمه الله - : «وليس كلّ من أحبّ أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصّلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلاً لذلك جلس، وما جلسْتُ حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أنني موضع»<sup>(7)</sup>.

(1) مقاصد الشريعة، لابن عاشور، ص 145.

(2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 40/2.

(3) ينظر: شفاء الغليل، للغزالي، ص 245.

(4) الطرق الحكمية، لابن القيم، 16/1.

(5) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 203/19.

(6) تخرّيج الفروع على الأصول، للزنجاني، ص 44.

(7) الديباج المذهب، لابن فرحون، ص 21.

- أن يلتزم بضوابط الفتوى وأدابها كالأهتمام بحسن المظهر فهو عامل مهم من عوامل تأثير المفتي في عقول سامعيه ونفوسهم<sup>(1)</sup>؛ فقد ذكر أن أبا وائلة إياس بن معاوية المزني - قاضي عمر بن عبد العزيز على البصرة - أتى حلقة من حلوق قريش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس وقال كلاماً يأخذ الألباب، فرآه الناس أحمر دميماً رث الهيئة متقشفاً، فاستهانوا به، فلما عرفوا فضله ومكانته اعتذروا إليه وقالوا: الذنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زي مسكين تكلمنا بكلام الملوك<sup>(2)</sup>.
- أن ينتبذ في الفتوى وألا يتساهل فيها ويسرع بإصدارها قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، إلا أن تتقدم معرفته بالمسؤول عنه فلا بأس بالمبادرة<sup>(3)</sup>؛ فقد كان في الصحابة - ﷺ - من يتباطأ بالجواب عما هو فيه غير مستريب، ويتوقف في الأمر السهل الذي هو عنه مجيب<sup>(4)</sup>.
- التعرف على المذهب السائد في بلد المستفتي؛ حتى لا تفضي الفتوى إلى ترك ما هو معلوم للعامة إلى ما ليس بمعلوم<sup>(5)</sup>، وألا تكون الفتوى بالشاذ من العلم؛ فإن أقل ما يصيب صاحبها الذلة<sup>(6)</sup>.
- التفقه بأحوال وظروف المستفتي مع محيط معيشته قبل إصدار الفتوى عن سؤاله؛ لذلك لما هم أبو جعفر المنصور أن يبعث القاضي غوث بن سليمان قاضياً على بلدة، فامتنع بقوله: «البلد ليس بلدي وليس لي معرفة بأهله، فإن رأيت أن تعفيني فأعفني»<sup>(7)</sup>.
- فهم مصطلحات المستفتي واستفساره عن سؤاله ثم تفصيل بيان الحكم في الجواب؛ لأنه «إذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل»<sup>(8)</sup>.
- مراعاة المفتي لطبقات المستمعين في خطابه وتحريره الفهم في تنزيل الناس منازلهم من خلال أسلوب جوابه؛ فلا بد للمفتي «أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً؛ حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر: المتحدّث الجيّد، لعبد الكريم بكار، ص 23.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص 24. وينظر: التبيان والتبيين، للجاحظ، ص 67.

(3) ينظر: آداب الفتوى، للنووي، ص 37، صفة الفتوى، لابن حمدان، ص 31، 32. وينظر: تبصرة لحكام، لابن فرجون، 58/1، الفتاوى الكبرى الفقهية، لابن حجر، 183/4.

(4) أدب المفتي والمستفتي، لابن الصلاح، ص 82.

(5) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 147/4.

(6) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساکر، 19/10.

(7) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساکر، 101/48.

(8) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 146/13.

(9) البيان والتبيين، للجاحظ، ص 87، 88.

- ألا تختص الفتوى في شيء من مسائل الخصومات، ووجوب وردّ حكمها إلى القضاء؛ فقد جاء رجل إلى الليث بن سعد، فقال له: ما تقول في رجل قال لرجل: كذا وكذا، فقال له الليث: تصير إلى القاضي إسماعيل بن اليسع<sup>(1)</sup>.
- عدم الجواب عما يشوش على العامة من المسائل التي لا ينبغي عليها عمل؛ إذ ليس كل علم يبيّن وينشر وإن كان حقاً<sup>(2)</sup>.
- التوقّف عن الفتوى إن لم يأمن المفتي غائلتها وخاف من ترتّب شرّ أكثر من الإمساك عنها، أمسك عنها؛ ترجيحاً لدفع أعلى المفسدتين<sup>(3)</sup>.
- وعلى المفتي أن يراعي في نفسه أمراً إن تصدّى للإفتاء أنّه «قلّ مَنْ حرص على الفتوى وسابق إليها وثابر عليها، إلا قلّ توفيقه واضطرب في أمره، وإذا كان كارهاً لذلك غير مختار له، ما وجد مندوحة عنه، ولا قدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره، إلا كانت المعونة له من الله أكثر، والصلاح في فتواه وجوابه أغلب»<sup>(4)</sup>.

### المبحث الخامس

#### مزايًا تجديد الفتوى في الخطاب الديني

- من المزايا التي أضفت على التجديد ميزة في أنّ بناء أحكام الشّرع قام على تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد ما يلي:
- عالميّة أحكام الشّرع لكلّ النّاس لـ«عموم رسالته - ﷺ - بالنّسبة إلى كلّ ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنّه لم يُخوّج أمّته إلى أحد بعده، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به»<sup>(5)</sup>.
  - واقعيّة الشّريع الإسلامي على احترام اعتبارات النّاس وأحوالهم في كونها ذات أبعاد ارتقائيّة تعمل على المواءمة بين ما يقتضيه الواقع بكلّ حيثياته ومعطياته من جهة، وبين ما ينشده الإسلام من مثاليّة في المصلحة والعدل؛ ليرتقي بالواقع ارتقاءً يقرّبه من القيم المثالية من جهة أخرى<sup>(6)</sup>.
  - المجتهد في الأحكام مجدّد في الدّين من حيث إنّه ينتفع به في العدل والتّناصف وحقن الدّماء، والتّمكن من إقامة قوانين الشّرع على الوقائع<sup>(7)</sup>.

(1) كتاب الولاة وكتاب القضاء، لأبي عمر الكندي، ص371.

(2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 1/54، 4/191.

(3) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، 4/157.

(4) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، 2/350، 351.

(5) إعلام الموقعين، لابن القيم، 4/375.

(6) ينظر: اعتبار المالات، لعبد الرحمن السنوسي، ص35.

(7) ينظر: المعيار المعرب، للونشريسي، 10/7. وينظر: تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، ص59.

- إنَّ المجتهد لا لوم عليه إن بذل وسع جهده وإن لم يصب الحق<sup>(1)</sup>، ولا يعنّف فيما فعله باجتهاده<sup>(2)</sup>؛ فالمجتهد مع خطئه له الأجر؛ لأنّ درك الصّواب في جميع أعيان الأحكام إما متعذّر أو متعسّر<sup>(3)</sup>.
- ردّ الحكم على مورد الحقّ من أنواع النّصح للشّرع الحنيف.
- يقول ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - : « ومن أنواع النّصح لله تعالى وكتابه ورسوله وهو مما يختصّ به العلماء ردّ الأهواء المضلّة بالكتاب والسّنة على موردها، وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلّها، وكذلك ردّ الأقوال الضّعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسّنة على ردّها<sup>(4)</sup>.
- وقوع الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروريٌّ لا بدّ منه؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم<sup>(5)</sup>، وأنّ كلّ مسألة حدثت في الإسلام فاختلفت النّاس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنّها من مسائل الإسلام، وكلّ مسألة طرأت فأوجبت العداوة والتّنافر والتّنازع والقطيعة، علمنا أنّها ليست من أمر الدّين في شيء<sup>(6)</sup>؛ لأنّ على الحقّ دليلاً منصوباً من قبل الله تعالى، لكن إنّما يوصل إليه بطريق ظنّي، فما يعود إلى معرفة علّة الأصل في الظنّيّات ميل عظيم، وكلّ واحد يظنّ غير ما يظنّ صاحبه، وليس يستقرّ على شيء واحد؛ فالشّرع سامح في ذلك ولم يؤاخذنا بخطأ<sup>(7)</sup>.
- الاختلاف الواقع في النّوازل التي عُدمت فيها النّصوص في الفروع وغمضت فيها الأدلّة ورجع في معرفة أحكامها إلى الاجتهاد حتّى صعب الوصول إلى عين المراد منها؛ ما ذاك إلاّ امتحانٌ من الله - ﷻ - لعباده للتفاضل في درجات العلم<sup>(8)</sup>.
- بصدع الحقّ على البدع تُحيا السنن؛ إذ كلما أظهر الشّيطان بدعة من البدع أقام الله من حزبه وجنده من يردّها<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، 1/444.

(2) ينظر: شرح مسلم، للنووي، 12/98.

(3) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 20/252.

(4) جامع العلوم والحكم، ص 81.

(5) الصواعق المرسلّة، لابن القيم، 2/519.

(6) الموافقات، للشاطبي، 4/186، الاعتصام، للشاطبي، 3/169.

(7) قواطع الأدلّة، للسمعاني، 2/320.

(8) ينظر: المصدر نفسه، 2/308.

(9) ينظر: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، 12/298.

- الشَّرْع في كَلِيَّاتِهِ وَأَصُولِهِ صَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ مَوْضُوعٌ عَلَى أَنَّهُ دَائِمٌ أَبَدِيٌّ، فَالْأَحْكَامُ ثَابِتَةٌ تَتَّبَعُ أَسْبَابَهَا حَيْثُ كَانَتْ بِإِطْلَاقٍ<sup>(1)</sup>، وَالْقَوَاعِدُ الْكَلِيَّةُ مِنَ الصَّرُورِيَّاتِ وَالْحَاجِيَّاتِ وَالتَّحْسِينِيَّاتِ لَمْ يَقَعْ فِيهَا نَسْخٌ، وَإِنَّمَا وَقَعَ النِّسْخُ فِي أُمُورٍ جَزْئِيَّةٍ بِدَلِيلِ الْإِسْتِقْرَاءِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا يَعُودُ بِالْحِفْظِ عَلَى الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ ثَابِتٌ<sup>(2)</sup>.
- فِي تَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ الْفَقْهِيَّةِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَتَجْدِيدِهَا مَعَ رُوحِ الْعَصْرِ إِذَا أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْأَحْكَامُ لَا تَتَلَاَمُ مَعَ مَعِيشِ الْإِنْسَانِ وَنِظَامِ حَيَاتِهِ؛ لِفَسَادِ الزَّمَانِ وَقَلَّةِ وَازِعِ الدِّينِ أَوْ لِحُدُوثِ أَوْضَاعٍ تَنْظِيمِيَّةٍ وَأَسَالِيبِ اقْتِصَادِيَّةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ تَنْزِيَهُ عَنِ الشَّرِيعَةِ مِنَ الْعِبْثِ أَوْ الصَّرْرِ<sup>(3)</sup>.
- الْحُكْمُ بِمَا جَاءَ مِنَ الْأَدْلَةِ لِلنَّازِلَةِ فِيهِ سَدٌّ لِأَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ، وَعَدْمُ تَعْطِيلِ الْأَحْكَامِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ بِالشَّرْعِ، وَتَلْبِيَةُ لِحَاجَةِ الْعِبَادِ فِي الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ؛ « لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ مَقْصُودَةً لِأَنْفُسِهَا، وَإِنَّمَا قَصْدُ بِهَا أُمُورٍ أُخْرَى هِيَ مَعَانِيهَا، وَهِيَ الْمَصَالِحُ الَّتِي شَرَعَتْ لِأَجْلِهَا »<sup>(4)</sup>.
- مَعْرِفَةُ الْعِبَادِ بِاعْتِ الشَّرْعِ وَمَصْلَحَةِ الْحُكْمِ مِنَ الْمَجْتَهَدِ؛ اسْتِمَالَةٌ لِلْقُلُوبِ إِلَى الطَّمَأْنِينَةِ، وَالْقَبُولُ بِالطَّبَعِ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى التَّصَدِيقِ؛ فَإِنَّ النَّفُوسَ إِلَى قَبُولِ الْأَحْكَامِ الْمَعْقُولَةِ الْجَارِيَةِ عَلَى ذَوْقِ الْمَصَالِحِ أَمِيلٌ مِنْهَا إِلَى قَهْرِ التَّحَكُّمِ وَمَرَارَةِ النَّعْبِدِ، كَمَا أَنَّ ذَكَرَ مَحَاسِنِ الشَّرِيعَةِ وَلَطَائِفَ مَعَانِيهَا وَكَوْنَ الْمَصْلَحَةِ مُطَابِقَةً لِلنَّصِّ يَزِيدُهَا حُسْنًا وَتَأَكِيدُهَا<sup>(5)</sup>.
- اتِّبَاعُ الْحَقِّ وَالْإِخْلَاصُ فِيهِ أَسَاسٌ لِعِمْرَانِ الْبِنْيَانِ وَسَلَامَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى مَرُورِ الْأَزْمَانِ؛ « فَأَصْلُ خِرَابِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إِتْمَا هُوَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَمْ يَرِدْهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِكَلَامِهِ وَلَا دَلٌّ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَرَادُهُ »<sup>(6)</sup>.
- اتِّبَاعُ النَّاسِ لِلْفِتْيَا الْحَقِّ بِالْأَخْذِ وَالتَّطْبِيقِ لَوْجُودِ مَدْرِكِ الْحَقِّ فِيهَا، مَرْضَاةَ اللَّهِ - ﷻ - وَنَجَاةَ مِنَ الْمَوْأَخِذَةِ؛ لِاتِّبَاعِ الْعَبْدِ لِمَا جَاءَ بِهِ الْحَقُّ، وَبِلُغْوِهِ التَّأْسِيِ الْمَطْلُوبِ فِي الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّ « الْمَقْصَدَ الشَّرْعِيَّ مِنْ وَضْعِ الشَّرِيعَةِ: إِخْرَاجُ الْمَكْلَفِ عَنِ دَاعِيَةِ هَوَاهُ حَتَّى يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ اخْتِيَارًا كَمَا هُوَ عَبْدٌ لِلَّهِ اضْطِرَارًا »<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 2/285، 286.

(2) المصدر نفسه، 3/117.

(3) ينظر: المدخل الفقهي العام، للزرقا، 2/926.

(4) الموافقات، للشاطبي، 2/285.

(5) ينظر: المستصفي، للغزالي، ص 339.

(6) إعلام الموقعين، لابن القيم، 4/250.

(7) الموافقات، للشاطبي، 2/168. وينظر: الاعتصام، للشاطبي، 3/308.



## الخاتمة

وبعد؛ فإني أختتم البحث حامداً الله تعالى ما أعان ويسر من إتمامه بأهم النتائج وبعض التوصيات:

### أولاً: النتائج:

- تجديد الدين: إحياء للأصول وعوداً للتوابع في جميع مناحي الحياة وجوانبها المختلفة دون إهمال للمتغيرات.
- تجديد الخطاب الديني في ضوء معطيات العصر يكون بالاعتصام بالأصول والتقيّد بالثوابت، الذي يتطلب فهم الدين فهما خالصا من الشوائب، بعيداً عن تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين.
- لا يتصدى للخطاب الديني إلا من توافرت فيه المعايير والضوابط الشرعية، ولا يتمكّن المفتي من تجديد الأحكام للوقائع وتنزيلها على المستجدات إلا بفهم الواقع والتبصر فيه، ثم بتطبيق الواجب عليه .
- لتجديد الفتوى مزايا سامية تبرز صالحية الشرع لكلّ زمان ولكلّ مكان، فهو يقمّ العلاج الناجع من آثار الفكر المتحرّج الجامد على حرفة النصوص، وهو يخرج بالأمة من أزمتها الحضاريّة الخانقة؛ كي تتمّ لها المشاركة في صنع التّقدم والرقيّ المواكب لمتطلّبات العصر .

### ثانياً: التوصيات:

- إبراز الوسطية الإسلامية وتطبيقاتها في التشريع الإسلامي للنشء الصّغير من خلال تدريس مادّة الثقافة الإسلامية في مراحل التّعليم، والتأكيد على أهمية تدريس مقرّرات أصول الفتوى وما يتعلّق بها في الكليات والمعاهد والدراسات العليا الشرعية.
  - التصدّي للشبهات التي يبثّها أدياء الإسلام بالعلم الخالص الصائب؛ للحفاظ على وحدة الأمة الفكرية والعقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والحقوقية.
  - تبني ولاية الأمور الفتاوى الجماعية؛ لاستصلاح أمر الناس على تطبيق الشريعة، وتفعيل دور المجمع الفقهي في الواقع؛ لمواجهة الفتاوى الشاذة في مضمار المستجدات، ولبيان عوارها للناس، ولا سيما إذا كان صاحبها ذا صيت ذائع؛ حتّى لا ينجرّ المجتمع إلى التطرّف أو إلى الانحلال تحت غطاء شرعيّ.
  - تبصير الناس بأمر دينهم وبحكم ما يُستجدّ في دنياهم، وتأهيلهم شرعيّاً ببيان الحكم والأسرار من خلال الإعلام الهادف ونشر الفتاوى بالخصوص على نطاق رحيب مع اعتبار أعراف الناس وعوائدهم كلّ حسب مجتمعه؛ ليسهل الانقياد ويستقيم الامتثال.
  - إحياء فقه البدائل الشرعية عند الكفّ عن المألوف المستقبح، والاستعانة بأهل الخبرة والاختراع في تفعيل البدائل.
  - ترسيخ خطورة الفتوى في نفوس الناس بالبرامج الدعوية والتربوية.
  - التزام وسائل الإعلام بشئى أنواعها في مجال الفتوى على من توافرت فيهم شروط وأداب الفتوى، والتحوّط البالغ من بنّ وترويج الفتاوى الشاذة أو المغلوطة .
  - ألا يرتكب المفتي خلال برنامج الإفتاء مخالفة شرعية، وألا يجعل من البرنامج محلاً لتصدير الطعون والنقاشات ورّود على الترهات الكلامية من قبل المتصلين به.
  - اختيار المفتي الوسائل المعروفة بالأمانة لإظهار علمه الراسخ من خلالها للناس، سواء كانت الوسائل الإعلام مرئياً أو عبر أثير المسموعة أو التّواصل الاجتماعي، أو مكتوباً في الصحف والمجلات ونحوها.
- وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين  
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

### فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم رحمهما الله.
- 1. آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار الفكر، دمشق، ط الأولى، 1408هـ- /1988م.
- 2. الاتباع، لصدر الدين ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: محمد عطا الله حنيف، عاصم بن عبد الله القريوتي، دار عالم الكتب، لبنان، ط الثانية، 1405هـ- /1985م .
- 3. الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، تشرف بخدمته: سلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط الرابعة، 1430هـ- /2009م .
- 4. أدب المفتي والمستفتي، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي ابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبدالقادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1407هـ- /1987م .
- 5. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البديري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1412هـ- /1992م .
- 6. الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 2000م.
- 7. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1415هـ- /1995م.
- 8. اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، لعبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1429هـ- /2008م.
- 9. الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دراسة وتحقيق: محمد الشقير، سعد آل حميد، هشام الصيني، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1429هـ- /2008م.
- 10. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل، بيروت، ط 1973م .
- 11. إيقاظ همم أولي الأبصار، لصالح بن محمد بن نوح العمري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1398م.
- 12. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية .
- 13. البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1421هـ- /2000م.
- 14. بدائع السلك، لابن الأزرق، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق.
- 15. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت.
- 16. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، لبنان .
- 17. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ- /1995م .
- 18. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لبرهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، تحقيق: الشيخ جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1422هـ- /2001م .

19. تخريج الفروع على الأصول، للإمام أبي المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1427هـ- /2006م.
20. ترتيب المدارك وترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1418هـ- /1998م.
21. تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الاسكندرية، ط الأولى، 1403/1983م.
22. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمرو يوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1398.
23. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط السابعة، 1417هـ- /1997م .
24. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
25. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1415هـ- /1995م.
26. حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج (لذكريا الأنصاري)، لسليمان الجمل، دار الفكر، بيروت، لبنان .
27. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
28. الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، لبنان، ط 1414هـ- /1994م .
29. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دراسة وتحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، مصر، ط الأولى، 1428هـ- /2007م.
30. الرسالة، للإمام لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1358هـ- /1939م .
31. الروضة الندية، لصديق حسن خان، تحقيق: علي حسين الحلبي، دار ابن عفان، القاهرة، ط الأولى، 1999م .
32. سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط الرابعة، 1379 هـ- .
33. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
34. سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط 1414هـ- /1994م .
35. سنن الدارقطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1386 هـ- /1966.
36. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1411هـ- /1991م.

37. شرح فتح القدير، لكamal الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية.
38. شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، 1392هـ-1973م .
39. شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، للإمام محمد الخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان.
40. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط 1390هـ-1971م.
41. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1423هـ-2002م.
42. صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1420هـ-2000م.
43. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، 1375هـ-1955م.
44. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي عبد الله أحمد بن حمدان النمري الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الثالثة، 1397هـ-1977م.
45. الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة، 1418هـ-1998م .
46. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة.
47. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
48. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1995م.
49. غياث الأمم والتياث الظلم، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية، ط الأولى، 1979م.
50. الفتاوى الكبرى الفقهية، للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر
51. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
52. الفروق: أنوار البروق في أنواع الفروق، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، دراسة وتحقيق: محمد سراج، علي جمعة، دار السلام، القاهرة، مصر، ط الأولى/1421هـ-2001م.
53. الفقيه و المتفقه، لأبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الثانية، 1421هـ-2001م .
54. قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
55. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

56. اللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1405هـ - / 1985م .
57. المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
58. المتحدّث الجيّد، لعبد الكريم بكار، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى 1423هـ - / 2011م.
59. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1413هـ - / 1993م .
60. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط الثانية.
61. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1393هـ - / 1973م.
62. المدخل الفقهي العام، لمصطفى أحمد الزرقا، دار الفكر، بيروت، لبنان، مطبعة طربين، دمشق، ط العاشرة، 1387هـ - / 1968م.
63. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، دار صادر، بيروت، لبنان.
64. المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبدالشافى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى 1413 هـ - / 1993م .
65. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى السيوطي الرحباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط 1961م
66. معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
67. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
68. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1401هـ - / 1981م.
69. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1405 هـ - / 1985م .
70. مقاصد الشريعة الإسلامية، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، دار السلام، مصر، ط 1427هـ - / 2006م.
71. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط الخامسة، 1984م.
72. منهاج السنة النبوية، لأبي العباس حمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، 1406هـ - / 1986م .
73. الموافقات في أصول الفقه، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت .
74. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالخطاب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1398هـ - .

75. موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
76. نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف (ضمن مجموعة رسائل)، للإمام محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين. بدون تاريخ طبعة.
77. الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي، تحقيق: عبد الله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1420هـ-1999م.

\*\* \*\* \*



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## دور المدارس في تجديد الخطاب الديني

إعداد

الدكتور: صالح فليح زعل المذهان

مشرف تربوي بوزارة التربية والتعليم بالمملكة الأردنية الهاشمية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

#### ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح مفهوم تجديد الخطاب الديني، وأهميته، وبيان أثر المدارس في تنشئة جيل ملتزم بعقيدته الإسلامية المستندة إلى كتاب الله عز وجل، وما صح من سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفهم آيات الله عز وجل، وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم فهمًا صحيحًا وفق المنهج العلمي الرصين.

وتعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، فتستشهد بالآيات الكريمة، وتوضح معناها مستندة في ذلك إلى أقوال المفسرين المعتبرين، وأهل العلم، وتذكر الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع نفسه، ومبينة درجة صحة الحديث، ومستأنسة بأقوال شراح الأحاديث.

وتلخص هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها، أنَّ عقيدتنا الإسلامية تنشئ جيلًا منفتحًا، ذا أخلاق عالية، وقيم إنسانية نبيلة، يدعو إلى نشر المحبة، والسلام، والتسامح والتعايش، ويتقبل الآخر، ويسعى إلى نشر القيم الفاضلة التي تسعد الإنسانية بها.

وتوصي هذه الدراسة التربويين بالاعتناء بالخطاب الديني وتجديده، والتمسك بالعقيدة الإسلامية، وأصول الدين وتتبنى فكرًا شاملًا متكاملًا؛ لتعديل سلوك الأفراد، وأفكارهم، ومحاربة الإرهاب بأنواعه كافة، ونبذ العنف، التطرف لتحقيق التنمية البشرية، وتطوير المجتمعات والنهوض بالأمة الإسلامية؛ لتكون في مقدمة الأمم في المجالات الحيوية كافة، ونشر العقيدة الإسلامية في أنحاء العالم كافة.

#### المقدمة:

يعد الخطاب من أهم الوسائل التي يتواصل به الناس، والخطاب الديني له أهمية في إصلاح علاقة الفرد بربه عز وجل، وعلاقته بأخيه الإنسان، وتجديده في حياة الناس ينظم العلاقة بين المرء وربه، وبين المرء ومجتمعه فيظهر سننًا هُجرت، ويحارب بدعًا ظهرت، ويرشد الناس إلى كل خير. ويبيدهم عن كل شر.

#### مشكلة البحث :

تأثر المجتمع المسلم بالحضارة المادية الغربية؛ فظهرت بعض السلوكيات السلبية في المجتمع، وقلت القيم العربية والإسلامية فيه، ونتج عن ذلك تأثر المجتمع بالعنف، والتطرف، وعدم تقبل الآخر، وتفككت الأسر المسلمة، وهذا البحث يجيب عن الأسئلة الآتية:

- 1- هل تستطيع المدارس أن تجدد الخطاب الديني فتحيي السنة في قلوب طلابها؟
- 2- ما دور المدارس في نشر القيم، ومكارم الأخلاق في المجتمع؟
- 3- ما أثر الوسائل والأساليب التي تتبعها المدارس في تربية جيل صالح، منتمٍ لعقيدته؟

#### أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الأسئلة السابقة، وبيان دور المدارس في تجديد الخطاب الديني، وتربية جيل على كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتوظيف القيم، ومكارم الأخلاق في حياة الطالب، وأثر ذلك في حياة المجتمع المسلم في مجالات الحياة كافة.

#### أهمية البحث

يُبين هذا البحث أهمية المدارس في ما يأتي:

- 1- تربية أبناء الأمة تربية صالحة.
- 2- دورها في إصلاح الفرد والمجتمع.
- 3- أثرها في محاربة الفكر المتطرف.



4- جمع الأمة على كتاب ربها عز وجل، وسنة نبيها محمد صلى الله عليه وسلم، فتكون مدارسنا منارة علم، وهدى يُقتدى بها، وبيئة تعليمية محفزة للإبداع والابتكار، يشعر فيها الطالب بالأمن والأمان ويظهر أثر رؤيتها ورسالتها في حياة المجتمع في المجالات كافة.

### منهجية البحث

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فاستشهد بالآيات الكريمة، وبين ما ترشد إليها من قيم إيمانية، وتربوية تربي الطالب على الأخلاق الحميدة، والقيم السامية، وأثر ذلك في حياته، وفكره، وسلوكه، ومعاملاته؛ ليكون فردًا صالحًا في مجتمعه، ينشر القيم السامية في مجتمعه؛ فيكون مواطنًا صالحًا يفيد مجتمعه، ويحافظ عليه، ويسعى إلى النهوض به في مجالات الحياة كافة.

ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين: البحث الأول: تجديد الخطاب الديني في القرآن الكريم، والمبحث الثاني: تجديد الخطاب الديني في السنة النبوية الشريفة، ثم النتائج والتوصيات.

### التمهيد: مفهوم تجديد الخطاب الديني

التجديد مصدر للفعل جَدَّدَ، يُجَدِّدُ، تجديداً، وفعله ثلاثي مزيد فيه بالتضعيف، وهو من الباب الثاني من أبواب الفعل المزيد فيه بحرف، باب فَعَلُ يُفَعِّلُ تَفْعِيلًا، وفعله المجرد جَدَّ، وبنائه الصرفي (ج د د). وهذا البناء الصرفي يدل على ثلاثة أصول، ذكرها ابن فارس بقوله: "الجيم، والدال أصول ثلاثة: الأول: العظمة، والثاني: الحظ، والثالث: القطع"<sup>1</sup>. والتجديد في اللغة إعادة الشيء، يقرر ذلك ابن منظور بقوله: "ويقال: كَبَّرَ فلان، ثم أصاب فرحةً، وسرورًا فجَدَّ جَدُّه؛ كأنه صار جديدًا"<sup>2</sup>.

والخطاب مصدر للفعل الثلاثي المزيد فيه بحرف، وهو خَاطَبُ يُخَاطَبُ خِطَابًا ومخاطبة، وهو من الباب الثالث من أبواب الفعل الثلاثي المزيد فيه بحرف، والحرف المزيد هو الألف بين فاء الفعل وعينه. والخطاب- في اللغة- كلام بين اثنين، يدل على ذلك ابن فارس بقوله: "الخاء والطاء، والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال: خاطبه يخاطبه خِطَابًا... وقال: وأما الآخر فاختلاف لونيين"<sup>3</sup>. والديني صفة للخطاب، وهو اسم منسوب إلى الدين، والدين- في اللغة- الجزاء والطاعة يؤكد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله: "والدين جمعه الأديان، والدين الجزاء، لا يجمع؛ لأنَّه مصدر، كقولك: دان الله العباد دينهم يوم القيامة؛ أي يجزيهم وهو دِيَانُ العباد، والدين الطاعة ودانوا لفلان؛ أي أطاعوه"<sup>4</sup>. والخطاب- اصطلاحًا- هو "كل كلام نافع، يسوق الحجج والبراهين، قصد به المخاطب من يخاطبه بعد أن التزم به فعليًا بغرض إفهامه أمرًا مُعَيَّنًا، والتأثير فيه تأثيرًا يحمله على الالتزام به"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (د، ط)، 1979م دار الفكر، مادة (جدد).

<sup>2</sup> - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الثالثة، 2004م، دار صادر، بيروت، مادة (جدد).

<sup>3</sup> - ابن فارس، مرجع سبق ذكره، مادة (خطب).

<sup>4</sup> - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة (دين).

<sup>5</sup> - عبادي، عماد الدين، وسائل الخطاب الدعوي في ضوء التجديد، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور يوسف

والخطاب الديني يقوم على أربعة أركان أساسية، وهي المرسل، والمستقبل، والرسالة والوسيلة الدعوية، يدل على ذلك عماد الدين عبادي بقوله: "وبهذا نصل إلى أنّ الخطاب الدعوي كل خطاب قصّد به الداعية الحجة، وإفهام المدعو من أجل تحقيق مقاصد الخطاب الدعوي متوسلاً في ذلك بجميع الوسائل، والأساليب، والمناهج المناسبة والمشروعة"<sup>1</sup>.

تجديد الخطاب الديني هو العودة الصحيحة إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفهم نصوصهما فهماً صحيحاً وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ووفق فهم القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالخير، فقال: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي، أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدُرُونَ، وَلَا يُعُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ"<sup>2</sup>.

المبحث الأول: تجديد الخطاب الديني في القرآن الكريم

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن دور المدارس في تجديد الخطاب الديني فإنّ الأركان الأربعة التي يقوم عليها الخطاب الديني متوافرة في مجتمع المدارس، فالمدارس هي الداعية التي تدعو إلى الدين، وتُحيي السنة في نفوس طلابها، وتُعظّم في قلوبهم الوحيين: الكتاب، والسنة.

والطلاب هم المدعوون، وهم الغاية من الخطاب الديني، فهم الفئة المستهدفة لبثّ الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة في نفوسهم؛ ليظهر أثر الإيمان بالله عز وجل، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، في فكر الطلاب، وسلوكهم، ومعاملاتهم.

ورسالة المدارس هي غرس الإيمان في نفوس طلابها وتنميته، وحمايتهم من كل ما يضعف إيمانهم، فالإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، يدل على ذلك قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتَهُ رَأَوْهَا كَأَنَّهَا إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ). سورة الأنفال: 2.

والمدارس تدفع الشبهات عن طلابها، وتُفَنِّدُهَا، وتُقَوِّي صلة طلابها بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فيظهر أثر القرآن الكريم، والسنة النبوية في حياة الطلاب في مدارسهم، وفي مجتمعهم، ويكون الطلاب هم الذين ينشرون القيم، ومكارم الأخلاق بين أقرانهم وفي أسرهم، ومجتمعهم.

وتعد المناهج والأنشطة المنهجية وغير المنهجية من أهم الوسائل، والأساليب التي تحقق غاية المدارس في تجديد الخطاب الديني، وتوظيف القيم في حياة الطلاب، وتنمية شعورهم بمراقبة الله - عز وجل - لهم، واستشعارهم بالأجر والثواب من الله - عز وجل - في عمل الخير.

ولا بد أن تمتلك المدارس الوسائل، والأساليب المناسبة؛ لتحقيق غايتها النبيلة، وهي إعداد جيل صالح منتمٍ لعقيدته، وقيمه العربية والإسلامية، فالمدارس إن استثمرت الأنشطة استطاعت أن تجعلها وسيلة لنشر المفاهيم الصحيحة، ومكارم الأخلاق، فتعزّل سلوك طلابها؛ ويظهر أثر هذا السلوك في معاملاتهم، وأخلاقهم.

ويظهر أثر تجديد الخطاب الديني في حياة المجتمع في المجالات كافة، فيخلو المجتمع من العنف، والتطرف، والإرهاب، ونقل الجريمة، وتختفي البدع والضلالات في الدين، وتحيا السنة في المجتمع، ويقدم كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على كل شيء فيكون مرجع المؤمن عند الاختلاف في الأمر كتاب

عبداللاوي، 2014، جامعة الوادي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص 14.

<sup>1</sup> - عبادي، مرجع سبق ذكره، ص16

<sup>2</sup> - البخاري، مرجع سبق ذكره، ص 897.

ربه جل وعلا، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ملتزمين بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). سورة النساء: 59.

فتسود المجتمع قيم المحبة، والخير، والسعادة؛ فيكون مجتمعًا قويًا، متماسكًا ومتراحمًا، ومتعاطفًا، ويكون أساس المفاضلة بين الناس هو تقوى الله، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). سورة الحجرات: 13.

ينبغي للمدراس أن تغرس في نفوس طلابها حب العلم، وأهله، وتقديرهم، والافتداء بهم والعناية بكتبهم، ودراسة مصنفاتهم، فينشأ الطلبة على حب العلم، وتقدير أهله والرجوع إلى أقوالهم، وتفسيراتهم، لفهم كتاب الله عز وجل، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فهما صحيحًا وفق فهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإن الله - عز وجل - أمر نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن يدعو بزيادة العلم والتقفة في الدين، فقال تعالى: (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) سورة طه: 114. وبين الله - عز وجل - أن أهل العلم لا يكون في منزلة أهل الجهل، بل أهل العلم أعلى منزلة، فقال تعالى: (أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) سورة الزمر: 9.

ورفع الله - عز وجل - أهل العلم لعلمهم، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَسَحُّوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا فَيُرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) سورة المجادلة: 11.

والمدراس التي تجعل من أهدافها تجديد الخطاب الديني تسعى إلى غرس العفو والصفح وكظم الغيظ في نفوس طلابها، فينشأ الطالب على حب العفو، فيعفو عن المسيء، والعفو صفو من صفات الله عز وجل، قال ابن فارس: "العفو: عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إياهم فلا يعاقبهم، فضلًا منه"<sup>1</sup>.

وتعليم النشء صفة العفو، تجعلهم يتقبلون أخلاق الناس، ويتعايشون معهم، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بأخذ العفو، فقال تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) سورة الإعراف: 199.

والعفو أن تتجاوز عن أخطاء الناس، والابتعاد عن الغلظة في الكلام والتعامل يقرر ذلك الإمام الطبري بقوله: "وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم وقال: أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين في الكلام"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ابن فارس، مرجع سبق ذكره، مادة (عفو).

<sup>2</sup> - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن

التركي، الطبعة الأولى، 2001م، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر القاهرة، ج 10،

ويتعلم النشء الصفح عن المسيء، والصفح أن يعرض المرء عن ذنب المسيء كأنه لم يره، يقرر ذلك ابن منظور بقوله: "وأصله من الإعراض بَصَفَحَهُ وجهه كأنه أعرض بوجهه عن ذنبه والصَّفُوحُ من أبنية المبالغة"<sup>1</sup>؛ فيصفح عنه طاعة لله ورسوله وامتثالاً لقول الله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). سورة البقرة: 109.

والصفح خُلُقٌ عظيم لا يعرفه إلا من تربى على مكارم الأخلاق، ونشأ على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وثمة فرق بين الصفح والعفو، فالصفح أبلغ من العفو، يدل على ذلك الزبيدي بقوله: "قلت: الصفح ترك التأنيب، وهو أبلغ من العفو فقد يعفو، ولا يصفح"<sup>2</sup>.

ويتعلم الطالب أن كظم الغيظ أجره عظيم عند الله عز وجل، فينمو لديه خُلُقُ الصبر وكظم الغيظ، والتحمل الأذى من الناس، فالغيظ الغضب، وكظمه رده، وحبسه فإن كظم الإنسان غيظه خلا المجتمع من العنف. وخلت المدارس من العنف بين طلابها، فتكون المدارس بيئة مدرسية آمنة يشعر فيها الطالب بالأمن الأمان، فتكون بيئة مهياة للإبداع، والتميز، والابتكار، فإذا ما غضب الطالب كظم غيظه، امتثالاً لقوله تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) سورة آل عمران: 134.

فإنه - عز وجل - جعل من صفات أهل الجنة أنهم يكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس وهذه صفات يحبها الله عز وجل، فإذا فهم الطالب هذه الآية الكريمة، وطبقها في حياته، مبتغياً الأجر والثوبة من الله عز وجل، فإنه يحيا حياة الطيبة، ويحرص على أن تكون علاقته طيبة مع زملائه، تقوم على العفو، والصفح، والحب، وهذا يؤثّر في العلاقة بين الأفراد في المجتمع؛ إذ إن المدارس تُخرّج طلبة صالحين، يتسمون بمكارم الأخلاق الحميدة. وتؤدي المدارس دوراً مهماً في تغيير المجتمعات، فتقدم مبادرات طيبة تنشر بها الصفات الحميدة، فتؤمّر بالمعروف، وتتهى عن المنكر، وتحارب الأفكار الدخيلة على المجتمع، وتحذر منها، وتنبئ خطرها على الفرد والمجتمع، ومن هذه الأفكار الدخيلة التطرف الذي كان سبباً في قتل النفس البشرية بغير حق.

فالمدارس لها دور عظيم في تحذير الناس من قتل النفس بغير حق، وأن الذي يقتل النفس بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً، وهذا أمر خطير على الدين، والوطن والمجتمع، حذر منه الله عز وجل في كتابه العزيز، فقال: (مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ). سورة المائدة: 32.

فتحمي المدارس طلابها من الانحراف، والتطرف، واعتناق الفكر المنحرف الذي سبب للأمة الإسلامية المصائب، والويلات، والاقْتتال الداخلي بين أبنائها، وتخريب الأوطان، وتشريد الناس، وتهجيرهم من بلادهم، وسفك دمائهم، وتدنيس أعراضهم، وهلاك أموالهم.

وتربي المدارس طلابها على تقبل الآخر، ومناقشة أفكاره، وآرائه، وتصحيح مفاهيمه مستندين إلى الأدلة الصحيحة والسليمة المستمدة من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> - ابن منظور، مرجع سبق ذكره، مادة (صفح).

<sup>2</sup> - الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (د، ط)، 1994م، دار الفكر، بيروت،

فيكون الطالب قادراً على المحاججة العلمية المستندة إلى الدليل الصحيح من الكتاب والسنة، فيحاججهم الآخرين، ويناقدشهم بأسلوب علمي هادئ، يهدف منه أن يدلهم على الطريق الصحيح، متبعاً قول الله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ). سورة آل عمران: 64.

ويظهر دور المدارس في تخريج طلاب يمتلكون المعرفة العلمية، ولديهم القدرة على المحاوراة والمجادلة يتسمون بالحكمة، ويعظون غيرهم موعظة حسنة، مستجيبين لقول الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). النحل: 125.

فيتعلم الطالب المجادلة الحسنة، مبتعداً عن العنف، والتجريح، والتعصب لرأيه بل يحترم الآراء، ويناقدشها مناقشة علمية، ويدلل على صحة رأيه بالأدلة من الكتاب والسنة، فلا يتحدث بغير علم، فينمو لديه الخوف من الله عز وجل إن تحدث في مسألة بغير علم، فإذا ما دخل في ناقش تذكر قول الله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً). سورة الإسراء: 36.

وهذا الأمر يعالج مشكلات كثيرة في المجتمع، فالمجتمع -اليوم- يعاني من كثرة القول بغير علم، فالإشاعة تؤثر في المجتمع، فتسبب الفرقة والاختلاف بين أفرادها، وربما أدت إلى قتل النفس بغير حق، وتخريب الممتلكات، وتهجير الناس، واستنزاف موارد الدولة، والواجب التأكد من الخبر قبل نشره بين الناس، فإذا ما سمع الإنسان أمراً تذكر قول الله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً). سورة النساء: 83.

وتربي المدارس طلابها على الابتعاد عن الجهر بالسوء، وأن هذا الفعل لا يحبه الله عز وجل، فيتعلم الطالب أن الجهر بالسوء أمر نهى الله عنه، وأنه لا يجهر بالقول إلا إذا أراد أن يعير عن ظلم تعرض له، وهذا يكون أمام ولي الأمر؛ ليدفع عنه الظلم الذي وقع عليه، وهو بهذا الفعل يعمل بقول الله تبارك وتعالى: (لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً). سورة النحل: 148.

وتعلم المدارس طلابها أنه لا يجوز لهم أن يتتبعوا عورات الناس، وأن يتجسسوا فهذه صفات ذميمة نهى الله عز وجل عنها، فالمؤمن لا ينبغي له أن يخالف قول الله فالله أمرنا بالأخلاق الحسنة، فتمتو لدى الطالب المراقبة الذاتية، فيعلم أن الله -عز وجل- يراه، ويراقبه، فإذا ما وقع في معصية تذكر قول الله تعالى: (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ). سورة آل عمران: 30.

وتوظف المدارس الآيات الكريمة التي تقوّم سلوك الطلبة، فيحرص الطالب أن يكون قوله مطابقاً لفعله، فتكون غايته في حياته ألا يخالف فعله قوله، فإذا ما خالف فعله قوله تذكر قول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ (2) كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ). سورة الصف: 2،3، فيصح عمله وفقاً لقوله.

وتُعلّم المدارس طلابها أنهم إذا تنازعوا في أمر، واختلفوا فيه فإن الواجب أن يعودوا إلى كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأقوال أهل العلم وولاية الأمر، أهل الاختصاص، فإذا ما حصل خلاف ونزاع تذكر الطالب قول الله تبارك وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). سورة النحل: 65.

وإن يعلم أنّ معالجة هذا الخلاف هي العودة إلى كتاب الله وسنة نبيه، فيتحاكم إليهما، امتثالاً لقوله تعالى: (قُلْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) سورة النساء: 65.

فيعلم أنّ الامتثال لقول الله عز وجل، ولقول نبيه صلى الله عليه وسلم صفة من صفات المؤمنين الذين إذا سمعوا قول الله وقول رسوله قالوا: سمعنا وطعنا؛ إذ إنهم قرؤوا قوله تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (51) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) سورة النور: 51، 52.

المبحث الثاني: تجديد الخطاب الديني في السنة النبوية الشريفة

تتمي المدارس قيمة الاعتصام بكتاب الله عز وجل، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يُقدّم الطالب على عمل إلا إذا رجع إلى كتاب الله، وسنة نبيه، واطلع على أقوال العلماء في هذا العمل، فإن كان جائزاً أقدم عليه وإلا تركه، وبحث عن غيره.

وهذا الأمر يعالج المشكلات التي يقع فيها كثير من المسلمين، فجل المشكلات التي يواجهها المسلمون - اليوم - سببها الرجوع المتأخر إلى الإسلام، يؤكد ذلك الدكتور عبد الكريم زيدان بقوله: "الرجوع المتأخر، وأعني بهذا الرجوع أن يقوم المسلمون بفعل ما يريدون فعله، أو تركه، ثم يرجعون إلى الإسلام؛ ليجدوا المبرر الشرعي لما فعلوه أو تركوه"<sup>1</sup>.

وهذا الفعل يؤدي إلى فهم الآيات الكريمة والأحاديث النبوية فهماً غير صحيح يفهمونه وفق أهوائهم، ولا شك أنّ بعض المجتمعات الإسلامية تعاني اليوم من الجهل في الأحكام الشرعية، وهذا الأمر يحث المدارس على "نشر العلم بين الناس، وإظهار الشرائع التي خفيت في المجالات الشرعية المختلفة بفعل الجهل"<sup>2</sup>.  
فتنبئ المدارس الدعوة إلى الله عز وجل، فتعمل بقول الله تبارك وتعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) سورة آل عمران: 110.

فتوضح الأحكام الشرعية، وتحارب مظاهر الشرك بالله عز وجل، والبدع التي ظهرت بين الناس، وتحيي السنة في الأمور الحيوية بين الناس، وتدعوهم إلى الهدى والخير، وتحذرهم من اتباع الهوى، عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - زيدان، عبد الكريم، نظرية التجديد في الفكر الإسلامي، المؤتمر الدولي الثامن لرابطة لجامعات الإسلامية،

2009، ص 7.

<sup>2</sup> - الشريف، محمد بن شاكر، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، الطبعة الأولى، 2004م مجلة

البيان، الرياض، ص 29.

<sup>3</sup> - مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، الطبعة الأولى، 2006م، دار طيبة الرياض،

فدور المدارس في تجديد الخطاب الديني هو إحياء السنة في نفوس طلابها والاعتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤكد ذلك محمد الشريف بقوله: "فالتجديد المشروع هو إعادة الدين إلى النحو الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإعادة الناس إليه على النحو الذي مضى عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة"<sup>1</sup>.

ينبغي للمدارس أن تغرس في نفوس طلابها الاعتداء بأهل القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بالخير، والفضل، فقال صلى الله عليه وسلم: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ. قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي، أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَحُونُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذَرُونَ، وَلَا يُفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمْنُ"<sup>2</sup>.

فهذا الحديث يُبَيِّنُ فضل القرون الثلاثة الأولى، فحري بالمدارس أن تشجع طلابها بالاعتداء بأهل القرون الثلاثة، فأفضلهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم التابعين، ثم تابعي التابعين، يقرر ذلك ابن حجر بقوله: "وَأَقْتَضَى هَذَا الْحَدِيثُ أَنْ تَكُونَ الصَّحَابَةُ أَفْضَلَ مِنَ التَّابِعِينَ، وَالتَّابِعُونَ أَفْضَلَ مِنَ اتَّبَاعِ التَّابِعِينَ"<sup>3</sup>.

ويظهر دور المدارس في تعظيم الوحيين: كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، في نفوس طلابها، وأنها وحيان من الله عز وجل، لا ينبغي لأحد أن يعارضهما، أو يحرف نصوصهما عن المعنى الذي أراد الله عز وجل، وبنيته النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه صحابة رسول الله.

وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والتحذير من مخالفتها، ومن الأدلة الشرعية من كتاب الله عز وجل على وجوب الاعتصام بكتاب الله قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). سورة آل عمران: 103.

وحبل الله هو القرآن الكريم، يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: " أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ تَقْلَيْنِ، أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللَّهِ، مَنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ"<sup>4</sup>.

ويدل قول الله تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا). سورة النساء: 80، على وجوب الاعتصام بالسنة، والمحافظة عليها والالتزام بها، فقد قرن الله - عز وجل - طاعته بطاعة رسوله، يؤكد ذلك ما قرره ابن كثير بقوله: "يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله وما ذلك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى"<sup>5</sup>. وتسعى المدارس إلى بناء شخصية الطالب المسلم، وتعديل سلوكه، وتنمية قيمه المستمدة من كتاب الله، وسنة نبيه، وأن يتقبل الآخر وفق ما جاء في كتاب الله عز وجل، فيعامل المخالف له من أهل الكتاب وغيرهم

<sup>1</sup> - الشريف، مرجع سبق ذكره، 13.

<sup>2</sup> - البخاري، مرجع سبق ذكره، ص 897.

<sup>3</sup> - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، ص 7.

<sup>4</sup> - مسلم، مرجع سبق ذكره، ص 1131.

<sup>5</sup> - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار

طبية، الرياض، ج 2، ص 363.



معاملة حسنة وفق قول الله تبارك وتعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). سورة النحل: 125.

فمجادلة المخالفين تكون بالحسنى، والأسلوب الحسن دون العنف، والغلظة، يقرر ذلك الطبري بقوله: "وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك"<sup>1</sup>.

فيعتاد الطالب الكلام الطيب، فيختار من الألفاظ أجملها، ومن المعاني أحسنها ويعرض عن الكلام البذيء، فلا يسب المخالفين حتى لا يسبوا دين الله بغير علم، فيعمل بقول الله عز وجل: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) سورة الأنعام: 108.

وتحرص المدارس على أن يكون الطالب ذا أخلاق حسنة، وتظهر هذه الأخلاق في معاملته لأبائه، فيحسن الطالب لوالديه، فيكرمهما، ويتذلل لهما، ويبرهما، ويسعى إلى مرضاتهما طاعة لله عز وجل، وابتغاء الأجر منه، ويسعى إلى تنفيذ وصية الله عز وجل في قوله: (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). سورة لقمان: 14، 15.

فإذا ما نشأ الطالب على الكتاب والسنة، وبر والديه، فإن المجتمع يحيا حياة طيبة هنيئة تخلو من المشكلات، فلا نجد في المجتمع من يعق والديه، أو من يرسل والديه إلى دور المسنين ولا نجد من الآباء من يشكو والده إلى القضاء؛ إذ إنه لا يساعده، ولا يبره ويشكو من عقوقه، وسوء خلقه.

وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - حق الوالدين، وحث على برهما، وبين فضل برهما، وقد قدم بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنه في الجهاد، فقال: أحيي والداك؟ قال: نعم، قال: فقهيما فجاهد"<sup>2</sup>.

فإذا ما تعلم الطالب فضل بر الوالدين، وأن النبي - صلى الله عليه وسلم - فضل بر الوالدين على الجهاد في سبيل الله، فإنه يقدم على بر والديه، وهو فرح مسرور، شاكرا لله على نعمة، بل إن بره يستمر حتى بعد موتها؛ لأنه يعلم أن أجر بر الوالدين لا ينقطع، يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو "أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أبر البر صلة الولد أهل ودا أبيه"<sup>3</sup>.

فهذه القيم تنمي في نفوس الطلبة أهمية بر الوالدين، وفضله، فتعيش الأسرة بأمن وأمان وسعادة، وحب، وألفة، ومودة، فلا تعرف المشكلات الأسرية التي يعاني منها اليوم - كثير من الأسر، بل إن بعض الأسرة تهدمت،

1 - الطبري، مرجع سبق ذكره، ج 14، ص 40.

2 - البخاري، مرجع سبق ذكره، ص 740.

3 - مسلم، مرجع سبق ذكره، ص 1189.



وتشرد أبناءها، وسُجِنَ الأب، وما ذلك إلا لأنها انحرفت عن كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واعتقدت أن نجاتها، وسعادتها في اتباع الحضارة الغربية.

### نتائج البحث وتوصياته

توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1. تجديد الخطاب الديني هو العودة الصحيحة إلى كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفهم نصوصهما فهماً صحيحاً وفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ووفق فهم القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالأفضلية، فقال: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ". قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أُدْرِي، أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ قَرْنَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ، وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَحْوُونَ، وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذَرُونَ، وَلَا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ".
2. قدرة المدارس على تجديد الخطاب الديني، ونشر القيم السامية، ومكارم الأخلاق في المجتمع، وإصلاحه، والنهوض به في مجالات الحياة كافة، وحمايته من العنف والتطرف، والبدع والضلالات، وغيرها من المشكلات التي يواجهها المجتمع.
3. أهمية المدارس في تعظيم الوحيين في نفوس طلابها، والاحتكام إليهما في حياتهم اليومية، وتقديمهما على كل قول، أو رأي، والافتداء بسلف الأمة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالأفضلية.
4. للمدارس دور عظيم في تربية طلابها على حب العلم، وتقدير أهله، وتوقيرهم، والاهتمام بتراث الأمة العلمي والحضاري، ونشره.
5. تربية المدارس طلابها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يُنشئ جيلاً مبدعاً ذا أخلاق سامية، ومنفتحاً على الآخر، قادراً على العيش المشترك، مشاركاً في نهضة الأمة.
6. إن للمدارس دوراً في حماية المجتمع من الفرقة والاختلاف، ولها أثر في وحدة الأمة وجمع كلمتها على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.
7. للمدارس دور مهم في بناء الأسرة المسلمة على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فتنشأ أسر متماسكة، وقوية، مما يجعل المجتمع مجتمعاً قوياً ومتماسكاً.

### التوصيات:

يوصي الباحث الباحثين والتربويين بما يأتي:

- 1- أهمية تجديد الخطاب الديني لحماية الأمة من البدع والضلالات والانحرافات العقديّة، وتقديم الحلول الصحيحة والسليمة من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم للمشكلات التي يعاني منها المجتمع المسلم.
- 2- بناء علاقة قوية ومتينة بين المدارس والمجتمع؛ لتقديم الدعم للمدارس لتحقيق رؤيتها ورسالتها في تقديم ما ينفع طلابها ومجتمعها.
- 3- دعم المدارس وتوجيهها؛ لتربية طلابها على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ ونشر القيم السامية، ومكارم الأخلاق في المجتمع، ومحاربة الأفكار والعادات الدخيلة على مجتمعنا.
- 4- الانفتاح على العالم والإفادة من مخترعاتها، وعلمه بما يتوافق وعقيدتنا الإسلامية وقيمنا العربية والإسلامية، ورفض كل ما تعارض مع عقيدتنا وقيمنا.

## مصادر الدراسة ومراجعتها:

### القرآن الكريم

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، 2002م دار ابن كثير دمشق.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري المكتبة السلفية.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس، تحقيق علي شيري، (د، ط)، 1994م دار الفكر، بيروت.
- زيدان، عبدالكريم، نظرية التجديد في الفكر الإسلامي، المؤتمر الدولي الثامن لرابطة لجامعات الإسلامية، 2009.
- الشريف، محمد بن شاكر، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، الطبعة الأولى، 2004م مجلة البيان، الرياض.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، 2001م، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر القاهرة.
- عبادي، عماد الدين، وسائل الخطاب الدعوي في ضوء التجديد، رسالة ماجستير إشراف الدكتور يوسف عبد اللاوي، 2014، جامعة الوادي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (د، ط)، 1979م دار الفكر.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى 2003م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر دمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، الطبعة الأولى 2006م، دار طيبة الرياض.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الثالثة، 2004م، دار صادر بيروت.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الكلمة الطيبة وأثرها في وأد الإرهاب

إعداد

الباحث:

م. هشيار سردار مصطفى

الباحث:

د. نذير سعيد مصطفى

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## ملخص البحث

الإرهاب من أهم قضايا الساحة الإقليمية والعالمية، وأكثر المواضيع تداولاً، وأصبح القضية الأولى في قائمة اهتمام كل الجهات والتخصصات، وأهم مسألة في الإرهاب هي معرفة ما يغذيه، وعرض أحدث وأنجع الوسائل لمكافحته.

والمواعظ والخطابات الحماسية لمنظري الجماعات المتطرفة أصبحت تجذب المئات من الشباب والشابات من شتى بقاع الأرض لكي يهلكوا الحرث والنسل، ويعثوا في الأرض الفساد، ويضحوا بأنفسهم من أجل قضية رُيِّقت لهم؛ كل ذلك باسم الدين.

فكان لا بد من الوقوف على هذا الباب لكي نبين بأنه لا يمكن أن نغفل عن هذا السلاح الفتاك، وأنه إذا أحسنًا إستعمالها كانت أداة فعالة في هدم صرح مطامح المتطرفين والإرهابيين، وأن الإرهابيين لا يتهاونون في استخدام هذا السلاح ليلاً ونهاراً.

### أهم النتائج:

1- الإرهاب حرابة في حق المواطنين، وبغْي في حق السلطة الشرعية، ونشر للفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل.

2- حارب الإسلام العنف والإرهاب أولاً : بتدمير البنية الفكرية له وثانياً: بأن أصل العلاقة بين البشر على التعايش السلمي.

3-المواعظ والخطابات الدينية الموجهة المركزة الصائبة؛ لها الأثر البالغ في وأد الأفكار الإرهابية.

4-يوجد شح في البحوث والدراسات العلمية التي تتناول تجديد الخطاب والوعظ الديني.

5-أستعمل الخطابات الحماسية قديماً وحديثاً لإشعال الحماسة في النفوس، والتاريخ القديم والحديث يشهدان على أن هذه الوسيلة تأتي بثمارها.

### أهم التوصيات:

1- الاهتمام بالبحوث والدراسات الميدانية والعلمية المتعلقة بالخطاب الديني لكي يخرج بخطاب ديني موافق لأصوله السمحة.

2- الإكثار من الكلمات والخطب والندوات والمؤتمرات والنشرات حول نبذ العنف والإرهاب؛ ليكون التسامح أعلى صوتاً من صوت الرصاص والقنابل.

3- تجديد الخطاب الديني ليكون ملائماً للواقع، وأن يتسم بصفتي السماحة والمرونة.

4- على الخطباء والوعاظ أن ينتهجوا البشارة واليسر في خطاباتهم، وأن يبتعدوا عن المواعظ الهدامة ذات النمط السلبي.

5-عدم الاستهانة بخطاب ووعظ منحرف ينشر على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية، فهي تزرع بذور التطرف العنفي.

## المقدمة

الإرهاب من أهم قضايا الساحة العربية والعالمية، وأكثر المواضيع تداولاً، وأصبح القضية الأولى في قائمة اهتمام كل الجهات والتخصصات، الإرهاب باعتباره لفظ قد عرّفه القدماء، ولكن باعتباره مصطلحاً ابتدعته الثورة الفرنسية، ثم تطور ونما بشكلٍ لم تتّم كلمة مثله، وحتى اليوم لم تتفق الأمم بمؤسساتها الدولية على تعريف له متفق عليه، ولكن أصبح مصطلحاً منبوذاً مكروهاً، إذا سمعته أحسست بخطرٍ محددٍ آتٍ، وبشّرٍ قريبٍ خارجٍ؛ إما من السماء سينزل عليك، أو من تحت الأرض سيخرج عليك، أو من إحدى الجهات سيوقّع بك، فالإرهاب

بكل المقاييس والأعراف والقوانين جريمة من أفك الجرائم، لذا أصدرت له قوانين داخلية، واتفاقيات دولية وإقليمية، والكل اتفقوا على مواجهته.

وأهم مسألة في الإرهاب هي عرض أحدث وأنجح الوسائل لمكافحته، والوقوف على ما يغذيه وينشره، فالدراسات تؤكد على أن خطابات الجماعات المتطرفة لها الأثر البالغ في إزدياد وانتشار هذه الجماعات.

فقد أصبح الخطاب الديني -خاصة المواعظ- في بعض الأحيان دافعاً لكثير من الشباب للوقوع في مصيدة التطرف والإرهاب، وأصبحت شعارات الجماعات المتطرفة براءة وجذابة تجذب الشباب من نواحي الأرض وخاصة في أوروبا، مع أنهم يعيشون في قمة السعادة الظاهرية من حيث توفير كل المستلزمات المادية للعيش الكريم.

فكان هذا البحث حول الموعظة وأثرها في وأد الإرهاب لعل كلمة تكتب تكون لها أثر في إبعاد الشر عن جمع من الناس،  
نسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

### أهمية البحث:

وأهمية هذا البحث يرجع إلى كونه:

- 1- محاولة لبيان أهم وسيلة لوأد الإرهاب ودحره في داخله، ألا وهي الموعظة الحسنة والكلمة البليغة.
- 2- تسليط الضوء على الأثر السلبي للخطاب الديني المتطرف لجمع الطاقات وبالذات الشبابية لتنفيذ مآرب أسياد وممولي المتطرفين.
- 3- التأكيد على الخطاب الوسطي الإيجابي للموعظة وإتباع الأسلوب القرآني والنبوي التشجيعي لا التحريضي.

### أهداف البحث:

- 1- بيان أن الموعظة والخطاب سلاح ذو حدين، إما لإزدياد التطرف، أو للحد منه.
- 2- الموعظة الحسنة لها الأثر البالغ في وأد الأفكار التي تنتج الأفعال الإرهابية، وتبعد الشباب عن الجماعات المتطرفة.
- 3- بيان لأنواع وأساليب الموعظة، وأهمية كل نوع في مجاله المخصص.
- 4- لفت النظر إلى هذه القضية الهامة في مكافحة الإرهاب.

### أسئلة البحث:

ما هو الإرهاب من حيث أصله في اللغة والإصطلاح؟ وما هي وسائل إنتشار الأفكار المتطرفة في المجتمع المعاصر؟ وما هي الموعظة؟ وما هي أنواعها؟ وما دورها في الحرب على الإرهاب؟ وهل هناك ضرورة لتجديد الخطاب الديني. هذه الأسئلة وغيرها ستكون محور البحث.

### هيكل البحث:

يتكون البحث من تمهيد ومبحثين وبالشكل التالي:

تمهيد: تطور مفهوم الإرهاب

المبحث الأول: مفهوم الموعظة وأهميتها وأنواعها.

المطلب الأول: - الموعظة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية الموعظة الدينية.

المطلب الثالث: أنواع المواعظ والغرض منها.

المطلب الأول: ضرورة تجديد الخطاب الديني لمواجهة الإرهاب.

المطلب الثاني: الواعظ الديني، وأهميته في نشر ثقافة السلم.

المبحث الثاني: تجديد الخطاب الديني وأثرها في مكافحة الإرهاب.

المطلب الثالث: آليات لتفعيل الموعظة الدينية.

الخاتمة

تمهيد: تطور مفهوم الإرهاب

معلوم أنّ القتل والعنف قديم بقدم الزمان، ولكن في كل عصر يسمى باسم ويعرف بمصطلح، والأعمال الإرهابية بصفاتها اليوم من قتل المواطنين الأمنيين، وتدمير القرى والبلدان، وإحداث الفوضى والخراب، وتهجير الرجال والنساء والأطفال، أعمالاً ترفضها الفطر السليمة والديانات السماوية والأعراف الدولية، وكل التعريفات التي ذُكرت حول الإرهاب متفقة على هذا الأصل، وإن اختلفت في الألفاظ فالعبارة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني<sup>(1)</sup>، ولكن المصالح السياسية والاقتصادية خاصة للدول العظمى عرقلت الوصول إلى تعريف مشترك بين كل المعتقدات والأفكار، لتجعلها ذريعة للدفاع عنم يريدون واتهام من يشاؤون، وتدمير ونهب ما يشاؤون في الدول باسم الإرهاب ومكافحته.

وكلمة الإرهاب في اللغة العربية القديمة كانت تستعمل باعتباره لفظاً، وليست مصطلحاً وأكثر دلالاتها تدور حول الخوف والفرع مع ورودها لمعان أخرى<sup>(2)</sup>، وفي القرآن الكريم وردت مادة (رهب) ومشتقاتها في حوالي اثنتي عشرة آية من آيات القرآن الكريم وبمعان عدة وأكثرها بمعنى التخويف، وتعاملت معاجم اللغة العربية الجديدة مع الإرهاب كونه مصطلحاً مشهوراً يدل على أعمال العنف والتخريب، ففي المنجد الإرهاب هو: " مجموع أعمال العنف التي تقوم بها منظمة قصد الاخلال بأمن الدولة وتحقيق أهداف سياسية، أو خاصة، أو محاولة قلب الحكومة " <sup>(3)</sup>، وفي معجم اللغة العربية المعاصرة الإرهاب هو: " مجموع أعمال العنف التي تقوم

(1) قاعدة فقهية منقوعة من القاعدة الأصلية (الأمر بمقاصدها)، ينظر: موسوعة القواعد الفقهية، أبو الحارث محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م: 250/1.

(2) ينظر: العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (رهب): 47-48/4. وجمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م، مادة (رهب): 332/1.

(3) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، فريق عمل بإشراف صبحي حموي دار المشرق - بيروت، ط2، 2001م:

بها منظمة، أو أفراد قصد الإخلال بأمن الدولة وتحقيق أهداف سياسية، أو خاصة، أو محاولة قلب نظام الحكم<sup>(1)</sup>، وفي الموسوعة العربية العالمية هو: "استخدام العنف، أو التهديد به لإثارة الخوف والذعر"<sup>(2)</sup>. ويعتبر الباحثون أنّ مصطلح الإرهاب من ابتداء الثورة الفرنسية<sup>(3)</sup>، ولم يتبلور الإرهاب واقعياً إلا في عام 1793م، وكان ذلك عندما أعلن روبسبير<sup>(4)</sup> بداية عهد الإرهاب، أو الرهبة في فرنسا، فمصطلح (الإرهاب) ترجمة حرفية للكلمة بالإنجليزية والفرنسية (terrorisme)<sup>(5)</sup>، ويعتقد أنّ الترجمة الصحيحة للمصطلح الأجنبي هي كلمة (إرهاب، وإخافة شديدة)، وليس (إرهاباً)<sup>(6)</sup>، والإرهاب في اللغات الأجنبية القديمة مثل اليونانية يعني: حركة من الجسد تفرع الآخرين<sup>(7)</sup>.

وبدأت المحاولات القانونية الأولى لتعريف الإرهاب في مؤتمرات مكتب توحيد القانون الجنائي من أول اجتماع له في العام 1927م، ويذكر الباحثون بأن عصابة الأمم<sup>(8)</sup> هي أول منظمة دولية أعدت مشروع اتفاقية دولية

590.

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، عالم الكتب، ط1، 1429هـ— 2008م: 949/2.

(2) الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ—1999م: 558/1.

(3) الثورة الفرنسية كانت فترة مؤثرة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في فرنسا استمرت من 1789 حتى 1799، ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤلفون: 313/11.

(4) فخلال الثورة الفرنسية مارس روبسبير (ماكسميليان فرانسوا ماري ايسيدور دي روبسبير (1758-1794م)، من زعماء فرنسا، قاد هو ومن معه العنف السياسي على أوسع نطاق، فقادوا حملة إعدام رهبية شملت كل أنحاء فرنسا، حتى قُدر عدد من أُعدموا في الأسابيع الستة الأخيرة من عهد الإرهاب 1366 مواطناً فرنسياً من الجنسين في باريس وحدها، ومن أصل سكان فرنسا، الذين كان يبلغ عددهم في ذلك الوقت 27 مليون نسمة، تمكن هؤلاء القادة من قطع رأس أكثر من (140) ألفاً بواسطة المقصلة. كما تمكنوا من اعتقال وسجن 300 ألف آخرين، ينظر: تعريف الإرهاب الدولي بين الإعتبارات السياسية والإعتبارات الموضوعية، محمد عبدالمطلب الخشن، دار الجامعة الجديدة-الأسكندرية، 2007م: 6؛ وأحكام جريمة منظمات الإجرام والإرهاب، معاوية القاضي النويري، رسالة ماجستير في الشريعة والقانون، كلية الدراسات العليا في جامعة أم درمان الإسلامية-السودان، 132هـ—2011م: 91.

(5) الكلمة بالانجليزية والفرنسية (terrorisme). ينظر: المعجم القانوني عربي-انجليزي، حارث سليمان الفاروقي، مكتبة لبنان-بيروت، ط1، 1979م: 521.

(6) ينظر: الإرهاب في العالمين العربي والغربي، أحمد يوسف، ط1، 1998م، عمان-الأردن: 16-17، والمواجهة القانونية للإرهاب، أحمد فتحي سرور، دار النهضة العربية-القاهرة، ط1، 2008م: 37.

(7) الإرهاب السياسي و القانون الجنائي، عبد الرحيم صدق، دار النهضة العربية - القاهرة، 1985 م: 81.

(8) هي إحدى المنظمات الدولية السابقة التي تأسست عقب مؤتمر باريس للسلام عام 1919، الذي أنهى الحرب العالمية الأولى التي دمّرت أنحاء كثيرة من العالم وأوروبا خصوصاً. وتعد أول منظمة أمن دولية هدفت إلى الحفاظ على السلام العالمي، انحلت العصابة في أبريل عام 1946م، وحلّت محلها الأمم المتحدة، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار: 1506/2، والمنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي-دراسة

لمكافحة الإرهاب والمعاقبة عليه العام 1937م، سميت بـ"اتفاقية جنيف الخاصة بمنع ووقف الإرهاب" ولكنها لم تدخل حيز التنفيذ، ولم يصدق عليها إلا دولة واحدة وهي الهند<sup>(1)</sup>. ومع كثرة تداول واستعمال هذا المصطلح إلا أنه لا يوجد مصطلح معاصر اختلف على تعريفه مثل الإرهاب، وكل المؤتمرات والاتفاقيات والقرارات الدولية من العام 1902م حتى الآن حول الإرهاب؛ لم تفلح في الخروج بتعريف رسمي متفق عليه بين الأمم، وذلك لإعاقدة الدول العظمى التي تتبين هيمنتها على المؤسسات الدولية، فلا تقبل أمرًا يحد من تصرفاتها، أو تكبل يديها تجاه كل عمل تعارض مصالحها، فهي تريد أن تخطط لباس الإرهاب حسب استراتيجياتها ومصالحها. فأعزف الإرهاب وأختصره بأنه: استخدام منظم لوسائل العنف المختلفة لترويع الأمنيين ماديًا أو معنويًا، لتحقيق أغراض غير شرعية.

### المبحث الاول: - مفهوم الموعظة وأهميتها وأنواعها

بما أنّ الموعظة الحسنة سلاح فتاك في حربنا مع جسم الإرهاب، فلنقف أولاً على مفهوم الموعظة، ثم أهميتها، ثم بيان فعاليتها وأثرها في قضية مكافحة الإرهاب وبالشكل التالي:

#### المطلب الاول: مفهوم الموعظة

(1) لغة: من وَعَظَ يَعِظُ عِظَةً، الواو والعين والطاء: كلمة واحدة، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه مما يرق له قلبه، والنصح والتذكير والتخويف بالعواقب، واتَّعَظَ: تقبّل العِظَةَ، ويقال: السعيدُ من وَعَظَ بغيره، والشقيُّ من اتعظ به غيره<sup>(2)</sup>.

وورد لفظ الموعظة في القرآن على ثلاثة عشر وجهاً، منها "1- أوعظت 2- أعظك 3- أعظكم 4- تعظون 5- يعظكم 6- يعظه 7- عظه 8- فعظوه 9- تعظون 10- يوعظ 11- يوعظون 12- الواعظين 13- موعظة"<sup>(3)</sup>. منها: قول الله تعالى: {قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ} {الشعراء: 136}، (2) اصطلاحاً: قيل هي الكلمة "التي تلين القلوب القاسية، وتدمع العيون الجامدة، وتصلح الأعمال الفاسدة"<sup>(4)</sup>.

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: الوعظ: "خطبة دينية هدفها إثارة المشاعر لفعل الخير وتجنب الشر،

مقارنة، عبدالرحمن بن إبراهيم الضيحان: 127. والموسوعة العربية العالمية، مؤلفون: 266/16.

(1) ينظر: الإرهاب وأحكام القانون الدولي، جمال زايد هلال: 28، والإرهاب والقانون الدولي، رشيد صبحي جاسم محمد، رسالة ماجستير كلية القانون، جامعة بغداد، 1424هـ - 2003م: 45.

(2) ينظر: العين، الفراهيدي: 228/2، مادة (وعظ)، ومعجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م: 126/6. ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (721هـ)، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، 1415 هـ - 1995م: 342. مادة (وعظ).

(3) : المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي: 923.

(4) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت -

1405هـ، ط1: 236.



وتوجيه النفوس نحو عبادة الله تعالى.

والوعظ والإرشاد : مجموعة القواعد والأصول المنهجية التي يقوم عليها تكوين الخطب الدينية والقائما<sup>(1)</sup> .  
فالموعظة في أصلها تذكير وتخويف، وخطاب موجه للعاطفة، وتنبية للإنسان على ما كان غافلاً عنه بإحياء ضميره، ومحاولة لإقناعه بترك الشر والابتعاد عن الباطل، وهي الكلمة الطيبة التي تخرج لإصلاح خلل ناتج في العقيدة والفكر، أو السلوك والفعل.

وتشترك مع مفهوم الموعظة كل من الخطابة والتذكرة والكلمة الطيبة، كون كل هذه المصطلحات تدل على الإدلاء بالقول الصائب السديد النبليغ.

فالخطابة: " هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم " (2).

والتذكرة هي: "أن يعيد الواعظ إلى الذاكرة معاني وذكريات، وتستيقظ معها مشاعر ووجدانيات وانفعالات، تدفع للمبادرة إلى العمل الصالح، والمشاركة إلى طاعة الله وتنفيذ أوامره، وهذا يقتضي أن يكون في ذكريات الموعوظ، ووجدانه ما يعتمد عليه الواعظ من إيمان بالله، وخوف من الحساب" (3).

#### المطلب الثاني : أهمية الموعظة الدينية:

تأتي أهمية الموعظة التي هي الكلمة البليغة التي سماها رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر بقوله: (( إِنْ مِنْ أَلْبْيَانٍ لِسِحْرًا، وَإِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمًا )) (4)، وأمر الله المؤمنين بإستعمالها كل حين مع كل الناس كما في قوله تعالى: ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...)) {البقرة: 83}.

وكانت الموعظة السلاح الأبرز والأقوى التي استخدمها الحكام والسلاطين-حتى لو كانوا ظالمين- قديماً وحديثاً لإقناع الرأي العام وللوصول إلى أعلى مراتب السلطة، وتحسين وجهه أمام الشعب، وكثيراً ما كانت إحدى الخطابات سبباً لنجاة قائد من السقوط وإنهيار سلطته، كما حصل أثناء الانقلاب العسكري الفاشل في 15 تموز 2016، حيث أثر خطاب الرئيس التركي تلك الليلة في إنزال الجماهير وإيقافهم وإفشالهم خطة الانقلاب (5).  
والموعظة كانت أيضاً سلاح المصلحين ووسيلتهم لإيصال كلمتهم لمن حولهم، وكذلك كان سلاح الأنبياء والرسول عليهم السلام دوماً والدعاة من بعدهم، فهم جاؤوا بالكلمة الطيبة الصادقة (6)، ويصف الله ﷺ الموعظة

(1) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار: 2468/3.

(2) التعريفات، للجرجاني: 236.

(3) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، الناشر: دار الفكر، ط25، 1428هـ-2007م: 226.

(4) رواه الحاكم في مستدركه، المستدرک على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، مع تعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1411هـ-1990م ، رقم الحديث (6648): 45/4.

(5) مقال بعنوان (الانقلاب الفاشل في تركيا.. الأسباب والانعكاسات)، سعيد الحاج طبيب وكاتب فلسطيني وباحث في الشأن التركي، موقع <http://www.aljazeera.net> بتاريخ: 2016/7/18.

(6) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام، محمد راتب النابلسي، قام بجمعها وفهرستها: علي بن نايف الشحود:

الحسنة والكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة فيقول ﷺ: ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْلَاهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)) { إبراهيم: 24}. (الشجرة الطيبة من صفاتها أنها راسخة، تؤتي ثمارها في كل الفصول، فالكلمة الطيبة لها ثمار حتى في الحرب وحتى مع ألد أعدائك.

وعمر بن عبدالعزيز رضي عنه يصف الموعظة وصفاً دقيقاً فيقول: "الموعظة كالصدقة بل هي أعظم أجراً وأبقى نفعاً وأحسن ذخراً وأوجب على المرء المؤمن حقاً، لكلمة يعظ بها الرجل المؤمن أخاه ليزداد بها في هدى رغبة خير من مال يتصدق به عليه وإن كان به إليه حاجة ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا ولأن ينجو رجل بموعظتك من هلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر فعظ من تعظه لقضاء حق عليك واستعمل كذلك نفسك حين تعظ وكن كالطبيب المجرب العالم الذي قد علم أنه إذا وضع الدواء حيث لا ينبغي أعنته وأعنت نفسه وإذا أمسكه من حيث ينبغي جهل وأثم وإذا أراد أن يداوي مَجُونًا لم يداوه وهو مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَيُوثِقَ لَهُ خَشِيَّةً أَنْ لَا يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَنْقِي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ"<sup>(1)</sup>.

فالموعظة هي سلاح ذو حدين إما أن يبني وإما أن يهدم ويدمر، فدور الكلمة والحوار لا يقل عن دور كل الأسلحة والذخائر التي تصنع وتصرف في مكافحة الإرهاب، فالكلمة والموعظة الحسنة تضعف بها نفوس المتطرفين، وتضطرب بها صفوفهم، ولهي أشد عليهم من وقع آلاف الأطنان من المتفجرات التي لا تزيدهم إلا صلابة في نفوسهم، وعطفاً وتضامناً من متابعيهم، وإنما نرى أن الحكومات اليوم اقتصرت على الحلول العسكرية للتصدي لظاهرة العنف والتطرف والإرهاب، وتمتص هذه الحلول من ميزانيتها الحظ الأوفر، مع ذلك لا ترى في أرض الواقع تقدماً ملموساً في تحقيق الأهداف المعلنة، بل يتزايد أعدادهم وتتطور قواهم، ويشدت ساعدتهم، فلو صرفوا على مجالات الكلمة نصف ما يصرفون على الأسلحة لخرج العنف من الظاهرة إلى حالات متفرقة.

### نماذج من تأثيرات الموعظة:

والتاريخ يشهد على دور الكلمة في كثير من المواقف المهمة فمن التاريخ الإسلامي، موقفان نختارهما:  
\*موقف خطيب قريش سهيل بن عمرو: وقع سهيل أسيراً بأيدي المسلمين في غزوة بدر، فقال عمر بن الخطاب ﷺ لرسول الله ﷺ: "يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو حتى لا يقوم عليك خطيباً بعد اليوم"، فأجابه رسول الله: (( لا أمثل بأحد، فيمثل الله بي ))<sup>(2)</sup>، فعندما توفي رسول الله وقعت البلبلة في صفوف مسلمي مكة فعزم أقوام على الردة، فقام سهيل بن عمرو على باب الكعبة وصاح بهم، فاجتمعوا إليه، فقال: (يا أهل مكة، لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله ليؤمن الله هذا الأمر كما ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلقد رأيته قائماً مقامي هذا وحده وهو يقول: قولوا معي: لا إله إلا الله ثنن لكم العرب، وثوّد إليكم العجم الجزية، والله لتنفقن كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله - فمن بين مستهزئ ومصدّق، فكان ما رأيتم، والله ليكونن الباقي، فامتنع الناس من الردة)<sup>(3)</sup>، فأثرت كلماته كثيراً وكانت سبباً من أسباب ثباتهم وعدم

331.

(1) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، أبو محمد المصري عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، ت: أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت - لبنان، ط6، 1404هـ - 1984م:

117.

(2) رواه ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط1، 1409م: 365/7.

(3) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، ت: عمر عبد

ردتهم.

\*موقف ابن عباس ؓ مع الخوارج لجدير بأن يدرس ويقف عليه زمناً، فقد استطاع في برهة من الزمن أن يعيد عدداً كبيراً من المنحرفين فكرياً، ويرجعهم إلى الصواب ويتخلوا عن مذهبهم الباطل، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: ((لما خرجت الحرورية<sup>(1)</sup> اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف، أتيت علياً، فقلت: يا أمير المؤمنين، أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أخاف عليك، قلت: كلا، قال ابن عباس: فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن))<sup>(2)</sup>، فلما جاءهم واستمع لشبههم التي وقعوا فيها، أجابهم بكلمات عديدة نبهت أفكارهم، وأدت إلى أن يرجعوا كما يقول عبد الله بن عباس نفسه: ((فرجع من القوم ألفان. .))، فبكلماتٍ بليغة في فترة قصيرة أقنع ابن عباس ؓ أحجر الناس عقولاً وأشقى الفرق ضلالاً، فأعاد ألفين بمناظرة واحدة، فهل نستعين بالموعظة الحسنة خاصة مع الذين يقعون في شرك الأفكار الضالة المضلة المتطرفة؟.

ونموذج آخر من الجانب الآخر هتلر الزعيم الألماني الذي اشتهر بخطاباته الحماسية التي كانت تشحن الألمان وخاصة الشباب منهم لكي يضحوا من أجل أهدافه بأنفسهم وبكل ما يملكون، فما زال التاريخ يذكر ضربات يديه على منصات الخطابات التي تهز قلوب المستمعين وتجعلهم مستيقظين منتبهين لكل كلمة تخرج من فيه، فيقول أحد مقربيه: كان "يملك سحراً خاصاً في الخطابة، وشخصيته جعلت الناس تزحف وراء جاذبيته، فاعتمدت شخصية هتلر على مقدرته الفائقة على الخطابة، وإتقانه لفنها"<sup>(3)</sup>، فثبات جيشه لفترة طويلة كانت تغذيه خطاباته الجياشة.

\*وشخص آخر لمع نجمه في سماء أبرز الخطباء للدفاع عن الأمريكيين السود من بني جلده بنهج سلمي الدكتور مارتن لوثر كينغ جونيور، من خلال خطبته الشهيرة (لدي حلم) التي القاها بمناسبة مرور مئة عام على تحرير العبيد في الولايات المتحدة الأمريكية، من كلماته "لا، لا، لسنا راضين. ولن نرضى حتى يتدقق العدل كالماء، والاستقامة كالنهر العظيم، لدي حلم بأنه في يوم من الأيام سوف تنهض دولتنا وتُحيي المعنى الحقيقي لعقيديتها فتقول: إننا نلتزم بهذه الحقائق لتكون بينة بأن الجميع خلقوا متساوين"<sup>(4)</sup>. فكلماته أثرت في صد التمييز الذي كان السود يتعرضون له بأبشع ما يمكن.

### المطلب الثالث: أنواع المواعظ والغرض منها

هناك أنواع عديدة من المواعظ يستطيع المرء من خلالها إيصال رسالته، وتختلف من حيث الشخص والمكانة

السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1417هـ / 1997م: 186/2.

(1) الحرورية من أسماء الباطنية، حركة الباطنية، فيها طوائف عديدة منها الاسماعلية، والحشاشون: فرقة ضالة لهم عقائد فاسدة، اختلف العلماء في نشأتهم قال بعضهم كان في عام اثنتين وتسعين للهجرة، وذهب البعض إلى أن ظهورهم كان عام 205هـ وقال آخرون عام 250، وسموا بالباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلاً، ينظر: البداية والنهاية، ابن كثير: 227/7..

(2) رواه الحاكم في مستدركه، المستدرک على الصحيحين، كتاب قتال أهل البغي، رقم(2713): 176/2.

(3) ينظر: موقع: <http://www.moheet.com> تاريخ الزيارة: 2015/8/26.

(4) ينظر: [www.youtube.com/watch?v=QpHHXWeiCHY/](http://www.youtube.com/watch?v=QpHHXWeiCHY/)

التي يحتلها، فهناك الموعظة الدينية التي يتصدر لها في الأساس من له الخبرة في العلوم الشرعية، وتتفرع منها (خطبة الجمعة، خطبة العيدين، مواظ شهر رمضان وليالي القدر، موعظة الدفن، موعظة التعازي) وغيرها من مواظ المناسبات والاحوال، ولكن من أهم أنواعها وأكثرها تأثيراً (خطبة الجمعة) وهي: "كلام الواعظ والخطبة التي تُلقى في أماكن العبادة أمام المصلين"<sup>(1)</sup>.

وتكمن أهمية هذه الخطبة فيما يلي:

1- أنها واجبة: اتفق فقهاء المسلمين على أن وجوب الجمعة وكون الخطبة شرط لصحتها<sup>(2)</sup>، ففضية الوجوب تكسب صفة

الحضور الالزامي المكثف.

2- أنها متكررة: في كل اسبوع مرة واحدة يجب أن تلقى موعظة، والتكرار أسهل طريقة لكي تزرع افكار ايجابية في العقل الباطن.

3- أنها منتشرة: فهي تقام في البلدة الصغيرة والكبيرة، في الحضر والبادية، في القرى والمدن، فلا يكاد تخلو قرية في

كوردستان إلا وتقام فيها صلاة الجمعة ويخطب فيها للناس.

وتستعمل في الخطب والمواظ بمختلف أنواعها أساليب متنوعة أهمها<sup>(3)</sup>:

1. أسلوب النداء الإقناعي، أو التحذيري، أسلوب فيه مودة وعطف ورحمة كقول لقمان الحكيم لابنه كما نكره القرآن حيث يقول ﷺ: (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)<sup>(4)</sup>، فهذا الأسلوب تفتح به أبواب القلوب المؤصدة، فالنداء البليغ المفعم بالصدق ليقع في القلب موقعا.
2. الأسلوب القصصي: القرآن الكريم دستور هذه الأمة ربى نبيه واتباعه عن طريق القصص، وصفحات القرآن الكريم تفيض بالقصص، وأكثرها قصة موسى عليه السلام مع فرعون وبنو اسرائيل.
3. الوصايا: أسلوب تخاطب به العقل تارة والقلب تارة أخرى، بوصايا حكيمة ومختصرة.
- 4- أسلوب الإقناع: بالدليل العقلي والملموس، فتتحدث مثلاً عن أضرار القتل وما يتحصل منه، وبيان مفساد الإرهاب على المسلمين في الشرق والغرب.

## المبحث الثاني: تجديد الخطاب الديني وأثرها في مكافحة الإرهاب

### المطلب الاول: ضرورة تجديد الخطاب الديني

الخطاب الديني المعاصر ليس في المستوى المطلوب ولا يقوم بدوره الأساسي في بناء المجتمع بناءً يقي أفراده من الوقوع في متاهات العنف والتطرف ومزالق الإرهاب، بل أصبح الخطاب الديني في بعض الأحيان دافعاً لكثير من الشباب للوقوع في مصيدة التطرف والإرهاب، وأصبحت شعارات الجماعات المتطرفة براءة وجذابة

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر: 2468/3..

(2) ينظر: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط1، دار الفكر - بيروت، 1405هـ: 143/2.

(3) ينظر: تربية الأولاد في الإسلام، محمد راتب النابلسي: 339.

(4) لقمان: 13.

تجذب الشباب من نواحي الأرض وخاصة في أوروبا، مع أنهم يعيشون في قمة السعادة الظاهرية من حيث توفير كل المستلزمات المادية للعيش الكريم، فالإحصائيات تقول إن أعداد الملتحقين بتنظيم داعش من الدول الأوروبية فاقت أعداد الذين التحقوا من دول الشرق<sup>(1)</sup>.

فالخطاب الذي يتبناه أغلب الدعاة والخطباء يقوم بتغذية الشعور بالمهانة الحضارية، وتحتوي على مفردات القطيعة مع العالم، وإبراز فكرة المؤامرة، دون بيان العوامل الداخلية لدى المسلمين التي أنتجت هذا الإنهزام، ويتكرر هذا الخطاب على مسامع الشباب في مجمل الخطاب الإسلامي؛ هو ما يصنع الحساسية النفسية والعقلية في التعامل مع الظلم والعدوان.

فحتاج إلى تجديد وتحديث في الخطاب الديني بشرط المحافظة على الثوابت والأصول المتفق عليها، وفي 21 من شهر مايو عام 2005م انعقد في الكويت أول مؤتمر إسلامي يدعو إلى ترتيب البيت الإسلامي لمواجهة الغلو والتطرف وتحت عنوان (الوسطية منهج حياة)، ضم المؤتمر وزراء الأوقاف في العالم الإسلامي وعدداً كبيراً من العلماء والمفكرين الإسلاميين تحت رعاية رئيس وزراء الكويت، وأكدوا على وسطية الإسلام، وأن الوسطية تعمل على تحقيق الأمن والسلام العادل الشامل للبشرية<sup>(2)</sup>، ومن أبرز الجهود الإسلامية لتحديث الخطاب الإسلامي ومكافحة الإرهاب والتطرف والتعايش السلمي وقبول الآخر كان الاجتماع التشاوري الذي تم بين وزراء الشؤون الإسلامية والأوقاف للدول العربية الذي عقد في القاهرة في إبريل نيسان 2005م، بضرورة تنسيق الجهود العربية والإسلامية لتوحيد الخطاب الديني وتحديثه ومواجهة التطرف والغلو الديني، فأكدوا على نقاط عديدة<sup>(3)</sup>:

- 1- التأكيد على بناء الفكر الإسلامي وفق المنهج الوسطي
  - 2- الدعوة إلى تعزيز الحوار الإسلامي - الإسلامي فكرة وممارسة.
  - 3- تعميق الحوار الإسلامي - المسيحي والحضاري القائم على الإيمان بوحدة الأصل الإنساني والكرمة البشرية.
  - 4- العمل على تأهيل الدعاة وتدريب الأئمة على نحو يجمع بين الأصالة والمعاصرة.
  - 5- معالجة الغلو بكل صوره وأشكاله وقائياً وعلاجياً".
- ولأهمية مراجعة الخطاب الديني قام وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في اقليم كردستان العراق بعقد كونفرانس في 8-11 / 2016/9 في أربيل تحت عنوان (تنظيم الخطاب الديني)، وخرجوا بقرارات عديدة حول خطب يوم الجمعة من حيث الطول والقصر والعناوين والمضامين<sup>(4)</sup>.
- فيجب أن يتسم الخطاب الديني المعاصر بصفتين هامتين (البساطة-المرونة)، فهذهين السلاحين استطاع جيل القرن الأول من الصحابة أن يوصلوا صوت الإسلام إلى أبعد الحدود، بعيداً عن الإفراط والتفريط، لكي يستطيع أن يعتنق غالبية المسلمين هذا الخطاب.

(1) ينظر: تقرير اعده معهد الدراسات الاستراتيجية المغربي، نشر في موقع الالكتروني (بوابة افريقيا الاخبارية) <http://www.afrigatenews.net> تحت عنوان: (تقرير يكشف عدد المقاتلين الأوروبيين في صفوف داعش)، نشر في 2016/11/18.

(2) ينظر: الإرهاب الفكري أسبابه ومواجهته، حسنين المحمدي بوادي، دار الفكر الجامعي، 30 شارع سوتير - الاسكندرية، 2006: 83-84.

(3) ينظر: الإرهاب الفكري أسبابه ومواجهته، حسنين المحمدي بوادي: 47-48.

(4) ينظر: موقع وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في كردستان: <https://mera-kr.org/>.

## المطلب الثاني:-الواعظ الديني، أو القيادي الديني وأهميته في نشر ثقافة السلم:

الواعظ، أو القيادي الديني هو: الفرد، أو الشخص الذي يحتل مكانة دينية مميزة في الإيمان والتعاليم الدينية، بجانب تميزه بالخلق الحسن والتسامح والوقار، علاوة على تجرده ونزاهته في اليد واللسان في المجتمع الذي يوجد فيه(1).

فالواعظ والقيادي الديني ينطلقان من المسجد المكان الذي يغرس التسامح وينثره وينشره بين المجتمع، فالتاريخ يشهد أنّ للمسجد دوره الريادي الذي لا ينافسه فيه شيء في غرس ونشر الأخلاق الحميدة والقيم الرفيعة، فكان منبعًا للحضارة الإسلامية، ومصدر الضياء الفكري والأخلاقي، فكان إمام المسجد إمامًا في الأخلاق والفكر قبل أن يكون إمامًا في العلم(2).

الإرهاب خطره يتفاقم ويطول عندما يتم التأصل للأعمال الإرهابية من وجهة دينية وعقائدية، فالخطر الأكبر هو من الدعاة الذين يصيرون ويدعون.

وإن الخطاب الذي يتبناه أغلب الدعاة والخطباء يقوم بتغذية الشعور بالمهانة الحضارية، وتحتوي على مفردات القطيعة مع العالم، وإبراز فكرة المؤامرة، وأن الحل في العنف، دون بيان العوامل الداخلية لدى المسلمين التي أنتجت هذا الإنهزام، ويتكرر هذا الخطاب على مسامع الشباب في مجمل الخطاب الإسلامي؛ وهو ما يصنع الحساسية النفسية والعقلية في التعامل مع الظلم والعدوان.

إن للكلمة القوية المخلصة البليغة الصائبة لأثرًا بالغًا في وقف سفك الدماء، وتغيير وجهة النظر والأفكار، فإن الأفعال وليدة الأفكار فكلما غيرت فكرة فقد تغير سلوكًا وأفعالًا كثيرة، فالكلمة كثيرا ما تجعل أحد الأطراف ينهار وإن كان على الحق، والطرف الآخر ينصر وإن كان على الخطأ، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (( إِنْ مِنْ أُنْبِيَانٍ لَسِخْرًا، وَإِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحَكْمًا ))(3)، فالكلمة البليغة تتسحر المخاطب وتأسره وتأخذ بلبه، لذا يجب الاهتمام بمسألة الوعظ والنصيحة وعدم الاستهانة بإبداء موقف بكلمة على حدث، ومن هنا حذر الرسول ﷺ من عاقبة الكلمة السيئة الهادمة، وشجع الكلمة الطيبة النافعة فيقول ﷺ: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ)) (4).

فعلى الدعاة أن لا يتحدثوا مع الناس وخاصة الشباب منهم من فوق أبراج عاجية، مستعلين عليهم أو متبرئين منهم، مشككين في نياتهم، مضخمين لسلبياتهم، مما يحفر بينهم فجوة واسعة، فلا يتقون بالدعاة ولا يستمعون لهم(5).

وإن الكلمة البراقة من منظري الفكر المتطرف لتقع في النفوس الضعيفة، وخاصة إن كانوا صغارًا ناشئين،

(1) ينظر: دور القيادات الدينية في بناء وحفظ السلام في جنوب السودان في الفترة من 1973-2008م، إعداد ديفيد كويث ثيانق، رسالة ماجستير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، دراسات السلام، 2010م: 37.

(2) ينظر: تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب، عبداللطيف حسين فرج: 34.

(3) رواه الحاكم في مستدرکه، المستدرک على الصحيحين، رقم(6648): 45/4.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب حفظ اللسان، رقم الحديث(6113): 2377/5.

(5) ينظر: الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، يوسف القرضاوي، دار الشروق-القاهرة، ط2، 1426هـ- 2005م: 107 بتصرف.

يفورون بحرارة السن الباكرا فأحرى بهم وهم جماعات وجماهير أن يستسلموا لما يسمعون، فالخطيب إذا كان فذاً وموهوباً، يستطيع أن يجعل من الفكرة المجردة عقيدةً في أذهان الناس يرون العالم من خلالها، وهذا ما نراه من انضمام العديد من الشباب والشابات في كل دول العالم شرقاً غرباً، يجتازون كل الحواجز الأمنية ليلتحقوا بالتنظيمات المتطرفة، وذلك بسبب الحماس الذي تولد فيهم من خلال المحاضرات الحماسية لمنظريهم المنتشرة على شبكة الانترنت.

فدور الواعظ الديني في قضية الحرب على الإرهاب ومكافحته هام ومحوري فهو يقوم من جانب بالرد على الشبهات والشكوك المثارة على الاسلام بسبب تصرفات الجماعات المتطرفة الضالة، ومن جانب آخر يقوم بتحسين المجتمع من الأفكار المتطرفة التي تريد أن تزرع في نفوس الشباب خاصة بحجج تطبيق الشريعة وإعادة الخلافة ورفع الظلم عن المسلمين.

### المطلب الثالث:- آليات لتفعيل الموعظة الدينية:

إن الوقوف أمام سيل الافعال الارهابية والارهابيين لا تكون فقط بالنار والحديد، ولكن الأهم من ذلك جعل أرضية المجتمع غير قابلة لنماء بذور التطرف والارهاب، لتحقيق هذا الهدف لابد أن نستعين بأي وسيلة من الوسائل للوصول إليه.

وأرى أن الخطب والمواعظ الدينية بمختلف أنواعها يجب أن تستثمر في بناء مجتمع مبني على التعايش والسلم والمحبة، كما فعل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عندما هاجر للمدينة المنورة قرر هذا المبدأ ((أفشوا السلام...)) يعني ليكن أكثر كلمة تقال وتسمع في المدينة هي السلام، فأصبح الرجلان يلتقيان على السلام وينفصلان بالسلام.

فلتفعيل المواعظ الدينية أرى أن ننتهج ما يلي:

- 1- أن تكون المساجد التي تلقى فيها خطب يوم الجمعة محدودة، فالتحديد يكون حسب الموقع الجغرافي والكثافة السكانية.
- 2- أن يكون الخطيب مجازاً للخطابة، بأن يكون للدارسين في العلوم الشرعية إجازتين ، إجازة الإمامة: حيث يحق للمجيز أن يؤم الناس بالصلاة فقط، وإجازة الإمامة والخطابة: يحق له الإمامة والخطابة، لتتبعنا لقضية مشاكل الخطباء رأينا أكثر المشاكل تأتي من قبل الخطباء غير المجيزين والمؤهلين.
- 3- أن تقوم مؤسسات علمية أكاديمية بفتح دورات موسمية مستمرة للخطباء والواعظ لترشيدهم وتدريبهم على إلقاء المواعظ البناءة والصالحة والصائبة.
- 4- يكلف الخطيب والواعظ بالدخول في الدورات التمهيدية البشرية-كشرط للحصول على إجازة الوعظ والخطابة- التي تركز على فنون الإلقاء وطرق حل المشكلات بالطرق العلمية.
- 5- إبعاد المنابر عن الخلافات والتحليلات السياسية الداخلية، أما الوقوف أمام التهديدات والتدخلات الخارجية فمن واجب الخطباء والواعظ التصدي لها.
- 6- أن يكون الخطاب تبشيراً لا تنفيرياً: فيجب أن يشعر المخاطب والمستمع حينما يسمع لكلمات الواعظ بأنها تعطيه أملاً وتفاؤلاً، وينشرح صدره بعد الموعظة، ويخفف نفسياً أعباءه، ولا يكون الطاب كله هجوماً على الأوضاع فقط، وعرض للمشكلات بدون حلول، ففي الحديث الشريف عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه -



- وسلم - قَالَ « يَسْرُرُوا وَلَا تُعْصِرُوا ، وَيَبَشِّرُوا وَلَا تُنْقِرُوا »<sup>(1)</sup>، فالتبشير هو الصفة اللازمة للواعظ.
- 7- أن يكون خطاباً قصيراً غير ممل: فعند تتبع مواضع وخطب الرسول - صلى الله عليه وسلم - تجد أن الاقتصار كان سمة كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فعن جابر بن سمرة، قال: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُطِيلُ الْمُوعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ"<sup>(2)</sup>.
- 8- أن يكون الخطاب مبيئاً لأصول القضايا: خطبة يوم الجمعة والموعظة العامة رسالة قصيرة في فترة محدودة لجماهير مختلفة في المستويات، فيجب أن تكون الرسالة عامة وشاملة للكل، فالخوض في الجزئيات وإثارته وتكبيرها من سوء فهم الواعظ، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ((كُونُوا رَبَّانِيِّينَ...))<sup>(3)</sup> أي: " حلماء فقهاء، ويقال: الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره"<sup>(4)</sup>.
- 9- أن يميز بين الموعظة والحكم الشرعي، وبين العقائد الخاطئة والتعامل معهم، فالموعظة شاملة وعامة؛ وأما الحكم الشرعي محدد وخاص، فلا يجوز للواعظ أن يصدر فتاوى شرعية خاصة -تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان- على المنابر، فما نجده في كتب الفقه الإسلامي من أحكام فقهية إنما هي إجتهاادات فردية لحالات فردية، أي فرد من المجتمع عرض مشكلته على عالم في زمنه فأفتى له حسب تصوره لمشكلته، فلا يجوز أن نجعلها أصلاً ونقيس عليه حالة في عصر يخالف عصر المستفتي.

#### الخاتمة

وفي ختام البحث لا يسعنا إلا أن نشكر الله لتوفيقه لنا بإتمام هذا البحث الذي نرجوا ان يكون لبنة في صرح الإسلام البريء، من تطرف المتطرفين، وهذه أبرز النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها في بحثنا هذا:

#### أهم النتائج:

- 1- الإرهاب حراية في حق المواطنين، وبغْي في حق السلطة الشرعية، ونشر للفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل.
- 2- حارب الإسلام العنف والإرهاب أولاً : بتدمير البنية الفكرية له وثانياً: بأن أصل العلاقة بين البشر على التعايش السلمي.
- 3-المواعظ والخطابات الدينية الموجهة المركزة الصائبة؛ لها الأثر البالغ في وأد الأفكار الإرهابية.
- 4-يوجد شح في البحوث والدراسات العلمية التي تتناول تجديد الخطاب والوعظ الديني.
- 5-أستعمل الخطابات الحماسية قديماً وحديثاً لإشعال الحماسة في النفوس، والتاريخ القديم والحديث يشهدان على أن هذه الوسيلة تأتي بثمارها.

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث(69).

(2) رواه الحاكم في مستدرکه، المستدرک على الصحيحين، رقم(1067): 426/1.

(3) آل عمران: 79.

(4) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، رقم الحديث(69).



أهم التوصيات:

- 1- الاهتمام بالبحوث والدراسات الميدانية والعلمية المتعلقة بالخطاب الديني لكي يخرج بخطاب ديني موافق لأصوله السمحة.
- 2- الإكثار من الكلمات والخطب والندوات والمؤتمرات والنشرات حول نبذ العنف والإرهاب؛ ليكون التسامح أعلى صوتاً من صوت الرصاص والقنابل.
- 3- تجديد الخطاب الديني ليكون ملائماً للواقع، وأن يتسم بصفتي السماحة والمرونة.
- 4- على الخطباء والوعاظ أن ينتهجوا البشارة واليسر في خطاباتهم، وأن يبتعدوا عن المواعظ الهدامة ذات النمط السلبي.
- 5- عدم الاستهانة بخطاب ووعظ منحرف ينشر على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية، فهي تزرع بذور التطرف العنف.

### المصادر والمراجع:

الرسائل والاطروحات العلمية:

- (1) أحكام جريمة منظمات الإجرام والإرهاب، معاوية القاضي النويري، رسالة ماجستير في الشريعة والقانون، غير منشورة، كلية الدراسات العليا في جامعة أم درمان الإسلامية- السودان، 132هـ - 2011م.
- (2) الإرهاب والقانون الدولي، رشيد صبحي جاسم محمد، رسالة ماجستير كلية القانون، منشورة، جامعة بغداد، 1424هـ - 2003م.
- (3) دور القيادات الدينية في بناء وحفظ السلام في جنوب السودان في الفترة من 1973-2008م، إعداد ديفيد كويث ثيانق، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا، دراسات السلام، 2010م.

### التقارير:

- (1) تقرير اعده معهد الدراسات الاستراتيجية المغربي، نشر في موقع الالكتروني(بوابة افريقيا الاخبارية) <http://www.afrigatenews.net> تحت عنوان: (تقرير يكشف عدد المقاتلين الأوروبيين في صفوف داعش)، نشر في 2016/11/18.

### الكتب:

- (1) الإرهاب السياسي و القانون الجنائي، عبد الرحيم صدق، دار النهضة العربية - القاهرة، 1985م.
- (2) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، 1415 هـ - 1995م.
- (3) الإرهاب الفكري أسبابه ومواجهته، حسنين المحمدي بوادي، دار الفكر الجامعي، 30 شارع سوتير-الاسكندرية، 2006.
- (4) الإرهاب في العالمين العربي والغربي، أحمد يوسف، عمان- الأردن، ط1، 1998م.
- (5) الإرهاب وأحكام القانون الدولي، جمال زايد هلال أبوعين، عالم الكتب الحديث - عمان ط1، 1429هـ - 2009م.
- (6) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلوي، دار الفكر، ط25، 1428هـ-2007م.
- (7) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408هـ - 1988 م.
- (8) تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب، عبداللطيف حسين فرج، ط1، 1426هـ-2005م .
- (9) تعريف الإرهاب الدولي بين الإعتبارات السياسية والإعتبارات الموضوعية، محمد عبدالمطلب الخشن، دار الجامعة الجديدة-الأسكندرية، 2007م.
- (10) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت-لبنان، ط1- 1405هـ.
- (11) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1987م.
- (12) المستدرک على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، مع تعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.

- 13) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، أبو محمد المصري عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع، ت: أحمد عبيد، عالم الكتب - بيروت - لبنان، ط6، 1404هـ - 1984م:..
- 14) الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، يوسف القرضاوي، دار الشروق-القاهرة، ط2، 1426هـ-2005م.
- 15) العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ت: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 16) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1417هـ / 1997م .
- 17) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبدالله بن محمد بن إبراهيم، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد - الرياض، ط1، 1409م.
- 18) المعجم القانوني عربي- انجليزي، حارث سليمان الفاروقي، مكتبة لبنان- بيروت، ط1، 1979م.
- 19) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، عالم الكتب، ط1، 1429هـ - 2008م: 949/2.
- 20) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.
- 21) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي دار الفكر - بيروت، ط1، 1405هـ.
- 22) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، فريق عمل بإشراف صبحي حموي دار المشرق -بيروت، ط2، 2001م.
- 23) المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي - دراسة مقارنة، عبدالرحمن بن إبراهيم الضيحان-المملكة العربية السعودية-أبها، ط1، 1411هـ-1991م
- 24) المواجهة القانونية للإرهاب، أحمد فتحي سرور، دار النهضة العربية- القاهرة، ط1، 2008م.
- 25) الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، ومؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط2، 1419هـ-1999م.
- 26) موسوعة الفوائد الفقهية، أبو الحارث محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م.

#### الانترنت

- 1) مقال بعنوان (الانقلاب الفاشل في تركيا.. الأسباب والانعكاسات)، سعيد الحاج طبيب وكاتب فلسطيني وباحث في الشأن التركي، موقع <http://www.aljazeera.net> بتاريخ: 2016/7/18.
- 2) موقع وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في كردستان: <https://mera-kr.org/>.
- 3) موقع: <http://www.moheet.com> تاريخ الزيارة: 2015/8/26.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الوسطية الحضارية وضرورتها وحاجة البشرية إليها من منظور قرآني

إعداد

أ.د. نايل ممدوح أبوزيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

الإمارات العربية - جامعة الشارقة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم أصول الدين

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## المقدمة

الحديث عن الوسطية الحضارية والاعتدال حديث الساعة في عصر العولمة وذلك في ظل الظروف الدولية التي ترمى بها الأمة الإسلامية تارة بالتطرف وتارة بالإرهاب وتارة بالرجعية، وذلك بسبب ظهور بعض الجماعات الإرهابية المتطرفة التي أنشأها الظلم والاستبداد التي تعاني منها بعض المجتمعات الإنسانية في عصر الحضارة والتكنولوجيا والتقدم المادي، وأحياناً قد تكون هذه الجماعات صنيعاً الدول المعادية لتشويه صورة الدين الحنيف السمحة.

والإسلام هو دين الوسطية الحضارية ودين العفو والرحمة والتسامح، وقد تميزت الأمة التي التزمت بمبادئه بكونها أمة الوسطية، وقد شهد لها القرآن بالخيرية والعدل، وذلك في قوله سبحانه "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (ال عمران /110) ، وقوله "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ" (البقرة /143) ، والوسطية الحضارية صفة تحمل في طياتها التوازن والاعتدال والسمو والرفعة، وهذه الصفة الكريمة تقع بين صفتين ذميتين هما: الغلو والتقصير أو الإفراط والتفريط .

ومع ذلك كله فقد وجدنا البعض من أبنائنا ممن ادعوا الانتساب إليه يخرجون من دائرة الوسطية والاعتدال، فانهرفوا ونزعوا إلى الغلو والتطرف والإرهاب فشوهوا حقيقته ، الأمر الذي فتح باباً واسعاً لأعداء الإسلام لنشر الافتراءات والمزاعم التي أصقت بالإسلام ظلماً ، وتصف اتباعه بالتعصب والإرهاب وعدم التسامح وغير ذلك من الدعاوى الباطلة التي لا أصل لها ،والإسلام منها براء، فكان هؤلاء المنتسبون للإسلام بقصد منهم أو بغير قصد عوناً للأعداء على تحقيق مرادهم في النيل من الإسلام وأهله. ومن هنا كانت الحاجة ماسة للإنسانية لإظهار حقيقة الإسلام المتمثلة بوسطية وسماحته بإزالة هذه الظلمة، وإظهار الصورة الناصعة المضيئة المشرقة لهذا الدين وإزالة ما اعترها من تشوهات بسبب هذه السلوكيات الخاطئة. وقد كانت خطتي في هذا البحث على النحو الآتي:

المقدمة : وفيها أهمية البحث وخطته

التمهيد: وفيه التعرف بمصطلحيات البحث الوسطية ،الحضارة ، الحاجة ،الضرورة

المبحث الأول : الحاجة الذاتية إلى الوسطية الحضارية في القرآن

المبحث الثاني: الحاجة الإنسانية إلى الوسطية الحضارية في القرآن

المبحث الثالث: وسائل نشر الفكر الوسطي الحضاري من منظور قرآني

الخاتمة : وفيها ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات

التمهيد

أولاً معنى الوسطية

الوسطية في اللغة: فالوسط هو الشيء بين الجيد والرديء (1)

و(الأوسط) : المعتدل من كل شيء ، وأوسط الشيء : ما بين طرفيه . وفلان من أوسط قومه : أي من خيارهم.

1 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، حمد بن محمد بن علي الفيومي، ص340

فالوسطية تأتي بمعنى : التوسط بين شيئين ، وبمعنى العدل ، والخيار ، والأجود ، والأفضل ، وما بين الجيد والردئ ، والمعتدل ، وبمعنى الحسب والشرف. (1)

ب - أما الوسطية في الشرع : فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة :

فمن معاني الوسطية أنها جاءت في القرآن بمعنى : ما بين طرفي الشيء وحافتيه ومن ذلك قوله تعالى : حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ (البقرة : 238)

والصلاة الوسطى هي صلاة العصر على ما ذهب إليه بعض المفسرين(2) وذلك لما روي عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ الْأَحْزَابِ « شَعَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا »(3) وسميت الوسطى ؛ لأن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ، وجاءت الوسطية في السنة كذلك بمعنى الأوسط والأعلى كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم الفردوس بأنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ بقوله: " فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدُوسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أَرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ "(4)

و من معانيها العدول والخيار ومنه قوله جل وعلا: (( قَالَ أَوْسَطُهُمْ ))[القلم:28]. "أي: أعدلهم وخيرهم"(5). ومنه أيضا قوله تعالى: (( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ))[البقرة:143] أي: عدلاً خياراً،(6)

ويقول الإمام ابن كثير: "والوسط هاهنا: هو الخيار والأجود"(7) فإن الله تعالى شرف هذه الأمة وميزها بصفة الوسطية

وقد بين القرآن الكريم هذا المعنى لوسطية الأمة الذي أشار إليه ابن كثير بأنها الخيرية في قوله تعالى : " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ " (آل عمران الآية 110). وعلة هذه الخير أننا أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله إيماناً صادقاً ، فقد استحققت الأمة هذه الخيرية بالمزايا الثلاث المذكورة ، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاستمرار على الإيمان بالله والاعتصام جميعاً بحبل الله .

<sup>1</sup> انظر المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وزملاؤه ، دار الدعوة ، تركيا ، 1037/2

<sup>2</sup> - (تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : 1354هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2/345))

<sup>3</sup> - الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، باب الدليل لمن قال الصلوة الوسطى هي صلاة العصر، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت (24/3)

<sup>4</sup> - جامع صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي(4/19)

<sup>5</sup> الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)، دار الكتب المصرية - القاهرة، (2/112 )

<sup>6</sup> - جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، مؤسسة الرسالة، بيروت،(3/143)

<sup>7</sup> - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع،(1/454)

لهذا فقد جاء الحث في القرآن الكريم على العمل وبذل الجهد وإحسان الاتباع حتى يستحق المؤمنون هذا الشرف وتلك المكانة والمنزلة ، وذلك بالدعوة إلى الخير وبالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر ، فقال تعالى " { وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (آل عمران 104)" فلا بد من المحافظة على الميزات الثلاث التي أهلتها لتكون أمةً وسطية لها خيريه على الأمم بأن تدعو إلى الخير

يقول محمد رشيد رضا "إنما يتحقق لكم وصف الوسط إذا حافظتم على العمل بهدي الرسول واستقمتم على سنته ، وأما إذا انحرقتم عن هذه الجادة ، فالرسول بنفسه ودينه وسيرته حجة عليكم بأنكم لستم من أمته التي وصفها الله في كتابه بهذه الآية"<sup>(1)</sup>.

ورسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من إحاطتها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة والتي هي أحسن ، بل إن القرآن قدم الحكمة على الموعظة فما أحوجنا في هذا الزمن إلى الداعية الذي تسبق حكمته كلامه وموعظته .

فالإكراه على الدين منفي في الإسلام بنص القرآن ، قال تعالى: " أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ { (يونس : 99) وهذا يعني أن نستعمل أنجح الوسائل وأجمل الطرق وأجدي الأساليب وأقوم الخطاب . وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله: " إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ورحمة كلها ، ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"<sup>(2)</sup> والوسطية تعنى السير على الصراط المستقيم الذي نطلبه من الله في صلاتنا في كل ركعة من الصلاة ، والصراط المستقيم هو وسط بين الغلو والجفاء أو الإفراط والتفريط، فهو يمثل الخيرية ويحقق معناها . ولذا حذر الله من الغلو في الدين وهو مجاوزة الحد . فقال تعالى : " لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ [ النساء : 171 ] . وحذرننا رسوله فقال صلى الله عليه وسلم : "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ " <sup>(3)</sup>

ثانيا : معنى الحضارة :

الحَضَارَةُ في اللغة : كلمة مشتقة من الفعل حضر، ويقال الحضارة هي تشييد القرى والأرياف والمنازل المسكونة، فهي خلاف البدو والبداءة والبادية،" و الحَضَارَةُ بالفتح والحِضَارَةُ بالكسر : الإقامة في الحَضَر، . قال القطامي:  
ومن تكن الحَضَارَةُ أعجبتَه ... فأَيُّ رجالٍ باديةٍ تَرانا  
والْحُضُورُ: نقيض الغيبة."<sup>(4)</sup> وهي مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني ومظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضرة<sup>(5)</sup>

1 تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 6/2

2 -أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم 3 / 3

3 - سنن ابن ماجة، بن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي، كتاب المناسك، 4/ 228

4- الصحاح في اللغة ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراء، (134/1)

5- المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى وآخرون ، دار الدعوة ، مجمع اللغة العربية ، (181/1)

والحضارة في الاصطلاح نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، و باختصار الحضارة . هي الرقي والازدهار في جميع الميادين و المجالات<sup>(1)</sup>

ومن الممكن أن نعرف الحضارة على أنها الفنون والتقاليد والميراث الثقافي والتاريخي ومقدار التقدم العلمي والتقني الذي تمتع به شعب أو أمة معينه في حقبة من حقب التاريخ.

فالحضارة بالمفهوم الشامل تعني كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم.

ومما لا شك فيه أن الحضارة والتطور الحضاري يبدآن بحلول الأمن والاستقرار و انتهاء الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت نفسه و تطلعت إلى عوامل الإبداع والبناء و الإنشاء، و تستنهض الهمم للازدهار

وللتعرف على حضارات الشعوب لا بد من أن يدرس الإنسان العناصر الآتية:

- 1- طرق العيش والظروف الطبيعية.
- 2- الوضع الاقتصادي.
- 3- العلاقات الاجتماعية بين فئات المجتمع.
- 4- أنظمة الحكم السائدة.
- 5- الإنجازات العلمية والثقافية والعمرانية.

ثالثاً : معنى الحاجة لغة واصطلاحاً

الحاجة مأخوذة من الفعل حوج ويقال احتاج ، إذا أفقر . ومنه قوله تعالى : { اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ(عافر /80-81)) قال الألوسي: "الأنعام ههنا لما أريد بها الإبل خاصة جعل الركوب وبلوغ الحاجة من أتم الغرض منها لأن جل منافعها الركوب والحمل عليها"<sup>(2)</sup> وعليه فالحاجة تطلق على ما يفتقر إليه<sup>(3)</sup> .

واصطلاحاً عرفها الشاطبي : "ما يفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المصلحة، فإذا لم تراخ دخل على المكلفين -على الجملة- الحرج والمشقة"<sup>(4)</sup>.

فالحاجيات مفترق إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة لفوت

1 - انظر الحضارة ، د. حسين مؤنس ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني ، للثقافة والفنون والآداب:

الكويت،ص112

2 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / محمود بن عبد الله الألوسي ، دار الكتب العلمية . بيروت ( 163/8 )،

3 - تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ، دار الهداية، 495/5

4 -المواقفات ، إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي (ات : 790هـ) ، دار ابن عفان ، ( 574/1 )



المطلوب ، فإذا لم تراخ دخل على المكلفين - على الجملة - الحرج والمشقة ، ولكنه ذلك لا يبلغ مبلغ الفساد المتوقع في المصالح العامة " (1).

رابعاً: معنى الضرورة

أما الضرورة لغة فهي من الضر خلاف النفع، فكل ما كان سوء حال وفقر وشدة في بدن فهو ضر بالضم، وما كان ضد النفع فهو بفتحها (2).

والضرورة عند الأصوليين: " المصالح التي لا بد منها لقيام حياة الإنسان في الدنيا والآخرة. وإذا فقدت؛ تختل حياته، وتتعلل مصالحه الضرورية. وهي: حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال." (3) فالضرورات أمور لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الآخرة فوات النجاة والنعيم والرجوع بالخسران والعياذ بالله والفرق بين الحاجة والضرورة، أن الحاجة وإن كان فقدها يؤدي إلى الجهد والمشقة فهي دون الضرورة، ومرتبها أدنى منها ولا يتأتى بفقدها الهلاك.

والحق أن الحاجة إذا كانت عامة فإنها تنزل منزلة الضرورة فيباح بموجبها المحظور. وعليه فالوسطية تأتي من هذا الباب بمنزلة الضرورة

المبحث الأول: الحاجة الذاتية إلى الوسطية الحضارية في القرآن

إن الله عز وجل قد أعطى الإنسان عقلاً وحكمة وجعل له طبيعة وشهوة فجمع له بين الشهوة والغضب وبين العقل ، ليربط بين المادة والروح ، و جعله الله خليفة في الأرض ليقوم شرعه فيها فقال تعالى: "إني جاعل في الأرض خليفة" (البقرة: 30) ولا تتحقق الخلافة بغير منهج الاعتدال و الوسطية ، فبه يتحقق البناء والإعمار و بغيره يحل الهدم والدمار.

فأداة الانحراف الفكري في الإنسان هي (العقل)، وهو الذي يؤثر في العقول الأخرى. لتغيير الواقع الفكري ، والتشكيك، و من هنا كانت الوسطية أداة الحفظ لعقل الإنسان من الانحراف.

فالذات بحاجة ماسة للفهم المعتدل السليم للعيش الإنساني السليم مع الآخر. وإذا كان عنوان الذات القومية أو الطائفية ، فإنه لا يمكن لهذه الذات من إدراك حقائق الحياة وحسن التعامل مع الآخر.

والمنهج الوسطي حاجة ماسة للذات الإنسانية حيث يغرس فيها أمرين مهمين هما:

1- أن الإنسان مهما امتلك من إمكانيات وكفاءات وطاقات لا يستطيع أن يحقق ذاته ويعزز مكانتها العامة دون علاقات مع المحيط الاجتماعي والثقافي ، فالإنسان لا يمكنه الاستغناء عن الآخرين.

2- أن الآخر المختلف ليس موضوعاً للنزب والإقصاء ، وإنما هو موضوعاً للحوار والتواصل والتعارف. وإن الاختلافات مهما علا شأنها لا تشرع لأحد ممارسة العنف والظلم والحيث على الآخر المخالف.

فعلى الإنسان المسلم نبذ التناكب بالألقاب، وترك سوء الظن ، و ممارسة العدل والإنصاف مع الآخر قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ". (المائدة 8)

1 - نفس المرجع السابق (576/1)

2 - انظر الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري ، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران (238/1)

3 - شرح مقاصد الشريعة، الدكتور عياض بن نامي السلمي ، مكتبة المدينة ، (56/1)

فالمطلوب شهداء بالعدل لا حيف فيها، فقد حصل بهذا الخطاب وجوب القيام بالعدل، والشهادة به، ووجوب القيام لله، والشهادة له<sup>(1)</sup>

ولا يمكن أن نحقق مفهوم العدل في العلاقة مع المخالف، بعيدا عن قيم الحوار والتواصل والتعاون. وإذا غاب منهج الوسطية والاعتدال عن الذات حل محله الغلو والتطرف الفكري، الذي قد يرهق الذات أو يهلكها أحيانا. فيتجه الإنسان بغياب هذا المنهج تجاه ذاته بأمر منها

1- إلزام النفس بما لم يوجبه الله من عبادات، حتى يتجاوز حد الطاقة الذاتية مما يؤدي إلى تعذب النفس، وحملها على المشقة والعنت الذي قد يؤدي إلى الهلاك في بعض الأحيان، وقد نهى الرسول عن ذلك في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك بقوله: "تَحَلَّ النَّبِيُّ إِذَا حَبَلَ مَمْدُودًا بَيْنَ السَّارِيَيْنِ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَبْلُ؟ قَالُوا: هَذَا حَبْلُ لَزِينَبَ،" بنت جحش أم المؤمنين " إِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ : لَا، حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، إِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ".<sup>(2)</sup>

فكره \_ صلى الله عليه وسلم \_ الإفراط في العبادة، لئلا ينقطع عنها المرء، فيكون كأنه رجوع فيما بذله من نفسه لله تعالى<sup>(3)</sup>.

2- تحريم الطيبات التي أباحها الله على وجه التعبد، أو ترك الضرورات أو بعضها، مما يدخل الضيق والحرج عن النفس والله يقول: " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " (الأعراف: 32)، فالانتفاع بالمشتبهات المباحة تكون وسائل إلى منافع الآخرة، والله تعالى قد ندب إليها، فكان مزينا لها، وإنما كان الانتفاع بها وسائل إلى ثواب الآخرة لوجوه منها أن الإنسان يتصدق بها ويتقوى بها على طاعة الله تعالى فإذا انتفع بها وعلم أن تلك المنافع إنما تيسرت بتخليق الله تعالى وإعانتته صار ذلك سببا لاشتغال العبد بالشكر لله العظيم<sup>(4)</sup>

وقد نهى رسول عن ذلك في حديث الثلاثة نفر الذين تقالوا عمله، فقدرى أنس بن مالك t "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - انظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (55/5)

<sup>2</sup> الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب - القاهرة، 7/2

<sup>3</sup> انظر شرح صحيح البخاري. لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف القرطبي مكتبة الرشد - السعودية / الرياض 144/3

<sup>4</sup> - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد بن عمر الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (160/7)

<sup>5</sup> أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، (67/2)

وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التمتع بقوله : "هلك المتطعون " قالها ثلاثاً. (1) قال الإمام النووي: " المتطعون أي الغالون المجاوزون الحدود في اقوالهم وافعالهم "(2) ونلاحظ أن النبي جعل عاقبة الغلو والتطبع الهلاك، وهو هلاك في الدنيا والآخرة ، وأي خسارة أشد من الهلاك !

3- فقد الذات لمنهج الوسطية يؤدي إلى الحكم على الآخرين المخالفين لها من أهل الإيمان بالفسق والفجور و المروق من الدين ونحو ذلك، وهذا غلوٌ حذر منه القرآن ، فقال تعالى : "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً" (الأحزاب /58) فالمؤمنون والمؤمنات ، هم أولياء الله ،ورسله بين الناس والعدوان عليهم بغير ما اكتسبوا . عدوان على الله عز وجل ، واجترأ على حرمانه تعالى ، فالذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فقد احتملوا بهتاناً ، أي افتراء وعدوانا على الحق ، وبأءوا بإثم عظيم ، سيلقون جزاءه عذاباً ونكالاً في الدنيا والآخرة(3) لذا حذر الرسول عليه السلام من التعجل بالرمي بالفسق للأخر بقوله : " لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك".(4)

لهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم معاذاً رضي الله عنه عن ذلك في الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري حيث قال : أقبل رجل من الأنصار ومعه ناضحان له وقد جنحت الشمس ومعاذ يصلي المغرب فدخل معه الصلاة فاستفتح معاذ البقرة أو النساء فلما رأى الرجل ذلك صلى ثم خرج قال فبلغه ان معاذاً نال منه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أفتان أنت يا معاذ ، أفتان أنت يا معاذ أو فأتان فأتان فلولا قرأت سبح اسم ربك الأعلى ،والشمس وضحاها، فصلى وراءك الكبير وذو الحاجة والضعيف"(5)

4- إن فقد الذات للمنهج الوسطي يؤدي إلى الغلو والهلاك ، فيستمرئ الإنسان القتل وإراقة الدماء ، ويرفض السلم والوئام وقد جاء التحذير لأهل الكتاب ولنا من بعدهم من ذلك في كتاب الله قال تعالى: " قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل" (المائدة 77) "

فالبحث عن الحقائق والمبالغة في التفتيش عنها ليس من الغلو المذموم وفي ذلك يقول صاحب محاسن التأويل: "إن الغلو في الدين غلوان ( غلو حق ) كأن يفحص عن حقائقه ويفتس عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه ؛ و ( غلو باطل ) وهو أن يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه"(6) وهذا النوع الثاني هو الذي يؤدي إلى القتل وإراقة الدماء ،واستباحة الأعراس،وهو ما تعاني منه أمتنا اليوم في بعض أجزائها .

<sup>1</sup> أخرجه مسلم في باب هلك المتطعون ، صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، 54/8

<sup>2</sup> - المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت. 220/6

<sup>3</sup> التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ( 748/11)

<sup>4</sup> - أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ( 68/8)

<sup>5</sup> - مسند أحمد ، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، مؤسسة قرطبة - القاهرة ، مسند جابر بن عبد الله، 229/3

<sup>6</sup> محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي دار الكتب العلمية ، بيروت ، ( 77/4 )

"فالغلو نقيض التقصير. ومعناه الخروج عن الحد ، وذلك لأن الحق بين طرفي الإفراط والتفريط ، ودين الله بين الغلو والتقصير"<sup>(1)</sup>

لذا حذر الرسول من الغلو في الدين فقال صلى الله عليه وسلم ( إياكم والغلو في الدين فإنما اهلك من كان قبلكم أنهم كانوا يغلون في دينهم )<sup>(2)</sup>

المبحث الثاني: الحاجة الإنسانية إلى الوسطية الحضارية في القرآن:

إن الإنسان مكرم في ديننا قال تعالى: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا " (الإسراء /70) وذلك أن الله فضلهم بما خصهم به من المناقب وفضلهم به من الفضائل التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات<sup>(3)</sup>

فقد خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته سجود تكريم ، وأنزل لهم منها وسطا يحقق كرمته وسعادته

إن البشرية بأمرس الحاجة إلى منهج وسطي ينفذ الإنسانية من الانحراف الذي جلب عليها الصعاب والمصائب والبلايا ، سواء الانحراف بالتفريط والتساهل أو بالإفراط والتتبع ، ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد رسم للناس هذا المنهج في جميع جوانب الحياة

وما أوحى الإنسانية اليوم إلى نشر ثقافة الوسطية ، سيما في هذا العصر الذي حرص فيه أعداء الإسلام منذ مدة من الزمن على اتهام الإسلام وأهله بالتطرف والإرهاب .

وأما حاجتنا للوسطية في مجتمعاتنا الإسلامية فيؤكدها الكثير من الشواهد حيث نجد آثار التطرف تصل إلى العمق في بعض الفتاوى فيتساهل البعض باهدار دم الآخرين لمجرد الاختلاف معهم، كما نجد البعض يصر على تحريم كل شيء من منطلق باب سد الذرائع دون ان يأخذ في الاعتبار ان ذلك من شأنه ان يعيق تقدم المجتمع، ويخدم مصالحه العامة او الخاصة.

وتتبع حاجة الناس للمنهج الوسطي  
أولاً : أنه يغلق منافذ الشيطان وأهواء أهل الضلال، قال الله تعالى: " إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير" ( فاطر / 6 )

فأخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو واضح العداوة ، وقص علينا قصته ، وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف أخذ على نفسه عهدا لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا وبعده، ونحن مع ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، ( 410/12 )

<sup>2</sup> سنن ابن ماجة، بن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، مكتبة أبي المعاطي، كتاب المناسك، 4/ 228

<sup>3</sup> - انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، مؤسسة الرسالة بيروت، (462/1)

<sup>4</sup> -الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، ( 222/14 )

ومن له عدو لا مهرب له منه وجزم بذلك فإنه يقف عنده يصبر على مقاومته وقتاله ، فالصبر معه الظفر ، فكذلك الشيطان لا يقدر الإنسان أن يهرب منه ، فهو عدو ملازم للإنسان ، ولا يزال يتبعه إلا أن يقف له ويهزمه ، فهزيمة الشيطان بعزيمة الإنسان ، والطريق للنصر عليه الثبات على الجادة والحرص على العبادة<sup>(1)</sup> ولا يخفى على العاقل أنه ما من أمرٍ إلا وللشيطان فيه مدخلان : مدخل من جهة الغلو ، ومدخل آخر من جهة التقصير. فهو إما أن يغوي الإنسان ليغلو ، أو يغويه ليقصر ، وأيهما حاز الشيطان من غلو أو تقصير فرح به ، والوسطية والاعتدال هي الطريق لغلبة الإنسان وفوزه على الشيطان .

ثانياً : - وتتبع حاجة الناس للوسطية والتعايش الآمن بعيداً عن التطرف والغلو ، لكونها تؤدي إلى القبول بحقيقة التعددية والتنوع في الاجتماع الإنساني ، و احترام الإنسان ، قال تعالى : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " ( النحل 125) ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل وأن نقدم الأهم فالأهم ، والأقرب إلى الأذهان والأفهام ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين<sup>(2)</sup> ،

وهذا أمر من الله لنبينا محمد بالمجادلة والحوار للمدعوين بالحسنى " فقلوه : { وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } أي : من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال ، فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب ، كما قال : { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت : 46] فأمره تعالى بلين الجانب ، كما أمر موسى وهارون ، عليهما السلام ، حين بعثهما إلى فرعون فقال : { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا نَعْلَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه : 44] .<sup>(3)</sup>

وإذا كان الأنبياء الكرام قد امروا بتجسيد هذا المنهج الوسطي في وقع الحياة فأتباعهم مأمورون به من باب الاقتداء ثالثاً - والوسطية حاجة إنسانية لأن وجودها يحول بين الإنسان وبين انتهاك حقوق الآخر ، وخصوصياته ولوازمه الإنسانية ، فلا يمكن للإنسان أن يصبح معتدلاً دون احترام الإنسان ، وصيانة حقوقه الأساسية . فالاختلاف في الرأي لا يشرع للإنسان أن ينتهك حقوق من اختلف معه أو يتعدى على خصوصياته ، فالإنسان محترم لذاته ؛ يقول تعاللك " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (الإسراء 70 ) ومقتضى التكريم الرباني للإنسان هو صيانة وحماية حقوقه الخاصة والعامة . " ومن تمام كرامته على الله تعالى أنه تعالى لما خلقه في أول الأمر وصف نفسه بأنه أكرم فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم [العلق : 1- 4] ووصف نفسه بالتكريم عند تربيته للإنسان فقال : ولقد كرّمنا بني آدم ووصف نفسه بالكرم في آخر أحوال الإنسان فقال : يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم [الإنفطار : 6] وهذا يدل على أنه لا نهاية لكرم الله تعالى وفضله وإحسانه مع الإنسان " <sup>(4)</sup>.

رابعا : الوسطية حاجة إنسانية لأنها تؤدي إلى الانفتاح والتواصل مع الثقافات الإنسانية فالاعتدال والوسطية يمنعان من الانعزال والانكفاء والاستغناء عن الآخر ، ويؤديان إلى التفاعل معه ، والانفتاح على ثقافته والتواصل الإنساني .

ولا شك أن أساس هذا الانتفاع منهج الله من كتاب وسنة حيث جاء هذا المنهج الرباني العالمي يأمرنا بعمارة الأرض وبناء الحياة وتطويرها ، والمتأمل للسيرة النبوية تاريخ السلف الصالح من هذه الأمة يجد أن الأمة الإسلامية

<sup>1</sup> انظر مفاتيح الغيب، الفخر الرازي ، ( 32/26 )

<sup>2</sup> - انظر تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن السعدي ، ( 453/1 )

<sup>3</sup> -تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، دار طيبة للنشر والتوزيع،(4/613)

<sup>4</sup> - التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الفخر الرازي ، ( 374/29 )

تعاملت مع غيرها من الأمم، من خلال الفتوحات الإسلامية. وعندما دَخَلَ المسلمون هذه البلاد، استطاعوا التعامل معها على أساس ما جاء به الكتاب وسنة ، وانفقوا بأخذ الأمور الدنيوية المفيدة، وترك ما لا فائدة منه. فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين باستعمال آنية أهل الكتاب وغيرهم من المشركين التي من صنعهم فعن أبي إدريس عن أبي ثعلبة الخشني قال قلت يا نبي الله إنا بأرض قوم من أهل الكتاب أفأكل في آنيتهم وبأرض صيد أصيد بقوسي ويكليبي الذي ليس بمعلم ويكليبي المعلم فما يصلح لي قال أما ما ذكرت من أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها" (1)

وحديث جابر قال كنا نغزو مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فنصيب من آنية المشركين وأسقيتهم فنستمع بها " (2)

ومنه الاستفادة من خبراتهم بالقراءة و الكتابة وأدواتهما التي هي من ضروريات الحياة لما تؤديه من رسالة وتتجزه من مهمات لذا جعل النبي من علم عشرة من المسلمين حرا من أسرى

ففي غزوة الأحزاب استفاد النبي من تجربة الفرس في الحرب لما ذكرها له الصحابي الجليل سلمان الفارسي -رضي الله عنه-. "وسميت الغزوة بالخذق لأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره عليه الصلاة والسلام لما أشار به سلمان الفارسي ، فإنه من مكائد الفرس دون العرب" (3)

خامسا : وتتبع حاجة الإنسانية للوسطية من كونها تبعث في الإنسان الاعتدال والتوازن في التعامل مع الآخر، وقد وجهنا الرسول لهذا الفهم - صلى الله عليه وسلم - حرصاً منه على تعايش الإنسان مع الآخر بأمن وسلام ، وقد أكد النبي على ذلك من خلال حادثة الأنصاري الذي صفع يهوديا لقوله " وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى النَّبِيِّ فَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ " بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَغْرَضُ سِلْعَتَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ فَقَالَ : لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى النَّبِيِّ فَمَسَعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وَقَالَ تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى النَّبِيِّ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيِّنٌ أَظْهَرْنَا ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ لِلنَّبِيِّ فَقَالَ : أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا فَمَا بَالَ فَلَانَ لَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ فَذَكَرَهُ فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ نُمٌّ قَالَ : لَا تَقْضَلُوا بَيِّنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَحْسِبُ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي" (4).

فالإسلام قد ركز على التعايش السلمي بين أهل الأديان، وصحيفة المدينة المنورة التي تمثل دستوراً بين المسلمين واليهود دليل على ذلك

سادسا : وتتبع الحاجة إلى الوسطية لكونها تجسد الإخاء الإنساني بين الناس وهو ما جاء يؤكد القرآن الكريم بوله تعالى : " وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ " ( الأعراف 65 ) " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ " (الأعراف 73) وقوله سبحانه " وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ " (الأعراف 85) قال صاحب المنار "والآيات دليل على جواز تسمية القريب أو الوطني الكافر أخا . وحكمته كون رسول القوم منهم

11 -أخرجه البخاري في باب صيد القوس (135/2)

2 - أخرجه أبو داود في باب الأكل بأنية أهل الكتاب ،سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي . بيروت ( 428/2 )

3 عون المعبود شرح سنن أبي داود ،أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المكتبة السلفية،المدينة المنورة(79/2)

4 الجامع الصحيح، البخاري ،كتاب بدء الوحي 194/4

يفهمهم ويفهم منهم ، حتى إذا ما استعد البشر للجامعة العامة ، أرسل الله خاتم رسله إليهم كافة لتوحيد البشر وإدخالهم في السلم كافة" (1)

ومما لا شك فيه أن رابطة الأخوة الإيمانية هي أسمى الروابط، إلا أن هذه الآيات تدل أن هناك رابطة إنسانية أخرى، وأخوة بشرية تسع الناس جميعاً المسلم وغير المسلم ليتم التعايش والسلم والدعوة إلى الله بالحكمة .

### المبحث الثالث: وسائل نشر الفكر الوسطي الحضاري في القرآن الكريم

وإذا كان الفكر الوسطي حاجة ذاتية وإنسانية فما أشد حاجة البشرية في هذه الأيام إلى نشر ثقافة هذا الفكر المعتدل الذي يدعو إليه ديننا الحنيف ، في كل بقعة من العالم؛ حتى نبين للناس مزايا الدين الإسلامي؛ من أجل نشره بين الناس و تصحيح الفهم الخاطئ، الذي يرمي الإسلام وأهله بالإرهاب والتطرف، ومما يعيننا نشر ذلك مؤسسات تساهم في إنشاء جيل الوسطية والاعتدال الذي يفهم الدين فهما صحيحا :

#### أولا \_ الأسرة

و الأسرة هي المحضن الأول للتربية، وهي المزود الثقافي الأول للفرد، ولها دور كبير في قبول الأبناء الأفكار المستقبلية، والتخطيط للأسرة هي المجتمع الصغير الذي يتربى فيه الإنسان وينشأ من أول عهده في الحياة في أحضانه ينطبع بطابعه ويرى الأشياء بعينه ويتعرفها عن طريق أحكامه " (2) والمجتمع من أجل صلاحه محتاج إلى أسرة مستقرة مطمئنة تخرج جيلا مهذب النفس حريصا على تحقيق الخير لأبناء أمته بما تزرعه فيه من مقومات الإنسانية وهي الدائرة الأقرب للإنسان والأكثر التصاقاً به، وحينما تكون علاقة الإنسان داخل عائلته علاقة طيبة، ويكون هناك انسجام بينه وبين عائلته، فإن ذلك يجعل الإنسان أكثر سعادة، وأكثر قدرة على الإنتاج والفاعلية، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي.» (3) والأسرة تستطيع أن تضطلع بدور رئيس في غرس قيم الوسطية الإسلامية في عقول أبنائها، وتربيتهم على تعاليم الإسلام الصحيحة، وكذلك إثنائهم عن الإفراط في الدين أو التفريط ، بالتوجيه والمراقبة، والتربية بالقنوة. فالأولاد يرضعون من والديهم الكريمين البان المكارم والفضائل ويكتسبون خصال الخير ومكارم الأخلاق" (4) فيغرسان فيهم حب الخير والرحمة وينميان فيهم الثقة بالنفس والقدرة على اسداء الرأي و الأسرة تتحمل المسؤولية الأساسية والأولى في الحد من ظاهرة العنف فعندما يتمثل أبنائها أمر الله تعالى في السكينة والموهه والرحمه واقعا ملموسا داخل الاسره ينعكس ذلك كله على المجتمع ،وتبدا المسؤولية من الأسرة من

1 - انظر تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : 1354هـ) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب . (441/8)

2 - المجتمع المدني كما تنظمه سورة النساء،محمد محمد المدني ، مطبعة مخيمر ، القاهرة ، ص314

3 -أخرجه الترمذي في باب فضل أزواج النبي ، سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 706/5

4 - السعادة الزوجية في الإسلام، دمحمود الصباغ ، دار الاعتصام ،القاهرة ،ص164



خلال حسن التواصل مع الأبناء وافساح المجال امامهم للحديث والتعبير والحوار اما عملية الكبت والقمع داخل الأسرة فتنعكس سلبا على الأبناء في علاقاتهم مع مجتمعهم ورحم الله من قال في مدى تأثير الأصل بالفرع

مَشَى الطاووس يوماً باعوجاج؛ \* فقلدَ شكلَ مشيته بنوه  
فقال: علامَ تختالونَ ؟ فقالوا: \* بدأتُ به ، ونحنُ مقلدوه  
فخالِفَ سيركَ المعوجَّ واعدلُ \* فإننا إن عدلتُ معدلوه  
أما تدري أبانا كلُّ فرعٍ \* يجاري بالخطى من أدبوه؟!  
وينشأ ناشئُ الفتيانِ منا \* على ما كان عوْدُه أبوه  
ثانيا -المؤسسات التعليمية(المدرسة/ الجامعة)

وإذا كان البيت الأسري يحقق تربية الطفل وتهذيبه قبل أن يكون في طريقه إلى المدرسة والجامعة فإن هذه الصروح العلمية تساهم أيضا في تكوين الفكر السليم و الخلق الكريم والسلوك القويم.  
فيقع على عاتق هذه المؤسسات التعليمية ومناهجها بصفة عامة والأسرة بصفة خاصة مسؤولية تحصين الأبناء من الموجات الفكرية المتطرفة والوصول بالأجيال إلى بر الأمان  
فالمدرسة هي المصدر الثاني أهمية بعد الأسرة في تثقيف الفرد وفي تأهيله ليكونَ عنصراً فاعلاً في المجتمع، فهي التي تأخذ بزمام المبادرة بالتربية والتعليم للطالب بعد أسرته، وعلى عاتقها يقع عبء أن يكون هذا الطالب إنساناً سوياً وصاحب تفكير إيجابي يصب في خدمة مجتمعه ووطنه  
. فالمعلم مربى الأجيال وعليه يتوقف صلاح المجتمع وفساده فإذا قام بواجبه في التعليم ، فأخلص في عمله ، ووجه طلابه نحو الدين والأخلاق فإنه يساهم في إيجاد المجتمع الآمن.  
وهو مسؤول أمام الله تعالى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " متفق عليه ، والمعلم راع في مدرسته . وهو المسؤول عن طلابه.

وبذلك تستكمل المدرسة والجامعة دور الأسرة في تعميق الفكر الوسطى من خلال المقررات الدراسية وسلوك المعلم القدوة وبرامج التوعية،.

ومناهجنا التعليمية في مدارسنا وجامعاتنا عندما تكون وسطية ومعتدلة، تحض على الفضيلة،ولا تتضمن أى أفكار متطرفة، فإنها تغرس القيم الأخلاقية النبيلة في نفوس أفراد المجتمع فتساعد على أن يسود في المجتمع الأمن والاطمئنان والاستقرار وبذلك يمثل النسق التربوي أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي دورا حيوياً ومهماً في المحافظة على بناء المجتمع واستقراره حيث يؤدي النظام التربوي وظيفة مهمة في بقاء المجتمع وتجانسه من خلال ما يقوم به النظام التعليمي من نقل قيم السامية الرفيعة من جيل إلى آخر .

ثالثا - المسجد، وهو مؤسسة إعلامية تربوية يقع عليه مسؤولية كبيرة في تبصير الشباب بخطورة الفكر ا لمتشدد وبيان قيمة التسامح والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

فالمساجد مواطن الخير ومنابع النور والإيمان وأماكن تواجد الخيرين "فوجود الإنسان في المسجد يحدث في نفسه ألفا يرده إليه إن بعد ويشده إليه إن دنا فهو في بعده ودنوه قريب بروحه وجسده وفي رحابه يلتقي بأحسن الناس وأفضلهم فيتأثر بهم ويحبهم ويحبونه" (1)



والمسجد يعين على اختيار الصحبة الطيبة التي تعين على فضائل الأخلاق وقويم السلوك قال تعالى "فِي بُيُوتِ  
أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (36) رِجَالًا لَّا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَن ذِكْرِ اللَّهِ  
وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)" سورة النور 36-37  
فالبيوت هي المساجد المخصصة لله تعالى بالعبادة، وأنها تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض<sup>(1)</sup>

رابعاً من خلال البرامج والندوات التوعوية التي يقدمها أصحاب الفكر الوسطي من العلماء والدعاة المخلصين  
فينشرون الفهم الصحيح للإسلام كما علمنا إياه النبي صلي الله عليه وسلم ، ودعا إليه الصحابة الكرام ، وانتهج  
السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وهو الفكر الذي يقوم علي قاعدة التوازن والاعتدال والتوسط ونشر قيم الخير  
والعدل بالحسنى والكلمة الطيبة ، قال تعالى " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي  
أحسن " والحكمة هي وضع الشيء في موضعه ، وقد حمل الشارع المكلف على التوسط من غير إفراط ولا تفريط  
، " ولا شك أن المراد بقوله بالحكمة أي بالبرهان والحجة ، فكانت الدعوة / بالحجة والبرهان إلى الله تعالى مأموراً  
بها " (2)

خامساً - وسائل الإعلام المختلفة، لها أهميتها الكبرى في التأثير على الشباب  
فالإعلام وسيلة لتزويد الجماهير بالأخبار الصحيحة والمعلومات والحقائق الثابتة السليمة، التي تساعدهم على  
تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع ، أو مشكلة من المشكلات بحيث يعتبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن  
عقليات الجماهير واتجاهاتهم وميولهم (3) و هو وسيلة لنقل المعلومات والأفكار والتصرفات (4) وله دور كبير في  
التأثير على العقل الذي هو مركز الفكر والإبداع و مركز فرز الغث و السمين و الذي بإعماله يسمو الإنسان  
إلى الدرجات العلا و صناعة الفكر من أهم و أدق أنواع الصناعة  
لأن الفكر يعطي التصور و التصور هو الذي يحدد سلوك الإنسان في هذه الحياة  
و هو مكتسب و وسائل الإعلام المختلفة و الانترنت تساعد في صناعة الفكر لدى الشباب  
وتزداد أهمية الإعلام بالدور الكبير الذي يؤديه إذا وجه توجيهها سليماً ،من خلال الدعوة إلى المبادئ السامية بنشر  
الإسلام وتعاليمه ، فعندما توجه الناس توجيهها إعلامياً سليماً فإنه يؤدي إلى التزام الناس بالأخلاق الفاضلة الرفيعة  
ومن هنا كان من الخطأ الكبير أن يعمم المسلم فيقول : إن الصحف والمجلات أو برامج الإذاعة أو التلفاز كلها  
مفسدة للأخلاق ونشر الرذيلة ومحاربة الفضيلة(5).

و الإعلام بوسائله المتعددة يخاطب جميع فئات المجتمع ،فنجده يقدم برامج للأطفال وبرامج للشباب وبرامج  
للرجال، وبرامج للنساء، وبرامج رياضية وصحية ودينية في وسائله المتعددة من تلفاز وإذاعة وصحافة ومجلات  
،بل إن الكلمة الإعلامية في كثير من الأحيان تتحكم في خلق اتجاهات ومشاعر وأفكار معينة ، وقد إشارة الرسول  
صلى الله عليه وسلم لأهميته في ذلك من خلال قوله: "نصرت بالرعب مسيرة شهر يقذف في قلوب أعداي"(6).

1 - الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبدالله القرطبي (13/264)

2 - مفاتيح الغيب ،محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي ،دار إحياء التراث العربي . بيروت 2/326

3 - الإعلام الإسلامي ، إبراهيم إمام ، الإنجلو المصرية ، القاهرة، ص28

4 - وسائل الإعلام ، فليب أولت وزملاؤه، (ترجمة مشيل تكلا)، مكتبة الوعي العربي ،الفضالة، ص14

5 -- المدخل إلى الإعلام الإسلامي، صيني: د. سعيد إسماعيل صيني ، دار الحقيقة للإعلام، القاهرة، ص42

6- أخرجه مسلم في كتاب المساجد، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، رقم الحديث 115

وهذا يلقي على العلماء كاهل كبير في نشر الفكر الوسطي وإبراز وسطية الإسلام واعتداله وتوازنه، وترسيخه عبر وسائل الإعلام المختلفة؛ ليكون في انتشاره وجوده ضماناً للتوازن والاعتدال وتجسيد حقيقة الأمة الوسط في الأجيال

### الخاتمة

تعد الوسطية الحضارية التي هي حاجة ذاتية وإنسانية من أهم مزايا المنهج الإسلامي، وصفات الأمة الإسلامية بتوجيهها لها لاستغلال جميع طاقاتها وجهودها في البناء والعمران، المادي، والتربوي، والعلمي، والثقافي، من غير إفراط ولا تفريط، في سبيل تحقق التوازن بين الفرد والجماعة، وبين الدين والدنيا، وبين الروحانية والمادية، ومن هنا فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية :

1. إن الأمة الوسطية الحضارية هي أمة الأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية ما دامت ملتزمة بما يمليه عليها كتاب ربها وسنة نبيها .
2. إن وسطية الإسلام الحضارية يجب أن تمثلها في سلوكنا وأفكارنا وتعاملنا فيما بيننا أولاً ثم نقلها إلى غيرنا ثانياً.
3. إن غرس قيم التسامح والإيمان بالتعددية تتيح الفرصة الكاملة للحوار الحر الرشيد داخل المجتمع الواحد، وتكوين الاعوجاج الفكري بالحجة والإقناع
4. الإسلام لا يمنع من حسن التعامل مع غير المسلمين وبرهم ما داموا مسلمين لقوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين".
5. إن نشر المنهج الوسطي يمنع من الغلو والتطرف والإرهاب الذي يؤدي إلى تردي الأوضاع الأمنية، بين الناس
6. إن نشر الفكر الوسطي المعتدل بالوسائل المختلفة المتمثلة ب(الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام) من شأنه إيقاظ الوعي والإحساس بالمسؤولية واحترام الآخر في المجتمع
7. ضرورة تقديم الدعم الكامل للمؤسسات التي تدعو للفكر الوسطي ، كي تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية والتنشئة الديني والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطئ للإسلام.
8. إن الإسلام دين يقوم على أساس الخير والعدل والإحسان والمعروف وسلامة الصدر والحرية والمسؤولية واحترام الآخر .

## فهرس المراجع

1. الإعلام الإسلامي ، إبراهيم إمام ، الإنجلو المصرية ، القاهرة
2. أعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد ابن أبي بكر قيم الجوزية ،مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،  
مصر
3. تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقب  
بمرتضى ، الزبيدي، دار الهداية،
4. التحرير والتوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،مؤسسة التاريخ العربي،  
بيروت
5. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع
6. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار )،محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة
7. التفسير القرآني للقرآن ،عبد الكريم الخطيب ،دار الفكر العربي ، القاهرة.
8. التفسير الكبير مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" ،محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي ،دار إحياء  
التراث العربي . بيروت
9. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي ، مؤسسة  
الرسالة ،بيروت
10. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، مؤسسة الرسالة، بيروت،
11. الجامع الصحيح ،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دار الشعب - القاهرة،
12. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، دار  
الجيل بيروت
13. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي )،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري  
الخرجي شمس الدين القرطبي
14. الحضارة ، د. حسين مؤنس ، عالم المعرفة ،بيروت
15. ديوان أحمد شوقي (الشوقيات) ، أحمد شوقي، دار العودة ،القاهرة
16. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / محمود بن عبد الله الألوسي ، دار الكتب العلمية  
بيروت .
17. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي بيروت
18. سنن ابن ماجة، بن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،مكتبة أبي المعاطي
19. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني،دار الكتاب العربي . بيروت
20. شرح صحيح البخارى . لابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف القرطبي مكتبة الرشد - السعودية / الرياض  
"
21. شرح مقاصد الشريعة، الدكتور عياض،مكتبة المدينة ، السعودية
22. عون المعبود شرح سنن أبي داود ،أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المكتبة السلفية،المدينة  
المنورة
23. محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي دار الكتب العلمية ،بيروت
24. المجتمع الرباني ، محمد ابراهيم شقرة ،المجتمع الرباني ، دار البيرق ،عمان،

25. المجتمع المدني كما تنظمه سورة النساء، محمد محمد المدني ، مطبعة مخيمر ، القاهرة
26. معجم الفروق اللغوية ، أبوهلال الحسن بن عبد الله العسكري ، مؤسسة النشر الاسلامي ، إيران
27. المدخل إلى الإعلام الإسلامي، صيني: د. سعيد إسماعيل صيني دار الحقيقة للإعلام، القاهرة،
28. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، حمد بن محمد بن علي الفيومي
29. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وزملاؤه ، دار الدعوة، تركيا
30. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
31. مسند أحمد ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة - القاهرة ،
32. الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغزنائي الشهير بالشاطبي (المتوفى : 790هـ) ، دار ابن عفان
33. وسائل الإعلام ، فليب أولت وزملاؤه، (ترجمة مشيل تكلا)، مكتبة الوعي العربي ، الفجالة .



الجامعة الإسلامية - غزة  
كلية الشريعة والقانون

## معالم التجديد عند الإمام السالمي العماني (ت: 1332هـ/1914م)

إعداد

د. عبدالله بن سالم بن حمد الهنائي

الأستاذ المساعد بجامعة السلطان قابوس / سلطنة عمان / كلية التربية / قسم العلوم الإسلامية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..  
فإن العلماء ورثة الأنبياء، ولا يزال الله يحيي بهم ما اندرس، ويشحذ بهم الهمم، ومن بين أولئك العلماء، أحد علماء عمان الأفذاذ الإمام عبدالله بن حميد السالمي ت1332هـ/1914م الذي يعد بحق أحد الأعلام المجتهدين المجددين شكلا ومضمونا، فمن الإمام السالمي، وأين عاش وكيف؟ وما الدليل على اجتهاده وتجديده؟ وما معالم التجديد عنده؟  
لعل الأسطر القادمة -بحول الله- تحاول الإجابة عن هذه الأسئلة.

وقد تكون هذا البحث المتواضع من مقدمة \_هذه\_ ومبحثين وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.  
أما المبحث الأول فقد كان بعنوان "التعريف بالإمام السالمي وقد حوى التعريف به من حيث نسبه ومولده ونشأته وحياته العلمية وأهم تلامذته ومؤلفاته ووفاته ودوره الاجتماعي والسياسي.  
ثم جاء المبحث الثاني وهو بعنوان معالم التجديد عند الإمام السالمي، وقد ذكرت فيه ثلاثة أمور: التجديد الشكلي، والتجديد العلمي الحقيقي، وأخيرا التجديد العملي، أما خاتمة البحث فقد ضمنتها أهم النتائج المقتطفة من هذا البحث المتواضع، وأخيرا قائمة المصادر والمراجع التي رتبها على حسب الشهرة.  
فإن كان من توفيق في هذا البحث فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فمني، وما أبرئ نفسي.  
ولا أنسى أن أزجي خالص شكري وعظيم عرفاني للقائمين على المؤتمر الدولي المحكم والمنشور "تجديد الخطاب الديني" فجزاهم الله خيرا وبورككت جهودهم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.  
مسقط- ضحوة الاثنين 27 من صفرالخير 1440هـ  
5 نوفمبر 2018م

### المبحث الأول: التعريف بالإمام السالمي

#### المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه ومولده

أ. اسمه ونسبه: هو الشيخ عبدالله بن حميد بن سُلُوم (بضم السين وتخفيف اللام) بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي الضبي<sup>1</sup>.  
فهو -رحمه الله- من قبيلة السوالم الموجودة في أنحاء متفرقة من عمان، لكنها لم تشتهر ولم يكن لها صيت إلا بعد بزوغ فجره وظهوره على الساحة.

ويرجع أصل هذه القبيلة إلى نزار بن معد بن عدنان، فالشيخ وقبيلته إذاً عدنانيو النسب<sup>2</sup>.

#### ب. كنيته ولقبه:

##### (1) كنيته:

كني الإمام نور الدين السالمي بكنيتين:

أولاهما: يكنى بأبي محمد وذلك نسبة إلى أكبر أبنائه محمد بن عبدالله السالمي.

ثانيهما: يكنى بأبي شيبه نسبة إلى لقب ابنه الأكبر محمد الذي كان يلقب بالشيبه<sup>3</sup>

##### (2) لقبه:

اشتهر الإمام السالمي بلقب (نور الدين)، وله ألقاب أخرى، تدل في جملتها على شموخه في العلم، ومكانته بين أعلام وأعيان عصره، فعلى سبيل المثال، يلقب أيضا بـ (شمس العصر).  
كما يلقب أيضا بوحيد الدهر، وفريد العصر، والعلامة المحقق، والحبر المدقق، فخر المتأخرين، وغيرها من الألقاب، التي اشتهر بها بين الخاص والعام، كالمجتهد المطلق، ومجدد القرن الرابع عشر، كما ورد ذلك في بعض الأسئلة الموجهة إليه من علماء عصره<sup>4</sup>.

##### (ج) مولده:

ولد السالمي في بلدة الحوقين من أعمال الرستاق ومع اتفاق الباحثين على المكان، لكنهم اختلفوا في زمان مولده على أقوال خمسة<sup>5</sup>؛ أذكرها حسب تسلسلها التاريخي:

(1) ولد عام 1283هـ الذي يوافق 1866م ولهذا الرأي مستند يستند إليه وذلك ما ذكره الإمام السالمي نفسه في رسالة وجهت إليه وطلب فيه ذكر عمر المجيب فنكر: "من عبدالله بن حميد السالمي البالغ من العمر

<sup>1</sup> ينظر: السالمي، أبو بشير محمد بن عبدالله، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، ط دار الكتاب العربي بمصر، ص118.

<sup>2</sup> ينظر: الهاشمي، مبارك بن سيف، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات مع مقارنة بحث لنيل درجة الدكتوراه في الأزهر 1413هـ - 1993م، ص59.

<sup>3</sup> ينظر: الهاشمي، مبارك بن سيف، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات مع مقارنة بحث لنيل درجة الدكتوراه في الأزهر 1413هـ - 1993م، ص59.

<sup>4</sup> ينظر: أبو بشير نهضة الأعيان ص 118، والإمام السالمي العقد الثمين بتصحيح وتحقيق سالم بن حمد الحارثي (ط - دار الشعب \_ القاهرة بمصر) 7/1، 233، ومبارك الهاشمي، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات ص 58-59.

<sup>5</sup> ينظر: السيابي، خالد بن سالم، الدور الفقهي للإمام أبي محمد عبدالله بن حميد السالمي من خلال كتابه معرج الأمل، رسالة ماجستير قدمت لجامعة آل البيت بالأردن 1424هـ / 2004م مكتوبة لم تطبع ص27.

والقيام عمر حسن، مقدمة تحقيق كتاب طلعة الشمس، للإمام نور الدين السالمي، ط1 مكتبة الإمام نور الدين السالمي، ج 1، ص 14.

- ثلاثاً وأربعين سنة تقريباً الساكن القابل من شرقي عمان سنة 1326هـ<sup>1</sup> فإنقاص عمر الإمام من التاريخ المذكور يظهر عمره وزمان مولده.
- (2) ولد عام 1284هـ / 1867م ذكر هذه الرواية حفيد الإمام، عبدالرحمن بن سليمان السالمي في تحقيق كتاب "روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادعى قدم القرآن".
- (3) ولد عام 1286هـ / 1869م وهذه الرواية المشهورة لمولد الإمام وقد تتوقلت ولا أذكر لها مستنداً<sup>2</sup>.
- (4) ولد عام 1287هـ / 1870م نقل هذه الرواية محقق طلعة الشمس<sup>3</sup>، ومستنداً أنها هي السنة التي استشهد فيها الإمام سعيد بن خلفان الخليلي ولا يموت عالم إلا ويولد عالم مكانه كي يحمل شعلة العلم والعمل، وهذا غريب، فتواريخ الولادات تحفظ وتنتقل ولا تؤخذ هكذا بالمقاربات الغربية.
- (5) ولد عام 1288هـ / 1871م ومستند هذه الرواية هو أن الإمام السالمي ألف أول مؤلف بالرساق وكان عمره سبعة عشر عاماً وكان ذلك عام 1305 هجرية، ومع المقارنة بين وقت التأليف والعمر يظهر أنه ولد في هذه السنة المذكورة.

والذي يترجح أن ولادته كانت بين عامي 1283 - 1284هـ للسبب الذي نقلته قبل وهو أن الإمام نفسه كتب ما نصه "من عبدالله بن حميد السالمي البالغ من العمر ثلاثاً وأربعين سنة تقريباً الساكن القابل من شرقي عمان سنة 1326هـ" فعند إنقاص ثلاث وأربعين سنة من التاريخ المذكور 1326هـ يظهر تاريخ مولده مع مراعاة قول الإمام نفسه "تقريباً" وكذلك فإن الإمام نفسه لم يذكر الشهر فيحتمل 1283هـ ويحتمل 1284هـ وهو متقارب جداً.

### المطلب الثاني:

#### نشأته وحياته العلمية:

بدأ الشيخ حياته في بلدة الحوقين التابعة لأعمال الرستاق، وفي هذه القرية بدأ الشيخ يتعلم على يد والده القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف، كما هي العادة، ثم نشبت نار الخلاف بين قبيلة السوالم وقبيلة الخضور فهاجرت قبيلة الشيخ تاركة الحوقين إلى بلدة (الخبة) من بلدان الباطنة فلبث بها الشيخ إلى ما شاء الله من الزمان، وما هي إلا أيام من الدهر، حتى هاجر الشيخ منها إلى الرستاق، حيث منبع العلم والعلماء حينئذ، وهناك وجد الشيخ ضالته وبدأ ينتقل بين مشائخها الكبار كالشيخ راشد بن سيف للمكي<sup>4</sup> الذي كان يدرس في مسجد قصرى.

لما كان الشيخ ابن اثني عشر عاماً فقد بصره، ولكن الله عوضه ببصيرة تدرك الأشياء، وحافظة جبارة تحفظ كل ما تسمع.

وتمر الأيام على الشيخ وهو يدرس بالرساق وبدأت تظهر علامات النبوغ لمشاخه، فلاحظ الشيخ للمكي في تلميذه سرعة الفهم وقوة الذكاء، والحفظ الغريب، فأعجب به الشيخ وبدأ يقدمه على زملائه، ومن ذلك أنه رآه مرة يقرأ في كتاب لامية الأفعال فأخذ الاستغراب من الشيخ مأخذه، وقال له كيف تقرأ ما لا تفهمه؟ فقال: إنني أفهمه وأستطيع أن أشرح ما قرأت، فلما شرح له استغرب أكثر من قبل.<sup>5</sup>

1 ينظر: السالمي الشيبية، محمد بن عبدالله، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، ص 105.

2 ينظر السالمي، عبدالرحمن بن سليمان، مقدمة كتاب فيض المنان، ص 31

3 ينظر القيام عمر حسن، مقدمة تحقيق طلعة الشمس ج 1 ص 14

4 ستأتي ترجمته حين الكلام على مشائخ الإمام (رحمه الله).

5 ينظر: أبو بشير، نهضة الأعيان، ص 118 - 119، والإمام نور الدين وأراؤه في الإلهيات لمبارك الهاشمي، ص 61 -

63، والسالمي، عبد الرحمن بن سليمان، مقدمة تحقيق روض البيان، ص 31 - 32.



وهكذا أخذ الإمام النور السالمي ينتقل بين جنبات الرستاق العامرة بالعلماء وأهل العلم، حتى أصبح ممن يشار إليهم بالبنان، وهناك بدأ التأليف وهو ابن سبعة عشر عاما وكان ذلك عام 1305هـ.<sup>1</sup>

وإذا العناية لاحظتك عيونها  
نم فالمخاوف كلهن أمان

#### رحلته إلى الشرقية:

كان الإمام نور الدين السالمي وهو بالرستاق يسمع عن الشيخ المحتسب المجاهد صالح بن علي الحارثي<sup>2</sup> (رحمه الله) أحد أقطاب عمان في ذلك العصر الذي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فأعجب بسيرته فشد رحله إليه سنة 1308 هـ، وكان أول ما وصل إلى الشرقية أقام عند الشيخ سلطان بن محمد الحبسي في بلد المضبيي من شرقية عمان، ومنها ذهب ليزور الإمام المحتسب صالح بن علي، وفي أثناء الجلسات معه أعجب الإمام المحتسب بنور الدين السالمي، وطلب منه أن ينتقل إليه ليسكن بجواره.

فوجد الشيخ ضالته، وهناك أقام متعلما ثم مدرسا، فألف وعلم وخرج على يديه أفذاذ عمان الذين ذاع صيتهم وما زالت بركاتهم تنهمر على عماننا إلى يومنا هذا.<sup>3</sup>

وفي سنة 1314 هـ توفي الشيخ المحتسب صالح بن علي الحارثي (رحمه الله) فكان لوفاته الأثر الكبير على النور السالمي، فأصبح الحمل عليه أثقل من قبل والمعاناة في أمور المسلمين أكثر مما مضى، وتمر الأيام وتتعاقب الشهور والأعوام والنور السالمي قائم بدور رائد الإصلاح، معلما ومنبها حتى عام 1323 هـ ففكر في الذهاب إلى أداء فريضة الحج وهناك التقى بعلماء الإسلام من مختلف المذاهب وتناقش معهم فيما يخص المسلمين، فاطلع على كثير مما يحكيه أعداء الإسلام ضد المسلمين وخاصة ضد رواد الإصلاح، وفي رحلته هذه اطلع على كثير من علوم الحديث، واقتنى كثيرا من كتبها، ثم عاد أدرجه إلى عمان لمواصلة مشوار نشر العلم والقيام بالإصلاح السياسي، فبدأ بالاتصال بالأعيان في مختلف الأماكن من عمان للقيام بأمر الإمامة حتى وفقه الله.

فعدت الإمامة لإمام العدل والإحسان سالم بن راشد الخروصي<sup>4</sup> (رحمه الله).<sup>5</sup> كانت تتأجج في صدره من جراء تفرق المسلمين وتركهم لدينهم إلى أن أدى ذلك إلى طمع خصومهم فيهم، وتكالبهم عليهم.

ومما كان يردده "ذهبت المروعة، ذهبت الغيرة"، "طمع فينا الخصم، طلبنا بالمكايد ونصب لنا الحبائل فإننا لله وإنا إليه راجعون" ومن قوله شعرا:

حرب النصرارى اليوم بالدواهي  
والكل منا غافل ولاهي

فيأخذون الدار بالخدائع  
وإنها أقوى من المدافع<sup>6</sup>

<sup>1</sup> أبو بشير، نهضة الأعيان ص 119.

<sup>2</sup> ستأتي ترجمته بإذن الله عند أثناء ذكر مشائخ النور السالمي.

<sup>3</sup> ينظر: أبو بشير نهضة الأعيان، ص 119، مبارك الهاشمي، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات، ص 64-

68. والسالمي، عبدالرحمن، مقدمة تحقيق روض البيان، ص 34.

<sup>4</sup> ستأتي ترجمته حين الكلام عن تلاميذ الإمام السالمي (رحمه الله).

<sup>5</sup> ينظر تفصيل هذا عند: أبو بشير، نهضة الأعيان، ص 153 - 191، ومبارك الهاشمي، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه

في الإلهيات، ص 69 - 81، والسالمي، عبدالرحمن، مقدمة تحقيق روض البيان ص 34.

<sup>6</sup> يراجع فيما مضى من صفاته ولمزيد منها: أبو بشير، نهضة الأعيان، ص 119 - 121، والحارثي، سعيد بن حمد،

اللؤلؤ الرطب في إبراز مستودعات القلب، (ط: ب: د) ص 59 - 62، و الهاشمي.

### المطلب الثالث: مشايخه وتلاميذه

(أ) **مشايخه:** من كانت هذه صفاته، فلا بد وأن يكون قد مر بمراحل متعددة وأخذ من مشايخ متعددين واستنار بنورهم وأخذ من علمهم وفكرهم، ولالإمام النور السالمي مشايخ كثيرون يصعب حصرهم، وإنما نذكر أهمهم فإليكم<sup>1</sup>:

1. الشيخ المحتسب الأمير صالح بن علي الحارثي 1250 - 1314 هـ. ولد بولاية القابل عام 1250 هـ، توفي عنه أبوه وهو صغير فزاده ذلك رغبة في طلب العلم فرحل إلى علامة عصره الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي فأخذ عنه إلى أن أصبح ممن يشار إليهم بالبنان فرجع إلى بلده ومسقط رأسه معلما، وأمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر ملحا لما اعوج من الأمور، وكان ممن تتلمذ على يديه النور السالمي فقها وفكرا وسلوكا، وهكذا مرت أيامه إلى أن توفاه الله سنة 1314 هـ<sup>2</sup>.
2. الشيخ راشد بن سيف بن سعيد اللمكي 1262 - 1333 هـ. ولد بمحلة قصرى من الرستاق وترعرع هناك إلى أن أصبح قاضيا ومعلما، وممن تتلمذ على يديه النور السالمي وكان مناصرا للحق وناصحا للمسلمين إلى أن توفاه الله في الرستاق سنة 1333 هـ<sup>3</sup>.
3. الشيخ ماجد بن خميس العبري 1252 - 1346 هـ، ولد هذا الشيخ سنة 1252 هـ بالحمراء فرحل إلى الرستاق لأخذ العلم عن علمائها حينئذ، وبعد أن أخذ قسطا وفيرا من العلم استقر هناك وبدأ يدرس وكان ممن درس على يديه الإمام النور السالمي، وخاصة في علوم اللغة والأدب إلى أن هاجر كل منهما فالنور هاجر إلى الشرقية والشيخ ماجد إلى مسقط رأسه الحمراء مدرسا ومعلما، إلى أن توفاه الله سنة 1346 هـ<sup>4</sup>.

### (ب) تلاميذه:

بعد أن وفق الله الإمام السالمي لنيل حظ وافر من العلم والمعرفة في اللغة والفقه وأصوله بفضل مشايخه الذين أخذ عنهم، وجهوده المتواصلة في الحفظ والاطلاع على مختلف الكتب صغيرها وكبيرها أنشأ مدرسة لتخريج الأجيال، فجاء إليه الطلبة من مختلف أنحاء عمان، ضاربين أكباد الإبل في سبيل الوصول إليه والنهل من بحره المتلاطم، وتخرج على يديه رجال عرفهم البعيد قبل القريب وسجل لهم التاريخ مآثر تعجز الأقلام عن وصفها بما لهم من محامد، وما أحسن ما قاله أحد<sup>5</sup> العلماء المغاربة في مقدمة ترجمته للنور السالمي في كتاب جوهر النظام "تلاميذه كثير لا نبالغ إذا قلنا إن رجال العلم اليوم بعمان جلهم من تلاميذه وقد نبغ منهم كثير"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> يكون الترتيب على حسب تأريخ الوفاة فالأقدم وفاة هو الأول ذكرا وهكذا.

<sup>2</sup> ينظر في ترجمته: أبو بشير، نهضة الأعيان ص 83 - 87، ت، والحارثي، سعيد بن حمد، واللؤلؤ الرطب، ص 62 - 114.

<sup>3</sup> ترجمته مفصلة في نهضة الأعيان لأبي بشير، ص 450 - 458، الهاشمي، مبارك، الإمام السالمي وآراؤه في الإلهيات ص 92 - 93.

<sup>4</sup> ترجمته مفصلة عند: أبي بشير، نهضة الأعيان، ص 450 - 458، الهاشمي، مبارك، الإمام السالمي وآراؤه في الإلهيات ص 92 - 93.

<sup>5</sup> هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش الجزائري (رحمه الله) في مقدمة الجوهر ج 1، ص 15.

<sup>6</sup> مقدمة كتاب جوهر النظام للشيخ أبي إسحاق، ج 1، ص 15.

نعم لقد نبغ منهم كثير وتولوا أعمال العظماء وقادوا هداية الأمة في ميادين شتى فمنهم من تولى الإمامة العظمى وضرب أروع الأمثلة في العدل والورع والزهد كالإمام سالم بن راشد الخروصي (رحمه الله) والإمام محمد بن عبدالله الخليلي (رحمه الله)، ومنهم من تولى ولاية بعض الأقاليم قضاء وتدريسا وبناء، فضرب أعلى أمثلة للوالي المسلم وما ينبغي أن يكون عليه من زهد وورع وخدمة للناس، ومن هؤلاء الصنف أبو زيد الريامي الذي تولى إدارة بهلا.

وبحق كان تلاميذ الإمام النور السالمي شعلة اتقدت في ذلك الزمان ولا تزال تنير في سماء عمان إلى يوم الناس هذا، وعلى كل فأنا لست بصدد حصر تلاميذ النور السالمي وإنما أذكر بعضا منهم<sup>1</sup>:

1. الإمام العدل سالم بن راشد الخروصي 1301 - 1338 هـ لازم النور السالمي منذ أن بلغ الحلم إلى أن عقدت له الإمامة العظمى في الثاني عشر من جمادى الثانية سنة 1331 هـ وكانت له منزلة خاصة عند النور السالمي حتى إنه زوجه ابنته وبقي في إمامة المسلمين أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر منفذا لحدود الله حتى توفي شهيدا في سبيل الله، فقتل ليلة الخامس من شهر ذي القعدة 1338 هـ.

2. الشيخ الوالي العامل أبو زيد عبدالله بن محمد الريامي 1301 - 1364 هـ هاجر أبو زيد من بلده إزكي بداخلية عمان إلى النور السالمي في شرقية عمان قصدا لتحصيل العلم والعمل حتى أصبح من أخص تلاميذ النور السالمي بل إنه اتخذه كاتباً خاصاً له، فأكثر مؤلفات النور السالمي مكتوبة بخطه ثم عينه الإمام سالم واليا له على بهلا، وبعد وفاته مدد له الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، حتى وافته منيته والمسلمون عنه راضون وأسعيه شاكرون، فتوفي في الثالث من رجب سنة 1364 هـ.<sup>2</sup>

3. الشيخ الأمير عيسى بن صالح بن علي الحارثي 1290 - 1365 هـ وهو ممن لازم الشيخ السالمي وخاصة بعد وفاة والده، فأخذ عنه العلم وكان مضرب المثل في التقوى والعمل الصالح، وكان رجلاً شجاعاً مقداماً نصر الحق وأهله، وله مؤلفات منها: رسالة في منع الإسقاط بالجوارح وغيرها.<sup>3</sup>

4. الإمام العدل الولي محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي 1299 - 1373 هـ كان من بيت شرف وعلم أخذ مبادئ العلم عن والده وعمه أحمد بن سعيد الخليلي ثم هاجر لطلب العلم، فتتلمذ على يدي الشيخ السالمي وعنه أخذ الفقه وأصوله، وبعد وفاة الإمام سالم بن راشد الخروصي ببيع له بالإمامة في يوم الجمعة الثالث عشر من ذي القعدة 1338 هـ فسار في المسلمين سيرة حسنة وعرف بالزهد والورع والعدل والعلم والشجاعة حتى توفاه الله يوم الاثنين ليومين بقين من شهر شعبان سنة 1373 هـ فرحمة الله عليه.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سيكون ذكرهم على حسب أقدمية وفاتهم، فأقدمهم وفاة يكون أولاً وهكذا.

<sup>2</sup> ينظر: أبو بشير، نهضة الأعيان، ص 126، الهاشمي، مبارك، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات ص 98.

<sup>3</sup> ينظر: أبو بشير، نهضة الأعيان، ص 87 - 99، 125، الهاشمي، مبارك، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات ص 99 - 100.

<sup>4</sup> ينظر: أبو بشير، نهضة الأعيان، ص 125، 503 - 504، الهاشمي، مبارك، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات ص 104.

#### المطلب الرابع: مؤلفاته ووفاته:

قد يستغرب الإنسان ويأخذه العجب عندما يطلع على مؤلفات الإمام السالمي وإنها بلغت من الكم والكيف مبلغا يعجز اللسان عن وصفه والقلم عن مده والتعريف به، إذا عرفنا أن الإمام السالمي قد شغل بالإصلاح الاجتماعي والسياسي فأين الوقت للتأليف وخاصة في الفقه وأصوله والحديث وعلومه والتي تحتاج إلى عناء واطلاع واسع وتفرغ للوقت والجهد ولكن الله يبارك في الوقت ويوسعه لمن شاء لحكمة أرادها - عز وجل - فيعمل الإنسان في الوقت القصير العمل الكثير وهكذا كان الإمام نور الدين السالمي فالمكتبة الإسلامية زاخرة بكتبه الكثيرة وتأليفه المفيدة والتي تجاوزت الثلاثين في عددها في مختلف العلوم اللغوية والفقهية والحديثية وهي ما بين مطولات ضخمة تصل إلى مجلدات ورسائل صغيرة، وما أنا ذا أذكر مؤلفاته مع التعريف بكل منها بشيء من الاختصار:

#### (أ) في الحديث وعلومه:

شرح الجامع الصحيح من مسند الإمام الربيع بن حبيب في ثلاثة أجزاء سلك فيه المؤلف سبيل أهل الحديث في الشرح والتخريج وهو يدل على علمه الغزير وسعة اطلاعه وقد طبع الكتاب عدة مرات.

#### (ب) في أصول الدين (العقيدة):

1. غاية المراد في الاعتقاد قصيدة لامية في بضع وسبعين بيتا شرحت عدة مرات، وآخر من شرحها سماحة شيخنا العلامة الخليلي (حفظه الله).
2. أنوار العقول أرجوزة في علم الكلام تزيد على ثلاثمائة بيت طبعت عدة مرات.
3. بهجة الأنوار شرح مختصر للأرجوزة السابقة وقد طبعت عدة طبعات.
4. مشارق أنوار العقول شرح مطول واف لأرجوزة أنوار العقول علق عليه وصححه سماحة شيخنا العلامة الخليلي (حفظه الله) وقد طبع عدة مرات.

#### (ج) الفقه وأصوله:

1. شمس الأصول أرجوزة في أصول الفقه تقع في ألف بيت تقريبا طبعت مع شرحها.
2. طلعة الشمس وهو شرح للأرجوزة السابقة.
3. جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام أرجوزة سهلة المأخذ في العقيدة والفقه والحكم تقع في ستة عشر ألف بيت تقريبا مطبوع ومتداول ومعروف عند العامة قبل الخاصة.
4. معارج الآمال على مدارج الكمال شرح أرجوزة مدارج الكمال في نظم مختصر الخصال، ولكنه لم يتم فعاجله ريب المنون والكتاب طبع من قبل وزارة التراث العمانية في ثمانية عشر جزءا وهو من أوسع مؤلفاته وأغزرها مادة وعلما، ثم طبع مؤخرا محققا من قبل أحفاد الشيخ.
5. حل المشكلات وهو كتاب حل فيه ما أشكل على تلميذه أبي زيد في بعض مختلف العلوم الشرعية وقد طبعت وزارة التراث بعمان.
6. تلقين الصبيان فيما يلزم الإنسان وهي رسالة صغيرة مختصرة في أصول الدين والفقه الأباضي وهذا الكتاب أول ما يدرس للناشئة في عمان وقد طبع مرات لا تحصى.
7. الحجج الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة رسالة رد فيها على من ادعى العلم والاجتهاد من أهل زمانه<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> لم أوفق إليه وإنما ذكره ابن المؤلف أبو بشير في نهضة الأعيان ص 130.

8. العقد الثمين نماذج من فتاوى نور الدين قام بإخراجه سالم بن حمد الحارثي وطبع منقحا ومزادا عليه بعض الأجوبة الأخرى تحت عنوانه (جوابات الإمام السالمي).

#### (د) في اللغة والأدب والفكر والعروض

- 1- بذل المجهود في الرد على النصارى واليهود رسالة مهمة كثيرة الفوائد عظيمة المعاني أوضح فيها الشيخ ما يقوم به المستعمرون من مشكلات وإضعاف للمسلمين بطرق مختلفة وقد طبع الكتاب أخيرا.
- 2- بلوغ الأمل في المفردات والجمل منظومة في المفردات والجمل في علم النحو (300) بيت وهو أول مؤلفاته وشرحه وقد طبع الكتاب مع شرحه من قبل وزارة التراث بعمان.

#### (هـ) التاريخ وما يتعلق به

- 1- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان وهو كتاب يتعلق بتاريخ عمان منذ عصر الجاهلية وحتى أحداث سنة 1328هـ الموافقة 1910م ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع في التاريخ العماني وقد طبع الكتاب عدة مرات.

هذه أهم مؤلفاته (رحمه الله) وإن الناظر فيها بعين الاعتبار لتأخذه الدهشة ويستحوذ عليه الاستغراب من ملكته وقوة حافظته وفكره الثاقب فهو قد أحدث نقلة كبيرة في عمان فأكثر علماء بلده كانوا مهتمين بالفقه ولكنه خرج بهم من هذا المجال إلى مجال أوسع وأرحب وأراد أن يوسع مدارك الناس وعقولهم فكتب في التاريخ لأنه يبين أخبار الماضين فيعتز بهم، وفوق هذا وذاك فهو ألف لمختلف السنين والأعمار فألف للأطفال تلقين الصبيان في الفقه وغاية المراد في الاعتقاد وألف الجوهر للعامّة وألف شرح الجامع للمعنيين بالحديث وعلومه وألف في أصول الفقه ليبيّن أهمية هذا العلم.

#### المطلب الخامس:

##### دوره السياسي وقيامه بالإصلاح الاجتماعي:

جاء في مقدمة كلمة قالها حفيده الشيخ سليمان: "لقد كان (رحمه الله) من الذين قطعوا علائق الشهوات وأسرجوا مراكب المجد بصدق العزمات واتجهوا إلى الله بصالح العمل وإخلاص النية وتوسلوا إليه بصفاء القلب وصدق الطوية".<sup>1</sup>

نعم لقد كان النور السالمي هكذا، أخلص النية فوفق إلى عمل الصالحات والبعد عن السيئات، ولقد كان (رحمه الله) همه إصلاح مجتمعه والبعد به عن سفاسف الأمور ولم يكن محصورا بين جدران مدرسته يعلم طلابه فقط باعتباره مفكرا ومعلما بل كان رجل سياسة وحنكة فمنذ أن بلغ درجة من العلم انتقل إلى العمل الجاد الذي يحقق للأمة الإسلامية سعادتها ويرفع في أرجاء المعمورة رايتها فاستطاع أن يرسم سياسة البلاد في ظرف قصير من الزمن وكان كثيرا من ما يعاتب بعض مشائخه شاحدا همهم للقيام بأعباء الأمة ورفع راية الحق وإخراج المستضعفين من جور الطغاة وعسف الظلمة فقد كان كما وصفه عز الدين التنوخي "وبذلك نهض المترجم له ببلاده وأقصى عنها أخطار الاستعمار وما في عمان اليوم من علماء إلا وهم تلاميذه ولا فيها من روح قومية مقاومة للمستعمرين إلا منه فهو مغرم نارها وملهب أوارها"<sup>2</sup>، كيف لا وقد أصلح الداخل وحرص على مقاومة المستعمر بكل صوره وأشكاله فلعب دورا رياديا في إعادة الإمامة إلى عمان حتى وفقه الله فعقدت الإمامة للإمام العدل سالم بن راشد

1 مجموعة مؤلفين، قراءات في الفكر السالمي (ط وزارة التراث القومي والثقافة، 1413هـ / 1993م) ص 13.

<sup>2</sup> عز الدين التنوخي، مقدمة على شرح الجامع الصحيح للإمام السالمي المجلد الأول، ص ط

الخروصي في الثاني عشر من جمادى الثانية عام 1331هـ فقام هذا الإمام برعاية المستضعفين وضرب أروع الأمثلة في العدل والإحسان.

فلقد كان الإمام السالمي كما وصفه ابنه صاحب النهضة "كان ضريرا يحتاج إلى قائد يهديه السبيل فأصبح يهدي الشعب البسيل كان لا جند له إلا التقوى وكفى بها، فأصبح يؤلف من الشعب جندا، كان فقيرا لا مال له فأصبح يجر الجيوش الضخمة ويبتز المعازل من أيدي الجبابرة الظلمة.."<sup>1</sup>

#### (ك) وفاته:

بعد رحلة طويلة مفعمة بالجد والاجتهاد والإخلاص والعمل الجاد في خدمة الإسلام والمسلمين علما وعملا قيادة وإصلاحا بناء وتأليفا، وبعد أن وفقه الله لما يصبو إليه ويتطلع له أصيب في طريقه إلى بلد الحمراء حين ذهب لمناقشة علمية مع شيخه ماجد بن خميس العبري أثر اصطدامه بغصن شجرة أمبا (مانجو) ونقل إلى بلدة تنوف من أعمال نزوى وبعدها بأيام فارق الحياة ذاهبا إلى ربه وصلى عليه تلميذه أبو زيد محمد بن عبدالله الريامي، وذلك بعد العتمة من ليلة الخامس من أفر الربيعين سنة 1332هـ<sup>2</sup>، وقبره لا يزال موجودا ومعروفا ببلدة تنوف على سفح الجبل الأخضر (فرحم الله نور الدين السالمي وأسكنه فسيح جناته ونفعنا بعلمه وسيرته وقبض لنا من أمثاله).

<sup>1</sup> الهاشمي، مبارك، الإمام نور الدين السالمي وأراؤه في الإلهيات، ص134.

<sup>2</sup> المرجع السابق ص133.

## المبحث الثاني: معالم التجديد عند الإمام السالمي

### تمهيد:

التجديد كلمة مستحدثة عند المتأخرين، وهي نابعة من كون الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، للعموميات والإطلاقات التي فيها، وبالمقابل فإن هناك ما يعرف بالثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية، فالثوابت هي العقائد والأخلاق والأصول الكلية للشريعة، وهذه لا تقبل التحديث إلا شكليا بإعادة صوغها بقلب عصري يسهل فهمه واستيعابه، أما المتغير فهي المجالات التي يمكن فيها التجديد والتحديث شكلا ومضمونا.

ومن هنا لم يفتأ علماء الإسلام على اختلاف أمصارهم ومذاهبهم من التجديد ومن الدعوة إليه حتى الجانب الشكلي على أقل تقدير، ومن هؤلاء الإمام السالمي -كما رأينا في ترجمته- ويعتبر أحد المجددين المعاصرين في عمان الذين كان لهم قصب السبق في هذا المجال على أنه لا يمكن لنا أن نقيس التجديد عند الإمام السالمي -قبل أكثر من مائة عام- بالتجديد اليوم والذي وجدت فيه المجمع الفقهي وثورة المعلومات وتقارب الأقطار والأمصار. وبناء على ما سبق فيمكن النظر إلى التجديد عند الإمام السالمي -كما هو حاله في عصره ومصره- من ثلاثة جوانب رئيسة مهمة:

1- الجانب الشكلي

2- الجانب العلمي الحقيقي

3- الجانب العملي

### المطلب الأول: التجديد عند الإمام السالمي من الجانب الشكلي الخارجي.

بالنظر إلى ترجمة الإمام السالمي ومؤلفاته في حقول المعارف الشرعية واللغوية والتاريخية والفكرية؛ يتبين أن الرجل جدد في جوانب متعددة هي:

1- التدرج في التأليف تبعا للفئة المستهدفة للقراءة، فقد ألف لصغار الطلبة تلقين الصبيان فيما يلزم الإنسان، وأودعه أهم الأمور التي ينبغي للمسلم معرفتها في العقائد والأمور العبادية والأخلاق، كما أنه ألف للعامّة جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، وهو كتاب نظم فيه أبواب الشريعة كلها ضمنه العقائد والفقّه والأخلاق، وإنما فعل ذلك لأنّ العامّة من الناس لم تكن تحسن القراءة والكتابة لكنها تعتمد على السماع كما هو حال العرب الأوائل، فكان هذا الكتاب سمير الناس في مجالسهم فأخذوا منه أهمّ الفقّه والأخلاق وحفظوا منه أبيات كثيرة، كما أنه ألف لطلبة العلم كتاب معارج الآمال، فأودع فيه فقّه المذهب الإباضي مقارنا إياه بالمذاهب الأربعة، وفقّه الصحابة والتابعين.

كما أنه ألف شمس الأصول وشرحه طلعة الشمس، وهو كتاب في أصول الفقّه لطلبة العلم المتقدمين نقدر أن نسميهم الفئة المتميزة.

وفي المقابل شرح مسند الإمام الربيع على طريقة المحديثين، وفي التاريخ جمع كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، وأودع فيه أهم أخبار عمان وأتمتها وحكامها.

وألف في العقائد منظومتين؛ غاية المراد للطلبة الصغار، وأنوار العقول للطلبة المتقدمين شرحها بشرحين الأول بهجة الأنوار وهو يصلح للطلبة المتوسطين، والثاني مشارق الأنوار وهو يصلح للطلبة المتقدمين والعلماء الراسخين.

كذلك لم ينس اللغة العربية فقد ألف في نحوها وعروضها، وكأن لسان حاله يقول: أتيت على ما يحتاجه الخاصة والعامّة الكبار والصغار وهذا في حد ذاته يعتبر تجديدا بالمعنى الشكلي.

## 2- التجديد في المادة العلمية وطريقة عرضها.

كان الإمام السالمي باحثاً رغم فقدانه بصره، فكثيراً ما كان يعتمد على طلابه في القراءة له، ومما يمكن أن يظهر للمتتبع لتأليفاته أنه جدد في المادة العلمية من حيث غزارتها وكثرتها، فكثيراً ما كان يعرض آراء العلماء المتقدمين من علماء المذهب الإباضي خاصة المشاركة منهم، وينقل عن علماء المذاهب الأخرى وعلماء الحديث خاصة في شرحه على مسند الربيع، وهذا لا يظهر للباحث إلا عند المقارنة بمن سبقه ممن ألف في الفقه الإباضي خاصة أهل عمان منهم.

ومن ناحية ثانية يظهر عند الإمام السالمي طابع الابتكار في طريقة العرض والتبويب، فقد كان من سبقه من العلماء -في الأعم الأغلب- يسردون الفقه على شكل مسائل في أبوابها تنتقل عن سبق من العلماء دون إضافة تذكر، بيد أن هذا كله لا ينال من جهود أولئك الفقهاء في توفير ونقل المادة العلمية للباحثين والدارسين.<sup>1</sup>

فكان مما جده أنه كان يعرض الفقه وأصوله على طريقة الفقهاء الذين يقارنون من حيث البدء بالتعريفات والمصطلحات وذكر الأقوال وأدلتها وذكر الرأي الراجح مع أدلته، وكل ذلك بأسلوب سهل مرتب وفي كل الأبواب<sup>2</sup>

ولم يكن هذا الأمر مصادفة فقط، وإنما كان منهجاً تجديدياً يستطيع الباحث رمقه وملاحظته في كل كتب الإمام السالمي سواء في الفقه أو العقائد أو في اللغة والتاريخ.

## 3- بروز صفة المقارنة وتأسيس الأقوال ونسبتها إلى أصحابها داخل المذهب الإباضي نفسه.

المتتبع لكتابات الإمام السالمي يجد أنه جدد في طريقة عرض آراء مذهبه من حيث المقارنة بين الفقه المغربي والمشرقي، وبين المدرسة النزوانية والرساقيية في باب الفكر، وبين مدرسة أبي محمد ابن بركة وبين مدرسة أبي سعيد الكدومي وبين فقهاء نزوى وإزكي وصحار وغيرها من الحواضر العمانية، كما أنه كان مجدداً في طريقة عرض تلك الأقوال من حيث ذكر أدلتها من الكتاب والسنة ووجه الاستدلال لها.<sup>3</sup>

وهذا وإن كان تجديداً لكنه يبقى إلى الشكلي أقرب منه إلى المضمون الحقيقي للتجديد.

## المطلب الثاني: التجديد العلمي الحقيقي عند الإمام السالمي

سبق القول في المطلب السابق أن الإمام السالمي كان مجدداً في طريقة التأليف والعرض والتبويب على الطريقة الشكلية الظاهرية، لكن له أيضاً تجديد علمي حقيقي بالمعنى الدقيق للكلمة ويمكن أن يظهر ذلك من خلال أمور عدة:

### 1- إعطاء الكتاب المؤلف الصبغة المقارنة (العالمية)

<sup>1</sup> ينظر: باجو مصطفى، مناهج التجديد لدى فقهاء عمان المعاصرين 328

<sup>2</sup> ينظر: السيابي، خالد بن سالم، الدور الفقهي للإمام السالمي من خلال معارج الآمال، ص164

<sup>3</sup> ينظر: خالد السيابي، الدور الفقهي، ص168 وما بعدها، وباجو مصطفى، مناهج التجديد لدى الفقهاء المعاصرين



هذا الأمر جد مهم، ذلك أن الإمام السالمي حين يؤلف في الفقه وأصوله والفقه الأكبر (العقائد) يعطي ما كتبه صبغة المقارنة مع المذاهب الإسلامية المنتشرة خاصة المذاهب الأربعة، وعلى وجه الخصوص المذهبين الحنفي والشافعي، ولعله يريد الوصول من عمله هذا إلى أمرين اثنين:  
أ. الخروج بتلاميذه إلى العالمية الإسلامية وتعويدهم على هذا.  
ب. الإشارة -ولو من طرف خفي- إلى من يقرأ كتابه أن المذهب الإباضي لا يخرج عما قيل في المذاهب الفقهية بصفة عامة.

2- دعم الفروع الفقهية والفتاوى بالأدلة الشرعية، فقد كانت أغلب الكتب العمانية المؤلفة تعتمد على النقل عن سبق من العلماء من دون الحاجة إلى ذكر الأدلة في الأعم الأغلب، فتؤخذ على أنها مسلمت جاءت عن ثقات، فلما جاء الإمام السالمي جدد في المنهج فأورد للمسائل الفرعية أدلتها مناقشا لها بل أحيانا يرد بعضها ويرجح ما يراه وفق الدليل،<sup>1</sup> وهذا بحد ذاته يعد تجديدا خاصة في ذلكم العصر الذي كان المجتمع العماني لا يخرج إلا في نطاق ضيق.

3- إيجاد الحلول للمستجدات بالمخارج الشرعية عند الحاجة دون إغفال المقاصد الشرعية.<sup>2</sup>  
يمكن القول إن الإمام السالمي كان يحب طابع العالمية للإسلام ويطبق هذا في حياته ومع طلابه وفي فتاويه، ومما يدلنا على ذلك أنه كان يجيب عن أسئلة ترده من خارج عمان خاصة في المسائل المستجدة حينئذ، ومن ذلك مسألة التزويج برأي الإناث دون الذكور في البلاد الأفريقية، وقد أجابهم بقوله: "بلغني أن النساء عندكم يملكن أنفسهن ويتبعن أهواءهن بزعم الحرية من النصارى، فإن كان الأمر على هذا الحال فالأولى السكوت والتمسك بالزوجية خير من السفاح".<sup>3</sup>

والإمام السالمي في هذا مجدد عامل بما قيل: إن الرخص تبذل لمن وقع فيها لا لطالبها قبل الوقوع فيها<sup>4</sup>  
4- أفراد مسائل واقعية بتأليف خاص.

تحدث حادثة ما أو يحصل بين الإمام نور الدين السالمي وغيره من الفقهاء أو طلاب العلم أو السائلين عموما بعض المناقشات العلمية، فيفرد لها الإمام السالمي رسالة خاصة يجمع المسألة من كل جوانبها ويبين جميع ما فيها من مناقشات، إخلاصا للعلم وإبراء للذمة، ومن ذلك ما حصل بينه وبين أحد الناس حيث ادعى أنه مجتهد، فألف الإمام السالمي كتابا سماه الحجج الواضحة في الرد على التلفيقات الفاضحة، ومن ذلك أنه سأله تلميذه أبو زيد عبدالله بن محمد الريامي عن بعض المسائل فألف له كتابا سماه حل المشكلات<sup>5</sup>

5- تجديد مصادره العلمية والمزج بينها.  
كان المؤلفون خاصة في الفقه يحذون عدم الخروج في مصادرهم العلمية عن الإطار المذهبي إلا فيما ندر، بيد أن الإمام السالمي كان عالمي الطابع والنظرة، فقد أخذ من مصادر عدة من غير المذهب الإباضي خاصة بعد ذهابه إلى الحج هـ 1323 فقد اشترى كتبا عديدة، خاصة الحديث وشروحه، ومن هنا يمكن القول إن هذا في حد ذاته يعد تجديدا بالنظر إلى من سبقه وبالنظر إلى المعارف الموجودة في كتبه إضافة

<sup>1</sup> ينظر: السيابي، خالد بن سالم، الدور الفقهي للإمام السالمي ص، 194 وأبو غدة، عبد الستار، جوابات الإمام السالمي والتجديد المذهبي، ص 437

<sup>2</sup> ينظر: أبو غدة، عبد الستار، جوابات الإمام السالمي، والتجديد المذهبي ص 440

<sup>3</sup> السالمي، جوابات الإمام السالمي ج 2 ص 415

<sup>4</sup> ينظر: السالمي، الجوابات، ج 2 ص 474

<sup>5</sup> ينظر: السيابي، الدور الفقهي للإمام السالمي ص 41

إلى أنه كان يأخذ من كتب الحديث شروحا فيوظفها في الفقه، ويأخذ من كتب الفقه ويوظفها في شرح الحديث وكذا سائر العلوم الأخرى.<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: التجديد العملي عند الإمام السالمي

لعل الهدف من الدراسات النظرية بمختلف أنواعها وأشكالها هو الوصول إلى تجديد عملي يرقى بالأمة إلى مصاف الأمم التي أخذت بركب الحضارة، ولعل السالمي هو أحد المجددين في العالم الإسلامي والعربي وعلى أقل تقدير في بلده عمان، ومما عمله في هذا الجانب وكان ظاهرا للعيان ويمكن أن يكون تجديدا في حد ذاته ما يلي:

1- الجمع بين الاهتمام بالعلم النظري وتنشئة الشباب نشأة صالحة.

اهتم الإمام السالمي بالجانب العلمي ولا أدل على ذلك من كثرة مؤلفاته في مختلف حقول المعارف الشرعية واللغوية والتاريخية واهتمامه بتخريج طلاب مهرة، لكنه لم يغفل الجانب الإصلاحي العملي حين اهتم بتربية طلاب جاؤوه من مختلف مناطق عمان ومن عدة قبائل، وكانوا بعد هذه المرحلة هم القضاة والأئمة والولاة، وهذا يعد في حد ذاته تجديدا في الجانب العملي بعد إذ لم يكن الأمر كذلك في الأيام التي سبقته على أقل تقدير.<sup>2</sup>

2- إحياء الإمامة والنهوض بالعدل والواجب الوطني.

بعد أن ربي بعض التلامذة النجباء ووطد العلاقة مع زعماء بعض القبائل كالشيخ صالح بن علي الحارثي، بدأ يجس النبض مع بعض القبائل لإعادة الإمامة<sup>3</sup>، وقد تهيأت له بعض الأسباب فأقام الإمامة وكان أحد تلامذته هو الإمام المنتخب فوطد البلاد وأقام العدل، يقول الشيخ أبو إسحاق أطفيش عن ذلك: "ولا نبالغ إذا قلنا إن رجال العلم اليوم في عمان كلهم من تلاميذه وقد نبغ منهم كثير، وحسبك أن صفوة الأمة هنالك والذين قامت عليهم الإمامة والملك هم من تلاميذه"<sup>4</sup> فهذا أهم تجديد عملي واقعي قام به نور الدين السالمي.

3- إحياءه لمبدأ التقارب بين المسلمين

الإسلام بوتقة جامعة ينضوي تحت لوائها كل المسلمين بمختلف مذاهبهم الفقهية والفكرية كيف لا والإسلام جاء رحمة للعالمين فكيف بمن هم داخلون فيه. الإمام السالمي كان حريصا على هذا المبدأ ولم يكتف بالفتاوى التي تجيز الصلاة خلف المخالف في المذهب فقط بل ذهب إلى أبعد من ذلك فطبق عمليا هذا المبدأ، فحينما ذهب إلى الحج 1323هـ التقى ببعض علماء عصره، فجلس إليهم وأخذ منهم، وناظر بعضهم، فكان محط احترام من الجميع.<sup>5</sup> ومن طريف ما يذكر عنه أنه كان أعمى ولا يرى وكان يحمل عصاه معه ليستعين بها وكان عند صاحب مكتبة ذهب إليه ليشتري الكتب فضرب بعصاه قارورة عطر فوقعت فاندحقت ما فيها فطلب صاحب المكتبة من النور السالمي أن يغرم قارورة العطر قائلا له تالف الشيء غارمه فطلب الإمام السالمي من الخازن أن يعطي صاحب المكتبة ثمن القارورة فأعطاه إياه وكان غاليا وبعد أن أعطى الخازن ثمن القارورة صاحب المكتبة قام الأخير فأهدى الإمام السالمي الثمن قائلا أحببت أن يتعطر المكان منك، فقال الإمام السالمي قبلنا هديتك.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> ينظر: باجو مصطفى، مناهج التجديد لدى فقهاء عمان المعاصرين ص 296

<sup>2</sup> ينظر: الكندي، محسن، الشبية أبو بشير رحلة حياة ومسيرة واقع، ج 1 ص 36

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق ج 1 ص 37-38

<sup>4</sup> هو الإمام سالم بن راشد الخروصي

<sup>5</sup> ينظر: السالمي، الشبية، نهضة الأعيان

<sup>6</sup> سمعتها من الشيخ أحمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان في عيد الأضحى 1439هـ.

الخاتمة

بعد جولة سريعة في بحر الإمام السالمي ومؤلفاته صدت بعض الدرر الثمينة والمحارر الغالية التي من أهمها:

- 1- الصحيح أن ولادة الإمام السالمي كانت أواخر عام 1283هـ أو أول 1284هـ بدليل الرسالة التي كتبها الإمام بنفسه 1326هـ.
- 2- الإمام نور الدين السالمي جمع العالم في حيزومه من حيث كثرة شيوخه وسعة اطلاعه فأورثه ذلك كثرة المؤلفات في فنون شتى بما فيها الفقه وأصوله والعقيدة واللغة والتاريخ.
- 3- تدل أجوبة الإمام السالمي على تضلعه بعلم الآلة والشريعة وفهمه وحذقه
- 4- أعطى الإمام السالمي مؤلفاته الصبغة العالمية بكثرة مقارنته
- 5- من أهم مظاهر التجديد عند الإمام السالمي أنه نقل المؤلفات العمانية الإباضية من النقل بطريقة موروثية إلى التأصيل وذكر الأدلة والمقارنة مع المذاهب الأخرى.
- 6- أفرد مؤلفات خاصة لما حدث في عصره ومصره
- 7- ورثه كثرة اطلاعه وتجديده الشكلي والعلمي بما يمكن أن يطلق عليه التجديد العملي الذي تمثل في تنشئة جيل من الشباب على العالمية الإسلامية، كما أنه من المؤيدين لمبدأ التقارب المذهبي الإسلامي عبر مؤلفاته وفتاواه ولقائه ببعض العلماء في الحرمين الشريفين.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

### المصادر والمراجع:

1. باجو مصطفى، مناهج التجديد لدى فقهاء عمان المعاصرين، ضمن ندوة تطور العلوم الفقهية (فقه النوازل وتجديد الفتوى) 1428هـ/2007م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بسلطنة عمان.
2. الحارثي، سعيد بن حمد، اللؤلؤ الرطب في إبراز مستودعات القلب، (ط: ب: د) سلطنة عمان
3. السالمي: عبدالله بن حميد بن سلوم نور الدين:
  - جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، ت: الشيخ إبراهيم العبري، والشيخ أبو إسحاق أطفيش، ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، 1439هـ/2018م.
  - جوابات الإمام السالمي، بتحقيق: عبدالستار أبو غدة، وعبدالله السالمي، ط: مكتبة الإمام السالمي، ط 1419، 2هـ/1999م
  - روض البيان على فيض المنان في الرد على من ادعى قدم القرآن، بتحقيق عبدالرحمن بن سليمان السالمي، ط: مكتبة السالمي، سلطنة عمان
  - شرح الجامع الصحيح من مسند الإمام الربيع، بتحقيق عز الدين التنوخي، طبعة مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان.
  - طلعة الشمس بتحقيق القيام عمر حسن، ط 1 مكتبة الإمام نور الدين السالمي سلطنة عمان.
  - العقد الثمين بتصحيح وتحقيق سالم بن حمد الحارثي (ط- دار الشعب \_ القاهرة بمصر)
4. السالمي، أبو بشير محمد بن عبدالله، نهضة الأعيان بحرية أهل عمان، ط - دار الكتاب العربي بمصر.
5. السيايبي، خالد بن سالم، الدور الفقهي للإمام أبي محمد عبدالله بن حميد السالمي من خلال كتابه معرج الأمل، رسالة ماجستير قدمت لجامعة آل البيت بالأردن 1424هـ / 2004 م مكتوبة لم تطبع.
6. أبو غدة، عبد الستار، جوابات الإمام السالمي والتجديد المذهبي ضمن ندوة تطور العلوم الفقهية (التقنين والتجديد) طبعة وزارة الأوقاف - سلطنة عمان 1429هـ - 2008م.
7. الكندي، محسن بن حمود، الشيبية أبو بشير محمد بن عبدالله السالمي، رحلة حياة ومسيرة واقع، طبعة رياض الريس للكتب والنشر، لبنان 2011م
8. مجموعة مؤلفين، قراءات في الفكر السالمي ( ط وزارة التراث القومي والثقافة ، 1413 هـ / 1993 م ) ص 13 .
9. الهاشمي، مبارك بن سيف، الإمام نور الدين السالمي وآراؤه في الإلهيات مع مقارنة بحث لنيل درجة الدكتوراه في الأزهر 1413 هـ - 1993م.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## واقع الخطاب الديني في الاقتصاد وأفق تجديده

دراسة حالة قطاع غزة - فلسطين

إعداد

أ.د. محمد إبراهيم مقداد

عميد كلية الاقتصاد في الجامعة الإسلامية - غزة 2018م

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## مقدمة:

الاقتصاد عصب الحياة، به تعيش المجتمعات بكرامة وبدونه تبقى في ذيل الأمم بعيدا عن مواكبة التقدم والرقي، وبعيدا عن المساهمة في صناعة الحضارة الإنسانية المادية في شكلها الحديث والذي تتنافس عليه الأمم فيما بينها. ويعتبر الخطاب الديني عموما قوة كبيرة في المجتمعات عموما والمجتمعات المسلمة على وجه الخصوص لما يتمتع به هذا الخطاب من تأثير في النفوس التي تميل إلى التدين بفطرتها وطبيعتها. وهو من أهم المؤثرات على قدرة المجتمعات في المشاركة في تنمية مجالات الاقتصاد المختلفة والمساهمة في التقدم المادي ومزاحمة الأمم في تحقيق التنمية.

والخطاب الديني في الإسلام له قوة كبيرة وحضور واسع، فهناك خطبة الجمعة الأسبوعية ودروس العلم المستمرة، ودور مهم للمجمعات الفقهية والهيئات والمنظمات الإسلامية والمؤسسات الدينية كالأزهر الشريف وغيره والمؤسسات التعليمية كالمعاهد والجامعات.

النمط التقليدي للخطاب الديني يركز على الأمور الغيبية، والانشغال بأمور الآخرة على حساب الأمور الدنيوية، وبالبحث على الزهد في الحياة. ويهتم بعض الدعاة اهتماماً مبالغاً فيه بالحديث عن عذاب القبر وأهوال يوم القيامة، كما ينشغلون بالترهيب بدلاً من الترغيب، والتشدد في أمور الدين بدلاً من التيسير، ويركز البعض الآخر من الدعاة في أحاديثهم على الأمور الهامشية والشكلية بدلاً من الاهتمام بمقاصد الشريعة وجوهر الدين والقيم الإسلامية الدافعة لتقدم المجتمع وترقية الحياة.

كل ما سبق ساهم في نشر قيماً سلبية في الحياة، ولذلك ساد التواكل بين الناس، والخوف من المصير المجهول، وانتشر الفهم المغلوط للقضاء والقدر، وتلاشت المبادرات الذاتية اعتماداً على معجزات غيبية.

ويرى بعض المفكرين<sup>1</sup> أنه لا بد من تجديد هذا الخطاب التقليدي بما يتناسب مع التغيير في الحياة حتى يحقق الخطاب أهدافه. غير أن هذه النظرة من بعض المفكرين ليست بالضرورة صحيحة، ولعلها تحمل شيء من التحامل والتشكيك في الخطباء والواعظين. فالعديد من الخطباء يحملون هم الدعوة وينشرون روح التفاؤل والأمل من خلال مواعظهم.

ورغم ذلك فلا داعي للخشية من الدعوة لتجديد الخطاب الديني عموماً، فالتجديد من سنن الحياة والتجديد من سنن الدين حيث أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى "أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (أخرجه أبو داود والحاكم). ونرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدث عن التجديد في الدين نفسه فما بالك في الخطاب الديني وهو جزء من الدين.<sup>2</sup>

ويناقد البحث مسألة جديدة لم يتم التطرق إليها بالتفصيل ولم تعط حقها من البحث العلمي، وهي تجديد الخطاب الإعلامي الديني في الاقتصاد. ويهدف البحث إلى علاج ضعف الخطاب الإعلامي الديني في تناوله للمسائل الاقتصادية بتحديد نقاط الضعف وإيجاد الطرق لعلاجها ووضع التوصيات المناسبة للجهات المختلفة بما يسهم في الارتقاء بالخطاب الديني في الاقتصاد.

<sup>1</sup> - لمزيد من التفصيل أنظر (بسيوني الحلواني في تقريره الخطاب الديني المعاصر .. دور مهم في حل مشكلات الأمة، مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ٤٥٣ - ذو الحجة ١٤٤٩ هـ - أغسطس ٢٠١٨ م)

<sup>2</sup> - لمزيد من التفصيل في هذا الأمر أنظر (سلمان العودة، 2017م في مقاله تجديد الخطاب الديني) على موقعه الخاص

واستخدم البحث منهجية الدراسة الاستكشافية باستخدام الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات، إضافة إلى المقابلات مع بعض الجهات حسب الحاجة. واشتمل الاستبيان على ست محاور تعالج واقع الخطاب الديني، دوره في مناقشة مسائل القطاع الخاص، مدى التفصيل في تناول المسائل الاقتصادية، دوره في مناقشة مسائل القطاع العام، أين يتم تداول الخطاب الديني الاقتصادي، وأخيراً، سؤال مفتوح جهات التفضيل لتناول الخطاب الديني<sup>1</sup>.

ويستهدف الاستبيان أربع فئات وهي: الأكاديميين والخبراء في الاقتصاد، الأكاديميين في العلوم الإسلامية، الأكاديميين في الإعلام، ورجال الأعمال. وقد قام الباحث بتحليل الاستبانة باستخدام البرنامج المتخصص في العلوم الإنسانية (SPSS)  
الإسلام والاقتصاد:

والإسلام دين عملي يهتم بالدنيا والآخرة ولا رهبانية في الإسلام، وقد أكد ذلك النبي المصطفى بقوله (اليد العليا خير من اليد السفلى) ولقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ\*فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ... (سورة الجمعة، الآية 9-10) فالآية صريحة في الحث على العمل والتجارة بعد الانتهاء من صلاة الجمعة، بهدف الحصول على الربح وتحقيق التنمية.

ويقول تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (سورة الملك، الآية 15) وفي الآية أمر صريح في الحث على العمل والسعي في طلب الرزق بما يساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية في المجتمع.

وقد روى في (صحيح البخاري ، 2072) عن المقدم بن معد يكرب الكندي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده)، فالحديث صريح في تفضيل العمل واستحبابه، وأن يأكل المسلم من عمل يده، وأن ذلك خير له من الأكل الذي يحصل عليه من سؤال الناس واستعطافهم، فلا رهبانية في الإسلام.

كما ويروي (البخاري في صحيحه، 2262) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ)، فكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد عملوا بكف أيديهم وأكلوا من عرق جبينهم، فهذا محمد -صلى الله عليه وسلم- قد رعى الغنم على قرائط لأهل مكة، كما ثبت أنه عمل بالتجارة، وكان زكريا عليه السلام نجاراً، وغيرهما من الأنبياء والمرسلين. وهو ما يؤكد أن عمل الأنبياء في الرسالة لم يمنعهم عن العمل في مجال كسب الرزق وتحقيق التنمية الاقتصادية<sup>2</sup>.

كما ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عن (الإمام أحمد في مسنده، 447/1) "ما عال من اقتصد"<sup>3</sup> وهو ما يؤكد أهمية الاقتصاد في الحياة والمجتمع.

ولعل الاقتصاد في الدول الإسلامية يعاني العديد من المشكلات. الفقر والبطالة والتخلف التنموي وعدم مواكبة التقدم والاقتصاد المعتمد على تصدير سلعة واحدة كالبتترول أو المواد الخام وضعف التكامل والتعاون بين دول العالم العربي والإسلامي، كله من مظاهر ضعف الاقتصاد لدى الدول الإسلامية.

<sup>1</sup> - لمزيد من التفاصيل حول أسئلة الاستبيان أنظر الملحق الخاص بالاستبيان.

<sup>2</sup> - لمزيد من التفاصيل انظر كيف حث الإسلام على العمل والسعي في طلب الرزق تحت الرابط:

<https://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81>

<sup>3</sup> - رواه الإمام أحمد (447 /1) ، والبيهقي في "الشعب" (2 / 280 / 1)

يحدث هذا رغم أن الإسلام دين نهضة وتقدم وتحضر، والأدلة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وتاريخ المسلمين الحضاري أكثر من أن تحصى، والواقع الذي يعيشه المسلمون الآن بكل ما فيه من مظاهر ضعف، لا علاقة له بالإسلام من قريب أو بعيد. ويمكن القول أنه لا يمكن حل مشكلات الاقتصاد لدى الدول الإسلامية بمعزل عن الإسلام (أبو.م) 2018م، لأمك مدحاً، دمجاً وعليه، فلا بد من دور فاعل وقوي للخطاب الديني الإسلامي في التوعية والتوجيه للأمة الإسلامية للتعرف على أسباب الضعف والتغلب عليها، ومناقشة آليات التكامل والتعاون والرقى بما يصل بالأمة الإسلامية إلى مصاف الدول المتقدمة كسابق عهدها في التاريخ الإسلامي.

### مفهوم الخطاب الديني في الاقتصاد:

يعرف الخطاب الديني على أنه "البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمهم لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكرياً أو سلوكياً. أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية" (القرضاوي، يوسف، 2004م).

والخطاب الديني هو "خطاب الخالق للمخلوق، وخطاب المعبود للعابد، خطاباً تجلت فيه كل معاني الكمال والجلال والدقة والتأثير" (مرعي، السيد محمد، 2016م)

فالخطاب الإسلامي لا تتوقف مقاصده عند التبليغ، بل تتعداه إلى التأثير والتغيير في مخاطبيه، متخذاً في ذلك كل الأساليب المؤثرة، وموظفاً من أجل غايته جل الوسائل المعاصرة، تلك الوسائل التي حدد معاييرها بدقة في كتابه ومرجعه الأوثق، القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: 125).

ويعرفه (السوسي، ماهر، 2010) بأنه "الخطاب الديني هو كلام الله تعالى للناس أجمعين، متمثلاً في الدعوة التي حملها كتابه الكريم، ورسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أجمعين، لتكون هذه الدعوة منهج حياة لكل من آمن بها".

يمكن النظر للخطاب الديني في الاقتصاد على أنه "خطاب الخالق للمخلوق المتصف بالجلال والكمال والدقة والتأثير في مجال المعاملات المالية والاقتصادية ينقله العلماء بالوسائل المختلفة للمسلمين وغير المسلمين"<sup>1</sup>. وعليه فالخطاب الديني في الاقتصاد هو خطاب بالقرآن والسنة في المواضيع المتعلقة بالاقتصاد فيما يتعلق بالبيع والشراء والاستثمار والمعاملات المالية وفنون التمويل والمحرمات الاقتصادية وغير ذلك من المعاملات المالية وفي الإسلام.

### محاور الخطاب الديني في الاقتصاد:

ويشير (ابن بريكة، 2012م) إلى أربعة محاور للخطاب الديني عموماً على أن تكون عملية التجديد في أربعة محاور على النحو التالي: 1. تجديد المفاهيم بما يتناسب مع طبيعة العصر، 2. الاهتمام بالقضايا المهمة من الخطاب الديني، 3. التجديد في وسائل طلب العلم لتتكيف مع الوسائل المعاصرة، 4. التجديد في مجال التعايش مع مفهوم الإنسان في ظل العولمة والعالم كقرية صغيرة.

ويشير (يونس، 2017م) في كتابه إلى أن الخطاب الإسلامي في الإمارات يقوم على أربعة محاور، هي: 1. منهجية الاعتدال والوسطية فكرياً وممارسة، 2. والمواءمة بين التراث والمعاصرة، 3. والتنوع في تناول التراث الفقهي

<sup>1</sup> - تعريف الباحث حسب قراءاته المختلفة مع العلم أنه لم يصل إلى أي تعريف سابق في الموضوع.



والفكري والحضاري، 4. واستخدام وسائل التقنية الحديثة وتسخيرها لخدمة الخطاب الديني. وعليه يمكن القول بضرورة الاهتمام بالمحاور التالية في الخطاب الديني الاقتصادي:

1. تجديد المفاهيم في الخطاب الديني بما يوافق التقدم الاقتصادي في مجالات الاقتصاد والمعاملات والتمويل الإسلامي وخلافه.
2. الاهتمام بالقضايا المستجدة وكذا القضايا المهملة في الاقتصاد.
3. الاهتمام بمنهجية الاعتدال والوسطية في الفكر الاقتصادي والممارسة.
4. المواءمة بين التراث والمعاصرة والتنوع في الخطاب الاقتصادي.

#### نقاش العلماء حول تجديد الخطاب الديني والحاجة إليه:

اختلف العلماء فيما يتعلق بتجديد الخطاب الديني، غير أن توصيات مؤتمر الأزهر 2017م حول تجديد الخطاب الديني أكدت أن تجديد الخطاب الديني لا يعنى التجرد عن أصول الدين وثوابته ومسلماته أو الخروج على مبادئه وأخلاقياته، وإنما يعنى البحث في أدلته المعتمدة ومقاصده العامة واستنباط ما يتفق منها ومتطلبات العصر. مما يؤكد قبول مؤسسة الأزهر الشريف لمفهوم تجديد الخطاب الديني ويؤكد أهميته<sup>1</sup>.

ويمكن النظر لتجديد الخطاب الديني بأنه مسألة هامة جدا، فهو يمنع الترهل والتكلس. ويقول (العودة، 2017م) " لماذا يتحاشى بعض المسلمين الاعتراف بضرورة التجديد ليبقى كل شيء كما كان يعهد، فليس في الإمكان أفضل مما كان، إثارة للإلّف وتوجساً وارتياباً من كل حديث وجديد أو مشتق منهما، فهو يفضل أن يبقى فكره وخطابه ولغته وطريقته وعلمه متكلساً مترهلاً مهترناً ألف مرة على أن تتاله يد التجديد، أو تطاله بواعث التحديث وأسبابه. إن ذلكم مظهر جلي من مظاهر الضعف والخور والهزيمة النفسية، كما أن الارتداء في أحضان كل جديد هزيمة نفسية."

ويؤكد (العودة، 2017م) إنه لا مناص من تجديد الخطاب الديني، وإذا لم نؤمن بذلك فأمامنا خياران: الأول: الجمود ويعني ذلك الإطاحة بحق الحياة وسحقها في عصر تكتفه الحركة الثائرة من كل جهة. والثاني: الذوبان، وذلك معناه الإطاحة بحق الدين والشريعة والثقافة والتراث.

ويرى أن هذا التجديد يجب أن يكون بأيدي رجالات الإسلام وعن طريق المتخصصين الإسلاميين، ولا أقول بالضرورة: الفقهاء، وإنما المختصون على العموم، ويجب أن تكون أدوات هذا التجديد ووسائله داخلية تلمس مشاعره وتتحدث من داخل إطاره، وعلينا أن نتفق على الضرورات والقواعد الشرعية والمحكمات الدينية الثابتة، كما يسميها ابن تيمية (الدين الجامع).

كما لا بد أن يكون التجديد منطلقاً من المجتمع وحاجاته ويسعى لمعالجة مكامن الضعف وبواعث الخطر والمشكلات التي يعاني منها المجتمعات الإسلامية على وجه العموم. ويؤيد (بن بريكة، 2012م) تجديد الخطاب الديني عموماً على أن تكون عملية التجديد في المحاور الأربعة المذكورة سابقاً.

ويشجع الشيخ (القرضاوي، 2014م) التجديد في الخطاب الديني بعيد عن الغلو والتطرف وكذا عن الانفلات والتسيب والتفريط بما يحقق التوازن في الخطاب. ويؤكد الشيخ القرضاوي، (2003م) أننا قد راجعنا خطابنا من

1 - البيان الختامي للمؤتمر الدولي لكلية الدراسات الإسلامية، الذي عقد تحت عنوان "تجديد الخطاب الديني بين دقة الفهم وتصحيح المفاهيم"، مؤتمر الأزهر حول تجديد الخطاب الديني

قديم، بدعوة من ديننا نفسه، لا بطلب من بوش ولا غير بوش<sup>1</sup>. بما يؤكد أن التجديد مطلب ذاتي يحقق المصلحة الإسلامية إذا تم بشروطه وضوابطه.

ويناقش (زقزوق، محمود، 2018م)<sup>2</sup> ما أسماه خطيئة التعميم في تجديد الخطاب الديني. وهو يتفق مع النظرة القائلة بأن الخطاب الديني الحالي فيه ضعف وشيء من الجمود وله أثر سلبي على الاقتصاد والحياة بشكل عام، غير أنه يرفض التعميم ويرى أنه ظلم للخطاب الديني المناسب في أحيان كثيرة. ومع ذلك هو يرى أهمية لتجديد الخطاب الديني مع ضرورة الانتقال به نقلة نوعية تجعله يسهم بدور أكبر في مواجهة المشكلات الحياتية للمسلمين، واللجوء إلى الحلول العلمية للمشكلات - كما علمنا الإسلام، وإحلال التوكل محل التواكل الذي يسيطر على سلوكيات بعض الناس. ويؤكد أنه لن يكون للعالم الإسلامي مكان في هذا العالم إلا إذا رفض عن نفسه غبار التخلف واتجه بكل ما يستطيع من جهد إلى التزود من العلوم والتنافس فيها ليبنى ويعمر، ويحقق إرادة الله في استخلاف الإنسان في الأرض لعمارتها وصنع الحضارة فيها عبر نشر التبليغ طابحلاً إن شاء الله تعالى. أما (عفيفي، محيي الدين، 2018م)<sup>3</sup> فيرفض أيضاً التعميم ويؤكد على دور دعاة الإسلام في قيادة عامة الناس إلى حب الحياة، وإلى العمل من أجل التعمير والبناء والتنمية، متسلحين بتقافة الأمل، وأن نبذل كل الجهد والطاقة في العمل المفيد النافع لنا ولغيرنا، ثم نترك بعد ذلك النتائج على الله، وقد بشرنا القرآن الكريم بأن الله تعالى سيصلح من أحوالنا إذا ما أصلحنا من أنفسنا فقال سبحانه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد 11. ويؤكد الدكتور عفيفي على ضرورة أن يطور علماء ودعاة الإسلام في خطابهم الدعوي، بما يجعله أداة حقيقية للتغيير والإصلاح والنهضة التي ننشدها، بحيث يواجه العلماء والدعاة ما يبثه أعداء الأمة في نفوسنا من مشاعر إحباط ويأس وقنوط.

أما كيف يتم تجديد هذا الخطاب الديني؟ فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: [إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها] أخرجه أبو داود والحاكم وصححه، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم تجديد الدين نفسه، والخطاب الديني جزء من هذا الدين وتجديده، والذين يقومون بعمل هذا التجديد جاؤوا بلفظ (من) فهو عام يشمل الفرد والجماعة، وفي ظل توسع الأمة واتساع رقعتها والانفتاح العالمي وتضخم الخلل الموجود في واقعها فإن هذا الواقع يفرض أن هذا العمل التجديدي ليس شأن فرد واحد، بل مجموعات تتكامل فيما بينها، وتؤدي أدواراً مختلفة وتخصصات علمية متباينة وحقول معرفية كلها تنتهي عند مصب المصدر الأصلي (الشريعة). (العودة، سلمان، 2017م)

#### مبادئ الخطاب الديني في تقويم النظرة الاقتصادية:

يقوم الخطاب الديني عموماً، والخطاب الاقتصادي على وجه الخصوص على مجموعة من المبادئ تساهم في ضبطه وزيادة فاعليته إذا تم استخدامها على الوجه الأمثل. ومن هذه المبادئ ما يلي<sup>4</sup>:

#### 1. مبدأ التوازن بين دور الفرد ودور الدولة:

1 - صفحة الشيخ القرضاوي الرئيسية مكتبة القرضاوي خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، -<https://www.al-qaradawi.net/node/5086>

2 - المفكر الإسلامي الدكتور محمود حمدي زقزوق، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر ومدير مركز الحوار الأزهرى

3 - الدكتور محيي الدين عفيفي، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

4 - استناد الباحث من دراسة للسيد نور الدين بشير في دراسته بعنوان (السلوك الاقتصادي في القرآن)

[http://www.ahl-alquran.com/arabic/show\\_article.php?main\\_id=6069](http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6069)

فالإنسان أساس المجتمع ومبدأ التنمية ومنتهاها، ومن أجله خلق الكون وهو بناء الله. والحكومة تنظم الحياة عامة والحياة الاقتصادية على وجه الخصوص، ولها حقوق وعليها واجبات، وليس لها التغول على الفرد والمجتمع، كما ليس لها مزاحمة القطاع الخاص في الأنشطة الاقتصادية. وعليه فلا بد من الحفاظ على التوازن بين دور الفرد ودور الحكومة بلا إفراط ومزاحمة أو تفريط وترهل. تقوم الدولة على واجباتها وتؤديها برشد وكفاية ثم تطالب الفرد بواجباته بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تغالي في الجباية والضرائب فإن هذا من خراب العمران وانتهاء الدول.

## 2. مبدأ التوازن بين الثواب والعقاب في التعاملات المالية:

يحب الإنسان المال حبا جما وقد فطر على ذلك، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لو كان لابن آدم واديان من مال لتمنى إليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب" (رواه البخاري ومسلم) ويقول تعالى عن الإنسان "وإنه لحب الخير لشديد". (سورة الفارعة، الآية 8)

وفي نفس الوقت على الحكومة واجب الجباية حتى تقوم على مسؤولياتها بكفاءة ورشد. وهنا فلا بد من تحفيز الأفراد على دفع التزاماتهم وأداء واجباتهم، كما لا بد من منعهم عن الانحراف والشطط والإضرار بالمال العام. وقد لا يكفي التحفيز المجرد دون تطبيق مبدأ الثواب والعقاب. فلا بد من جزاء المحسن الملتزم والمؤدي لواجباته ولا بد أيضا من عقاب المسيء المنحرف الراض لأداء الحق الذي عليه. يقول تعالى في هذا السياق: "ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، حتى أتانا اليقين" (المدثر، الآيات 42-46)

## 3. مبدأ دور الأخلاق والقيم في الاقتصاد:

الإسلام دين متكامل لا تتفصل فيه الأخلاق عن العقيدة ولا عن الاقتصاد، فإذا انتشر الظلم وقلت العدالة وظهر الغش وأكل الربا انهارت المجتمعات، يقول تعالى "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" (سورة الإسراء، الآية 16). ويقول تعالى: "وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَمْلَكْنَا لَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا" (سورة الكهف، الآية 18).

ولا يمكن فصل الأخلاق عن الاقتصاد بحال، فالأخلاق تدعم قيم الحرية والعدالة والرشد وإحقاق الحقوق والعمل وبذل الجهد، وكل هذه الأخلاق أساس لنجاح الاقتصاد والتنمية في كل المجتمعات.

## 4. مبدأ علاقة الإيمان بالدخل والثروة:

ينظر الإسلام نظرة خاصة للإيمان والتقوى، إضافة لأهميتها الروحية والمعنوية للإنسان المسلم، وفضلا عن كونها مهمة في مجال الاعتقاد، فقط ربط الإسلام بينها وبين المادة والرزق ربطا كبيرا. يقول تعالى: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكذبون" (سورة الأعراف، الآية 96)

ويقول تعالى: "فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا" (سورة نوح، الآية 10-12) وقد مدح الله الشكر على كل شيء، فقال "وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (سورة إبراهيم، الآية 7).

وعليه فإن السلوك الاقتصادي للفرد المسلم يختلف عنه لغير المسلم، سواء في سلوكه الاقتصادي أو إشباعه للدرجات والحاجات وفق ميزان القرآن الكريم والسنة المشرفة لتحقيق التكافل في المجتمع المسلم. (بشير، نور الدين، 2009م).

#### المنهجية والإجراءات والتحليل الوصفي

يعتبر البحث استكشافياً لموقع الخطاب الديني في الاقتصاد، ولهذا الغرض استخدم البحث أداة الاستبيان لجمع البيانات الأولية من عدد من الفئات من الأكاديميين في الإدارة والاقتصاد والإعلام والعلوم الشرعية ورجال الأعمال، وبلغ حجم العينة الصدفية المستخدمة 51 مشاهدة. وتوزعت المشاهدات على النحو التالي:

#### الجدول رقم (1) التخصص ومجال العمل والدراسة

البيان	العدد	النسبة في العينة %
علوم شرعية	17	34
علوم اقتصادية	23	46
دراسات إعلامية	10	20
<b>المجموع (1)</b>	<b>50</b>	<b>100%</b>
أكاديمي	34	75.5
مهني في (الأعمال والإعلام)	11	24.5
<b>المجموع</b>	<b>45</b>	<b>100%</b>
دراسة في جامعات محلية	27	60
دراسة في جامعات عربية	9	20
دراسة في جامعات دولية	9	20
<b>المجموع</b>	<b>45</b>	<b>100%</b>

(1) ملاحظة: قد تقل مجموع مفردات العينة عن 51 حالة في بعض الأسئلة بسبب البيانات المفقودة في حال

عدم تعبئة المستبان لعدد من الأسئلة

وقد اهتم الباحث بتتبع الفئة المستهدفة من ذوي العلاقة حتى يتم التعرف على جميع الآراء، سواء آراء الأكاديميين الشرعيين أو الأكاديميين في الاقتصاد أو الإعلام أو حتى العاملين في قطاع الأعمال والإعلام، فأراء هؤلاء جميعاً تعطى رأياً أكثر شمولاً ودقة من فئة بعينها أو فئة لوحدها.

#### واقع الخطاب الديني الاقتصادي في قطاع غزة

يعاني قطاع غزة ضعفاً بدينامية في الخطاب الديني في مجال الاقتصاد. وقد وضع الباحث أحد عشر سؤالاً تناقش واقع الخطاب الاقتصادي وقد جاءت الإجابات على النحو الموضح في الجدول رقم (2):

#### الجدول رقم (2) واقع الخطاب الديني في اقتصاد قطاع غزة

لا	إلى حد ما	نعم	محور واقع الخطاب الديني في الاقتصاد
15	22	14	1. الخطاب الديني عموماً مناسباً بوضعه الحالي لحاجة المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة.
15	28	6	2. الخطاب الديني في مجال الاقتصاد والمعاملات المالية مناسباً بوضعه الحالي لحاجة المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة.
32	17	2	3. الخطاب الديني في الاقتصاد متجدد باستمرار من قبل العلماء والخطباء في القطاع

لا	إلى حد ما	نعم	محور واقع الخطاب الديني في الاقتصاد
30	15	6	4. الخطاب الديني في الاقتصاد منوع وشامل لمجالاته المختلفة في قطاع غزة
10	21	20	5. الخطاب الديني في الاقتصاد يركز على الحلال والحرام فقط.
30	21	0	6. الخطاب الديني في الاقتصاد يتميز بالغلو والتطرف.
24	14	13	7. الخطاب الديني في الاقتصاد يتميز بالتساهل والتراخي.
13	25	13	8. الخطاب الديني في الاقتصاد يتميز بالوسطية والتوازن.
31	16	4	9. يناقش الخطاب الديني في الاقتصاد مشكلات القطاع الخاص بشكل جيد
19	22	10	10. يناقش الخطاب الديني الحقوق الاقتصادية للراعي (للحكومة)
26	19	6	11. يناقش الخطاب الديني الحقوق الاقتصادية للرعية (للشعب)

### تحليل النتائج:

1. يلاحظ أن أفضل ما يميز الخطاب الديني في الاقتصاد في قطاع غزة هو التوازن والوسطية والبعد عن التطرف والغلو عموماً حسب إجابة السؤال رقم 8، حيث أجاب 38 من أصل 51 على تميز الخطاب بالوسطية وهو ما دعا الكثيرين (36 من أصل 51) للقبول بمناسبة الخطاب الديني في قطاع غزة لحاجة البلاد.
2. أهم جوانب الضعف في الخطاب الاقتصادي كانت في أربعة جوانب وهي بالترتيب:
  - تجديد الخطاب الديني الاقتصادي.
  - مناقشة الخطاب الديني لمشكلات القطاع الخاص.
  - تنوع الخطاب الديني وشموله للجوانب الاقتصادية المختلفة.
  - مناقشة الخطاب الديني لحقوق الرعية (الشعب).
3. من جوانب الضعف أيضاً تركيز الخطاب الديني على الحلال والحرام فقط دون التحليل وبيان الآثار الاقتصادية السلبية والإيجابية للتصرفات الاقتصادية الموافقة والمخالفة للشريعة الإسلامية. وقد أكد ضعف الخطاب الاقتصادي الديني وعدم شموله للمحاور المختلفة في الاقتصاد السيد (الحصري، 2018م)<sup>1</sup> حيث أشار إلى الضعف العام من ناحية، وأثار هذا الضعف على الأداء الاقتصادي وانتشار الغش والتحايل والفساد وتفاقم المشكلات مثل الشيكات المرجعة وخلافها. وأكد أن مشكلة الخطاب الديني تظهر بوضوح فيما يتعلق بشمولية المعالجة للقضايا المختلفة وخاصة المواضيع المتخصصة والمستجدة بشيء من التفصيل وبيان الأدلة والآثار الاقتصادية والمجتمعية المتنوعة. يلاحظ أن نسب الذين أجابوا (نعم) على واقع الخطاب الديني كانت 11.8% من المتخصصين في العلوم الشرعية، 21.1% من المتخصصين في العلوم الاقتصادية والإدارية، 16.4% من المتخصصين في الإعلام.

<sup>1</sup> - مقابلة مع السيد حازم الحصري، مدير البنك الإسلامي الوطني في قطاع غزة بتاريخ 19-9-2018م حول موضوع الخطاب الديني في الاقتصاد.

وقد بلغت قيمة اختبار مربع كاي 11.238، والقيمة الاحتمالية للاختبار تساوي 0.024 وهي أقل من 0.05% مما يدل على أن نسب موافقة المبحوثين حول واقع الخطاب الديني في الاقتصاد قد اختلفت جوهرياً حسب التخصص.

### دور الخطاب الديني في مناقشة الجرائم الاقتصادية للقطاع الخاص في غزة

اهتم الباحث بدراسة دور الخطاب الديني في مناقشة قضايا القطاع الخاص والجرائم التي يقوم بها أو المشاكل التي تواجهه، وكانت النتائج على النحو الموضح بالجدول رقم (3)

#### الجدول رقم (3) دور الخطاب الديني في مناقشة الجرائم الاقتصادية في القطاع الخاص

لا	إلى حد ما	نعم	ترى أن الخطاب الديني في الاقتصاد يتناول علاج أو يسلب الضوء على الجرائم الاقتصادية التالية:
7	28	16	1. جريمة أكل أموال الناس بالباطل
8	19	24	2. جريمة أكل أموال اليتامى
5	17	29	3. جريمة أكل الربا
10	28	13	4. جريمة الاحتيال
8	26	17	5. جريمة الغش
24	20	7	6. جريمة الكنز وعدم الاستثمار
19	21	11	7. جريمة الرشوة
9	21	21	8. جريمة السرقة
21	17	11	9. جريمة القمار والميسر والرهان
19	24	8	10. جرائم التجارة المحرمة أو الفاسدة
21	22	8	11. جريمة التحايل التجاري
21	20	10	12. جريمة عدم الالتزام بسداد الشيكات والكمبيالات
17	22	12	13. جريمة عدم سداد الالتزامات المالية

تحليل النتائج:

1. أهم ما يميز الخطاب الديني في مناقشة الجرائم الاقتصادية في القطاع الخاص، تركيزه على الجرائم التالية بالترتيب:

- جريمة الربا
- جريمة أكل أموال اليتامى
- جريمة السرقة
- جريمة الغش
- جريمة أكل أموال الناس بالباطل

2. يلاحظ أن هناك ضعفاً بينا في تناول الخطاب الديني الاقتصادي للمسائل التالية:

- جريمة الكنز وعدم الاستثمار
- جرائم التجارة المحرمة والفاسدة
- جريمة التحايل التجاري

- جريمة المماثلة في سداد الالتزامات المالية.
  - وجريمة الاحتكار
3. ويلاحظ عدم اختلاف رأي المبحوثين في دور الخطاب الديني في مناقشة الجرائم الاقتصادية في القطاع الخاص حسب التخصص ما بين اقتصادي وشرعي وإعلامي.
- مدى تفصيل تناول الخطاب الديني للمسائل الاقتصادية:
- يعاني الخطاب الديني في الاقتصاد من مشكلة في مناقشة التفاصيل بالحديث عن الآثار الاقتصادية والتنموية للحلال والحرام وليس مجرد مناقشة الحل والحرمة والجواز والمنع. والجدول رقم (4) يبين تفاصيل ذلك على النحو التالي:

الجدول رقم (4) تفصيل تناول الخطاب الديني للمسائل الاقتصادية

لا	إلى حد ما	نعم	يتناول الخطاب الديني المسائل السابقة (إذا تناولها)
16	27	7	1. بالتفصيل وبيان الأدلة
8	15	23	2. بالعموم وبيان الحل والحرمة
22	22	6	4. يتناول الخطاب الديني المسائل السابقة ببيان الآثار الاقتصادية السلبية للتعاطي مع المحرمات الاقتصادية.
25	15	10	5. يتناول الخطاب الديني المسائل السابقة ببيان الآثار الاقتصادية الإيجابية على التنمية للبعد عن المحرمات الاقتصادية.
15	21	14	6. يتناول الخطاب الديني في الإسلام الحديث في الاقتصاد الإسلامي
22	16	12	7. يتناول الخطاب الديني في الإسلام الحديث في أدوات التمويل الإسلامي
19	14	17	8. يفرق الخطاب الديني في الإسلام بين آلية عمل المصارف الإسلامية والتقليدية
11	15	24	9. يبين الخطاب الديني في الإسلام الفرق بين الربا الربح الحلال

تحليل النتائج:

1. يتعامل الخطاب الديني في الاقتصاد بالعموميات ومجرد بيان الحلال والحرام.
2. وعند الحديث في التفاصيل يركز أكثر ما يكون على الربا والفرق بينه وبين الربح الحلال.
3. وإلى حد ما يقارن بين المصارف التقليدية والإسلامية وآليات عملها.
4. يظهر ضعف الخطاب الديني في تناوله لبيان الآثار الاقتصادية السلبية للتعاطي مع المحرمات الاقتصادية أو الآثار الإيجابية للبعد عن المحرمات الاقتصادية، كما لا يناقش الآثار التنموية للموضوع.
5. كما ويظهر ضعف الخطاب الديني في مناقشة تفاصيل الأحكام وبيان الأدلة الواضحة عليها.
6. هناك إجماع على النتائج السابقة بين الاقتصاديين والشرعيين والإعلاميين في ضعف تناول الخطاب الديني لتفاصيل قضايا الاقتصاد خاصة فيما يتعلق ببيان الأدلة أو الآثار دون خلاف معنوي بين الفئات المذكورة أعلاه حسب اختبار كاي تربيع.

دور الخطاب الديني في علاج مناقشة القضايا الاقتصادية للقطاع العام

بعد مناقشة دور الخطاب الديني في مناقشة مسائل القطاع الخاص نناقش دور الخطاب الديني في قضايا القطاع العام. ويلاحظ من الجدول رقم (5) ضعفا شاملا في مناقشة القضايا الاقتصادية المتعلقة بالقطاع العام.

الجدول رقم (5) دور الخطاب الديني في علاج مناقشة القضايا الاقتصادية للقطاع العام

لا	إلى حد ما	نعم	يناقش الخطاب الديني في المشكلات الاقتصادية في القطاع العام بشكل جيد في المسائل التالية:
23	21	6	1. قضايا الفساد المالي وقضايا التساهل في المال العام
27	18	6	2. قضايا الفساد الإداري وعدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب
20	23	8	3. أداء واجب المنصب بشكل عادل
18	27	6	4. أداء موظف القطاع العام عمله بشكل جيد
33	13	5	5. بيان حقوق وواجبات الرئيس أو رئيس الوزراء
36	10	5	6. بيان حقوق وواجبات أعضاء مجلس النواب
21	22	8	7. بيان حقوق وواجبات الوظيفة العمومية
31	18	2	8. تناول قانون الكسب الحرام (من أين لك هذا)
32	14	5	9. مناقشة القوانين الاقتصادية التي يقرها المجلس التشريعي

تحليل النتائج:

يظهر من نتائج تحليل الاستبانة أن رأي أفراد العينة في مناقشة الخطاب الديني للقضايا الاقتصادية في القطاع العام ضعيفة جدا في كامل المحور وفي جميع الأسئلة ذات العلاقة. وتظهر ملامح الضعف في القضايا الاقتصادية في القطاع العام مرتبة على النحو التالي:

1. أقل المجالات تناولاً في هذا الخضم، هي تناول قانون الكسب الحرام ومبدأ من أين لك هذا. ولعل هذا يرجع إلى عدم رغبة الخطباء والعلماء في التصادم مع المسؤولين من أصحاب النفوذ.
2. يلي هذا الأمر في ضعف تعرض الخطاب الديني لقضايا القطاع العام إهمال الخطاب الديني بيان واجبات وحقوق الرئيس ورئيس الوزراء ونواب التشريعي إضافة إلى إهمال مناقشة القوانين الاقتصادية التي يقرها التشريعي.
3. ومن القضايا الهامة التي يهملها الخطاب الديني أيضاً، إهمال مناقشة قضايا الفساد المالي والتساهل في المال العام، وكذا إهمال مناقشة قضايا الفساد الإداري ووضع الشخص في غير مكانه المناسب ومناقشة واجبات الوظيفة العمومية.
4. وكذلك أهمل الخطاب الديني أداء واجبات المنصب العمومي بشكل عادل إضافة إلى بيان حقوق وواجبات الوظيفة العمومية.
5. ويؤكد على أن هناك إهمالاً واضحاً في في الخطاب الديني لقضايا القطاع العام الاقتصادي والإعلاميين أكثر وباختلاف جوهري عن رأي الشرعيين الذين لا يرون نفس الرأي حسب اختبار كاي تربيع.

تداول الخطاب الديني:

وعند الحديث عن الجهات والأماكن والآليات التي يتم تداول الخطاب الديني والاقتصادي بها، وجدنا غالباً أفراد العينة يشير إلى الجامعات والمؤتمرات العلمية بشكل أكبر من غيرها. ويليهما الدروس والندوات في المساجد، ثم مواقع التواصل الاجتماعي وأخيراً الراديو والتلفاز، أنظر الجدول رقم (6). وعند السؤال عن رأي العينة في الجهة الأفضل التي تتولى متابعة وتوجيه الخطاب الديني الاقتصادي فكان الخيار الأول للجامعات والخيار الثاني للمساجد والخيار الثالث للراديو والتلفاز ثم مواقع التواصل الاجتماعي.



كما ويلاحظ عدم وجود اختلافات جوهرية في الآراء بين التخصصات الشرعية والاقتصادية والإعلامية في هذا المجال حسب اختبار كاي تربيع.

الجدول رقم (6) تداول الخطاب الديني في الاقتصاد

لا	إلى حد ما	نعم	محور تداول الخطاب الديني في الاقتصاد
17	19	15	1. ندوات ودروس في المساجد
5	33	13	2. ندوات ودروس في المؤسسات التعليمية
2	23	26	3. المؤتمرات العلمية
2	22	25	4. المحاضرات الجامعية
7	33	11	5. الراديو والتلفاز
13	25	13	6. مواقع التواصل الاجتماعي

## الخلاصات:

1. بينت الدراسة ضعفا جليا في الخطاب الديني الاقتصادي في قطاع غزة عموما والتركيز على مجرد ذكر الحل والحرمة دون الأدلة والآثار الاقتصادية، ورغم ذلك فإن الخطاب الديني في غزة يبتعد عن الغلو ويتسم بالتوازن والوسطية.
2. وأهم جوانب الضعف في واقع الخطاب الديني كانت قصور في الشمول والتجديد ومناقشة قضايا القطاع الخاص والقطاع الحكومي وأخيرا مناقشة الحقوق الاقتصادية للشعب.
3. يركز الخطاب الديني على المسائل التقليدية كالسرقة والربا ويهمل المسائل المستجدة والمتخصصة كالاستثمار والكنز والتحايل التجاري والمماثلة في السداد والشيكات المرتجعة وخلافه.
4. من مظاهر ضعف الخطاب الديني في الاقتصاد التركيز على العموميات وإهمال مناقشة التفاصيل والأدلة والآثار الاقتصادية السلبية والإيجابية.
5. أهمل الخطاب الديني قضايا القطاع العام ومن ذلك مناقشة قانون الكسب الحرام ومبدأ من أين لك هذا، كما أهمل التعرض للواجبات المسئول بكل درجاته وكذا المجلس التشريعي، وإهمال قضايا الفساد المالي والإداري، وبيان واجبات الوظيفة العمومية.
6. وأشار أفراد العينة أن أفضل الجهات لمناقشة الخطاب الديني الاقتصادي هي: الخيار الأول للجامعات والخيار الثاني للمساجد والخيار الثالث للراديو والتلفاز ثم مواقع التواصل الاجتماعي.
7. يميل الاقتصاديون أكثر من الشرعيين إلى تأكيد ضعف الخطاب الديني في الاقتصاد كما يؤكد الاقتصاديون ضعف دور الإعلام في معالجة القضايا الاقتصادية بالتفصيل سواء في بيان الأدلة أو الآثار أو مناقشة قضايا الاقتصاد في القطاع العام.

## التوصيات

1. وتوصي الدراسة بأن يكون لملي الخطاب الديني جامعا بين العلوم الشرعية والاقتصادية ما أمكن، حتى يتمكن من فهم القضايا الاقتصادية وتأصيلها الشرعي بما يعينه على تقديم الخطاب الديني السليم المتوازن.
2. كما وتوصي أيضا بإعادة النظر في محاور الخطاب الديني بالعمل على التنوع من ناحية والاهتمام بالقضايا المهمة والمستجدة والمتخصصة من ناحية أخرى، وعدم الاكتفاء بمجرد ذكر الحل والحرمة.
3. ضرورة الاهتمام بالتفاصيل في الخطاب ببيان الأدلة والآثار الاقتصادية والاجتماعية للالتزام وعدم الالتزام بالقيود الدينية في الاقتصاد.
4. التركيز في الخطاب الديني على قضايا المال العام وحرمة وواجبات المسئول والوظيفة العمومية وحقوق الرعية، ومناقشة واجبات المجلس التشريعي والقوانين الاقتصادية الجديدة.
5. توجيه الخطاب ذوي التخصصات الشرعية للحديث في مجالات الاقتصاد والمعاملات المالية بشيء من التفصيل وبيان الأثر والدليل، وكذا علاج المسائل المتعلقة بالفساد المالي والإداري للقطاع العام وموظف الخدمة العامة بكل مستوياته.
6. توجيه الخطاب لمناقشة قضايا الأمة الرئيسية المؤثرة في مكانتها بين الأمم للعودة بالأمة الإسلامية إلى سابق عهدها.
7. وأخيرا توصي الدراسة بتفعيل أدوار الجامعات والمساجد والراديو والتلفاز ومواقع التواصل وفق خطة متكاملة تساعد في تكامل الأدوار بينها بما يحقق الهدف العام.

## المراجع

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري.
3. مسند الإمام أحمد.
4. الحلواني، بسيوني، (2018م)، الخطاب الديني المعاصر .. دور مهم في حل مشكلات الأمة، مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ٤٥٣ - ذو الحجة ١٤٤٩ هـ - أغسطس ٢٠١٨م)
5. بشير، نور الدين/ (2009م)، علم الاقتصاد في القرآن، السلوك الاقتصادي في القرآن (الرباط: [http://www.ahlalquran.com/arabic/show\\_article.php?main\\_id=6069](http://www.ahlalquran.com/arabic/show_article.php?main_id=6069))
6. مرعي، السيد محمد، (2016م)، مفهوم الخطاب الديني، شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / مقالات شرعية / الدعوة الإسلامية  
رابط الموضوع <http://www.alukah.net/sharia/0/99214/#ixzz5RFPO3tQ8> :
7. السوسي، ماهر، (2010م)، مفهوم الخطاب الديني وسماته جمعية القدس للبحوث والدراسات الإسلامية، 2010.
8. ابن بريكة، (2012م)، تجديد الخطاب الديني يركز على أربعة محاور، مجلة البيان، الرباط <https://www.albayan.ae/across-the-uae/religion-and-life/2012-01-13-1.1572339>

9. يونس، محمد، (2017م)، تجديد الخطاب الديني في دولة الإمارات العربية المتحدة، الإمارات العربية، 2017م
10. القرضاوي، يوسف، (2014م)، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط1، دار الشروق، القاهرة.
11. العودة، سلمان، (2017م) ، تجديد الخطاب الديني.  
<http://www.islamtoday.net/salman/mobile/mobartshows-28-8105.htm>
12. زقزوق، محمود، (2018م) الخطاب الديني المعاصر .. دور مهم في حل مشكلات الأمة، مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ٤٥٣ - ذو الحجة ١٤٤٩ هـ - أغسطس ٢٠١٨م.
13. تلجم، تملأ، تلاكشم ل د ي ف مهم رود .. رصاعملا ي نيدلا باطخلا (م 2018) لامك دمحا ، دجملا وبأ .م ٢٠١٨ س طسغ - ١٤٤٩ هـ .ةججلا وذ - ٤٥٣ ددعلا ي ملسلا داصتقلا



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## أثر التربية الإسلامية في تعامل الفرد مع الآخر

إعداد

د. بدر محمد إدريس

د. عروب أحمد القطان

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## مقدمة:

تشهد التربية الحديثة العديد من التغيرات والتطورات الكبيرة سواء في الفلسفة أو المنهجية أو الوسائل، فبعد أن كان اهتمامها منصب في إعداد المنهج أصبحت الجهود الآن منصبة في إعداد الطالب، فبعد تبني كثير من المؤسسات التربوية لثقافة الجودة وشيوع انتشارها والقائمة على التركيز على المستفيد وجودة المخرجات كانت التربية الإسلامية بفلسفتها ومنهجيتها قد انتهجت هذا النهج منذ زمن بتركيزها في إعداد الفرد المسلم المتسم بالتفاعلية الإيجابية في الحياة أو ما نسميه بالجودة في ميادين الحياة.

فقد بنت التربية الإسلامية مفاهيمها على أساس تكامل الطبيعة البشرية فأخذت بالإعتبار تنمية جميع جوانبها لينشأ المسلم فرداً ذو شخصية متكاملة الجوانب تتسم بالتناسق والإنسجام مع طبيعة الحياة فهي تربية متكاملة تدرك مطالب جميع الجوانب المختلفة وتدرك وسيلة تنميتها. ولا عجب من اهتمام التربية الإسلامية في إعداد الفرد المسلم إذ أن التغيير إلى الأفضل في كل أمور حياتنا لا يكون إلا إذا بدأنا بالإنسان فهو نقطة البداية في كل سعي نحو الأفضل، وفي صلاحه صلاح للمجتمع أجمع.

لذا فقد جاءت التربية الإسلامية بمنهجية مفصلة شاملة كدليل يتخذه الفرد المسلم في كل حركاته وسكناته ومعاملاته في الحياة، إذ أن من أهداف التربية الإسلامية تأهيل الفرد المسلم ليتعامل ويتعايش مع الآخرين وفق مبادئه السامية دون إلغاء للآخر أو تهميشه أو انتقاص حقوقه.

ولقد انفردت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بنظام تربوي متميز قادر على تكوين أجيال مسلمة متوازنة، قادرة على تحمل المسؤولية الكاملة في تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا يزال الوحي المنزل - القرآن الكريم والسنة الشريفة- لا ينضب معينه ولا تنتهي عجائبه ولا ينقضي البحث فيه والإستنباط من خيراته فهو معجزة الله تعالى الخالدة في كل الأزمنة.(1)

والتربية الإسلامية تسعى إلى إعداد الإنسان الصالح الذي تتوفر فيه قيم الخير والصلاح والمتساير مع تعاليم مجتمعه وقيمه ومثله العليا، ويعد سلوكه في المجتمع معياراً مهماً في مدى تحقيق هذه التربية لأهدافها؛ ذلك لأن التربية مهما تعددت وسائلها وتنوعت أهدافها فإنها تتفق في النهاية على أن تجعل السلوك الإنساني هو موضوعها وتنميته أو تعديله هو صنعها، فالتربية الإسلامية كما يراها أحد المفكرين التربويين هي الأنواع المرغوب بها من السلوك والتصرفات العملية لدى الفرد (2).

والهدف الأسمى في التربية الإسلامية هو إعداد الفرد إعداداً شاملاً على المستوى الروحي والعقلي والجسدي لينشأ صالحاً مستقيماً، ينعكس ذلك في سلوكياته وتعاملاته في الحياة، قال الحق سبحانه: ﴿ هو الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (3).

وقد كان سلفنا الصالح خير من أدى حق هذه التربية الإسلامية وذلك بحسن تطبيقها وصدق ترجمتها إلى سلوكيات حياتية وواقعية؛ فرعوا مضامينها حق الرعاية، وأجلوها، وأدوا حقها خير أداء، فلم تكن التربية الإسلامية لديهم مجرد مناهج تُدرس، فلا تتجاوز إلا الحناجر، ولا تخترق إلا الأذان، ولم تكن مواد تُختبر من قبل أشخاص هم أبعد ما يكونون عنها تطبيقاً، وإنما كانوا كما قال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا

1 - زمزمي، يحي محمد حسن: 1414هـ، الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب و السنة، ط 1، دار رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، ص 5.

(2) الشافعي، إبراهيم، 1404 هـ، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الكويت، مكتبة الفلاح، ص 60.

(3) سورة الجمعة، آية 2.

تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن<sup>(1)</sup>، وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً<sup>(2)</sup>.

وسنحاول من خلال هذا البحث التعمق في الكشف عن أثر التربية الإسلامية في تعامل الفرد مع الآخر؛ حيث نعرض مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ثم ننتقل إلى مباحث البحث السبع وهي:

- 1- المبحث الأول: يشتمل على مفهوم التربية الإسلامية ومصادها وخصائصها .
- 2- المبحث الثاني: يشتمل على أهداف التربية الإسلامية.
- 3- المبحث الثالث: يشتمل على وسائل التربية الإسلامية .
- 4- المبحث الرابع: يشتمل على منهجية ومبادئ التربية الإسلامية في إعداد الفرد في تعامله مع الآخر .
- 5- المبحث الخامس: يشتمل على نموذج لأهم ميادين التعامل مع الآخر في ضوء التربية الإسلامية (الحوار وحرية التعبير).
- 6- المبحث السادس: يشتمل على نموذج رائد في تعامل وتعايش الفرد مع الآخر (مبرة الآل والأصحاب بدولة الكويت).
- 7- المبحث السابع: يشتمل على مستخلص نتائج البحث وتوصياته .

#### مشكلة البحث

إن المتمعن في واقعنا المعاصر يجد أن هناك فجوة بين منهجية التربية الإسلامية وبين الجانب العملي التطبيقي لهذه المنهجية والمتمثل بالسلوكيات اليومية للأفراد، فالتربية الإسلامية ليست مجرد تعلم عبادات وشعائر أو نصوص تحفظ ولكنها سلوكيات يومية ينتهجها الفرد المسلم ويوجهها من خلال تصرفاته إلى هذا المنحنى أو ذاك، فإذا لم يترجم ما يؤمن به الإنسان من قيم إلى أعمال وتطبيقات في أرض الواقع ضعفت قيمته في الحياة إلى حد كبير، وهذا ما يفسر حال الضعف والوهن التي تعيشها مجتمعاتنا العربية على الرغم من التنامي الواضح في الإقبال على أداء العبادات وانتشار الكتابات الإسلامية إذ أن التنامي الواضح لا يواكبه تنامٍ متوازٍ في حركة السلوك والفعل<sup>(3)</sup>.

ويقول مصطفى الطحان: وإذا أردنا أن نتعرف على الثغرات التربوية التي حالت بين المسلم والمضي في عملية إعادة البناء؛ لوجدناها ثغرات تتعلق بالفهم، وثغرات تتعلق بالتطبيق، على المسلم أن يُحسن مراجعتها، فيعود بالتوجيه إلى القرآن والسنة، ويمارس التربية في ميادين الحياة، لا في صوامع الانعزال أو ساحات الترف الفكري<sup>(4)</sup>.

فميادين الحياة عبارة عن تعاليم الدين وسلوك يحول هذه التعاليم إلى معاملة فيما بين الناس، إذن لا بد من ترادف بين معنى الدين ومعنى المعاملة، فالمعاملة هي السلوك والتصرف والترجمة الفعلية لهذا الدين، والمتمثل في النصوص المقدسة، فالفرد المسلم الحق هو من تساوت لديه القيم الإسلامية المتمثلة بالنصوص الشرعية، وواقعه السلوكي اليومي، فما التدين إلا أن يسلك المسلم سلوكاً خيراً يعود عليه وعلى الآخر بالنفع والفائدة.

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، 1403، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة (3/1).

(2) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، 1402 هـ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، شارع الجمهورية بعابدين، دار الكتب الإسلامية، ص 131.

(3) علي، سعيد إسماعيل، 2007، أصول التربية الإسلامية، دار المسيرة، الأردن، ص 210.

(4) الطحان، مصطفى، 2006 م ط 1، التربية ودورها في تشكيل السلوك، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص 30.

ويشهد واقعنا صورة محزنة ؛ فنحن نعيش أزمة إقصاء للآخر المختلف عنا، سواء كان هذا الاختلاف على مستوى التنوع اللغوي أو اللساني، أو على مستوى التنوع الديني، أو العرقي، أو الإدراكي والمعرفي، أو حتى الاقتصادي والمعيشي، فنحن نعيش في أزمة في علاقتنا مع الآخرين فلم نستقد من ثقافة الاختلاف والتعددية وثرائها، ولعل من أهم الأسباب المؤدية لمثل تلك الظواهر السلبية من إقصاء وتجاهل للآخر، وتصيد للأخطاء وعدم تقبل للرأي هو عدم فهم الذات المؤدي إلى تضخيمها ونفي المسؤولية عنها، كذلك انتشار بعض الثقافات الخاطئة كثقافة الفائز والخاسر في التعامل مع الآخر، وأحادية الحوار والانتقاص من الرأي المغاير، والتعصب الفكري لمذهب معين أو تيار أو حزب أو طائفة أو حتى عرق أو قبيلة مما يشل الإدراك لدى الفرد ويسوقه إلى دائرة الرفض لكل ما يعارض قناعاته المستمدة من انتمائته، فالقناعة النظرية شيء والواقع الملموس شيء آخر .

والخلل في ذلك متشعب ومتداخل إلا أنه وباعتقادنا أن ضعف أداء المؤسسات والوسائط لأدوارها في تطبيق منهجية التربية الإسلامية والتنسيق فيما بينها لتحقيق التكامل، هو من أهم أسباب تلك الفجوة بين التربية النظرية والتطبيق العملي، فلو نظرنا إلى إحدى قنوات التربية الإسلامية وأهمها، وهي المدرسة، فإننا نجد أن هناك ضعف تفاعل من قبل التلاميذ بمادة التربية الإسلامية، وقلة اهتمام من قبل أولياء الأمور، يصاحبه إهمال بعض المعلمين في أداء الرسالة، وقلة استخدام الوسائل الجاذبة والطرائق والأساليب الحديثة للتربية الإسلامية، مما يجعل التربية الإسلامية مادة نظرية خالية من التطبيقات العملية والمهارات السلوكية، والذي ينتج عنه سلوكيات خاطئة وممارسات منفرة، نراها بشكل متكرر في مجتمعنا، والتي هي نتاج ضعف تأثير سلوك الفرد بمنهجية التربية الإسلامية، وقد أشار أحد التربويين إلى هذه المشكلة منذ زمن بعيد، حيث يقول: ظاهرة انصراف طلابنا عن دراسة التربية الإسلامية ظاهرة واضحة وملموسة، وهي ظاهرة مؤسفة ينبغي القضاء عليها<sup>(1)</sup>، ويقول آخر: لعل ما يؤكد هذا ما نلاحظه على سلوك أبنائنا، فهم يتعلمون مثلاً الوضوء والصلاة، ومع هذا لا يحسنون القيام بالوضوء أو أداء الصلاة بشروطها وواجباتها، وهم أيضاً يتعلمون الكثير من القيم والمبادئ والمثل الإسلامية، ومع هذا نجد سلوكهم لا يطابق ما تعلموه عن هذه القيم والمثل<sup>(2)</sup>.

وقد نعزو أيضاً المشكلة إلى جمود المناهج، وغلبة الطابع النظري على الجانب التطبيقي والعملي، وفقدانها للمحفزات المثيرة لدافعية الطالب للتعلم والتطبيق، وفي دراسة أجراها الباحث محمد الشحومي، حول مدى تضمن كتب التربية الإسلامية للقيم التي تساهم في معالجة السلوكيات السلبية لدى طلاب المرحلة الثانوية، توصل إلى أن المناهج المدرسية للتربية الإسلامية بحاجة لإعادة التصميم بفاعلية، وذلك لتحفيز الطلبة على تطبيق القيم السلوكية ميدانياً<sup>(3)</sup>.

ولا يقتصر الأمر على المدرسة فقط، فتضافر الجهود في خلق بيئة متوازنة متكاملة تعتبر من أهم عوامل نجاح التربية الإسلامية في تحقيق أهدافها، فإنبات أجيال كريمة الشمائل نامية الفضائل تقتضي هيمنة ورقابة صارمتين على البيت والشارع والمدرسة، بل نظام الدولة نفسه<sup>(4)</sup>.

(1) الشافعي، إبراهيم، 1404 هـ، 1985 م، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الكويت، مكتبة الفلاح، ص 122.

(2) وزان، سراج محمد، 1411 هـ، 1991 م، التربية الإسلامية: كيف نربحها لأبنائنا، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، السنة العاشرة، عدد 112.

(3) الشحومي، محمد، 2007 م، مدى تضمن كتب التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية لقيم تساهم في معالجة السلوكيات السلبية لطلبة المرحلة الثانوية في دولة الكويت، رسالة ماجستير، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، نشر ملخص الرسالة في المجلة التربوية، عدد 82، مجلد، 21، مجلس النشر العلمي.

(4) الغزالي، محمد، 1982 م، نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، في قراءات في التربية الإسلامية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.



وعلى الرغم من اتسام مجتمعنا الكويتي بالحرية والديمقراطية إلا أننا نعاني من مشكلة أحادية الحوار، فنرى الحوار السياسي والاجتماعي والديني لا يرقى إلى المستوى المطلوب، فلو اطلعنا على صحفنا اليومية، وهي تزخر بالكتابات النقدية، والمقالات التجريحية، سببها انعدام لغة الحوار الإيجابي، وعدم تقبل الآخر باختلاف فكره أو تياره أو مذهبه، أو حتى رأيه، وأن يكون جنباً إلى جنب، رغم اختلافه عنه، فلذلك لا بد من وقفة جادة في تفعيل لغة الحوار بين أفراد المجتمع ابتداءً من مثقفها ومفكرها، كذلك تفعيل الوسائط التربوية لدورها في غرس مفهوم الحوار وآدابه وضوابطه؛ ليكون منهج حياة كل الناس، ولو رعوه حق رعايته لوجدنا مجتمعاً متماسكاً متفاهماً رائداً في علاقاته الداخلية والخارجية، وإن اختلفت وتعددت طوائفه وأجناسه. ويرى الباحث د. سعود هلال الحربي أن المراهقين والشباب يحتاجون إلى مهارات الحياة لمواجهة صعوبة الحياة، والتي تعقدت بشكل كبير، فهناك مهارات تتعلق بجوانب الحياة المادية وهناك مهارات تتعلق بالجوانب الاجتماعية والإنسانية مثل مهارة الحوار والاتصال والتفاعل مع الآخرين والتفكير وغيرها من المهارات، وهذه المهارات يجب أن توصل في التعليم والممارسة اليومية إلى جانب دور مؤسسات المجتمع الأخرى (1).

إنطلاقاً مما سبق كانت يمكننا صياغة مشكلة الدراسة الحالية في " أثر التربية الإسلامية في تعامل الفرد

مع الآخرين "

#### أهمية البحث :

- 1- إبراز دور المنهج الإسلامي في تعامل الفرد مع الآخر .
- 2- قلة البحوث الإسلامية التي تناولت موضوع البحث الحالي بدولة الكويت وذلك في حدود علم الباحثان .
- 3- يأمل الباحثان أن تفيد نتائج هذا البحث في جذب انظار وانتباه القائمين على الجهات الإعلامية بدولة الكويت نحو بعض جوانب القصور في تعامل الفرد مع الآخر ، مما يساعدهم على وضع هذه الجوانب في مقدمة القضايا التي يطرحونها إعلامياً وتوعوياً .
- 4- المساهمة في تزويد المكتبة العربية الإسلامية ببحث حديث يتناول قضية هامة وهي تعامل الفرد مع الآخر وذلك استناداً إلى ما وصلت إليه التربية الإسلامية من كمال المصدر ، والذي ينبع من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن الحلول والفلسفات الغربية ليست إلا قليل مما لدى التربية الإسلامية من كثير .
- 5- يُؤمل أن تفيد نتائج هذا البحث القائمين على التعليم في دولة الكويت وخاصة واضعي المناهج الدراسية بتضمين مااستصل إليه الدراسة من نتائج وتوصيات ضمن اهتمامهم كمؤشرات في صياغة مناهج المواد الدراسية المهمة بحقوق الانسان وكيفية التعامل والتعايش مع الآخر .

#### أهداف البحث

- 1- تعرّف مفهوم التربية الإسلامية ومصادرها وخصائصها .
- 2- توضيح فلسفة التربية الإسلامية في إعداد الفرد المسلم .
- 3- تعرّف أهم الوسائط التربوية للتربية الإسلامية .
- 4- تعرّف منهجية ومبادئ التربية الإسلامية في إعداد الفرد المسلم .

(1) الحربي، سعود هلال، مقال إلكتروني بعنوان: تعليم الحقوق والواجبات جزء من التربية والتنشئة المدنية، مجلة أرشيف المعرفة العدد، 168، الموقع الإلكتروني:

- 5- توضيح كيف يكون الحوار مع الآخر وحرية التعبير في ضوء التربية الإسلامية .  
6- لقاء الضوء على نموذج للتعايش مع الآخر بدولة الكويت (مبرة الآل والأصحاب).

## المبحث الأول التربية الإسلامية

### (1) مفهوم التربية الإسلامية :

#### (أ) مفهوم التربية :

تعددت مفاهيم التربية لتعدد هذه المدارس التربوية، فمن هذه المفاهيم أنها: فقه تربوي يستهدف توضيح المقاصد والغايات النهائية للتربية، وتوضيح طرق البحث والتربية الموصلة إلى هذه المقاصد، وتوضيح المعايير التي يحكم بها على هذه القضايا كلها، ثم إقامة علاقات المتعلم بالوجود المحيط طبقاً لذلك كله (1).  
كما تعرف التربية بأنها " عملية مقصودة تهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها؛ لتحقيق غايات محددة، ويقوم بها أفراد ذو كفاءة عالية بتوجيه وتعليم أفراد آخرين وفق طرق ملائمة مستخدمين تعليماً محدداً وطرق تقويم ملائمة" (2).

من خلال ما سبق نرى بأن الفرد هو المحور الأساسي للعملية التربوية إذ أن بتقويم وإصلاح الفرد من خلال المنهجيات والوسائل التربوية ينتج لنا مجتمعاً قد تحقق فيه مقاصد وغايات التربية. فالتربية ضرورة، وهي واجبة ذلك لأنها تنقل الوليد البشري من كونه كائن بيولوجي إلي كائن اجتماعي ، فأصبحت بذلك محط اهتمام ونظر لجميع الأمم عبر العصور وأساس كل تقدم وإصلاح وعنوان كل تغيير ونهضة.

#### (ب) مفهوم التربية الإسلامية :

مفهوم التربية الإسلامية ، أعم وأشمل وأكمل من مفهوم التربية ؛ لأن غاياته ومقاصده تتبع من مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ألا وهو الوحي المتمثل في القرآن والسنة النبوية الطاهرة .  
ومن مفاهيم التربية الإسلامية:

- أنها " التأثير في باطن الإنسان وخارجه في روحه وعقله وجسمه، وذلك لا يتم إلا بالوسائل التي يطلبها القرآن الكريم ويطلبها النبي ﷺ على نفسه وصحابته" (3).
- أنها " مجموعة الأصول الخاصة ببناء الإنسان المسلم، والواردة في الكتاب والسنة، والآراء والتطبيقات التربوية التي ترعاها الجهود الفردية والجماعية في أي زمان ومكان بهدف بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة النمو في جميع مراحل حياتها التي تعمل لخير دنياها وآخرتها" (4).
- أنها " منظومة من المفاهيم التربوية المتكاملة والمتصلة والتي تستند في اشتقاقها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والخبرة التربوية ، وتصاغ من قبل جماعة من الخبراء والمتخصصين بهدف بناء

(1) الكيلاني، ماجد عرسان، 1998 م، فلسفة التربية، بيروت، مؤسسة الريان، ص 72.

(2) المعاينة، عبد العزيز، 2006 م ط 1، المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، دار الثقافة، ص 13.

(3) النشمي، عجيل، 1995 م، وسائل التربية الإسلامية، اللجنة الاستشارية العليا، ص 9.

(4) علي، سعيد، 2007 م، أصول التربية الإسلامية، الأردن، دار الميسرة، ص 15.

الشخصية الإنسانية القادرة على تحقيق العماراة والعبودية والإستخلاف، حيث انها ترسم عدداً من الإجراءات والتطبيقات العملية والتي يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك سالكها سلوكاً يتفق وعقيدة الإسلام<sup>(1)</sup>. ويتبنى الباحثان التعريف الأخير للتربية الإسلامية والذي يحدد مكونات التربية الإسلامية ومصادرها وكيفية صياغتها والقائمين على صياغتها والهدف منها واساليب تحقيقها، حيث بين التعريف أن التربية الإسلامية ليست مجرد آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحفظ وليست مجرد طقوس وعبادات تعلم فقط بل إنها تربية وجدانية يتشكل بها الضمير الخلقى وفقاً لمعايير الإسلام حتى تكون بمثابة الضابط الأساسي الذاتي لكل قول أو فعل يصدر عن الإنسان وهو يتعامل مع غيره وبما يحقق مفهوم الإنسان الصالح.

## (2) مصادر التربية الإسلامية:

في عرضنا ومناقشتنا للتربية الإسلامية يكون لزاماً أن نتطرق إلى مصادرها الأساسية، والتي تستقي منها فلسفتها وأسسها وأهم ملامحها وأهدافها، هذه المصادر هي أهم ما يميز هذه التربية عن باقي مثيلاتها سواء القديم منها أو الحديث، والسبب في ذلك أصل مصدرها، إذ إن كل المدارس التربوية السابقة والحاضرة هي مستقاة من مصادر بشرية لا تتعدى النظريات والفرضيات التي وضعها الإنسان والتي منشأها الخبرة أو الاستطلاع، هذه المصادر البشرية لا تخلو من نقص وخلل مهما علا شأنها، ومهما أثبتت صحتها، وذلك لسنة الله أن اقتضى نقصان علم الإنسان مهما بلغ به درجات الرقي ليبقى الكمال له وحده سبحانه *﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾*<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: *﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾*<sup>(3)</sup>.

لذا فإننا نجد التربية الإسلامية أعم وأشمل وأكمل؛ لأن غاياتها ومقاصدها تتبع من مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه دستور متكامل ومرجع لا ينضب للتربية الإسلامية، الا وهو القرآن الكريم ولا يوجد منهج غيره يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية ويفي بمطالبها ويغذي عواطفها ومشاعرها، ويتابع تطورها ونموها، ويستوعب قضاياها ويلحق أزماتها ويلئمها في تطورها الصاعد، ويقودها على طريق الكمال بتؤدة ورفق<sup>(4)</sup>.

وأما السنة النبوية فإنها تمثل المنهج العملي المتوازن الذي يوازن بين الروح والجسد، وبين العقل والقلب، وبين الحرية والمسؤولية، وبين الفردية والجماعية، فهذا رسولنا المعلم القدوة يقدم للناس أجمع من خلال حياته العملية ومن خلال أحاديثه العديد من اللامعات والنظرات والمواقف ما يشكل مورداً رائعاً لا ينضب أبداً للقادة والمربين والمعلمين والمتعلمين، وكما قال سعيد إسماعيل علي: إذا كان من الضروري أن يهتدي العمل التربوي بفكر قد نسميه " عقيدة "، أو " فلسفة "، أو " أيديولوجية "، أو " نظرية "، أيأ ما كانت التفرقة واختلاف المستوى، فإن هذه القوة " الموجهة " نحتاج إلى خطوة، بل إلى خطوات أخرى، تتمثل في " سياسية تعليمية " و " استراتيجية تربوية "، ومن هنا فإن السنة النبوية هي بمثابة " السياسة التربوية "، وفي كثير من الأحيان - كذلك - " الاستراتيجية التربوية " لفلسفة القرآن التربوية<sup>(5)</sup>.

(4) خولة راشد أيوب الدوسري. (2011م). أثر استخدام نموذج بايبي للتعليم البنائي في تعديل التصورات البديلة لبعض مفاهيم التربية الإسلامية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي بدولة الكويت، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الخليجية، مملكة البحرين، ص 11.

(2) سورة يوسف، آية 76.

(3) سورة الإسراء، آية 85.

(4) علي، سعيد، أصول التربية الإسلامية، ص 161.

(5) علي، سعيد، أصول التربية الإسلامية، ص 163، 164.

ولم يكن الرسول ﷺ مريباً نظرياً يطرح مفاهيم مجردة، وقيماً مثالية لا تتحقق في الواقع، وإنما كانت حياته مصداقاً لمفاهيم الإسلام وقيمه، وبذلك ارتبط النظر بالعمل والعلم بالتطبيق (1)، فهو القدوة والمعلم في كل أمور الحياة: الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والأخلاقية والنفسية، فقد علم الصغار والكبار، والنساء والرجال، والمسلم وغير المسلم، في السلم والحرب، والحل والترحال، فكان رجل دين وديناً، فقد كان ﷺ معلماً متكاملًا " أدبه ربه فأحسن تأديبه "

وبالرغم من قدسية مصادر التربية الإسلامية المتمثلة بالوحي الذي حدد لنا الغايات والمقاصد العامة للتربية ترك لنا حرية تحديد الأهداف المرحلية لحاجات المجتمع المعاصرة والمستقاة من متطلبات المجتمع و تحديد النظريات ، وكذلك اختيار الوسائل التي يتم من خلالها تحقيق هذه الغايات، ولم يقتصر على وسائل محددة والتي قد لا تتناسب مع التطور والحداثة، بل طالبنا أن نسعى وراء كل ما هو جديد ومناسب للعصر الذي نعيش فيه، وقد بين لنا النبي ﷺ هذا المنهج في قوله: " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها"(2). فحري بالمربي المسلم الإطلاع على العلوم الإنسانية و الإمام بعلم النفس البشرية الحديثة لمواكبة مسارات التغيير و التجديد

ومن مصادر التربية الإسلامية أيضاً: أقوال الصحابة وأفعالهم، فلو تأملنا أية فلسفة أو مذهب أو عقيدة فإننا نجد أن أقرب المباشرين لصاحب المذهب أو النظرية أو الفلسفة هم أعلم بها وتطبيقها، إذ عاشوها قولاً وعملاً، ومارسوها وطبقوها حق التطبيق؛ لقربهم من صاحبها ومؤسسها، ولقرب عهدهم بولادتها، وهذا مدعاة للتمسك وحسن التطبيق، وقد كان عصر الصحابة رضوان الله عليهم خير القرون، فقد عاشوا الحديث والآية ودرسوا في مدرسة محمد ﷺ ، فكانوا المنهل الوفير لمن جاء بعدهم.

ومن مصادر التربية الإسلامية: الإجماع، وهو اتفاق المجتهدين من الأمة الإسلامية في عصر من العصور بعد وفاة النبي ﷺ على حكم شرعي (3) لحديث النبي ﷺ: " لا تجتمع أمتي على ضلالة " (4). مجمل القول فإن التربية الإسلامية قامت على قواعد ثابتة ودعائم قوية مرت عليها القرون، وهي لا تزال على حالها من القوة وعلى هيئتها من البناء وعلى بريقها من الجدة ارتفع عليها البناء يسد مسد الرياح من كل وجهة، ويصمد للحادث يثَّهر ولا تثَّهره (5).

### (3) خصائص التربية الإسلامية:

كما تقرر سالفاً أن التربية الإسلامية ذات أصالة في المنبع وسمو في الغايات والمقاصد فهي ذات خصائص تميزها عن باقي المناهج التربوية؛ ذلك لأن منهج التربية الإسلامية منهج متكامل يسعى لتنشئة الفرد والمجتمع على تصورات الإسلام وقيمه ونظرياته في مختلف مناشط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. و خصائص التربية الإسلامية عديدة، أهمها:

(1) سلطان، محمود السيد، بحوث في التربية الإسلامية، دار المعارف.

(2) الترمذي، سنن الترمذي، حديث غريب.

(3) محمد، إسماعيل علي، 2007 م، ص 185.

(4) الزرقاني، مختصر المقاصد، إسناده صحيح.

(5) صبح، محمد أحمد جاد، 1987 م، التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، ج 2، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

أ- **ربانية المصدر والوجهة:** فالمصدر لقول النبي ﷺ: " تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله " (1)، والوجهة هي العبودية لله تعالى؛ لقوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (2).

ب- **واقعية:** بمعنى لا تتصادم مع الفطرة السوية، ولا تكلف الإنسان فوق طاقته، ولا تجعل عليه في الدين من حرج، فأهداف التربية الإسلامية مرنة قابلة للتطور والتشكل حسب واقع الفرد، مع الإشارة إلى أن هذه المرونة لا تخرج عن دائرة المقاصد الرئيسية للتربية الإسلامية، إنما تخضع لما فيه خير وصلاح للناس في الحياتين الدنيا والآخرة.

وتتمثل واقعية التربية الإسلامية في تقديمها منهجاً علمياً دينامياً يستهدف توجيه الواقع؛ ليقضي على ما فيه من سلبيات، وليؤكد ما فيه من إيجابيات " إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (3)، ويعدل ويغير ما يراه في حاجة إلى تغيير، ويستجيب لمقتضياته ويواجه مشكلاته، ويجيب على تساؤلاته، ويجسم قضاياها؛ لذا فقد اتسم واتصف هذا المنهج بالواقعية وبالتشريع للواقع (4).

فهذا العالم " ويلز " أكبر مؤرخي انجلترا بنظرته المنصفة للدين الإسلامي البعيدة عن غبار العنصرية يقول: إن كل دين لا يسير مع المدنية في كل طور من أطوارها، فاضرب به عرض الحائط؛ لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنباً إلى جنباً، إنما هو شر مستطير يجر أصحابه إلى الهلاك، وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية كيفما سارت واتجهت في نظري هي الدين الإسلامي (5).

ت- **توازنية:** أي تدعو الفرد المسلم إلى اتخاذ منهج التوازن في كل أمور حياته، فيعطي كل ذي حق حقه، بحيث لا يطغى جانب على آخر، إنما كل جانب يكون له ما يستحقه وفقاً لوزنه في بناء الإنسان وتحقيق مقاصد الشريعة، فهي تراعي الجانب العقلي والروحي والجسدي للإنسان بإطار من التوازن، يقول محمد قطب: فكل النظم الأخرى غير الإسلام أحد فريقين: فريق يصل الناس بخالفهم ليتركوا الأرض ومتاع الأرض وكفاح الأرض وتعمير الأرض، وفريق يصل الناس بالأرض، فيستمتعون ويكافحون من أجلها ويعمرون فيها ويتركون الله، والإسلام وحده هو الذي يصل الإنسان بالله؛ ليصلح حاله على الأرض وينظم حياته فيسير بجسمه على الأرض، وهو متجه بروحه إلى السماء (6).

ث- **شمولية:** فهي تحرص على ألا تترك جانباً من جوانب التنشئة والتكوين دون أن تعتني به وترسم له مسار العمل والتنفيذ، فهي أيديولوجية متكاملة في البناء شاملة لكل أمور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية والحربية والأمنية والأسرية والترويحية؛ لذا فهي تعد مصدراً خصباً لبناء المنظومة الفكرية والاجتماعية للفرد والمجتمع في تكامل وتناسق متناهيين، كذلك تظهر شمولية التربية الإسلامية في مخاطبتها لكل فئات المجتمع، الذكر والأنثى، الصغير والكبير، والمسلم وغير المسلم، فهي تربية لا مكانية ولا فئوية.

ج- **وسطية:** حيث لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تسبيب، منهجية معتدلة من غير جنوح ولا إفراط في شيء من الحقائق، بعيدة عن المغالاة والتطرف والشذوذ في الاعتقاد، لا تهاون ولا تقصير، ولا استكبار ولا خنوع ودل

(1) الألباني، مشكاة المصابيح، إسناده حسن.

(2) سورة الداريات، آية 56.

(3) الألباني، السلسلة الصحيحة، إسناده صحيح.

(4) سلطان، محمود السيد، 1979 م، بحوث في التربية، ص 54.

(5) صبح، محمد أحمد جاد، 1987 م، التربية الإسلامية دراسة مقارنة، ص 125، 126.

(6) قطب، محمد، 2007 م ط 17، منهج التربية الإسلامية، مصر، دار الشروق، ص 17.

لغير الله، ولا تشدد أو إحراج ولا تساهل في حق من حقوق الله ولا حقوق الناس، فهو الاعتدال في الاعتقاد والسلوك والنظام والأخلاق<sup>(1)</sup>، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾<sup>(2)</sup>.

ح- **عالمية:** لا تستهدف إنساناً محدداً ببقعة جغرافية معينة، ولا بزمان معين وإنما تستهدف عموم الناس بحكم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وهذا يتضح جلياً في الخطاب القرآني المتكرر بـ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾، ويقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(3)</sup> (4).

فمن أهداف التربية الإسلامية تربية الإنسان للإنسانية لا ينغلق على نفسه فيعمل لها ولا يقتصر على أسرته فيقتصر جهده عليها ، ولا يغيره الوطن بأمجاده وتطلعاته فيربط اهتمامه به فقط، وإنما ينطلق إلى العالم الواسع ، لا يفرق بين جنس وجنس ولغة ولغة ودين ودين، اقتداء بالرسول المعلم ﷺ<sup>(5)</sup>، وبالرغم من حرص الإسلام على إعداد الإنسان الصالح، فإنه لم يغفل عن تعزيز روح المواطنة الصالحة للفرد المسلم، وما ينعكس عليه من سلوكيات حسنة في المجتمع، ومن حُسن تعايش مع الآخرين واضعاً نصب عينيه انتمائه لوطنه، وحرصه عليه، فهذا خير البشر حينما أخرجهم أهل مكة من مسقط رأسه التفت قائلاً: " والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وقال: إنك لأحب البلاد إلي " (6).

## المبحث الثاني

### أهداف التربية الإسلامية

تقوم أهداف التربية الإسلامية على تحقيق حاجات الروح والعقل والجسد، فالدين الإسلامي لا يقف أمام هذه الحاجات وقفت ، بل يلبي مطالبها ويهذبها وفق ما أمر الله ورسوله ﷺ ، فالهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو تكوين الفرد المسلم الناجح ذو الشخصية المتميزة التي تمكنه من النجاح في الدنيا والآخرة، والفوز بالسعادة في الدارين.

ويمكن توضيح أهداف التربية الإسلامية فيما يلي :

#### 1 - الهدف التعديدي:

عبادة الله الواحد الأحد، هي أساس الدين ووجهته، فالعبودية لله هي رسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام ومهمتهم في الأرض، يقول تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾<sup>(7)</sup>، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾<sup>(8)</sup>.

(1) الزحيلي، وهبة، 2006 م، الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، المركز العالمي للوسطية، سلسلة الأمة الوسط (1)، الكويت، وزارة الأوقاف.

(2) سورة البقرة، آية 143.

(3) سورة البقرة، آية 83.

(4) علي، سعيد إسماعيل، أصول التربية، ص 143، 144.

(5) صبح، محمد أحمد جاد، التربية الإسلامية دراسة مقارنة.

(6) ابن تيمية، المصدر، مجموع الفتاوى، الصفحة أو الرقم: (378/18)، خلاصة الدرجة: ثابت من موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

(7) سورة البينة، آية 5.

(8) سورة النحل، آية 36.

فهذا الهدف يجعل الإنسان عبداً لله في روحه وعقله وجسده، فهو يدخل في جميع حاجيات الإنسان وحياته وتصرفاته علماً وعملاً، فالله تعالى وبخ الناس الذين يهتمون فقط بالعلم دون العمل والسلوك، فقال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ ثَلَاثُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (1).

وتتحقق هذه العبودية بتوحيد الله وعدم الإشراف به، وبطاعة الله في أوامره ونواهيه، فكثيرة هي الآيات التي تأمرنا بطاعة الله ورسوله ﷺ، ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (2)، وكثيرة هي الآيات التي تأمرنا بالعمل الصالح، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرُ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ (3)، والعمل الصالح هنا لا يقتصر فقط على العبادة المحضة في المسجد كالصلاة أو الصيام أو الحج، بل تتعدى إلى أكثر من ذلك إلى السلوك اليومي للإنسان فالإسلام جعل الرجل الذي يضع اللقمة في فم زوجته صدقة، وجعل للذي يزيل الأذى عن الطريق أجراً، بل ربما يكون هذا العمل سبب من أسباب دخول الجنة؛ لقوله ﷺ " بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك فأخذه، ف شكر الله فغفر له " (4)، بل جعل الحاجة الجنسية التي يتمتع بها الإنسان عبادة إذا صلحت النية؛ لقوله ﷺ " وفي بضع أحدكم صدقة " (5).

## 2 - الهدف الدنيوي:

يتحقق الهدف الدنيوي للتربية الإسلامية من خلال حثها للفرد المسلم على التفاعل الإيجابي في الأرض، والحرص على تعميمها بما يمكنه في كل جوانب الحياة العمرانية والاقتصادية والتكنولوجية والصناعية والصحية... وغيرها، حيث يعتقد أن هذه الجوانب هي طريق للأخرة دار القرار.

فالتربية الإسلامية لا تحث على الرهبانية والانقطاع في الصوامع عن الحياة وأحداثها، بل حثنا على السير والتفكير في الأرض والتفاعل مع الدنيا بشكل إيجابي، يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (6)، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (7).

كذلك تسعى التربية الإسلامية لتحقيق التوازن فهي تأمرنا في السير لتعمير الدنيا وتأمنا بالزهد فيها وعدم الاغترار بها إذا كانت سبباً في الإعراض عن الآخرة، فالميزان هو إذا كانت الدنيا سبب في الإعراض عن الآخرة يزهدها، وإذا كانت تمكين للمسلمين وإعزاز لهم وتسهيل للأخرة، فإن الشريعة تحثنا عليها من باب القاعدة الشرعية ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

## 3 - الهدف الخُلقي:

إن أكثر الحضارات والدول بقاءً واستمراراً هي تلك التي تتمسك بالأخلاق والقيم، قال الشاعر:  
إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا (8)

(1) سورة البقرة، آية 44.

(2) سورة آل عمران، آية 32.

(3) سورة العصر.

(4) رواه البخاري.

(5) رواه مسلم.

(6) سورة الملك، آية 15.

(7) سورة العنكبوت، آية 20.

(8) ديوان الشاعر أحمد شوقي.



يقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (1)، يقول الشنقيطي صاحب الأضواء: والخلق العظيم أرقى منازل الكمال في عظماء الرجال (2)، ويقول سيد قطب رحمه الله: يعجز كل قلم ويعجز كل تصور عن وصف قيمة هذه الكلمة العظيمة من رب الوجود وهي شهادة من الله في ميزان الله لعبد الله يقول فيها: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (3)، وكيف لا يكون ﷺ على خلق عظيم، وهو الذي أخبرت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلق الرسول ﷺ فأجابت " كان خلقه القرآن "، وهو الذي قال عن نفسه ﷺ: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (4). يقول الدكتور بوكيه (Bouquiet)، وهو من رجال الدين المسيحي في كتابه الأديان المقارنة، عن النبي محمد ﷺ: أنه نشر في المشرق مثلاً أعلى للحكم، وللأخلاق الإنسانية أوسع وأنظف وأحدث وأقوى من أمثلة الدولة البيزنطية، وإن الحكم على شخصيته أيضاً ليتطلب الإنصاف من أولئك الذين ينظرون إليها بعين المغرض (5).

إن فالترية الإسلامية تحث على الأخلاق والقيم ليس فقط بين المسلمين أنفسهم، بل مع الناس جميعاً، يقول تعالى: ﴿ لَا يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ (6)، ويقول الرسول ﷺ: " اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن " (7)، ونلاحظ كلمة الناس في الآية والحديث بمختلف أديانهم وأشكالهم مما يدل على أن الخلق في التربية الإسلامية لا يحده مكان ولا زمان، ولا نوع سواء كان هذا النوع إنسان أو حيوان، وسواء كان هذا الإنسان في بيته أو بلده أو خارج بلده أو في بداية مراهقته أو في مرحلة رجولته أو كهولته، فمنهجية التربية الإسلامية هي ترجمة الأخلاق إلى واقع وسلوك وهذا ما ينقص المجتمع الإسلامي حيث أن الأخلاق نظرية أكثر مما هي عملية، بينما كان أسلافنا قد ترجموا الأخلاق إلى واقع عملي مما جعل الإسلام يصل إلى أصقاع العالم لا بالسيف، بل بالخلق الحسن.

#### 4- الهدف العقلي العلمي:

إن الإسلام يهتم بالعقل والعلم بالغ الاهتمام، فهو يطلق للعقل العنان في التفكير والتأمل والوصول إلى ما ينفع الإنسان في الكون من علوم ومعارف، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ (8)، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ \* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ \* وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ \* وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ \* فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ (9)، ويقول تعالى: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ (10)، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (11).

(1) سورة القلم، آية 4.

(2) الشنقيطي، محمد، 1996 م، ط 1، أضواء البيان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص 429.

(3) قطب، سيد، ط 12، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ص (3656/6).

(4) الألباني، السلسلة الصحيحة، إسناده صحيح.

(5) العقاد، مصطفى، الإسلام دعوة إسلامية، ص 30.

(6) سورة الممتحنة، آية 8.

(7) الألباني، صحيح الترغيب، إسناده حسن.

(8) سورة آل عمران، آية 190.

(9) سورة الغاشية، آية 17 - 21.

(10) سورة المجادلة، آية 11.

(11) سورة فاطر، آية 28.



فتتمية العقل بالتفكير والعلم هو طريق الوصول إلى الحق والفلاح في الدنيا والآخرة، فالإسلام يدعو إلى طلب العلم بشتى أنواعه؛ لقوله ﷺ: " ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " (1)، ودعا إلى الاهتمام بالعقل وإعطائه الحرية في التفكير فيما عدا الغيبيات؛ لأنها ليست من مجال العقل، ولو خاضها لتاه فيها ولتبددت طاقته من غير فائدة لقول الرسول ﷺ: " يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ريك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته " (2).

#### 5- الهدف الاجتماعي:

الهدف الاجتماعي في التربية الإسلامية يقوم على بناء مجتمع متماسك متكافل متراحم بين جميع أفرادها، وقد شبه الرسول ﷺ هذا المجتمع بمثال يبين مدى تلاحمه، فقال ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " (3)، بل إن الإسلام دعا إلى تكوين الشخصية الاجتماعية للفرد المسلم، وذلك بحثه على أن يتعايش مع الآخرين ويختلط معهم ويألفهم، فقد قال ﷺ: " المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف " (4)، والألفة بين الناس لا تتحقق إلا إذا خالط الناس وصبر على أذاهم وتعامل معهم بالإيثار والمحبة، والإسلام جعل بعض العلاقات الاجتماعية ذات أهمية، ومن أهمها ترتب على ذلك عقوبة دنيوية أو أخروية مثل العلاقة مع الوالدان والزوجة والأبناء.

وخلاصة القول فالتربية الإسلامية تدعو الناس أن يعيشوا بسلام وفق علاقات اجتماعية راقية تسودها الرحمة والترابط والتكافل وعدم الظلم، فالصحابا لم يفهموا من رسول الله ﷺ معنى قوله: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال: تحجزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره " (5)، إذا مجتمع بهذا الرقي من نصرة المظلوم، ودفع الظلم عنه حتى لو لم تعرفه، حريٌّ بأن تكون علاقاته الاجتماعية مثالية.

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

(3) متفق عليه.

(4) الهيثمي، مجمع الزوائد، رجاله رجال الصحيح.

(5) رواه البخاري.

### المبحث الثالث

#### وسائط التربية الإسلامية

تحتوي التربية الإسلامية على العديد من المضامين والقيم والمهارات التي تستدعي وجود قنوات وسيطة لحملها وتوصيلها للآخرين، وهذه الوسائط عديدة ومتنوعة، هذا التنوع في الوسائط يكمل بعضه البعض ويتممه؛ لذا فالواجب إيجاد آليات تضافر وتناغم وتنسيق بين هذه القنوات لتحديث التوازن في بناء شخصية الفرد المسلم، وهذه الوسائط كثيرة ومتنوعة سنعرض لبعض منها فيما يلي :

#### 1 - الأسرة:

هي الخلية التي تربي أصول النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله للعالم، ففيها يعرف ما له من حقوق، وما عليه من واجبات وفيها تتكون مشاعر الألفة والمحبة... وتبذر الإيثار وغيرها من الخلال والفضائل فتتم أو تخبو بما يصادفها من أجواء في الحياة العامة والخاصة (1).

فما لا شك فيه أن للأسرة دور عظيم في تكوين سلوكيات واتجاهات وعادات الفرد، فالخبرات الأولى التي يكتسبها، والأكثر استمرارية وديمومة وتأثيراً عادة ما تُكتسب من داخل المنزل ومن أفراد الأسرة، خصوصاً الوالدين؛ لذا اهتم ديننا الحنيف في بناء الأسرة المسلمة، واعتبرها أساس المجتمع المسلم، ودعا إلى سلامتها وصحتها وتماسكها لما تقوم به من دور كبير في تحقيق أهداف التربية الإسلامية، ومن إعداد الفرد المسلم؛ لذا فلا عجب أن نرى أن من أهم أسباب انهيار الحضارة الرومانية العريقة تصدع الأسرة الرومانية وتخليها عن أدوارها الأساسية من تنشئة ورعاية، والذي أدى بدوره إلى تصدع المجتمع بأكمله (2).

#### 2 - المسجد:

يلعب المسجد دوراً هاماً في عملية التنشئة على النهج الإسلامي لدى الأفراد والجماعات، وخاصة إذا توافرت له الإمكانيات من قوى بشرية وإمكانيات مادية، فهو يعتبر مؤسسة مفتوحة تضم كل شرائح المجتمع دون استثناء، فهو مصدر العبادة والمعرفة الدينية والدنيوية، وغرس القيم؛ لذا فعلى المربين استغلال هذا الوسيط استغلالاً صحيحاً لتحقيق أهداف التربية الإسلامية بما يتناسب مع طبيعة المكان وخصائصه، كتعريف الفرد المسلم بكيفية أداء العبادة بالطريقة الصحيحة والاعتناء بتحفيظ القرآن وتفسيره، وأن يكون محل اجتماع وتآلف والنقاء لبناء المجتمع المسلم بكل أطيافه؛ ليتعاونوا على ما اتفقوا فيه فهو يعد وحدة النقاء يؤدي خدمات كبيرة تسهم في وحدة المجتمع المعاصر، ويسهم إسهاماً إيجابياً في المشروعات الإصلاحية المختلفة (3).

#### 3 - المدرسة:

ظهرت المؤسسة المدرسية لتساند الأسرة في تربية وتعليم الأبناء، وذلك لاتساع دائرة العلوم والمعارف التي حتمت وجود هيئة متخصصة ومناهج محددة وأنظمة لتوجيه سير العمل من أجل تحقيق مجموعة من الأهداف المحددة والمقصودة، وتهدف المدرسة إلى إيجاد الاتجاه العقلي والعاطفي الصحيح نحو الله سبحانه وتعالى، ونحو

(1) عرفة، محمد بن عبدالله، 1384 هـ، ط 1، حقوق المرأة في الإسلام، مطبعة المدني، ص 17.

(2) علي، عبد اللطيف أحمد، التاريخ الروماني، 1973، القاهرة- مطبعة النهضة.

(3) علي، سعيد إسماعيل، 2007، أصول التربية الإسلامية، دار المسيرة، الأردن، ص 201.

رسوله ﷺ ، وتكوين الفكر الإسلامي الواضح في ذهن الأفراد وتحقيق الوحدة الفكرية القائمة على وحدة العقيدة، وتحقيق التوازن بين الجانبين الدنيا والآخرة (1).

فالمدرسة لها أثر كبير في زيادة معرفة الطلاب وتنمية عقولهم ومداركهم وصقل مواهبهم وإبراز كفاءاتهم، كذلك تلعب المدرسة دوراً حيوياً في تنمية روح الولاء للدين، ثم الوطن، وحفظ التراث الثقافي للمجتمع ناهيك عن دورها المهم في تنمية السلوك المرغوب به، وغرس القيم والأخلاق الإسلامية وممارستها فعلياً بالتطبيقات العملية والتدريب الذاتي في المدرسة وخارجها.

لذا فالمدرسة كوسيط مهم ومؤثر في التربية الإسلامية يواجه تحدياً كبيراً في تطبيق المنهجية للتربية الإسلامية في مجتمعنا، فإن كانت المدرسة إسلامية المنهج لا يعني أنها دينية تعلم علوم الدين والشريعة، ولكن بمعنى أنها تربي تلاميذها؛ ليكونوا مسلمين صالحين، وتتماشى مع التربية الإسلامية التي بدأها الطفل في المنزل، وتسير بها خطوات جديدة نحو الاكتمال، كذلك تصحح وتقوم ما قد يكون البيت المسلم قد نسيه أو لم يحسن التوجه فيه (2)، فليس كل الآباء على قدر عال من الإدراك والوعي اللازمين للعملية التربوية؛ لذلك فالمدرسة تلعب دوراً تكاملياً مع الأسرة وفق منهج مدرّس ومفصل ومؤصل على أيدي متخصصين، فالمعلم على سبيل المثال لا الحصر يلعب دوراً مهماً في غرس القيم الداعية إلى التفاعل البناء في المجتمع والتعايش الإيجابي مع الآخر كالانفتاح وتقبل الآخر وتعلم فنون ومهارات الحوار وأدب الخلاف وفن الإنصات بكونه قدوة ونموذج لتلاميذه، فيكسبون منه الخصال الحميدة من حسن تعامل مع الآخرين وتعاون وتكافل اجتماعيين والكثير التي لا يمكن تعلمها لفظياً فقط، بل تطبيقاً ومن خلال القدوة والمحاكاة.

كذلك الكتاب المدرسي باعتباره إحدى وسائل الاتصال هو ناقل للقيم والمعارف والأفكار، فمن خلاله تتم عملية إنمائية غايتها حصول المتعلم على المعلومات والمعارف والقيم مما يكفل خلق عملية تفاعلية ثنائية الطرف بين المتعلم والكتاب (3).

#### 4 - المجتمع:

ومن الوسائط أيضاً المجتمع الذي تعد الأسرة لبنه من لبناته، والميدان العملي للممارسات التربوية الإسلامية؛ لذا فقد اهتمت منهجية التربية الإسلامية على غرس وتحبيب قيم أساسية كبنية أساسية في المجتمع كاستحداث واجبات على عاتق الفرد أو تعديل واجبات قديمة أو إقرار واجبات حديثة، وتتناول هذه الحقوق والواجبات شتى مجالات السلوك الإنساني، سواء السلوك الفردي والسلوك الاجتماعي وعلاقات الفرد بقرابته أو الجماعة كلها، وقد أدى ذلك إلى تقويم أية خبرات حضارية سابقة أو لاحقة في هذا الضوء بحيث تكون متجاوبة مع معايير الإسلام ومقاصده (4)، كذلك تسعى التربية الإسلامية إلى تعزيز مفهوم المواطن الصالح دون تعصب يخل في إنسانيته أو يحجم نشاطه الخارجي، والمواطنة الصالحة تتمثل بالصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنتاج والعطاء وحب الوطن .

#### 5 - الإعلام:

يعتبر الإعلام وسيلة للتعبير والتوجيه و التنقيف والتعليم والإرشاد، وتتضح خطورة الإعلام حينما يتضارب مع قيم وأهداف المجتمع التربوية، ففي عصر الانفتاح الإعلامي نرى كثيراً من الفضائيات التي تحولت إلى معاول

(1) مجاور، محمد صلاح الدين، 1990 م، تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية، ط 4، الكويت، دار القلم.

(2) علي، سعيد إسماعيل، 2007، المرجع السابق، ص 222.

(3) مصالحة، محمد، 1984 م، نحو مقترَب عالمي لحق الاتصال ومشكلاته، مجلة الشؤون العربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربي، عدد 24، تونس.

(4) علي، سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية.

هدم لما تبنيه الأسرة وما تغرسه المدرسة، فالإعلام إما أن يدعم ويتكامل مع العملية التربوية أو أن يتضاد معها ويعيقها.

لذا فالأسرة والمدرسة تواجهان تحديات في مواجهة موجة الانحلال الأخلاقي المتفشية في بعض القنوات الفضائية، بتعزيز القيم والأخلاق والفضائل وتوظيف وسائل الإعلام توظيفاً إيجابياً نافعاً يخدم التربية الإسلامية ويجعلها مواكبة للثورة التكنولوجية، هذا بالإضافة إلى الإعلام المقروء والمسموع، فالإعلام بكل قنواته يُعد وسيط مهم من وسائط التربية، وهو من أكثرها تأثيراً لسهولة تقبله وسلاسة دخوله في كل بيت، فهو بفعل القائمين عليه إما داعماً للتربية غارساً للقيم والفضائل منمياً للمعارف والمدارك أو أن يكون ناشئاً لجيل فارغ العقيدة خاوي العقل مُحطم الشخصية متزعزع الهوية.

كذلك يتميز مجتمعنا الكويتي عن باقي المجتمعات باستحداث وسائط جديدة يتواصل عبرها أبناء المجتمع بتبادل الآراء و طرح الثقافات ووجهات النظر. كالدواوين المنتشرة بشكل كبير حتى غدت أحد معالم الموروث الإجتماعي في الكويت، و كذلك ظهر في الآونة الأخيرة العديد من البرامج و الأنشطة الموجهة و الداعمة لتحقيق أهداف التربية الإسلامية و التي تقام في الأماكن العامة كالمجمعات التجارية و الحدائق العامة.

ونحن برأينا نرى أن هذه الوسائط لا توتي ثمارها ولا تحقق الغاية السامية منها كوسائط إيجابية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية إلا إذا تضافرت الجهود فيها وتعاونت وأحدثت نوعاً من التكامل المتوازن فيما بينها، وهذا لا يكون إلا إذا بادر المسؤولون في خلق هذا التعاون والتكامل والتنسيق بين الوسائط، حتى لا تتضارب الغايات والمقاصد.

#### المبحث الرابع

##### منهجية ومبادئ التربية الإسلامية في إعداد الفرد في تعامله مع الآخر

اهتمت التربية الإسلامية ببناء الفرد داخلياً ووضعت المناهج والوسائل المناسبة لتحقيق هذا البناء، فالتربية الإسلامية تتميز بتقديم فكر وعمل وطريقه بحيث تتجاوز المعطيات المحلية والقومية ومتغيرات البيئة، وتحقق في الوقت نفسه تفرد الإنسان وأسمى درجات وعيه بنفسه و بعلاقته بخالقه وبالكون وبالناس وبالحياء و بالأشياء<sup>(1)</sup>، فهي بذلك تقدم نموذجاً عالمياً في إعداد الفرد المتوافق مع نفسه والمتعايش إيجابياً مع غيره.

فأولى المنطلقات من وجهة نظر فلسفة التربية الإسلامية للانطلاق في ثقافة التعايش والتفاهم والحوار مع الآخر هو أن نحسن الحوار مع أنفسنا وذواتنا، ونتعرف عليها بشكل دقيق؛ لنعالج أخطائها، ونقوم اعوجاجها، ونتعرف على إمكاناتها ونقاط قوتها وضعفها، ونتفهم احتياجاتها، ونحترم رغباتها، وما تملك من قدرات وملكات، ثم ننطلق بعدها للتعامل والتعايش مع الآخر والحوار معه ونحن نقف على أرض صلبة تتسم بالقوة والوضوح والثقة.

##### 1- إعداد الفرد:

لذا فقد اهتمت التربية الإسلامية في بناء ذات الفرد المسلم؛ ودعت إلى منهجية متسلسلة متناغمة مع احتياج هذه الروح التي أودعها الخالق سبحانه في هذا الجسد، وهو أعلم بأسرارها ومفاتيحها، فدعت التربية الإسلامية إلى فهم هذه النفس البشرية (الذات) ابتداءً، والغوص في أغوارها ومعرفة احتياجاتها وملكاتهما وكل دقائق الأمور عنها، ثم تقبل هذه الذات بكل ما تملك من خصائص قلّت منها أو كُثرت، ثم تطوير وتنمية وإصلاح هذه النفس إما بتقويم ما اعوج منها، أو بتطوير ما قصر فيها.

(1) رمزي، عبدالقادر هاشم، 1984م، ط1، الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (دراسة مقارنة)، الدوحة، دار الثقافة، ص

فإذا ما تجاوز الفرد هذه المراحل النفسية الثلاثة فإنه يصبح قادراً على التعامل مع الآخر التعامل الراقى البناء وذلك بتقبله رغم اختلافه، باعتبار هذا الاختلاف أحد أسباب تنوع وثراء الحياة، وذلك بالبحث عن نقاط الاتفاق لبناء قاعدة عمل مشتركة، كذلك بالاعتراف بقيمته وإفساح العقل والقلب لسماع وتقبل رأيه.

#### أ - بناء الذات:

تميزت فلسفة التربية الإسلامية عن باقي الفلسفات التربوية أنها اهتمت بتكوين ذات الفرد وجعلته المبدأ الطبيعي المنطقي السليم لكل تكوين وإصلاح في المجتمع سواء كان أخلاقياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً<sup>(1)</sup>؛ لذا فقد جاء القرآن الكريم محدداً معالم بناء وتكوين الذات بمنهج متكامل يشمل (الإيمان بالله، العمل الصالح، التواصل بالحق، التواصل بالصبر)، وذلك في سورة العصر، بل هذه السورة قد تعدت مرحلة البناء للذات إلى فهم الذات، ثم إصلاح وتطوير الذات، فقد جاءت التربية الإسلامية لتبين للفرد ماهية خلقه وما هو دوره في هذا الكون العظيم، والمتمثلة بالإيمان بالله والعمل الصالح، فالإيمان بالله الذي يتبعه عمل صالح عاملين مهمين في تكوين النفس الإنسانية، فإذا تحققت صلحت النفس وسمت الروح وعظمت الأخلاق واستقام السلوك، وأصبح بين الناس نموذج خير وشعاع صلاح.

إن النفس في أصلها سليمة ليس فيها إلا الاستعداد والقابلية للتقوى أو الفجور قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾<sup>(2)</sup>، فيأتي عمل الإنسان إما بالتزكية أو بالتدسية لهذه النفس<sup>(3)</sup>، كما قال جل وعلا: ﴿ فَمَنْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾<sup>(4)</sup>، كذلك فقد بين لنا رسولنا الكريم ﷺ أن كل مولود مجبول في طبيعته على الخير إلا أن البيئة المحيطة به هي التي تشكل هذه النفس وتحدد معالمها، حيث قال ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه " <sup>(5)</sup>.

قال الزمخشري: فطر الله الخلق، وهو فاطر السموات مبتدعها - وكل مولود يولد على الفطرة - أي على الجبلة القابلة لدين الحق<sup>(6)</sup>؛ لذا فقد جاءت التربية الإسلامية بأسس التكوين الأولوية للنفس البشرية متمثلة بما قبل خلق هذه النفس، وذلك باختيار الزوجة الصالحة والتي ستكون أمّاً صالحة بعد ذلك، تساهم في تعزيز الفطرة السليمة لدى الطفل وهي فطره التوحيد والإيمان، كذلك عنيت التربية الإسلامية أيما عناية في توفير البيئة الإسلامية التربوية للطفل في المنزل؛ لتكون له المنبع الذي لا ينضب في تشكيل هويته وتحديد ملامح ذاته، فالأبوان يقومان بمهمة ترسيخ العقيدة والمفاهيم والأفكار والقيم في الابن، وطبيعة الطفولة تمتص ما لا ينطق به الأبوان أو المجتمع مما يستنبطه الطفل من الأنواق والاستحسان والاستقباح لأمر كثيرة لا يشعر بها الطفل، وإنما يتشربها تشرباً، ويومي بها إليه إيماءً، مما يؤثر في سلوكه في كبره دون إرادة منه<sup>(7)</sup>، وما السلوك إلا انعكاس لأفكار متعمقة ثابتة راسخة في النفس.

(1) علوان، عبد الله، 1979 م، محاضرة تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام، مصر، دار السلام.

(2) سورة الشمس، آية 7-8.

(3) سعيد، جودت، 1993 م، ط 7، حتى يغيروا ما بأنفسهم، بيروت، دار الفكر المعاصر، ص 81.

(4) سورة الشمس، آية 9 - 10.

(5) الألباني، صحيح الجامع، إسناده صحيح.

(6) سعيد، جودت، 1993 م، ط 7، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص 85.

(7) سعيد، جودت، 1993 م، حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ومن منهجية التربية الإسلامية في بناء الذات، تحقيق حاجات الفرد والتي على أساسها وضع الشارع أحكام الشريعة لتحقيقها وهي مقاصد الشريعة والتي عرفها اليرسوني: بالغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد<sup>(1)</sup>، هذه المقاصد هي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، فلم يأت الدين الإسلامي برهبانية تكبت رغائب هذه النفس، فيقتل حيويتها ويبدد طاقتها ويشتت كيائها، بحيث لا تعمل ولا تنتج ولا تصلح للعبادة ولا عمارة الأرض وترقية الحياة، إنما جاء ضابطاً لهذه الرغبات وذلك عن طريق تحديد العبادات والطاعات، ووضع التشريع المفصل بما يحفظ حاجاتها، بالإضافة إلى تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظافر المتمثلة بالمراقبة الذاتية والتقوى.

#### ب - فهم الذات:

لم يكن دور التربية الإسلامية بالنسبة للنفس البشرية في بنائها من الأساس فقط، إنما بتعهدها وفهمها وتقبلها، وتقييمها وتقويمها، وإصلاحها حتى تحط رحالها وهي مطمئنة، فلقد دعا ديننا الحنيف إلى فهم هذه النفس، ما لها وما عليها، احتياجاتها، ميولها، نزعاتها، ثم تقدير وتقبل ما تملك، ولعل سيد الخلق ﷺ كان خير مثال لنا في تنمية فهم الذات وتقبلها وتنمية واستغلال القوة لديها عند أصحابه حينما كان يوظف كل صحابي بما يجيده وما تميل إليه نفسه من ملكات وقدرات، مقدراً وموظفاً لها على النحو الصحيح، فهذا خالد بن الوليد حينما رأى منه الرسول ﷺ نزعة قيادية وميول عسكري، وظّفه في صفوف جيش المسلمين ولقّبهُ بسيف الله المسلول، فخالد ﷺ قد فهم ذاته جيداً وما تحويه هذه الذات من مواطن تميز وقوه، ففهمه الآخرون جيداً واستقادوا من تميزه وحسن عطائه، فلو أن كل فرد وعى ما جبله الله عليه وما يملك من نكاه يميزه عن باقي الملكات لعذر الآخرين في تعاملهم معه، إذ أنه يصبح بهذا الوعي مقدراً للفروقات الفردية لدى الآخرين، عاذراً لهم لبواعث ومنطلقات سلوكياتهم ولأمن بمبدأ " كل ينفق مما عنده " وكل إناء بما فيه ينضح"، كذلك حينما يتفهم الفرد حاجاته وترتيبها بحسب أولوياته فإنه سيلتمس العذر لأي تصرف يصدر من الآخر، وذلك لاختلاف ترتيب الحاجات لدى غيره، فهناك من يعد حاجة المال أهم من حاجة الإنجاز والتقدير والعكس، فينعكس ذلك على نظريته للمواقف ثم ترجمتها إلى سلوكيات وأقوال في الحياة، وهذا مدعاة لتكوين قوة العفو عن المسيء في نفس المسلم، فلو أن شخصاً أخطأ بحقك أو أساء معاملتك، جاء محامي الدفاع عن الشخص الذي أخطأ عليك، فيبحث ويحلل في مساحة سبعين عذراً لعله يجد المخرج القانوني لخطئه أو سوء تصرفه، فإن لم يجد ذلك المخرج يقول لنفسه: " ما أجندك.. أخوك في الله يقدم لك سبعين عذراً فترفضه، فالعيب فيك لا فيه !"<sup>(2)</sup>

فحينما يفهم الفرد ذاته وحاجات ودوافع نفسه فإن ذلك مدعاة إلى تفهم الآخر وحاجاته ودوافعه، فتتكون لديه مجاهدة نفسه في مواجهة السلوكيات اليومية والمواقف الحياتية تنبثق منها قوة العفو، فتتغير نظريته من ناظم إلى مشفق، فلا تضره إساءة المسيء ولا تزعزعه المواقف السلبية والعبارة الجارحة.

وجمال العفو وقوته تتبلور في أنه مرحلة تسبق الإحسان للآخر، فمن امتلك القدرة على العفو يسهل عليه امتلاك القدرة على الإحسان<sup>(3)</sup>، ولا يكون ذلك إلا بتوطين النفس وتربيتها ومعرفة منزلتها وسبب خلقها: فهذه دعوة من الله عز وجل للفرد المسلم في اتخاذ العفو والإحسان منهجية حياة يومية في التعامل مع الآخر، إذ قال عز

(1) الخادمي، نور الدين بن مختار، 2001 م، علم المقاصد الشرعية، الرياض، مكتبة العبيكان، ص 16.

(2) المطوع، نسبية، 1999 م، قيادة الذات وإدارتها، الكويت، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة

الإسلامية. ص 82

(3) المرجع السابق

وجل: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (1).

والتعرف على الذات عبر الإصغاء لها يتيح للفرد أن يخطو إلى الآخرين وهو على أرض صلبة، واعياً لما لديه وبما يملك وبما يؤمن. و فكرة الإصغاء للذات نادى بها الفيلسوف وعالم النفس الشهير إريك فروم، بل أكد عليها بشكل كبير، وبتصورنا أن الإصغاء للذات نقطة مهمة لفهم الإنسان لذاته، فجهله بها سيفقده فهمه للآخر، ومن ثم ننطلق لتحقيق الأمور التي نرجوها لأننا كونا قاعدة معرفية خاصة بنا وبالآخر ومن ثم يسهل التعامل معها (2).

فالوعي بالذات هو أهم منطلقات الفاعلية في أنفسنا؛ لأنه يساعدنا على رؤية أنفسنا ورؤية الآخرين، ويساعدنا على تقييم خبراتنا وخبرات الآخرين، وأفعالنا وأفعال الآخرين، وبسبب هذه القدرة نستطيع أن نغير عاداتنا القديمة وأن نطور بدلاً منها عادات جديدة (3).

ثم يتبع الوعي بالذات، قبولها والاعتراف بها وحبها، فقبول الإنسان لذاته هي الخطوة الأولى لقبوله للآخرين، والإنسان الراض لذاته من الطبيعي أن يفتش عن أسباب تبرر له كراهية الآخرين دون أن يعي أن الأمر في حاجة لأن يراجع ذاته ويصحح نفسه من الداخل (4)، وتعزيز الوعي بالذات و قبولها لا يكون بمحض المصادفة وإنما ضمن منهجية مدروسة تتبناها الجهات و المؤسسات المسؤولة عن إعداد و بناء الفرد في المجتمع، بالإضافة إلى تضافر الوسائل التربوية في تحقيق ذلك، والمتخصصون في الذكاء العاطفي يحذرون من النتائج الوخيمة لإهمال تدريس المهارات الحياتية مثل التعاطف مع الآخرين وضبط النفس والوعي بالذات وفن الاستماع وحل الصراعات والتعاون. فمناهج التعليم يجب أن تتضمن بصورة واضحة أهدافا تسعى إلى غرس المهارات الضرورية للطفل فلا نترك أمر تعليمها لعامل المصادفة (5).

كذلك تقبل الذات والنظرة الإيجابية لها تهيئ لصاحبها القدرة على تكوين العلاقات و التعامل الناجح مع الآخرين وفي الحياة عموماً، أما النظرة السلبية فينتج عنها حالة من التوتر واختلال التوازن الوجودي للفرد وانعدام التوافق والعجز عن أداء وإنجاز ما يوكل إليه، واختلال في العلاقات مع ما يحيط به. فقد أظهرت دراسة للدكتور نهي اللحامي حول العلاقة بين تقدير الذات والقلق لدى طلاب المدرسة الإعدادية أن القلق وتقدير الذات جانبان متضادان في تكوين الشخصية، فالفرد الذي لديه مفهوم ايجابي عن ذاته عنده الاستعدادات السلوكية للتوافق مع الآخرين (6).

كذلك أثبتت الدراسات أن ضعف فهم وتقدير الذات من أهم الأسباب المؤدية إلى حدوث صعوبات في العلاقات الشخصية والمتمثلة في الخشية من مواجهة الآخرين، وصعوبة إقامة علاقات صحية ووثيقة مع الآخرين،

(1) سورة آل عمران، آية 133 - 134.

(2) الحربي، سعود هلال، مقال إلكتروني بعنوان: تعليم الحقوق والواجبات جزء من التربية والتنشئة المدنية، مجلة أرشيف المعرفة العدد، 168، الموقع الإلكتروني:

<http://www.almarefh.org/news>.

(3) الكيلاني، ماجد عرسان، 1997 م ط1، التربية والتجديد وتنمية الفعالية عند المسلم المعاصر، لبنان، الريان للطباعة والنشر، ص 21.

(4) حنا، ميلاد، 2000 م ط 1، المتقف العربي والآخر بين الرفض والقبول واللامبالاة، مصر، دار المعارف، ص 16.

(5) الكندري، لطيفة. ملك، بدر، 2002 م، تعليقة أصول التربية، الكويت، الفلاح، ص 93.

(6) اللحامي، نهي، 1987 م، العلاقة بين تقدير الذات والقلق لدى تلاميذ المدرسة الإعدادية. المؤتمر الثالث لعلم النفس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات النفسية.



صعوبة مواجهة المشكلات في الحياة وفي العمل، وتزايد ضغوطات العمل وصعوبة مواجهتها، ضعف العلاقات الأسرية، نشوء المشكلات ذات الطابع اجتماعي و ثقافي (1).

### ج - تقويم وتنمية الذات:

تقويم الذات هي العملية الذاتية المستمرة للحكم على الذات والمنبثقة من معايير محددة (2) وقد سأل سفيان بن عبد الله رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال صلى الله عليه وسلم : " قل آمنت بالله، ثم استقم " (3)، ولا تكون الاستقامة إلا من خلال عملية التقويم الذاتي والمستمر للأداء الفردي، وفي هذا يقول سيد قطب رحمه الله في تفسيره للآية الكريمة « بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِرَهُ » (4): إنه مهما اعتذر الإنسان بشتى المعاذير عما وقع منه، فلن يقبل منه عذر؛ لأن نفسه موكولة إليه، وهو موكل بها، وعليه أن يهديها إلى الخير ويقودها إليه، فإذا انتهى إلى الشر فهو مكلف بها وحجة عليها (5)، وعملية التقويم الذاتي تتمثل في عدة أمور منها:

- 1 - معرفة جوانب القوة؛ لتعزيزها، وجوانب الضعف؛ لتقويتها، وهذا مدعاة إلى النظر في موضوعية هذه الجوانب وإنصافها، وترغيبها في الوصول إلى الحق قبل شروعا في التعامل مع الآخر.
- 2 - علاج النفس من أمراضها وتركيتها.
- 3 - تقوية المراقبة الذاتية المتمثلة بتقوى الله عز وجل.
- 4 - الرجوع إلى الحق في تعامله مع الآخرين، ويكون ذلك بتنمية مساحة المراجعة لديه، فيلزمه رد نفسه إلى جادة الصواب.

### 5 - تنمية جوانب إيجابية جديدة في الذات.

فقد جاءت التربية الإسلامية بمنهجية ترسخ في النفس الإنسانية الشعور بالمراقبة والشعور بالمسؤولية، هذا الشعور الانبعاثي الذاتي هو الذي يدفع الفرد إلى أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره، وهذا من شأنه أن يقوي الإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن، فلا يكون أسيراً لشهواته ولا عبداً لأطماعه وأهوائه، بل ينضبط بحساسية التقوى ووازع الإيمان، و يدفعه إلى إتقان العمل وتحسينه محتسباً التماس الأجر والثواب من الله وحده (6). ولعل من أفضل وسائل التقويم الذاتي هو الحوار الذاتي، والحوار مع الذات مؤشر صحي للتقدم خطوات نحو الحوار والتفاهم مع الآخر، وهو المنطلق الأول لتعديل مسارنا ورؤيتنا للأشياء، والذي ينعكس على هيئة سلوكيات إيجابية، فالإنسان بحاجة دائمة لمعرفة أدائه وتقويم ذاته قبل أن يخطو للآخرين ، وهذا يتطلب من الفرد الصدق مع النفس في كل علاقاته ابتداءً من علاقته مع ربه سبحانه، وعلاقته مع الكون، ومع الآخر الذي هو مطالب بأن يتعايش ويتعاون معه ليعمر البشرية. وأصحاب الفاعلية منا وحدهم هم الذين يحولون هذا الحوار الهادئ إلى إنتاج وعمل وأداء يرتقي بصاحبه إلى أعلى درجات الكمال، حيث يتيح لهم هذا الحوار الداخلي رؤية

(1) فرج، طريف شوقي، 1999 م، توكيد الذات مدخل لتنمية الكفاءة الشخصية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.

(2) أبو إسماعيل، أكرم عبد القادر، 2006 م، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، الأردن، دار النفائس، ص 19.

(3) رواه مسلم.

(4) سورة القيامة، آية 14 - 15.

(5) قطب، سيد، في ظلال القرآن (3769/6).

(6) علوان، عبد الله، 1979 م، محاضرة تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام، ص 13.



أنفسهم بلا غش ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتُنْتَظَرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (1)

(2).

ولعل الانشغال بالذات وتقويمها وتطويرها والوقوف عند عيوبها أولى من الوقوف على عيوب الآخرين وتقويمهم وإصلاح ما عاب بهم.

## (2) مبادئ التربية الإسلامية في تعامل الفرد مع الآخر:

جاءت التربية الإسلامية بمنهج فريد متكامل في إعداد الفرد في تعامله مع الآخر، فبعد أن بينا منهجية التربية الإسلامية في إعداد ذات الفرد وبنائها، وتأهيلها للتعامل الإيجابي والحضاري مع الآخر يأتي الشق الثاني من المنهجية والتي تحدد أسس وأدبيات التعامل مع الآخر، وقبل التطرق إلى تلك الأسس كان لزاماً علينا معرفة من هو الآخر:

### أ - من هو الآخر ؟

وردت كلمة الآخر في القرآن الكريم (14) مرة في (13) سورة، منها قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْآخِرُ إِنِّي أُرَانِي ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُضَلُّ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخِرِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ (3).

أما تعريف الآخر في اللغة، كما جاء في لسان العرب: والآخر بفتح الخاء أحد الشئين، وهو اسم على أفعال، والأثنى أخرى، والآخر بمعنى (غير) كقولك رجل آخر، وثوب آخر (4).

وتعريف الآخر اصطلاحاً متعدد ومتنوع (5)، وأفضله من حيث أنه جامع مانع ما قاله الشيخ محمد الحسن الددو: ونعني به أي الآخر من لا يعتد عقيدتنا ولا يؤمن بديننا، وهذا التعريف يشمل أتباع الديانات السماوية السابقة يهوداً أو مسيحيين، كما يشمل من يدينون بديانات أخرى ومن لا يدينون بشيء، مع استحضار المكانة الخاصة لأهل الكتاب لدى المسلمين، والفروق بين الفريقين المسلمين وغيرهم عديدة لكنها لا تصل إلى التضاد والتناقض المطلق ولا تمنع التعايش (6).

والله تعالى أمرنا أن نبر كل من هو آخر، بالرغم من دينه أو مذهبه ما لم يعاد المسلمين، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (7)، والبر كلمة جامعة لكل أعمال الخير، وكذلك هذا من باب أولى مع الآخر المسلم.

ومن الممكن أن نستخرج من التعريف الاصطلاحي للآخر أن غير المسلمين ليسوا سواء، وكذلك المسلمين أيضاً، فمن أهل الكتاب من هو أقرب للمؤمنين من غيرهم ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ﴾ (8)، فالיום مثلاً بعض اليهود في العالم وبعض

(1) سورة الحشر، آية 18.

(2) عبد الجواد، محمد أحمد، 2006 م ط 1، من الحوار مع الذات إلى الحوار مع الآخر، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ص

18.

(3) الحسني، علمي، 2003 م، ط 1، المرشد إلى آيات القرآن الكريم، الهند، دار الداعي للنشر، ص 12.

(4) ابن منظور، 1999 م، ط 3، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي (87/1).

(5) الددو، محمد الحسن، 2006، التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية و ضرورة واقعية، أبحاث مؤتمر نحن والآخر، المركز العالمي للوسطية، دولة الكويت.

(6) الددو، محمد الحسن، 2006، أبحاث مؤتمر نحن والآخر، المركز العالمي للوسطية، ص 36.

(7) سورة الممتحنة، آية 8.

(8) سورة المائدة، آية 82.

النصارى كذلك يدافعون عن أهم قضية إسلامية وهي قضية القدس ولا يعترفون بإسرائيل، بل إن بعضهم لقي حتفه في سبيل ذلك، وبالمقابل نجد بعض المسلمين من يخون ويبيع القدس لليهود، فهم ليسوا سواء، وكذلك المسلمين أنفسهم، فمنهم من هو منافق، ومنهم من هو ظالم، ومن هو مبتدع، فهم ليسوا سواء كذلك.

إن التعايش مع الآخر والتعامل معه حقيقة لا يمكن تجاهلها، فكل شيء خلق في الحياة من زوجين، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ (1)، أي من شيء وآخر (2).

فلسنا مخيرين في وجود الآخر، فهو حتمية اقتضتها حكمة الله تعالى في الخلق؛ لتكون الحياة أكثر ثراء (3)، فالقاسم المشترك بين كل فرد وآخر أنه إنسان، ولم تعرف الإنسانية ديناً أو فكراً أنصفها وتناولها بشمول واحترام كما عند الإسلام، والرسول ﷺ ضرب لنا أروع الأمثلة الإنسانية حينما مرت جنازة يهودي، فقد روى أن جنازة مرت بالحسن بن علي، وابن عباس، فقام الحسن ولم يقم ابن عباس، فقال الحسن: أليس قد قام رسول الله لجنازة يهودي؟ قال ابن عباس: نعم! ثم جلس (4).

ونعني بالآخر في هذا البحث بأنه: من هو من بني جلدتنا ووطننا، وكل من يسكن هذا الوطن، ويعمل على تحقيق التعايش و الوئام، وتحقيق مصلحة الوطن والمواطنين و المقيمين في المجتمع الكويتي. فالكويت يوجد بها ما لا يقل عن 2 مليون و 300 ألف مقيم و الذي يشكل ثلثي عدد السكان، بينما بلغ المواطنون عددهم نحو مليون و 38 ألف نسمة وهذا بحسب الإدارة المركزية للإحصاء (5). وبالرغم من الاختلاف في الأصل و الدين والمذهب والفكر بينهم و الذي ينشئ بدوره اختلافات في التصورات و الاهتمامات و المناهج و الطرائق إلا أن المطلوب هو أن تبقى هذه الاختلافات واقعة داخل إطار واسع عريض يسعها جميعاً وذلك بتنظيمها و التنسيق بينها ودفعها للإصلاح (5).

#### ب - مبادئ التعامل مع الآخر

لقد سطر لنا رسول الله ﷺ أمثلة رائعة في تعامله مع الآخر، وليس أي آخر، فقد كان من النوع الصعب العنيف الجاحد، فقد تعامل ﷺ مع عتاوله قريش حتى أن الله تعالى وصف بعضهم في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ \* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ \* فَكَانَ إِذَا هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْتَرُ \* إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ \* سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (6)، وكذلك تعامل الرسول ﷺ مع اليهود في المدينة بطوائفهم الثلاث، حيث كان منهم الخيانة والغدر والمكر، وقد حاولوا أكثر من مرة أن يغتالوه ﷺ، وكان المنافقون بغشهم وخداعهم ممن تعامل النبي معهم ﷺ، وبالرغم من نوعية الآخر الصعبة التي تعامل معها ﷺ إلا أنه التزم بمبادئ أساسيين قرآنيين في التعامل معهم، وهما العدل والإحسان؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (7)، فعلاقة المسلم بغيره تقوم عليهما، وتتطلق منهما، وتعمل وتلتزم بهما. فليس لمسلم من حجة يتذرعها في تجنب التعامل مع الآخر خاصة أخيه المسلم فله بقوتنا ﷺ خير مثل في التعامل مع أصعب الشخصيات وأكثرهم عداءً.

(1) سورة الذاريات، آية 49.

(2) محمود، عبدالرحمن، 2006، التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية، أبحاث مؤتمر نحن والآخر، ص 59.

(3) الصفار، حسن، 2004 م، ط 1، كيف نقرأ الآخر، بيروت، الدار العربية للعلوم، ص 19.

(4) الألباني، صحيح النسائي، إسناده صحيح.

(5) البوابة الإلكترونية الرسمية لدولة الكويت: [www.e.gov.kw/sites.kgoarabic](http://www.e.gov.kw/sites.kgoarabic)

(5) عبدالجواد، محمد، 2006 م، من الحوار مع الذات إلى الحوار مع الآخر، ص 46.

(6) سورة المدثر، آية 18 - 26.

(7) سورة النحل، آية 90.

## 1- العدل

والعدل معناه: الإنصاف<sup>(1)</sup>، وكذلك معناه: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم، وأيضاً أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه<sup>(2)</sup>، ويكون العدل بجميع أحوال الإنسان في الغضب والرضى، فقد كان من دعائه ﷺ " اللهم إني أسألك العدل في الغضب والرضى"، فالعدل هو المساواة في المكافآت، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه.

قال الماوردي: إن مما تصلح به حال الدنيا قاعدة العدل الشامل الذي يدعو إلى الألفة، والذي إذا افتقد كان البغضاء والحسد بين الناس. والعدل في التعامل لا يقتصر على أحد دون الآخر، أو مسلم دون غيره، بل هو ميزان الله الذي وضعه للخلق ونصبه للحق، ومن الواجب أن يعدل الإنسان مع نفسه أولاً بإصلاح نفسه وحملها على فعل الصالح وترك القبائح فمن ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن عدل مع نفسه كان مع غيره أعدل<sup>(3)</sup> يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾<sup>(4)</sup>.

والعدل في التعامل مع الآخر له أولوية، فالآخر إما مسلم أو غيره، كما تقرر ذلك في تعريف الآخر، فغير المسلم من هو أحق بحسن المعاملة من غيره خاصة المحسنين والمنصفين منهم فهم ليسوا سواء، والمسلم درجات ومراتب في أولوية التعامل معه، فالأم والأب ليسوا كأحدهما، والزوجة والأولاد كذلك، وعلى ذلك قس، فليس من العدل وحسن التعامل مع الآخر أن يتعامل الإنسان مع آخر ليس بينه صلة قرابة ولا دين، ويطبق معه آداب وأخلاق ميادين التعامل مثل أدب الاختلاف والحوار وحرية التعبير - كما سيأتي - ولا يطبقها مع أهله وأقاربه وأمه وأبيه والمسلمين، فهذا من الظلم والجور والبعد عن العدالة.

فالعدل في التعامل خلق عام يكون مع القريب والبعيد، بين المسلم وغيره، بين الكبير والصغير، بين الغني والفقير، بين الأمير والخفير، لا يستثنى أحد من الآخر منه ما دام إنسان وهو من بني آدم؛ لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾<sup>(5)</sup>، فكل تصرف صادر من قول أو فعل في مجال التعامل يجب أن يكون منطلقاً من قاعدة العدل مع أي كائن من كان.

## 2- الإحسان

الإحسان معناه: التفضل والزيادة في المعاملة الحسنة<sup>(6)</sup>، والمحسن هو المتفضل المحبوب عند الله عز وجل، يقول تعالى: ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَائِقِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾<sup>(7)</sup>.

فكظم الغيظ والعفو عن الناس من أخلاق المحسنين، فقد أخرج البيهقي أن جارية لعلي بن الحسين رضي الله عنهما، جعلت تسكب عليه الماء ليتهاياً للصلاة، فسقط الإبريق من يدها فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت: إن الله تعالى يقول: ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَائِقِينَ ﴾، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾، قال: قد عفا الله تعالى عنك، قالت: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾، قال: اذهبي، فأنت حرة لوجه الله تعالى، إنها صورة رائعة

(1) القلعي، محمد، 1996، ط 1، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس، ص 276.

(2) بن حميد، صالح مع مجموعة من المتخصصين، 2004 م، ط 3، نضرة النعيم، السعودية (2792/7).

(3) بن حميد، صالح مع مجموعة من المتخصصين، نضرة النعيم (2793/7).

(4) سورة النساء، آية 135.

(5) سورة الإسراء، آية 70.

(6) الكيلاني، ماجد، فلسفة التربية الإسلامية، ص 143.

(7) سورة آل عمران، آية 134.

من صور تعامل المسلم مع الآخر، وإن كانت جارية فالإحسان للناس خلق يحبه الله بشهادة القرآن<sup>(1)</sup>، وصدق الشاعر:

أحسن إلي الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان<sup>(2)</sup>

فكم نحن اليوم بحاجة إلي الإحسان والعفو فيما بيننا خاصة في أماكن احتكاك الناس فيما بينهم في الطرقات والأسواق والدواوين فقد كثر في الآونة الأخيرة توتر النفوس وكثرة المشاحنات فيما بين الناس ولا يخفى على المجتمع الكويتي من حوادث متكررة وصل بعضها إلى القتل بسبب نظرة أو كلمة.

و في هذا المقام يضيف ماجد الكيلاني بعض التفصيل فيقول: الإحسان هو العلاقة الطبيعية التي أمر الله بها و فطر الناس عليها، وهي علاقة يشجع الله الناس للتسابق في ميدانها وأساس هذه العلاقة أن الإنسان خير في الأصل، وأنه مفضول على التعامل مع الآخرين حسب أصله الطيب وأنه حين تثور خلافات بينه وبين الآخر فإن الواحد منهما أمام عدو عارض، وعدو أصيل، فالإنسان هو العدو العارض الذي وقع ضحية العدو الأصيل وهو الشيطان، والإحسان يعيد الإنسان إلى أصله في الأخوة، ويعزل الشيطان عن استغلاله واستعماله، وقد أشار المولى عز وجل إلى ذلك بقوله: ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون، و قل أرب أعوذ بك من همزات الشياطين، و أعوذ بك رب أن يحضرون ﴾<sup>(3)</sup> (4).

فهذه المسألة التي غفل عنها الكثيرون تعد في غاية الأهمية لتنظيم الحياة داخل المجتمع الإنساني وعلى هذا فإن تنشئة الأفراد الإنسانيين على شفافية الحساسية نحو المسؤولية يخلق الطمأنينة في نفوس الأفراد ويشعرون بعدالة التوزيع الاجتماعي لأدوار البشر<sup>(5)</sup>.

فلا بد أن ترسخ هذه المفاهيم في مناهجنا و طرائقها و قنواتها ولا بد من أن تتمكنها من توجيه عادات المجتمع وقيمه وثقافته و ممارساته فينعكس ذلك على العلاقات و التعاملات بين الأفراد.

فتعليم حقوق الآخر و واجبات الفرد جزء من التربية والتنشئة المدنية التي نجدها في المناهج العالمية والتي غابت عن بعض دول الخليج، وإن كنا في الكويت نعلم التنشئة المدنية في المرحلة الابتدائية والدستور وحقوق الإنسان في المرحلة الثانوية، ولكن نحتاج إلى تأصيلها في الخبرات التربوية اليومية بدلاً من التعامل معها كمادة معرفية فقط<sup>(6)</sup>.

إن أزمة اليوم هي أزمة تطبيق لأخلاق السلف الصالح الذي ترجم تعاليم الشريعة إلى واقع عملي ملموس ومحسوس و ليس اتخاذها مجرد ثقافة أو ترف فكري، فمن أكبر الأخطاء التربوية أن يخالف الإنسان بين قوله وفعله، وهذا ما حذر منه عز وجل بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(7)</sup>.

(1) الألوسي، شهاب الدين، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصر، المكتبة التوفيقية، ص 81.

(2) ديوان الشاعر أبو الفتح البستي.

(3) سورة المؤمنون، الآية 96 – 98.

(4) الكيلاني، ماجد، مصدر سابق، ص 79.

(5) سالم، فاطمة الزهراء. وشحاتة، حسين، 2007 م، التربية الأخلاقية في المجتمع العربي المعاصر، القاهرة، دار العالم العربي، ص 196.

(6) الحربي، سعود هلال، مقال إلكتروني بعنوان: تعليم الحقوق والواجبات جزء من التربية والتنشئة المدنية، مجلة أرسيف المعرفة العدد، 168، الموقع الإلكتروني:

<http://www.almarefh.org/news>.

(7) سورة الصف، آية 2.

والإحسان لا يفرق بين إنسان دون غيره، فالله تعالى يقول: ﴿ وَفُؤَلُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (1)، أي كل إنسان، ويقول الرسول ﷺ في الحديث: "... وخالق الناس بخلق حسن " (2)، فالإحسان والعدل أخلاق عالمية لا يحدها إقليم، أو بشر دون بشر، أو دين دون دين.

## المبحث الخامس

### نموذج لأهم ميادين التعامل مع الآخر في ضوء التربية الإسلامية

#### الحوار وحرية التعبير

الحوار وحرية التعبير من وجهة نظرنا وجهان لعملة واحدة، فلا يستطيع أحدهما مفارقة الثاني، فالحوار لا يتم بدون حرية تعبير، وهو قناة من قنوات الاتصال البشري فيما بينهم، ولا يمكن للحوار أن يتم في أجواء من الكبت والقمع لحرية التعبير، فحرية التعبير هي البيئة التي من خلالها يستطيع الفرد أن يحاور الآخر ويفهمه وهي بطبيعتها تنمي الإخاء والحب والاحترام بين الأفراد والأمم وتقضي على النعرات الشخصية والطائفية (3).

وقد تم اختيار ميدان الحوار باعتباره من أهم ميادين التعامل مع الآخر؛ لأن الحوار جزء من حياة الفرد في المجتمع، فالفرد يلجأ إلى التخاطب و المحاوره في كل جوانب حياته، فهو يبيع و يشتري ويتعلم ويعلم ويتشاور، فهو في سلسلة متواصلة من الحوارات و إن تعددت مستوياتها واختلفت مضامينها. حتى في ذهابه إلى المسجد لأداء فريضة الصلاة والتي هي بمعناها اللغوي الدعاء والمناجاة، فإن ذلك لا يتم إلا عن طريق الحوار بين العبد وربيه عن طريق المناجاة في الصلاة والدعاء. ولعل العديد من المشكلات الناجمة بين الأفراد وتفاقم الخصومات يكون منشؤها انقطاع لغة الحوار فيما بينهم، ولعلنا قد شهدنا في واقعنا انهيار الكثير من الأسر بعد تفكك أواصرها، و السبب هو انعدام الحوار أو ضعفه بين الزوجين، ففي دراسة استهدفت التعرف على أسباب الطلاق الشائعة في الأسرة الكويتية والتي أجريت على عينة عشوائية قوامها 1313 حالة (زوج و زوجة) الذين راجعوا إدارة الاستشارات الأسرية بوزارة العدل طالبين الطلاق، تبين أن السبب الأساسي للطلاق هو انعدام القبول والمودة بين الطرفين وضعف الحوار، ثم التغيير السلبي في التصرفات و السلوك، ثم عدم تحمل المسؤولية، و أخيرا العنف (4).

فالحوار سنة ربانية في تعامل الفرد مع الآخر، وحق لكل إنسان مهما كان، فالله تبارك وتعالى قد أباح الحوار مع من ينكر وجوده جل علاه، فقال: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ (5)، شريطة أن يكون الحوار وفقاً لأدابه وضوابطه التي سوف نذكرها فيما بعد، وقد حاور الله تعالى جمع من الخلق، فحاور الملائكة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (6)، وبرغم كمال مقامه جل وعلا فقد حاور إبليس الرجيم ليضرب لنا جل علاه مثلاً من الحوار الراقى مع العدو المخالف، فقال: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ﴾ (7)، وقد حاور الله تعالى الأنبياء، كحواره مع نبيه عيسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ

(1) سورة البقرة، آية 83.

(2) الألباني، صحيح الجامع الصغير، إسناده حسن.

(3) الرحيلي، وهبة، 2000 م، ط 1، حق الحرية في العالم، بيروت، دار الفكر المعاصر، ص 122.

(4) بحوث ودراسات، مكتب الإنماء الاجتماعي، الموقع الرسمي:

<http://www.sdo.gov.kw/link5-research-2.htm>

(5) سورة الزخرف، آية 81.

(6) سورة البقرة، آية 30.

(7) سورة الأعراف، آية 12.

مَرِيَمَ أَلَّيْتِ قُلْتِ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِن دُونِ الله قَالَ سُبْحَانَكَ ﴿ (1)، وقد نقل الله تعالى لنا حواراً لأصغر مخلوقاته، وهي النملة مع نبي الله سليمان عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا ﴾ (2).

إذاً الحوار حق مشروع بين البشر في تعاملهم مع بعضهم البعض في جميع القضايا الدينية والدينية، ولكن لا بد لهذا الحوار من آداب وضوابط تمنعه من الخروج عن مقصوده وأثاره التي جاء من أجلها، أو أن يتحول إلى مشاحنات أنانية، أو جدل مذموم.

#### آداب الحوار وضوابطه:

للحوار آداب جمة وضوابط عديدة، نذكر أهمها:

#### أ - الإنصاف والتفريق بين الفكرة وصاحبها:

كثير من الأفراد حينما يتعاملون مع بعضهم البعض باستخدام أسلوب الحوار، فإنهم ينطلقون من الخلفية المتكونة عن صاحب الحوار وليس فكرته، فإذا كان ذو خلفية سيئة فلا يُتقبل كلامه ولا فكرته وإن كانت صحيحة وتدعو إلى الحق، فالترقية الإسلامية تعلمنا الإنصاف في الحوار مع الغير، وأن ننظر إلى الفكرة وليس إلى صاحبها، فإذا وجدناها حقاً وحكمة، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وقد أنصف الرسول ﷺ الشيطان الرجيم الذي هو عدونا، وأمرنا الله أن نتخذه عدواً، فقد روى البخاري أن الرسول ﷺ وكل أبا هريرة بحفظ زكاة رمضان، فأتاه آت، فجعل يحثوا من الطعام، فأمسك به، ثم خلى سبيله، ثم عاد الثانية والثالثة إلى أن قال في الثالثة: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قال: قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية ﴿ الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (3)، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فلما أخبر بها رسول الله ﷺ، قال له: "أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟"، قال: لا، قال ﷺ: "ذاك شيطان" (4).

فالحوار القائم ابتداءً على الإنصاف، وعدم تحقير الشخص، هو حوار منضبط وإيجابي وفعال، خاصة إذا تجرد صاحبه من التعصب الفكري والطائفي الحزبي بغض النظر إن كان صاحب الفكرة الصحيحة من تيار مخالف أو حتى دين مغاير، فالرسول ﷺ صدق الشيطان بقوله عن آية الكرسي، وإن كانت عادته الكذب لكن لم يمنعه ذلك من أخذ الحق منه، وهذا قمة الإنصاف.

ب - تحديد الغاية التي يريد المتحاوران الوصول إليها من وراء التحوار، وإذا ما كان الحوار صادقاً ونافعاً فلا بد أن يحدد له هدف يمكن الإشارة إليه صراحة أو ضمناً، ومهما يكن من أمر فإن غايات الحوار لا تخرج عن الغايات التالية:

1. الوصول إلى تفسير متفق عليه حول موضوع المحاور.

2. الرغبة في تخطي حالة العقم الفكري، الذي هو: تجاوز ثقافة البعد الواحد ورفض الانسحاق وراء المذهب المتسلط السائد.

3. الرغبة في تخطي حالة الانغلاق الفكري، الذي هو تجاوز التعصب المذهبي أو الفكري أو السياسي أو الاجتماعي (5).

(1) سورة المائدة، آية 116.

(2) سورة النمل، آية 18، 19.

(3) سورة البقرة، آية 255.

(4) رواه البخاري، مختصر من حديث طويل.

(5) أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، دراسة لمحمد القضاة

### ج - الرحمة والشفقة بالخصم والحرص على إقناعه:

ينبغي للمحاور أن يتحلى بالرحمة والشفقة بالآخر والحرص على إقناعه، فالمحاور المسلم الصادق لا يُتصور منه إلا إظهار الحق لخصمه والشفقة عليه، والخوف عليه من الباطل، ولو أن كل محاور تحلّى بهذه المعاني لساد الحوار جواً من التفاهم والود والألفة، ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة حين يصفه رب العزة بقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1)، وإذا كان المسلم مُلزمًا برحمة الآخر والشفقة عليه في دعوته وهو كافر بالله تعالى، فالرحمة والشفقة للمسلم من باب أولى في الحوار والتعامل، فهذا موسى عليه السلام يأمره ربه سبحانه بأن يذهب إلى فرعون، وهو أقوى سلطة في ذلك العصر وأكثرها ظلماً واستبداداً ويدعوه بالقول اللين والتلطّف في دعوته: ﴿ قُولاً لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (2)، والإشفاق عليه من تعنته وتعصبه للباطل المؤدي به إلى طريق الهلاك، ولعل مع وجود مشاعر الرحمة والشفقة في قلب المحاور إن أباها والتصريح بها أدعى لقبول الخصم أو الآخر كلامه وتليين موقفه، إذ إظهار هذه المشاعر الإيجابية مع الحرص على مصلحة الآخر والرغبة في إنقاذه يؤثر تأثيراً إيجابياً فيفتح قلبه للعدل والإنصاف وتضييق الفجوة وهوّة الخلاف بين الطرفين، وهو ما يُعد خطوة إيجابية مهمة في تقدم ونجاح الحوار.

### د - العدل والموضوعية:

فكل من الطرفين المشاركين بالمحاورة عليهم التخلي عن التعصب لوجهة نظر مسبقة وعن التمسك بفكرة يرفض نقضها أو مخالفتها، لأن التمسك بوجهة النظر السابقة تتباين مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار وتداول الأطروحات وسماع الرأي الآخر، ذلك أن طبيعة الحوار تقتضي الإعلان من الطرفين عن الاستعداد التام للكشف عن الحقيقة والأخذ بها عند ظهورها، سواء أكانت وجهة نظر سابقة، أم وجهة نظر الطرف الآخر الذي يحاوره. وقد أكد القرآن الكريم على هذا المفهوم بصراحة واضحة. وذلك حين وجه رسول الله ﷺ بأن يقول للمشركين في محاورته لهم: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (3). وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب لفكرة مسبقة، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنى كانت ومن أين صدرت (4).

### هـ - البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق:

بما أن الحوار يمثل صوره من صور التواصل الاجتماعي والفكري والشعوري بين الناس (5)، إذن فمن البديهيات والمسلمات أن يكون هناك تغاير واختلاف في الآراء والأفكار لكن المحاور النكي الناجح هو من يبدأ حواراً بإبراز مواطن الاتفاق والبدء بالقاعدة المشتركة بين الطرفين، وتلافي البدء بنقاط الاختلاف، أو مواضع النزاع التي تزيد من هوة الخلاف، وتقلل فرص الالتقاء، فالمحاور الناجح الذي يبدأ بتقديم ما اتفقوا عليه من آراء وحقائق هو في الحقيقة يسعى إلى كسب ثقة من يحاوره وضمه إلى جانبه دون تصريح منه بذلك، فهو يسعى إلى بناء جسر من التفاهم مع الآخر قلما يخرج من حوارهِ دون فائدة مرجوة، ومثل ذلك حديث حجة الوداع من رواية عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه ذكر أن النبي ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه، قال: " أي يوم

<http://www.alwasatparty.com/modules> .

(1) سورة التوبة، آية 128.

(2) سورة طه، آية 44.

(3) سورة سبأ، آية 24.

(4) أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، دراسة لمحمد القضاة:

<http://www.alwasatparty.com/modules> .

(5) الجلال، ماجد زكي، 2005 م ط 1، تعلم القيم وتعليمها، الأردن، دار المسيرة، ص 140.



هذا؟"، فسكتنا حتى ظننا أنه سيُسَمِّيهِ سوى اسمه، قال: "أليس يوم النحر؟"، قلنا: بلى... إلى قوله ﷺ: "فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.. " (1).

#### و- الالتزام بالقول المهذب والعبارة المناسبة:

إن التلطف بالقول والأناة والأدب في الحوار من أسرار فتح مغاليق النفوس، فالكلمات الطيبة والعبارات اللطيفة في الحوار تحطم الحواجز النفسية وتلين القلوب وتُقرِّب الخصوم لذلك جاء القرآن الكريم بقاعدة عامة في الحوار يلتزم بها المسلم مع مُحاوره أيّاً كان بقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (2)، فالمطلوب من المسلم أن يكون في حوارهِ على حالة أرقى وأحسن من الحالة التي يكون عليها من يجادله أدباً وتهذيباً (3).

واختيار القول المهذب يكون باختيار الألفاظ السالمة من المعاييب، وتجنب القبيح من الكلمات، كذلك تجنب السب والشتم في الحوار والقذف واللعن، فهذا المصطفى ﷺ يقول عنه أنس رضي الله عنه: "لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فاحشاً ولا لعاناً، كان يقول لأحدنا عند المعتبة: ما له ترب جبينه" (4).

وأما اختيار العبارات المناسبة في الحوار فتكون بتلافي العبارات التي تحتمل معنيين، أو العبارات ذات مغزى أو مرمى آخر سيئ، أو العبارات التي تثير الفتن وتأجيج الخلاف بين الناس، كالذي تستخدمه قنوات الإعلام من مقروء ومسموع ومرئي، فكثيراً ما نقرأ في صحفنا المحلية بعض العبارات الجارحة والمؤججة للفتن والقلاقل بين الناس، التي كتبها أصحابها من باب السبق الصحفي، أو الفتنة أنظار القراء لما هو شاذ وغريب، فالتلطف في الخطاب واستخدام الجمل والعبارات البعيدة عن التعصب أو التجريح يُورث التقدير والاحترام ويزيد من نقاط الالتقاء بين المتحاورين.

#### ز- الإنصات وحسن الاستماع:

الإنصات والاستماع فن كما للكلام فن، والمحاور الناجح هو من يتقن فن الإنصات قبل الحوار؛ لأن المستمع الجيد يحقق باستماعه للأخر ركن أساسي من أركان الحوار البناء، إذ باستماعه وحسن إنصاته يتيح للأخر الفرصة لإبداء الرأي والتعبير وتبادل وجهات النظر، فالحوار ليس من حق طرف دون الآخر، وإلا تحول الحوار البناء إلى حوار أحادي يكون فيه متحدث ومتلقي فقط، فالناس بطبيعتها تفضل المستمع الجيد على المتكلم الجيد (5).

كما يقول ديل كارينجي: إن سر التأثير على الناس ليس في أن تكون متحدثاً جيداً، بل منصاتاً جيداً، وغالبية الناس يحاولون اكتساب الآخرين في صفهم وفي صف تفكيرهم عن طريق الحديث الكثير عن عملهم أو مشاكلهم أكثر مما تعرف أنت (6).

ولعل للتربية منذ الصغر نصيب كبير في تشكيل شخصية الفرد وأساليب حوارهِ ونقاشه مع الآخر، فالطفل الذي ينشأ يتلقى التعليمات والأوامر من الوالدين دون مناقشة أو إقناع ودوره المطلوب هو التنفيذ فقط، والذي لم يعتد على أن يُسمع لرأيه في أمر ما فإنه ينتج لنا أشخاصاً يؤمنون بأن الصواب هو قيمة وحيدة لا يمتلكها اثنان، وأن النظر للأشياء ينحصر في بديلين وحيدتين إما خطأ أو صواب، وهذا مدعاة إلى عدم الاستماع لما هو مخالف لرأيه وفكره.

(1) رواه البخاري.

(2) سورة النحل، آية 25.

(3) الأملعي، زاهر، 1404 هـ ط 4، مناهج الجدل في القرآن، الرياض، مطابع الفرزدق، ص 446، 447.

(4) رواه البخاري.

(5) أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1408 م، ط 3، الرياض، المطابع العالمية، ص 27.

(6) كارينجي، ديل، 2002 م، اكتشف القائد الذي بداخلك، الرياض، مكتبة جرير، ص 114.



وحسن الاستماع يحتاج إلى تهيئة النفس للإنصات، والبعد عما يقلل من تركيزها، وإلى إظهار مدى استعدادها لتقبل الكلام والآراء، والتفاعل أثناء الاستماع وإعطاء الفرصة الكافية لإبداء الرأي<sup>(1)</sup>، ولنا في رسول الله قدوة حسنة في حسن إنصاته ﷺ وحسن حوارهِ مع الآخر، سواء كان كافراً أو مسلماً.

### ح - الحوار بهدوء وروية:

وذلك لأن الانفعال والتوتر النفسي في الحوار يفضي بالنتيجة إلى فشل المحاور و عدم الاستفادة منها، فلا حاجة إلى الاستمرار فيها، بل إن ضرر المحاور التي يسودها الانفعال يكون أكثر من نفعها. من هنا لا بد أن يكون الحوار مبنياً على المرونة والتسامح، فقد يكون المحاور على خطأ في الفكرة أو المعلومة التي يطرحها، ولكن المرونة والهدوء يعلمان على استمرار الحوار واستكمال موضوعاته، أما التوتر والتعصب فهي أمور لا تشجع على الحوار ولا تخدم أهدافه، وإذا ما جرى الحوار في ظل تلك الأجواء فمصيره إلى الإخفاق والفشل وحتى يتحقق ذلك ينبغي للمحاور أن يكون صوته هادئاً دون ارتفاع أو صراخ، لنلا ينقلب الحوار إلى مهاترات كلامية عقيمة<sup>(2)</sup>.

### كيف نستثمر الحوار في علاقتنا مع الآخر:

عندما ندرك أن أفراد المجتمع الواحد يمارسون الحوار بشكله الإيجابي في أغلب النشاطات التي يزاولونها والسلوكيات التي يصدرونها والأخلاق التي يتحلون بها، حينئذ يتأكد لنا أن أولئك الأفراد الذين استطاعوا أن يتواصلوا فيما بينهم عبر آليات الحوار المتبادل بشكل تلقائي وحميمي، إنما يسهمون بلا وعي منهم في تشكيل سمات ثقافة التسامح التي تحضن كل مكونات المجتمع وعناصره، وبهذا يسهمون بلا وعي منهم كذلك في بناء حضارة الاختلاف التي تؤلف آلية الحوار بين مكوناتها المتباينة وأحياناً المتضادة<sup>(3)</sup>.

فالتعددية الثقافية و الفكرية و الدينية و غيرها في المجتمع تعد ثروة هائلة لنمائه و خصوبته إذا ما أحسن الاستفادة منه، ولا تتحقق الاستفادة القصوى إلا بشيوع ثقافة الحوار بين جميع أطراف المجتمع، والذي بدوره يؤهل أبناء المجتمع المحلي في التواصل و التفاهم مع المجتمع العالمي أو الخارجي. فقد حقق أجدادنا منذ قرون طويلة تعايش متميز بين الثقافات مبني على أساس الحوار والانفتاح والتفاعل والتناغم البناء. يقول حسن موسى الصفار في كتابه كيف نقرأ الآخر: إن التعرف على الآخر الداخلي لم تعد مجرد مسألة ثقافية فكرية، بل أصبحت قضية اجتماعية وطنية تتأثر بها وحدة المجتمع وترتبط بالاستقرار و الأمن الوطني، فقد تجد من يضمهم وطن واحد أو تجمعهم لغة واحدة أو ينتمون إلى دين واحد، إذ يتنوعون في توجهاتهم ضمن الإطار المشترك، يعيشون حالة من التباعد و الجهل ببعضهم بعضاً فترتسم عند كل طرف صورة غير صحيحة عن الطرف الآخر، إن الجهل بالآخر و الخطأ في قراءته يشكل ظلماً للذات والآخر، حيث يحرم الإنسان نفسه من معرفة الحقيقة و يضلها عن إدراك الواقع، مما يمنعه من التفاعل الإيجابي مع الآخر<sup>(4)</sup>.

فتعميم ثقافة الحوار عبر مكونات المجتمع لا يقتضي ميزانية مادية هائلة كالتي تصرف في المؤتمرات والندوات، بقدر ما يتطلب ميزانية معنوية تصرف بواسطة شتى الأساليب، ابتداء من الأسرة التي هي نواة و أساس أي خلق يغرس أو قيمة تكتسب والمتمثل بالحوارات الهادفة بين الزوجين و بين الوالدين و الأبناء ومروراً بجلسات

(1) زمزمي، يحيى، 2002 م، الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، عمّان، دار المعالي.

(2) أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي" دراسة: محمد القضاة:

<http://www.alwasatparty.com/modules.articles>

(3) بولعوالي، النجاني، ثقافة الحوار أساس التعايش الإيجابي بين كل مكونات المجتمع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art>.

(4) الصفار، حسن موسى، 2004 م، ط 1، كيف نقرأ الآخر؟ بيروت، الدار العربية للعلوم، ص 10.

البرلمان الموجهة عبر الأرقام الصناعية، والبرامج الحوارية التي تترجم آداب الحوار و ضوابطه عمليا وكذلك بالمقررات المدرسية المشحونة بالأدبيات المختلفة، وصولا إلى المسجد الذي تلقى فيه خطب الجمعة كل أسبوع. هذه العناصر وغيرها تستقطب عددا كبيرا من الناس، لكن لا تعرف كيف تستثمر خطاباتها في إيصال الأفكار والمضامين التي من شأنها خدمة الصالح العام، وتوعية المواطنين، وتهيئة عقول النشء وما شاكل ذلك، وفي هذا النطاق يمكن أن تتم الدعوة إلى الحوار الذي يشكل الإسمت المسلح الذي يوفق بين لبنات المجتمع وأجزائه، فإذا ما هو انتقى انهار بناء المجتمع، أو تخلخلت مرتكزاته وأعمدته (1).

ففي دراسة إلهام عبد الحميد فرج (2) حول قيم التعامل مع الآخر و تقديم نموذج مقترح لتنمية ذلك وجدت أن قيمة الحوار تحتل المرتبة الثانية في القيم الأساسية لتعامل الفرد مع الآخر وهي بحسب الترتيب الوارد:

- 1- التسامح
- 2- الحوار
- 3- تحمل المسؤولية
- 4- العمل الجماعي

#### المبحث السادس

#### نموذج رائد في تعامل وتعايش الفرد مع الآخر (مبرة الآل والأصحاب )

اجتهد الباحثان في عرض نموذج من المجتمع الكويتي يتميز بحسن التعايش مع الآخر مهما اختلف مذهبه أو توجهه وذلك بالعمل على تقبل الآخر واحتواءه في المشاركة والحوار، والعمل وفق الأمور المتفق عليها وتجنب الأمور المختلف فيها والذي بدوره يحقق الألفة والترابط بين أبناء المجتمع الواحد ويعكس الصورة المثالية للفرد المسلم في تعامله مع الآخر.

إن مبرة الآل والأصحاب نموذج رائد في العمل التطوعي القائم على العمل ضمن القواعد المشتركة للمجتمع الكويتي، والانطلاق من أرض صلبة لا يختلف عليها اثنان، فهي مبرة ذات لون جديد والتي تخصصت في الإغاثة الفكرية والدعم والتوعية العلميين. ولعل سبب اختيار الباحثان لعرض تجربة مبرة الآل و الأ أصحاب هو تميزهم في تحقيق مبادئ التربية الإسلامية في تعامل الفرد مع الآخر وترجمتها إلى سلوكيات و آليات تعاون من أدب اختلاف و حسن حوار وتقبل واحتواء للآخر بعيدا عن نفس التعصب و التحيز والذي بدوره يساهم في تحقيق التآلف بين أبناء وطننا الحبيب.

فالرسالة السامية لمبرة الآل والأصحاب تتمحور حول نشر تراث آل البيت والصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وغرس محبتهم في نفوس المسلمين والدعوة للاقتداء بهم التي هي مدعاة للوحدة الوطنية، ونبذ الفتن الطائفية وتوحيد الكلمة، وهذا أحد أهم أهداف المبرة الداعي إلى تأسيسها.

وقد كان لنا لقاء مع رئيس مبرة الآل والأصحاب الدكتور عبد المحسن الخرافي؛ ليوضح لنا أهداف المبرة، وآليات العمل، وبيان العقبات، وكيف أصبحت المبرة نموذجا يحتذى به في حسن التعامل و التعايش مع الآخر ومدى مساهمتها في جمع الكلمة والسعي لتحقيق الوحدة الوطنية.

(1) بولعوالي، التجاني، ثقافة الحوار أساس التعايش الإيجابي بين كل مكونات المجتمع:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art>.

(2) فرج، إلهام عبد الحميد، 2006 م، برنامج مقترح لتنمية قيم التعامل مع الآخر. دراسات في المناهج وطرق التدريس، العدد 116،

الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.

### السؤال الأول: ما هي مبرة الآل و الأصحاب، وما الهدف الداعي لتأسيسها ؟

**الجواب:** بسم الله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. مبرة الآل والأصحاب هي مبرة خيرية تخصصت في الإغاثة الفكرية لنشر تراث آل بيت رسول الله ﷺ وأصحابه الأخيار، وغرس محبتهم في نفوس المسلمين، فحب آل البيت وصحابة النبي ﷺ أمر تعبدي نتقرب به إلى الله سبحانه، فيغض النظر عن البعد السياسي والاجتماعي في المجتمع نرى أن العمل هذا هو نوع من العبادة، ألم نقل في كل صلاة:

" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد "، وندرکہا ب " وبارك على محمد وعلى آل محمد "، كذلك نتعبد الله بحب صحابة رسول الله ﷺ فهناك قرابة 24 آية بين التصريح والتلميح بحب الصحابة، فهم أول صدر الإسلام، وهم الذين عاصروا الرسول ﷺ وأخذوا منه الدين قولاً وفعلاً، وكان قرنهم خير القرون. كذلك ارتأينا حينما كنا بصدد إنشاء المبرة إلى مشروع يجمع الكلمة ويوحد الصفوف في المجتمع المحلي، فحن أحوج ما نكون إليه هو البحث عن نقاط الالتقاء والتقارب في مجتمعنا الكويتي؛ لذا كان تأسيس المبرة وإشهارها في عام 2005 م.

### السؤال الثاني: ما أهداف المبرة ؟

**الجواب:** أهداف المبرة متعددة، وهي:

- 1 - العمل على غرس محبة الآل (آل البيت) الأطهار والأصحاب الأخيار في نفوس المسلمين.
- 2 - نشر العلوم الشرعية بين أفراد المجتمع، وخصوصاً تلك المتعلقة بتراث الآل والأصحاب من عبادات ومعاملات.
- 3 - التوعية بدور الآل والأصحاب، وما قاموا به من خدمات جليلة لنصرة الإسلام والدفاع عن المسلمين، وتحقيق هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.
- 4 - دعم الوحدة الوطنية، وزيادة التقارب بين شرائح المجتمع من خلال تجلية بعض المفاهيم الخاطئة التي رسخت في نفوس بعض المسلمين عن أهل البيت الأطهار والصحابة الأخيار.
- 5 - إبراز علاقاتهم الحميمة المتبادلة بينهم.

### السؤال الثالث: ما آليات العمل ووسائل تحقيق الأهداف ؟

**الجواب:** توجد عدة آليات ووسائل لتحقيق أهداف المبرة، منها:

- 1 - إقامة الندوات والمحاضرات ونشر الكتب التي تحقق أهداف المبرة، وما شابهها من وسائل إعلامية.
- 2 - عمل موقع إلكتروني يضم الأنشطة والإصدارات الخاصة بالمبرة.
- 3 - تأسيس مجلة فصلية متخصصة تعنى بشؤون التراث المتعلق بآل البيت والصحابة الكرام.
- 4 - البدء في عمل موسوعي ضخم وكبير عن آل البيت والأصحاب يتميز بالحيدة والموضوعية التامة.

### السؤال الرابع: ما آلية تعاونكم مع الآخر باختلاف مذهبه أو تياره في المجتمع ؟

نحن بفضل الله نتعاون مع كافة التيارات والمذاهب والمدارس الفكرية، ونمد يدنا للتعاون والعمل مع أي جهة تود التعاون أو المشاركة سواء كانت رسمية أو غير رسمية، وهذا كله يصب في خدمة جميع الشرائح الاجتماعية في المجتمع بعيداً عن إثارة العصبية الطائفية والعنصرية، فنحن نتعاون مع كل من لديه اهتمام بفكرة المبرة ونتعاون مع الجهات الحكومية وغير الحكومية، وجمعيات النفع العام بكل أطيافها، ولا نتردد عن مد يد التعاون والعمل المشترك البناء مع الآخرين مهما تعددت مسمياتهم أو أطيافهم، فلدينا تعاون حالياً مع وزارة الأوقاف ووزارة التربية، وكذلك فنحن بصدد المشاركة في مؤتمر مستقبلي قريباً إن شاء الله.

**السؤال الخامس: هل ترون أن للمبرة دوراً مهماً في تحقيق التعايش الإيجابي بين أفراد المجتمع وتقبل**

**الآخر مهما اختلف ، وكيف ؟**

**الجواب:** نعم، تلعب المبرة دوراً مهماً في تحقيق التعايش الإيجابي المطلوب، وذلك من خلال احتوائنا للآخر بغض النظر عن طائفته أو تياره أو مذهبه، والترحيب بمشاركة الآخرين معنا وفق قاعدة اتفاق مشتركة بيننا، ولعل الهدف الرئيسي للمبرة، وهو التوعية المجتمعية بتراث الآل والأصحاب لمدعاة إلى التعايش الإيجابي، وذلك بنشر ثقافة وتراث متفق عليه من قبل أكبر مذهبين في الكويت والذي يقودنا إلى لغة حوار مشتركة، وتعزيز نقاط الالتقاء بيننا لا الاختلاف، فتراث الآل والأصحاب ومحبتهم مدعاة للوحدة الوطنية وللتعايش الإيجابي. كذلك عقد الندوات و المحاضرات والحوارات المشتركة، وإقامة لقاء شهري يلتقي فيه أبناء المذهبين بين المغرب والعشاء يصاحبه زيارة ميدانية لغرفة المشجرات لآل البيت كنموذج، ومكتبة المبرة وبانوراما الأسماء والمصاهرات بين الآل والأصحاب.

ولعل المطلع إلى مكتبتنا يجد أن المراجع والمصادر من أمهات الكتب متعددة ومتنوعة وتضم مراجع المذهبين، وكذلك في استخدامها وتوظيفها في إصداراتنا وكتبنا التي بلغت قرابة الثلاثين مؤلفاً، فلا يخلو مؤلف من استخدام مراجع للمذهبين والاستدلال بالأدلة الواردة في كتبهم، ولا ترى في مؤلفاتنا ما يشير إلى اسم طائفة أو مذهب دون الآخر، وهذا ما نسميه بتطويق الطائفية، وقد نجحت المبرة بفضل الله في تحقيق التعايش الإيجابي المطلوب وفي تقبل الآخر، والدليل على ذلك تفاعل أبناء المجتمع بتعدد أطيافه في أنشطة وبرامج وإصدارات المبرة ودعمهم المستمر لها، وشهادة عدد من المهتمين سواء في المجال العلمي البحثي، أو في مجال الوحدة الوطنية إلى الدور البارز والفعال للمبرة في تحقيق أهدافها السامية، ولعل مقولة أحد قياديين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمبرة عند الاطلاع على إنجازاتها وأنشطتها، قال: "إذا كان تحفيظ القرآن مشروع كلمة اهتمت به وزارة الأوقاف، والأخلاق مشروع كلمة، فأنتم مشروع جمع كلمة".

كذلك سبق لنا المشاركة في مؤتمر للاتحاد الوطني لطلبة الكويت في أكتوبر 2008م، وهو مؤتمر يجمع شباب وأبناء الكويت بكل توجهاته ومذاهبه وتياراته، وذلك بالمشاركة بندوة تدعو إلى التعايش بين أبناء الوطن الواحد المحقق لوحدة الصف والتي كانت بعنوان: "الوحدة الوطنية في هدي الآل والأصحاب".

ولعلنا نعزو أسباب النجاح بعد توفيق الله إلى عدة أمور، منها:

- 1 - البعد عن الخوض في القضايا السياسية.
- 2 - احتواء الجميع في المشاركة والاستفادة من المبرة وإصدارتها وموادها وندواتها.
- 3 - البعد عن الإثارة والخوض في الخلافات المذهبية والفكرية والتركيز على تطويق الطائفية بكل أطيافها وأشكالها.
- 4 - استخدام لغة الحوار الهادئ في التفاهم و تقارب وجهات النظر و الابتعاد عن أساليب التأزيم.
- 5 - التعاون مع الجميع واستقطاب جهود كل متعاطف، وتبني بعض المؤسسات الحكومية لإصدارتنا وأنشطتنا.
- 6 - التخصص في الإطار العلمي البحثي، باعتبار أننا مؤسسة علمية بحثية متخصصة في الإغاثة الفكرية.

7 - التعاون الإقليمي مع الجهات المناظرة في بعض دول مجلس التعاون.

8- الإنصاف في البحث العلمي والأخذ بالأدلة من كتب ومراجع الطرفين.

**السؤال السادس: كيف يكون هدي الآل والأصحاب دعماً للوحدة الوطنية ؟**

**الجواب:** الآل والأصحاب ضربوا أروع الأمثال في المحبة والوحدة والإخاء؛ ولأن تسمياتهم انعكست على الفرز الطائفي والاجتماعي؛ ولأن الاستقطاب الطائفي المتطرف محور حول الآل والأصحاب بالإضافة إلى وجود الفهم الخاطيء في تراثهم المؤدي إلى الاختلاف والشقاق؛ لذلك ارتأت المبرة أن تقوم بمشروع يقلل من هذه الخلافات ويصنع قاعدة مشتركة منقح عليها لتضييق الخناق على التطرف المؤدي إلى التفكك والنزاعات.

وفكرة المشروع قائمة على العمل ضمن دوائر الاهتمام والالتقاء انطلاقاً من " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً في ما اختلفنا عليه " وهذه الدوائر هي الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ، وترك دائرة العقيدة خارج نطاق التعاون والالتقاء، ليس لقلّة أهميتها، ولكن نتركها للمتخصصين والعلماء من الطرفين؛ ولصعوبة الالتقاء عند هذه النقطة، فنحن نعمل على ما يمكن أن يجتمع عليه الطرفان على السواء، وذلك بتقريب وجهات النظر والتقارب وتحقيق التعايش الإيجابي.

**السؤال الثامن: ما أبرز التحديات التي واجهتموها خلال عملكم في المبرة؟**

**الجواب:** هناك تحديات عديدة ولكن بفضل الله تغلبنا على معظمها، وأهمها:

- 1 - حداثة الخطاب للمبرة على المجتمع الكويتي بمذهبيه.
- 2 - قلة الموارد والمحددات المادية.
- 3 - الرواسب الاجتماعية السابقة تجاه المواقف والأحداث.
- 4 - اختلاف المدارس الفكرية لذرية آل البيت في الوقت المعاصر.

**السؤال التاسع: كلمة أخيرة تودون توجيهها في نهاية هذا اللقاء:**

**الجواب:** مبرة الآل والأصحاب تسعى إلى نشر تراث الآل والأصحاب، وتهدف إلى وحدة الأمة، وجمع الكلمة تحت لواء القرابة الأطهار والصحابة الأخيار، ولا يكتمل نجاحها إلا بمشاركةكم وتفاعلهم وتعاونكم ودعمكم ودعائكم، ولكم منا جزيل الشكر.

## المبحث السابع

### النتائج والتوصيات

#### (أ) ملخص نتائج البحث :

##### من خلال العرض السابق نستخلص النتائج التالية :

- 1- أن الفرد هو المحور الأساسي للعملية التربوية إذ أن بتقويم وإصلاح الفرد من خلال المنهجيات والوسائل التربوية ينتج لنا مجتمعاً قد تحقق فيه مقاصد وغايات التربية.
- 2- أن التربية الإسلامية ليست مجرد آيات قرآنية وأحاديث نبوية تحفظ وليست مجرد طقوس وعبادات تعلم ؛ بل إنها تربية وجدانية يتشكل بها الضمير الخلفي وفقاً لمعايير الإسلام وتكون بمثابة الضابط الأساسي الذاتي لكل قول أو فعل يصدر عن الإنسان وهو يتعامل مع غيره .
- 3- أن التربية الإسلامية غاياتها ومقاصدها تتبع من مصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ( القرآن الكريم ) ويستوعب قضاياها ويلاحق أزمتها ويلائمها في تطورها الصاعد.
- 4- للتربية الإسلامية خصائص تميزها عن باقي المناهج التربوية ذلك لأن منهج التربية الإسلامية منهج متكامل يسعى لتثنية الفرد والمجتمع على تصورات الإسلام وقيمه ونظرياته في مختلف مناشط الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- 5- الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو تكوين الفرد المسلم الصالح الناجح ذو الشخصية المتميزة التي تمكنه من النجاح في الدنيا والآخرة، والفوز بالسعادة في الدارين .
- 6- تحتوي التربية الإسلامية على العديد من المضامين والقيم والمهارات التي تستدعي وجود قنوات بسيطة لحملها وتوصيلها للآخرين، وهذه الوسائل عديدة ومتنوعة منها الأسرة والمدرسة والمسجد والاعلام والمجتمع وغيرها .
- 7- اهتمت التربية الإسلامية ببناء ذات الفرد المسلم؛ ودعت إلى منهجية متسلسلة متغامعة في فهم هذه النفس البشرية (الذات) ابتداءً، والغوص في أغوارها ومعرفة احتياجاتها وملكاتهما وكل دقائق الأمور عنها، ثم تقبل هذه الذات بكل ما تملك من خصائص قلّت منها أو كُثرت، ثم تطوير وتنمية وإصلاح هذه النفس إما بتقويم ما اعوج منها، أو بتطوير ما قصر فيها.
- 8- دعت التربية الإسلامية المسلمين للالتزام بمبدأين أساسيين في التعامل مع الآخر، وهما العدل والإحسان، فعلاقة المسلم بغيره تقوم عليهما، وتتعلق منهما، وتعمل وتلتزم بهما.
- 9- الحوار وحرية التعبير من أهم ميادين التعامل مع الآخر ولذا حرصت التربية الإسلامية على تنميتها وفق آداب وضوابط تمنعها من الخروج عن مقصودها وآثارها اللتان جاءت من أجلهما، أو أن يتحولوا إلى مشاحنات أنانية، أو جدل مذموم.
- 10- مبرة الآل والأصحاب بدولة الكويت نموذج رائد في تعامل وتعايش الفرد مع الآخر.

#### (ب) التوصيات :

- بعد الإطلاع المستفيض و البحث حول منهجية التربية الإسلامية في إعداد الفرد في تعامله مع الآخر، يقترح الباحثان عدة اقتراحات و توصيات تسهم في تحقيق أهداف التربية الإسلامية حول هذا المجال:
- 1- إعداد المعلم الذي يجسد القدوة المرئية والمثل الأعلى الذي يسعى على الأرض، والذي يترجم فلسفة المدرسة وأهدافها ومناهجها، روحاً وضميراً وخلقاً، فلا يكفي وجود منهاج مثالي.

- 2- تأكيد الهوية الكويتية و المحافظة على أصالتها التي تجمع كل أطراف المجتمع دون تفرقة كما كان أجدادنا وتعزيز انتمائها ونشر ثقافة التعايش بين أفراد المجتمع.
- 3- إعادة النظر في عملية تدريب المعلمين بحيث تؤكد على استخدام مهارة الحوار وتفعيلها أثناء العملية التدريسية.
- 4- الدعم المادي و المعنوي لأي جمعية نفع عام أو مبرة خيرية تحث على احترام الآخر و التعاون و التعايش الإيجابي.
- 5- تأسيس مركز للحوار تشرف عليه الجهات الرسمية و الداعي لتعزيز مهارات الحوار الديني و السياسي والاجتماعي في المجتمع الكويتي.
- 6- إعداد خريطة قيم (Value Map) للمناهج المدرسية وذلك لغرس القيم المتعلقة بالتعايش الإيجابي مع الآخر كعملية مستمرة و متسلسلة، ذلك بجعلها متكاملة و مترابطة بين جميع مراحل التعليم النظامي بمعنى أن قيم كل مرحلة لاحقة يجب أن تبنى على قيم مرحلة سابقة.
- 7- عمل دراسات تهدف إلى تحديد القيم الضرورية الواجب توافرها في المجتمع الكويتي و المراد غرسها لتحقيق التعايش الإيجابي بين أفراد المجتمع.
- 8- عمل دراسات مسحية تحليلية لمحتوى المواد الأدبية بما فيها ( التربية الإسلامية- اللغة العربية- مهارات الحياة- المواد الاجتماعية) بغرض تحليل القيم التي تسعى هذه المناهج إلى غرسها في الطالب و مدى موائمتها لحاجة المجتمع الكويتي من تحقيق التعايش الإيجابي بين أطراف المجتمع.
- 9- إقامة مؤتمر سنوي للحوار الوطني يدعو إلى تقارب وجهات النظر و التركيز على القواعد المشتركة بين أبناء المجتمع وتعزيز مفهوم تقبل الآخر.

## فهرس المراجع

### أولاً : الكتب

1. أبحاث مؤتمر نحن والآخر، المركز العالمي للوسطية، دولة الكويت، 2006 م، بحث الشيخ محمد الحسن الددو، بعنوان: التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية و ضرورة واقعية
2. أبحاث مؤتمر نحن والآخر، المركز العالمي للوسطية، دولية الكويت، 2006 م، بحث عبد الرحمن محمود، بعنوان: التعايش مع الآخر حقيقة تاريخية وضرورة واقعية.
3. ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، 1991 م، الرياض، دار عالم الكتب.
4. ابن حجر العسقلاني، هداية الرواة.
5. ابن عابدين، طبعة بولاق الأولى، رد المحتار على الدر المختار، تصوير دار إحياء التراث العربي.
6. ابن عساكر، كشف الغطاء.
7. ابن كثير، 1991 م، ط 1، مختصر تفسير ابن كثير، مصر، دار السلام للطباعة والنشر.
8. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، 1403، تفسير القرآن العظيم، بيروت، لبنان، دار المعرفة.
9. ابن منظور، 1999 م، ط 3، لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
10. أبو إسماعيل، أكرم عبد القادر، 2006 م، التقويم الذاتي للشخصية في التربية الإسلامية، الأردن، دار النفائس.
11. أسس الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي دراسة لمحمد القضاة
12. الأشوح، صبري، 1997 م، ط 1، التفكير عند أئمة الفكر الإسلامي، مصر، مكتبة وهبة.
13. أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 1408 م، ط 3، الرياض، المطابع العالمية.
14. الألباني، السلسلة الصحيحة.
15. الألباني، صحيح الترغيب.
16. الألباني، صحيح الجامع الصغير.
17. الألباني، صحيح الجامع.
18. الألباني، صحيح النسائي.
19. الألباني، مشكاة المصابيح.
20. الألمعي، زاهر، 1404 هـ، مناهج الجدل في القرآن، ط 4، الرياض، مطابع الفرزدق.
21. الألوسي، شهاب الدين، تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، مصر، المكتبة التوفيقية.
22. البخاري. صحيح البخاري
23. البشير، عصام، 2006 م، ط 4، الحوار مع الآخر المنطلقات والضوابط، الكويت، الوعي الإسلامي.
24. بن حميد، صالح مع مجموعة من المتخصصين، 2004 م، ط 3، نظرة النعيم، المملكة العربية السعودية، دار الوسيلة
25. بن حميد، صالح، 1991 م، ط 1، أدب الخلاف، جدة، مكتبة الضياء.
26. بولعوالي، التجاني، ثقافة الحوار أساس التعايش الإيجابي بين كل مكونات المجتمع.  
<http://www.ahewar.org/debat/show.art>
27. الترمذي، سنن الترمذي.
28. الجلاد، ماجد زكي، 2005 م، تعلم القيم وتعليمها، الأردن، ط 1، دار المسيرة.



29. الجوزية، ابن القيم، 1421 هـ، ط 1، القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين، السعودية، دار ابن العلم، رسالة جامعية.
30. الجوزية، ابن القيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، مطبعة دار السعادة.
31. الحربي، سعود هلال، مقال إلكتروني بعنوان: تعليم الحقوق والواجبات جزء من التربية والتنشئة المدنية، مجلة أرشيف المعرفة العدد، 168  
<http://www.almarefh.org/news.php?action>
- 31- الحسن، علمي، 2003 م، ط 1، المرشد إلى آيات القرآن الكريم، الهند، دار الداعي للنشر.
32. حنا، ميلاد، 2000 م ط 1، المثقف العربي والآخر بين الرفض والقبول واللامبالاة، مصر، دار المعارف.
33. الخادمي، نور الدين بن مختار، 2001 م، علم المقاصد الشرعية، الرياض، مكتبة العبيكان.
34. خولة راشد أيوب الدوسري. (2011م). أثر استخدام نموذج بايبي للتعلم البنائي في تعديل التصورات البديلة لبعض مفاهيم التربية الإسلامية لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي بدولة الكويت، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الخليجية، مملكة البحرين، ص 11.
35. ديوان الشاعر أبو الفتح البستي.
36. ديوان الشاعر أحمد شوقي.
37. ديوان الشافعي.
38. رمزي، عبدالقادر هاشم، 1984م، ط1، الدراسات الإنسانية في ميزان الرؤية الإسلامية (دراسة مقارنة)، الدوحة، دار الثقافة.
39. زمزمي، يحي محمد حسن 1414هـ: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب و السنة، ط 1، دار رمادي للنشر، المملكة العربية السعودية، ص 5.
40. الزحيلي، وهبة، 2000 م، ط 1، حق الحرية في العالم، بيروت، دار الفكر المعاصر.
41. الزحيلي، وهبة، 2006 م، الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، المركز العالمي للوسطية، سلسلة الأمة الوسط (1)، الكويت، وزارة الأوقاف.
42. الزرقا، أحمد، 1998 م، ط 5، شرح القواعد الفقهية، بيروت، دار القلم.
43. الزرقاني، 1989، ط 4، مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
44. زمزمي، يحيى، 2002 م، الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، ط 2، عمان، دار المعالي.
45. سالم، فاطمة الزهراء. وشحاتة، حسين، 2007 م، التربية الأخلاقية في المجتمع العربي المعاصر، القاهرة، دار العالم العربي.
46. سعيد، جودت، 1993 م، ط 7، حتى يغيروا ما بأنفسهم، بيروت، دار الفكر المعاصر.
47. سلطان، محمود السيد، 1979م، بحوث في التربية الإسلامية، القاهرة، دار المعارف.
48. الشافعي، إبراهيم، 1404 هـ، التربية الإسلامية وطرق تدريسها، الكويت، مكتبة الفلاح.
49. الشحومي، محمد، 2007 م، مدى تضمن كتب التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية لقيم تساهم في معالجة السلوكيات السلبية لطلبة المرحلة الثانوية في دولة الكويت، رسالة ماجستير، جامعة عمان

- العربية للدراسات العليا، نشر ملخص الرسالة في المجلة التربوية، عدد 82، مجلد، 21، مجلس النشر العلمي.
50. الشنقيطي، محمد، 1996 م، ط 1، أضواء البيان، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
51. الصاوي، صلاح، الثوابت والمتغيرات، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، مطبعة أضواء المنتدى.
52. صبح، محمد أحمد جاد، 1987 م، التربية الإسلامية، دراسة مقارنة، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.
53. الصفار، حسن موسى، 2004 م، ط 1، كيف نقرأ الآخر؟، بيروت، الدار العربية للعلوم.
54. الطحان، مصطفى، 2006 م، التربية ودورها في تشكيل السلوك، ط 1، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر.
55. عبد الجواد، محمد أحمد، 2006 م ط 1، من الحوار مع الذات إلى الحوار مع الآخر، مصر - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
56. عبد العظيم، حمدي، مهارات في فن التعامل مع الناس، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
57. عرفة، محمد بن عبد الله، 1384 هـ، ط 1، حقوق المرأة في الإسلام، مطبعة المدني.
58. العقاد، مصطفى، الإسلام دعوة إسلامية.
59. علوان، عبد الله، 1979 م، محاضرة تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام، مصر، دار السلام.
60. علي، سعيد، 2007 م، أصول التربية الإسلامية، الأردن، دار الميسرة.
61. الغزالي، محمد، 1982 م، نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، في قراءات في التربية الإسلامية، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
62. الغزالي، محمد، 1996 م، ط 12، خلق المسلم، بيروت، دار القلم.
63. فرج، إلهام عبد الحميد، 2006 م، برنامج مقترح لتنمية قيم التعامل مع الآخر، في دراسات في المناهج وطرق التدريس، العدد 116، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، كلية التربية، جامعة عين شمس، القاهرة.
64. فرج، طريف شوقي، 1999 م، توكيد الذات مدخل لتنمية الكفاءة الشخصية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.
65. القرضاوي، يوسف، 1992 م، ط 5، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة.
66. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري، 1402 هـ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، شارع الجمهورية بعابدين، دار الكتب الإسلامية.
67. قطب، سيد، 1986 م، ط 12، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق.
68. قطب، محمد، 2007 م، منهج التربية الإسلامية، ط 17، مصر، دار الشروق.
69. القلعجي، محمد، 1996 م، ط 1، معجم لغة الفقهاء، بيروت، دار النفائس.
70. كارينجي، ديل، 2002 م، اكتشف القائد الذي بداخلك، الرياض، مكتبة جرير.
71. الكفوي، أبو البقاء، 1981 م، الكليات، دمشق.
72. الكندري، لطيفة. ملك، بدر، 2002 م، تعليقة أصول التربية، الكويت، مكتبة الفلاح.
73. الكيلاني، ماجد عرسان، 1997 م ط 1، التربية والتجديد وتنمية الفعالية عند المسلم المعاصر، لبنان، الريان للطباعة والنشر، ص 21.
74. الكيلاني، ماجد عرسان، 1998 م، فلسفة التربية، بيروت، مؤسسة الريان.

75. اللحامي، نهى، 1987 م، العلاقة بين تقدير الذات والقلق لدى تلاميذ المدرسة الإعدادية. المؤتمر الثالث لعلم النفس، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات النفسية.
76. مجاور، محمد صلاح الدين، 1990 م، تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية، ط 4، الكويت، دار القلم.
77. مصالحة، محمد، 1984 م، نحو مقترح عالمي لحق الاتصال ومشكلاته، مجلة الشؤون العربية، الأمانة العامة لجامعة الدول العربي، عدد 24، تونس.
78. المطوع، نسيبة، 1999 م، قيادة الذات وإدارتها، الكويت، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
79. المعاينة، عبد العزيز، 2006 م، المدخل إلى أصول التربية الإسلامية، ط 1، دار الثقافة.
80. نزال، عمران، 2004 م، شرعية الاختلاف بين المسلمين، بيروت، دار قتيبة.
81. النشمي، عجيل، 1995 م، وسائل التربية الإسلامية، اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، الكويت.
82. الهيثمي، علي ابن أبي بكر، 1412 هـ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الفكر.
83. وزان، سراج محمد، 1411 هـ، 1991 م، التربية الإسلامية: كيف نرغبها لأبنائنا، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق، السنة العاشرة، عدد 112.

#### ثانياً : المواقع الإلكترونية :

- 1- موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية:  
<http://www.dorar.net/enc/hadith>
- 2- الموقع الرسمي لمكتب الإنماء الاجتماعي:  
<http://www.sdo.gov.kw/index.htm>
- 3- موقع المعرفة:  
[www.marefa.org](http://www.marefa.org)
- 4- موقع الحوار:  
<http://www.ahewar.org/debat/show.art>
- 5- موقع الوسط:  
<http://www.alwasatparty.com/modules.articles>
- 6- البوابة الإلكترونية الرسمية لدولة الكويت:  
[www.e.gov.kw/sites.kgoarabic](http://www.e.gov.kw/sites.kgoarabic)



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الغلو وأثره في رفض الخطاب الديني

إعداد

د. عبد الرحمن سلمان الدايه

أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بغزة.

أ.محمد شاكر البنا

ماجستير الشريعة الإسلامية- الجامعة الإسلامية بغزة.

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

### ملخص البحث

يتناول البحث مسألة (الغلو وأثره في رفض الخطاب الديني)، ويعرضها في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة. أما المقدمة فقد تضمنت أهمية البحث في الواقع المعاصر، وأما المبحث الأول فضمن الحديث عن حقيقة الغلو وحكمه وأنواعه. والمبحث الثاني جعلناه في: أسباب الغلو، والثالث في: أثر الغلو في رفض الخطاب الديني، والرابع في: سبل علاج الغلو في الواقع المعاصر. وختم البحث بأهم النتائج التي ترجحت عند الباحثين.

### Research Summary

The study deals with the issue of "Exaggeration and its effect on the rejection of religious discourse". This issue is presented in an introduction, four chapters, and a conclusion.

The introduction ensures the importance of the research in the contemporary reality. However, we've made the first chapter included the talk about the reality of the exaggeration, its rule and its type, the second chapter about the causes of the exaggeration, the third chapter about the impact of the exaggeration on the rejection of religious discourse and the fourth chapter about the treatment ways of exaggeration in the contemporary reality.

The research concludes with the most important results that were nominated by researchers.

## مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: 1]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 71]، وبعد:

لقد شهد العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة متغيرات عدة، في كافة مناحي الحياة.. الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والأدبية، والاقتصادية، والسياسية، وغيرها؛ فأثر ذلك على سلوك بعض المسلمين، مما دفع غير المسلمين إلى استغلال هذا المشهد ليبيث وكلاءه كي يشوهوا صورة الإسلام المشرقة، ويغيروا تعاليمه النضرة، وشريعته السمحة، ليحیی المسلمون حياة جوفاء لا روح فيها، وتتحوّل عبادتهم إلى عادة، وأعيادهم إلى مسرح من الطقوس الشاذة؛ فانبرى إلى صده فريقان من المسلمين ليدفعوا تلك التهمة، ويقوموا تلك الزيغة التي طبعت في الأذهان عن الإسلام وأهله، فريق يدفع بوسط واعتدال، وهم جماعة العلماء، وأخرى تدفع بطيش وحمق، بلا روية ولا حكمة ولا فقه، قلوبهم غليظة، وأقلامهم عنيدة، ومشيختهم بليدة؛ فأفرز لنا هؤلاء من غلوهم وغلظتهم جيلاً عليلاً، يتصدرون النوازل بلا بضاعة ولا رسوخ، ويوقعون عن الله، وعن رسوله ﷺ بمداد من محجنة حاجم، فَعَطَبُوا وَأَعَطَبُوا ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: 8].

فشدنا هذا الغلو في عرض الإسلام، ومخاطبته الناس بغلظة؛ أن نسل القلم، ونسود القرطاس في تجلية ما نراه حقاً، فكان بحثنا مرقوماً ب: (الغلو وأثره في رفض الخطاب الشرعي)؛ مجلياً للحقيقة في أربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

### المبحث الأول: حقيقة الغلو وحكمه وأنواعه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حقيقة الغلو في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: أنواع الغلو

### المبحث الثاني: أسباب الغلو

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب راجعة إلى الجهل والغلط في الفهم

المطلب الثاني: أسباب راجعة للسلوك

### المبحث الثالث: أثر الغلو في رفض الخطاب الديني

### المبحث الرابع: سبل علاج الغلو في الواقع المعاصر

والله نسأل الإخلاص، والتوفيق، والقبول؛ إنه سميع مجيب.

### المبحث الأول: حقيقة الغلو وحكمه وأنواعه.

المطلب الأول: حقيقة الغلو في اللغة والاصطلاح:

أولاً: الغلو في اللغة:

يطلق الغلو في اللغة ويراد به الارتفاع، ومجاوزة الحد.

قال ابن فارس رحمه الله: "الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر؛ يدل على ارتفاع، ومجازة قدر. يقال: غلا السعر يغلو غلاء؛ وذلك ارتفاعه. وغلا الرجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حده"<sup>(1)</sup>. وقال الأزهري رحمه الله: "غلا في الدين يغلو غلوا: إذا جاوز الحد"<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: الغلو في الاصطلاح:

الغلو منه عام، ومنه خاص، أما العام فقد عرّفه ابن تيمية رحمه الله بقوله: "مجازة الحد بأن يزداد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك"<sup>(3)</sup>. وأما الخاص وهو مقصودنا، فقد عرّفه الشبل بقوله: "الإفراط في مجازة المقدار المُعتبر شرعاً في أمرٍ من أمور الدين"<sup>(4)</sup>. وبناء عليه: فإن الغلو؛ مجازة ما شرعه الله من الأحكام إلى ما لم يشرعه، سواء كان بالاعتقاد أو بالقول أو بالفعل<sup>(5)</sup>.

#### المطلب الثاني: حكم الغلو:

الغلو محرم في جميع الشرائع، وقد توافرت نصوص الوحيين قرآناً وسنةً تحظره، وتحذر منه، من ذلك: قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: 171]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا مِنْ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

قال ابن عطية رحمه الله: "خاطب تعالى أهل الكتاب من النصارى بأن يدعوا الغلو، وهو تجاوز الحد،... وقوله تعالى: ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ إنما معناه، في الدين الذي أنتم مطلوبون به، فكأنه اسم جنس، وأضافه إليهم بياناً أنهم مأخوذون به، وليست الإشارة إلى دينهم المضلل، ولا أمروا بالثبوت عليه دون غلو، وإنما أمروا بترك الغلو في دين الله على الإطلاق، وأن يوحدوا ولا يقولوا على الله إلا الحق، وإذا سلخوا ما أمروا به؛ فذلك سائقهم إلى الإسلام"<sup>(6)</sup>. وعن أنس رضي الله عنه قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: (لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَيُشَدِّدَ عَلَيْكُمْ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَتَلَّكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ)<sup>(7)</sup>. من فوائده: النهي عن الغلو في العبادة؛ بلإلزام النفس عبادات لم يوجبها الله على عباده، ولا رسوله ﷺ.

(1) ابن فارس/مقاييس اللغة (4/ 387).

(2) الأزهري/تهذيب اللغة (8/ 168).

(3) ابن تيمية/ اقتضاء الصراط المستقيم (1/ 328).

(4) علي الشبل/ الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف (ص 8).

(5) انظر: ابن حيان/ البحر المحيط في التفسير (2/ 222).

(6) ابن عطية/ تفسيره (2/ 139).

(7) حسن، أخرجه: أبو داود/سننه (4904) (4/276)، وانظر: الهيثمي/مجمع

الزوائد (10546) (6/256).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ)<sup>(1)</sup>.

من فوائد: النهي عن الغلو بكل أنواعه<sup>(2)</sup>؛ وذلك أنه سبب هلاك الأمم السابقة. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) قَالَهَا ثَلَاثًا<sup>(3)</sup>. من فوائد: أن المتنتهين، وهم: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم<sup>(4)</sup>، معرضون للهلاك، وكل ما يقود إلى الهلاك ممنوع.

### المطلب الثالث: أنواع الغلو:

للغلو أنواع، بعضها في التوحيد، وبعضها في العبادات، وأخرى في العادات<sup>(5)</sup>، وهاك بيان ذلك: أولاً: الغلو في التوحيد:

وأقبحه ما كان في أصل التوحيد، ومنه ما يكون في الأسماء والصفات، ومنه ما يكون في الأشخاص والأحزاب.

#### أ. الغلو في أصل التوحيد:

الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد، وقول، وعمل؛ هذا الأصل المتفق عليه<sup>(6)</sup>، إلا أن بعض الفرق شذت عن هذا الهدى.

كالذين زعموا أن الإيمان قول بلا عمل، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وأن الإيمان ليس خاضعاً للزيادة والنقصان<sup>(7)</sup>، وهو اعتقاد فاسد، دحضته أي الكتاب، وأحاديث النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177] ظاهر أن من لزم هذه الخصال كان صادقاً في إيمانه، تقياً لربه. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)<sup>(8)</sup>.

قال ابن بطال رحمه الله: "فيه أن كمال الإيمان بإقامة الفرائض والسنن والرغائب، وأن الإيمان قول وعمل بخلاف قول المرجئة"<sup>(9)</sup>.

(1) صحيح، أخرجه: ابن ماجه/ سننه(3029)(2/1008) .

(2) انظر: ابن تيمية/اقتضاء الصراط المستقيم(328/1).

(3) أخرجه: مسلم/صحيحه (2670)(4/2055).

(4) النووي/ شرحه على مسلم (16/220).

(5) انظر: الغلو.. الآفة المهلكة، لشيخنا أ.د. سلمان الدايدة(ص25).

(6) انظر: الأجرى/الشريعة(2/684).

(7) انظر: الشهرستاني/الملل والنحل(1/139).

(8) أخرجه: البخاري/صحيحه(9)(1/11)، مسلم/صحيحه(35)(1/63).

(9) ابن بطال/شرح على البخاري(61/1).



### ب. الغلو في الأسماء والصفات:

ثمة فرق عظمت صفات الله، وحرفت أسماءه، وأخرى شبهت ومثلت، وكلها على ضلالة، كالمعطة الذين عطلوا أسماء الله وصفاته، والمشبهة الذين شبهوا الخالق بال مخلوق، فإن الحق: التصديق بالأسماء والصفات كما وردت في الكتاب والسنة من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تشبيه، ولا تمثيل، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سُبُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 180].  
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ   أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)<sup>(1)</sup>.

### ج. الغلو في الأشخاص والأحزاب:

لقد عني القرآن الكريم ببيان فساد الغلو في الأشخاص، وأنه يكاد يكون سبب شطر الكفر على وجه الأرض؛ ولأجل ذلك: أرسل الله نوحاً عليه السلام ليدعو قومه إلى التوحيد، وذلك بعد أن اجتالتهم الشياطين، وغلوا في صالحهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23].  
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُدَيْلٍ، وَأَمَا يَغُوثٌ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْحَوْفِ، عِنْدَ سَبَا، وَأَمَا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنْ انْصَبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمَوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلِيكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ»<sup>(2)</sup>.

وأنكر القرآن على اليهود والنصارى غلوهم في عيسى بن مريم عليه السلام، والعزير، ونسبوهما لله بالبنوة، تعالى الله عما يقولون؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 30 - 31].

وبين القرآن فساد اعتقادهم وكفرهم، ورجى لهم التوبة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: 72 - 75].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيْسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شَرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ)<sup>(3)</sup>.

ونهى العرب ومن شابههم عن تقليد الآباء والأجداد على غير هدى؛ فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 170].

(1) أخرجه: البخاري/صحيحه(7392)(9/118)، مسلم/صحيحه(2677)(4/2063).

(2) أخرجه: البخاري/ صحيحه (4920) (6/160).

(3) أخرجه: البخاري/صحيحه(434)(1/94)، مسلم/صحيحه(528)(1/375).

ومضى النبي ﷺ على هذا الهدى؛ فحذر من الغلو فيه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: **عَلَى الْمُنْبِرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ)**(1).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: **أَنَّ رَجُلًا، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَهُ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا! قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَخُذْهُ)**(2).

#### ثانياً: الغلو في العبادات:

وكما ذمت الشريعة الغلو في التوحيد، فقد نهت عنه في العبادات، ومن صور ذلك:  
أ. **الغلو في الصلاة:** فإنه مذموم؛ وقد عاينه النبي ﷺ بنفسه، وقطع دابره عن أصحابه وأمته، حتى لا تتلبس بما لم يكلفهم به الله، أو بما لا يطيقون؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: (مَا هَذَا الْحَبْلُ؟) قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِرَيْتِنِ فَإِذَا فَتَرْتُ تَعَلَّقْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (لَا، حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَةً، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ)**(3).

#### ب. الغلو في الإنفاق:

وقفت الشريعة موقفاً وسطاً في إنفاق المال، فعدت الإسراف فيه، والإسراف عن التصدق به، وإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم منه غلواً مهلكاً، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** [التوبة: 34-35]، وقال تعالى: **﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾** [الإسراء: 29].

والكمال الاعتدال في النفقة، قال تعالى في وصف أوليائه: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾** [الفرقان: 67].

وعن جابر رضي الله عنه قال: **أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (أَلَيْسَ مَالٌ غَيْرُهُ).** فقال: لا. فقال: **(مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي). فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم، فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه ثم قال: (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ، فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ، فَهَكَذَا وَهَكَذَا)**(4). يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.

وعن عبد الله بن شبيب رضي الله عنه قال: **كَانَ يُقَالُ: "حُسْنُ التَّدْبِيرِ مَعَ الْعَفَافِ، خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْإِسْرَافِ"**(5). فأنت ترى أن النبي ﷺ لم يقبل تصرف المتصدق الذي جاد بما عنده، في الحال الذي سيضيع فيه نفسه أو من يعول، إذ إنه جافى العدل والكمال، ثم علم أمته أن النفقة تبده بالنفس، ثم على من تعول، ومن بعدهم، وأن الصدقة إنما تكون من فضل المال بعد أداء الحقوق.

(1) أخرجه: البخاري/صحيحه(3445)(167/4).

(2) صحيح، أخرجه: النسائي/ سننه الكبرى(10759)(362/9).

(3) أخرجه: البخاري/صحيحه(1150)(53/2)، مسلم/صحيحه(784)(541/1).

(4) أخرجه: مسلم/صحيحه(997)(692/2).

(5) أخرجه: البيهقي/شعب الإيمان(6161)(511/8).

### ج. الغلو في الصيام:

شُرِعَ الصوم في حق الأصحاء المقيمين؛ ليكون معيناً على التقوى والعافية، وخفف فيه عن الكبير، في شهر رمضان من كل عام، ورخص للمسافر والمريض بالفطر، والقضاء في عدة آخر.  
ونذب الشارع إلى الصوم المنقول لمن أطاقه؛ طمعاً في نيل الثواب، من غير أن يعود على المهجة بالفوت، ولا بالضرر المفوت للعافية، فمن حاد عن ذلك فقد غالى في الصوم، وجنح عن الهدى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فِي الشَّمْسِ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَذَا أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَفُومَ وَلَا يَفْعُدَ وَلَا يَسْتَنْظِلَ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، وَلَا يُفْطِرَ. فَقَالَ: (مُرَهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَنْظِلْ، وَلْيَفْعُدْ، وَلْيَتِمِّمْ صَوْمَهُ)<sup>(1)</sup>.  
وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَى رَجُلًا قَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَقَدْ ظَلَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: (مَا لَهُ؟) قَالُوا: رَجُلٌ صَائِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ)<sup>(2)</sup>.

### د. الغلو في الحج:

الحج نوع من أنواع الجهاد، وهو محفوف بالمشاق والمخاطر، ويحتاج إلى زاد ونفقة، ولذا شرع مرة في العمر على المستطيع، ولم يكلف به غير القادر، وعليه: فقد عدَّ الشارع الحكيم إلزام المرء نفسه بالحج كل عام غلوًا، وكذا إذا نذر أن يحج رجلاً، وما شابهه من الصور؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ) فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ ﷺ كُلُّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَسَكَتَ، فَقَالَ: (لَوْ قُلْتُ نَعَمْ، لَوَجِبَتْ، ثُمَّ إِذَا لَا تَسْمَعُونَ، وَلَا تُطِيعُونَ، وَلَكِنَّهُ حَجَّةٌ وَاحِدَةٌ)<sup>(3)</sup>.  
وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادِي بَيْنَ ابْنَيْهِ فَقَالَ: (مَا بَالُ هَذَا) قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ. قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَغْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَعْنَى). وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ<sup>(4)</sup>.  
وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: نَذَرْتُ أُخْتِي أَنْ تَمْشِيَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ حَافِيَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (تَمْشِي وَلْتَرْكَبِ)<sup>(5)</sup>.  
على أن أكمل الهدى هدي النبي ﷺ، فقد اختار الله لك الكمال في أمره، وقد ارتحل إلى الحج راكباً، وأدى المناسك ما بين المشي والركوب.  
هذا وقد يتعدى الغلو أمهات العبادات، فيدخل في الدعاء<sup>(6)</sup>، وفي السؤال عن العلم، وغيرها.

### ثالثاً: الغلو في العادات:

ثمة أنواع من الغلو مردها العادات، منها: الجرح والتبديع، والتكفير، والهجر، والتبتل، وترك بعض المطعومات، واللباس، وإطالة الشعر، وغيرها.

(1) أخرجه: البخاري/صحيحه (6704) (143/8).

(2) أخرجه: مسلم /صحيحه(1115)(786/2).

(3) صحيح، أخرجه: النسائي/سننه(2620)(111/5).

(4) أخرجه: البخاري / صحيحه(1865)(19/3)، مسلم/صحيحه(1642)(1263/3).

(5) أخرجه: البخاري/صحيحه(1866)(20/3).

(6) ليس المراد الإلحاح فيه، ولكن تجاوز الحد؛ كأن يقول: اللهم أني أسالك القصر الأبيض عن يمين الجنة، ونحو ذلك.

وهناك طرفاً من القول يبين ذلك، ويجليه:

#### أ. الغلو في الجرح والتبديع:

غلط بعض الناس، وخاصة حدثاء الأسنان، فظنوا أنهم أوتوا من الوحي والعلم ما يمنحهم أن يجرحوا العلماء والدعاة وطلبة العلم، فتراهم تارة يبدعونهم، وأخرى يفسقونهم، ومرة يحذرون منهم، بل إن بعضهم أعظم الفرية وظن أن الوشاية بمن ليسوا على ما هو عليه من ولاء غالٍ للسلطان قربة لله تعالى -زعموا-!

وخفي عليهم أنهم تقحموا باباً عظيماً من أبواب الإثم، قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: 12]، وقال تعالى في السياق نفسه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 15، 16]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 11-12].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾ قَالَ: نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَظُنَّ بِالْمُؤْمِنِ سُوءًا.

وعنه رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ قَالَ: نَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَتَّبِعَ عَوْرَاتِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ (1).

وفي السنة ما يعظ القلوب، ويزلزل الأركان من تجشم هذا الوبال؛ فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفَ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ) (2)، وذلك بامتنال أمره، والاهتداء بهديه، وتوقيره لما رفعه الله به من العلم (3).

#### ب. الغلو في التكفير:

الكفر والتكفير من أحكام الله الخاطرة، التي لا يصلح لوصف أحد بها إلا نبي أو عالم، وقد تنكب بعض الجهال الطريق، وركبتهم الأحموقة، وتألوا على الله، وأعظموا الفرية؛ بوصف بعض الناس بالكفر؛ لشبهة أو تأويل دون بينة وبرهان عندهم من الله فيه برهان.

وما علم أولئك أنهم جلبوا على أنفسهم باب شر ما سلمت الأنفس والأعراض والأموال من ويلاتة، وصدعوا رؤوسنا ليلاً ونهاراً بتحطيم القامات، ونسف جهود المخلصين والمخلصات، والله المستعان على ما يصفون.  
عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (لَا يَزِمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ وَلَا يَزِمِيهِ بِالْكَفْرِ؛ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ) (4).

(1) ابن أبي حاتم/تفسيره(10/3305).

(2) حسن، أخرجه: الطبراني/ مكارم الأخلاق(147)(ص367).

(3) الصنعاني/التنوير شرح الجامع الصغير(9/288).

(4) أخرجه: البخاري/صحيحه(6045)(8/15).

وَعَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (مَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ؛ غَدَبَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ؛ فَهُوَ كَقَتْلِهِ)<sup>(1)</sup>.  
ولأجل ذلك اشتد تكفير السلف رضي الله عنهم على من يخوض غمار هذه المسألة دون علم، ودراية بشروط التكفير وموانعه.

وحسبي أن أذكر مقالة ابن تيمية رحمه الله: "تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة ما دل عليه الكتاب والسنة أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ولا يخرجونه من الإسلام بعمل إذا كان فعلا منهيا عنه؛ مثل الزنا والسرقة وشرب الخمر؛ ما لم يتضمن ترك الإيمان وأما إن تضمن ترك ما أمر الله بالإيمان به مثل: الإيمان بالله وملائكته؛ وكتبه ورسله؛ والبعث بعد الموت؛ فإنه يكفر به وكذلك يكفر بعدم اعتقاد وجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وعدم تحريم الحرمات الظاهرة المتواترة"<sup>(2)</sup>.

### ج. الغلو في الهجر:

وما أقبحه من سلوك، لا يصير إليه إلا غليظ القلب، جافي الطبع، عنيد العقل، شقي السلوك؛ إذ يهجر المسلمين بإساءة الظن، ويمتد هجره، ويطول لسانه، وتمتد يده الخفية للشيطان وحزبه في تفريق المسلمين، وشق عصاهم، وتمزيق وحدتهم، وما أعظمه من إثم.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَغْدَاءَ فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ أمر بالوحدة، وهو للوجوب، وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهي عن الفرقة، وهو للتحريم. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِصَاعَةَ الْمَالِ)<sup>(3)</sup>.  
وما أحسن توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، حيث بيّن الحقوق الواجبة في الأخوة؛ فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا. وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرِضُهُ)<sup>(4)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (لَا تَحِلُّ الْهَجْرَةُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَإِنِ التَّقِيَا فَسَلِّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَرَدَّ عَلَيْهِ الْآخَرَ السَّلَامَ اشْتَرَكَا فِي الْأَجْرِ وَإِنِ الْآخَرَ أَنْ يَرُدَّ السَّلَامَ بَرِيءٌ هَذَا مِنَ الْإِثْمِ وَبَاءَ بِهِ الْآخَرَ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ -: وَإِنِ مَاتَا وَهُمَا مُتَهَاجِرَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْجَنَّةِ)<sup>(5)</sup>.

على أن الهجر منه ما هو مشروع، كهجر الكافر، والفاسق، والمبتدع، ومنه ما هو مذموم وهو هجر المسلم للمسلم انتصاراً للنفس دون العود، وهو قصيدنا الذي سبق.

(1) أخرجه: البخاري/صحيحه (6105) (26/8).

(2) ابن تيمية/مجموع الفتاوى (90 / 20).

(3) أخرجه: مسلم/صحيحه(1715)(3 / 1340).

(4) أخرجه: مسلم / صحيحه (2564)(4/1986).

(5) صحيح لغيره، أخرجه: الحاكم /مستدرکه(7291)(4 / 180).

#### د. الغلو في التبتل:

وهو ترك النكاح قصداً للتعبد، وما هو إلا ضرب من الجهل المفضي إلى ترك ما أحل الله، وسن أنبيائه عليهم السلام.

وخفي على أولئك أن الزواج ذو مقاصد عالية شريفة<sup>(1)</sup>، منها: تحصين النفس وإعفافها، وحفظ النسل، وتكثير سواد أمة محمد ﷺ، وحماية المجتمع من انتشار الرذيلة والفساد، ويجمع ذلك كله: طلب الثواب من الله عز وجل. فعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالْبَاءَةِ، وَيَنْهَانَا عَنِ التَّبْتُلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: (تَزَوُّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(2)</sup>.

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَرْوَاحَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوُّجُ النِّسَاءَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَكُلُ اللَّحْمَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ. فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: (مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا! لَكِنِّي: أَصَلَى وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأَفْطُرُ، وَأَتَزَوُّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي سُنَّتِي؛ فَلَيْسَ مِنِّي)<sup>(3)</sup>. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ لِرَجُلٍ: أَتَزَوَّجْتَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: (إِمَّا أَنْ تَكُونَ أَحْمَقَ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فَاجِرًا)<sup>(4)</sup>.

#### و. الغلو في اللباس:

اللباس من العادات لا من العبادات، وستر العورة واجب، ولم يشترط الإسلام لباساً معيناً دون غيره، غير أنه ضبطه بشروط لا يصلح الانفكاك عنها، كستر العورة لوناً وحجماً، وألا يكون شفافاً يصف ما تحته، وألا يكون زينة في نفسه، ولا يرد به الشهرة، وليس فيه تقليداً للكافرين، ولا للفاسق، ولا للأعاجم. ولم يكن النبي ﷺ يقتصر على نوع واحد من اللباس؛ توسيعاً لدائرة المباح، فقد لبس ﷺ الإزار، والرداء، والقميص، والسرويل، والمرط، والشملة، والقطري، والحبرة، والخلة، والخميصة، والأنبجانية، والبرنس، والجببة. والوسط في ذلك: ألا يغالي المرء بزي دون غيره، أو أن يخالف عادة قومه في اللباس، ويحسن به أن ينوع في ذلك بما لا يخالف شروط اللباس، وعادة بني قومه.

#### هـ. الغلو في إطالة شعر الرأس:

لقد ندد الشارع الحكيم إلى التزام سنن الفطرة ومراعاتها، وإكرام الشعر وتهذيبه، وتسريحه؛ فإنه من كمال الزينة التي أمر الله بها، وقد كان ﷺ يطيل شعره إلى شحمتي أذنيه في أغلب حاله، وكان يطول عن ذلك إذا تأخر في تقصيره، وكان يقصره دون ذلك، ويحلقه أحياناً، ولم يأذن بإرخائه وتطويله فوق هذا الهدي؛ فعن خريم بن فاتك رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَيُّ رَجُلٍ أَنْتَ لَوْلَا خَلَّتَانِ فِيكَ)، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُمَا؟ قَالَ: (تُسْبِلُ إِزْرَاكَ، وَتُرْخِي شَعْرَكَ)، قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَعُودُ، قَالَ: فَجَزَّ شَعْرَهُ، وَرَفَعَ إِزْرَاهُ<sup>(5)</sup>.

(1) انظر: خطاب/مقاصد النكاح وآثارها (ص12) ما بعدها.

(2) صحيح، أخرجه: أحمد/مسنده (245/3) (13594).

(3) أخرجه: البخاري/صحيحه (207)(63/5)، مسلم/صحيحه (1401)(129/4).

(4) أخرجه: عبد الرزاق / مصنفه (10383)(170/6).

(5) أخرجه: الطبراني/المعجم الكبير (4156)(207/4).



والعجب العجب من شباب غاب عنهم هذا الفقه؛ وظنوا أن إطالة الشعر عنوان الالتزام والسنة، في الوقت الذي ضيعوا فيه جمال الإسلام، وسمته، ورحمته، ويسره؛ والله المستعان.

#### المبحث الثاني: أسباب الغلو

للغلو أسباب راجعة إلى الخطأ في المنهج والتلقي، وأخرى ترجع إلى السلوك، وفيما يلي البيان:

#### المطلب الأول: أسباب راجعة إلى الخطأ في المنهج والتلقي:

وهناك أهم الأسباب الموصلة إلى ذلك:

#### أولاً: الجهل بأحكام الدين:

مما لا شك فيه أن الجهل سبب كل فتنة وشر، فالجهل لا يميز بين الحق والباطل، والخير والشر، والهلاك والعافية، والمصلحة والمفسدة، وما أكثر الذين سعروا البلاد بجهلهم، وحادثة أسنانهم، ظنوا أن حفظ المتون يعني عن سهر الليالي في فهمها، وسبر ألغازها وفوائدها، وأن قصر الثوب، وطول اللحية، وإرخاء شعر الرأس يسعف في التوقيع عن الله تعالى، والنيابة عن الأمة في تقرير مصالحها، ومفاسدها؛ زعموا. فإن العافية لا تدرك إلا بهناء العلم المستقى من مشكاة الوحي، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظِيظٌ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ نَوَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: 79-80]، وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: 53، 54]، وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: 6].

من فوائد الآيات: مدح أهل العلم في بصيرتهم بعواقب الأمور، وتحذيرهم أهل الدنيا، والجهالة من الجنوح نحو الغواية.

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَائِكُمْ). ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النُّعْلَةَ فِي جُرْهَا وَحَتَّى الْخُوتِ لِيَصُلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ)<sup>(1)</sup>.

قلت: ما ذاك الاستغفار إلا أن نفع العالم وخيره قد شمل كل ذات كبد رطبة؛ فكان برداً وسلاماً على المكلفين، فضلاً ساكني الجحر والبحر.

#### ثانياً: اتباع الهوى:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 50]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُتِيَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: 14].

ولا عجب أن كان إقحام العقل في ميدان سلطان الشرع سبباً للغلو، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77].

(1) حسن صحيح، أخرجه: الترمذي/سننه(2685)(4/347).

من فوائد الآية: أن الهوى سبيل إلى الغلو، وترك سواء السبيل الذي هو الوسط المتمثل في الإسلام منهجاً وطريقة<sup>(1)</sup>. وما أحسن وعظ ابن عباس رضي الله عنهما للغلاة في ترك الهوى، حيث قال: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا ذَكَرَ اللَّهُ هَوًى فِي الْقُرْآنِ إِلَّا ذَمَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: 176]<sup>(2)</sup>.

#### ثالثاً: تقديم العقل على النقل:

وهو نوع من الطاغوتية التي مجها الوحي؛ وذلك أن الله سبحانه هو الحكم العدل، وأما العقل فقاصر أن يدرك مصالح العباد، والمفاسد التي تكدر معيشتهم على الوجه الأكمل<sup>(3)</sup>؛ قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]. أي: لا أحد أحسن حكماً من حكم الله تعالى لقوم يوقنون بدينه، ويدعون لشرعه؛ لأن هذا الحكم يجمع الحسنيين؛ منتهى العدل والتزام الحق من الحاكم، ومنتهى القبول والإذعان من المحكوم له والمحكوم عليه، وهذا مما تقضل به الشريعة الإلهية القوانين البشرية<sup>(4)</sup>.

وذكر الشاطبي رحمه الله في اعتصامه عني الحسن قال: إِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ السُّبُلُ، وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ، فَتَرَكُوا الْأَثَارَ وَقَالُوا فِي الدِّينِ بَرَأْيَهُمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا. وَعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: مَنْ رَغِبَ بِرَأْيِهِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ يَضِلُّ<sup>(5)</sup>.

#### رابعاً: أخذ العلم عن حدثاء السن:

لقد عاين الناس عبر السنين مرَّ مجافاة العلماء الكهول، والتعفف عن سؤالهم، والاستفادة من تجاربهم، وطرائقهم في التلقي والاستدلال، وتنزيل النصوص على الوقائع، وأن تقليد الناس دينهم الأصاغر من الشبهة الذين لم يتمتن دينهم على الجملة، ولم تتعمق خبرتهم، ولم يصقلوا بتجارب الواقع، جرَّ عليهم ويلات الفتاوى الطائشة، والصدور المندفعة، التي أجمت صفوف المسلمين، وألبت قلوب بعضهم على بعض، ورمت الناس بالجهل والهلاك؛ فكان ما كان مما يشيب له رأس الوليد، وما العراق، والشام، واليمن، وغيرها عنا ببعيد. فعن أبي أمية اللخمي رضي الله عنه قال: (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثَةٌ: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَلْتَمِسَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ)<sup>(6)</sup>.

ولله در الدينوري رحمه الله قال: سئل عن قول ابن مسعود رضي الله عنه: (لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ أَكْبَارِهِمْ) يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماءهم المشايخ ولم يكن علماءهم الأحداث لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه واستصحب التجربة والخبرة فلا يدخل عليه في علمه الشبهة ولا يغلب

(1) انظر: المراغي/تفسيره(170/6).

(2) ذكره القرطبي/تفسيره(167/16).

(3) الرأي لا يذم بإطلاق، وأقبحه ما كان في مورد النص، وهو المقصود هنا.

(4) محمد رضا/ تفسير المنار (6/ 349).

(5) الشاطبي/الاعتصام(2/ 848).

(6) صحيح، أخرجه: الطبراني/المعجم الكبير (18760) (361/22).



عليه الهوى ولا يميل به الطمع ولا يستزله الشيطان استنزال الحدث ومع السن الوقار والجلالة والهيبة والحدث قد تدخل عليه هذا الأمور التي أمنت على الشيخ فإذا دخلت عليه وأفتى هلك وأهلك<sup>(1)</sup>.  
ولا يبعد عن هؤلاء من كان شيخه كتابه، وقد وثق بعقله، ولم يقنع بالجوع إلى العلماء في فهم ما يقرأ؛ فضلاً وأصلً، وقد تقرر في مجاري العادات: أن طعام الكبار سم الصغار.

المطلب الثاني: أسباب راجعة للسلوك:

أولاً: مناوأة الحاكم الذي لا يحكم بغير الشريعة الإسلامية:

إن ترك الحكم بشريعة الله من أعظم أسباب الخروج على الحاكم، وتأليب الناس عليه، وإنشاء الجماعات، والأحزاب، والأجنحة المسلحة التي تهدف إلى مناوئته، والإطاحة به.

وحتى لا نعبد عن الحقيقة نقول: إن الحكم بغير ما أنزل الله كبيرة من الكبائر الموبقة، وخطيئة قد تجنح بفاعلها نحو الخروج من دين الله عز وجل، ولا يعني هذا إنكار تقسيم الحكم بغير ما أنزل الله إلى مخرج وغير مخرج من الملة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 44-47]، وغيرها من آيات الحاكمية. على أن اللازم العقلي يرشد أن التحاكم لغير شرع الله تحاكم إلى الجهل والعمية، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَائُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: 104].

أي: وإذا قيل لهؤلاء المفترين على الله الكذب... تعالوا إلى ما أنزل الله من القرآن، وإلى سنة الرسول ﷺ؛ لتعرفوا الحلال من الحرام، قالوا: يكفيننا ما أخذناه، وورثناه عن أسلافنا من الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، كيف يكفينهم ذلك وقد كان أسلافهم لا يعلمون شيئاً، ولا يهتدون إلى الحق؟! فلا يتبعهم إلا من هو أجهل منهم، وأضل سبيلاً، فهم جهلة ضالون<sup>(2)</sup>.

ولا عجب أن تكون تحية الشرع سبباً نكداً في التذريع للفوضى، والتأليب على الحاكم، والاستطالة عليه، ورميه بالأحكام المهلكة، والاستكاف عما يدعو إليه، ناهيك عن هـ المصالح، وانتهاك الأعراض، واستباحة الأموال.

ولو رُذ الأمر إلى الرواحل من أهل العلم ليضعوا الأمور على نصابها، ويرشدوا شباب الأمة إلى صوابها؛ لصلح الأمر، أوتهاوت عروش الظالمين، واندكت حصونهم بأقل الخسائر؛ فإن الله توعده الظالمين بالخيبة والتبار؛ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ [الكهف: 59].

مع وجوب التنبية: أن تحكيم الشريعة لا يختص بالحاكم وحده، بل هو مسؤولية الأفراد، والجماعات، والمؤسسات، كل بحسبه؛ ولا يقبل من المناوئ أن يطالب الحاكم بتطبيق الشريعة، وهو في نفسه من أبعد الناس عن لزومها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى﴾ [القصص: 50].

(1) الخطيب البغدادي/ نصيحة أهل الحديث (29/1).

(2) مجموعة من العلماء/المختصر في التفسير (ص125).

ثانياً: الاعتماد على الرؤى المنامية في إصدار الأحكام الشرعية:

وما أقبحه من سلوك، فقد تقرر عند ذوي الحجى من الراسخين: أن الأحلام لا يبنى عليها أحكام، خلا الاستئناس بها في تأكيد الوجوديات دون المغيبات<sup>(1)</sup>.

قال الشاطبي رحمه الله في تأصيله للمقبول والمردود من الرؤيا في تأييد الأحكام: "وذلك أن هذه الأمور لا يصح أن تراعى وتعتبر، إلا بشرط أن لا تخرم حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية، فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكماً شرعياً ليس بحق في نفسه، بل هو إما خيال أو وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله ﷺ عام لا خاص، كما تقدم في المسألة قبل هذا، وأصله لا ينخرم، ولا ينكسر له اطراد، ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلف، وإذا كان كذلك، فكل ما جاء من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضادا لما تمهد في الشريعة، فهو فاسد باطل.

ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر، فرأى الحاكم في منامه أن النبي ﷺ قال له: "لا تحكم بهذه الشهادة، فإنها باطل"، فمثل هذا من الرؤيا لا معتبر بها في أمر ولا نهي، ولا بشارة ولا نذارة؛ لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة، وكذلك سائر ما يأتي من هذا النوع"<sup>(2)</sup>.  
قال ابن القيم رحمه الله: "وأما رؤيا غيرهم - أي: الأنبياء - فتعرض على الوحي الصريح، فإن وافقته وإلا لم يعمل بها.

فإن قيل: فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة، أو تواطأت؟

قلنا: متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي، بل لا تكون إلا مطابقة له، منبهة عليه، أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمه، لم يعرف الرائي اندراجها فيه، فيتنبه بالرؤيا على ذلك"<sup>(3)</sup>.

ثالثاً: مقابلة ظلم الحاكم بالجنوح نحو الغلو:

العدل في الرعية مقصد شرعي، ندب إليه الوحي قرآناً وسنة، وحذر من الزيغة عنه إلى الظلم والعدوان، فالبعدل تحفظ الحقوق، وتهنؤ الحياة، ويستقيم الصف، ويندحر العدو، وتبنى الأمم والحضارات.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: 105]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُّوا)<sup>(4)</sup>.

(1) انظر: ابن القيم/مدارج السالكين(1/75)، الشاطبي/الموافقات (2/446) وما بعدها.

(2) الشاطبي/الموافقات (2/457).

(3) ابن القيم/مدارج السالكين(1/75).

(4) أخرجه: مسلم/صحيحه(1827)(3/1458).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخُ زَانَ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)<sup>(1)</sup>.

ولا يعني هذا: أن السلطان إذا ظلم، وصار الحيف شعاره، أن نذرع للخروج عليه، والتناجي بإحداث القلاقل، والفتن، والتخريب، والتخريب في مرافق الدولة، أو التشهير به على المنابر، ودعوى الناس للعصيان؛ كلا: بل الصبر.. الصبر، والإعداد الإيماني، والتسلح بالعلم؛ فإن الظلم، والتضييق، وتكميم الأفواه، وتقييد الحريات، والسجن، والتعذيب، وغيرها؛ ليس مبرراً لما ذكرنا.

على أن مفسدة الحاكم في ظلمه وجوره، لا ترقى إلى عظيم شر الخروج عليه، والإطاحة به، لا سيما إذا كانت القوى غير متكافئة، وليس في القوم من يقوم بأعباء الحكم، وتأمين الناس من بعده؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَطَاعَنِي؛ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي؛ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ؛ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعِصِ الْأَمِيرَ؛ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ؛ يُقَاتِلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنِ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ؛ فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنِ قَالَ بِغَيْرِهِ؛ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَنَّةً)<sup>(2)</sup>.

فيا أيها الشباب: عليكم بالتؤدة، وإياكم والاندفاع، واعلموا أن الخروج على الحاكم الفاسق شر كله، واصبروا على الظلم، فإن الفرج قريب، وتزودا بالتقوى والعلم فإنهما خير زاد، واسترشدوا بالحكمة من أفواه العلماء؛ فإنهم بوابة أمن وأمان، ولا يستزلكم الشيطان؛ إنه لكم عدو مبين.

#### المبحث الثالث: أثر الغلو في رفض الخطاب الديني

شمة سلوكيات غالية ظهرت من بعض الدعاة؛ أثرت في جمهور الناس سلباً، وورثتهم هجراً لمنبر أولئك الدعاة، ونفرة من قبول خطابهم الدعوي، وإليك بعض تلك السلوكيات والمظاهر.

أولاً: مجاوزة حد الاعتدال كثرة في الخطاب الديني لدى عوام المسلمين:

حتى يكون الخطاب الشرعي مقبولاً لدى المدعويين؛ لا بد أن يكون تخولاً لا استرسالاً، وهو هدى قرآني نبوي، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى حُكْمٍ وَنُرِّنَاكَ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: 106]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: 32].

من فوائد الآيتين: أن القرآن لم ينزل جملة واحدة، بل نزل منجماً على النبي صلى الله عليه وسلم؛ ليكون أثبت لقلبه، وأقوى في بذل الحجة للمدعويين؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ قال: كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبي الله نزلت آية أخرى ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب، ويثبت به فؤاده<sup>(3)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: (إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلُ كِتَابٍ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ تعالى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيُنِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ)<sup>(4)</sup>.

(1) أخرجه: مسلم/صحيحه(107)(1/102).

(2) أخرجه: البخاري /صحيحه(2957)(4/50)، مسلم/صحيحه(1841)(3/1471).

(3) أخرجه: الطبري/تفسيره(19/265).

(4) صحيح، أخرجه: أحمد/ مسنده(2071)(3/498).

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: يَوْمَ خَيْبَرَ: (لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ)، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَهْمٌ يُعْطَى، فَعَدُوا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: (أَيْنَ عَلِيٌّ؟)، فَعِيلٌ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدَعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَانَهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنَّا؟ فَقَالَ: (عَلَى رَسُولِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)<sup>(1)</sup>.

من فوائد الحديثين: أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد معاذاً وعلياً رضي الله عنهما إلى القصد في عرض خطابهم الديني، ودعوة الناس إلى الإسلام، تكليفاً تكليفاً، دون الإشفاق على المدعويين بالترام الإسلام جملة في بادئ أمرهم؛ ليكون أرغب للقلوب في قبول الحق.

وَعَنْ شَقِيْبٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ نَنْتَظِرُهُ، فَمَرَّ بِنَا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ النَّحَعِيُّ، فَعُلْنَا: أَعْلَمُهُ بِمَكَانِنَا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَخْبَرُ بِمَكَانِكُمْ، فَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَخْرَجَ إِلَيْكُمْ إِلَّا كِرَاهِيَةَ أَنْ أُمْلِكُمْ، (إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا)<sup>(2)</sup>.

من فوائده: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً على تقديم الوعظ بين الحين والآخر؛ فإنه أنفع للمتعلمين، وأحفظ لطبائعهم، وأرضى لنفوسهم، وأهناً لهم في الالتزام.

قوله: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا...) أي: كان يرضى الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم؛ لئلا نمل. وفي الحديث استحباب ترك المداومة كثرة في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يوماً بعد يوم، فيكون يوم الترك؛ لأجل الراحة، وليقبل على الثاني بنشاط، وإما يوماً في الجمعة، والصواب أنه يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وضابطه الحاجة، مع مراعاة وجود النشاط<sup>(3)</sup>.

وعن أبي الأحوص قال: كان عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تملوا الناس"<sup>(4)</sup>.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "حَدَّثَ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَلَا تَمَلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أَلْفَيْكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتَمْلُهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمْرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهَوْنَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَاهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْني لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الْإِجْتِنَابَ"<sup>(5)</sup>.

فأنت ترى أن مجاوزة الحد في الخطاب لا يخدم المدعويين، بل يفرهم، ويقسي قلوبهم، ويحملهم على مَجِّ الدعاة؛ وأي عثرة يمكن أن يقللها المخاطب، وأي كربة يمكن أن يساهم في تفرجها!؟

(1) أخرجه: البخاري/صحيحه(2942) (4/ 47)، مسلم/صحيحه(2406)(4/ 1872).

(2) مسلم/ صحيحه(2821) (4/ 2172).

(3) ابن حجر / فتح الباري (1/ 162، 163).

(4) صحيح، أخرجه: الدارمي/سننه(447) (1/ 130).

(5) أخرجه: البخاري/صحيحه(6337)(ص 1219).

ثانياً: المبالغة في مادة الخطاب الديني بما لا تطيقه عقول العوام:

من آداب الداعي أن يهون الأسلوب، حتى تعقله العقول والقلوب، وأن يراعي قدرة السامعين على الفهم حتى يطيقوه، وأن يتدرج معهم في فوائد العلم، ويبدأهم بالأهم قبل المهم؛ فعن عليّ عليه السلام قال: "حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"<sup>(1)</sup>.

قوله: (حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ) أي: بما يفهمونه وتدركه عقولهم، ويخرج به: تحديثهم بما يشتهه عليهم فهمه.

وقوله: (أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)؛ لأن السامع إذا لم يفهم الحكم أو المسألة ربما اعتقد استحالته جهلاً، فلا يصدق وجوده؛ فيلزم منه تكذيبه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أَمَرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ"<sup>(2)</sup>.  
وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ"<sup>(3)</sup>.  
وعن عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ"<sup>(4)</sup>؛  
لأنَّ العُقُولَ لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا قَدْرَ طَاقَتِهَا، فَإِنْ زِيدَ عَلَى الْعَقْلِ فَوْقَ مَا يَحْتَمِلُهُ؛ اسْتَحَالَ الْحَالُ مِنَ الصَّلَاحِ إِلَى الْفَسَادِ، فَوَاجِبٌ عَلَى الْحَكِيمِ وَالْعَالِمِ النَّحْرِيرَ الْإِفْتِدَاءَ بِالْمُصْطَفَى ﷺ فِي قَوْلِهِ: (أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)<sup>(5)</sup>.  
وعن أبي عبد الرحمن السلميّ رحمه الله قال: "حَدَّثَنِي مَنْ كَانَ يُقْرَأُ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرُونَ مِنْهُ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى، حَتَّى يَظُنُّوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ"<sup>(6)</sup>.

فأنت تلحظ أن القوم لا تتفرج كربتهم، ولا تقال عثرتهم بوعظ لا يبلغ عقولهم، ولا يتربح على عرش قلوبهم، وأي مصلحة يرجوها الداعي بهذا السبيل!؟

ثالثاً: انشغال الخطاب الديني بجزئيات الأحكام على حساب كلياتها:

الإسلام دين حق كامل لا نقص فيه، ولا زيغ، ولا شطط، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

قال الشاطبي رحمه الله: "القرآن فيه بيان كل شيء...؛ فالعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة، ولا يعوزه منها شيء... ولا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلاً، وأقرب الطوائف من إعواز المسائل النازلة أهل الظواهر الذين ينكرون القياس، ولم يثبت عنهم أنهم عجزوا عن الدليل في مسألة من المسائل، وقال ابن حزم الظاهري: "كل أبواب الفقه ليس منها باب إلا وله أصل في الكتاب والسنة، نعلمه والحمد لله"<sup>(7)</sup>.

(1) أخرجه: البخاري/صحيحه (127) (37/1) .

(2) ضعيف، أخرجه: الديلمي/الفردوس بمأثور الخطاب (1611) (398/1).

(3) حسن، أخرجه: أبو داود/سننه (4842) (210/7)، وذكره: مسلم معلقاً/مقدمه صحيحه (6 / 1).

(4) أخرجه: مسلم/صحيحه (5) (11/1) .

(5) ضعيف، أخرجه: أبو داود/سننه (4842) (261/4).

(6) حسن، أخرجه: أحمد/مسنده (22384) (466/38).

(7) انظر: الشاطبي/الموافقات (184-189/4).

وينبغي الاهتمام في الخطاب الديني الرصين بأصول الأحكام وكلياتها، كالدعوة إلى التوحيد، وتعظيم الشريعة، وتوقير أحكامها والتزامها، والدعوة إلى الوحدة والاجتماع، ونبذ الفرقة والخلاف، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغيرها من أمات الأصول.

مع إيماننا بأن الجزئيات لا تحصى كثرة، والخلاف في الفرع أكثر منه في الأصل، ولا يملك الداعية أن يحمل الناس على مذهبه أو رأيه وقد جبلوا على الاختلاف، والتفاوت العقلي. ويقبح الأمر إذا كان الانشغال بأصل على حساب آخر، أو بفرع على حساب أصل لأجل أهواء، وتحقيق رغبات خاصة، فكل ذلك مذموم، وهو ضرب من الغلو الذي ينأى بالناس عن قبول الحق. ولا يخفى عليك أن المخاطب يحتاج من يدلّه على خير أمره في دينه ودنياه؛ ليكتمل الزين، وتنهأ الحياة، ويعم الأمن؛ ولا يدرك هذا إلا باهتمام الداعية بشؤون الدين كلها دون إهمال لبعضها، فإذا حاد المخاطب عن ذلك كان غالياً.

#### رابعاً: انشغال الخطاب الديني بحوادث خاصة على حساب الاهتمام بالنوازل الحادثة:

على الداعية أن يكون خطابه لصيقاً بالواقع، مناسباً للحدث، مصوباً للخطأ، كاشفاً للخطر، مثوراً للعزائم، مستتهضاً للهمم، بحسب ما تقتضيه مصالح الأمة؛ متأسياً في ذلك بهدى النبي ﷺ الذي كان خطابه بياناً لحكم جديد، أو تنكيراً بواجب، أو تحريضاً على جهاد، أو استظهاراً لهمة في عبادة، أو ترغيباً في مواساة، أو علاجاً لخطأ، أو تحذيراً من شر.

قال ابن القيم رحمه الله: "وكان ﷺ يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها"<sup>(1)</sup>.

وقال رحمه الله: "وكان ﷺ يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم"<sup>(2)</sup>.

وقال محمد رشيد رضا رحمه الله: "خير الخطب ما كان مصدره نفس الخطيب وشعوره وإحساسه لا نفس غيره ممن مضت بهم القرون، وكانوا في عالم غير عالمنا، ولهم أحوال تخالف حالنا، فمن أراد العظة البالغة، والقولة النافذة، فليرم ببصره إلى المنكرات الشائعة، والحوادث الحاضرة، خصوصاً ما كان منها قريب العهد لا تزال ذكراه قائمة في صدور الناس وحديثه دائراً على ألسنتهم، أو ذائناً في صحفهم، وأثره مشاهداً بينهم، ثم يتخير من هذا الحوادث ما يجعله محور خطبته ومدار عظته ثم ينظر ما ورد من الآيات والأحاديث الصحيحة في الموضوع الذي تخيره ويجيد فهمها ويفكر في الأضرار المالية والصحية والخلقية والاجتماعية التي قد تنشأ عن هذه الجريمة التي جعلها موضع عظته، ويحصى هذه الأضرار في نفسه أو بقلمه ثم يبدأ في كتابة الخطبة إن أراد كتابتها مُصَمِّمًا آثار تلك الجريمة وما ورد عن الشارع فيها صائغاً ذلك في قالب خطابي جذاب أخاذ يناسب أفهام السامعين ولغة الحاضرين.

هذا إذا أراد التنفير من رذيلة أو الإقلاع عن جريمة ذاع بين الناس أمرها أو طفح عليهم شرها، فإن أراد الترغيب في فضيلة أو الحث على عمل خيري أو مشروع حيوي فليفكر في مزاياه تفكيراً واسعاً مراعيًا الصالح العام دون المآرب الخاصة"<sup>(3)</sup>.

وقال الغزالي رحمه الله: "بين الخطبة والأحداث العابرة، والملابسات المحيطة، والجماهير السامعة، علاقة لا يمكن تجاهلها، ومما يزرى بالخطيب ويضيع موعظته أن يكون في واد، والناس والزمان والمكان في واد آخر.

(1) ابن القيم/ زاد المعاد (1/ 413).

(2) ابن القيم/ زاد المعاد (1/ 181).

(3) انظر: محمد رضا/ مجلة المنار (29/ 336).

ولأمر ما نزل القرآن منجماً على ثلاث وعشرين سنة، فقد تجاوب مع الأحداث وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة<sup>(1)</sup>.

فأنت تلحظ بفطنتك أن الخطاب إذا كان في شقة بعيدة عن معالجة واقع المدعوين، وتقديم حلول نافعة لهم؛ تصلح حالهم، وتؤمن مآلهم؛ فإنه خطاب أخرق غالٍ، لا يقبل عثرة، ولا يفرج كربة، ولا يحل معضلة؛ فبئس الخطيب ذاك الذي لا يشعر بأمانة المنبر، وكأنه يحاكي نفسه دون بني قومه، ألا ساء مت يفعلون.

#### خامساً: انشغال الخطاب الديني بفن من فنون الشريعة على حساب التوازن بين علومها:

ليس من الحكمة، ولا من الرسوخ في شيء؛ توجيه الخطاب الديني نحو أحكام الزينة، على حساب قضايا كبرى ضرورية تتعلق بكليات الشريعة، من حفظ التوحيد، والبراءة من الشرك كبيره وصغيره، وجليه وخفيه، وكحفظ الدماء، والأعراض، والأموال، وتوعية الأجيال نحو بناء الحضارة الإسلامية المشرقة.

وكالاهتمام بالشأن السياسي دون إنصاف الشؤون الأخرى؛ فبنشأ عن ذلك خلل ظاهر في تلك الشؤون التي لم تحظ باهتمام، كالأشأن الديني، والاقتصادي، والاجتماعي؛ فنجد البدع والمحدثات في الدين، ونجد سواداً من المسلمين يعتقدون الشيوعية، وتستشرف نفوسهم الراضية، وينشغلون بالأفكار السمية، كمظاهر الإلحاد التي باتت تعصف بشباب الأمة وفتياتها.

ونجد الربا في تمارد، والسلوكيات المالية الفاسدة، والبياعات الباطلة، والاحتكار والغش والخداع والغرر في تزايد. ونلاحظ ظهور الأحزاب والحركات المتباينة في فكرها، فتتسع دائرة النفرة، ويتملك الحقد والعداوة للوب من كان تحت قبة تلك المسميات.

ونجد المسكرات والمخدرات في انتشار، والمفترقات، والعقاقير المسممة تهد أجساد بني قومنا، وتفسد حياتهم، وهم أملنا في النهوض نحو المعالي، وتدمر اقتصاد البلاد، وتهلك الحرث والنسل، والله المستعان. فإذا لم يكن الداعي مهتماً في خطابه بهذه القضايا، فبأي شيء سيشغل المنبر، وما الخطب الذي يرجو أن يصلحه في مجتمع هذا حاله، والمنبر مشغول بألوان أخرى من الخطاب، وأي طبقة من الناس التي يطمع أن تتقبل خطابه وهو يغرد خارج سربهم، ذلك عين الغلو والتضييع لأمانة الخطاب.

#### سادساً: انشغال الخطاب الديني بقضايا غائبة عن بلد الخطاب:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ سُؤُوكُمْ﴾ [المائدة: 101]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحریم: 6]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: (يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا سَأَلْتُمْ)<sup>(2)</sup>.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ)<sup>(3)</sup>.

(1) عبدالله الرحيلي/أسلوب خطبة الجمعة نقلاً عن (توجيهات للدعاة)، محمد الغزالي، ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد (ص 551 - 555)، بتصرف.

(2) البخاري/ صحيحه(4771)(6/111)، مسلم/ صحيحه(350)(1/192).

(3) البخاري/صحيحه(2752)(4/6).



وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: (أَلَيْكَ مَالٌ غَيْرُهُ). فَقَالَ: لَا. فَقَالَ: (مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي). فَاشْتَرَاهُ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَدَوِيُّ بِمِائَةِ دِينَارٍ فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلَأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ، فَلِدَى قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ، فَهَكَذَا وَهَكَذَا)<sup>(1)</sup>. يَقُولُ فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ.

يستفاد من مجموع ما سبق: أن جُلَّ الاهتمام ينبغي أن يتجه ابتداءً نحو النفس والأهل، والقراية، ثم أهل البلدة، ثم أهل البلد، فإذا حرسنا ثغور بلدنا على التمام، وقمنا بمصالحه على جهة الإلتقان؛ فعندئذ يمكن أن نمد العون لمن حولنا من البلاد والأمصار، إذ ليس من العقل، ولا من الحكمة والهدى أن يسعى الإنسان بإصلاح غيره وبيته خرب.. ألا ترى أن النبي ﷺ بدأ دعوته بخاصته، وقرايته، ثم بأصحابه، ثم بدأ يمتد شيئاً فشيئاً، متبعاً في ذلك فليس من الحكمة، ولا من الرسوخ، ولا من الانشغال المحمود، أن يسخر الخطاب الديني في قضايا متعلقة ببلاد غير بلد الخطاب، ويصرف عن القضايا التي تمس مصالح بلده مسأً مباشراً.

وما أكثر الإعلام في هذه الأيام الذي يشغل بقضايا خارجية، لا علاقة لها بالشؤون الداخلية الحيوية المتعلقة بمصالح أهله ورعايا مجتمعه، كالشأن الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والأخلاقي، والأدبي، فضلاً عن السياسي والأمني.

فلا بد لمن كان وراء هذا الخطاب من رجالات الإعلام، والثقافة، والتوجيه، أن يراجعوا أنفسهم ليسخروا المنابر الإعلامية المتاحة في بلدهم نحو الأسباب الحقيقية التي تتجح تلك المصالح، وتدفع عنها المساوئ والمفاسد، فإن أتقوا هذا فهو ضرب من ضروب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر الذي أقامه الله مناط خيرية هذه الأمة المحمدية، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

#### المبحث الرابع: سبل علاج الغلو في الواقع المعاصر.

ثمة أمور هامة في علاج الغلو بسببيه: المنهجي، والسلوكي، إليك بيانها:

أولاً: مجاهدة النفس في معرفة الأحكام بالرجوع إلى الوحي، وفهمه بفهم السلف الأكرمين:

إن التخلي عن الهوي، ونفض غبار الجهالة، لا يحصل إلا من خلال الرجوع إلى الآيات، والحديث، والاسترشاد بفهم الصحابة ومن بعدهم في الكشف عن المعنى الصحيح لهما.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: 10]، وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: 101].

من فوائد الآيات: وجوب الرجوع إلى القرآن والسنة عند الاختلاف والتنازع، وهل ينشأ الاختلاف إلا عن هوى وجهالة<sup>(2)</sup>، على أن النصوص تعيد باليقين وجوب الرجوع إلى الوحي عند عدم التنازع من باب أولى.

(1) أخرجه: مسلم/صحيحه (997/2/692).

(2) انظر: الطبري/تفسيره (504/8)، (61/7)، المراغي/تفسيره (15/4).



وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: 80]، قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى<sup>(1)</sup>.

وفي الاسترشاد بفهم السلف الصالحين ﷺ؛ قال رسول الله ﷺ: (...مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّبِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)<sup>(2)</sup>.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعودٍ ؓ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرِينِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ...) (3). وقال الأوزاعي رحمه الله: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا، ولو كان هذا خيرا ما خصصتم به دون أسلافكم؛ فإنهم لم يدخر عنهم خير خبيء لكم دونهم لفضل عندكم، وهم أصحاب رسول الله رضي الله عنهم الذين اختارهم له وبعثه فيهم ووصفهم، قال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29] الآية<sup>(4)</sup>. قلت: الأدلة في هذا لا تحصى كثرة، والحاصل: أن الرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ حتم لازم، ومن طلب حسن الفهم؛ فعله بمن اختارهم الله لصحبة نبيه، ومن صحب من صحب نبيه، ومن بعدهم من القرون المفضلة.

ولا يخفى عليك أن طلب الهدى من غيرهما غلو وضلال، قد أنبأناك عن طرف منه أنفاً.

ثانياً: أخذ العلم عن أساطين العلماء:

لا سبيل أمام من ينشد الحق إلا بالتعلم، ولا يدرك العلم الصحيح إلا من مشكاته، وقد رضي الله لعباده أن يسعوا في نفي الجهالة عن أنفسهم بسؤال أهل العلم؛ فقال سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]، قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْهُ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَعَطَاءُ بْنُ أَبِي رِيَّاحٍ وَالصَّخَّالُ وَمُجَاهِدٌ فِي إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنْهُ: أُولُو الْأَمْرِ هُمُ الْعُلَمَاءُ، وَهُوَ إِحْدَى الرَّوَايَتَيْنِ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ<sup>(5)</sup>.

قال القرطبي رحمه الله: "أمر تعالى برد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد إلى الكتاب والسنة، ويدل هذا على صحة كون سؤال العلماء واجباً، وامتنال فتواهم لازماً<sup>(6)</sup>.

وعَنْ جَابِرٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (...إِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ)<sup>(7)</sup>.

فإذا نزلت بالمسلمين نازلة؛ لم يجز لأحد الناس -خاصة- صغار طلبة العلم، أن يتصدروا لها بالحكم والتوجيه، وإنما مردها إلى العلماء الراسخين، الذين تجرؤ ولاؤهم للحق، وحسن فهمهم، وعلت بصيرتهم، وتعمقت خبرتهم، وصقلت تجربتهم، فإنهم أقدر على تمييز الصالح من الفاسد، والصحيح من السقيم في الأمر، قال تعالى:

(1) ابن كثير/تفسيره(2/363).

(2) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(4607)(4/201).

(3) أخرجه: البخاري/ صحيحه (2652)(3/171).

(4) ابن القيم/ إعلام الموقعين (4/152).

(5) ابن القيم/ إعلام الموقعين (1/10).

(6) القرطبي/تفسيره (5/260).

(7) صحيح، أخرجه: أبو داود/سننه(336)(1/93).

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ وَلَوَّ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 83].

ولا شك أن رد الأمور إلى غير أهل الذكر ضرب من الطيش، لا يصير إليه طالب حق، فضلاً عن راجي النجاة.

#### ثالثاً: حراسة العلماء ثغر العلم:

لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يبينوا دينه للناس، وحذرهم من كتمانهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: 187]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ النَّبِيِّاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: 159].

من فوائد الآيتين: وجوب قيام أهل العلم ببيان الأحكام للناس، وتحريم كتمان ذلك والتعود عنه، قال ابن كثير رحمه الله: "هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب، من بعد ما بينه الله -تعالى- لعباده في كتبه، التي أنزلها على رسله<sup>(1)</sup>.

ولا أشرف من رسالة العالم الموقع عن الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

فإذا أغفل العالم رسالته، وقعد عن القيام بواجبه، وصار رقماً على ثوب؛ تقلد الجاهل مكانه، فصار يهذي بما لا يدري، ويفتري على الله الكذب، ويجنح بالناس نحو البدعة، والضلال، والغلو، وسهل على شياطين الإنس والجن أن يحرفوه نحو الغلو المهلك، والفتن العاصفة؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَقْتَنُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)<sup>(2)</sup>.

على أن كتم العلم مظنة العذاب في الآخرة؛ فعن أبي هريرة ؓ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)<sup>(3)</sup>.

فيا أهل العلم: هلموا إلى منابركم، واشغلوها بالدروس، والمواعظ، ولا تأذنوا للجهاًل أن يتصدروا، وكونوا المثال الأعلى في بذل الحق، وصد العاديات، ودرء الشبهات، وتحطيم الشائعات.

#### رابعاً: الاستفادة من أهل الخبرة في علاج الغلاة:

وأعني بأهل الخبرة: علماء الشريعة، والسلوك، والتربية، كل يبذل علمه وخبرته في علاج تلك الظاهرة، فليس كل غلو باعته الجهل<sup>(4)</sup>، فإن من الغلاة من دفعه ضيق العيش، وقلة ما في اليد أن يجنح، وبعضهم جنح لاضطرابات في نفسه لم يجد لها بداً إلا بحمل السلاح، ووصف الناس بالهلاك حتى وإن كانوا أبويه.

وكل ما ذكرت داخل في عموم قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43].

#### خامساً: عدم الشدة في التعامل مع المخالفين:

فإنه يولد مزيداً من الغلو، فينبغي أن يحرص المسؤول على التعامل مع المخالفين بالحكمة، والموعظة الحسنة، ويسمح للعلماء بتوجيه النصح لهم؛ فإنه أنفع من التخليط عليهم، وتعذيبهم، والحكم عليهم بالعقوبات المجحفة.

(1) ابن كثير/ تفسيره(1/ 472).

(2) أخرجه: البخاري/ صحيحه(101) (32).

(3) حسن صحيح، أخرجه: أبو داود / سننه(3658) (2/345).

(4) انظر: أ.د. عبد الكريم بكار/تفكيك ثقافة الغلو(ص24) وما بعدها.

على أن العدل مع هؤلاء، وعدم ظلمهم، أو التعدي عليهم في أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم من الحق الواجب، ومخالفته حرام، وإثم مبین، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 8].

وقد أفاد الدكتور بكار حين قال: "إن الغلو في أصل نشأته هو ضلال في الفكر... وهذا يعني أن العلاج سينصب في الأساس على إصلاح الفكر الذي يحمله الغلاة، وحين يرتكب أحدهم جريمة موصوفة؛ فإن في القوانين والعقوبات المقررة والمقدرة ما يساعد على ردع المجرمين، مع التأكيد على أن العقوبات لا تنشئ مجتمعاً ولا جماعة، ولكنها تحميها ممن فاتتهم التنشئة الاجتماعية القومية، ومن أولئك الذين غسل الإرهابيون أدمغتهم حتى ضلوا عن سواء السبيل"<sup>(1)</sup>.

#### سادساً: التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية:

فإنه واجب لا شك فيه، وباب واسع لتأمين أهل الإسلام من ويلات الظلم، والجور، وتحصين شباب الأمة من الجنوح نحو الغلو بزعم ترك الحكم بما أنزل الله، وردع للجنة، وإرهاب لأعداء الإسلام، وفيه وأد للفتن التي يرسمها الكافر ووكلاؤه من الشرذمة الخائنة.

على أن تطبيق الشريعة كما بينا آنفاً لا يختص بالحاكم وحده، بل يتعداه لكل فرد بحسب مسؤوليته الشخصية، ومسؤوليته عن ائتمنه الله عليهم، سواء في بيته أو خارجه.

ولا نوافق من ينظر لتطبيق الشريعة على أنه متمثل في إقامة الحدود، من جلد، ورجم، وقطع؛ بل لا بد من تهيئة الناس إيمانياً وسلوكياً وأمنياً قبل ذلك، وتعليمهم أحكام الشريعة بكل جوانبها، ونبدأ بالتدرج وفق ضوابط خاصة، إليك أهمها<sup>(2)</sup>:

أن يتولى أهل العلم تقرير المسائل، وإصدار الأحكام، مع اعتقاد كلية الشريعة لا تبويضها، واعتبار الظروف الطارئة، وتهيئة العامة قبل تطبيق الأحكام، وإعلام الناس بأحكام الشريعة وإن تعذر تطبيقها في الحال، وشمول التطبيق كل من يطيقه، وتطبيق الممكن وبذل الجهد في تطبيق الكل، والاجتهاد في الأهم فالأهم، والتطبيق الفوري حال الإمكان.

(1) أ.د. عبد الكريم بكار/تفكيك ثقافة الغلو (ص81).

(2) انظر: بحث ما سطره والدنا أ.د. سلمان الداية/التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية(ص61-74).

## الخاتمة

### أولاً: أهم النتائج

توصلت من خلال البحث إلى عدد من النتائج، إليك أهمها:

1. الغلو: مجاوزة ما شرعه الله من الأحكام إلى ما لم يشرعه، سواء كان بالاعتقاد أو بالقول أو بالفعل.
2. الغلو محرم في جميع الشرائع؛ لما يترتب عليه من آثار سلبية تضر بالفرد والمجتمع.
3. أقبح الغلو ما كان في التوحيد، ثم العبادات، ثم العادات.
4. الغلو في التوحيد، قد يكون في أصله، أو في الأسماء والصفات، أو الأشخاص والأحزاب.
5. الغلو في العبادات، يدخل في الصلاة، والنفقة، والصوم، والحج، والدعاء، وغيرها.
6. الغلو في العادات، يدخل في الجرح والتبديع، والتكفير، والهجر، والمهر، والتبطل، وترك بعض المطعومات، واللباس، وإطالة الشعر، وغيرها.
7. للغلو أسباب، بعضها راجع إلى الخطأ في المنهج والتلقي، وبعضها في السلوك.
8. من أسباب الغلو التي باعثها الخطأ في المنهج والتلقي: (اتباع الهوى، وتقديم العقل على النقل، والجهل بأحكام الدين، وأخذ العلم عن حدثاء السن).
9. من أسباب الغلو التي باعثها السلوك: (مناوأة الحاكم الذي لا يحكم بالشريعة الإسلامية، الاعتماد على الرؤى المنامية في إصدار الأحكام الشرعية، مقابلة ظلم الحاكم بالجنوح نحو الغلو).
10. للغلو آثار في رفض الخطاب الديني، منها: (مجاوزة حد الاعتدال كثرة في الخطاب الديني لدى عوام المسلمين، المبالغة في مادة الخطاب الديني بما لا تطيقه عقول العوام، انشغال الخطاب الديني بجزئيات الأحكام على حساب كلياتها، انشغال الخطاب الديني بحوادث خاصة على حساب الاهتمام بالنوازل الحادثة، انشغال الخطاب الديني بفن من فنون الشريعة على حساب التوازن بين علومها، انشغال الخطاب الديني بقضايا غائبة عن بلد الخطاب).
11. من وسائل علاج الغلو: (مجاهدة النفس في معرفة الأحكام بالرجوع إلى الوحي، وفهمه بفهم السلف الأكرمين، أخذ العلم عن أساطين العلماء، حراسة العلماء ثغر العلم، الاستفادة من أهل الخبرة في علاج الغلاة، عدم الشدة في التعامل مع المخالفين، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية).

### ثانياً: أهم التوصيات:

1. نوصي عموم المسلمين، وخاصة الشباب بسلوك منهج الوسط والاعتدال، والبعد عن الغلو والجفاء.
2. نوصي العلماء والدعاة بشغل المنابر بالتعليم، والإرشاد، بالحكمة والموعظة الحسنة.
3. نوصي المراكز الفكرية، والنفسية، والإرشادية بأن تولي قضية الغلو أهمية؛ لما لها من خطر كبير على الفرد والمجتمع.
4. نوصي الحكومات باتباع المنهج الحق في التعامل مع الغلاة؛ رجا أن يتحللوا من غلوهم.
5. نوصي الحكومات، وجميع المؤسسات، والأحزاب، والهيئات، والأفراد بالبدء بتطبيق الشريعة بتدرج حكيم.

## فهرس المراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير ابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الكتب العلمية، بيروت.
4. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
5. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي.
6. ابن بطال، علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، مكتبة الرشد، السعودية.
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، دار عالم الكتب، بيروت.
8. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية.
9. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.
10. ابن حنبل، أحمد، المسند، مؤسسة الرسالة.
11. ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، دار الكتب العلمية، بيروت.
12. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر.
13. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة.
14. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية.
15. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
16. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
17. الأجرى، محمد بن الحسين، الشريعة، دار الوطن، الرياض.
18. الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
19. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه (صحيحه)، دار طوق النجاة.
20. بكار، عبد الكريم، تفكيك ثقافة الغلو، وزارة الأوقاف، فلسطين.
21. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، مكتبة الرشد.
22. الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي (سننه)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
23. الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية.
24. خطاب، حسن السيد، مقاصد النكاح وآثارها، بدون طبعة.
25. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، نصيحة أهل الحديث، مكتبة المنار.
26. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية.
27. الداية، سلمان بن نصر، التدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، مجلة الحكمة.
28. الداية، سلمان بن نصر، الغلو الآفة المهلكة، بدون طبعة.

29. الديلمي، شيرويه بن شهردار، الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية.
30. الرحيلي، عبدالله الرحيلي، أسلوب خطبة الجمعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية.
31. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
32. رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، مصر.
33. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام، دار ابن الجوزي.
34. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، دار ابن عفان.
35. الشبل، علي بن عبد العزيز، الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف، موقع وزارة الأوقاف السعودية، بدون طبعة.
36. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي.
37. الصنعاني، محمد بن إسماعيل، التنوير شرح الجامع الصغير، مكتبة دار السلام، الرياض.
38. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية.
39. الطبراني، سليمان بن أحمد، مكارم الأخلاق، دار الكتب العلمية.
40. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، مؤسسة الرسالة.
41. عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام، مصنفه، المجلس العلمي - الهند.
42. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، دار الكتب المصرية.
43. مجموعة من العلماء، المختصر في التفسير، مركز تفسير، السعودية.
44. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
45. النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
46. النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
47. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
48. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
49. الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الوسطية وأثرها في قبول الخطاب الديني

إعداد

د. عبد الرحمن سلمان الداية

أستاذ الفقه المقارن المساعد بكلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية بغزة.

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، وبعد:

لقد شهدت البشرية في فترة من الرسل جفاءً، وشدة، وغلواً عريضاً، ما كان له أن يزول إلا بوحى يدفع الضيم، ويضع الأغلال والأصار؛ ليحي الناس في رياض الإسلام الغناءة؛ فبعث الله نبيه محمداً ﷺ إماماً يرفع شعار الوسط والاعتدال، وينادي ببند الغلو والعدوان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ [الأعراف: 157].

وما زال الناس يرتشفون من معين تلك السماحة، حتى كسر قفل الخلافة، وتنازع الناس، وتغيرت المعالم النضرة، ونادي مناد الشيطان: حي على هدم الإسلام. حينها انتشر الجهل، وساد الباطل، وارتفع شأن الغلاة، وكثرت الفتن، وسفكت الدماء، وانتهدت الأعراس، وتغول على الأموال.

لأجل هذا لبينا منادي الفلاح: حي على جهاد لا شوكة فيه، ننشر الإسلام بسماحته، ونقبل المتعثر من عثرته، بخطاب يعرض الإسلام بطهره وعفته، ويرسم للعالم طريقاً معبداً بالرحمة والإحسان، وبشدة حكيمة على المعاند من الإنس والجان.

فأبرينا الأقالم، ونشرنا الصحف، وبسطنا القول ببحثنا الموسم ب: (أثر الوسطية في قبول الخطاب الديني)؛ راجين من البر الرحيم أن يكون صدقة جارية تنفي عن الإسلام شبه الضالين، وترشد الحيارى إلى الحق، وصراط مستقيم.

وقسمه الباحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

**المبحث الأول: حقيقة الوسطية والألفاظ ذات الصلة**

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: حقيقة الوسطية في اللغة والاصطلاح**

**المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة**

**المبحث الثاني: أسس الوسطية ومعالمها في الشريعة الإسلامية**

**وفيه مطلبان:**

**المطلب الأول: أسس الوسطية في الشريعة الإسلامية**

**المطلب الثاني: معالم الوسطية في الإسلام**

**المبحث الثالث: أثر الوسطية في قبول الخطاب الديني**

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول: الوسطية سمة الإسلام الرائدة**

**المطلب الثاني: أثر الداعية في قبول الخطاب الديني**

**المطلب الثالث: أثر الدعوة في قبول الخطاب الديني**



## المبحث الأول

### حقيقة الوسطية والألفاظ ذات الصلة

#### المطلب الأول: حقيقة الوسطية في اللغة والاصطلاح:

##### أولاً: الوسطية في اللغة:

الوسط: الواو والسين والطاء بناءً صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه<sup>(1)</sup>.

وقد وردت كلمة الوسط باشتقاقات متعددة المعاني:

من ذلك الوسط: اسم لما بين طرفي الشيء، فوسط الشيء ماله طرفان متساويا القدر.

وتأتي كلمة الوسط صفة بمعنى الخيار والجد والفضل، فأوسط الشيء: أفضله وخياره.

وتأتي تارة بمعنى الخير بين طرفين مذمومين، يقال: هذا أوسطهم حسباً إذا كان واسطة قومهم، وأرفقهم محلاً،

وكالجد الذي هو بين البخل والسرف، فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط، فيمدح به نحو

السواء والعدل والنصفة<sup>(2)</sup>. قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)<sup>(3)</sup> وقال سبحانه: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ

نُؤَلَّا تُسَبِّحُونَ)<sup>(4)</sup> أي: قال أمثلهم.

وجملة القول في المعاني اللغوية أنها قريبة من بعضها البعض، ترجع إلى معنى العدل والخيار والأفضل،

ومن هنا كانت الأمة الإسلامية وسطاً بين الأمم، فهي خيار الأمم وأعدلها، كيف لا وهي الشاهدة على الأمم يوم

القيامة<sup>(5)</sup>.

قال سيد قطب: "الوسط يأتي بمعان كثيرة، منها الحسن والفضل والاعتدال والقصد والتصور والاعتقاد

والتفكير والشعور والتنظيم والتسويق، والارتباطات والعلاقات والزمان والمكان، فهو يتضمن الأمور الحسية

والمعنوية"<sup>(6)</sup>.

##### ثانياً: الوسطية في الاصطلاح:

جرت أقلام الكثير في الحديث عن الوسطية في الإسلام بجوانبها المختلفة إلا أنني لم أقف على تعريف

محدد وواضح لمصطلح الوسطية، والكتابات السابقة اكتفت بوصف الوسطية في الإسلام، ونقلت أقوال المفسرين

في تفسير معنى لفظة (الوسط) ومشتقاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

ويمكن تعرف الوسطية باستنباط ذلك من نصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها، وعليه: فإن لها معنى يخص

الأمة، ومعنى يخص الفرد.

أما وسطية الأمة فهي: مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية والصلاح، مما جعلها أهلاً لتكون شاهدة

على العالمين، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)<sup>(7)</sup>.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة (108/6).

(2) ابن منظور، لسان العرب (426/9)؛ الزبيدي، تاج العروس (340/5).

(3) سورة البقرة، آية 143.

(4) سورة القلم، آية 28.

(5) شوكت محمد عليان، الوسطية في الإسلام طريق لأمن المجتمعات (ص15).

(6) سيد قطب، في ظلال القرآن (131/1).

(7) سورة البقرة، آية 143.

ووسطية الفرد هي: التوسط في الأمور باختيار أفضلها وأحسنها وأعدلها، فالوسطية هي الخيرية والأفضلية، وكل وسط يصاحبه الخير ويكون هو الأفضل، من ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة عن أفضله قريش: "هم أوسط العرب نسباً وداراً"<sup>(1)</sup>.

وليس بالضرورة أن تكون الخيرية في الوسط بين الطرفين دائماً، وإن كان في الغالب أنه يوجد في كل قضية طرفان مذمومان بينهما وسط ممدوح، وذلك هو مفهوم الاعتدال، فالاعتدال التوسط بين حالين بين إفراط وتفریط، وعلو وجفاء، إلا أن ذلك ليس بحتم لازم، فالصدق مثلاً يقابله الكذب، ومثلها العدل يقابله الظلم، وليس أيّ منهما وسطاً بين رذيلتين<sup>(2)</sup>.

وختاماً يمكن تعريف الوسطية بأنها: الاعتدال والقصد في تحقيق شريعة الله تعالى فهماً وسلوكاً<sup>(3)</sup>.

(1) البخاري، صحيحه (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً") (6/5).

(2) عبدالله يحيى، الوسطية الطريق إلى الغد (ص56).

(3) عبدالرحمن السديس، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال (ص23).

## المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة:

### 1. الاستقامة:

وهي الاعتدال، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى، وقام ميزان النهار إذا انتصف، والقوام: العدل<sup>(1)</sup>. ويقال في الطريق الذي يكون على خط مستو، وبه شَبَّهَ طريق المحق، واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم<sup>(2)</sup>، قال تعالى: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)<sup>(3)</sup>، أي: دلنا وأرشدنا ووقفنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً<sup>(4)</sup>.

فإذا كان الصراط المستقيم غير صراط اليهود والنصارى اللذين غلوا في دينهم بين إفراط وتفریط، دل ذلك على أن الصراط المستقيم صراط لا غلو فيه، فهو بين طرفين: إفراط وتفریط، وهذا هو معنى الوسطية التي وصفت هذه الأمة به<sup>(5)</sup>.

### 2. الخيرية:

الخير: ما يرغب فيه الكل كالعقل، والعدل، والفضل<sup>(6)</sup>. قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)<sup>(7)</sup>. فيه دليل على أن هذه الأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، فهم خير الناس للناس، نصحاء، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليماً، وإرشاداً، وأمرأً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وجمعاً بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان<sup>(8)</sup>. ولا شك أن الخيرية التي وصف الله تعالى بها أمة محمد ﷺ هي الوسطية التي لا تميل ذات اليمين وذات الشمال؛ بل تنتهج منهج الله تعالى في جميع الأمور الدينية والدنيوية<sup>(9)</sup>.

### 3. العدل:

العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور، والعدل من الناس: المرضي المستوي الطريقة، وقيل: المرضي قوْلُهُ وحكمه.

والعدل: الحكم بالاستواء، ويقال للشيء يساوي الشيء: هو عدله، وعدل الشيء يعدله عدلاً، أي: وازنه. والاعتدال: توسط حال بين حالين في كمٍّ أو كيف، كقولهم: جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل بين البارد والحار، وكل ما تناسب فقد اعتدل<sup>(10)</sup>.

(1) ابن منظور، لسان العرب (499/12).

(2) الطبري، جامع البيان (758/2).

(3) سورة الفاتحة، آية 6-7.

(4) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص29).

(5) نجبة غلام نبي، وسطية الإسلام في العبادات والعلاقات الاجتماعية (ص6).

(6) الطبري، جامع البيان (479/17).

(7) سورة آل عمران، آية 110.

(8) الشوكاني، فتح القدير (479/1).

(9) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (262/1)؛ نجبة غلام نبي، وسطية الإسلام في العبادات والعلاقات الاجتماعية (ص6).

(10) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (246/4)؛ ابن منظور، لسان العرب (430/11).

والعدل هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا الحكم بالرأي المجرد<sup>(1)</sup>، والعدل هو ما شرعه الله في الكتاب والسنة، فالدين الإسلامي دين العدل أوجب إعطاء كل ذي حق حقه وأنزل كلاً منزلته<sup>(2)</sup>.

#### 4. القوامة:

ومنه قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)<sup>(3)</sup>.  
معنى قواماً: القوام هو الشيء الذي يكون بين الشيئين، وإنفاق المؤمنین بين الإسراف والإقتار قواماً معتدلاً، لا مجاوزة عن حد الله، ولا تقصيراً عما فرضه الله، ولكن عدلاً بين ذلك على ما أباحه جل ثناؤه وأذن ورخص فيه، وهذا هو الوسط<sup>(4)</sup>.

#### ومن الألفاظ المقابلة للوسط ذات الصلة بالموضوع:

#### 5. الغلو:

الغلو في اللغة: مجاوز الحد، قال ابن فارس: "الغين واللام والحرف المعتل (غلو) أصل صحيح ... يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه وغلا الرجل في الأمر غلواً، إذا جاوز حده، وغلا بسهمه غلواً، إذا رمى به سهماً أقصى غايته"<sup>(5)</sup>.  
وقد ورد في استعمال الشرع في موضعين من القرآن الكريم، وكلاهما بمعنى: مجاوزة الحد، وهو يوافق المعنى اللغوي للكلمة.

فالأول في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)<sup>(6)</sup>. وقوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ)<sup>(7)</sup>.

أي: لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجه عن حيز النبوة إلى مقام الألوهية، كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله<sup>(8)</sup>.

#### 6. الإفراط:

(فَرَطَ) الفاء والراء والطاء: أصل صحيح يدل على إزالة شيء عن مكانه وتثنيته عنه، يقال: فرطت عنه ما كرهه؛ أي: نحيت<sup>(9)</sup>.

والإفراط: الإعجال والتقدم ومجاوزة الحد في الأمر، والزيادة على الأمر<sup>(10)</sup>.

(1) الشوكاني، فتح القدير (617/1).

(2) سليمان بن إبراهيم اللاحم، تفسير آيات الأحكام في سورة النساء (714/2).

(3) سورة الفرقان، آية 67.

(4) الطبري، جامع البيان (503/17).

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (387/4).

(6) سورة النساء، آية 171.

(7) سورة المائدة، آية 77.

(8) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (151/2).

(9) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (490/4).

(10) ابن منظور/ لسان العرب (369/7).

ومنه قوله تعالى: (إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى)<sup>(1)</sup>، قال الطبري: "وأما الإفراط فهو الإسراف والإشطاط والتعدي، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدي"<sup>(2)</sup>.

#### 7. التفريط:

ويأتي في اللغة بمعنى التقصير؛ لأنه إذا قصر فيه فقد قعد به عن رتبته التي هي له<sup>(3)</sup>.  
قال ابن منظور: "فرط في الشيء وفرطه: ضيعه وقدم العجز فيه"<sup>(4)</sup>.  
ومنه قوله تعالى: (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)<sup>(5)</sup>، أي: ما ضيعت في أمر الله، ويقال: تقارط الصلاة أي: أخرها عن وقتها، والفراط: الترك<sup>(6)</sup>.  
قال الطبري: "وأما التفريط فإنه التواني، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا تواني فيه"<sup>(7)</sup>.  
فالغلو والإفراط والتفريط كلها تُناقض الوسطية والاعتدال التي أمرنا الله تعالى بها في الدنيا والدين، وحثنا عليها النبي الكريم ﷺ.

(1) سورة طه، آية 45.

(2) الطبري، جامع البيان (18، 314).

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (490/4).

(4) ابن منظور، لسان العرب (370/7).

(5) سورة الزمر، آية 56.

(6) ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (683/2).

(7) الطبري، جامع البيان (314/18).

### المبحث الثاني: أسس الوسطية ومعالمها في الشريعة الإسلامية

المطلب الأول: أسس الوسطية في الشريعة الإسلامية: مما سبق يمكن أن نستنبط أسس الوسطية، وهي على النحو التالي: أولاً: الخيرية: وهي صفة لازمة في الأمة الإسلامية إن هي آمنت بالله سبحانه وتعالى، وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)<sup>(1)</sup>. والصفتان للأمة في الآية جعلت الأمة الإسلامية مُحَصَّنَةً -في مجملها- من الضلالة، مؤمنة بكل الأنبياء والرسول السابقين، دينها دين عالمي، ونيبها ﷺ لجميع النقلين، ممتدة إلى قيام الساعة<sup>(2)</sup>.

ثانياً: العدل: والعدل أمر إلهي يشمل الجميع، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)<sup>(4)</sup>.

فالعدل واجب على الأمة الإسلامية، عدل في الداخل، وعدل مع غير المسلمين، وهو من الحقوق الواجبة لكل الناس في الإسلام، وصفة من صفات الأمة المحمدية يؤكدته تقوى الله والخوف من سبحانه وتعالى، والتاريخ يقدم أمثلة رائعة على التزام المسلمين بالعدل وتطبيقه على أنفسهم، عدل أبعدهم عن المحاباة والعواطف والمصالح والأهواء في أصعب المواقف وأشد الظروف<sup>(5)</sup>.

ثالثاً: رفع الحرج: إن رفع الحرج المؤدي إلى التيسير من معالم الوسطية، ومن أسس التشريع الإسلامي، قال تعالى: (وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)<sup>(6)</sup>، وقال سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)<sup>(7)</sup>. والتيسير في الإسلام، وعند المسلمين ينطلق من أوامر الله جل وعلا ونهيه، ولا يحمل في طياته معنى التهاون والتساهل، وهو منهج شامل في الأحكام، ومراعاة القدرة، ويتسع أمام الضروريات.

إن أسس الوسطية في الإسلام أقامت وأحييت روح التعاون بين المسلمين، واستفادوا من التعارف على غيرهم في إيصال الدعوة إليهم، وعمارة الأرض، والوسطية -أيضاً- دفعت المسلم إلى الحوار مع المسلم وغير المسلم، من خلال ضوابط وضعها الإسلام؛ بسبب اعترافه بالاختلاف بين الناس، ورغبته في إيصال الحق إليهم، فالمسلمون حينما حملوا الإسلام في خطواتهم الأولى لم يهدموا المعابد ولم يحاصروا العباد، ولم يلغوا أديان وتقاليدهم الشعوب أو ثقافتهم أو لغتهم أو ملابستهم حينما حكموهم، وأكبر دليل على ذلك أن الدواوين -سجلات الدولة- لم تزل على حالها في كل إقليم افتتحه المسلمون خلال الخلافة الراشدة، ولم تعزب إلا في عهد عبدالملك بن مروان، وكذلك العملة المتداولة، لم يزل المسلمون في كل إقليم يتعاملون بعملة طيلة عهد الخلفاء الراشدين ومعاوية ويزيد، ولم تحول عربية إلا في عهد عبدالملك بن مروان، فالإسلام وسط، ولم يلغ غيره، وفي الوقت نفسه لم تضعف هويته المستقلة، وهيمته على القلوب، والمقارنة بين استعمار الغرب للبلاد الإسلامية وفتوحات المسلمين تؤكد على عدلهم وخيريتهم، وتواصل وسطيتهم التي غرسها فيهم إسلامهم، والتي من ثمارها: التوازن والتيسير والوحدة الموضوعية، وتحقيق الأصالة والمعاصرة<sup>(8)</sup>.

(1) سورة آل عمران، آية 110.

(2) يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها (18)؛ عبدالله يحيى، الوسطية الطريق إلى الغد (ص 65)؛ علي الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم (ص 19).

(3) سورة النحل، آية 90.

(4) سورة المائدة، آية 8.

(5) علي الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم (ص 22).

(6) سورة الحج، آية 78.

(7) سورة البقرة، آية 185.

(8) عبدالله يحيى، الوسطية الطريق إلى الغد (ص 67)؛ علي الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم (ص 20).

### المطلب الثاني: معالم الوسطية في الإسلام:

إن اعتقاد بعض المسلمين أن الوسطية هي حالة خاصة تقتصر على الأحاديث التي وردت فيها، وأنها لا يجوز تعميمها، يستوجب الرد على هذه المزاعم، وإسقاطها، فضلاً عن أهمية عرض هذه المعالم لتوضيح مفهوم الوسطية، وسيقتصر الباحث على بعضها؛ لأن الغرض هنا هو التلليل لا التفصيل، وهذا ما سأبينه فيما يلي:

#### أولاً: وسطية الإسلام في العقيدة:

إن المتأمل لعقيدة الإسلام يجد أنها عقيدة وسط بين العقائد والأديان وأن المذهب الحق في الإسلام وسط بين الفرق الإسلامية، وإن كانت جميع المذاهب والفرق تدعي أنها الفرقة الناجية، وأنها تمثل المنهج الحق الذي كان رسول الله ﷺ، وصحابته ﷺ، وسأتجنب الخوض في التفاصيل كي لا أقع في الخطأ الذي وقع فيه غيري، فليس المراد من هذا البحث الانتصار لهذا المذهب أو ذلك، بل هو دعوة للتمسك بقاعدة مهمة من قواعد الإسلام، من أجل التحاور، وتهذئة النفوس، وتجنب الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وتتجلى وسطية الإسلام في العقائد بأنه منهج وسط بين المدرستين المادية والمثالية، فالمدرسة المادية تقلل من قيمة العقل وأهميته وبعض اتجاهاتها ينكر أي دور للعقل، وتعد المادة هي القوة الفعالة الوحيدة المؤثرة في صنع التاريخ وتطور المجتمع ونمو الفرد وتقلباته، وعلى العكس نجد المدرسة المثالية التي تخالف المدرسة المادية في تصوراتها، وقللوا من قيمة المادة حتى كادوا ينكرونها، فكان الإسلام وسطاً بين هاتين المدرستين، فهو يجمع بين العقل والمادة ولا ينكر أثرهما في الحياة ولا يغلب جانباً على آخر، فهو ينكر الخرافة والأساطير التي تهمل العقل ودوره، كما يرفض عد العقل الوسيلة الوحيدة لبلوغ المعرفة، ويرفض أيضاً الاتجاه المادي الذي ينكر اللامحسوسات، فأقام الإسلام عقائده على براهين مقنعة وأدلة منطقية وحجج علمية، فهو في الوقت الذي ينكر على المشركين شركهم ويطالبهم بالتوحيد، وهو غيب محض، يطالبهم بالدليل على دعواهم، يقول تعالى: (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)<sup>(1)</sup>، فمن المعلوم أنه لا برهان على وجود إله آخر مع الله، إنما هي دعوى لا تستند إلى أساس، فجاء تقرير القرآن لمنهج الوسطية في العقيدة شاملاً ومتكاملاً، وذلك أن العقيدة هي الأساس، وعليها البناء، فأى انحراف فيها يسري على ما سواها ويؤثر فيه<sup>(2)</sup>.

#### ثانياً: وسطية الإسلام في العبادات والشعائر:

الإسلام وسط في عباداته، وشعائره: بين الأديان والتحل التي ألغت الجانب الرباني -جانب العبادة- والتنسك والتأله- من فلسفتها وواجباتها، كالبوذية التي اقتصررت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده... وبين الأديان والتحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهباني المسيحية<sup>(3)</sup>. فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم كالصلاة، أو في السنة كالصوم، أو في العمر كالحج، ليظل دائماً موصولاً بالله، غير مقطوع عن رضاه، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً، يمشي في مناكب الأرض، ويأكل من رزق الله.

(1) سورة النمل، آية 64.

(2) إيايد العجيلي، وسطية الإسلام ونبذها للغلو والتطرف (ص13).

(3) علي الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم (ص95).

ولعل أوضح دليل يذكره الباحث هنا آيات سورة الجمعة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)<sup>(1)</sup>.

فهذا هو شأن المسلم مع الدين والحياة، حتى في يوم الجمعة: بيع وعمل للدنيا قبل الصلاة، ثم سعى إلى ذكر الله وإلى الصلاة، وترك للبيع والشراء وما أشبهه من مشاغل الحياة، ثم انتشار في الأرض وابتغاء الرزق من جديد بعد انقضاء الصلاة، مع عدم الغفلة عن ذكر الله كثيراً في كل حال، فهو أساس الفلاح والنجاح<sup>(2)</sup>.

#### ثالثاً: وسطية الإسلام في المعاملات:

زعم اليهود أن الله تعالى أمرهم بالربا وأباحه لهم، فلذلك استحلوه، واعتبروه مهنة، ووضعوا لها النصوص المتعددة.

وكذا النصارى فإنهم خلعوا على أبحارهم ثوب العصمة والتقديس، بل والربوبية، كما قال الله تعالى: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ)<sup>(3)</sup>، فكانوا يحرمون الحلال ويحلون الحرام ويأكلون أموال الناس بالباطل، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)<sup>(4)</sup>، فتسلط رجال الدين عندهم على الكنيسة، وأكلوا أموال الناس بالباطل باسم الضرائب والإتاوات تارة، وباسم صكوك الغفران تارة أخرى.

حتى جاء الإسلام فوضع قواعد وضوابط شرعية مقصدها مصلحة الفرد والمجتمع، فحرم الشارع الحكيم الربا بجميع أنواعه على الفرد والجماعة، بين المسلمين وبين غيرهم، قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ....)<sup>(5)</sup>.

وعلماء المسلمين ليسوا قديسين ورهباناً، ولا يأكلون أموال الناس بالباطل، فالمعاملات في الإسلام قائمة على قواعد وضوابط وسط، لا إفراط فيها ولا تفريط، وليست متروكة لأحد من البشر يُكَيِّفُهَا كما يهوى ويحب، بل وضعها أحكم الحاكمين، ويلتزم بها عامة المسلمين<sup>(6)</sup>.

#### رابعاً: وسطية الإسلام في الأخلاق والسلوك:

إن المنتبِع لِهَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ يعرف تمام المعرفة معنى الوسطية والاعتدال، والتيسير ونبذ التشدد في الأخلاق والسلوك، فمنهجه كله قائم على الاعتدال.

ومن الشواهد على الوسطية في الأخلاق والسلوك، ما صح عن عائشة رضي الله عنها، قالت: (مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتُمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا أَنْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّىٰ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ)<sup>(7)</sup>.

(1) سورة الجمعة، الآيات 9-10.

(2) يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها (23)؛ عبدالرحمن السديس، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال (ص117).

(3) سورة التوبة، آية 31.

(4) سورة التوبة، آية 34.

(5) سورة البقرة، آية 275.

(6) عبدالرحمن السديس، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال (ص123).

(7) البخاري، صحيحه (كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله) (160/8).



ومن المناسب هنا أن أذكر أن التوسط في الأخلاق، لا يعني البيئية، أي : الوسط بين خلقين دائماً، فلا وسطية بين الصدق والكذب مثلاً، لأن الوسط يعني العدل، كما تقدم في التعريف اللغوي، لذلك حث القرآن الكريم على التحلي بالأخلاق الحميدة، إذ لا بديل لها ولا توسط بينها وبين الأخلاق الرذيلة، والشواهد على ذلك كثيرة جداً لا يصعب على القارئ معرفتها وتتبعها، منها قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى: (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)<sup>(2)</sup>.

ووسطية الإسلام تلافت الخلل الكائن في العلاقة بين الفرد والمجتمع، فالمجتمع الاشتراكي يرى أن المجتمع مقدم على الفرد، وأن دور الفرد في المجتمع لا يزيد على دور قطعة الغيار في آلة كبيرة، في حين أعطى المجتمع الرأسمالي للفرد الأسبقية فله أن ينال أو يفعل ما يريد من دون أن يؤبه للمجتمع إلا بحدود ضيقة، أما الإسلام فقد وازن العلاقة بين الفرد والمجتمع، فالفرد ليس مجرد قطعة غيار في المجتمع، ولا يحق له أن يفعل ما يريد بشكل بهيمي<sup>(3)</sup>.

أما الإسلام، فهو آخذ بمصلحة الفرد ومصصلحة المجتمع في وقت واحد، فهو يحترم الملكية الفردية ويقرها؛ لأنها توافق الفطرة الإنسانية ولكنه لا يقرها مطلقاً من كل قيودها، بل جعل لها ضوابط وقيود تحول دون الاعتداء على مصلحة المجتمع، وكذلك يحترم مصلحة المجتمع دون التعدي على مصلحة الفرد، ففيه الإرث والوصية والزكاة والصدقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق المشروعة، كما حرم الاحتكار والربا والغش وغيرها من وجوه الاكتساب المحرمة<sup>(4)</sup>.

#### خامساً: وسطية الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال الله جل وعلا: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)<sup>(5)</sup>. في هذه الآية الكريمة بيان لأبرز معالم طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي بيان وإرشاد للنبي ﷺ، وطريقة سيره في دعوة الناس كافة، وقد اشتملت على أمور ثلاثة تتضح بها وسطية الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي على النحو التالي:

##### 1. الدعوة إلى سبيل الله:

فقد أمر الله نبينا محمداً ﷺ أن يدعو إلى سبيل ربه، أي: شريعته التي شرعها لخلقه وهو الإسلام<sup>(6)</sup>، وهو أمر له ولأتباعه من بعده أن تكون دعوتهم خالصة لله، لا لغرض دنيوي ولا لمصلحة شخصية.

##### 2. الأمر بالعرف والنهي عن المنكر بالحكمة:

الحكمة هي: "وضع الشيء في موضعه وهي إصابة الحق بالعلم والعقل"<sup>(7)</sup>.

(1) سورة الأعراف، آية 199.

(2) سورة الشعراء، آية 215.

(3) زيد الزيد، الوسطية في الإسلام (ص 56)؛ ناصر العمر، الوسطية في ضوء القرآن (ص 49)؛ اياد العجيلي، وسطية الإسلام ونبذها للخلو والتطرف (ص 51).

(4) اياد العجيلي، وسطية الإسلام ونبذها للخلو والتطرف (ص 51).

(5) سورة النحل، آية 125.

(6) الطبري، جامع البيان (14/194).

(7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص 126).

وهي منحة الله لأبيائه، ولمن يشاء من خلقه، والناس مختلفون في طبائعهم ومدركاتهم فقد سلك النبي ﷺ الطرق الكفيلة لنجاح دعوته مع قومه، فأورد لكل مقام مقالاً يليق به، وخاطب كل طبقة بما يناسبها<sup>(1)</sup>.  
إن مواقف الحكمة في دعوة النبي ﷺ لغير المسلمين، وللمسلمين الجدد في صدر الإسلام كثيرة ومتنوعة مثبتة في كتب السنة والمغازي والسير وليس المقام مقام سرد لتلك المواقف، ولكن إعمالاً لمبدأ ما لا يدرك كله لا يترك جله، يعرض الباحث حادثة على سبيل المثال:

جاء زيد بن سعة، وهو أحد أئمة اليهود وعلمائهم، إلى رسول الله ﷺ، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه غليظ وقال: يا محمد ألا تقضييني، إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مطل، وشدد له في القول، فنظر إليه عمر وعيناها تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتفعل ما أرى، فو الذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتودة وتبسم، ثم قال: (أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي، اذهب يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر)<sup>(2)</sup>.

### 3. المجادلة بالتي هي أحسن:

الجدال هو أحد الطرق المستخدمة في الدعوة لإقناع المدعو، وإزالة الشبهة، وإقامة الحجج والبراهين على صحة الدعوة وبطلان ما سواها، وهو لا يكون إلا عند الحاجة، ويقصد توضيح الحق وإبطال الباطل، وهو مشروط بأن يكون بالتي هي أحسن.

وكان هدي رسول الله ﷺ لمن يجادله من المشركين وأهل الكتاب الرفق والعطف والأناة حيناً، والحزم والشدّة حيناً أخرى، وقد اعتصم في حوارهم وجدله لهم بصفات جعلته المثل الكامل للبشر، فقد اعتصم بالحلم والصبر على الأذى، وخفض الجناح، والرفق، وحسن المعاملة، وكان إذا اشتد أذاهم عليه وعلى أصحابه قال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)<sup>(3)</sup>.

ويكون حسن الجدل مع غير المسلمين بالالتزام بموضوعيته وبعده عن الانفعال، وفي الترفع عن المسائل الصغيرة في مقابل القضايا الكبرى، حفظاً للوقت، وعزة للنفس، وكاملاً للمروءة، مع الحرص على الرفق واللين، والبعد عن الفظاظة والتعنيف<sup>(4)</sup>.

(1) شوكت محمد عليان، الوسطية في الإسلام طريق لأمن المجتمعات (ص169).

(2) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (548/1).

(3) البخاري، صحيحه (1282/3).

(4) شوكت محمد عليان، الوسطية في الإسلام طريق لأمن المجتمعات (ص175).

### المبحث الثالث

#### أثر الوسطية في قبول الخطاب الديني

##### المطلب الأول: الوسطية سمة الإسلام الرائدة:

لقد جاء دليل الوحي حارساً للوسطية وكاشفاً جمالاتها، وأنها السبيل التي يتواءم مع الكرامة الإنسانية، ومنح الحقوق كاملة لكل ذات كبد رطبة بعيداً عن التهاون والتفريط ومحذراً من الغلو والتشديد ليصدر دعاة الإسلام وعلماءه عنه بهذه الحقيقة ليبرقوا للتقلين أنهم جاءوا بتشريع يحمل لهم السلامة والعافية في كل ميدان من ميادين الحياة المختلفة إن كان في ميدان السياسة والحكم، أو في الجهاد والشوكة، أو في الاقتصاد والنعمة، أو في الاجتماع والأخلاق، فضلاً عن العبادة وحق الله على العباد.

أما في السياسة والحكم؛ فقد قال الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (1).

أفادت الآية أن الله سبحانه يأمر عباده بثلاثة أنواع من السلوك الفاضل الحسن:

الأول: العدل بين العبد وربّه سبحانه بتوحيده وعدم الإشراف به، وامتنال أوامره واجتتاب منهيّاته، والعدل بين العبد ونفسه؛ بمنعها مما فيه هلاكها وفسادها، والعدل مع الخلق، بإعطاء كل ذي حق حقه.  
والثاني: الإحسان مع الله سبحانه في أداء فرائضه، وعبادته كأنك تراه، ومع الخلق بأن تحسن إلى من أساء إليك، وبتقان العمل وإكماله.

والثالث: صلة الرحم، وهم القرابة الأذنون والأبعدون منك، فستحب صلّتهم بما فضّل من الرزق، فإن لم يكن فدعاء وتودد.

وينهى عن ثلاثة أنواع من الرذائل والقبائح، الأول: ارتكاب الكبائر المتعلقة بالفروج، والثاني: ما أنكره الشرع، ونهى عنه نهى تحريم، الثالث: العدوان على حقوق الناس بالقوة والقهر، فينصحك الله سبحانه بالالتزام بتلك الأوامر والانتهاج عن المناهي نُصْحاً مقروناً بما يثير الرغبة والرغبة، لكي تتذكروا أوامر الله ونواهيّه، فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى، وتنتهوا عما يسخطه عليكم (2).

وعَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: (بَشِّرُوا وَلَا تُنْقَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا) (3).

من فوائد الحديث أن النبي ﷺ كان يأمر الرسل الذين يبعثهم دعاة في الناس يعلمونهم دين الله ويدعونهم إلى عدل الإسلام وجميل الإحسان أن يبشروهم بوسع رحمة الله، وعظيم عفوه ومغفرته إذا هم تابوا وأصلحوا، وأن يبسروا عليهم أحكام الدين والدنيا ما وسعهم ذلك؛ لأن التيسير سمة الإسلام الظاهرة.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: (اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ) (4).

(1) سورة النحل، آية 90.

(2) محمد بن أحمد مكّي، المعين على تدبر الكتاب المبين (ص 277).

(3) مسلم، صحيحه (كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير) (1358/3).

(4) مسلم، صحيحه (كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل) (1458/3).

في الحديث ترهيب للولادة من التعسير على الرعية والإشفاق عليهم أن تصيبهم دعوة النبي ﷺ بعقاب من الله من جنس عملهم فيضرب عليهم الشقاء والعناء في الدنيا، والعذاب يوم القيامة، وفيه إغراء لهم بالرفق واللين رجاء أن تصيبهم دعوته بالتيسير وهناء العيش في الدنيا، والفوز الظاهر في الأخرى.

وأما في الجهاد والشوكة؛ فقد قال الله تعالى: (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَانْتَفُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)<sup>(1)</sup>.

قال المراغي: "وقال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الصدر الأول كان دفاعا عن الحق وأهله وحماية دعوة الدين، فكانوا يبدءون أولا بالدعوة بالحجة والبرهان، فإذا منعوا بالقوة وهدد الداعي أو قتل قاتلوا حماية للدعاة ونشروا للدعوة، لا للإكراه على الدخول في الدين، إذ ذاك منهي عنه بنحو قوله تعالى: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)<sup>(2)</sup>.

فإذا لم يوجد من يصد الدعوة أو يهدد الدعاة ويعتدى على المؤمنين، فلا يفرض علينا الجهاد لسفك الدماء وإزهاق الأرواح، ولا للطمع في الغنائم والأنفال.

وجملة القول: إن القتال شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها، فعلى من يدعى من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين أن يحيى الدعوة الإسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه، ويقرن ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان.

ولم يشهد التاريخ أمة قوية رحيمة بالضعفاء في فتوحها كالأمة العربية، كما اعترف بذلك المنصفون من الإفرنج، فقد قال جوستاف لو بون الفيلسوف الفرنسي: ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب، وما يتجنى به أعداء الإسلام من دعواهم أن الإسلام قام بالسيف، فقول يكذبه التاريخ ولا يؤيده من ينظر إلى الأمور بعين الإنصاف ويدع الهوى وراءه ظهريا"<sup>(3)</sup>.

وقال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)<sup>(4)</sup>.

نهى الله عباده المؤمنين أن يكفوا أيديهم عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تصلوهم وتعذبوهم فيهم بالإحسان إليهم والبر بهم؛ إن الله يحب العادلين، ويثيبهم على عدلهم، ويدخلهم جنات النعيم؛ لأن من أحبه الله أكرمه، وأدخله في رحمته، وإنما ينهاكم الله -أيهما المؤمنون- عن الذين قاتلوكم بسبب الدين، وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا على إخراجكم أن تتخذوهم أصدقاء وأنصاراً، ومن يتخذهم أنصاراً على المؤمنين وأحباباً، فأولئك البعداء عن رحمة الله هم الظالمون لأنفسهم، حيث وضعوا الولاء في غير موضعه، فعرضوا أنفسهم للعذاب الشديد<sup>(5)</sup>.

(1) سورة البقرة، آية 194.

(2) سورة يونس، آية 99.

(3) المراغي، تفسيره (94/2).

(4) سورة الممتحنة، آية 8-9.

(5) محمد بن أحمد مكي، المعين على تدبر الكتاب المبين (ص 550).

وعَنْ بريدة بن الحصين رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: (اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَعْدُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَدْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ فَأَيُّهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمُ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ...) (1).

يستفاد من الحديث -على الجملة- الرفق بالمخالف والتدرج معه بالأخف رجاء فينته وإسلامه، ولا يؤخذ بالشدّة إلا إذا استحكمت عداوته وأبى إلا الحرب والقتال.

وأما في الاقتصاد والنعمة؛ فقد قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (2).  
خص إبراهيم بدعائه المؤمنين، وإن كان سبحانه لواسع رحمته جعل رزق الدنيا عاماً للمؤمنين والكافرين (كُلًّا نُمِدُّ هُوْلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)، ولو خص الله المؤمنين بالتوسعة في الرزق، وحرم منها الكافرين، لكان هذا التخصيص سائقاً للكافرين إلى الإيمان على وجه يشبه الإلجاء، وقد قضت حكمته أن يكون الإيمان اختيارياً حتى ينساق إليه الإنسان عن طريق إرادته الحرة (3).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ) قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِمَّا فِي فَضْلِهِ (4).

في الحديث تحريض على المواساة بفضل النعمة -إن كانت ظهراً يركب، أو زاداً أو لباساً أو غيرها- لأهل العوز والحاجة، إن كان حاضرياً، أو بدوياً، أو ابن سبيل، فليس من المروءة والأخلاق، ولا كمال الدين أن يكون المسلم ذا فضل وأخوه فقير ذو حاجة، والحديث ترسيخ لازدواجية الحق في الإسلام بعيداً عن الأنانية والأثرة.

وأما في الاجتماع والأخلاق؛ فقد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (5).

الآية نص في تقرير العدل والمساواة في الكرامة وحقوق الإنسان فبعد أن نهى سبحانه في الآيات التي قبلها عن السخرية بالناس والازدراء بهم، وعن اللمز والتنازير بالألقاب ذكر هنا ما يؤكد النهي ويؤيد ذلك المنع، فبين أن الناس جميعاً من أب واحد وأم واحدة، فكيف يسخر الأخ من أخيه؟ إلى أنه تعالى جعلهم شعوباً وقبائل مختلفة، ليحصل بينهم التعارف والتعاون في مصالحهم المختلفة، ولا فضل لواحد على آخر إلا بالتقوى والصلاح وكمال النفس، لا بالأموال الدنيوية الزائلة.

وقال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْهُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ) (6).

(1) مسلم، صحيحه (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث) (1357/3).

(2) سورة البقرة، آية 126.

(3) المراغي، تفسيره (212/1)؛ محمد بن أحمد مكي، المعين على تدبر الكتاب المبين (ص 19).

(4) مسلم، صحيحه (كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول الماء) (1354/3).

(5) سورة الحجرات، آية 13.

(6) سورة العنكبوت، آية 46.

الآية تقرير للوسطية في الخطاب حتى مع المخالفين في الملة والدين، فقد نهى الله المؤمنين أن يجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالأساليب الفكرية والقولية التي هي أحسن وأفضل، فإن سلك المجادلون مسالك غير مهذبة القول، فوجب التقيد بكل قول مهذب، وأسلوب فاضل، ولنكن في مجادلتهم على حالة أرقى وأحسن باستمرار من الحال التي يكون عليها من يجادلنا أديباً وتهذيباً، أو قولاً وفكراً، لكن الذين ظلموا من أهل الكتاب، وحادوا عن الحق، وأفرطوا في الاعتداء والعناد، ولم ينفع معهم الرفق، فأغلظوا عليهم، وقابلوا السيئة بمثلها<sup>(1)</sup>.  
وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَوْصِنِي قَالَ: (اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا) قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: (إِذَا أَسَأْتَ فَأُحْسِنِ) قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: (اسْتَقِمْ وَلِيْحْسِنِ خَلْقَكَ)<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: عَنْ مُعَاذِ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ أَوْ أَيْنَمَا كُنْتَ). قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: (اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا). قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: (خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنًا)<sup>(3)</sup>.  
في الحديث تقرير لخلق اجتماعي رفيع: دفع الإساءة بالإحسان، ولا تكتمل التوبة إلا بهذا (إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)، وعلى المؤمن أن يعامل الناس بالرفق واللين، ويعايشهم بمكارم الأخلاق وأحسنها.

وأما في العبادة وحق الله على عباده؛ فقد قال الله تعالى: (يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ)<sup>(4)</sup>.

في الآية موعظة للمؤمنين أن يحذروا من مسلك أهل الكتاب الذي انتهى بهم إلى الغلو الجامح وحرفهم عن سبيل الإيمان، والصرراط المستقيم القائد إلى الجنان فإن غلو أهل الكتابيين في الأنبياء والرسل، ومجازرة الحد فيهم جعلهم يفترون على الله الكذب، فقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ)<sup>(5)</sup>.

في الحديث تحذير من مجازرة الاعتدال والوسطية في دين الله؛ فإنه المقصد الكلي الأهم والحافظ للمقاصد الكلية الأخرى، فما هلكت الأمم الغابرة إلا بالتتبع والغلو في الدين، وفيه دلالة بالمفهوم أن التمسك بالدين مؤيداً للفهم الرشيد وأحكامه سبيل السلامة والعافية والتمكين.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (هَلَكَ الْمُتَتَبِعُونَ) قَالَهَا ثَلَاثًا<sup>(6)</sup>.  
حديث واعظ، قصير المبني لكنه عظيم المعنى، جمع بين الحكم ووصفه، وجاء التكرير النبوي ثلاثاً ليبين للورى أن الهلاك سببه الرئيس التتبع والتشدد المعزول عن الدليل.

(1) محمد بن أحمد مكي، المعين على تدبر الكتاب المبين (ص402).

(2) أحمد، مسنده (فصل من البر والإحسان، ذكر الإخبار أن على المرء تعقيب الإساءة بالإحسان) (283/2).

(3) أحمد، مسنده (تتمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل) (381/36).

(4) سورة النساء، آية 171.

(5) ابن ماجة، سننه (كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي) (1008/2).

(6) مسلم، صحيحه (كتاب العلم، باب هلك المتتبعون) (2055/4).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَنْظِلَ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مُرَهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَنْظِلْ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ)<sup>(1)</sup>.  
في الحديث توجيه نبوي نغيس يؤذن بالتوازن بين سلامة البدن وعافيته، وعبادة يسيرة تُسهّم في تحقيق العافية ولا تنتقضها، فإن الحد الزائد في العبادة إذا كان يوهن العافية أو يُظن فيه ذلك ممنوع منه بدليل الشرع.  
وَعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ سَارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: (مَا هَذَا؟) قَالُوا: لِرَيْبِ تَصَلِّي، فَإِذَا كَسَلَتْ، أَوْ فَتَرَتْ أَمْسَكَتْ بِهِ، فَقَالَ: (حُلُوهُ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا كَسَلَ، أَوْ فَتَرَ قَعَدَ)<sup>(2)</sup>.  
من فوائد الحديث أن يأخذ المؤمن قدراً وسطاً من نافلة العبادة لا يُفوت عليه حقوقاً واجبة، إن كانت متعلقة بالبدن، أو بالزوج، أو بالولد، أو غيرهم.

(1) البخاري، صحيحه (كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية) (8/143).

(2) مسلم، صحيحه (كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعس في صلاته) (1/541).

## المطلب الثاني: أثر الداعية في قبول الخطاب الديني.

للداعية أثر محوري في توجيه الأمة نحو الفضائل والكرائم، وتزهيدها في السفاسف والردائل، وثمة آداب إذا اتصف بها الداعية كان خطابه أشد أثراً في قلب السامع، وأسرع في قبوله والاستجابة لمضمونه، وهالك أهمها:

### 1. تواضع الداعية:

إن التواضع ثمرة التوحيد الحق، والفهم الرشيد، والعبادة الصحيحة الخالصة، فمن علم أسماء الله وصفاته، وأن الله ذو الكبرياء والعظمة، والجلال والهيبة، الكبير المتعال، القاهر فوق العباد، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، الغني الحميد، العليم الخبير، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، الصمد الكامل في سؤده، خلق عباده من العدم، وجبلهم على صفات النقص، والضعف والفقر، وجردهم من الحول والقوة إلا به، وقدر لهم أجلاً لا يستقدمونها ولا يستأخرونها، وأيقن الداعية بكل هذا، وأقر مصداقاً أن ما به من نعمة: علم، أو صحة، أو مال، أو جاه فمن الله؛ ورثه علمه بذلك التواضع، وشهود فضل الله في كل نعمة، وكلما زاد تصديقه، وقوي يقينه؛ اشتد تواضعه، وزاد لله شكره، وما أكثر أدلة السمع التي ترشد إلى هذا وتدعو إليه؛ قال تَعَالَى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)<sup>(1)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)<sup>(2)</sup>.

وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حُطْبَتِهِ: (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلِمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا... وَإِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ)<sup>(3)</sup>.

### 2. حسن خلق الداعية:

إن مكارم الأخلاق من أهم أسباب المحبة والقبول، تشد الناس إلى الداعية وتغريهم إلى الإقبال عليه، والافتداء به، قال تَعَالَى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)<sup>(4)</sup>.

دللت الآية بمفهومها أن حسن الخلق، وجميل الكلم، ودفء المشاعر، وسلامة القلب من القسوة والدغل؛ تجمع الناس، وتأتي بهم حول الداعية المتصف بذلك.

على أن حسن الخلق أفضل النعمة، وأجمل الزينة، وأثقل ما يوضع في ميزان الحسنة، وأنه يبلغ بصاحبه المنازل العالية من الجنة؛ فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ كَأَنَّمَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ مَا مَنَّا مُتَكَلِّمٌ، إِذْ جَاءَ أَنَاسٌ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَمَا خَيْرٌ مَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ؟ قَالَ: (خُلُقٌ حَسَنٌ)<sup>(5)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟) قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: (أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقًا)<sup>(6)</sup>.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضِّعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ،

(1) سورة النحل، آية 53.

(2) سورة الحجر، آية 88.

(3) أخرجه: مسلم، صحيحه (2865) (2197/4).

(4) سورة آل عمران، آية 159.

(5) صحيح، أخرجه: ابن ماجه، سننه (3436) (1137/2).

(6) صحيح لغيره، أخرجه: أحمد، مسنده (9235) (129/15)، ابن حبان، صحيحه (484) (234/2).



وَأَنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ<sup>(1)</sup>.

### 3. رفق الداعية:

إن الرفق والسهولة من أخط الأفعال تأثيراً في القلوب، واجتذابها نحو الداعية الرفيق، وانسراحها لقبول دعوته، والصدور عنه فيما يقول، فاحرص أيها الكريم أن يكون حظك من الرفق وافراً، حتى ينتفع الناس بوعظك، ويستجيبوا لنصحك، ويزيد بذلك فضلك وخيرك، واستعن في تحقيق الرفق بالله، واسأله الإعانة والتوفيق؛ فإنه صاحب الفضل والمنة، قَالَ تَعَالَى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)<sup>(2)</sup>.

أَي: بِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَلِلَّذِينَ تَوَلَّوْا عَنْكَ حِينَ عَادُوا إِلَيْكَ بَعْدَ الْإِنهَارِ، وَمَا كَانَ لَكَ أَنْ تُدْرِكَ هَذَا اللَّيْلَ الْخَارِقَ، رَغْمَ مَا قَامَ مِنْهُمْ مِنْ أَسْبَابِ الْإِسْتِغْرَارِ وَالْعَصَبِ الْمَوْجِبِ لِلْغَنَفِ وَالشَّدَّةِ؛ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةُ الَّتِي غَشَاكَ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا﴾ سَيَّى الْخُلُقِ، حَشِنَ الْكَلَامِ ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ قَاسِيَهُ وَشَدِيدَهُ ﴿لَانْفَضُّوا﴾ أَي: تَفَرَّقُوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ﴾ فَلَمْ يَسْكُنُوا إِلَيْكَ فَلَا تَبِمَّ دَعْوَتِكَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ سَهْلًا سَمْحًا طَلْقًا لَيْنًا لَطِيفًا بَارَأَ رُؤُوفًا رَحِيمًا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ فِيمَا قَرَّطُوا فِي حَقِّكَ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ إِتِمَامًا لِلشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ تَوَدُّدًا إِلَيْهِمْ، وَتَطْيِيبًا لِنُفُوسِهِمْ، وَاسْتِظْهَارًا بِأَرَائِهِمْ، وَتَمْهِيدًا لِسُنَّةِ الْمُشَاوَرَةِ فِي الْأَمَّةِ<sup>(3)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)<sup>(4)</sup>.

### 4. قوة حجة الداعية في الخطاب:

إن قوة الحجة، وسبك العبارة، ورسالة الأسلوب، وسلامة العبارة من اللحن، والاستعانة بالآية والخبر، والقصص الهادف؛ يسحر القلوب، ويشدها إلى الداعي، ويطوعها إلى مراده، يرشد إلى ذلك قوله تعالى إخباراً عن كلمته موسى: (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ)<sup>(5)</sup>؛ فِيهِ دَلَالَةٌ ظَاهِرَةٌ أَنَّ فَصَاحَةَ اللِّسَانِ، وَبَلَغَةَ الْعِبَارَةِ؛ أَشَدُّ تَأْثِيرًا فِي الْمَدْعُوِّ مِنَ اللِّسَانِ الْكَلِيلِ، وَالتَّعْبِيرِ السَّقِيمِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَحَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَّ مِنَ النَّبِيَانِ لَسِحْرًا)<sup>(6)</sup>.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: "أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَابْنَ عَبَّاسٍ كَانَا يَضْرِبَانِ أَوْلَادَهُمَا عَلَى اللَّحْنِ"<sup>(7)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ شُبْرَمَةَ قَالَ: "مَا عَبَّرَ الرَّجَالَ بِعِبَارَةٍ أَرْقَى مِنَ الْعَرَبِيَّةِ"<sup>(8)</sup>.

<sup>1</sup> (1) صحيح، أخرجه: الترمذي، سننه(2003)(363/4).

<sup>2</sup> (2) سورة آل عمران، آية 159.

<sup>3</sup> (3) القاسمي، محاسن التأويل (447/2) .

<sup>4</sup> (4) مسلم، صحيحه (2594)(2004/4).

<sup>5</sup> (5) سورة القصص، آية 34.

<sup>6</sup> (6) البخاري، صحيحه(5146)(19/7).

<sup>7</sup> (7) البيهقي، شعب الإيمان(1680) (258/2)، الخطيب البغدادي/الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (1082).

<sup>8</sup> (8) البيهقي، شعب الإيمان (1687) (259/2) .

##### 5. تخول الداعية الناس بالموعظة:

على الداعي أن يتخول الناس بالموعظة ويتجنب الإطالة؛ لنلا يؤدي إلى السامة والملل، ويبقى المسلمون منه على شوق، فيحكموا سماعه، ويتقنوا امتثاله؛ فإنه أظهر في تعظيم الله وشرعه في القلوب؛ فعن عبد الله ﷺ قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا)<sup>(1)</sup>.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أن رسول الله ﷺ قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا)<sup>(2)</sup>.

وعن شقيق قال: "كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ حَمِيسٍ؛ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ: لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَيُّ أَكْرَهٍ أَنْ أَمْلِكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا"<sup>(3)</sup>.

قوله: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا..): أي: كان يراعي الأوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم؛ لنلا نمل. وفي الأثر استحباب ترك المداومة كثرة في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يوماً بعد يوم، فيكون يوم الترك؛ لأجل الراحة، وليقبل على الثاني بنشاط، وإما يوماً في الجمعة، والصواب أنه يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وضابطه الحاجة مع مراعاة وجود النشاط<sup>(4)</sup>.

##### 6. خطاب الناس بما تطيقه عقولهم:

من آداب الداعي أن يهون الأسلوب، حتى تعقله العقول والقلوب، وأن يراعي قدرة السامعين على الفهم حتى يطيقوه، وأن يتدرج معهم في فوائد العلم، ويبدأهم بالأهم قبل المهم؛ فعن عليّ ﷺ قال: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكْذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"<sup>(5)</sup>.

قوله: (حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ) أي: بما يفهمونه وتدرکه عقولهم، ويخرج به: تحديثهم بما يشتهه عليهم فهمه.

وقوله: (أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكْذَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)؛ لأن السامع إذا لم يفهم الحكم أو المسألة ربما اعتقد استحالته جهلاً، فلا يصدق وجوده، فيلزم منه تكذيبه.

وعن ابن عباس قال: "أَمَرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ"<sup>(6)</sup>.

وعن عائشة أنها قالت: "أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُنَزِّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ"<sup>(7)</sup>.

(1) البخاري، صحيحه (6411)(8/8)، مسلم/صحيحه(2821)(4/2173).

(2) صحيح، ابن ماجه، سننه(4241)(2/1417).

(3) البخاري، صحيحه(70)(1/25)، مسلم، صحيحه(2821)(4/2173).

(4) ابن حجر، فتح الباري (1/162-163).

(5) البخاري، صحيحه(127)(1/37).

(6) ضعيف، الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب(1611)(1/398).

(7) حسن، أبو داود، سننه(4842)(7/210)، وذكره: مسلم معقلاً، مقدمه صحيحه(1/6).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ غُفُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ"<sup>(1)</sup>؛  
لِأَنَّ الْغُفُولَ لَا تَحْتَمِلُ إِلَّا قَدْرَ طَاقَتِهَا، فَإِنْ زِيدَ عَلَى الْعَقْلِ فَوْقَ مَا يَحْتَمِلُهُ؛ اسْتَحَالَ الْحَالُ مِنَ الصَّلَاحِ إِلَى  
الْفَسَادِ، فَوَاجِبٌ عَلَى الْحَكِيمِ وَالْعَالِمِ النِّحْرِيْرِ الْإِفْتِدَاءُ بِالْمُصْطَفَى صلى الله عليه وآله فِي قَوْلِهِ: (أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)<sup>(2)</sup>.

#### 7. تجمل الداعية وحسن هيئته:

إن التحسن والتزين للعبادة من تعظيم المعبود سبحانه؛ فإنه أحق من تجمل له، وحسن هيئة الداعية أَرْضَى  
للمدعوين، وأسعد لهم، وبه أمر الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وآله؛ قَالَ تَعَالَى: (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)<sup>(3)</sup>.  
أي: البسوا أحسن ثيابكم، وأكمل زينتكم في ستر عوراتكم، إذا قصدتم عبادة ربكم: من صلاة، وطواف،  
وتلاوة قرآن، وذكر لله.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه مَرْفُوعًا: (مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبَيْ مَهْنَتِهِ؟)<sup>(4)</sup>.  
وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: (الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيْضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفَّنُوا فِيهَا  
مَوْتَاكُمْ)<sup>(5)</sup>.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: "أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَنْظُرَ الْقَارِيَّ أَبْيَضَ الثِّيَابِ"<sup>(6)</sup>.  
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: وَأَحَبُّ لِلْإِمَامِ مِنْ حُسْنِ الْهَيْئَةِ مَا أَحَبُّ لِلنَّاسِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ"<sup>(7)</sup>.

(1) مسلم، صحيحه (5)(11/1) .

(2) ضعيف، أبو داود، سننه (4842)(4/261).

(3) سورة الأعراف، آية 31.

(4) صحيح، أبو داود، سننه (1078)(1/282 - 283).

(5) صحيح، أحمد، مسنده (3035)(5/161).

(6) منقطع، مالك، الموطأ (1621) (2/911).

(7) الشافعي، الأم (1/226).

### المطلب الثالث: أثر الدعوة في قبول الخطاب الديني.

للدعوة آداب إذا تحققت كانت أسرع قبولاً عند السامع، وأشد انتشاراً في أوساط إذاعتها، وأكثر انتفاعاً بفوائدها،  
وهناك أهمها:

#### 1. وحدة الموضوع والتأصيل المناسب:

قال الشيخ الغزالي: "يحسن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد، واضح غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا، فإن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يشتت الأذهان ويتنقل بالسامعين في أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عبارته بليغة، ومهما كان مسترسلاً متدفقاً؛ فإنه لن ينجح في تكوين صورة واضحة الملامح لتعاليم الإسلام.

والوضوح أساس لا بد منه في التربية، والتعميم والغموض لا ينتهيان بشيء طائل، وخطبة الجمعة ليست درساً نظرياً بقدر ما هي حقيقة تشرح وتغرس.

وعناصر الخطبة يجب أن يسلم أحدها إلى الآخر في تسلسل منطقي مقبول، كما تسلم درجة السلم إلى ما بعدها دون عناء، بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء كلمته كان السامعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بلوغها، وعليه أن ينتقي من النصوص والآثار ما يمهّد طريقه إلى هذه الغاية"<sup>(1)</sup>.

#### وقد ذكر اللويحق ضوابط الخطبة فقال:

أولاً: وحدة الموضوع: إن مما يساعد على الفهم لما يقال في خطبة الجمعة توحيد الفكرة التي يدور عليها موضوع الخطبة إذ من الملاحظ الظاهرة: أن بعض الخطباء يجعلون الخطبة مسحاً لجملة من الموضوعات، وهذا خطأ إلا في المناسبات العامة التي يراد فيها التذكير كالأعياد، وخطبة عرفة ونحوها، وتعدد موضوعات الخطبة والاستطرادات الكثيرة فيها بالخروج من موضوع إلى موضوع له عدة مساوي من ضمنها:

أ. تشتيت ذهن السامع وجعله في حيرة من أمره، فلا يستطيع التركيز في الفهم فيخرج بدون فائدة واضحة قيمة مما سمع.

ب. ازدحام الموضوعات في ذهن السامع، وكثرتها بحيث ينسي بعضها بعضاً.

ج. أن من شأن الخطبة التي تعالج فيها موضوعات عدة أن تكون المعالجة لما يطرح فيها معالجةً سطحيةً مسحيةً عاجلة لا تضع كما يقال (النقاط على الحروف) فتوجد إشكالات في ذهن السامع لا يجد إجابة لها بعكس التركيز على فكرة أو موضوع، فمن شأن ذلك أن يجعل الخطيب يوفي الموضوع حقه.

ثانياً: ترابط أجزاء الخطبة: إن تنافر جزئيات الخطبة ينفر السامع، وترابطها يربط على قلب السامع وعقله فيتحقق له الفن، ومما يحقق ذلك الترابط ما يلي:

أ. أن يقسم الخطيب الخطبة بشكل منظم، فإذا طرح القضية التي لها جوانب عدة فصلها بحسب تلك الجوانب ورقمها، فيقول: الجانب الأول... الجانب الثاني... وهلم جراً.

وإذا استدلت بجملة أدلة رقمها، فقال: الدليل الأول... الدليل الثاني... .

ب. أن تكون الخطبة متسلسلةً تسلسلاً علمياً يسهل على الناس الفهم، فإذا تكلم الخطيب عن ظاهرة اجتماعية شخّصها قبل بيان الحكم لا أن يبين الحرمة قبل بيان المحرم.

(1) عبدالله الرحيلي، أسلوب خطبة الجمعة (ص14) نقلاً عن (توجيهات للدعاة) محمد الغزالي، ضمن بحوث مؤتمر رسالة المسجد (ص 551 - 555).

ج. أن ينتقل من الحقائق المعلومة عن الجميع إلى ما يريد الحديث عنه، ولا يطيل الوقوف عند ما يتفق عليه الناس، فإذا تكلم عن الموت فإنه لا يحتاج إلى مزيد كلام حول أن الموت واقع لا محالة، ولكنه يحتاج إلى حث الناس على العمل لما بعد الموت، فتذكيرهم به إنما هو من أجل الحث على العمل.  
د. أن يجعل الموضوع الطويل مقسماً على جمع متعددة ليعالج الموضوع من جميع جوانبه، ولا يكون ذلك إلا للموضوعات التي لا بد من علاج جميع جوانبها والتي تكتسب أهمية خاصة<sup>(1)</sup>.

## 2. صلة الموضوع بأحداث الواقع:

على الداعية أن يكون خطابه لصيقاً بالواقع، مناسباً للحدث، مصوباً للخطأ، كاشفاً للخطر، مثوراً للعزائم، مستتهضاً للهمم، بحسب ما تقتضيه مصالح الأمة؛ متأسياً في ذلك بهدي النبي ﷺ الذي كان خطابه بياناً لحكم جديد، أو تذكيراً بواجب، أو تحريضاً على جهاد، أو استظهاراً لهمة في عبادة، أو ترغيباً في مواساة، أو علاجاً لخطأ، أو تحذيراً من شر.

قال ابن القيم: وكان النبي ﷺ يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها<sup>(2)</sup>.

وقال: "وكان ﷺ يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم"<sup>(3)</sup>.

وقال: "ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب ﷻ، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها"<sup>(4)</sup>.

وقال محمد أبو زهرة: مراعاة مقتضى الحال لب الخطابة وروحها؛ فلكل مقام مقال، ولكل جماعة من الناس لسان تخاطب به، فالجماعة الثائرة الهائجة تخاطب بعبارات هادئة؛ لتكون برداً وسلاماً على القلوب.

والجماعة الخنسة الفاترة تخاطب بعبارات مثيرة للحمية، موقظة للهمم، حافزة للعزائم، والجماعة التي شطت وركبت رأسها، تخاطب بعبارات فيها قوة العزم، ونور الحق، فيها إرعادة المنذر، ويقظة المنقذ، واعتزامة الأيد القوي، وفيها روح الرحمة، وحسن الإيثار؛ ليجتمع الترهيب مع الترغيب، ومع سيف النعمة ربحان الرحمة، لذلك وجب أن يكون الخطيب قادراً على إدراك الجماعة وما تقتضيه، والإتيان بالأسلوب الذي يلائمه<sup>(5)</sup>.

(1) عبد الرحمن اللويحي، موضوعات خطبة الجمعة (ص 62-65) بتصرف.

(2) ابن القيم، زاد المعاد (1/413).

(3) ابن القيم، زاد المعاد (1/181).

(4) ابن القيم، زاد المعاد (1/410).

(5) أبو زهرة، الخطابة (ص56).

### 3. قصر الخطبة ووضوح الفكرة:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: (كُنْتُ أَصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الصَّلَاةَ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قُضَا، وَخُطْبَتُهُ قُضَا)<sup>(1)</sup>.  
قَالَ النَّوَوِيُّ: أَيُّ بَيْنِ الطُّولِ الطَّاهِرِ وَالتَّخْفِيفِ الْمَاجِحِ<sup>(2)</sup>.  
وَعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يُطِيلُ الْمُوعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ<sup>(3)</sup>.  
قَوْلُهُ: (لَا يُطِيلُ الْمُوعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) يَعْنِي الْخُطْبَةَ، وَقَوْلُهُ: (إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ) أَيُّ: يَسِيرَاتٌ فِي عَدَدِ اللَّفْظِ، لَكِنَّهُنَّ وَاضِحَاتِ الْمَعْنَى، جَامِعَاتِ الْفَائِدَةِ، وَفِي وَصْفِ أُمِّ مَعْبِدِ الْخُرَاعِيَّةِ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَتْ: (...حُلُوُ الْمُنْطِقِ فَضْلًا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَنْزٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ حَزْرَاتٌ نَظْمٌ، يَتَحَدَّرْنَ...)<sup>(4)</sup>.  
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: وَأُجِبُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ قُضَا بَلِيغًا جَامِعًا<sup>(5)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ: وَقَدْ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى مَدْحِ الْإِيجَازِ وَالْإِتْيَانِ بِالْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْبَسِيطَةِ وَعَلَى مَدْحِ الْإِطْنَابِ فِي مَقَامِ الْخُطَابَةِ بِحَسَبِ الْمَقَامِ<sup>(6)</sup>.

### 4. توجيه الخطاب نحو وحدة الأمة على الحق:

الدعاة هم أبصر الناس بأهمية اجتماع الأمة وتحقيق وحدتها، وأن هذا مكون من أهم مكونات الدولة الفتية، وأنه أنجح للمقصود النبيل، وأرغم وأغبط للكافر الحقير، وبالاجتماع نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قَالَ تَعَالَى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)<sup>(7)</sup>.  
بُعِثَ النَّبِيُّ أَصْلًا ثَابِتًا، وَخَيْرُهُ مَنْتَشِرٌ فِي كُلِّ مِيدَانٍ، وَقَامَ الصَّحَابَةُ مِنْ حَوْلِهِ شَطْطًا مَبَارَكًا، فَقَوِيَ الْكَيَانُ، وَاشْتَدَّ عِمَادُهُ، وَقَامَ صِرْحًا عَالِيًا يَعْجِبُ كُلَّ مُؤْمِنٍ، وَيَغِيظُ كُلَّ كَافِرٍ، وَهَمَّ عَلَى وَعْدٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَغْفِرَةِ لِلذَّنْبِ الَّذِي كَانَ، وَبِاجْوَرِ عَظِيمَةٍ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ.  
وَبِالْوَحْدَةِ وَالْاجْتِمَاعِ أُمُورًا، قَالَ تَعَالَى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)<sup>(8)</sup>.  
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا) قَالَ: "الْجَمَاعَةُ"<sup>(9)</sup>.  
وَقَالَ تَعَالَى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)<sup>(10)</sup>.  
الآية أمر بطاعة الله ورسوله، ومن الطاعة: ترك التنازع بين المسلمين؛ لأنه يقود إلى الفشل، وذهاب أسباب القوة والنصر والتمكين، فاقتضت باللازم الأمر بالاجتماع، وحرص الصف، ووحدة الكلمة؛ لأن النهي عن الشيء أمر بضده.

(1) مسلم، صحيحه (866) (2/ 591).

(2) النووي، شرحه على مسلم (6/ 153).

(3) حسن، أبو داود، سننه (1107) (1/ 289).

(4) صحيح، الحاكم، المستدرک (4274) (3/ 10).

(5) الشافعي، الأم (1/ 230).

(6) ابن حجر، فتح الباري (10/ 238).

(7) سورة الفتح، آية 29.

(8) سورة آل عمران، آية 103.

(9) الطبري، جامع البيان (5/ 644).

(10) سورة الأنفال، آية 46.

وختمت الآية بالأمر بالصبر على أسباب الخلاف، وعدم التأثر بها في إحداث الفرقة والنزاع؛ لأن معية الله وتوفيقه وتأنيده حاصل للصابرين.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)<sup>(1)</sup>.

وَعَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)<sup>(2)</sup>.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالنَّبْتِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)<sup>(3)</sup>، وَكِلَاهُمَا خَبْرٌ قُصِدَ مِنْهُ الطَّلَبُ.

**والمعنى:** يجب على الأمة أن تكون على وداد ومحبة، وألفة واجتماع، كأنها الجسد الواحد، في تضامنه وتراحمه أو الصرح العالي المتين في رصه واجتماعه.

(1) مسلم، صحيحه (1715)(1340/3).

(2) مسلم، صحيحه (2586)(20/8).

(3) البخاري، صحيحه (2446)(3/129)، مسلم، صحيحه (2585)(4/1999).

## الخاتمة

وتضمنت أهم النتائج، إليك بيانها:

1. يمكن تعريف الوسطية بأنها: الاعتدال والقصد في تحقيق شريعة الله تعالى فهماً وسلوكاً.
2. للوسطية ألفاظ ذات صلة، منها: الاستقامة، والخيرية، والعدل، والقوامة؛ ولها ألفاظ ذات صلة تقابلها في المعنى، مثل: الغلو، والإفراط، والتفريط.
3. الإسلام دين الوسطية، وهذا واضح في كل أحكامه، إن كانت في العقائد والتشريعات، أو في العبادات والشعائر، أو في المعاملات، أو في الأخلاق والسلوك، أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو في غيرها من أحكام الدين.
4. للوسطية أثر واضح في قبول الخطاب الديني، فهي سمة الإسلام الرائدة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأمثلتها في الوحيين لا حصر لها إن كان في باب السياسة والحكم، أو في باب الجهاد والشوكة، أو في باب الاقتصاد والنعمة، أو في باب الاجتماع والأخلاق، أو في باب العبادة وحق الله على عباده، أو في غيرها من أبواب الشريعة الغراء.
5. للداعية أثر في قبول الخطاب الديني، وعليه أن يتخلق بآداب، أهمها: التواضع، وحسن الخلق، والرفق، وقوة الحجّة، وتخول الناس بالموعظة، وخطاب الناس بما تطيقه عقولهم، وتجمله وحسن هيئته، وغيرها .
6. للدعوة الطيبة اللينة أثر في قبول الخطاب الديني، ولها آداب إذا تحققت كانت الدعوة أسرع قبولاً عند السامعين؛ منها: وحدة الموضوع والتأصيل المناسب له، صلة الموضوع بأحداث الواقع، قصر الخطبة ووضوح فكرتها، توجيه الخطاب نحو وحدة الأمة على الحق، وغيرها.



## فهرس المراجع

1. القرآن الكريم.
2. ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
3. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت.
4. ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.
5. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية.
6. ابن حنبل، أحمد، المسند، مؤسسة الرسالة.
7. ابن فارس، أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر.
8. ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية.
9. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
10. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
11. اياد العجيلي، وسطية الإسلام ونبذها للغلو والتطرف، بحث تقييمي.
12. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول ﷺ وسننه وأيامه (صحيحه)، دار طوق النجاة.
13. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، مكتبة الرشد.
14. الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي (سننه)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
15. الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية.
16. الديلمي، شبرويه بن شهردار، الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية.
17. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم.
18. الرحيلي، عبدالله الرحيلي، أسلوب خطبة الجمعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية.
19. الزبيدي، محمد بن محمد، تاج العروس، دار الهداية.
20. زيد عبدالكريم الزيد، الوسطية في الإسلام، دار العاصمة.
21. سليمان إبراهيم اللاحم، تنوير العقول والأفهام في تفسير آيات الأحكام، دار العاصمة.
22. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق.
23. الشافعي، محمد بن ادريس، الأم، دار المعرفة.
24. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، دار ابن كثير.
25. شوكت محمد عليان، الوسطية في الإسلام طريق لأمن المجتمعات، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
26. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، مؤسسة الرسالة.
27. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، بلوغ الآمال في تحقيق الوسطية والاعتدال، مدار الوطن للنشر.
28. عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، مؤسسة الرسالة.
29. عبدالله بن عبدالعزيز اليحيى، الوسطية الطريق إلى الغد، كنوز اشبيليا.
30. العراقي، زين الدين عبدالرحيم بن حسين، طرح التثريب في شرح التقريب، دار إحياء التراث.
31. علي الصلابي، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة.
32. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، محاسن التأويل، دار الكتب العلمية.
33. مالك بن أنس، الموطأ، دار إحياء التراث.

34. محمد بن أحمد مكي، المعين على تدبير الكتاب المبين، دار النوادر.
35. المراغي، أحمد بن مصطفى، تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
36. ناصر بن سليمان العمر، الوسطية في ضوء القرآن الكريم، طبعة وزارة الأوقاف السعودية.
37. نجبة غلام نبي، وسطية الإسلام في العبادات والعلاقات الاجتماعية، بحث مقدم جامعة أم القرى.
38. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
39. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
40. يوسف القرضاوي، كلمات في الوسطية الإسلامية ومعالمها، دار الشروق.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## آثار انتقال الخطاب الديني إلى الفضاء العام عبر مواقع التواصل الاجتماعي

إعداد

- د. حنان رقاد، أستاذ محاضر، قسم الاعلام والاتصال، جامعة المسيلة، الجزائر.  
د. ابتسام حمديني، أستاذ مساعد، قسم الاعلام والاتصال، جامعة المسيلة، الجزائر.  
د. محمد السباعي، أستاذ محاضر، قسم الاعلام والاتصال، جامعة أحمد درارية أدرار، الجزائر.

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

### مقدمة:

يشير علماء الاتصال أن نص الرسالة هو العنصر الأساسي الذي تنتقل بواسطته الأفكار والدعاوي إلى الجمهور، وبهذا المضمون يتحقق الهدف من الاتصال، ويتضمن إعداد هذا النص ضرورة اتخاذ قرار هام يتعلق الأمر باختيار الوسيلة المناسبة، وهو الأمر ذاته الواقع على الخطاب الديني، فحينما نعمل على إيصال معاني الإيمان إلى ملايين المسلمين وغير المسلمين، وإلى حمل رسالة الإسلام لسائر أطراف الدنيا، فنحن في حاجة إلى أن تكون لغة الخطاب الديني قادرة على التأثير وعلى نقل جوهر الإسلام بوضوح وبصورة تتوافق ومستويات الجمهور المختلفة، كما نحن بحاجة إلى اختيار العديد من الوسائل الاتصالية التي من شأنها العمل على نشر هذا الخطاب وإيصاله إلى مختلف الجماهير<sup>1</sup>.

لقد شهد العصر الحديث تقدماً ملحوظاً في وسائل الاتصال عامة والديني خاصة، فقد تعددت الوسائل الدعوية، فلم يعد المسجد فقط أو الشريط الإسلامي أو الكتب والكتيبات هي الوسائل الدعوية إلى الله، بل تطورت الوسائل وتعددت في زمن الفضاء المفتوح والقرية الصغيرة، سواء من حيث الوقت أو من حيث مدى فاعليتها أو قلة تكاليفها وسهولة استخدامها، ولقد أدى ذلك التقدم إلى زيادة عدد هذه الوسائل، وأصبح لكل منها الخصائص التي تميزها عن غيرها من الوسائل، وبالتالي اختلاف القدرات الإقناعية للتأثير ومجالات الاستخدام، وبالتالي وجب توظيفها في نشر وتطوير الخطاب الديني الإسلامي، والتي تتعدى أهميتها مجرد وجودها ومعرفة مسمياتها إلى أهمية وضع منهجية لاستخدامها وتوظيفها في الخطاب الديني الإسلامي، والإمام الكامل بقدرتها، والإجادة التامة لتوظيفاتها ومهارات استخدامها بفاعلية، وهذا على اعتبار أن الداعية إلى الله من خلال خطابه لا ينبغي له بحال من الأحوال أن يفصل عن هذا التقدم الحادث في وسائل الدعوة، بل عليه أن يستفيد من هذه التقنيات الحديثة، ومن أهم هذه الوسائل: وسائل الاتصال الإلكتروني التفاعلي وعلى رأسها مواقع التواصل الاجتماعي.

### الإشكالية:

يلعب الخطاب الديني دوراً أساسياً في إيصال الأفكار إلى المخاطبين، ووسيلة لإقناعهم بها، باعتبار أن الدين يحتل مكانة هامة في حياة الفرد والمجتمع من جهة وتبعاً لما يخزنه من عوامل قوة تؤثر فيهم من جهة أخرى، والدليل هو الحيز العام الذي يشغله الخطاب الديني في مختلف الأبحاث والدراسات وذلك على اختلافها وتعددتها، ولعل ذلك راجع إلى ما يطرحه الخطاب الديني من انشغالات وتحديات وما يثيره من تساؤلات في مجمل الحياة الإنسانية .

إن العالم أصبح اليوم يعيش فعلاً تحت تأثير الدين، بل إن كل مجتمع أصبح يتحكم فيه الدين، ويكفي تتبع أخبار وسائل الإعلام نجد أن الأحداث كلها متأثرة بالدين، والمتأمل للحقل الديني ممثلاً بخطابه في العقود الأخيرة يجد أنه يشهد مجموعة من التحولات والتغيرات والانتقالات التي مست بشكل مباشر مجموعة من العناصر المكونة لهذا الخطاب من حيث الشكل والمضمون والوسيلة، ولعل أبرز هذه التحولات ذلك التغيير الذي طال مسألة إنتاج وإعادة إنتاج وتسويق المعارف والممارسات والمعتقدات والأفكار الدينية نتيجة لظهور وسائل الاتصال الحديثة ممثلة بمواقع التواصل الاجتماعي، فبمجرد ظهور هذه الوسائل، وبالنظر إلى الصفات الفريدة التي تتميز بها كالتفاعلية والتزامنية والسرعة.... أصبحت تعتبر من أهم الأدوات الحديثة التي يستخدمها

<sup>1</sup> - محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص253.

الفرد في الاعلام والتواصل وبث القضايا والأحداث والمعلومات... الأمر الذي جعل الكثير من المؤسسات الدينية وحتى النخب ممن يعتبرون مصدرا للخطاب الديني يستغلون هذه المواقع بمختلف أنواعها، بل تجاوز استخدامها ليشمل شرائح اجتماعية مختلفة (انتقال الخطاب الديني الى الفضاء العام ) ،تتنوع وتتفاوت من حيث الفهم و الوعي ،مأسفر عن ظهور خطابات دينية متنوعة .

لقد حظر الدين في الاونة الأخيرة على مختلف مواقع التواصل الاجتماعي ،من خلال ظهور أصناف عديدة للخطاب الديني ،وبإشراف جهات وطوائف متنوعة ،وأسهمت كل الأديان من خلال خطابها في إنشاء صفحات ومواقع لها لإبراز رسالتها والدعوة إلى عقيدتها حسب مختلف تصوراتها الفكرية ،وحتى الرد على مخالفيها ،الأمر الذي نتج عنه فعلا انتقال الخطاب الديني الى الفضاء العام ،مما خلف اثارا عديدة بعضها مست جوهر الخطاب في حد ذاته بكل مكوناته،وبعضها الاخر تعلق بالجمهور .

بناءا على ماسبق ،سنحاول الوقوف على أهم هذه الآثار الناتجة عن انتقال الخطاب الديني إلى الفضاء العام عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي.

## 1-تعريف الخطاب الديني:

### 1\_1-الخطاب لغة:

للخطاب معان كثيرة متميزة فهو مصطلح قديم وجديد في نفس الوقت، حيث تحدث الفلاسفة قديما عن الخطابة، كما اهتم به علماء اللغة، ونجد لمصطلح الخطاب في الحضارة الإسلامية والفكر العربي ظهورا مميزا واهتماما بالغا، سواء عند المتقدمين أو المتأخرين وإن كان المصطلح الشائع حينها الخطابة والتي يقصد بها عموما جودة الإقناع، ذلك أن موضوع الخطابة" إنما هو الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو حدهم عنه".<sup>1</sup> وجاء في لسان العرب الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاب فهما يتخاطبان وفصل الخطاب أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، ويقال خاطب الناس، وجّه إليهم خطابا شفهيًا أو مكتوبًا، ومنه الخطب أي الأمر الشديد سمي بذلك لكثرة التخاطب فيه ومنه الخطبة التي يراد بها إقناع جمع من الناس.<sup>2</sup>

وعموما فمادة خطب تقيّد في جميع اشتقاقاتها توجيه الكلام إلى الغير لإقناعه بأمر ما فالخطاب هو الكلام الذي يقصد به الإقناع.

### 1\_2-الخطاب اصطلاحا:

يعرف الخطاب اصطلاحا بأنه" كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب ،ويقتض في التأثير على السامع أو القارئ ،مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها".<sup>3</sup> ويعرف أيضا بكونه:" كلاما أو رسالة سواء أكان نصا مكتوبا أو كلاما منطوقا ،وهو رسالة تنطوي على هدف ودلالة، فلا يعد الخطاب قولاً أو كلاما مرسلا وإنما هو كلام له نظامه الخاص، وغير منفصل عن السياق التاريخي الذي يظهر فيه".<sup>4</sup>

1 - جيرار جيهامي، سلسلة موضوعات المصطلحات العربية و الإسلامية، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1998، ص301.

2 - جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، دس ، ص 361 .

3- أحمد عبد الطيار، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، حولية كلية أصول الدين، القاهرة، ع22، 2005، مج3، ص12.

4 - أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، دط، دار القراءة للجميع، دبي، الإمارات العربية المتحدة،

وعليه فإن الخطاب يعد تعبيراً عن إيديولوجية الأفراد و الجماعات، باعتبار أن الإيديولوجية مجموعة منظمة ومترابطة من الأفكار والأحكام والمعتقدات الخاصة بفئة أو جماعة في نظرتها للواقع، ويشير مصطلح الخطاب Discour بشكل عام إلى نظام فكري يحتوي على منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية التي تتناول جانباً معيناً من الواقع الاجتماعي بهدف امتلاكه فكرياً، فالخطاب هو الوعاء المعبر عن العقيدة والفلسفة والمذهب، ويتنوع الخطاب حسب مضمونه فنجد الخطاب السياسي، والخطاب الثقافي، والخطاب الفكري، و الخطاب الديني.

### 1\_3- الخطاب الديني:

بعد ما عرضناه عن مفهوم الخطاب عامة نعرض فيما يأتي بعض التعاريف المتعلقة بالخطاب الديني (الإسلامي):  
- الخطاب الديني هو كل ما تقدمه دور التربية والتعليم سواء في مناهجها الرسمية أو أنشطتها غير الصفية، وما ينتجه العاملون في ميدان الدعوة والتوجيه الديني الرسمية وغير الرسمية من ثقافة دينية تطرح بوسائل متنوعة.<sup>1</sup>  
- وعرفه الطيب برغوث بقوله: "الخطاب الإسلامي هو مجمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية من وسائل أساليب ومناهج و مواقف، المحبذة و المستخدمة في العمليات التعبيرية المخططة أو العفوية، الرسمية أو الشعبية الفردية أو الجماعية،" الهادفة إلى نصرته الإسلام كمنهج وكتاريخ وكحضارة وك مستقبل والتمكين له في الواقع الإسلامي أولاً و الواقع الإنساني ثانياً.<sup>2</sup>

- ويعتبر محمد منير حجاب مصطلح الخطاب الديني مرادفاً لمصطلح الدعوة الإسلامية فيعرفه بقوله: "مجموعة الطرق أو القواعد أو الإجراءات التي تحدد السبل المثلى لممارسة الدعوة الإسلامية والضوابط الخاصة بكل عنصر من عناصر عملية الاتصال الدعوي لضمان تحقيق الدعوة لأهدافها، بما يساعد على الوصول إلى الحق وتحقيق الفهم السليم للإسلام و مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية."<sup>3</sup>

- ويرى سيد قطب أن الإسلام والخطاب الإسلامي يتصلان ولا يتساوقان فالإسلام واحد يتجسد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والخطاب الإسلامي متعدد ومتباين لأنه يعكس تفسيرات متعددة ومتباينة، لهذه النصوص تعبيراً عن تباين مواقف و مواقع ومطامح فئات اجتماعية تتخذ من تأويلها للقرآن الكريم والسنة النبوية متكناً لمشروعيتها وحاملاً لقيمتها وسندا لممارستها، ومنه فأياً كان مفهومه فإن مجمل ما يمكن أن يطلق عليه الخطاب الإسلامي يتكون من مكونين هما:

- المكون الشرعي ونعني البيان الشرعي الذي جاء به الوحي الإلهي قرآناً و سنة ثابتة.  
- المكون البشري ويتعلق بما فهمه واستنبطه البشر من البيان الشرعي فقها كان أو أدباً أو علماً.<sup>4</sup>  
- ويرى محمد الفران أن الخطاب الديني: "هو كل بيان باسم الدين يوجه للناس كافة، وسواء أكان هذا الخطاب في صورة خطبة أو محاضرة أو رسالة أو مقال أو كتاب أو مسرحية أو، عمل درامي على اختلاف أنواعه وأشكاله الفنية لأن الخطاب الديني لا ينبغي أن نحصره في جنس تعبيره دون غيره..."<sup>5</sup>

1992، ص 24 .

1 - عبد القادر طاش، خطابنا الديني مراجعة مشروعة ونقد ذاتي مطلوب، موقع مئات المقالات المتنوعة والعريقة ،

<https://groups.yahoo.com> ، يوم الزيارة 2 مارس 2015.

2 - الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر و موقف المسلمين منه ط1، دار الامتياز، قالمة، الجزائر، 1990، ص11.

3 - محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2004، ص24.

4 - سيد قطب، الخطاب و الإيديولوجية، دط، دار قرطبة للنشر، الجزائر، 1991، ص

5 - محمد الفران، مظاهر التجديد في الخطاب الديني المعاصر، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب،

و يعتبر إبراهيم النويري أن الخطاب الإسلامي: "مصطلح من المصطلحات المركبة وهو يعني وقف الدلالة العامة الوسيلة التي يخاطب بها المسلمون من حولهم بما في ذلك بطبيعة الحال محيطهم وبيئتهم الخاصة كما يعني المنهاج الذي يصوغون من خلاله أفكارهم وآراءهم ومواقفهم التي يريدون إيصالها وتبليغها الى القطاع الأوسع من الرأي العام العالمي والى كل من يتلقى مضامين هذا الخطاب"<sup>1</sup>

ومن خلال ما عرض في التعريف اللغوي و الاصطلاحي لكلمة خطاب بجميع اشتقاقاتها نلاحظ:

- ميزت جل التعريفات بين البيان الشرعي الذي جاء به الوحي الإلهي من قران او سنة صحيحة وهو أصل الخطاب الإسلامي و مرجعه الأساس، وبين فهم البشر و استنباطاتهم من المكون الشرعي ومحاولاتهم إيصال هذا الفهم للآخرين وهو المقصود بالخطاب الديني الإسلامي.

- اقتضاء الفعل خاطب للحوار و المشاركة بين طرفين أو أكثر وهو ما أكدت عليه التعريفات السابقة، وهو ما يلزم القائم على الخطاب الإسلامي بمراعاة طبيعة هذه العلاقة الثنائية.

- تعدد الآراء حول تعريف الخطاب الديني وصعوبة التوصل إلى تعريف محدد لهذا المصطلح، قد يعود أساسا لحدثه نسبيا في الأدبيات الإسلامية فمجالات البحث في هذا الموضوع لازالت في بدايتها

- و يمكن إجمالاً أن نقول مصطلح الخطاب الإسلامي أساسه فهم استنبطه العقل المسلم من الوحي ويسعى لإيصاله للآخرين من خلال استثمار جميع وسائل الاتصال المتاحة.

## 2- مواقع التواصل الاجتماعي:

### 1-1- تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:

تُعرّف شبكات التّواصل الاجتماعيّ ( Social Networks ) على أنّها مواقع إلكترونيّة مبنية على أسس مُعيّنة؛ تُمكن النّاس من التّعبير عن أنفسهم، والتّعرّف على أشخاص آخرين يُشاركونهم الاهتمامات نفسها، ويُمكن القول بأنّ شبكات التّواصل الاجتماعيّ هي عبارة عن مجتمعات افتراضيّة تُمكن مُستخدميها من مشاركة الأفكار والاهتمامات، بالإضافة إلى تكوين صداقات جديدة<sup>2</sup>.

ويعرف زاهر راضي مواقع التواصل الاجتماعي: "منظومة من الشبكات الإلكترونية التي تسمح للمشارك فيها بإنشاء موقع خاص به، و من ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها"<sup>3</sup>

تُعدّ مواقع الفيسبوك وتويتر وإنستغرام من أشهر شبكات التّواصل الاجتماعيّ المعروفة حاليّاً، والهدف من استخدام هذه المواقع وغيرها من شبكات التّواصل الاجتماعيّ هو ربط الناس ببعضهم بعضاً؛ خصوصاً من يرغبون في البقاء على اتّصال مع أصدقائهم وأقاربهم بسهولة، ومتابعة آخر الأخبار والأنشطة المُتعلّقة بهم.

تأتي شبكات التّواصل الاجتماعيّ بعدّة أشكال مثل: المُنتديات، والمُدونات، وغير ذلك، وقد كانت بداية شبكات التّواصل الاجتماعيّ في عام 1971م؛ حيث أُرسِلت فيه أولى الرّسائل عبر البريد الإلكترونيّ بين جهازين

2007، ص72.

1 - إبراهيم النويري، وقفة مع مصطلح الخطاب الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، ع532، ص 63.

2 - علي خليل شقرة، الاعلام الجديد: شبكات التواصل الاجتماعي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014، ص56.

3 - زاهر راضي، "استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي"، مجلة التربية، ع15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003، ص23.

حاسوبيين كانا موضوعين بمُحاذاة بعضهما، أما أول مواقع شبكات التّواصل الاجتماعيّ، فقد أنشئ عام 1994م باسم جيوسيتيز ( Geocities ) ، وقد أتاح للمستخدمين فرصة إنشاء مواقعهم الخاصّة وتصميمها، وفي عام 1997م أنشئت أولى وسائل التّراسل الفوريّ تحت اسم إيه أو إل بالإنجليزي ( AOL ) ، وهي تُشبه إلى حدّ كبير مواقع التّواصل الاجتماعيّ الحديثة، لأنّها أتاحت مشاركة المُستخدمين لمعلوماتهم الشخصية<sup>1</sup>.

## 2-2- مُميّزات مواقع التّواصل الاجتماعيّ:

تتصف مواقع التّواصل الاجتماعيّ بمجموعة من المميزات والخصائص التي تميزها عن غيرها من المواقع الأخرى؛ حيث اكتسبت مواقع التّواصل الاجتماعيّ هذه الخصائص والمميزات من السمات والمميزات الخاصة بتقنيات الجيل الثاني للويب عامة، وسمات وخصائص شبكات التّواصل الاجتماعيّ خاصة، فجعلت من المستخدم منتجاً للمحتوى ومعداً له، كما أتاحت له في الوقت نفسه المشاركة في المحتوى الذي أعده الآخرون، كما مكنت كل مستخدم من المساهمة بما يشاء من ملفات مصورة أو مكتوبة أو مبرمجة، وجعلت من صفحة كل مستخدم سبورة يكتب عليها ما يشاء، وما يكتبه على تلك الصفحة يشاهده الأصدقاء في الوقت نفسه، فعالم التّواصل الاجتماعيّ غير كثيراً في أسلوب التّواصل والمعرفة وطريقة عرضها، وجعل الإنسان في اجتماع مستمر وهو في غرفة منزله.

ومن أهم مميزات وخصائص مواقع التّواصل الاجتماعيّ في العناصر التالية<sup>2</sup>:

- 1- التمكن من مشاركة المصادر والموارد العلمية: حيث يتم نشرها بسهولة على مواقع التّواصل الاجتماعيّ المتنوعة على الشبكة، ومن ثم مشاركتها مع الآخرين والحصول على التغذية المرتدة السريعة والمتنوعة والفعالة.
- 2- توفير التّواصل المستمر بين المجموعات المختلفة: حيث تضمن شبكات التّواصل الاجتماعيّ ألياً الالتحام الإلكترونيّ بين المشاركين؛ فيظل الجميع على دراية بكل ما يفعله الأصدقاء.
- 3- تمكين التّواصل بين مختلف أطياف المجتمع: تمكن مواقع التّواصل الاجتماعيّ المستخدمين ذوي الاهتمامات المشتركة من تكوين حلقة وصل مستمرة بين الخبراء والمتعلمين في مختلف المجالات.
- 4- إنشاء المجموعات Groups: تتيح مواقع التّواصل الاجتماعيّ خاصية إنشاء مجموعة اهتمام، حيث يمكنك إنشاء مجموعة مسمى معين وأهداف محددة، ومن خلالها يتم التّواصل بين مجموعة ذات اهتمام مشترك من بين المتعلمين.
- 5- تقديم آلية جديدة لفهرسة المعلومات: حيث تساعد مواقع التّواصل الاجتماعيّ على جمع وتنظيم وفهرسة المعلومات بشكلٍ تعاوني، من خلال الاعتماد على التصنيف الاجتماعيّ للمعلومات والمحتويات أو ما يعرف بالفهرسة لغرض التشابك. Social Indexing
- 6- تقديم معرفة جديدة: تعتمد مواقع التّواصل الاجتماعيّ على تجميع مختلف الموارد المعرفية من مصادر متنوعة مختلفة من خلال الشبكة وإظهارها في مكان واحد ثم إعادة بناء معرفة جديدة كخلاصة لكل محتويات المصادر المختلفة.

1 - حنان بنت شعشوع الشهري، أثر استخدام شبكات التّواصل الإلكترونيّة على العلاقات الاجتماعيّة: الفيسبوك والتويتتر

نموذجاً، رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربيّة السعوديّة، ص 15.

2 - محمد جابر خلف، مميزات وخصائص مواقع التّواصل الاجتماعيّ، <http://kenanaonline.com>، تاريخ

الزيارة 26-03-2018.



- 7- تقدم دعماً للمحادثات التفاعلية بين الأفراد والمجموعات: حيث تتميز هذه المواقع بتوفير المحادثات التفاعلية بأشكال متنوعة تبدأ من التفاعل في الوقت الحقيقي عبر التراسل الفوري وتستمر حتى التفاعل غير المتزامن عبر مساحات العمل الجماعي على الويب من خلال النقاشات والمنتديات.
- 8- تقدم دعماً للتغذية الرجعية الجماعية: فتساعد مواقع التواصل الاجتماعي على تبادل التغذية الرجعية بين المشاركين؛ فهي تسمح للمجموعة أن تقيم مساهمات بعضها بعضاً من خلال التواصل والتفاعل المتبادل.
- 9- إزالة القيود المفروضة في العالم الحقيقي: تتميز مواقع التواصل الاجتماعي بإزالة القيود المفروضة على السلوك الاجتماعي والتعاوني؛ والمتمثلة في اللغة والموقع الجغرافي والخلفية الثقافية وقيود الزمان والمكان.
- 10- توفير مستودعات للمخزون المعرفي للمجتمع: من أهم مميزات مواقع التواصل الاجتماعي أنها تعتبر مستودعاً للمعرفة؛ من خلال تخزين مجموعات كبيرة من المعارف والمعلومات حول مختلف أشكال المعرفة، بما يشكل أكبر مكتبة تعاونية تشاركية افتراضية حول العالم.

### 3- الفضاء الديني العام:

قبل الحديث عن الفضاء الديني العام، ينبغي بدايةً نتناول إشكالية الفضاء العام انطلاقاً من أطروحة الكثير من الفلاسفة والباحثين الذين أهتموا بهذا الشأن، وعلى رأسهم يورغن هابرماس الذي عرفه بكونه المجال الذي يعتمد الاستعمال العمومي للعقل والتواصل من طرف الأفراد بوصفهم ذواتاً مفكرة ومواطنين مستقلين ودونما حاجة إلى وصاية خارجية، وذلك من أجل التداول في المصلحة العامة وتشكيل الرأي العام النقدي، لا يمكن تقاضي النقاش حول حدود الحريات الفردية داخل هذا المجال حيث إن استعمال العقل المشترك الإنساني الوحيد بدل العقائد أو الدوغما، يسمح بالتأسيس لقيم أخلاقية مدنية لتحقيق مستوى من الاجماع حول مفهوم الحرية وتكريس الرغبة في سماع الآخرين والذهنية العادلة لتقرير متى يجب عقلياً أن يتم استيعاب وجهة نظرهم<sup>1</sup>.

أما عن حضور الدين في الفضاء العام فلقد أصبح محل نقاش من جانب العديد من الباحثين في مجال العلوم الاجتماعية في المجتمعات الغربية خلال فترة الثمانينات من القرن الماضي، حيث ظهرت دراسات وبحوث كثيرة اتجهت نحو دراسة الدين في المجال العام، إذ يشكل الحضور الديني اهتمام المتخصصين بالسياسة والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم اللاهوت، ويمكن القول إن دراسة الدين داخل المجتمعات الإنسانية كانت لها ارهاصات من خلال الرواد الأوائل لعلم الاجتماع ومنهم ماكس فيبر الذي اهتم بدراسة العلاقة بين الاخلاق البرتستانتيّة وروح الرأسمالية، وإلى أي حد تؤثر التصورات والمعتقدات الدينية على العالم والوجود في السلوك الاقتصادي، ويمكن القول إن الحضور الديني داخل المجال العام يجسد اتجاهاً متناقضاً لنزعة التحول نحو العلمانية التي كانت من أبرز مظاهر الحداثة الغربية حيث كان هناك تأكيد لأهمية فصل الدين عن الدولة لضمان العيش داخل مجتمع علماني<sup>2</sup>.

ويبرز المجال العام باعتباره يمثل البنية التحتية الخطابية والمعياري الكامن للأداء الوظيفي الفعال للمجتمع المدني، ولكن بالمقابل ظهرت مناقشات موازية تناولت دور الحركات الدينية والخطابات الدينية، ليس في العمليات الاجتماعية للتحديث فحسب، بل في المجال العام أيضاً، حيث يشهد الواقع المعاصر مداخل جديدة في المناقشات الأكاديمية حول دور الدين في المجتمع المعاصر، ومن بينها مدخل ما بعد العلمانية، حيث يفترض هذا

1 - رشيد سعدي، الفضاء العمومي في المغرب بين سلطة التدين الجمعي ودينامية الحريات الفردية، ظاهرة وكالين رمضان بالمغرب نموذجا، مجلة دراسات، ص 67\_68.

2 - the theory of communicative action, reason and the rationalization of society, translated by thomas mccarty hbermas, j, 24, p361, boston, bearcon, press, vol, 1, 1981.

المخل أن الدين أصبح له وجود وتأثير متزايد في المجال العام داخل المجتمعات الحديثة بما في ذلك أوروبا، ويشكل هذا المدخل سمة لعصر جديد بدأ يلوح في الأفق، بل ربما يعد بمنزلة نموذج حديث يتعلق بالاهتمام بالدين داخل الحياة اليومية، ويذهب أنصار هذا المذهب إلى أن نظرية التحول نحو العلمانية قد جانبها الصواب، فالدين لم يختف أو لم يعان تراجعاً في ظل الحداثة، بل ما يزال نابضاً بالحياة .

فالدين اليوم يمثل دوراً عاماً جديداً داخل المجتمعات الإنسانية، وبالتالي يمكن القول إن المجتمعات الإنسانية ومن بينها المجتمعات الأوروبية أصبحت تعيش مرحلة عمومية الدين، أي حضور الدين في المجال العام. أما بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فإن المجال الديني العام يحتل مساحة واسعة من التأثير في الفرد فكراً وممارسة، وهذا المجال الديني متغلغل أيضاً داخل بنية المجتمع في شكل اختياري بسبب تنظيمه علاقات الأفراد مع بعضهم البعض وتهذيبه السلوك العام وفق أحكام وتشريعات تجيز وتحرم عدداً من العادات والاحتياجات المجتمعية، فالتعليم والمنبر والتجارة والاداب والزواج وترتيب الأسرة وغيرها، واقعة تحت هذا المجال العام، وهذا المجال ليس هو الدين فحسب، بل هو مجموع تلك النظم والأعراف والمنتجات التي خرجت من ذلك الوحي وتفاعل معها الإنسان اجتماعياً وثقافياً فأضحت معلماً لذلك المجتمع وفق هوية يتميز فيها عن غيره من المجتمعات، فالتصل من هذا المجال الديني هو انتزاع قيم وراء تجذرت عبر قرون طويلة<sup>1</sup>.

#### 4- الفضاء الديني العام عبر مواقع التواصل الاجتماعي: عودة للدين...

مع التطورات المتلاحقة، وبخاصة ما يتعلق بالتقنيات الحديثة مثل الانترنت والتي أحدثت نقلة نوعية في عالم الاتصال والتواصل بوسائله المختلفة مثل المواقع الالكترونية والمنتديات والمدونات والبريد الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي، فإن الدعوة الإسلامية أحوج ما تكون لاستخدام هذه الوسائل وبفاعلية لشرح مبادئ الاسلام من القضايا المطروحة على الساحة في مختلف المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والعسكرية وغيرها..

ويلاحظ أن مواقع التواصل الاجتماعي وبخاصة الفيس بوك وتويتر استحوذت على عقول الكثير من الأفراد وبخاصة الشباب منهم، مما يجعلنا نؤكد على ضرورة التوجه صوب هذه الوسيلة لاغتنامها في الدعوة الإسلامية من خلال إنتاج ونشر الخطاب الديني الاسلامي<sup>2</sup>.

والم تأمل لمختلف مضامين مواقع التواصل الاجتماعي خلال السنوات الأخيرة يلحظ عودة وحضور الدين مجدداً، وذلك من خلال مساهمة مختلف الأديان نشر خطابها عبر صفحات ومواقع خصصتها لإبراز رسالتها، والدعوة الى عقيدتها، والرد على مخالفيها، ومرد ذلك البعد عن الرقابة الحكومية، ما أتاح لها هامشاً من الحرية دعتهما للتحرك فتمكنت بذلك من نقل الأفكار والابديولوجيات<sup>3</sup>.

وإذا أتينا لتوصيف بعض ملاح الخطاب الديني في الفضاء العام الافتراضي، نجد ما يلي:

يقول الباحث خالد صافي الخبير في الشأن التكنولوجي في حديث للبصائر وهي جريدة الكترونية: "إن الدعوة إلى الله عن طريق الفيس بوك من خلال نشر الخطاب الديني تمتاز بأنها موجهة لعدد ضخم من المتابعين المتواجدين في أوقات مختلفة على مدار الساعة، كما أنها تمتاز بوجود النصوص إلى جانب الصور المفردة أو

1 - مسفر بن علي القحطاني، المجال الديني العام ورهانات المستقبل، مقال منشور في صحيفة الحياة الالكترونية، 5 يناير 2018، 14:42. 2018، 14:42.

2 - عبد الصبور فاضل، الدعوة الإسلامية ومواقع التواصل الاجتماعي، موقع الوعي الشبابي الالكتروني.

3 - الدين ومنابر التواصل الاجتماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، موقع الكتروني، فبراير 2015.

ألبومات، أو حتى من خلال المقاطع المرئية والصوتية التي تجعل من التأثير على كافة الحواس أقوى، مضيفاً إلى جانب ذلك، أن العديد من الشباب ينزحون بشكل يومي لمشاهدة ومتابعة حساباتهم على الفيس بوك وإعادة نشرها لأصدقائهم.

وشدد صافي على أن الفيسبوك يسعى بشكل حثيث لدفع أصحاب الصفحات الرسمية لاستخدام ميزة الاعلانات الممولة، كي تصل المنشورات والصفحات لجمهور أكبر، واختيار الفئة العمرية والثقافية والفكرية، وحتى اختيار المستهدفين بالرسالة من أي بلد وفي أي وقت لتظهر لهم المنشورات دون غيرهم، وهذا يعد واحداً من أهم ميزات الفيس بوك التي تزيد أرباحه وفي نفس الوقت تحقق للناس أهدافهم.

وأشار الصافي إلى أن الفيس بوك يوفر العديد من الأدوات والوسائل التي يمكن أن تستثمر في الدعوة والعمل الدعوي بشكل واسع ومؤثر وفاعل، وذلك من خلال الصفحات والمجموعات المغلقة والمفتوحة والحسابات، مبيناً أنه يمكن عمل صفحة تضم مقاطع مرئية دعوية موجهة في موضوع متخصص، أو عمل مجموعة مغلقة تضم أعضاء مختارين بعناية لتوجيه رسالة دعوية واضحة لعلاج قضية اجتماعية بعينها، بتبادل الآراء فيما بينهم .

#### 5- أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في نشر الخطاب الديني:

نظراً لما تتميز به الانترنت ممثلة بمواقع التواصل الاجتماعي من انتشار واسع، وقدرة على الوصول إلى الملايين في كل مكان من العالم، فإن الحاجة ماسة للإفادة منها في الدعوة إلى الله من خلال نشر الخطاب الديني، على اعتبار أنها وسيلة من الوسائل المستحدثة في هذا العصر، وأنها تحظى بقبول جيد وانتشار كبير وتفاعل إيجابي، وليس هذا فحسب، فإن أعداء الإسلام قد تنبهوا إلى أهمية هذه المواقع في نشر شبهاتهم، وبث أباطيلهم، فاستغلوا استغلالاً واضحاً في الغزو الفكري لهذا فإن الواجب يحتم علينا أن نضاعف اهتمامنا بهذا الشأن، وأن نحاول اللحاق بالركب الحضاري. ونشر الخطاب الديني عبر هذه الوسائل الحديثة هو نابع من أهمية الدعوة إلى الله، وذلك باعتبار ما يلي:

- ✓ أن الدعوة إلى الله تعالى واجب ديني على كل مسلم قادر من أبناء الأمة الإسلامية، ولما كان تبليغ الدعوة إلى الناس مما أخذ الله عز وجل عليه الميثاق من أهل العلم، فإن إيصال هذا الدين الحق إلى مشارق الأرض ومغاربها بواسطة الوسائل الحديثة أمر مطلوب، وهو من أعمال البر والخير، والمنفق عليه مأجور بإذن الله تعالى.
- ✓ أن هذه الوسائل رغم حداقتها واسعة وسريعتها الانتشار، ويمكن من خلالها تبليغ الدعوة من خلال نشر الخطاب الديني الصحيح، وبالتالي نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه السمحة إلى الملايين من الناس في كل مكان من العالم وفي زمن قصير نسبياً، لاسيما أن مواقع التواصل الاجتماعي جعلت من العالم قرية صغيرة يستطيع أن يتواصل من يعيش في أقصاها مع من يقطن في أديانها، فكان لا بد من الاستفادة منها في مهمة الدعوة إلى الله.
- ✓ الانترنت ممثلة بمواقع التواصل الاجتماعي وسيلة دعوية حرة يمكن للدعاة من خلالها التواصل الدعوي من خلال نشر خطابهم الديني والتوجه به لأعداد كبيرة وأجناس متنوعة من البشر في مختلف أنحاء العالم يبثون الخير في نفوسهم، ويحثونهم على التمسك بالفضائل، ويهدونهم إلى طريق الله المستقيم.
- ✓ لقد أصبحت منصات التواصل الاجتماعي وسيلة للتعريف بالإسلام بين غير المسلمين، ضمن أدوات سهلة ووصولية عالية، وأحياناً كثيرة دون تكاليف، على عكس الجهود الدعوية من خلال القنوات الفضائية كانت تكلف مبالغ ضخمة ليست يسيرة .

✓ مواقع التواصل الاجتماعي أثرت على المجتمعات بما فيها المجتمعات المسلمة سلبا وإيجابا، ووحان الوقت للتوظيف الإيجابي والاستغلال العملي دعويا، كما استخدم النبي صلى الله عليه وسلم كل وسيلة متاحة في عصره للدعوة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد اناس في مجتمعاتهم وأسواقهم، كما في الحديث: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه بالموقف فقال ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي" رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني، فنحن مطالبون بالاستفادة مما هو متاح من مزايا مواقع التواصل الاجتماعي.

✓ تعدد أسلوب العرض: نصوص وصور ورسوم، وأصوات وعرض مقاطع فيديو، مع جاذبية هائلة وإقبال كبير من الناس، في الوقت نفسه تمثل مواقع التواصل الاجتماعي تحديا للدعاة.

### حضور الدين في مواقع التواصل الاجتماعي: قراءة في الشكل والتجليات

تتحقق أهمية المبادئ والقيم حين تأخذ فرصتها للنشر والإذاعة فإن تعذر عليها ذلك فهي لا تعدو أن تكون آثارا محنطة وأفكارا مهملة لا ينتفع الناس بها ولا يستفيدون في سلوكهم من النماذج التي تهديهم إليها، وإدراكا منهم للدور الفعال الذي تؤديه وسائل الاعلام فإن أصحاب التيارات والعقائد المختلفة يركزون على استثمار ما توفره وسائل الإعلام عامة ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة من أجل نشر وإذاعة تلك المعتقدات.

حضر الدين دوما على الشبكة العنكبوتية منذ بدايتها وقد أسهمت الأديان كافة في انشاء مواقع وصفحات لها لإبراز رسالتها والدعوة الى عقيدتها والرد على مخالفيها وقد كانت الحركات المتطرفة من الحركات التي استفادت كثيرا من هذه المواقع لحاجتها الى التعبير عن نشاطها بعيدا عن الرقابة الحكومية المباشرة ما أتاح لها هامشا من التحرك تمكنت من خلاله من نشر أفكارها وأيديولوجياتها كما استفادت الدعوات اللادينية والعقائد المحرفة والفرق المختلفة من هذه الفضاءات ما جعل مواقع التواصل الاجتماعي من أهم منابر الصراع والتدافع الديني الى حد تشكيل خطر حقيقي على الهوية الدينية عموما لمختلف الشعوب والهوية الإسلامية بشكل خاص.

ولأن كان لهذا الصراع خلفية واقعية في الدول التي تعيش تنوعا دينيا ومذهبيا الا أنه صراع غريب على مجتمع متجانس دينيا، إن هذا الصراع الذي صرنا نلاحظه واضحا حادا على مواقع التواصل الاجتماعي لم يواكبه حضور فاعل للمؤسسات الدينية المعتدلة بسبب توافر قنوات بديلة لها من ناحية وعدم استيعاب المسؤولين عنها لقدرة وفاعلية هذه المواقع -الا في وقت متأخر- من ناحية أخرى ما فتح الباب واسعا للأفراد والحركات الدينية لاستثمار هذا الفضاء.

وتعتبر الظاهرة الأكثر حضورا وإثارة للرأي العام الدولي والمحلي هي ظاهرة التطرف الديني خصوصا بعد ظهور ما يسمى بتنظيم داعش وما كشفه من قدرة كبيرة على استثمار هذه المواقع في الدعوة لأفكاره وتجنيد الشباب من مختلف أنحاء العالم، غير أن ما تتعرض له الهوية الدينية الإسلامية من خطر لا ينحصر فقط في دعوات التطرف بل يتجاوزها الى خطر الدعوات الدينية المختلفة كالتنصير والدعوة الى البوذية وكذا الدعوات الدينية التي تنتسب الى الفرق الإسلامية كالدعوة الى الأحمدية والقديانية والشيعية... الخ.

كما أثرت هذه المواقع أيضا على العلاقة بين المسلم الباحث عن الفتوى أو العلم الشرعي وعلماء الدين حيث وفرت للمسلم العادي القدرة على التلاقي مع شريحة واسعة من رجال الدين في أي مكان من العالم بعيدا عن الانتماء المذهبي مما انعكس على طبيعة الأفكار المعروضة على النقاش ففي حين كانت محلية مرتبطة بالواقع المعاش أصبحت -بفضل مساحة الحرية المتاحة في العالم الافتراضي- مختلفة متنوعة غريبة أحيانا ما كشف عن تشكل وعي ديني إيجابي في بعض مساحاته وسلب في مساحات أخرى.

### اثر انتقال الخطاب الديني الى الفضاء العام عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

لقد كان للتجاوز والتفاعل الحاصل بين الدعوة الإسلامية وحملتها آثار عديدة إيجابية في بعض تجلياتها وسلبية في أخرى ومن بين أهم الآثار الإيجابية لانتقال الخطاب الديني الإسلامي الى مواقع التواصل الاجتماعي: زيادة انتشار الخطاب الديني بحجم أكبر: وذلك من خلال زيادة إقبال الدعاة والعلماء على استخدام الفيسبوك للدعوة ونشر خطبهم وأخبارهم ورسائلهم الدعوية بشكل متواز مع تواجدهم على القنوات الفضائية وحتى بشكل أغزر من إصداراتهم الورقية من كتب ومجلات. وذلك لما لمسه من تفاعل وشعبية كبيرة لمنشوراتهم وتداولها لتصل لجماهير ضخمة في العالم<sup>1</sup>، ومما ساهم في تحقق هذا الأمر هو تنامي الشعور بضرورة استخدام وسائل الاتصال الحديثة بما فيها الفيسبوك في مجال الدعوة الإسلامية على مستوى العلماء والمتخصصين أو لدى المسؤولين والمفكرين، وحتى عند الأشخاص العاديين، ففي دراسة للباحث سيد محمد مرعي \_المدرس المساعد بكلية التربية جامعة الأزهر عن استخدام التكنولوجيا في الدعوة- توصل فيها من خلال استطلاع رأي شمل 100 من أساتذة جامعة الأزهر وحوالي 5000 من طلاب الجامعة حول ضرورة استخدام التكنولوجيا في الدعوة وتوصل إلى أن 98 بالمائة من هؤلاء الاساتذة موافقين على استخدام 90 بالمائة من الوسائل التكنولوجية التي شملها الاستطلاع في الدعوة إلى الله، بينما وافق 100 من الطلاب على 100 بالمائة من هذه الوسائل<sup>2</sup>.

وأما بالنسبة لتزايد شعور المسؤولين والمفكرين بأهمية التكنولوجيا في الدعوة من خلال مساهمتها في نشر الخطاب الديني، يقول الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف المصري في مؤتمر تحديث الخطاب الديني الذي عقد بالقاهرة عام 2002م، يقول: "إن ثورة الاتصالات والمعلومات والثورة التكنولوجية قد فاقت كل التوقعات، ولا يجوز أن تظل الأمة الإسلامية إزاء هذا دون حراك... وإنه لم يعد معقولاً ولا مقبولاً في ظل هذه الظروف أن يظل خطابنا الديني خطاباً تقليدياً جامداً متجاهلاً كل متغيرات العصر<sup>3</sup>.

**اعتناق غير المسلمين للإسلام:** وذلك بسبب تزايد انتشار الخطاب الديني عبر مختلف مواقع التواصل الاجتماعي، حيث ساهمت مساهمة كبيرة في إدخال عشرات الأوروبيين والغربيين بصفة عامة الى الاسلام وهذا حسب تجربة الكثير من الدعاة والخطباء، حيث أشاروا الى أن المحادثة التي تتم عبر هذه المواقع هي التي كانت سبباً في إدخال غير المسلمين الى الاسلام .

**انتاج مستوى مهم من مستويات الخطاب الاسلامي:** يتعلق الأمر بالخطاب الذي يتجسد في حياة الناس اليومية، ويعبر عن الحديث اليومي للأفراد عبر تفاعلاتهم اليومية في مختلف المناسبات<sup>4</sup>.

**توظيف الخطاب الديني في معالجة مختلف القضايا الاجتماعية:** لقد أصبح للخطاب الديني أهمية بالغة وكبيرة أكثر من أي وقت مضى، لما تشهده المجتمعات العربية والإسلامية من نمو وتقدم في شتى مناحي الحياة، وبروز تعقيدات جديدة أفرزتها عوامل التقدم التكنولوجي والاقتصادي والثقافي، الأمر الذي جعل الناس أكثر التصاقاً والتفافاً الى معرفة أمور دينهم وديناهم، ومعرفة الفتوى لاستجلاء الأحكام الشرعية في العديد من القضايا الاجتماعية، ومن هنا يأتي دور الخطاب الديني ومضامينه للتأكيد على دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية، واتباع المبادئ الصالحة، لترسيخ قيم الدين في نفوسهم، والربط بين الدين والحياة، وبين الدين واحتياجات الناس

1 - تسنيم الرنتيسي، الفيس بوك منبر دعوي جديد يتنوع بتنوع جمهوره في رمضان، مقال الكتروني منشور في موقع بصائر، 27 يونيو 2015

2 - محمد منير حجاب، م س، ص 304.

3 - محمد منير حجاب، م س، ص 305.

4 - وجدان فهد باسم، الخطاب الديني والوعي السياسي في مملكة البحرين تجاذب أم تتأفر، سلسلة دراسات 2017، معهد البحرين للتنمية السياسية، ص 28.

، وبين الدين وقضايا المجتمع، وشرح القضايا الراهنة والمستجدة، وموقف الاسلام منها، بمنهج وسطي معتدل ، فالمضمون الديني إذا أعد إعدادا جيدا ، وانطلق من خلال استراتيجية محددة ومنظمة ، يمكن بل من المؤكد أن يسهم في تنمية الوعي الديني لدى الجماهير ، ويبصرها بشؤون دينها وثقافتها الاسلامية، كما يعمل على العرض المتوازن لمختلف المشاكل والقضايا الاجتماعية.<sup>1</sup>

وبالإسقاط على أهم مواقع التواصل الاجتماعي نجد تجسيدا لهذا التوظيف للخطاب الديني حاضر وبقوة، وذلك من خلال:

الفيسبوك: هو موقع اجتماعي شهير يدخل عليه حوالي 250 مليون انسان على مستوى العالم، مما يؤكد اهميته ورواجه الواقعي وتفاعل أعضائه في أي شيء ،ومن خلاله يتم التواصل مع اي انسان وفي أي زمان، ومن هنا فقد انتبه دعاة كثيرون في زماننا هذا مؤسسات أو افرادا الى هذه الوسيلة، وتم عمل صفحات شخصية لهم عليه لمخاطبة جماهيرهم ونشر الدين والدعوة داخل العالم العربي وخارجه، إضافة إلى انشاء مجموعات دينية تدعو الى الحث على الفضيلة والخير، ومناقشة مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية من خلال ابراز وجهة نظر الدين فيها، اضافة الى التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم كذلك الى الدين الاسلامي، وذلك بإتقان لغة المخاطب ،وتوضيح صورة الاسلام الصحيح التي شوهاها الغرب عبر اعلامهم.

**خلق ما يسمى بالتحاور الديني:** وذلك من خلال ظهور المجموعات الدينية التي تقوم بتبادل المعلومات والآراء في مواضيع شتى خاصة ما يتعلق بالمواضيع الدينية والدعوية لكافة الأديان والمعتقدات والمذاهب ،وذلك بنوع من الأريحية بعيد عن مراقبة السلطة ووسائل الاعلام ، الأمر الذي جعل الخطاب الديني يبدو تفاعليا ومتاحا للتداول من خلال ارفاقه بالتفسير التعليق اللاهوتي ، وعادة ما يكون في هذه الساحات النقاشية<sup>2</sup>، الكثير من الحيارى والضائعين الذين يبحثون عن نور الهداية ،كما أن فيها أيضا من يتعرض لدين الله تعالى بالكيد والطعن من الكفار والمنافقين والمشككين وأصحاب الأهواء والبدع ،فكان لابد من التصدي لهم، والرد عليهم، وبيان حقيقتهم وكشف نواياهم.

**تزايد نشاط النخب الدينية على مستوى الفضاء الافتراضي:** والتمثلة في شيوخ الدين والفقهاء والمؤسسات الدينية التي قامت بتوظيف هذا المكسب التواصلية الجديد للتعبير عنها ،وهذا بهدف تدعيم حضورهم والاستفادة من كل الفرص المتاحة لهم ،الأمر الذي يفسر الوجود المكثف للفاعلين في الشأن الديني على منابر التواصل الاجتماعي على غرار الفي سبوك ويوتيوب وتويتر ..هادفين إلى اقناع الناس بإمكانات أن يلعبوا دورا في رهانات المستقبل ،باعتبار أن المجتمعات العربية تعيش اليوم ،وربما أكثر من أي وقت مضى جدلا متناميا حول الظاهرة الدينية وحول المعيش الدينية ،خاصة مع صعود التيارات الاسلامية الذي اتخذ أشكالا مختلفة، وفق الأنساق الاجتماعية والأطر الفكرية التي ينتزل فيها في كل بلد، وقد أدرك صناع الظاهرة الدينية أن وسائل التواصل الاجتماعي تتجاوز في نجاعتها الاعلام التقليدي وتتفوق عليها في نشر الخطاب الديني بالمستوى المطلوب<sup>3</sup>.

- 1 - . جيهان سيد يحيى، معالجة قضايا الاسرة في البرامج الدينية بالفضائيات العربية ودورها في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحوها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الازهر، كلية الدراسات الاسلامية والعربية، شعبة الصحافة والاعلام، 2011.
- 2 - نيك كولدرى، شبكات التواصل الاجتماعي والممارسة الاعلامية، ترجمة هبة ربيع، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص225.
- 3 - شهد سلامة، الاسلام الرقمي، مقال الكتروني منشور، مجلة المرأة العربية



مساهمة الخطاب الديني المنتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير في سلوك الشباب: وذلك من خلال نشر مفاهيم وقيم الحقوق والحريات والاعتدال والوسطية، ومتابعة ما يدور في العالم من قضايا وأحداث، ومحاولة تقديم الرؤية الإسلامية من منظور وسطي حولها وطرح الحل الإسلامي لأهم المشكلات المعاصرة<sup>1</sup>. ومن ناحية أخرى كان لانتقال الخطاب الديني الى الفضاء الافتراضي جملة من الآثار السلبية نوجزها في النقاط الآتية:

**الترويج للمتطرف:** من أكبر المكاسب التي حصل عليه خطاب الكراهية والعنف في العالم عموما في السنوات الأخيرة هو ملكية وسائل الإعلام الواسعة الانتشار، وهو مالم يكن متاحا سابقا بسبب احتكار السلطة لها، إن ما أتاحتها هذه الوسائل ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص من قدرة عالية وسريعة وفعالة للتواصل مع الأفراد شكل رافدا أساسيا لكثير من الجماعات المتطرفة، كما ساهمت في التعريف بها وخلق صورة مكذوبة عن حجمها وأفكارها، ولم تكتف الجماعات المتطرفة بالترويج لخطاب العنف بل حاولت أيضا رصد ردود الأفعال واستقطاب الشباب بأحدث الوسائل التكنولوجية.

وتتنوع أساليب استثمار الجماعات المتطرفة لمواقع التواصل الاجتماعي من أجل تحقيق أهدافها ومن بين تلك الأساليب أسلوب الصدمة الذي يعتمد تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" من خلال ما يبثه من مقاطع فيديو صادمة بغرض لفت الانتباه وتحقيق نسبة انتشار أكبر، كما يتم استثمار غرف الدردشة لاستقطاب الشباب من مختلف الدول ومن ثم جعلهم عناصر فاعلة في تنفيذ عملياتهم الإرهابية كل في أوطانهم .

**العاطفية والغوغائية:** إن جزءا من الحاملين للفكر الإسلامي اليوم والناشطين على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي بغرض تبليغ الخطاب الديني هم في الحقيقة لم يمرؤا بمراحل مؤسسية وتربوية تسقل أفكارهم وتضبط خطابهم وتشكل رؤيتهم، بل كان تكوينهم يعتمد أساسا على القراءات الفردية السريعة للكتب والمجلات أو حتى مواقع التواصل الاجتماعي، وهو ما جعلهم أكثر انفعالا وتوترا مما جر الكثيرين منهم الى الغوغائية والانفعالية، حيث نجد بعض المشتغلين في المجال الدعوي يعملون على نشر العاطفة بين الناس بعيدا عن الدقة والتحري والموضوعية، ويعيدا أحيانا عن سلامة الخطاب وصحته من الناحية الفكرية والشرعية.

**اتساع مساحات الجدل:** يساهم الحوار في توحيد الفهم وتقريب الأفكار بين أصحاب التيارات المختلفة خاصة إذا كانت مساحة التلاقي أكبر بكثير من حجم الخلاف، ولاشك أن مواقع التواصل الاجتماعي قد أتاحت فضاءات واسعة وحررة للتلاقي بين أصحاب الأفكار المختلفة وحملة لواء التغيير في مجال الدعوة الإسلامية بشكل خاص، غير أنه وللأسف تحولت هذه الفضاءات الى ساحة مفتوحة للصراع والجدل ترسم أمامنا مشهدا مسيئا للخطاب الإسلامي وتغرقه في متاهات الحجج والحجج المقابلة.

**تشويه صورة "الداعية":** ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تحرير الدعاة من المؤسسات الرسمية، وفتحت أمامهم فضاء واسعا للاحتكاك بالمدعويين ومخاطبتهم بطرق وأساليب مختلفة تتوافق مع طبيعة العصر مما فتح الباب أمام ظهور شخصيات دعوية جديدة، غير أن قلة التكوين لدى البعض وغياب المقصدية السليمة لدى البعض الآخر خلق نماذج مشوهة عن حملة الخطاب الإسلامي من العلماء والدعاة تتخذ التماظهر شكلا جديدا للداعية في صورة يغلب فيها الشكل على المضمون.

**سهولة انتشار الفتاوى والأفكار الشاذة:** تتدافع الأفكار في المجتمعات والتنظيمات والتجمعات و تتلاقح لتشكل الوعي العام لتلك المجتمعات وخلال المراحل والمستويات المختلفة لذلك التدافع تسقط الأفكار الشاذة و الخاطئة بعد أن يضبط المجتمع الحجم الحقيقي لتلك الأفكار، غير أن مواقع التواصل الاجتماعي اليوم قد أعطت تلك

الأفكار قدرة على البقاء مدة أطول ما يساهم في ضياع الكثير من الجهود في التصدي لها من قبل رجالات الخطاب الديني، الى جانب الصورة المشوهة التي يعكسها هذا الوجود عن الإسلام وأفكاره. عودة بعض الفرق والعقائد المحرفة للانتشار: لما كانت وسائل التواصل الاجتماعي وسائل عالمية معززة باتساع نطاق النشر من السهل نقل الأفكار والمعتقدات، ما شكل فضاء جديدا لعودة بعض الفرق التي تحمل عقائد محرفة عن الإسلام، حيث لم تعد مرتبطة بالنطاق الجغرافي الذي وجدت فيه بل تجاوزته الى بلدان اسلامية كثيرة كانت في منأى عن هذا الخطاب المنحرف عقديا، ويؤدي هذا الانتشار الى آثار خطيرة على عقيدة المسلم خاصة مع قلة الوعي لدى فئات واسعة من المسلمين، كما قد يساهم في تغيير الخريطة الدينية لعدد من المجتمعات خاصة تلك التي لم تحتك سابقا بمثل هذه العقائد .

تداول بعض الأحاديث الموضوعية والشاذة والقصص الكاذبة: تنتشر عبر مواقع التواصل الاجتماعي الكثير من الأحاديث والآثار الشاذة والموضوعية ويتم تداولها بشكل واسع من غير التأكد من صحتها ، ما يجعل البعض يتوهم صحتها وهو ما يؤدي الى انتشار البدع والمخالفات الشرعية.

### خاتمة:

إذ نؤكد على الخطر الذي قد يحمله التداول العشوائي والغير منهجي للمسائل الدينية لا يمكن أن ننكر حجم الأثر الإيجابي الذي قد تساهم مواقع التواصل الاجتماعي في تحقيقه من خلال فتح فضاءات حرة لتداول المادة الدينية ستساهم بشكل واضح أيضا في بلورة ملامح خطاب ديني متحرر من قيود التفكير الجامد الذي ينطلق أساسا من فكرة التقديس المطلق للأفكار البشرية المتداولة، لذا فالمطلوب ليس احتكار مطلقا للمادة الدينية من قبل الجهات والمؤسسات الرسمية بقدر ما هو رقابة ذات طابع وقائي لما هو متداول في هذه الفضاءات الالكترونية من ناحية، كما هو دعوة أيضا للمؤسسات الدينية لتكثيف نشاطها الإلكتروني مما يوفر بديلا الكترونيا سليما يحقق مبدأ التدافع.

### التوصيات:

- تفعيل دور المؤسسات الإسلامية المعتدلة على مواقع التواصل الاجتماعي وتنشيط دورها في نشر ثقافة الاعتدال والتسامح وتقبل الآخر.
- لا ينبغي تجاوز الأثر الإيجابي للتداول الحر للمادة الدينية في تجديد الخطاب الديني لذا وجب الحفاظ والتأكيد على حرية هذا التداول مالم يتحول الى تهديد.
- استغلال شبكات التواصل الاجتماعي في بث خطاب إسلامي معتدل يبرز تسامح الإسلام ووسطيته وعدم ترك هذا الفضاء للجماعات المتطرفة لبث أفكارها وسمومها.
- تعزيز دور المؤسسات الرسمية وتواجدها على الفضاء الإلكتروني بشكل عام ومواقع التواصل الاجتماعي بشكل خاص.



### قائمة المراجع:

- 1) ابراهيم النويري، وقفة مع مصطلح الخطاب الإسلامي، مجلة الوعي الإسلامي، ع532.
- 2) أحمد زايد، خطاب الحياة اليومية في المجتمع المصري، دط، دار القراءة للجميع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 1992.
- 3) أحمد عبد الطيار، تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، حولية كلية أصول الدين، القاهرة، ع22، 2005، مج3.
- 4) تسنيم الرنتيسي، الفيس بوك منبر دعوي جديد يتنوع بتنوع جمهوره في رمضان، مقال الكتروني منشور في موقع بصائر، 27 يونيو 2015.
- 5) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، دس.
- 6) جبرار جيهامي، سلسلة موضوعات المصطلحات العربية و الإسلامية، موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1998.
- 7) جيهان سيد يحيى، معالجة قضايا الاسرة في البرامج الدينية بالفصائيات العربية ودورها في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته نحوها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الازهر، كلية الدراسات الاسلامية والعربية، شعبة الصحافة والاعلام، 2011.
- 8) حنان بنت شعشوع الشهري، أثر استخدام شبكات التواصل الالكترونية على العلاقات الاجتماعية: الفيسبوك والتويتر نموذجا، رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.
- 9) الدين ومنابر التواصل الاجتماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، موقع الكتروني، فبراير 2015.
- 10) رشيد سعدي، الفضاء العمومي في المغرب بين سلطة التدين الجمعي ودينامية الحريات الفردية، ظاهرة وكالين رمضان بالمغرب نموذجا، مجلة دراسات.
- 11) زاهر راضي، "استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي"، مجلة التربية، ع15، جامعة عمان الأهلية، عمان، 2003.
- 12) سيد قطب، الخطاب و الإيديولوجية، دط، دار قرطبة للنشر، الجزائر، 1991.
- 13) شهد سلامة، الاسلام الرقمي، مقال الكتروني منشور، مجلة المرأة العربية
- 14) الطيب برغوث، الخطاب الإسلامي المعاصر و موقف المسلمين منه ط1، دار الامتياز، قالمة، الجزائر، 1990.
- 15) عبد الصبور فاضل، الدعوة الاسلامية ومواقع التواصل الاجتماعي، موقع الوعي الشبابي الالكتروني.
- 16) عبد القادر طاش، خطابنا الديني مراجعة مشروعة ونقد ذاتي مطلوب، موقع مئات المقالات المتنوعة والعميقة، <https://groups.yahoo.com>.
- 17) علي خليل شقرة، الاعلام الجديد: شبكات التواصل الاجتماعي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2014.
- 18) محمد الأمين، وسائل الاتصال الحديثة ودورها في تعزيز ثقافة الوسطية والاعتدال، مقال الكتروني، 24 جويلية 2014.
- 19) محمد الفران، مظاهر التجديد في الخطاب الديني المعاصر، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2007.
- 20) محمد جابر خلف، مميزات وخصائص مواقع التواصل الاجتماعي، <http://kenanaonline.com>.

- 21) محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- 22) مسفر بن علي القحطاني، المجال الديني والعام ورهانات المستقبل، مقال منشور في صحيفة الحياة الإلكترونية، 5 يناير 2018، 14:42. 2018، 14:42.
- 23) نيك كولديري، شبكات التواصل الاجتماعي والممارسة الاعلامية، ترجمة هبة ربيع، دار الفجر للنشر والتوزيع.
- 24) وجدان فهد باسم، الخطاب الديني والوعي السياسي في مملكة البحرين تجاذب أم تنافر، سلسلة دراسات 2017، معهد البحرين للتنمية السياسية.
- 25) reason and the rationalization of society the theory of communicative action, (bearcon, Boston, ,j,24,p361, ,translated by Thomas mccarty hbermas press,vol,1,1981.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن

(مدينة الفحيص وماحاص أنموذجاً)

إعداد

د. خيريه حامد شنيكات

قسم الخدمة الاجتماعية، كلية الأميرة رحمة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## الملخص

هدفت الدراسة التعرف إلى مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن (مدينتي الفحيص وماحص أنموذجاً)، وتكون مجتمع الدراسة من جميع أفراد المجتمع الأردني من المسلمين والمسيحيين في مدينتي الفحيص وماحص).

واعتمدت الدراسة الاستبانة أداة لجمع المعلومات، وطبقت اداة الدراسة على عينة على أبناء المدينتين بواقع (100) من المسلمين في مدينة ماحص و(100) من المسيحيين في مدينة (الفحيص).

وتوصلت الدراسة إلى أن أكثر مظاهر التعايش من قِبَل المسلمين كانت مرتبة تنازلياً: التعايش الاقتصادي، التعايش الثقافي، التعايش السياسي، التعايش الاجتماعي، التعايش الديني. وبالدرجة الكلية لمقياس التعايش عند المسلمين كان متوسطاً.

ودلت النتائج إلى أن أكثر مظاهر التعايش من قِبَل المسيحيين كانت مرتبة تنازلياً: التعايش الاقتصادي، التعايش السياسي، التعايش الثقافي، التعايش الاجتماعي، التعايش الديني، وبالدرجة الكلية لمقياس التعايش عند المسيحيين كان مرتفعاً.

وقد أبرزت النتائج وجود فروقاً ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش والديانة لصالح المسيحيين، كما توصلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش والجنس وكان مصدر الفروق لصالح الذكور عند المسلمين والمسيحيين.

كذلك بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش والعمر عند المسلمين والمسيحيين، ودلت نتائج الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش والتعليم عند المسلمين لصالح المستوى التعليمي (دون الثانوية العامة) وعند المسيحيين كان (ثانوية عامة). وأبرزت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش والحالة الاجتماعية لصالح (العازبين) عند المسلمين والمسيحيين.

مصطلحات الدراسة: التعايش الديني، السياسي، الاجتماعي، الثقافي، الاقتصادي.

## المقدمة:

بدأ الاهتمام بالتعايش منذ زمن بعيد، وقد وضع القرآن الكريم قواعد واضحة للعائلة البشرية حيث أعلن الإسلام أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة.

ولا ننسى ما قام به النبي محمد صلى الله عليه وسلم من إرساء قواعد التعايش مع غير المسلمين لهم ما عليهم من الحقوق والواجبات. ضرب المسلمون أروع الأمثلة في تعايشهم مع غير المسلمين من أصحاب الديانات الأخرى، منها علاقة المسلمين الأندلسيين مع يهود الأندلس لقد كان يضرب بها المثل، من تسامح واحترام الآخر. (السيف، 2016)

وجد نماذج عريقة في التسامح والتعايش منذ زمن بعيد وما زال هناك تجارب تستحق التوقف والدراسة كما حصل في الأردن الذي سطر نماذج رائعة في التعايش بين المسلمين مع غير المسلمين في كافة مدنه، وذلك بشهادة الناس التي تعيش على أرض الأردن ونحن في هذا الصدد نتحدث عن التجربة الأردنية الفريدة في التعايش بين المسلمين والمسيحيين، إذ يسكن على أرض الأردن نحو (250) ألف مسيحي.

إن هذه النسبة (3%) من العدد الكلي للسكان وفق الأرقام الصادرة عن الكنيسة الكاثوليكية في الأردن ويتوزع المسيحيون في كافة مدن الأردن ومنها الكرك وإربد وعجلون وعمان، والزرقاء، ومادبا، والسلط، والفحيص، (أبوجابر، 2012). ويأتي تركيزنا في هذا البحث على سكان مدينتي الفحيص وماحص من المسلمين والمسيحيين ومدى التعايش بين ساكني هاتين المدينتين المتجاورتين منذ زمن بعيد، بوصفها نموذجاً حياً واقعياً يعكس لما نقوله الآن؛ فلم يسبق أن حصل أي احتكاك بين السكان رغم أنهم من المسلمين والمسيحيين على مدار السنين فهم يمثلون أروع العلاقات والتعايش الديني والسياسي، والاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، فهم يشتركون في الحياة الاجتماعية ومظاهرها، ومن أجل التطرق إلى هذا الموضوع المهم، يجب أن نعطي نبذة صغيرة عن مدينتي الفحيص وماحص، المتجاورتين منذ أمد بعيد، نبدأ أولاً بمدينة الفحيص تلك المدينة القابعة على جبال البلقاء وتتوسط مدينتي عمان والسلط تبعد عن المدينتين أقل من (13 كيلومتر) ترتفع (850 متر) عن سطح البحر وهي مصيف يبلغ عدد سكان الفحيص (20 ألف نسمة) غالبيتهم من المسيحيين، تشتهر الفحيص بكنائسها المشهورة أهمها كنيسة القديس جاورجوس الروم الكاثوليك وأصل مدينة الفحيص هو الحصن المنيع (مجلة أبناء الأردن، 2018) أما ماحص هي جارة الفحيص التي معظم سكانها مسلمون. تقع غرب العاصمة عمان ضمن محافظة البلقاء عدد سكانها (14 ألف نسمة) ترتفع (800 متر) عن سطح البحر وتشتهر ببساتينها ولها أهمية دينية؛ إذ يقع فيها مقام الخضر عليه السلام، وتعود تسميتها إلى أن ماحص كانت تقع على منطقة حدودية ومركزاً على نبع ماحص لتمحيص البضائع في زمن الرومان (تقرير تلفزيوني، 2012) ولنغد إلى تلك المدينتين الجارتين؛ إذ السكان الذين يعيشون معاً ويتقاسمون لقمة العيش سوية بغض النظر عن الدين، فهناك الألفة والمحبة وحسن الجوار بين الطرفين جسدت معنى التعايش الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين من هنا تأتي مبررات تلك الدراسة وهي على النحو التالي:

1. تعتبر من أولى الدراسات الميدانية الحديثة في دراسة مظاهر التعايش في المجتمع الأردني (ولا سيما مدينتي الفحيص وماحص).
2. خصوصية السكان لتلك المدينتين وهم من المسلمين والمسيحيين.
3. انفتاح المجتمع الأردني في الآونة الأخيرة على المجتمعات الأخرى نتيجة الربيع العربي مما زاد من فكرة ترسيخ التعايش بين الأديان ومظاهره في المجتمع الأردني بين المسلمين والمسيحيين.

### مظاهر التعايش الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في الأردن

تتعدد مظاهر التعايش الديني في المملكة الأردنية الهاشمية بشكل عام وفي مدينتي الفحيص وماحص بشكل خاص، حيث يتواجد المسيحيون في مدينة الفحيص والمسلمون في مدينة ماحص حيث التجاور المكاني لا يتواجد أي حواجز تفصل المدينتين عن بعضهما البعض؛ إذ أنك تدخل إلى مدينة الفحيص وتخرج من مدينة ماحص. يوجد في الفحيص مجموعة من الكنائس المشهورة أبرزها كنيسة الفحيص الخمسينية الإنجيلية، كنيسة اللاتين، كنيسة الأرثوذكس، كنيسة المقبرة، كنيسة القديس جوراجيوس، مطرانية الروم الكاثوليك، كنيسة المعمدانية، عدا أنها تحتوي على جمعية الكاريتاس التي توفر الخدمات الطبية لأبناء المدينتين الفحيص وماحص، وهذه الكنائس يتم ارتيادها في الصلوات والمناسبات المختلفة. اعتاد المسلمون في مدينة ماحص القدوم لهذه الأماكن وتقديم واجب المناسبات المختلفة، إيماناً منهم بأهمية العلاقات وترسيخها مع الأخوة المسيحيين، كما يذهب المسيحيون لتقدم واجب المناسبات المقامة عند المسلمين في مدينة ماحص، حيث يتواجد على أرض ماحص مقام الخضر عليه السلام وعدد كبير من المساجد أبرزها مسجد ماحص القديم ومسجد أبوبكر الصديق. أما بالنسبة للمظاهر السياسية للتعايش بين المدينتين؛ فأبرزها عدد من العاملين من المسلمين في وظائف ومؤسسات داخل مدينة الفحيص وعلى العكس من ذلك يتواجد عدد من المسيحيين في مؤسسات ووظائف داخل مدينة ماحص، وخلال فترة الانتخابات البرلمانية يتشارك المسلم مع المسيحي في الإدلاء بصوته بغض النظر إن كان مسلماً أو مسيحياً ومن أهم مظاهر التعايش الاجتماعي التي من أبرزها المجاملات والزيارات التي تتم بين الطرفين في أغلب المناسبات الاجتماعية فهناك من المسلمين يدرسون في مدارس الفحيص وأبناء من المسيحيين يدرسون مع أبناء المسلمين في مدارس ماحص، وهذه المظاهر ظاهرة للعيان وتتم عن مدى التعايش بين الطرفين بغض النظر عن الدين.

أما بالنسبة للمظاهر الثقافية، فهي كثيرة من أبرزها التشابه بين القيم والعادات بين المسلمين والمسيحيين في مدينتي الفحيص وماحص الأردنية، ويحترم كل طرف الآخر في مناسباته وخصوصياته، نظراً للتشابه بين القيم والعادات وخير مثال على ذلك أن المسيحيين يغلقون مطاعمهم والمقاهي نهاراً في شهر رمضان احتراماً منهم لمشاعر المسلمين، عدا أن شبيبة الكنائس تقوم بتوزيع التمور والماء وقت المغرب نظراً للتآخي بين الطرفين. يقول المؤرخ الأردني رؤوف أبوجابر: (ولندا مسيحيين وثقافتنا إسلامية، وأقدر باللغة العربية وللقرآن الكريم فضل عليّ). أما بالنسبة لمظاهر التعايش الاقتصادي الذي يجسد معنى التعايش الذي يربط بين المسلمين والمسيحيين في مدينتي الفحيص وماحص فإنك تجد أسواقاً مشتركة يؤمها المسلم والمسيحي في آن واحد هكذا هي صور التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن، يقول جلالة الملك عبدالله الثاني بن الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية: "إن الأردن الذي يشكل القدوة في التعايش الإسلامي المسيحي حريص على تعزيز التآخي بين أبناء الديانتين للإسهام في بناء وتقدم الوطن النموذج الذي نتطلع إليه". (جريدة الدستور، 2013).

أكد جلالته الملك عبدالله الثاني في مرات عديدة على أهمية الحالة التي يعيشها المسلمون والمسيحيون في الأردن بأنها فريدة من نوعها ومميزة. وسبق أن زار الأردن أكثر من بابا من الفاتيكان، التي تؤكد على عمق العلاقة التي تربط المسلمين والمسيحيين في الأردن، وفي الأردن وعلى مدار سنوات وما زالت تعقد المؤتمرات والحوارات التي تبحث وتؤكد على التواصل بين المسلمين والمسيحيين منها المركز الأردني لبحوث التعايش الديني والذي تأسس عام 2003 بهدف تعزيز التعايش بين أبناء الأديان السماوية في الأردن (المركز الأردني للبحوث، 2003) إضافة إلى ذلك رسالة عمان عام 2004، التي أصدرها جلالته الملك عبدالله الثاني بن الحسين التي أكدت على القيم الأساسية للإسلام الرحمة والاحترام المتبادل والتسامح والقبول وحرية الدين، وقد تحدث المبعوث الأوروبي في التعايش المشترك بين الأديان وقال إن الأردن نموذج في التعايش المشترك بين الأديان (فيغيل، جريدة الغد، 2016)



ونظرية العامل الديمغرافي (السكاني) التي تعزو التغير الاجتماعي إلى العامل السكاني مثال ذلك ما تحدّثه الهجرة الداخلية والخارجية في تغيرات المفاهيم والقيم ومظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية وهكذا ينطبق على مظاهر التعايش الديني ونظرية العامل الاقتصادي التي تؤكد على الناحية الاقتصادية وتأثيرها على التغير الاجتماعي والفكري والاجتماعي والثقافي.

نظرية العامل الثقافي، وتحدثت عن الانتشار الثقافي والارتباط الثقافي والصراع الثقافي سواء داخل المجتمع نفسه أو خارجه نتيجة اختلاط ثقافات الشعوب مع انتشار وسائل الاتصال والإعلام وتقبل ونشر مفاهيم وانتشار مظاهر ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية متعددة.

### مصطلحات الدراسة:

1. التعايش: العيش المشترك مع الآخر في مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية والاقتصادية.
2. المسلمون: المسلمين الذين يعيشون في مدينة ماحص الأردنية المجاورة لمدينة الفحيص الأردنية.
3. المسيحيون: المسيحيين الذين يعيشون في مدينة الفحيص الأردنية المجاورة لمدينة ماحص الأردنية.

### الدراسات السابقة:

تطرقت العديد من الدراسات إلى التعايش بشكل نظري، فقلما تناولته دراسة بعينها بشكل ميداني. فدراسة (عبدالستار، 2016)، بغداد بعنوان: (الأسس الفكرية لثقافة التعايش السلمي في المجتمعات)، بنيت الدراسة على قضية مفادها (تعد ثقافة التعايش السلمي ضرورة حياتية للتقارب بين التنوع والاختلاف في المجتمع وضرورة حضارية (إنسانية) للتواصل والتفاهم بين البشر، وبناءً على ذلك توصلت الدراسة إلى أن التنوع والاختلاف واقع كوني وإرادة إلهية يستحيل إلغاؤها والتعدد ضرورة اجتماعية والمواطنة حق إنساني علينا أن نتعامل مع ذلك الواقع بوعي يحقق التعايش السلمي في ظل التنوع والتكامل مع التعدد والتعاون في القواسم المشتركة وعليه إذا أردنا تعايشاً سلمياً يحافظ على الوحدة أن نتوافق على أن تكون الدولة في كل مؤسساتها مجسدة للتنوع الذي يقوم عليه المجتمع والالتزام بحقوق المواطنة للجميع وكفالة حرية العقيدة والعبادة والتبشير وقيام المؤسسات للعمل المشترك والالتزام بثوابت الوطن والعدالة في توزيع الحقوق والمساواة في التعامل واحترام التميز والجودة في العمل وانتهاج الحوار كوسيلة لفض النزاعات واحترام حقوق المؤسسات وحياته الأساسية.

أما دراسة (أل ملحم، 2015) بعنوان التعايش السلمي وتعددية الأديان والأعراف: دراسة في فكر مهاتير محمد، ركزت الدراسة على فكرة ورؤية واستراتيجية مهاتير محمد صانع ماليزيا الحضارة ورئيس وزرائها السابق في بسط التعايش السلمي بين الأديان والأعراف بماليزيا، وكيف استطاع برؤيته الإسلامية الحكيمة وسياساته المتوازنة، إنجاح فكرة التعايش بين الأقطاب الدينية والثقافية المختلفة، بعد أن أفاد من منطق التعايش واستطاع توظيفه بعقلية سياسية محنكة وفكر ديني منفتح يدرك أن الواقع التاريخي والأخلاقي في الإسلام حقق التوازن الأخلاقي وخلق مناخاً من التعاون والتعايش لا التناصر، واعتمدت الدراسة على المنهج الوضعي والاستقرائي وجاءت في مبحثين رئيسيين: الأول: مفهوم التعددية الدينية والتعايش السلمي والثاني ماليزيا الواحدة دولة التعددية والتعايش السلمي وتمثلت أهم النتائج في أن لا وجود من حيث المبدأ لثقافة عدوة أو أمة عدوة، وأن التنوع الثقافي ثروة ينبغي ألا تكون مصدراً للنزاع والتوتر وتبدأ الأفراد، بل سبيلاً إلى توسيع الأرضية المشتركة، ودعم فرص التوافق والتلاقح وتقليل الفوارق وحل النزاعات بالطرق السلمية، وأن من سلبيات التعددية أنها قد تؤدي لصراع عنيف بين الثقافات.

أما دراسة (رمضان، 2012) بعنوان التعايش السلمي في العراق بين الواقع والطموح: دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة واقع التعايش السلمي في مدينة الموصل من خلال تحديد مستوياته وتقدير أبعاده الاجتماعية بين مكوناته المختلفة في المدينة، لغرض الوصول إلى إمكانية



تنمية مشاعر أفرادهم وتفصيل دورهم في تحقيق التوافق والانسجام وقبول الآخر والعيش برفاهية، وما إلى ذلك من آثار إيجابية في توفير الاستقرار والأمن الاجتماعي والسياسي وتحديد المشكلات الناجمة عن ذلك شملت عينة الدراسة (150) فرداً عن مركز مدينة الموصل، ثم اختيرهم بطريقة العينة الحصصية، وهم يمثلون مجتمع الدراسة موزعين على أحيائها المختلفة، في جانبي المدينة الأيمن والأيسر، تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية والمناهج المتبعة فيها هو المنهج التاريخي ومنهج المسح الاجتماعي اعتمدت الدراسة على مقياس يحتوي على (48) فقرة، وتبحث معالجة البيانات بالوسائل الإحصائية ذات الصلة بالموضوع كالوسط الحسابي والانحراف المعياري واختبار التائي للمقارنة بين متغيرات الدراسة (برنامج SPSS) لتحليل الفقرات وكشفت النتائج عن عدم وجود فروق دالة بين المكونات الاجتماعية في مستوى الشعور بالتعايش السلمي في مدينة الموصل، وكذلك أشارت نتائج الدراسة إلى التعايش السلمي بين مكونات المجتمع العراقي وخاصة مدينة الموصل ما زال ينتابه نوع من الخوف ويتسم بالهشاشة والتالي فهو معرض للتهديد بالانهيار بأي لحظة.

كذلك دراسة (محمد، 2011) بعنوان (التعايش السلمي للأسر المتجاورة ذات الثقافات المتعددة: دراسة ميدانية في قضاء تليكيف)، بهدف البحث إلى التعرف على طبيعة التعايش بين الأسر المتجاورة المتعلقة في ثقافتها وهل هناك تعايش فيما بينهما أم لا، كما يهدف إلى الكشف على سبيل تعزيز هذا التعايش وتوصل البحث إلى مجموعة نتائج من أهمها، وأن الأسر المتجاورة والمتباينة في ثقافتها تحرص عبر غرس القيم التي تحت على التعايش في نفوس أبنائها من خلال التنشئة الاجتماعية كما تحثهم على مصاحبة أبناء الأسر المختلفة عنها في معتقداتها وثقافتها كما تبين أيضاً تبادل الزيارات في المناسبات وغيرها بين هذه الأسر وتقديم المساعدات والعون بينهم وأخيراً فإن الأسر المتجاورة والمتباينة في ثقافتها يحصرون على حل خلافاتهم مع بعضهم بالتفاهم وعدم اللجوء للعنف والقوة.

أما دراسة (أحمد، 2011)، بعنوان: (مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام: دراسة وصفية تحليلية)، هدفت إلى التعرف على طبيعة التعايش في المجتمع الإسلامي، وكذلك التعرف على مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام، وقد استخدم المنهج التاريخي لمعرفة حقيقة التعايش ومظاهره الاجتماعية في المجتمع الإسلامي، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: تميز الدين الإسلامي بالمبادئ والقيم فيها قيم ربانية جاءت ملية للفطرة البشرية ومتوافقة مع احتياجاتها لذا حقق الوعي الإسلامي ضروباً رائعة من التعايش والتوافق الإنساني في جوانبه الاجتماعية والحضارية كافة بل حتى على المستوى النفسي بما يحقق التعايش بين المسلمين أنفسهم، كذلك استطاع أن يحقق التعايش مع مخالفيهم في الدين الذين يشاركونهم المواطنة والتعايش مع الشعوب الأخرى، تتسع مجالات التعامل الاجتماعي بين المسلمين وغيرهم فيما لا يمس الاعتزاز السلمي بأخصية دينهم ووضع الضوابط الاجتماعية في التعامل معهم، وبهذا استطاع الإسلام أن يحقق التعايش في المجتمع مهما تنوعت الأديان. وبهذا يستطيع أن يضم عدد من الثقافات الفرعية والأديان المتنوعة، وفي المجتمع الإسلامي في إطار التسامح والتعايش الإنساني مما يدل على قدرة الدين الإسلامي على التفاعل والتعايش مع الأديان الأخرى.

أما دراسة (الشاوي، 2014) بعنوان مظاهر التعايش الاجتماعي بين الناس (قضايا القرنة والمدينة أنموذجاً) شمال البصرة هدفت إلى التعرف على التعايش الاجتماعي بين أبناء المذاهب الإسلامية والتعايش الاجتماعي بين المسلمين وطائفة الصابئة، وقد أظهرت النتائج أن أبناء جميع المذاهب الإسلامية هي سنية وشيعية فضلاً عن أبناء طائفة الصابئة يتمتعون بحرية الفكر والعبادة في جوامعهم وأماكن تواجدهم ويمارسون طقوسهم الدينية العبادية والشخصية على أساس مبدأ احترام آراء الآخرين، هنالك حالة ذوبان طائفة الصابئة في أحضان أبناء العشائر وفي عمق العشيرة الجنوبية فكل أسرة منها هي كبقية الأسر العربية العراقية لا فرق بينها وبين بقية الأسر فيما بينها.

دراسة (الشليبي والجبوري، 2014) نحو "خريطة طريق" للتعايش في الدول العربية ومجتمعاتها هدفت إلى تسليط الضوء على مفهوم التعايش على حالتي السلم والصراع في المجتمعات العربية ودولها ومكونات هذا المفهوم مثل الحقوق والمواطنة والحرية، على تجربة ما يطلق عليه (الربيع العربي) وقد توصلت الدراسة إلى أن مفهوم التعايش مهم للدول التي تسعى إلى بناء هويات وطنية ومواطنة حقيقية وحرّيات جماعية وفردية وأهمية التعليم في بناء حالة التعايش وقد ظل موضوع الأقليات في العالم العربي موضوعاً هامشياً في الخطاب السياسي، وقد يعبر عن التعايش بمفاهيم مثل التسامح، والتقارب والتساكن، والتلاقي، والتجانس.

دراسة (العفراوي، 2011) بعنوان (التعايش الحضاري وانعكاساته الاجتماعية والفكرية والثقافية - دراسة في المفهوم والواقع). هدفت الدراسة إلى معرفة الأسس التي تحمل الناس على التعايش الإنساني وتوصلت الدراسة إلى أن هناك أسس تحمل الناس على أن يتعايشوا فيما بينهم أهمها فطرية الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية التي تحملهم أن يتعايشوا معاً.

وربما الإنسان يتعايش مع الآخرين إما (قهرًا) أو بسبب مصالحهم المشتركة مع أن هذه النزعة تؤدي إلى التنكك الأسري والاجتماعي في هذه المجتمعات.

دراسة (البطوش، 2010) بعنوان (العيش الإسلامي المسيحي المشترك: الكرك أنموذجاً) هدفت الدراسة إلى تحليل عوامل قوة الأنموذج الأردني الكركي، وتُعنى بالتأشير إلى التحديات والمتغيرات التي باتت تفرضها تطورات العصر، إضافة إلى ترسيخ الحالة الأردنية المتميزة وتهتم بدراسة سبل صونها وتطويرها، مستخدماً المنهج التاريخي وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها إن العربي المسيحي الأردني يعيش الثقافة الإسلامية حياة يومية يحس بها ويلمسها ويدرسها في المناهج المدرسية والجامعية ويعيش الطقوس والشعائر الإسلامية يوماً كرمضان والأعياد، بالمقابل نجد غياباً للوعي بالثقافة المسيحية وجهلاً بخصائص الحياة الاجتماعية والدينية للعرب المسيحيين وجهلاً بمكانتهم ودورهم في المنظومة الحضارية والثقافية والتاريخية العربية الإسلامية.

انتهجت الدولة الأردنية سياسات تهدف إلى بناء نسيج اجتماعي مستقر تنظمه مبادئ المواطنة ويكون معيار التعامل فيه مع المواطنين وطني دستوري بعيداً عن التصنيفات الطائفية أو العرقية، حفظت الأردن حقوق أبنائها في التمثيل السياسي والنيابي وضمنت لهم الحضور الثقافي والاجتماعي.

دراسة (الربابعة، 2013) بعنوان (العيش الإسلامي المسيحي في محافظة عجلون)، هدفت إلى التعرف على طبيعة العلاقة والانسجام بين المسلمين والمسيحيين في محافظة عجلون وأثره على استقرار الحياة والشعور بالأمان وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها: العلاقة الطيبة بين المسلمين والمسيحيين هي قديمة منذ صدر الإسلام، العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الأردن تقوم على الاحترام المتبادل، هناك تشاركية بين العشائر الإسلامية والعشائر المسيحية في محافظة عجلون في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

دراسة (shayuthy, 2016) بعنوان (التعايش السلمي والاندماج الاجتماعي في ضوء مقاصد الشريعة: سيريلانكا أنموذجاً)، هدفت إلى دراسة التعايش والاندماج الاجتماعي باعتباره من أهم القضايا والمشكلات التي تواجه العديد من المجتمعات في العالم، وخاصة تلك التي تعيش فيها أقليات دينية أو عرقية أو لغوية، الأمر الذي كثيراً ما تحصل بسببه نزاعات وصراعات، وخلصت الدراسة إلى ضرورة البحث عن الأسس المتينة والقيم المشتركة التي بناءً عليها تحقيق التفاهم والتعايش السلمي والتعاون بين الجماعات المختلفة لمصلحة الجميع دون تمييز في ضوء مقاصد الشريعة الإسلامية التي توفر قاعدة أساسية مشتركة من خلال حفظ الكليات الضرورية المتمثلة في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال والتي تنبثق منها وتتأسس عليها مجموعة من المبادئ والقيم الكبرى في مقدمتها مراعاة الفطرة والحرية والعدل والمساواة وحسن الجوار والأمن باعتبارها شروطاً ضرورية لتحقيق التفاهم

والتعايش بين البشر المختلفين أفراداً وجماعات وقد اتخذت الدراسة (سيرلانكا) حالة تطبيقية من حيث بلد يعيش فيه المسلمون باعتبارهم أقلية دينية في مقابل أغلبية غير مسلمة.

دراسة (Murat Iyigum, 2015) بعنوان: (كيفية تأثير الهوية الدينية والتنافس على التطورات في أوروبا من منظور مقارن). ومن نتائج الدراسة أن الصراع والصراعات العنيفة كانت مستدامة بين القوى الإسلامية والمسيحية في أوروبا والشرق الوسط وشمال أفريقيا، انتشر التعايش الديني والقبول في أوروبا. وهكذا، فإن التعددية الدينية داخل المسيحية تصاحب التشرذم السياسي الأوروبي والمنافسة، وقد سبقت الفترة التي سبقت التنمية الاقتصادية المستدامة في القارة.

### الطريقة والإجراءات

تضمن هذا الفصل وصفا للإجراءات التي قامت بها الدراسة لتحقيق أهدافها، والذي تضمن وصف مجتمع الدراسة الذي سُحبت منه العينة والطريقة التي اختيرت بها، وكذلك وصف أداة الدراسة والإجراءات التي اتبعت للتأكد من صدقها وثباتها، وكيفية تطبيقها على أفراد العينة، ووصف طريقة جمع البيانات وأسلوب التصحيح، فضلاً عن الإشارة إلى الأساليب الإحصائية التي استخدمت، وذلك على النحو الآتي:

#### منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على استخدام المسح الاجتماعي بالعينة، معتمداً على الدراسة الميدانية لمدينتي الفحيص وماحص أنموذجاً، وقد استخدم هذا المنهج لاستعراض أهم الأدبيات ذات العلاقة "بالتعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن (مدينتي الفحيص وماحص أنموذجاً)".

#### مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من جميع أفراد المجتمع الأردني في مدينتي الفحيص وماحص أنموذجاً.

#### عينة الدراسة:

تم اختيار عينة الدراسة من مجتمع الدراسة بالطريقة القصدية المتاحة من مدينتي الفحيص وماحص تقدر بـ(100) فرد من المسلمين في مدينة ماحص و(100) فرد من المسيحيين في مدينة الفحيص، حيث تم توزيع (200) إستبانة عليهم في أماكن تواجدهم، وبعد استرجاع الإستبانات، تم استبعاد (2) استبانتيين (1) مسلم و (1) مسيحي لعدم صلاحيتها لأغراض التحليل الإحصائي، وذلك بسبب عدم اكتمال الاستجابات، والجدول (1) يوضح التوزيع الديموغرافي لأفراد عينة الدراسة.

#### الجدول (1): التوزيع النسبي أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات الديموغرافية

الديانة (مسلم)		الديانة (مسيحي)	
المتغير	التكرار	المتغير	النسبة المئوية
الجنس		الجنس	
ذكر	71	ذكر	58.6
أنثى	28	أنثى	41.4
المجموع الكلي	99	المجموع الكلي	100.0
العمر		العمر	
30-18 سنة	46	30-18 سنة	28.3
45-31 سنة	38	45-31 سنة	28.3

43.4	43	46- فأكثر	15.2	15	46- فأكثر
100.0	99	المجموع الكلي	100.0	99	المجموع الكلي
		المستوى التعليمي			المستوى التعليمي
15.2	15	دون الثانوية العامة	11.1	11	دون الثانوية العامة
47.5	47	ثانوية عامة	41.4	41	ثانوية عامة
10.1	10	دبلوم	10.1	10	دبلوم
20.2	20	بكالوريوس	26.3	26	بكالوريوس
7.1	7	دراسات عليا	11.1	11	دراسات عليا
100.0	99	المجموع الكلي	100.0	99	المجموع الكلي
		الحالة الاجتماعية			الحالة الاجتماعية
35.4	35	أعزب	45.5	45	أعزب
64.6	64	متزوج	54.5	54	متزوج
100.0	99	المجموع الكلي	100.0	99	المجموع الكلي

#### أدوات الدراسة:

تم تطوير أداة الدراسة وهي استبانة لكل من المسلمين والمسيحيين حول التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن بالرجوع إلى الأدب النظري والدراسات السابقة ذات العلاقة، وكان لكل ديانة أدواتها الخاصة بها، هذا وقد تكون كل أداة للدراسة من جزأين:

**الجزء الأول:** يتضمن المعلومات الديمغرافية، والمكونة من: الجنس، والعمر، والديانة، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية.

**الجزء الثاني:** والذي يتضمن أسئلة الدراسة والمكونة من (50) فقرة، وجميعها يتعلق بالتعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن، وتم تصميم الأداة على غرار مقياس ليكرت الخماسي حيث تم تناول الأبعاد التالية:

- البعد الأول ويتناول مظاهر التعايش الديني، ويتضمن (10) فقرة.
- البعد الثاني والمتعلق بمظاهر التعايش السياسي، ويتضمن (10) فقرة.
- البعد الثالث والمتعلق بمظاهر التعايش الاجتماعي، ويتضمن (10) فقرة.
- البعد الرابع والمتعلق بمظاهر التعايش الثقافي، ويتضمن (10) فقرة.
- البعد الخامس والمتعلق بمظاهر التعايش الاقتصادي، ويتضمن (10) فقرة.

#### صدق أدوات الدراسة:

تم عرض مقياسي الدراسة على عدد من أعضاء الهيئة التدريسية في قسم الخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع، وعلم النفس في جامعة البلقاء التطبيقية، وذلك لإبداء آرائهم في صدق المضمون وانتماء العبارات ومدى ملاءمتها لقياس ما وضعت لقياسه، ودرجة وضوحها، ومن ثم تم اقتراح التعديلات المناسبة، وقد تم اعتماد معيار (80%) لبيان صلاحية الفقرة، وبناء على آراء المحكمين تم تعديل بعض الفقرات من ناحية الصياغة لزيادة وضوحها، وتم حذف عدد من الفقرات بسبب تشابهها وقرب مدلولها مع فقرات أخرى، وتم حذف بعضها الآخر لعدم مناسبتها لأغراض الدراسة وعدم مناسبة بعضها للبعد الذي تنتمي إليه، وبالنتيجة أصبح كل مقياس يتألف من (50) فقرة موزعة على خمسة أبعاد رئيسية، واعتبرت الدراسة آراء المحكمين وتعديلاتهم دلالة على صدق محتوى أدوات الدراسة

وملاءمة فقراتها وتنوعها، وبعد إجراء التعديلات المطلوبة، تحقق التوازن بين مضامين مقياسي الدراسة في فقراتها، مما يشير للصدق الظاهري للأداة.

ثبات أداتي الدراسة:

للتعرف إلى اتساق كل فقرة من مقياسي الدراسة مع البعد الذي تنتمي إليه الفقرة، تم استخدام حساب معاملات الارتباط بين كل فقرة من الفقرات في الاستبانة عن طريق استخدام معامل (ألفا كرونباخ) ويبين الجدول (2) نتائج الاختبار.

الجدول (2): معاملات الثبات لفقرات أداتي الدراسة باستخدام اختبار كرونباخ ألفا

متغيرات الدراسة	معامل الثبات باستخدام كرونباخ ألفا (مسلم)	معامل الثبات باستخدام كرونباخ ألفا (مسيحي)
مظاهر التعايش الديني	0.894	0.689
مظاهر التعايش السياسي	0.899	0.654
مظاهر التعايش الاجتماعي	0.815	0.600
مظاهر التعايش الثقافي	0.876	0.620
مظاهر التعايش الاقتصادي	0.920	0.864
الأداة ككل	0.952	0.872

يتضح من الجدول (2) أن قيم معامل كرونباخ ألفا للأبعاد الفرعية لأداتي الدراسة كانت أعلى من (0.60) وهي نسب مقبولة لأغراض الدراسة الحالية.

متغيرات الدراسة:

اشتملت الدراسة على العديد من مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين، (مظاهر التعايش الديني، مظاهر التعايش السياسي، مظاهر التعايش الاجتماعي، مظاهر التعايش الثقافي، مظاهر التعايش الاقتصادي) كمتغير مستقل، وبعض المتغيرات الاجتماعية مثل (الديانة: مسلم، مسيحي، الجنس، التعليم، الحالة الاجتماعية، العمر)، كمتغير تابع.

المعالجات الإحصائية المستخدمة:

تم استخدام أساليب الإحصاء الوصفي للإجابة عن أسئلة الدراسة، كالاتي:

- استخراج التكرارات والنسب المئوية لوصف أفراد عينة الدراسة.
- استخدام اختبار كرونباخ ألفا للتأكد من ثبات الأداة.
- استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.
- استخدام اختبار Independent Sample T-test، واستخدام اختبار التباين المشترك ANCOVA.

### محددات الدراسة:

تحدد هذه الدراسة في النقاط التالية:

1. اقتصرت هذه الدراسة على دراسة مظاهر التعايش الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين في مدينتي الفحيص وماحص.
2. تم تطبيق الدراسة على عينة من المسلمين والمسيحيين في مدينتي الفحيص وماحص.
3. يتحدد تعميم نتائج الدراسة على مدى صدق وثبات أداة الدراسة كما لا يمكن تعميم نتائج الدراسة إلا على مجتمع الدراسة أو المجتمعات المشابهة له.

### عرض وتحليل البيانات:

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن (مدينتي الفحيص وماحص أنموذجاً).

**السؤال الأول: ما مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص؟**

**1- مستوى التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص:**  
تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى استجابات أفراد عينة الدراسة عن مستوى التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص، والجدول (3) يوضح ذلك:

### الجدول (3)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن "مستوى التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن" من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص مرتبة ترتيباً تنازلياً

الرقم	مظاهر التعايش	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى التعايش
5	مظاهر التعايش الاقتصادي	2.37	0.71	1	مرتفع
4	مظاهر التعايش الثقافي	2.18	0.67	2	مرتفع
2	مظاهر التعايش السياسي	2.14	0.75	3	مرتفع
3	مظاهر التعايش الاجتماعي	1.89	0.69	4	متوسط
1	مظاهر التعايش الديني	.99	0.79	5	منخفض
	الدرجة الكلية للمقياس	1.92	0.57		متوسط

يتضح من الجدول (3) أن المتوسطات الحسابية لـ (مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص)، تراوحت ما بين (2.37 و0.99)، حيث حاز التعايش الديني بشكل عام على متوسط حسابي إجمالي بلغ (1.92)، وهو من المستوى المتوسط، وقد جاء في المرتبة الأولى التعايش الاقتصادي، وقد حاز على أعلى متوسط حسابي والذي بلغ (2.37) وانحراف معياري (0.71) وهو من المستوى المرتفع، وثانياً جاء التعايش الثقافي، بمتوسط حسابي بلغ (2.18) وانحراف معياري (0.67)، وهو من المستوى المرتفع، وفي المرتبة الثالثة جاء التعايش السياسي، والحاصل على متوسط حسابي (2.14) وانحراف معياري (0.75)، وهو من المستوى المرتفع أيضاً.

وفي المرتبة الرابعة جاء التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين والحاصل على متوسط حسابي (1.89) وانحراف معياري (0.69) وهو من المستوى المتوسط، وفي المرتبة الأخيرة جاء التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة ماحص بمتوسط حسابي (0.99) وانحراف معياري (0.79) وهو من المستوى المنخفض.

وهذا يدل على أن التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة ماحص متوسط المستوى.

2- مستوى التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص: تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى استجابات أفراد عينة الدراسة عن مستوى التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص، والجدول (4) يوضح ذلك:

#### الجدول (4)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن "مستوى التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن" من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص مرتبة ترتيباً تنازلياً

الرقم	التعايش الديني	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	مستوى التعايش
5	مظاهر التعايش الاقتصادي	2.83	0.32	1	مرتفع
2	مظاهر التعايش السياسي	2.66	0.33	2	مرتفع
4	مظاهر التعايش الثقافي	2.59	0.36	3	مرتفع
3	مظاهر التعايش الاجتماعي	2.49	0.40	4	مرتفع
1	مظاهر التعايش الديني	1.65	0.49	5	متوسط
	الدرجة الكلية للمقياس	2.44	0.29		مرتفع

يتضح من الجدول (4) أن المتوسطات الحسابية لمظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص، تراوحت ما بين (2.83 و 1.65)، حيث حاز التعايش الديني بشكل عام على متوسط حسابي إجمالي بلغ (2.44)، وهو من المستوى المرتفع، وقد جاء في المرتبة الأولى التعايش الاقتصادي، وقد حاز على أعلى متوسط حسابي والذي بلغ (2.83) وانحراف معياري (0.32) وهو من المستوى المرتفع، وثانياً جاء التعايش السياسي، بمتوسط حسابي بلغ (2.66) وانحراف معياري (0.33)، وهو من المستوى المرتفع، وفي المرتبة الثالثة جاء التعايش الثقافي، والحاصل على متوسط حسابي (2.59) وانحراف معياري (0.36)، وهو من المستوى المرتفع أيضاً.

وفي المرتبة الرابعة جاء التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين والحاصل على متوسط حسابي (2.49) وانحراف معياري (0.40) وهو من المستوى المرتفع، وفي المرتبة الأخيرة جاء التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في مدينة الفحيص بمتوسط حسابي (1.65) وانحراف معياري (0.49) وهو من المستوى المتوسط.

وهذا يدل على أن التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص مرتفع المستوى.

وللتعرف إلى مستوى الفقرات الفرعية لكل مظهر من مظاهر التعايش الديني، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وفيما يلي هذه النتائج:

#### أولاً: مظاهر التعايش الديني:

1- مظاهر التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص.

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الديني من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص.



الجدول (5)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الديني من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
2	تقوم بالمعايدة بالأعياد الدينية للمسيحيين في الفحيص.	1.79	1.11	1	متوسط
10	سبق وأن حصل حوار ديني بينك وبين مسيحيين.	1.24	1.18	2	متوسط
9	سبق وأن سمعت قصص مسيحية.	1.02	1.18	3	متوسط
7	سبق وأن زرت مقبرة مسيحية في الفحيص.	0.97	1.14	4	منخفض
6	سبق وأن زرت أديرة في الفحيص.	0.93	1.12	5	منخفض
8	سبق وأن قرأت من الكتاب المقدس.	0.87	1.18	6	منخفض
1	سبق أن زرت كنيسة في الفحيص.	0.85	1.03	7	منخفض
5	سبق لك أو قريبك تسمية بأسماء مسيحية	0.84	1.07	8	منخفض
4	سبق وأن حضرت تعميد الأطفال.	0.76	1	9	منخفض
3	سبق لك تجربة صيام المسيحية.	0.69	1.06	10	منخفض
	المتوسط العام الحسابي	0.99	0.79		منخفض

أظهرت نتائج الجدول (5) أن مظاهر التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص كانت منخفضة المستوى من وجهة نظر المسلمين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (0.99) وانحراف معياري (0.79).

وقد حازت الفقرة رقم (2) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (1.79) وانحراف معياري (1.11) وهو من المستوى المتوسط، حيث نصت الفقرة على (تقوم بالمعايدة بالأعياد الدينية للمسيحيين في الفحيص)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (3) بمتوسط حسابي (0.69) وانحراف معياري (1.06) وهو من المستوى المنخفض، حيث نصت الفقرة على (سبق لك تجربة صيام المسيحية).

2- مظاهر التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة ماحص:

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الديني من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص.

الجدول (6)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الديني من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
2	تقوم بالمعايدة بالأعياد الدينية للمسلمين في ماحص.	2.81	0.49	1	مرتفع



مرتفع	2	1.00	2.38	6 سبق وأن زرت مقامات دينية في ماحص.
مرتفع	3	1.04	2.14	5 سبق لك أو قريبك تسمية بأسماء مسلمين
مرتفع	4	1.17	2.06	10 سبق وأن حصل حوار ديني بينك وبين مسلمين.
متوسط	5	0.91	1.63	9 سبق وأن سمعت قصص اسلامية.
متوسط	6	1.00	1.37	1 سبق أن زرت مسجداً في ماحص.
متوسط	7	0.99	1.21	3 سبق لك تجربة صيام رمضان.
منخفض	8	0.81	1.00	8 سبق وأن قرأت من القرآن الكريم.
منخفض	9	1.02	0.97	7 سبق وأن زرت مقبرة إسلامية في ماحص.
منخفض	10	0.88	0.88	4 سبق وأن حضرت ظهور أطفال.
متوسط		0.49	1.65	المتوسط العام الحسابي

أظهرت نتائج الجدول (6) أن مظاهر التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص كانت متوسطة المستوى من وجهة نظر المسيحيين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (1.65) وانحراف معياري (0.49).

وقد حازت الفقرة رقم (2) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.81) وانحراف معياري (0.49) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تقوم بالعبادة بالأعياد الدينية للمسلمين في ماحص)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (4) بمتوسط حسابي (0.88) وانحراف معياري (0.88) وهو من المستوى المنخفض، حيث نصت الفقرة على (سبق وأن حضرت ظهور أطفال).

#### ثانياً: مظاهر التعايش السياسي:

1- مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص  
تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش السياسي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص.

#### الجدول (7)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش السياسي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
10	2.67	0.73	1	مرتفع
6	2.28	1.01	2	مرتفع
9	2.26	1.10	3	مرتفع
5	2.22	0.97	4	مرتفع
8	2.10	1.09	5	مرتفع
1	2.06	1.03	6	مرتفع

مرتفع	7	1.01	2.01	2	تقبل أن يكون رئيس البلدية مسيحي.
متوسط	8	1.13	1.99	3	تقبل أن تنتخب نائباً مسيحياً.
متوسط	9	1.14	1.95	7	شاركت المسيحيين في الفحيص في استضافة اللاجئين.
متوسط	10	1.14	1.90	4	تقبل المشاركة بأحزاب يقودها مسيحيين.
مرتفع		0.75	2.14		المتوسط العام الحسابي

أظهرت نتائج الجدول (7) أن مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسلمين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.14) وبانحراف معياري (0.79).

وقد حازت الفقرة رقم (10) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.67) وبانحراف معياري (0.73) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (يتمتع المسلم والمسيحي في حقوق المواطنة والكرامة والحرية)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (4) بمتوسط حسابي (1.90) وبانحراف معياري (1.14) وهو من المستوى المتوسط، حيث نصت الفقرة على (تقبل المشاركة بأحزاب يقودها مسيحيين).

**2- مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص**  
تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش السياسي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص.

#### الجدول (8)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش السياسي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
3	تقبل أن تنتخب نائباً مسلماً.	2.88	0.36	1	مرتفع
10	يتمتع المسيحي مع المسلم في حقوق المواطنة والكرامة والحرية	2.86	0.55	2	مرتفع
1	تقبل أن يكون الوزير مسلم	2.85	0.41	3	مرتفع
6	تشارك المسلمين في الاحتفالات والمناسبات الوطنية.	2.84	0.51	4	مرتفع
9	تقبل المشاركة في حماية المقامات الإسلامية.	2.84	0.49	4	مرتفع
8	تقبل سياسات الانفتاح على المسلمين.	2.78	0.58	6	مرتفع
4	تقبل المشاركة بأحزاب يقودها مسلمين.	2.73	0.62	7	مرتفع
5	ترغب أن يكون الموظف الذي تراجع مسيحي.	2.54	0.81	8	مرتفع
2	تقبل أن يكون رئيس البلدية مسلم.	2.48	0.61	9	مرتفع
7	شاركت المسلمين في ماحص في استضافة اللاجئين.	1.82	1.23	10	متوسط
	المتوسط العام الحسابي	2.66	0.33		مرتفع

أظهرت نتائج الجدول (8) أن مظاهر التعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسيحيين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.66) وبنحراف معياري (0.33).

وقد حازت الفقرة رقم (3) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.88) وبنحراف معياري (0.33) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تقبل أن تنتخب نائباً مسلماً)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (7) بمتوسط حسابي (1.82) وبنحراف معياري (1.23) وهو من المستوى المتوسط، حيث نصت الفقرة على (شاركت المسلمين في ماحص في استضافة اللاجئين).

### ثالثاً: مظاهر التعايش الاجتماعي:

**1- مظاهر التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص**  
تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الاجتماعي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص.

### الجدول (9)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الاجتماعي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
8	تتميز العلاقات الاجتماعية مع المسيحيين في الفحيص بالاحترام المتبادل والتسامح والتآخي.	2.55	.86	1	مرتفع
10	تشارك مع المسيحيين في ولاءم الأعراس والمناسبات.	2.19	1.08	2	مرتفع
7	تذهب إلى المراكز الطبية المسيحية.	2.11	1.00	3	مرتفع
4	تشارك في أفراح وأحزان المسيحيين في الفحيص.	2.05	1.12	4	مرتفع
6	تقوم بتبادل الهدايا مع المسيحيين في الفحيص.	2.03	1.15	5	مرتفع
9	تذهب إلى المؤسسات المسيحية التي تقدم خدمات اجتماعية للمسنين والشباب والأطفال.	1.95	1.21	6	متوسط
2	لك اصدقاء من المسيحيين في الفحيص.	1.91	1.20	7	متوسط
5	تشارك في الجاهات والعطوات العشائرية للمسيحيين في الفحيص.	1.91	1.25	7	متوسط
3	لك جيران من المسيحيين.	1.52	1.26	9	متوسط
1	لك اخوة بالرضاعة من المسيحيين في الفحيص.	.66	1.02	10	منخفض
	المتوسط العام الحسابي	1.89	.69		متوسط

أظهرت نتائج الجدول (9) أن مظاهر التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص كانت متوسطة المستوى من وجهة نظر المسلمين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (1.89) وبنحراف معياري (0.69).

وقد حازت الفقرة رقم (8) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.55) وبانحراف معياري (0.86) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تتميز العلاقات الاجتماعية مع المسيحيين في الفحيص بالاحترام المتبادل والتسامح والتآخي)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (1) بمتوسط حسابي (0.66) وبانحراف معياري (1.02) وهو من المستوى المتوسط، حيث نصت الفقرة على (لك اخوة بالرضاعة من المسيحيين في الفحيص).  
2- مظاهر التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص.  
تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الاجتماعي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص.

#### الجدول (10)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الاجتماعي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
6	تقوم بتبادل الهدايا مع المسلمين في ماخص.	2.94	1.29	1	مرتفع
8	تتميز العلاقات الاجتماعية مع المسلمين في ماخص بالاحترام المتبادل والتسامح والتآخي.	2.84	0.55	2	مرتفع
2	لك اصدقاء من المسلمين في ماخص.	2.83	1.08	3	مرتفع
4	تشارك في أفراح وأحزان المسلمين في ماخص.	2.79	0.58	4	مرتفع
10	تشارك مع المسلمين في ولاءم الأعراس والمناسبات (رمضان).	2.79	0.54	4	مرتفع
3	لك جيران من المسلمين.	2.66	0.78	6	مرتفع
7	تذهب إلى المراكز الطبية الإسلامية.	2.64	0.78	7	مرتفع
9	تذهب إلى المؤسسات الإسلامية التي تقدم خدمات اجتماعية للمسنين والشباب والأطفال.	2.56	0.98	8	مرتفع
5	تشارك في الجاهات والعطوات العشائرية للمسلمين في ماخص.	2.17	0.98	9	مرتفع
1	لك اخوة بالرضاعة من المسلمين في ماخص.	0.71	1.00	10	منخفض
	المتوسط العام الحسابي	2.49	0.40		مرتفع

أظهرت نتائج الجدول (10) أن مظاهر التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسيحيين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.49) وبانحراف معياري (0.40).

وقد حازت الفقرة رقم (6) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.94) وبانحراف معياري (1.29) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تقوم بتبادل الهدايا مع المسلمين في ماخص)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (1) بمتوسط حسابي (0.71) وبانحراف معياري (1.00) وهو من المستوى المنخفض، حيث نصت الفقرة على (لك اخوة بالرضاعة من المسلمين في ماخص).

رابعاً: مظاهر التعايش الثقافي:

1- مظاهر التعايش الثقافي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الثقافي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص.

الجدول (11)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الثقافي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
9	يتحدث المسلمين والمسيحيين اللغة العربية.	2.60	0.83	1	مرتفع
10	وسائل الاتصال الاجتماعي عمقت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في ماحص والفحيص.	2.47	0.92	2	مرتفع
4	يشارك المسلمين والمسيحيين في المبادرات الثقافية على مستوى المواطن.	2.37	0.88	3	مرتفع
6	تتشابه الأزياء الشعبية والرسمية بين المسلمين والمسيحيين.	2.26	0.86	4	مرتفع
5	تجلس في مقاهي يرتادها المسيحيين.	2.22	1.02	5	مرتفع
8	يتشابه الطعام واستخدام القهوة السادة بين المسلمين والمسيحيين.	2.22	0.90	5	مرتفع
1	تتشابه منظومة القيم والأعراف والعادات للمسلمين والمسيحيين.	2.09	0.89	7	مرتفع
3	يرتاد المسلمين والمسيحيين نفس المؤسسات والمراكز الثقافية.	2.06	1.03	8	مرتفع
7	تتشابه طقوس الاحتفالات والزواج بين المسلمين والمسيحيين.	1.87	1.08	9	متوسط
2	سبق أن حصل أي نوع من الاحتكاكات بين المسلمين والمسيحيين في الفحيص وماحص.	1.63	1.27	10	متوسط
	المتوسط العام الحسابي	2.18	0.67		مرتفع

أظهرت نتائج الجدول (11) أن مظاهر التعايش الثقافي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسلمين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.18) وانحراف معياري (0.67).

وقد حازت الفقرة رقم (9) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.60) وانحراف معياري (0.83) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (يتحدث المسلمين والمسيحيين اللغة العربية)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت

الفقرة رقم (2) بمتوسط حسابي (1.63) وانحراف معياري (1.27) وهو من المستوى المتوسط، حيث نصت الفقرة على (سبق وأن حصل أي نوع من الاحتكاكات بين المسلمين والمسيحيين في الفحيص وماحص).

## 2- مظاهر التعايش الثقافي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص:

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الثقافي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص.

### الجدول (12)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الثقافي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
9	يتحدث المسلمين والمسيحيين اللغة العربية.	2.91	0.29	1	مرتفع
10	وسائل الاتصال الاجتماعي عمقت العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في الفحيص وماحص.	2.87	0.47	2	مرتفع
3	يرتاد المسلمين والمسيحيين نفس المؤسسات والمراكز الثقافية.	2.86	1.36	3	مرتفع
4	يشارك المسلمين والمسيحيين في المبادرات الثقافية على مستوى المواطن.	2.84	0.49	4	مرتفع
5	تجلس في مقاهي يرتادها المسلمين.	2.79	0.52	5	مرتفع
8	يتشابه الطعام واستخدام القهوة السادة بين المسيحيين والمسلمين.	2.79	0.54	5	مرتفع
7	تتشابه طقوس الاحتفالات والزواج بين المسيحيين والمسلمين.	2.74	0.55	7	مرتفع
6	تتشابه الأزياء الشعبية والرسمية بين المسيحيين والمسلمين.	2.67	0.61	8	مرتفع
1	تتشابه منظومة القيم والأعراف والعادات للمسلمين والمسيحيين.	2.56	0.80	9	مرتفع
2	سبق أن حصل أي نوع من الاحتكاكات بين المسلمين والمسيحيين في الفحيص وماحص.	0.89	1.44	10	منخفض
	المتوسط العام الحسابي	2.59	0.36		مرتفع

أظهرت نتائج الجدول (12) أن مظاهر التعايش الثقافي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسيحيين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.59) وانحراف معياري (0.36).

وقد حازت الفقرة رقم (9) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.91) وانحراف معياري (0.29) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (يتحدث المسلمين والمسيحيين اللغة العربية)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت

الفقرة رقم (2) بمتوسط حسابي (0.89) وبانحراف معياري (1.44) وهو من المستوى المنخفض، حيث نصت الفقرة على (سبق وأن حصل أي نوع من الاحتكاكات بين المسلمين والمسيحيين في الفحيص وماحص).

خامساً: مظاهر التعايش الاقتصادي:

1- مظاهر التعايش الاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص:

تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الاقتصادي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص.

### الجدول (13)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الاقتصادي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
6	تتميز العلاقة بين المواطنين من المسلمين والمسيحيين بالتسامح.	2.67	0.67	1	مرتفع
1	تشتري من محلات المسيحيين.	2.55	0.72	2	مرتفع
7	يلعب المناخ والبيئة في تحديد طبيعة العمل الذي يجمع المسلم مع المسيحي.	2.46	0.79	3	مرتفع
5	تشتغل مع مسيحيين في نفس المكان.	2.41	0.91	4	مرتفع
8	نظام الملكية يتشابه بين المسلمين والمسيحيين في امتلاك العقارات.	2.39	0.91	5	مرتفع
9	يكمل المسلمون والمسيحيون بعضهم من الناحية الاقتصادية مما يشكلون اكتفاء ذاتياً بين ماحص والفحيص.	2.39	0.91	6	مرتفع
10	يشارك المسلمون والمسيحيون في إقامة المشاريع الاقتصادية الكبيرة كالمشاريع الإسكانية.	2.38	0.96	7	مرتفع
4	تشتغل بهمهن يشتغل بها المسيحيون.	2.25	1.04	8	مرتفع
2	تشتغل في محلات يملكها المسيحيين.	2.15	1.09	9	مرتفع
3	تشتري عقارات وبيوت من المسيحيين.	2.07	1.17	10	مرتفع
	المتوسط العام الحسابي	2.37	0.71		مرتفع

أظهرت نتائج الجدول (13) أن مظاهر التعايش الاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسلمين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.37) وبانحراف معياري (0.71).

وقد حازت الفقرة رقم (6) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.67) وبانحراف معياري (0.67) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تتميز العلاقة بين المواطنين من المسلمين والمسيحيين بالتسامح)، وفي

المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (3) بمتوسط حسابي (2.07) وبانحراف معياري (1.17) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تشتري عقارات وبيوت من المسيحيين).

2- مظاهر التعايش الاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص:  
تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات مظاهر التعايش الاقتصادي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص.

#### الجدول (14)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد عينة الدراسة عن فقرات "مظاهر التعايش الاقتصادي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص" مرتبة ترتيباً تنازلياً..

الرقم	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	المستوى
1	تشتري من محلات المسلمين.	2.95	0.22	1	مرتفع
6	تتميز العلاقة بين المواطنين من المسيحيين والمسلمين بالتسامح.	2.90	0.42	2	مرتفع
4	تشتغل بمهن يشتغل بها المسلمون.	2.86	0.43	3	مرتفع
3	تشتري عقارات وبيوت من المسلمين.	2.85	0.41	4	مرتفع
10	يشارك المسيحيين والمسلمين في إقامة المشاريع الاقتصادية الكبيرة كالمشاريع الاسكانية.	2.85	0.56	5	مرتفع
9	يكمل المسيحيين والمسلمين بعضهم من الناحية الاقتصادية مما يشكلون اكتفاء ذاتياً بين ماحص والفحيص.	2.84	0.51	6	مرتفع
5	تشتغل مع مسيحيين في نفس المكان.	2.83	0.50	7	مرتفع
2	تشتغل في محلات يملكها المسلمين.	2.82	0.50	8	مرتفع
7	يلعب المناخ والبيئة في تحديد طبيعة العمل الذي يجمع المسيحي مع المسلم.	2.73	0.53	9	مرتفع
8	نظام الملكية يتشابه بين المسيحيين والمسلمين في امتلاك العقارات.	2.72	0.57	10	مرتفع
	المتوسط العام الحسابي	2.83	0.32		مرتفع

أظهرت نتائج الجدول (14) أن مظاهر التعايش الاقتصادي بين المسلمين والمسيحيين في الأردن من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص كانت مرتفعة المستوى من وجهة نظر المسلمين، حيث حاز المحور على متوسط حسابي (2.83) وبانحراف معياري (0.32).

وقد حازت الفقرة رقم (1) على أعلى متوسط حسابي والبالغ (2.95) وبانحراف معياري (0.22) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (تشتري من محلات المسلمين)، وفي المرتبة الأخيرة جاءت الفقرة رقم (8) بمتوسط حسابي (2.72) وبانحراف معياري (0.57) وهو من المستوى المرتفع، حيث نصت الفقرة على (نظام الملكية يتشابه بين المسيحيين والمسلمين في امتلاك العقارات).



هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واستخدام اختبار Independent Sample T-test للتعرف إلى دلالة الفروق في مستوى التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص يعزى للديانة، والجدول (15) يوضح ذلك:

الجدول (15) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى دلالة الفروق في مظاهر التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص يعزى للديانة

المصدر	الديانة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (t)	درجات الحرية	الدلالة الإحصائية
مظاهر التعايش الديني	مسلم	99	0.99	0.79	-6.961	196	.000*
	مسيحي	99	1.65	0.49			
مظاهر التعايش السياسي	مسلم	99	2.14	0.75	-6.257	196	.000*
	مسيحي	99	2.66	0.33			
مظاهر التعايش الاجتماعي	مسلم	99	1.89	0.69	-7.553	196	.000*
	مسيحي	99	2.49	0.4			
مظاهر التعايش الثقافي	مسلم	99	2.18	0.67	-5.383	196	.000*
	مسيحي	99	2.59	0.36			
مظاهر التعايش الاقتصادي	مسلم	99	2.37	0.71	-5.882	196	.000*
	مسيحي	99	2.83	0.32			
القياس الكلي	مسلم	99	1.92	0.57	-8.262	196	.000*
	مسيحي	99	2.44	0.29			

\* : دالة احصائياً عند مستوى (0.05)

أظهرت نتائج الدراسة المبينة في الجدول (15) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص يعزى للديانة، حيث بلغت قيمة الإحصائي (t) (-6.961، -6.257، -7.553، -5.383، -5.882، -8.262) لمظاهر (التعايش الديني، التعايش السياسي، التعايش الاجتماعي، التعايش الثقافي، التعايش الاقتصادي، والقياس الكلي)، وتبين أن مصدر الفروق في التعايش الديني كان لصالح أفراد عينة الدراسة من المسيحيين، وكان التعايش مع المسلمين في مدينة ماحص، وذلك بارتفاع المتوسط الحسابي لهم عن المتوسط الحسابي للمسلمين.

هل يوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة، والجنس، والعمر، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واستخدام اختبار التباين المشترك ANCOVA للتعرف إلى الفروق في مستوى التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والجنس، والعمر، والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية، وفيما يلي النتائج:

1- الديانة \* الجنس :

الجدول (16): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والجنس

المصدر	الديانة	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد
مظاهر التعايش	مسلم	ذكر	2.00	0.55	71
		انثى	1.71	0.56	28
		المجموع	1.92	0.57	99
	مسيحي	ذكر	2.48	0.27	58
		انثى	2.40	0.31	41
		المجموع	2.44	0.29	99
	المجموع	ذكر	2.21	0.51	129
		انثى	2.12	0.54	69
		المجموع	2.18	0.52	198

الجدول (17): اختبار التباين المشترك ANCOVA غير المتفاعل للتعرف إلى دلالة الفروق في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والجنس

المصدر	مجموع المربعات	df	متوسط المربعات	F	الدلالة الاحصائية
الديانة	14.755	1	14.755	75.196	.000*
الجنس	1.370	1	1.370	6.981	.009*
الخطأ	38.263	195	.196		
المجموع	994.412	198			
المجموع المصحح	53.437	197			

\* دالة عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل.

أظهرت نتائج الجدول (17) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة، فمن خلال المتوسطات الحسابية تبين أن مصدر الفروق لصالح الديانة المسيحية، ويلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للجنس، ويلاحظ أن مصدر الفروق لصالح الذكور، في كل من التعايش الديني عند المسلمين والمسيحيين.

- الديانة \* العمر :

الجدول (18): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والعمر

المصدر	الديانة	العمر	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد
مظاهر التعايش	مسلم	18-30 سنة	1.90	0.62	46
		31-45 سنة	1.92	0.55	38

15	0.48	1.94	46 سنة فأكثر		
99	0.57	1.92	المجموع		
28	0.32	2.38	18-30 سنة	مسيحي	
28	0.23	2.50	31-45 سنة		
43	0.29	2.45	46 سنة فأكثر		
99	0.29	2.44	المجموع		
74	0.57	2.08	18-30 سنة		
66	0.53	2.17	31-45 سنة	المجموع	
58	0.41	2.32	46 سنة فأكثر		
198	0.52	2.18	المجموع		

الجدول (19): اختبار التباين المشترك ANCOVA غير المتفاعل للتعرف إلى دلالة الفروق في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والجنس

المصدر	مجموع المربعات	df	متوسط المربعات	F	الدلالة الاحصائية
الديانة	12.067	1	12.067	59.315	.000*
العمر	.167	2	.083	.409	.665
الخطأ	39.466	194	.203		
المجموع	994.412	198			
المجموع المصحح	53.437	197			

\* دالة عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل.

أظهرت نتائج الجدول (19) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة، فمن خلال المتوسطات الحسابية تبين أن مصدر الفروق لصالح الديانة المسيحية، ويلاحظ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للعمر، ومن خلال النظر إلى قيم المتوسطات الحسابية يتضح أن الفروق في مستوى التعايش باختلاف الأعمار كانت مقاربة إلى حد كبير، والفروق في المتوسطات الحسابية إن وجدت لم تبلغ مستوى الدلالة الإحصائية.

3- الديانة \* المستوى التعليمي :

الجدول (20): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والمستوى التعليمي

المصدر	الديانة	المستوى التعليمي	العمر	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مظاهر التعايش	مسلم	دون الثانوية العامة	2.15	0.36	11
		ثانوية عامة	1.99	0.53	41
		دبلوم	1.63	0.63	10
		بكالوريوس	1.88	0.51	26
		دراسات عليا	1.76	0.84	11

99	0.57	1.92	المجموع	مسيحي
15	0.24	2.47	دون الثانوية العامة	
47	0.23	2.50	ثانوية عامة	
10	0.39	2.29	دبلوم	
20	0.31	2.38	بكالوريوس	
7	0.43	2.41	دراسات عليا	
99	0.29	2.44	المجموع	
26	0.33	2.34	دون الثانوية العامة	المجموع
88	0.47	2.26	ثانوية عامة	
20	0.61	1.96	دبلوم	
46	0.50	2.10	بكالوريوس	
18	0.77	2.01	دراسات عليا	
198	0.52	2.18	المجموع	

الجدول (21): اختبار التباين المشترك ANCOVA غير المتفاعل للتعرف إلى دلالة الفروق في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والمستوى التعليمي

المصدر	مجموع المربعات	df	متوسط المربعات	F	الدلالة الاحصائية
الديانة	12.798	1	12.798	65.292	.000*
المستوى التعليمي	1.999	4	.500	2.550	.041*
الخطأ	37.634	192	.196		
المجموع	994.412	198			
المجموع المصحح	53.437	197			

\* : دالة عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل.

أظهرت نتائج الجدول (21) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى التعايش الديني في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة، فمن خلال المتوسطات الحسابية تبين أن مصدر الفروق لصالح الديانة المسيحية، ويلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للمستوى التعليمي، ومن خلال النظر إلى قيم المتوسطات الحسابية يتضح أن مصدر الفروق في مستوى التعايش الديني لدى المسلمين باختلاف المستوى التعليمي كانت لصالح المستوى التعليمي (دون الثانوية العامة)، وكان مصدر الفروق في مظاهر التعايش لدى المسيحيين لصالح المستوى التعليمي (الثانوية العامة).

4- الديانة \* الحالة الاجتماعية:

الجدول (22): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للتعرف إلى مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والحالة الاجتماعية

المصدر	الديانة	الحالة الاجتماعية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العدد
--------	---------	-------------------	-----------------	-------------------	-------

45	0.50	2.05	اعزب	مسلم	مظاهر التعايش
54	0.60	1.80	متزوج		
99	0.57	1.92	المجموع		
35	0.29	2.46	اعزب	مسيحي	
64	0.29	2.44	متزوج		
99	0.29	2.44	المجموع		
80	0.46	2.23	اعزب	المجموع	
118	0.56	2.15	متزوج		
198	0.52	2.18	المجموع		

الجدول (23): اختبار التباين المشترك ANCOVA غير المتفاعل للتعرف إلى دلالة الفروق في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة والحالة الاجتماعية

المصدر	مجموع المربعات	df	متوسط المربعات	F	الدلالة الاحصائية
الديانة	14.403	1	14.403	72.578	.000*
الحالة الاجتماعية	.935	1	.935	4.710	.031*
الخطأ	38.698	195	.198		
المجموع	994.412	198			
المجموع المصحح	53.437	197			

\*: دالة عند مستوى الدلالة (0.05) فأقل.

أظهرت نتائج الجدول (23) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للديانة، فمن خلال المتوسطات الحسابية تبين أن مصدر الفروق لصالح الديانة المسيحية، ويلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مظاهر التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للحالة الاجتماعية ولصالح (العازبين)، ومن خلال النظر إلى قيم المتوسطات الحسابية يتضح أن مصدر الفروق في مستوى التعايش الديني لدى المسلمين باختلاف الحالة الاجتماعية كانت لصالح (العازبين)، وكان مصدر الفروق في مظاهر التعايش لدى المسيحيين لصالح الحالة الاجتماعية (العازبين).

مناقشة النتائج حسب أسئلة الدراسة:

السؤال الأول: ما مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص؟

بينت النتائج انخفاض التعايش بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسلمين، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (البطوش، 2010) نجد غياباً للوعي بالثقافة المسيحية وجهلاً بخصائص الحياة الاجتماعية والدينية للعرب المسيحيين، إضافة إلى تغير المنطلق الفكري وقبول الآخر بانتشار وسائل الاتصال والإعلام وفق العامل التكنولوجي في النظريات الاجتماعية الحديثة.

نأتي إلى التعايش السياسي من وجهة نظر المسلمين، بينت نتائج الدراسة ارتفاع مظاهر التعايش السياسي، خاصة التمتع بحقوق المواطنة والمشاركة ربما يعود ذلك إلى أن الدستور الأردني أرسى القواعد بين المسلمين والمسيحيين فالجميع سواء وله حقا لمشاركة ويتمتعون بحقوق المواطنة، وهذا يتفق مع دراسة (عبدالستار، 2016) المواطنة حق إنساني علينا أن نتعامل مع ذلك الواقع بوعي يحقق التعايش السلمي وعلى الدولة المجسدة للتنوع الذي

يقوم عليه المجتمع والالتزام بحقوق المواطنة للجميع، ولا تتفق مع دراسة (الشليبي والجبوري، 2014) بحيث ظل موضوع الأقليات في العالم العربي موضوعاً هامشياً وهذا يتفق مع نظرية العامل السكاني ضمن النظريات الاجتماعية الحديثة والذي يعزى التغيير إلى تزايد السكان.

أما بالنسبة إلى مظاهر التعايش الاجتماعي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص، فقد جاء التعايش الاجتماعي متوسطاً؛ ربما يعود هذا وفق رأي الباحثة إلى الجهل بالدين المسيحي، ولم تتوافق مع دراسة (العفراوي، 2011) التي قالت أن التعايش مع الآخرين إما قهراً أو مصالح مشتركة مع الآخرين.

أما التعايش الثقافي من وجهة نظر المسلمين في مدينة ماحص فقد كان مرتفعاً بشكل كبير خاصة في تحدث اللغة العربية، ربما يعزى ذلك إلى تشابه قيم وعادات المجتمع الأردني الذي يضم المسلم والمسيحي وهذه النتيجة توافقت مع دراسة (العفراوي، 2011) التي تحدثت عن أسس تعايش الناس وكان أبرزها فطرية الاجتماع والتشئنة الاجتماعية، وتوافقت مع دراسة (البطوش، 2010) انتهجت الدولة الأردنية سياسات تهدف إلى بناء نسيج اجتماعي مستقر وأهمية مشاركة المسيحيين في المنظومة الحضارية والثقافية والتاريخية.

وجاءت نتائج التعايش الاقتصادي مرتفعة بين الطرفين وهذا يتوافق مع دراسة (الربابعة، 2013) التي أكدت أن هناك تشاركية بين العشائر الإسلامية والعشائر المسيحية في النواحي الاقتصادية، وهذه المظاهر الاقتصادية تؤثر على التغيير الاجتماعي والفكري والاجتماعي والثقافي وفق النظريات الاجتماعية الحديثة.

#### السؤال الثاني: ما مظاهر التعايش بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص؟

بينت النتائج أن التعايش الديني بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين متوسطاً، وهذه النتيجة تتفق مع دراسة (البطوش، 2010) أن العربي المسيحي الأردني يعيش الثقافة الإسلامية حياة يومية يحس بها ويلمسا ويدرسها في المناهج المدرسية والجامعية، ويعيش مع المسلمين الشعائر الدينية كرمضان والأعياد الدينية، كذلك جاء متوسطاً نظراً لانتشار التكنولوجيا التي نشرت عن الفكر الديني الإسلامي وهذا يتفق مع النظريات الاجتماعية الحديثة وخاصة العامل التكنولوجي ونشره للفكر، أما بالنسبة للتعايش السياسي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص كان مرتفعاً، ربما تعزى الأسباب إلى تميز الدستور الأردني وتأكيد على المساواة بين الأردنيين وحقوق المواطنة والحرية السياسية وهذا يتوافق مع دراسة (الشليبي والجبوري، 2014) إن مفهوم التعايش مهم للدول التي تسعى إلى بناء هويات وطنية ومواطنة حقيقية وحرية.

أظهرت نتائج التعايش الاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص ارتفاع كبير بها وربما يعود ذلك أن الطوائف المسيحية داخل الأردن اندمجت بالشكل الكبير داخل الأسر المسلمة المدارس والجامعات مشتركة، وهذا يتفق مع دراسة (الشاوي، 2014) هنالك حالة ذوبان طائفة الصابئة في احضان أبناء العشائر شمال البصرة، ويتفق مع تفسير نظرية العامل السكاني والتغيير الاجتماعي الذي تحدثه في مظاهر الحياة الاجتماعية.

وكذلك بينت النتائج المتعلقة بالتعايش الثقافي من وجهة نظر المسيحيين بالارتفاع؛ ربما يعزى الارتفاع إلى تشابه قيم وعادات المجتمع الأردني، وإطلاع المسيحيين على الثقافة الإسلامية في الأردن نتيجة العيش المشترك خاصة المناهج التعليمية وانتشار وسائل الإعلام والاتصال التي نشرت الفكر الثقافي وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (أحمد، 2011) أن الأسر المتجاورة والمتباينة في ثقافتها تحرص عبر غرس القيم التي تحت على التعايش في نفوس أبنائها.

ودلت النتائج المتعلقة بالتعايش الاقتصادي من وجهة نظر المسيحيين في مدينة الفحيص ارتفاع كبير، ربما يعود ذلك إلى أن السوق التجاري بين المدينتين يُعد سوقاً واحداً، وهذه النتيجة تتوافق مع دراسة (الربابعة، 2013) هناك تشاركية بين العشائر الإسلامية والعشائر المسيحية في النواحي الاقتصادية.

السؤال الثالث: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين مظاهر التعايش والمتغيرات الاجتماعية (الجنس، العمر، الديانة، التعليم، والحالة الاجتماعية) بين المسلمين والمسيحيين في الأردن في مدينتي الفحيص وماحص. تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى مظاهر التعايش في الأردن في مدينتي الفحيص وماحص يعزى إلى متغيرات الديانة والجنس والعمر، والمستوى التعليمي، والحالة الاجتماعية فمن خلال المتوسطات الحسابية تبين أن مصدر الفروق لصالح الديانة المسيحية، ربما يعود إلى معرفة المسيحي عن الدين الإسلامي أكثر من معرفة المسلم عن الدين المسيحي؛ وذلك يتفق مع دراسة (البطوش، 2010) إن المسيحي يعرف عن الإسلام من خلال المناهج التعليمية، ويلاحظ وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التعايش في مدينتي الفحيص وماحص، يعزى للجنس ويلاحظ أن مصدر الفروق لصالح الذكور في كل من التعايش عند المسلمين والمسيحيين وفق نتائج الدراسة، ربما يعود ذلك إلى أن الذكور أكثر خروجاً للعمل من الإناث للخروج للعمل ويلاحظ عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى التعايش في مدينتي الفحيص وماحص يعزى للعمر ربما يعود ذلك إلى أن جميع الأعمار تتميز بالتعايش وهذه النتيجة تتوافق مع دراسة (الشاوي، 2014) هناك حالة ذوبان الطائفة في أحضان أبناء العشائر وفي عمق العشيرة فكل أسرة منها هي كبقية الأسر العربية لا فرق بينها وبين بقية الأسر فيما بينها.

وفيما يخص النتائج المتعلقة في مستوى مظاهر التعايش يعزى للمستوى التعليمي تبين وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند المسلمين في ماحص لصالح المستوى التعليمي (دون الثانوية العامة) أما عند المسيحيين في الفحيص كان مصدر الفروق لصالح المستوى التعليمي (الثانوية العامة). وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) في مستوى التعايش في مدينتي الفحيص وماحص في الأردن يعزى للحالة الاجتماعية ولصالح (العازبين) عند المسلمين والمسيحيين وحسب رأي الباحثة تأتي هذه النتيجة نتيجة للتجاور المكاني بين المدينتين تتفق مع دراسة (Shayuthy, 2016) يتحقق التعايش بين البشر بحسن الجوار.

#### التوصيات:

1. توعية المجتمع الأردني بمفهوم التعايش.
2. نشر مظاهر التعايش والتأكيد عليها عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة.
3. التعايش المشترك من خلال إقامة الأنشطة الاجتماعية والثقافية.
4. إبراز دور المؤسسات الدينية الإسلامية والمسيحية في نشر مظاهر التعايش.
5. إبراز دور المؤسسات التعليمية كالمدارس والجامعات في نشر مظاهر التعايش.
6. تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني في نشر مظاهر التعايش.

## المصادر والمراجع

1. أحمد، هند، مظاهر التعايش الاجتماعي في الإسلام: دراسة وصفية تحليلية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 8، 2011.
2. آل ملحم، هاني، التعايش السلمي وتعددية الأديان والأعراف - دراسة في فكر مهاتير محمد، سلسلة دراسات عربية وإسلامية، المجلد 51، 2015، مصر.
3. البطوش، بسام، العيش الإسلامي المسيحي المشترك: الكرك أنموذجاً، المنتدى العالمي للوسطية، 2012، عمان. الموقع الإلكتروني: [www.jordanzad.com](http://www.jordanzad.com).
4. الجبوري، عبدالعزيز والشلي، جمال، نحو خريطة طريق للتعايش في الدول العربية ومجتمعاتها، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 124، 2014.
5. الحمادي، هشام (2007)، حقوق الأقليات غير المسلمة في الخطاب الإسلامي المصري، مؤتمر نحو خطاب إسلامي، مركز القدس للدراسات السياسية، عمان.
6. الربابعة، حسين، العيش الإسلامي المسيحي في محافظة عجلون، [www.ich.gov.jo](http://www.ich.gov.jo) 2013.
7. رمضان، محمد، التعايش السلمي في العراق بين الواقع والطموح - دراسة اجتماعية ميدانية في مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية، المجلد 11، العدد 36، 2012، العراق.
8. السيف، ناصر (2016)، التعايش (أنواعه، نماذج تطبيقية: التعايش الوطني والحضاري)، بحث غير منشور، السعودية.
9. الشاوي، مرتضى، مظاهر التعايش الاجتماعي بين الناس (قضايا القرنية والمدينة أنموذجاً)، موقع الحوار اليوم، إشراف خالد هندواوي، 2014.
10. عبد المحمود، الأمير (2012)، التعايش السلمي في ظل التنوع الديني مؤتمر خطبة الجمعة، هيئة شؤون الأنصار، الخرطوم.
11. عبدالستار، خالد (2016)، الأسس الفكرية لثقافة التعايش السلمي في المجتمعات، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 2-3، بغداد.
12. عطيات، فاطمة (2008)، الثبات والتغير، دراسة انثروبولوجية مدينة السلط، المكتبة الوطنية، عمان.
13. الغفراوي، إيمان، التعايش الحضاري وانعكاساته الاجتماعية والفكرية والثقافية - دراسة في المفهوم والواقع، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، المجلد 37، العدد 2، السنة 2011، ص 286-314.
14. قناة رؤيا، تقرير تلفزيوني عن مدينتي الفحيص وماحس، برنامج حلوة يا دنيا، 2012.
15. محمد، محمد، التعايش السلمي للأسر المتجاورة ذات الثقافات المتعددة: دراسة ميدانية في قضاء تكليف، مجلة دراسات موصلية، المجلد 101، العدد 34، 2011، العراق.
16. المصلح، عبدالله، أسس التعايش السلمي في الإعلام، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد 41، العدد 4، 2007، مصر.
17. هيئة التحرير، التعايش الديني دعوة إلى التسامح واحترام الآخر، مجلة هدي الإسلام، المجلد 55، العدد 4، 2011، ص 4-5.
18. جريدة الدستور، تاريخ 2014/12/13.
19. جريدة الغد، تاريخ 2016/10/22.
20. مركز البحوث والتعايش الديني (2003)، نشرة صادرة عن المركز، عمان.



Iyigum, M. (2015). **Chicago Scholarship Online, Religious Coexistence**, Social Peace, and Prosperity–Chicago.

Adysseos, L. (2001). **Exploring The Ontological Basis of Coexistence in International Relations: Subjectivism, Heidegger, and the Heteronomy of Ethics and Politics**, Thesis of Ph.d., University of London.

Edin S., (2015). Faith and Crime in the Construction of Social Coexistence in the Outskirts of São Paulo, <http://doi.org/10.1177/0037768615587843>.

Shayuthy A. (2016). **Peaceful Coexistence and Social Integration in the Light of Maqasid ad Shari'a with Special Reference to Sri Lanka**, Vol.(20) No.(39).



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الوسطية في الخطاب الديني خيار أم ضرورة

إعداد

د. سعيدة درويش

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

### تمهيد (عرض الإشكال):

رهانات كثيرة تعترض طريق الدعوة إلى الله. فالقضية تستوقف المهتمين مليا، وهي ليست بالهينة ولا تحتمل الارتجال والمغامرة؛ فالإسلام دين الفطرة والسعي للخير والإحسان في كل شيء، يرقى بنصوصه إلى مراتب الكمال. فكيف يكون أمر الخطاب الديني إذا كان بكل بداهة- ليس هو الدين، وإنما هو مجمل الفهوم التي تحوم حول النص؛ فإذا كان النص معصوما، فالخطاب الديني ليس بالضرورة كذلك.

والواقع أن إشكالا كبيرا يأخذ حيزا مهما من علاقتنا مع النصوص، وعلى وجه الخصوص، مع النص القرآني الكريم؛ إذ لم نقف عنده بما يكفي من التدبر والاشتغال على استكناه معانيه وبالقدر الذي يمنحنا أسرارها الفاعلة في حياتنا وفي منهجنا للتعاطي القويم مع سنن التغيير. ولعل علاقتنا مع النصوص القرآنية ظلت قائمة على التعظيم والإجلال - وهذا هو المفترض والطبيعي - في علاقة تُجسّد تطمح المحدود لأنوار المطلق، والخوف من التجاوز في حضرة هذا المطلق الجليل. إلا أن الأمر الإلهي كان يقضي بأن يأخذ العقل البشري حريته في التفكير والتدبر، حتى لا يعيقه خوف ولا تردد في التماهي مع جمال وعمق النص القرآني؛ إذ يقول - عز وجل - ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿محمد 24﴾.

وبناء عليه، يصبح التوقف عند فهم وتفسير القدامى، وعدم الاجتهاد خطيئة نستحق عليها التوبيخ واللوم بهذا الاستفهام الاستكباري الذي تدل عليه الآية الكريمة: ﴿أم على قلوب أقفالها﴾، ويصبح تجديد الخطاب الديني هو تجديد لعلاقتنا بالدين الإسلامي الحنيف، وهو رهين بالقراءة المتجددة المنبثقة من عملية القراءة المتدبرة، وفق الأدوات المتاحة قديما وحديثا، وبوسائل العصر إن أمكن.

ولعل فكرة "الأمة الوسط"، المنصوص عليها في القرآن الكريم، وتحديدًا في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ﴿سورة البقرة 143﴾. ينبغي أن تكون حاضرة في فهم فكرة تجديد الخطاب الديني، لأنها ستكون دليلا ينطلق منه المسلمون في فهم الذات، وفهم العلاقة مع الآخر. ولا بد من أن ندرك المعنى الأقرب لفكرة "الوسط" وفقا للمقصد الأسمى وما يخدم مقاصد الدين الإسلامي الحنيف وكلياته، وينير فهمنا ويرشد إدراكنا؛ تحقيقا لفكرة التفاعل العميق مع النص القرآني، وقراءته، والاستئناس بذلك كله في تجديد الخطاب الديني.

يستخدم دعاة الوسطية كثيرا في أدبياتهم وخطاباتهم قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وذلك ليس عيبا، لكن العيب يكمن في الاعتقاد بأن الوسطية مكسب فطري لمجرد أن يكون الإنسان مسلما. وعند التأمل في معنى الآية وتفسيرها الصحيح الثابت، يتضح أن ذلك الاستشهاد ما هو إلا لي لأعناق النصوص، وتحريف للقرآن عن مواضعه، واتخاذ مسوغا للأهواء النفسية.

وبيان ذلك أن الآية الكريمة تتحدث عن عدالة هذه الأمة وخيريتها وأهليتها للشهادة على الناس يوم القيامة، ولا علاقة لها بوسطية الإسلام في المنهج إلا من حيث الاشتراك اللفظي. ولتوضيح هذا الأمر لابد من التطرق إلى معنى الآية ومعرفة سياقها الموضوعي ومدلولها الشرعي وما ورد فيها من تفسيرات.

يبدو الإشكال بسيطا لأول وهلة، لكن الإحاطة به، ومحاولة عرض رؤية تليق بعظمة الإسلام، غاية في الدقة والخطورة.. سيما وقد أثبتت الرؤى والمناهج القائمة على التطرف، ضلوعها في ما آلت إليه الأشياء والأحداث في العالم وعبر محطات تاريخية كثيرة.. فلعل الإشكالية تطرح بمقاربة مغايرة حين نتساءل: هل "الوسطية" - كمصطلح ذائع الصيت وواسع الدلالة - هي نفسها ما جاء في القرآن عن الأمة الوسط، والتي يُفترض أن تكون واقعا مُثبّتا للأمة الإسلامية وقدر لا تحيد عنه بما أنه من هبات الله للأمة، وتحققها لا يتأخر عن ماهية الأمة الإسلامية بأي

حال من الأحوال؟ فهل خطاب الأمة الإسلامية اليوم خطاب أمة معتدلة، وتحقق تلك الوسطية المذكورة في القرآن الكريم؟

### مفهوم الوسطية:

أ- لغة:

الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين طرفين. يقول ابن فارس: " الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه" .. ويقولون ضربتُ وسط رأسه بفتح السين، ووسط القوم بسكونها، وهو أوسطهم حسبا، إذا كان في واسطة القوم إذا كان في واسطة قومه وأرفعهم محلا..<sup>1</sup>

ويقول ابن منظور: " وسط الشيء وأوسطه: أعدله"<sup>2</sup>

والوسط: اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به وليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفا ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصيانة والعزة: طبعا، كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب إلا بعد أكل ما في الجوانب فيبقى كثير العشب والكأ، ووضعاً، كوسط المملكة يجعل محل قاعدتها ووسط المدينة يجعل موضع قصبها لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفا فأطلقوه على الخيار النفيس كناية قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعضل<sup>3</sup>

وقد جاء الوسط بمعنى الشدة والتمكن: فقد قال ابن جني:

"قالوا: الطرف لأن طَرَف الشيء أضعف من قلبه وأوسطه قال الله سبحانه لأولم يَرَوْا أنا نأتي الأرض نُنْقِصُهَا مِنْ أطرافها} وقال الطائي الكبير:

كانت هي الوسط الممنوع فاستلّبت ... ما حولها الخيل حتى أصبحت طَرَفًا"<sup>4</sup>

### ب- اصطلاحاً:

يقترَب مصطلح الوسطية في الإسلام من المدلول اللغوي، ومما يعنيه اصطلاحاً: الاعتدال في الاعتقاد، والموقف، والسلوك والنظام، والمعاملة، والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف ولا شذوذ في الاعتقاد، ولا استكبار ولا خنوع ولا ذل ولا استسلام ولا خضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إخراج، ولا تهاون ولا تقصير، ولا تساهل أو تفریط في حق من حقوق الله تعالى، ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة.<sup>5</sup>

1 - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. باب الواو والسين وما يثلاثهما. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1399م- 1979م. ج 6. ص 108.

2- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل. لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط1. د ت. المجلد . ص .

3 - محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. د ت. ج 2. ص 17.

4 - عثمان بن جني. الخصائص. 166/2. نقلا عن أبي المنذر الشنقيطي. الوسطية في القرآن بيان لمعنى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). المجلس اليمني. بتاريخ 20101/08/18م. على الرابط:

[/https://www.ye1.org/forum/threads/527762](https://www.ye1.org/forum/threads/527762)

5- وهبة الزحيلي. إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور في الأمور. مجلة الوعي الإسلامي. الصادرة عن وزارة

جاء في تفسير القرطبي: " قوله تعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطا المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها. وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال: (عدلا). قال: هذا حديث حسن صحيح. وفي التنزيل : قال أوسطهم أي أعدلهم وخيرهم . وقال زهير : هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم"<sup>1</sup>

كما جاء في الباب في علوم الكتاب، أن الأول: المشار إليه في الآية هو الهدى المدلول عليه بقوله تعالى (يهدي من يشاء)، و" التقدير: جعلناكم أمة وسطا مثل ما هديناكم). والثاني: أنه الجعل، والتقدير: (جعلناكم أمة وسطا مثل ذلك الجعل القريب الذي فيه اختصاصكم بالهداية). الثالث: (كما جعلنا قبلكم متوسطة جعلناكم أمة وسطا)<sup>2</sup>

أما ابن القيم -رحمه الله- فسر الوسطية من خلال الحديث الشريف "فدين الله بين الغالي والجافي عنه".

أي إن خير الناس النمط الأوسط، وهي الخيار العدل؛ لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها؛ فخير الأمور أوسطها.<sup>3</sup>

وإذا كان مصطلح الوسطية مصطلحا حديث الاستعمال وقليل الشيوع في كتب الفقه واللغة والأدب القديمة، فإن معناه موجود فيها، كما توجد مصطلحات أخرى قريبة منه تؤدي معناه مثل العدل والاعتدال والقسط والقصد والرفق والوزن ونحوه.<sup>4</sup>

فالأكيد أن الإسلام بنصوصه الأصلية (الكتاب وما صح من السنة)، هو دين الاعتدال والوسطية، لكن هل ينسحب ذلك على الأمة الإسلامية سيما وأن الله ﷻ في هذه الآية الكريمة ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ «سورة البقرة 143»، يصف هذه الأمة بالأمة الوسط؛ ثم بالنظر إلى واقع المسلمين اليوم، نتبين أن توصيف المسلمين-اليوم- بمصطلح الأمة، يعد ضربا من التخيل والتوهم، فلا يوجد ما يجعلهم أمة واحدة، ناهيك عن وصفهم بالأمة الوسط، فحال المسلمين أقرب إلى المساوية، لا بحكم ابتعادهم عن كل ما يريده الله لهم.

#### الاعتدال وعلاقته بالوسطية:

الاعتدال: هو اسم على وزن (انفعال) من المصدر (عدل) والألف والتاء والألف الثانية رائدة والعدل له معانٍ في اللغة، (والعدل ما قام في النفوس لئنه مستقيم - وضد الجور)، وعدل الموازين والمكاييل سواها، وقال ابن الأعرابي: العدل الاستقامة، والاعتدال: توسط حال بين حالين في كم أو كيف كقولهم جسم معتدل بين الطول والقصر، وماء معتدل: بين البارد والحار، وكل ما تناسب فقد اعتدل.<sup>5</sup>

وعن علاقة الوسطية بالاعتدال، فقد ورد في تفسير الرازي في تفسيره للآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا...): "وذلك الوسط هو العدل والصواب، فالمؤمن بعد أن عرف الله بالدليل صار مؤمنا مهتديا، أما بعد حصوله فلا بد من

الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. العدد 481. بتاريخ 2005/10/3م.

<sup>1</sup> - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. تفسير القرآن. دار الفكر. ج1. ص 143.

<sup>2</sup> - أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي. اللباب في علوم الكتاب. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1998م. ج3. ص9.

<sup>3</sup> - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. تح محمد حامد الفقي. مكتبة المعارف. الرياض. المملكة العربية السعودية. ج1. ص 182

<sup>4</sup> - محمد يتيتم. الوسطية والاعتدال. دار الفكر الاستراتيجي للدراسات. بتاريخ 27 ديسمبر 2015م. على الرابط:

<https://fikercenter.com/studies>

<sup>5</sup> - ابن منظور. لسان العرب. مرجع سابق. ج 13. فصل العين-حرف الطاء. ص ص 456-459.

معرفة العدل الذي هو الخط المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في الأعمال الشهوانية، وفي الأعمال الغضبية، وفي كيفية إنفاق المال، فالمؤمن يطلب من الله -تعالى- أن يهديه الطريق المستقيم الذي هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل الأخلاق وفي كل الأعمال<sup>1</sup>

وقد جاء في تفسير الرازي -دائماً- في تفسير الآية نفسها، قوله: "أنه مطابق لقوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ ﴿آل عمران 110﴾"<sup>2</sup>

فلو نظرنا في قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴿آل عمران 110﴾ لوجدنا ما ذكره المفسرون من مستلزمات تلك الخيرية؛ حيث ذكر الطبري لها عدة تفسيرات، فقد ورد في تفسيره: "قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: "كنتم خير أمة أخرجت للناس". فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وخاصة، من أصحاب رسول الله ﷺ".<sup>3</sup>

كما ورد تفسيرها في الموضع نفسه بقوله: كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط: أن تأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله. وتم تفسيرها: "كنتم خير أمة أخرجت للناس"، لأنهم أكثر الأمم استجابة للإسلام.<sup>4</sup> وقد جاء في الظلال: في سياق الحديث عن خيرية الأمة وتفسير الآية: "وأن تكون لها القوة التي تمكنها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فهي خير أمة أخرجت للناس. لا عن مجاملة أو محاباة، ولا عن مصادفة!... إنما هو العمل الإيجابي لحفظ الحياة البشرية من المنكر، وإقامتها على المعروف، مع الإيمان الذي يحدد المعروف والمنكر"<sup>5</sup>

وما دام معنى الخيرية لا يتحقق إلا بشروط واضحة المعالم، ألا وهي ارتباط الأمة بمفهوم الفاعلية والقدرة على التغيير الإيجابي لصالح البشرية على العموم، فإن هذا المعنى يتنافى مع فكرة خلق الأمة الوسط، وإنما ينسجم -تماماً- وباستغراق كلي في معنى (التصيير) الذي تحمله كلمة (جعلناكم) في الآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً). كما ورد عن النبي ﷺ، أنه كان يحب الاعتدال في كل شيء، فعن عائشة رضي الله عنها - أنه قال: "اكلفوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، فإن أحب العمل إلى الله -تعالى- أدومته وإن قل"<sup>6</sup>

فالوسطية تتحقق بالاعتدال في شروط التمكين المفضي للخيرية، وتكون تجلياتها في التقدم العلمي، والقوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، كي يتسنى للأمة دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالأمة المسلمة اليوم، أمة عاجزة على مستويات عدة، ولا بد لها كي تنهض من تنمية حس الاعتدال، ورفض التفرّد المتزمت، ونبذ التطرف المتشدد، أيًا كانت الذريعة، فذلك مسؤولية جمعية، تُحتم على جميع المعنيين بهذا الأمر من الكُتّاب والمفكرين، والدعاة والمرتبين، وقادة تشكيل الرأي - الانتباه لخطورة تداعيات ظاهرتي التعصب والتطرف، والحاجة إلى الاعتدال، والحرص على تحقيق موجبات التمكين كضرورة قصوى، تتطلبها المصلحة العامة

<sup>1</sup> - فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي. التفسير الكبير. دار الكتب العلمية. بيروت.

1425هـ - 2004م. ج ص 89.

<sup>2</sup> - فخر الدين الرازي. التفسير. المرجع نفسه. ص نفسها.

<sup>3</sup> - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تح محمود محمد شاكر. إخ

ومراجعة أحمد محمد شاكر. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. ط2. ج7. ص ص 100-101.

<sup>4</sup> - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. التفسير. المرجع السابق. ص نفسها.

<sup>5</sup> - سيد قطب. في ظلال القرآن. دار الشروق. ط32. 1423هـ - 2003م. ج1. ص 447.

<sup>6</sup> - أبوداود. سنن أبي داود. د.ت. ج2. كتاب الصلاة. أبواب قيام الليل. باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة. حديث

رقم (1368). ص 178.

للناس عموماً، والمسلمين خصوصاً؛ حفاظاً على ما يعزّز قيم الأمن والسلم الاجتماعيين، وتحقيقاً لفكرة الاستخلاف بما فيها من فهم رسالي لمقتضيات عمارة الأرض بالفاعلية والوسطية والعبودية لله.

#### الفعل "جعل" وعلاقته بالوسطية:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة 143)

أ- جعل في اللغة:

جاء في تاج العروس<sup>1</sup>:

جعل: جعله، كمنعه يجعله جعلاً بالفتح ويضم، وجعالة كسحابة ويكسر، واجتعله: أي صنعه صريحه أن الجعل والصنع واحد.

وقال الراغب: جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها. وشاهد اجتمع قول أبي زبيد الطائي:

ناط أمر الضعاف واجتمع اللي ل كحل العادية الممدود

وجعل الشيء جعلاً: وضعه، وجعل بعضه فوق بعض: ألقاه. وجعل القبيح حسناً: صيّرته ومنه قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين﴾ (الأعراف 27) أي صيرناها. وقوله تعالى: ﴿وجعلني نبياً﴾ (مريم 30) أي صيرني.

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: جعل جعلاً: صنع صنعا، وجعل أعم؛ لأنك تقول: جعل يأكل، وجعل يصنع كذا، ولا تقول: صنع يأكل...<sup>2</sup>

ب- معنى جعل في الآية الكريمة، واختلاف الدلالات:

ونظراً لأهمية ما أسماه اللغويون القدامى بفصاحة الألفاظ في (التركيب)، و(التمكين)، و(القبول)، والذي يشير إلى جزء كامل من علم اللغة المعاصر يُعنى بتعريف الكلمات بمعانيها، أكثر مما يعنى باقتران بعضها ببعض من ناحية السياقات النحوية، والتركيبية التي تستند إليها في اختيار مواقعها، فالاختيار المعنوي إجراء إنشائي تكويني للبحث عن الرسالة الأدبية برصد الترابط بين الكلمات التي ترد على وفق معيار الاحتمال لمعرفة أيها تصلح للتعبير عن مقاصد المتكلم من بين البدائل الممكنة<sup>3</sup>، ويصبح ملحا، دراسة معاني جملة (جعل) في آيات منتخبات من القرآن الكريم، من حيث المعنى الدقيق للفعل المتفاعل مع معاني الكلمات التي تتألف منها جملة (جعل)، فضلا عن الوظائف النحوية التي تحددها الجملة لكلماتها، ومنها الوظائف التي يؤكدتها غير واحد من النحويين، غاضين الطرف عن المعنى المعجمي للفعل<sup>4</sup>.

فمن الأهمية بمكان الكشف عن المعاني الكلية للتركيب الإبداعي، والتي تتولد من تفاعل المعاني المعجمية والوظيفية النحوية في جملة من أغنى الجمل دلالة في القرآن الكريم، لتضمنها معنى معجميا قويا، هو معنى

<sup>1</sup> - محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. تح علي

شيري. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. 1414هـ - 1994م. ج14. ص107.

<sup>2</sup> - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. ج1. ص299.

<sup>3</sup> - انظر توماس غازي حسين. خالد كاظم حميدي. معاني "جعل" في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني. مجلة اللغة

العربية وآدابها. مجلة علمية فصلية محكمة. جامعة الكوفة. محرم 1438هـ - كانون الأول 2011م. الع12. مج

1. ص287.

<sup>4</sup> - توماس غازي حسين. خالد كاظم حميدي. معاني "جعل" في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني. المرجع السابق. ص

التصيير، الذي لا يمكن تجاهل صورته الحركية مهما كان التركيب النحوي والبلاغي لجملة (جعل)<sup>1</sup>. ف"نواة المعنى للفعل (جعل) تبقى ماثلة في التركيب، لا يمكن اختزالها؛ لأنها تعبر عن صيرورة وحركة، وأن كل تضمين أو إشراب أو تأويل لمعنى هذا الفعل بمعنى فعل آخر يؤدي إلى تسكين صورة الفعل الحركية في التركيب الذي تظهر في الجملة القاعدية الأصل"<sup>2</sup>.

وبحسب دراسة لغوية في هذا الموضوع، فإن الجملة القاعدية الأصل، والتي يأتي فيها المفعولان أشياء محسوسة، فليس فيها إشكال لأنها تأتي واضحة المعنى، بينما تنصب الدراسة على الجملة غير القاعدية والتي تُدرَس لتكون معياراً أسلوبياً يحدد مدى التحولات في الجمل غير القاعدية.

وخلصت الدراسة إلى أن المعاني التي ذكرها النحاة واللغويون في توجيه معنى (جعل) في الاستعمال القرآني، وبسبب التعقيد الفني لجملة (جعل) في القرآن الكريم، فإن ذلك قد أدى إلى صعوبة التوصل إلى المعاني في صورتها الشاملة التي يتضافر فيها المعنى الوظيفي للنحو والمعنى المعجمي لمفردات الجملة، فضلاً عن المعنى الاجتماعي؛ ذلك أن الفعل (جعل) يحتاج لمفعولين من الذوات أو الأشياء: متحوّل منه ومتحوّل إليه في الجملة الأصل غير التحويلية، وقد وردت عليها آيات ليست فيها مشكلة، أما إذا حل محل المفعول الثاني جار ومجرور أو ظرف، فإنهما يوهمان بتعليقهما بالفعل (جعل)، فيختفي المفعول الثاني عندهم، فيقدرون أفعالاً تتعدى إلى مفعول واحد.

وكذلك إذا جاء المفعول الثاني مشتقاً، فيلتبس بالحال فتقوى علاقته بالمفعول الأول، فيوحي أنه اتحد به وحوّله إلى مفعول ثانٍ.

وتتعدّد جملة (جعل) إذا جاء مفعولها الثاني مصدراً لأن المصدر يقوي علاقته بالفعل (جعل) فيصبح مؤدياً لوظيفة التأكيد، فتلطف وظيفته الحال. وفي كل الأحوال يلجأ المفسرون إلى تبسيط الجملة بإحلال فعل متعدّ إلى مفعول واحد، وإذا كان معنى التصيير قويا في الذهن من القرائن الاجتماعية المقامية، فإنهم يعطون للجملة معنيين، أولهما: التصيير الذي يوافق القرائن المقامية، وثانيهما: يوافق القرائن اللفظية في الإسناد. ولكن هذه التحويلات تعطى جملة (جعل) غنى دلالي لا يمكن تبسيطه، إلا بحصول خلل في فهم مقاصد الكلام.<sup>3</sup>

ف(جعل) وردت لدى كثير من مفسري القرآن في بعض المواضع بمعنى خلق، فالطوسي يرفض أن يكون معنى جعل هو خلق في قوله تعالى (إنا جعلناه قرآناً عربياً)؛ حيث يأبى المقام أن يكون الخلق جائزاً في كلام الله، ومعلوم في الفكر الإسلامي ما عرف بمحنة علماء الكلام حين إثارة هذه الشبهة.

ولكن الدراسة لم تطبق على الآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)، لكن آية (إنا جعلناه قرآناً عربياً)، تبدو الأقرب من الناحية النحوية والتركيبية من آية (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً)، فحال القرآن قبل أن يصير عربياً مسكوت عنه، ويتوقع أن يكون ثم اختلاف في معنى (جعل) بحسب تحديد مفاعيلها، فإذا عدت إلى مفعولين الأول: الهاء العائدة على القرآن الكريم قبل تصييره عربياً، والآخر: هو القرآن الكريم بعد تصييره عربياً، فإن جعل هنا تكون بمعنى صير، أما إذا أعرّبنا (قرآناً عربياً) حالاً، فيكون الفعل معدى إلى مفعول واحد هو (الهاء)، وتكون جعل بمعنى خلق، إذا لم نتمكن أن نتخيل المفعول الأول المحذوف. وهذا فيه إشكال من حيث المقام والمعنى.

<sup>1</sup> - انظر تومان غازي حسين. خالد كاظم حميدي. معاني "جعل" في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني. المرجع نفسه. ص نفسها.

<sup>2</sup> - تومان غازي حسين. خالد كاظم حميدي. معاني "جعل" في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني. المرجع نفسه. ص 288.

<sup>3</sup> انظر تومان غازي حسين. خالد كاظم حميدي. معاني "جعل" ... " المرجع السابق. ص 294.



فكذلك الأمر بالنسبة للآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، فحال الأمة قبل أن تصير وسطا مسكوت عنه، فيصبح معنى (جعل) مختلفا فيه، بحسب تحديد مفاعيل جعل، فإطا عذيت إلى مفعولين الأول: (كم) العائدة على الأمة قبل أن تصير (وسطا)، أو على المسلمين، والمفعول الآخر: الأمة بعد تصييرها وسطا، فإن جعل هنا تكون بمعنى صير، أما إذا أعربنا (أمة وسطا) حالا، فيكون الفعل جعل معدى إلى مفعول واحد هو (كم)، وتكون جعل بمعنى خلق، إطا لم تتمكن من تخيل المفعول الأول المحذوف. وفي هذا إشكال مع الواقع؛ إذ الأمة ليست وسطا، ولا يمكنها القيام بالشهادة على الناس، لأنها لم ترق إلى الخيرية بموجباتها.

ويبقى السبيل للخروج من المأزق، هو في معنى جعل حين يأخذ بعد التصيير بما فيه من تحويل ودينامية وتغيير، لتكون الوسطية نتيجة تدور مع سببها من حيث الوجود والعدم، وليست صفة لصيقة بالأمة في كل الأحوال.

### أهم ملامح الوسطية الإسلامية ومجالاتها:

ليست الوسطية كمالية يمكن التنازل والاستغناء عنها، بل هي خصيصة لصيقة بمبادئ الإسلام كلياته وجزئياته؛ لذلك لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تخلو منها قيمة أو حكم أو تشريع في الإسلام، فمن أهم الملامح المتعلقة ببركائز الإسلام، ما يأتي:

- تعني الوسطية الاعتراف بالحرية للآخرين ولاسيما الحرية الدينية<sup>1</sup>. وهو ما شرعه الإسلام في قول الله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (سورة البقرة 256).

- وتعني -أيضا- الجمع بين الماديات والروحانيات وهي ميزة الإسلام، لأن الإنسان جسد وروح، وله حوائج مادية وروحانية، ولأن العمل الصحيح يكون للدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ (القصص 77).

- ولا بد من تحقق الوسطية في معاملة الآخرين في الداخل والخارج، ويراد بها التعامل الحر البريء من غير إضرار الشر أو محاولة التعدي، أو الحمل على شيء معين، لذا كان الجهاد في الإسلام يراد به الدفاع عن حرمان الإسلام والمسلمين، ولا يقصد به حمل السيف بظلم ضد الآخرين، أو قتل الأنفس البريئة، أو ترويع الغير، أو إخافة الناس، أو إرهاب المجتمع، أو إجبارهم على الدخول في الإسلام، فذلك كله ليس من مفهوم الوسطية المعبر عنها في الآية الكريمة: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين\* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ (الممتحنة 89).

فلا يوجد في الإسلام، في غير حال الاعتداء ودفع الظلم، إلا السلام ونشر الأمن والطمأنينة وزرع الثقة والإحسان إلى الآخرين، فذلك كله سمة الإسلام الحضارية ومقوماته الخالدة، كما ينعدم في الإسلام ما يسمى بـ"الإرهاب"، أي التطرف والغلو في إلحاق الضرر بالآخرين والتدمير والإفساد والتخريب، وإشعال الفتنة، وإثارة المنازعات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - وهبة الزحيلي. الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً. أبحاث مؤتمر الوسطية منهج حياة. من 13 إلى 15 ربيع الثاني 1426هـ - من 21 إلى 23 مايو 2005م. وزارة الأوقاف الدينية الكويتية. على الرابط: wsm1s2\_zhely

<sup>2</sup> - وقد وردت في هذا الشأن أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: "لا يحل لرجل - أو لمسلم - أن يروع مسلماً" أي غير مسلم، وقوله ﷺ: "لا تروعوا المسلم، فإن روعة المسلم ظلم عظيم" وقوله "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار"، وقوله: "من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه". وعنون المحدثون لهذه الأحاديث بقولهم: "الترهيب من ترويع المسلم ومن الإشارة إليه بسلاح ونحوه، جاداً أو مازحاً".

- والوسطية تعني كذلك عدم الإغراق في الدين والمبالغة في ذلك والانقطاع عن الدنيا، أو الاسترسال في الروحانيات والتصوف، أو الإقبال الشديد على الدنيا وزخارفها وشهواتها، لقوله ﷺ:

"إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين"<sup>1</sup> وقوله أيضاً: "إياكم والتعمق في الدين فإن الله تعالى قد جعله سهلاً، فخذوا منه ما تطيقون، فإن الله يحب ما دام من عمل صالح، وإن كان يسيراً"<sup>2</sup>.

- ومن مقتضيات الوسطية، تحقيق التكافل الاجتماعي في الإسلام بين الأغنياء والفقراء، وإيجاد التوازن بين رأس المال والإنفاق، فتكون الملكية الخاصة مشروعة بشرط جعل التصرف فيها موجهاً للصالح العام، وأن يكون التملك فيما هو مشروع مأذون بتملكه، وليس محظوراً أو ضاراً، وأن يكون التصرف في الملك بالتراضي، ومن غير تبذير، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم...﴾ ﴿النساء 29﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ولا توثوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً﴾ ﴿النساء 5﴾.

- والأخلاق في الإسلام وسط، لقيامها على الاعتدال، فهي من أجل تهذيب النفوس، وترقيق المشاعر، وصفاء القلوب من الأمراض الحسية والمعنوية، وهي ذات أغراض إنسانية كريمة، لا نفعية مادية محضة.

#### سلبيات الخطاب الديني المعاصر: منافاة الاعتدال والوسطية

انصبت دراسات كثيرة على موضوع "الوسطية تدرسها وتبحث عن مدى تحققها في أرض الواقع، فبعضها توصل إلى تحققها في أبواب الاعتقاد، وأبواب العلم والعمل، وفي الحكم على الرجال ونقد المخالف. غير أن الدعوات المعاصرة من منظمات وجماعات وجمعيات كلها تدعي الوسطية والاعتدال، لكن أغلبها قد جنح إلى طرف التفريط أو الإفراط في جوانب من دعوته، وبعضها قد يجمع بين الطرفين المتناقضين في دعوته، فيفترط من جهة ويفرط من جهة أخرى.<sup>3</sup>

لكن حتى لا يضيع الباحث وهو يحاول دراسة كل تجربة على حدة، فإنه من الأجدي أن تُدرَس بشكل عام وكلي معالم وسمات تلك التجارب والتي يظهر أثرها في الخطاب الديني على العموم. فلكل خطاب خصائصه ومواصفاته، والخطاب الديني، أو (الخطاب الإسلامي على وجه الخصوص) كان عاملاً من عوامل التصدي للغزو الثقافي الاستعماري الذي خلف وراءه أطنانا من الأدبيات الفكرية والثقافية، مضافاً إلى أشخاص ينتمون إليه فكراً وثقافياً. وبما أنه وجد نفسه متصدياً لخطاب "الأخر" الناقد المعاكس، فقد اعتُبر خطاباً ذا خصائص يعكس بعضها وضعا أقل ما يمكن القول عنه إنه مأزوم، ولذلك لا بد من عرض تلك السلبيات التي يكاد يجمع النقاد عليها: إن من داخل الخطاب الديني نفسه أو من خارجه، خصائص، ولعلها كثيرة وأهمها<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> -أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس.

<sup>2</sup> - أخرجه أبو القاسم بن بشران في أماليه عن عمر، لكنه ضعيف ويعمل به في فضائل الأعمال.

<sup>3</sup> - انظر عبد الرؤوف بن عيسى. وسائل استثمار شبكات التواصل في نشر مفاهيم الوسطية والاعتدال دراسة تحليلية. مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية. المجلد 43. العدد 3. جامعة الأردن. 2016م. ص 2390.

<sup>4</sup> - عبد السلام محمود غالب الإنسي. مفهوم الخطاب الديني. موقع السكينة. بتاريخ 11 سبتمبر 2013م. على الرابط:

- 1- المذهبية الضيقة والحزبية البغيضة قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>1</sup> «المؤمنون 53»، فكل مذهب يدعي أنه على الحق وما سواه على الباطل، ويتعامل مع الناس على هذا الاساس ويبرز في خطابه للأخريين.
- 2- الجمود والركود وعدم التجديد والإبداع في الأسلوب والطريقة؛ مما يدفع المخاطب إلى الملل والسآمة.<sup>1</sup> التقليد في الخطاب من حيث القوالب والشكل، فيصبح أحيانا نسخة طبق الأصل مكرورة في الإلقاء واختيار الموضوع وحتى في الحركات والسكنات، بعيدا عن إثبات الذات وبروز الشخصية. وكذلك يبرز من بعض الجماعات والطوائف في الخطاب. مع الحفاظ على نمطية مظهرية منقّرة.
- 3- التكرار في مضامينه والبعد عن الابتكار؛ حيث أصبح الكثير يردد موضوعا واحد يدور حول التهريب من عذاب القبر والنار، أو ذم بالدنيا والتعلق فقط- بالآخرة، والتعلق بالماضي دون أخذ العبر مما مضى لرسم طريق واضح المعالم للمستقبل.<sup>2</sup>
- 4- قلة الهمة ودوافع التبليغ عند أصحاب الخطاب الديني؛ فينهزم عند أول المعوقات.
- 5- الانطواء والانكفاء على الموجود، وجعل الخطاب الديني محصورا في تلك الحدود المعروفة، ولا يخرج منها، وعدم البروز في الأماكن التي تحتاجها الأمة في الحضارة والتقدم والرقي والاستفادة من الآخر ووضع الحلول والبرامج المنقّدة للبشرية؛ فيكون منهلها ومرجعها من صميم الدين الحنيف.
- 6- الانهزام أمام التيارات المعادية للإسلام، والإحباط النفسي وضعف المواجهة والحجة لتلك التيارات المعادية والمحاربة لهذا الدين العظيم، والوقوف عند أول عقبة كؤود.
- فلا بد لنا من البحث عن الحلول والخروج من هذه المأزق التي يضعها أعداء الإسلام بلا انهزام أو رجوع إلى الوراء.
- 7- الانتقاد والهجوم اللاذع على الآخر والمخالف، بعيدا عن النقد البناء حيث يقول القائل: "رحم الله امرأً أهدى إلي عيوبي" وأصبح ميدانا لتبادل التهم وإلقاء المبررات بعيدا عن المقصد المنشود والمستوى المطلوب. والغاية السامية والمكانة الرفيعة التي يسعى إليها من حمل رسالة الأنبياء والمرسلين وهي الدعوة والتبليغ.
- 8- ادعاء التزكية والإخلاص والحسن والكمال في العلم والمعرفة، وما سواه ليس بشيء فيخاطب الناس بشيء من الغرور ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (النجم: 32)
- 9- خطاب صدامي؛ حيث يتصادم أفراد المجتمع الإسلامي فيما بينهم، ومع غيرهم كما لو أنهم في ساحة قتال، ويرى كل طرف الطرف الآخر خصما له.
- 10- خطاب رد فعل، منفعل وليس فاعلا، ومتأثر وليس مؤثرا، غير أن هناك من التمس له العذر في خاصيته هذه من منطلق أنه خطاب مواجهة، ولذلك يكون بالضرورة منفعلا ومتماشيا مع وتيرة الفكر الآخر وثقافته ومختلفا معه في الاتجاه.<sup>3</sup>
- 11- وبما أنه خطاب نقدي قائم على رد الفعل والصدام، فهو -إذن- خطاب يمارس الهدم أكثر من البناء؛ وذلك

<sup>1</sup> - فايز الربيع. الخطاب الإسلامي أسباب الانحراف ومظاهره. صحيفة الرأي. بتاريخ 2015/12/17م. آخر تحديث

على الرابط: <http://alrai.com/article/751751> 2018/11/01م.

<sup>2</sup> - فايز الربيع. الخطاب الإسلامي أسباب الانحراف ومظاهره. المرجع نفسه.

<sup>3</sup> - انظر السيد مصطفى السادة. الخطاب الثقافي بين أصالة المفهوم وهامشية الطرح. مجلة النبأ. ع 49. جمادى الثانية 1421هـ. أيلول 2000م.

مؤشر للتأخر وليس للتقدم.<sup>1</sup> فهذه من مساوئ الجدل؛ إذ يقول محمد الحداد في هذا الشأن: "نظرا لأن الجدل يتجه إلى إفحام الشخص وليس إلى التفكير<sup>2</sup> في القضية المطروحة، فإن السفسطة تصبح مطلوبة لأنها قادرة في أحيان كثيرة على الإفحام أكثر من قدرة البرهان العقلي".<sup>3</sup> كما أن غياب لغة الحوار والافتقار إلى فقه الاختلاف تعد إشكالية أخرى يعاني منها الخطاب الديني التقليدي، وتتجلى أزمتها في عجزه عن فهم سنة الله في الاختلاف والتنوع الفكري والديني والثقافي، ولذلك فهو بدلاً من أن يستحضر حكمة الله في ذلك الاختلاف والتنوع نراه يضيق بالخلاف وإن كان في مسائل اجتهادية ظنية، ويشحن الجمهور -أحياناً- بثقافة الحقد والعداء والكرهية لكل مخالف.

12- خطاب لا يعبر بالضرورة عن الواقع؛ حيث إن "الموقف الشخصي" لا يتفق بالضرورة مع "موقف الخطاب" عندما يعلنه الشخص ذاته. فالكثير من المحافظين الذين عارضوا مثلاً تعليم المرأة، كانوا يرسلون بناتهم إلى المدارس؛ ذلك أن المعارضة هي نتيجة دورهم الاجتماعي المتمثل في التحدث باسم الخطاب الفقهي السائد دون الرأي الشخصي.<sup>4</sup>

13- التعددية في الخطاب الإسلامي الراهن، أدت إلى ظاهرة الفوضى في الخطاب الديني. ومن ثم يتعين وضع الأمور في نصابها، وذلك بحصر الخطاب الإسلامي في ما يصدر عن "العلماء" المتخصصين في ثقافة الإسلام فقهاً وأصولاً وعقيدة وعلماً بالقرآن والسنة.<sup>5</sup>

14- الخلط بين الفكر والدين، مع أنه لم يكن هنالك مشكل بالنسبة للمسلمين الأوائل في التمييز بين ما كان مجاله النصوص الدينية، وما كان مجاله الخبرة الإنسانية، فالأول محكوم بالوحي، والثاني بالعقل. حيث كانوا "كثيراً ما يسألون إزاء موقف بعينه ما إذا كان تصرف النبي ﷺ، محكوماً بالوحي أم محكوماً بالخبرة والعقل. وكثيراً ما كانوا يختلفون معه ويقترحون تصرفاً آخر إذا كان المجال من مجالات العقل والخبرة".<sup>6</sup>

وقد انتقد نصر حامد أبوزيد هذه الآلية من حيث دخولها منطقة "الحديث باسم الله"، ومتى اعتُبر الاجتهاد في فهم النصوص من بين المستحدثات، فإن ذلك -حسب رأيه- أدى إلى ظهور نتيجتين:

-النتيجة الأولى: أن للإسلام معنى واحداً ثابتاً لا تؤثر فيه حركة التاريخ، ولا يتأثر باختلاف المجتمعات، وهذه النتيجة تفترض وقوع الفهم في الحاضر بينما ينتمي النص إلى الماضي.<sup>7</sup>

والحقيقة، أن هذا التعبير من نصر حامد أبو زيد، إنما يحيل على فكرة "التاريخانية"، والتي هي بشكل من الأشكال "تجاوز القديم وإحداث قطيعة منهجية مع أشكال ثقافية أنجزت سلفاً لصالح أنماط بديلة ترسم طريق التحرر، و

<sup>1</sup> - انظر مصطفى خضر. النقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية معاصرة. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001م. ص9.

<sup>2</sup> - انظر نايف عبوش. وحدة صف المجتمع المسلم .. تحديات التعصب وضرورات الاعتدال. شبكة الألوكة. بتاريخ 1434/5/17هـ - 2015/3/19 م. على الرابط:

<http://www.alukah.net/sharia/0/51979/>

<sup>3</sup> - محمد الحداد. حفريات تأويلية في الخطاب الإسلامي المعاصر. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. ط1. 2002م. ص144.

- محمد الحداد. حفريات تأويلية. المرجع السابق. ص175.<sup>4</sup>

<sup>5</sup> - محمد الكتاني. الخطاب الإسلامي وظروف المرحلة الراهنة. صحيفة العرب. العدد 9602. 2014/06/27. ص13.

<sup>6</sup> - نصر حامد أبو زيد. الخطاب الديني، رؤية نقدية. دار المنتخب العربي دراسات إسلامية. لبنان. بيروت ط1. 1992م. ص22.

<sup>7</sup> - انظر نصر حامد أبو زيد. الخطاب الديني رؤية نقدية. المرجع نفسه. ص ص 23-24.

تمنح من حقل التاريخ.<sup>1</sup> فهذه فكرة (التي تعتبر نظرية في مناهج الحدائين)، يكرسونها في تعاملهم مع النصوص دون تمييز بين النص الإلهي المقدس وما كان وحيا بشقيه (القرآن وما صح من الحديث)، والنص البشري، وهذا في الأصل خطأ منهجي لا يمكن الوثوق به ولا قبوله.

-النتيجة الثانية: وهي تأتي تابعة للنتيجة الأولى ومفادها أن "الفهم" ليس مشاعا بين عامة الناس، فعلماء الدين هم فقط من يمتلكون إمكانية فهم المعنى الواحد الثابت الذي ينطق به النص الديني، وكأنهم مبرؤون من التحيزات الإنسانية والأهواء.

وهذا ما يكاد أن ينقله حرفيا عبد النور إدريس عن نصر حامد أبي زيد في مقال له<sup>2</sup>، والحقيقة -أيضا- أن النتيجة الثانية فيها بعض المبالغة، على أساس أن فهم النص لم يعد بالسهولة نفسها التي كان عليها زمن المسلمين الأول، وإن لم يكن المشتغل على النص على دراية بجملة من العلوم والمعارف، فلن يكون بإمكانه التعاطي مع النص.

13- يُعاب على هذا الخطاب، وقوعه في تناقض من خلال موقفه تجاه الغرب، وهذا التناقض يمكن ملاحظته على مستويين، فرغم رفضه لتقافة هذا الآخر إلا أنه مفتتن به وبما حققه على المستوى التكنولوجي والمادي على العموم، وهذا أول مستوى، أما المستوى الثاني فهو استباحة منتجات هذا الغرب والإقبال عليها وامتلاكها.

والجدير بالذكر، أن ما يسميه هؤلاء تناقضا، إنما هو سلوك طبيعي ومسلك لما يسمى بالعقد الاجتماعي، فكل الشعوب والحضارات والأفراد بحاجة لما عند الآخر عن طريق التعامل والتبادل في المصالح والماديات، وهذا لا يمنع - إطلاقا - من انتقاد الآخر مهما احتجنا لما عنده، فالحضارة الغربية الآن تتزعم العالم، وأميركا تريد المحافظة على موقعها السلطوي، ومع ذلك هي تعيش على ما تنتجه الدول المتخلفة من موارد للطاقة وغيرها، ولم يُنظر إلى ذلك على أنه تخلف أو تناقض.

وبذلك فالخطاب الديني، يحاور ثلاثة اتجاهات:

أ- الإسلام في صورته النقية والمثالية بالنسبة للكثيرين من منتجي هذا الخطاب.

ب- واقع المسلمين الذي يلزمه التغيير بما أنه مضطرب ومختل من حيث منطلق الفكرة والعمل<sup>3</sup>، وبه ما يبعده عن الدين الصحيح.

ج- والغرب بكل معطياته الفكرية والثقافية والاجتماعية التي تُصَوَّر على أنها سبب تلف حياة المسلمين. وتدخل هذه المقارنة في إطار ذلك الحوار الدائم بين الثقافة التقليدية، والثقافة الحديثة منذ أن احتكت مجتمعات المسلمين بالغرب وما حمله ذلك الاحتكاك من عناصر وافدة ودخيلة على الثقافة الإسلامية وبنيتها المحافظة، ويعتقد البعض أن تلك العناصر قد دخلت بالخبرة الحدائية للعالم الغربي كي تستبدل الجديد بالقديم، ولكنها دخلت على المجتمعات الإسلامية لكي تفكك القديم، وتجعله قائما يناضل من أجل تأكيد ذاته والمداومة على التوضيح والتبيين.

وقد ظل الخطاب الديني يحاور الثقافة الغربية مقاوما إياها بالأدوات والوسائل التي تتيحها هذه الثقافة ذاتها، من طباعة وأدوات الاتصال الحديثة وقنوات النشر والإعلان... إلخ. وكان موضوع الحوار -بشكل منطقي- هو الواقع

<sup>1</sup> - ج هرنشو. علم التاريخ. ترجمة عبد الحميد عبادي. دار الحدائية للطباعة والنشر. ط1. 1988م. ص66.

<sup>2</sup> - عبد النور إدريس. ميثولوجيا المحذور وآليات الخطاب الديني - المرأة المسلمة بين السياق والتأويل-. سلسلة دفاتر الاختلاف (1). مطبعة سجلماسة. مكناس. ط1. شتبر 2005م.

<sup>3</sup> - انظر مالك بن نبي. شروط النهضة. تر عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دار الفكر. دمشق. ط4.

بمغيراته المختلفة بين الثقافتين. وهكذا شكّل الواقع ثالث ضلع لثلاثية (الإسلام، الغرب، الواقع)<sup>1</sup>.

#### الخاتمة:

ليس ثمة في الإسلام "شعب الله المختار" على أساس عرقي بغيض، ولكن هنالك "خير أمة"؛ ترشّد الناس ما التزمت بمقتضيات الشهادة عليهم، من خلال تكريس قيمة ومفهوم الوسطية. فالوسطية-على هذا الأساس- هي حكم رباني ديني إلزامي يدخل في باب الضرورة، وخيار حضاري أوجد-بالنسبة للمسلمين-، يدخل في باب الإلزام والحتمية.

فمادام خطاب المسلمين الديني بهذه الميزات والسلبيات، فهم بعيدون كلياً عن تلك الخيرية المنوطة بأمة قادرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فالمسلمون عاجزون، ولا يقدرّون على تحريك الأحداث في العالم، أو نصرة المظلوم. وعلى الخطاب الديني أن يترشّد، ويدرك معنى الاعتدال والوسطية كخيار أوجد. ووسطية الأمة المسلمة، رهينة بشرط الفعالية والقدرة على إحداث التغيير الإيجابي في الحياة والكون، وما لم يتحقق هذا الشرط، فهي أمة متطرفة في السلبية والهوان، ولا يمكن بحال من الأحوال وصفها بالخيرية على افتراض ما ينبغي أن يكون.

كما أن معنى "الجعل" الذي يؤسس للضرورة والحركية، يقوّي معنى الترابط والتلازم بين تحقق الإيجابية في والخيرية. فلا مجال لأمة وسط بالطبيعة والخلق؛ بل هو اجتهاد وأخذ بالسنن، فذلك التصيير الذي شاءه الله وتحقق في المجتمع الإسلامي الأول، كان مرتبطاً بغاية وهي الشهادة على الناس، والامتثال لما جاء به الرسول ﷺ، وما حاد عن ذلك الفهم يكون أحلام يقظة يغرق فيها المسلم ولن يستفيق منها، إلا إذا استحضر كل وعيه الديني، والكوني، والسنني، والإنساني. فخطاب المسلمين اليوم مأزوم، والحل يكمن في وسطية حضارية ذات مرجعية إسلامية أصيلة ونقية المشارب.

1 - - أحمد زايد. صور من الخطاب الديني المعاصر: خطاب المؤسسة والنخبة. دار العين للنشر. ط.1.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- إدريس. عبد النور. **ميثولوجيا المحذور وآليات الخطاب الديني - المرأة المسلمة بين السياق والتأويل-**. سلسلة دفاتر الاختلاف (1). مطبعة سجلماسة. مكناس. ط1. شتبر 2005م.
- 2- تومان غازي حسين. خالد كاظم حميدي. معاني "جعل" في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني. مجلة اللغة العربية وآدابها. مجلة علمية فصلية محكمة. جامعة الكوفة. محرم 1438هـ - كانون الأول 2011م. الع12.
- 3- ابن جنّي. عثمان. الخصائص. 166/2. نقلا عن أبي المنذر الشنقيطي. الوسطية في القرآن بيان لمعنى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا).
- 4- الحداد. محمد. **حفريات تأويلية في الخطاب الإسلامي المعاصر**. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. ط1. 2002م.
- 5- أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي. **اللباب في علوم الكتاب**. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. 1998م.
- 6- خضر. مصطفى. **النقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية معاصرة**. اتحاد الكتاب العرب. دمشق. 2001م.
- 7- الرازي. فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي. **التفسير الكبير**. دار الكتب العلمية. بيروت. 1425هـ - 2004م.
- 8- ابن عاشور. محمد الطاهر. **التحرير والتنوير**. دار سحنون للنشر والتوزيع. تونس. د ت. 8.
- 9- ابن عيسى. عبد الرؤوف. **وسائل استثمار شبكات التواصل في نشر مفاهيم الوسطية والاعتدال دراسة تحليلية**. مجلة دراسات العلوم الاجتماعية والإنسانية. المجلد 43. العدد 3. جامعة الأردن. 2016م.
- 10- ابن فارس بن زكريا. أبو الحسين أحمد. **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. 1399م - 1979م.
- 11- الفراهيدي. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد **كتاب العين**. تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال.
- 12- القرطبي. محمد بن أحمد الأنصاري. **تفسير القرآن**. دار الفكر.
- 13- قطب سيد. **في ظلال القرآن**. دار الشروق. ط 32. 1423هـ - 2003م.
- 14- ابن قيم الجوزية. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين. **إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان**. تح محمد حامد الفقي. مكتبة المعارف. الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 15- الكتاني. محمد. **الخطاب الإسلامي وظروف المرحلة الراهنة**. صحيفة العرب. العدد 9602. 2014/06/27.
- 16- ابن منظور. محمد بن مكرم الإفريقي المصري جمال الدين أبو الفضل. **لسان العرب**. دار صادر. بيروت. ط1. د ت.
- 17- زايد. أحمد. **صور من الخطاب الديني المعاصر: خطاب المؤسسة والنخبة**. دار العين للنشر. ط1. 2007/01/01م.
- 18- الزبيدي. محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي. **تاج العروس من جواهر القاموس**. تح علي شيري. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت. 1414هـ - 1994م.
- 19- الزحيلي. وهبة. **إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور في الأمور**. مجلة الوعي الإسلامي. الصادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت. العدد 481. بتاريخ 2005/10/3م.



- 20- الزحيلي. وهبة. الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً. أبحاث مؤتمر الوسطية منهج حياة. من 13 إلى 15 ربيع الثاني 1426هـ - من 21 إلى 23 مايو 2005م. وزارة الاوقاف الدينية الكويتية.
- 21- أبو زيد. نصر حامد الخطاب الديني، رؤية نقدية. دار المنتخب العربي دراسات إسلامية. لبنان. بيروت ط1. 1992م.
- 22- السادة. السيد مصطفى. الخطاب الثقافي بين أصالة المفهوم وهامشية الطرح. مجلة النبأ. ع 49. جمادى الثانية 1421هـ. أيلول 2000م.
- 23- الطبري. أبو جعفر محمد بن جرير تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تح محمود محمد شاكر. إخراج ومراجعة أحمد محمد شاكر. مكتبة ابن تيمية. القاهرة.
- 24- أبوداود. سنن أبي داود. د ت.
- 25- بن نبي. مالك. شروط النهضة. تر عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين. دار الفكر. دمشق. ط4. 1407هـ - 1987م.
- 26- ج هرنشو. علم التاريخ. ترجمة عبد الحميد عبادي. دار الحداثة للطباعة والنشر. ط1. 1988م.

#### مراجع إلكترونية:

- 1- الإنسي. عبد السلام محمود غالب. مفهوم الخطاب الديني. موقع السكنية. بتاريخ 11 سبتمبر 2013م. على الرابط:  
<http://www.assakina.com/news/news1/27831.html>
- 2- عثمان بن جني. الخصائص. 166/2. نقلا عن أبي المنذر الشنقيطي. الوسطية في القرآن بيان لمعنى قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). المجلس اليمني. بتاريخ 2010/08/18م. على الرابط:  
[/https://www.ye1.org/forum/threads/527762](https://www.ye1.org/forum/threads/527762)
- 3- الربيع. فايز. الخطاب الإسلامي أسباب الانحراف ومظاهره. صحيفة الرأي. بتاريخ 2015/12/17م. آخر تحديث 2018/11/01م. على الرابط:  
[/http://alrai.com/article/751751](http://alrai.com/article/751751)
- 4- عبوش. نايف. وحدة صف المجتمع المسلم .. تحديات التعصب وضرورات الاعتدال. شبكة الألوكة. بتاريخ 1434/5/17هـ - 2015/3/19م. على الرابط:  
[/http://www.alukah.net/sharia/0/51979](http://www.alukah.net/sharia/0/51979)
- 5- محمد يتيم. الوسطية والاعتدال. دار الفكر الاستراتيجي للدراسات. بتاريخ 27 ديسمبر 2015م. على الرابط:  
<https://fikercenter.com/studies>





الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## التجربة المغربية في التعامل مع الأقليات غير المسلمة: بعض الأمثلة من تاريخ المغرب

إعداد

أ. فتيحة ساطع

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## مقدمة

يحفل تاريخ المغرب بأحداث ومواقف توضح مدى ما وصل إليه التعايش بين مختلف الفئات المكونة للمجتمع المغربي على العموم. فما نسمعه اليوم من تسامح المغاربة ومثالياتهم في التعامل مع الأجانب غير المسلمين أو المغاربة غير المسلمين، لم يأت فقط كردة فعل على ما أصبح يعيشه العالم اليوم من أزمات وصراعات طائفية ودينية وانتشار للكراهية بين مختلف مكونات المجتمع الواحد، ولكنه كان في حقيقة الأمر تقليدا مغربيا ترسخ عبر مختلف مراحل تاريخ المغرب؛ إذ سجل التاريخ كيف تعايشت عدة طوائف وأقليات دينية في المغرب، واعتبرت الطائفة اليهودية أكبر طائفة ونسبة بالبلاد تقرض نفسها في هذا التعايش.

ويعتبر موضوع اليهود في المغرب من موضوعات التاريخ الإسلامي العريق، يظهر ذلك من خلال الدور الذي قامت به الجالية اليهودية من خلال مشاركتها في جميع النشاطات الصناعية والتجارية والاقتصادية، والاجتماعية والثقافية والسياسية فقد عاشت أفراد الطائفة اليهودية طيلة قرون متفرقين في مناطق المغرب يحافظون على بنيتهم التنظيمية على إيقاع الظروف المعيشية التي يوفرها مجال الاستقرار، وأنعشوا الاقتصاد باهتمام للحرف التقليدية ثم التعاطي للتجارة، وعرف المجتمع المغربي باعتباره مجتمعا مسلما وبامتداد تاريخه، تعايشا مثاليا بين غالبية مكوناته المسلمة وبين فئات أخرى تدين بديانات أخرى كاليهودية والمسيحية.

ففي النصف الثاني من القرن 19 اشتد التكالب الأوروبي على المغرب سواء بالتدخل المباشر في الشؤون الداخلية أو بالاتفاقيات الاقتصادية المجحفة في حقه، واكتملت حلقات هذا المسلسل بفرض الحماية الفرنسية سنة 1912م. وفي ظل هذا المناخ الدولي المشحون بدأ يهود المدن الكبرى يندمجون في الأوضاع الجديدة، ويتبنون مظاهر الحياة الاقتصادية للرأسمالية العالمية من خلال الاستفادة من الحماية القنصلية والاشتغال في الوساطة التجارية واقتصاد الأبنك ولم تخل مجموعة من المناطق من وسطاء تجاريين مندمجين في شبكة تجارية دولية تمتد إلى يهود المدن الساحلية الكبرى كتطوان والصويرة وأسفي.....

**فكيف عاش اليهود بالمغرب؟ وما هي تجليات التعايش بينهم وبين باقي مكونات المجتمع المغربي؟**

**وكيف كان حضورهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخل هذا البلد؟**

## 1- مظاهر الحياة الاجتماعية لليهود المغاربة

فعلى صعيد الحياة الاجتماعية أثبت مجموعة من الدراسات أن حياة اليهود لم تكن منغلقة على نفسها، بل كانت تعيش في جو من الاختلاط مع سكان البلاد وممارسة الأنشطة معهم في حياتهم اليومية، " وأكد ذلك نظام الحماية والجوار هذا على الاختلاط بين اليهود والمسلمين، وينفي انعزال السكان داخل أحياء خاصة بهم في بلاد المغرب حيث لم يفرض عليهم الانعزال سوى في العصر المريني وذلك لأسباب خاصة منها حماية اليهود أنفسهم من أعدائهم لذلك برزت الحاجة إلى إيجاد حي يهودي عرف بالملاح"<sup>1</sup> و استطاع اليهود العيش باطمئنان نسبي في المغرب، رغم اختلاف وجهات النظر في هذا الصدد بين الباحثين اليهود أو المغاربة على حد سواء، إذ يذهب البعض إلى أن ازدهار أحوال اليهود في المغرب ارتبط بتصاعد حظوة نخبهم لدى السلاطين المغاربة من عدمها<sup>2</sup>

فيهود المغرب عنصر أصيل في بلاد المغرب، تمثلت أصالتهم هذه في مسارات تدبيرهم ومناشط حياتهم فلم يكن العنصر اليهودي يغيب عن مختلف المناطق المغربية في المدن والقرى، ولم يسجل غيابهم في فترة من الفترات، بل تبوأوا مناصب مهمة في مختلف طبقات المجتمع، " فقد شهد عهد الأسرة العلوية في المغرب وجود أكبر عدد من اليهود في خدمة السلاطين بشكل يفوق ما حصل في أية مرحلة سابقة من التاريخ المغربي مما يجعل مكانة اليهود ثابتة في تاريخ المغرب"<sup>3</sup>

وقد أشار الزعفراني إلى وصف حياة اليهود المغاربة " التعايش بينهم كان يتحقق في الحياة اليومية وفي المجال الاجتماعي وفي الثقافة الشعبية....وفي فضاءات الالتقاء هذه تتهار الحدود الدينية والوطنية، ويظل اليهودي المغربي بصفته جزءا لا يتجزأ من المحيط الاجتماعي والثقافي واللغوي للمغرب الإسلامي والعالم الأندلسي المغربي القديم"<sup>4</sup>

ومن المسلم أن الطائفة اليهودية استقرت في مجموعة المدن المغربية، كبنى ملال ودمنات وفم الجمعة وبزو وتنانة وفاس والصويرة ومراكش....، مما يدل على وجود تسامحا قل نظيره، فكانت لهم بيعهم وحريتهم، حيث عاش اليهود في الملاح الذي شكل محيطهم الاجتماعي، ووفر لهم نمط العيش والرعاية الدينية التي تتماشى مع موروثهم الثقافي الذي حافظوا عليه طيلة ألف سنة من استقرارهم بالمغرب منذ عهد الفينيقيين على حد تقدير المؤرخ اليهودي حاييم زعفراني، الذي اعتبر أن "جذور يهودية الغرب الإسلامي تمتد إلى عهود سحيقة، بحيث يعتبر اليهود أول مجموعة غير بربرية وفدت على المغرب ومازالت تعيش فيه"<sup>5</sup>

<sup>1</sup> بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي، عبد الرحمن بشير الطبعة 1 سنة 2001 الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

ص 113.

<sup>2</sup> دانييل ليفي شروتر يهودي السلطان، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط أكادال، دار أبي رقرق،

للطباعة و النشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2011 ص 65.

<sup>3</sup> دانييل شروتر يهودي السلطان، ص 32.

<sup>4</sup> حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ ثقافة، ديين (ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الطبعة الأولى 1987 الدار

البيضاء ص 288.

<sup>5</sup> نفس المرجع، ص 9.

وقد عمل عدد من الباحثين على دعم هذا الطرح، وأبرزهم إبراهيم حركات الذي قال عن أصولهم "جاءوا إلى شمال إفريقيا في هجرات بدأت تصل إلى المنطقة منذ عهد الفينيقيين"<sup>1</sup> ويكاد يتفق المؤرخون على أن وصول اليهود إلى المغرب كان مبكرا جدا، وتوغلهم فيه مكنهم من نشر ديانتهم بين الأمازيغ أنفسهم حتى أصبحنا نجد في عمق البلاد عناصر عديدة تحيل على الديانة وعلى الثقافة اليهوديتين، وتم إحصاء ما يقارب 300 ألف يهودي بالمغرب خلال منتصف القرن العشرين سكنوا جل المدن المغربية وشكلوا نسبة مهمة بين ساكنتها، وكانت النتيجة ظهور أثرهم بوضوح في الثقافة الشعبية المغربية وفي مظاهرها اللغوية والاجتماعية ، مما يدل على حدوث تلاقح وتواصل وتعايش بين اليهود والمسلمين المغاربة<sup>2</sup> اعتبر يهود المغرب بلدهم أحق بالتقديس في مجال التعبد واعتبروا فاس قدسا واعتبروا مراكش قدسا واعتبروا تطوان قدسا واعتبروا تخوم الصحراء المغربية منازل كمنازل موسى في سيناء، فعرفت زواياها القبلية (الصوفية) وداعت شهرتها وتزهت فيها كبار زهادهم.<sup>3</sup>

ومن بين مجالات التعايش في المغرب مجال السكن ، فأغلب اليهود كانوا يسكنون في حي خاص بهم يسمى "الملاح"، هذا الأخير شكل مؤسسة قائمة بذاتها تضم المنازل والأزقة وتتوزع بينها المحلات التجارية ودكاكين ممارسة مختلف الحرف مما كان يحقق لهم التكامل الاقتصادي وتبادل السلع والخدمات في إطار منظم بشكل دقيق، وكان المعبد اليهودي يؤثث هذا الفضاء حيث يسهر على تطبيق تعاليم الديانة اليهودية المتضمنة بالتوراة والتلمود، فكان الجميع يخضع لتربية دينية صارمة تترك بصماتها على الفرد، وكانت لفرض استقرار هذه السلطة الروحية هي المؤهلة لتسيير الحياة داخل هذا الوسط المغلق من خلال البث في المنازعات والتدخل لفرض الاستقرار أئمة المواد والسلع، وقمع الغش وحظر التعامل بالربا<sup>4</sup> وكان يتم ذلك تحت إشراف السلطة المخزنية وينسجم مع ما تملبه من قواعد تحكم العلاقة بين المسلمين واليهود<sup>5</sup>.

وبعد توقيع المغرب على بنود الحماية الفرنسية شرع المقيم العام ليوطي في تطبيق البرنامج الكولونيالي الذي سبق إعداد كل جزئياته وتفاصيله بعناية فائقة بعد مسح شامل للمجال المغربي وانجاز مختلف التقارير على ضوء الأبحاث الميدانية حول بنياته المختلفة وانعكس هذا المشروع على الساكنة المغربية لاسيما الطائفة اليهودية التي انتقل جزء منها خارج الملاح والإقامة في الأحياء الجديدة ذات الملاح الأوروبية<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1984 ص 56.

<sup>2</sup> شمعون ليفي، محاولات في التاريخ و الحضارة اليهودية المغربية ، ط 1، الرباط، ص 16.

<sup>3</sup> أحمد شحلان، يهود المغاربة من منبث الأصول إلى رياح الفرقة، دار رقرق للطباعة والنشر الرباط الطبعة الأولى، 2009، ص 14

<sup>4</sup> -haim zafrani ,mille ans de vie juive au maroc,maisonneuve et larose,paris,1983 ,p157.

<sup>5</sup> تحتفل مصادر النوازل الفقهية بقضايا تبين كيف كان يتم التعامل مع اليهود وقضاياهم على قدم المساواة بينهم وبين باقي مكونات المجتمع المغربي المسلم .

<sup>6</sup> Mohmed kenbib juf et musulmans au maric 1859–1948,ynversité mohamed 5 édition  
faculté lettre et sciences humains rabat , thèses et mémoires n 21 njaha et jadida

فالملاح المغلق منذ قرون بدأ يفتح على محيطه تحت تأثير الضغط الذي أحدثته الوضعية السياسية الجديدة، وتمخض عن ذلك تسريع وثيرة الاندماج وذوبان الطبقات اليهودية في ركاب هذا التحول والذي كان من تجلياته اعتماد التعليم الفرنسي ونمط العيش الأوروبي سواء في اللغة واللباس والأنشطة المزولة<sup>1</sup> فهذا الاستقطاب للجالية اليهودية كان يروم الاستفادة من خبراتها وتأهيلها باعتبارها أقلية أثنائية يمكنها خدمة المرامي الاستعمارية، لكن دون تمتيعها بأي استقلالية عن التبعية كرعايا للسلطان بموجب ما نص عليه ميثاق مدريد، وبالمقابل أصدر اليوطي سنة 1918 مرسومان أقر أسس تشكيل لجان الطوائف والمحاكم الحاخامية، واقتصرت صلاحيتها على أمور العبادة والأنشطة الخيرية دون تشكيل أي لجنة عليا للإشراف على أمور يهود المغرب<sup>2</sup>

وترتب عن التحولات التي مست الطائفة اليهودية تغيير في خريطة توزيعها في مجالات الاستقرار وذلك من خلال كثافة نزوحها نحو المدن الكبرى، وظهور طبقة من البروليتاريا التي عانى جزء منها من العطالة وتقلص فرص العمل وعاشت على الإعانات المقدمة من الطبقة اليهودية الموسرة. ومن البديهي أن هذه التحولات ناجمة عن معطيات وعوامل معقدة نتيجة الوضع الكولونيالي الذي مر به المغرب والنقلبات التي شهدتها الساحة الدولية، وفي مقدمتها الحرب العالمية الثانية والصراعات اليهودية مع العرب، وهي موجات ساهمت بشكل وافر ومباشر في رفع وثيرة هجرة اليهود، بالإضافة إلى عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية أخرى حفزت أكثر هذه الهجرة وزادت من وثيرتها وحثهم على الرحيل .

اكتسب اليهود بالمغرب وضعية أهل الذمة؛ إذ سادت علاقة الاحترام لهم، وتبادل المصالح معهم وإجراء المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية، وممارسة شعائر دينهم، وكفالة حريتهم الدينية، وهذا ما نص عليه الإسلام، بالحث على المحبة والعدل والمؤاخاة بين الناس واحترام العقل الإنساني وتقدير الفكر البشري، فلا يرغم أحدا على عقيدة معينة، أو نظرية خاصة مصداقا لقوله تعالى " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"<sup>3</sup> وضمن لهم كرامتهم وحقوقهم وحسن التعامل معهم قوله تعالى: " و لا تجادلوا أهل الكتاب لا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا أئنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون"<sup>4</sup>

فالتمتع بالحقوق بالنسبة للأقليات من خلال القانون الدولي " وتتصل مشكلة الأقليات بأمرين لهما دور بالغ التأثير فيهما، الأمر الأول: مبدأ المواطنة بمعنى أن حقوق وواجبات المواطنة هو الأساس في الجنسية، وإذا كان للأقلية حق المواطنة طبقا للجنسية، فإن جميع الحقوق و الواجبات ستكون على قدم المساواة بالنسبة لجميع المواطنين. أما الأمر الثاني: حقوق الإنسان، ويشمل ذلك ما نصت عليه الاتفاقيات الدولية في الحقوق السياسية والاجتماعية والمدنية، وذلك أن الحفاظ على حقوق الإنسان يعد أكبر من الحفاظ على حقوق المواطن في أية دولة كانت"<sup>5</sup>

12. André chouraqui, histoire des juifs en afrique du nord hachette, nouvelle edition France, 1987, p.111

<sup>2</sup> صوميل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، 1950، 1850 ص 361.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 256.

<sup>4</sup> سورة العنكبوت الآية 46

<sup>5</sup> جمال الدين محمد محمود، الإسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، دار الكاتب المصري و اللبناني ( القاهرة )،

### 3- مظاهر الحياة الاقتصادية لليهود المغاربة

تبين الدراسات المهمة للحياة الاقتصادية دور اليهود في تحريك عجلة الاقتصاد المغربي إبان فترات استقرارهم، حيث اهتموا بالصناعة وفضلوا الاستقرار في مناطق متميزة من حيث موقعها ومواردها الطبيعية، ووجودهم لم يقتصر على المدن فقط بل سكنوا حتى في المناطق الجبلية، فمارسوا مختلف الحرف المعروفة من خياطة وحدادة وخرارة ونجارة... واتسمت المنتجات بالإتقان والمهارة كإرث واطبوا عليه طيلة قرون من استقرارهم، كما أن التعاطي لهذه الأنشطة ينبع من التعاليم الدينية التوراتية التي تحت الأب تلقين ابنه أصول الحرفة التي يمارسها بالتوازي مع متابعة الدراسة وفق المقننات التي يكلفها النسق الديني للطائفة.<sup>1</sup>

واختصوا بصياغة الذهب والفضة وصناعة الحلي والمجوهرات وكان اليهودي يمارس أكثر من مهنة تدر عليه بعض الدخل، لأن الحرف اليدوية مداخلها هزيلة لا تسعف على تغطية مصارف الأسر المعوزة. تعرضت الصناعة التقليدية والحرف اليدوية اليهودية للضرر نتيجة التحولات التي رافقت الوجود الفرنسي، وزادت حدتها بالتوازي مع المنافسة الشرسة للمنتجات المصنعة الأوروبية والتوجه نحو الصناعة والمكننة. بالمقابل أفرز الاقتصاد الكولونيالي وظائف جديدة لإرساء بنيات تحتية استوجبت عمال في البناء وعمال بالمصانع ورشات الميكانيك فتراجعت الحرفة لصالح العمل بالأجرة وتحسن الدخل بشكل ملموس<sup>2</sup>

و الملاحظ أن نسبة قليلة منهم مارست الفلاحة لكن بشكل محدود لافتقارهم تقاليد موروثية في هذا المجال، فكانوا بالمقابل يدخلون في شراكة مع المسلمين يتكفون بالعملية ثم يتسلمون نصيبهم عندما يحل وقت الحصاد أو الجني الغلة مع الإشارة إلى أن وظيفة الأنشطة الزراعية يلزمها عمل شاق.

#### 1 - التجارة اليهودية:

أما على مستوى المعاملات التجاري، ظل اليهود الأغنياء يحتفظون بمكانتهم ويحتكرون تجارة الجملة للسكر والشاي، وأقاموا مطاحن القمح بعدة مدن كبرى وقد ساهمت السياسة الحمائية في تعزيز مكانتهم لأنهم تمكنوا من التأقلم مع الأوضاع الجديدة، وتحقيق مكاسب اقتصادية إضافية<sup>3</sup>. يمكن الحديث في هذا السياق على فئتين من التجار اليهود:

#### الفئة الأولى:

مارست تجارة داخلية بسيطة ومحدودة في إمكاناتها وشملت تجارة التقسيط التي لم تختلف كثيرا عن ما كان رائجا لدى التجار المسلمين، والتي انحصرت في دكاكين الملاح الأسواق المقامة بالمجال، وكانت تحقق روجا اقتصاديا وتتاجر في المواد التموينية الضرورية كالشاي والسكر والزيت وبيع الأقمشة والشموع، بالإضافة للتجارة بالتجوال التي كانت حkra على اليهود وتقتصد المناطق النائية الوعرة.

#### الفئة الثانية:

فئة التجار الكبار الذين كانوا يتحكمون في عملية جلب البضائع والسلع المستوردة من الحواضر الكبرى وإعادة توزيعها معتمدين على شبكة علاقاتهم الاقتصادية مع فئة أخرى من التجار اليهود الذين اشتغلوا بالوساطة التجارية<sup>4</sup> مع أوروبا منذ القرن 18 نظرا لمعرفتهم باللغات المحلية وكذا منظومة العادات والتقاليد السائدة اشتغلوا

<sup>1</sup> haim zafrani,ebid,p.75 .7

<sup>2</sup> Daniel rivets ,Iyautey et l'instution du protectorat francais au Maroc (1912\_1925) tome 2 edition l'harmattion ,1988,p.911

<sup>3</sup> Mohamed kenbib ,ebid ,p.118

<sup>4</sup> شروتر دانييل، يهود السلطان: المغرب وعالم اليهود السفرد، تعريب خالد بن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم

بالموانئ التجارية كعملاء للقوى الأوروبية أو شركاء في الصفقات التي تبرم واستفادوا من حماية القنصليات الأجنبية<sup>1</sup>.

فقد لعب اليهود دور كبير في النشاط التجاري داخل المغرب مما ساهم في حدوث الحركة تشمل أقاليم الأندلس، فاشتغلوا داخل الأسواق وتوفروا على دكاكين تضم أنواع السلع، وهذه الوضعية الاعتبارية خولت لهم تأسيس ما اسماه الباحث الفرنسي ميج " شبكة الوساطة اليهودية بالبحر الأبيض المتوسط" لأنهم كانوا مندمجين في المضاربات ، وتجاوز أفقهم الاقتصادي بشكل ملموس حدود الموانئ المضربة ومحيطها تحكمت في خيوط هذه الشبكة الروابط العائلية اليهودية حيث تقاطع المصالح من ملاح إلى آخر الذي شكل نواة في كل المعاملات التجارية<sup>2</sup>.

## 2-شبكة الوساطة التجارية اليهودية والرأسمالية الأوروبية

### - المخزن وتجارة اليهود:

تعتبر التجارة الدولية في صميم الحياة الاقتصادية للمغرب، وكان أكثر العناصر الفاعلية في هذا الشأن هم التجار اليهود المغاربة، حيث منحهم علاقاتهم الاستثنائية بالمخزن امتيازات خاصة عن باقي التجار المغاربة وبالرجوع إلى بعض الدراسات التاريخية نستشف أنهم كانوا في بعض الفترات يحتكمون تجارة التصدير والاستيراد احتكارا شبه كلي. الشيء الذي نتج عنه أرباحا كثيرة فالكتابات التاريخية تسجل منذ القرن 18 إلى غاية 19 كون التجار اليهود لعبوا دورا مهما في التجارة الخارجية بين المغرب والرأسمالية الأوروبية.

ونظرا لكون ازدهار الحياة الاقتصادية بالمغرب كان رهينا بمشاريعهم وأعمالهم التجارية، لكن ما ينبغي الإشارة إليه هو أن التجار اليهود في كلتا الحالتين لم يكونوا سوى أدوات اقتصادية في أيدي المخزن نظرا لما تميز به اليهود المغاربة من معرفة باللغات الأجنبية ولصلاتهم الدولية الواسعة بالخارج، كما سخروا أيضا لأداء مهام دبلوماسية وكانت خزائن الدولة تعتمد على أنشطتهم المالية سواء في المغرب أو أوروبا لتزويدها بما تحتاج إليه من أموال لتسيير شؤونها الداخلية كما تزود التجار اليهود المخزن بوسائل الترف والترفيه والعدة والسلام<sup>3</sup>.

ويرى المؤرخون الذين اهتموا بالاقتصاد المغربي خلال ق 19 م وبداية ق 20 م أن التجار اليهود من عوامل الانتقال والتحول، إذ جعلتهم علاقاتهم بالتجارة الأجنبية في موقع الوساطة بين المخزن المغربي والرأسمالية الأوروبية فأصبحوا قادرين على المساهمة في التحفيز على تغيير بنيت الاقتصاد المغربي.

توقفت العلاقات التجارية خلال القرن 20 على العلاقات الشخصية بين التجار. واحتكر التجار اليهود زمنهم اليهود المغاربة البحر لمدة طويلة خلال القرن 20 حيث برزت من بينهم عائلات عديدة في مجال التجارة والمال وكان لهم دور كبير في التغيير الذي حصل في البنية الاقتصادية للمغرب خلال تلك الفترة حيث توصلوا إلى احتلال سياسة إدارية للمغرب، وكانوا يمتلكون خرائط لكافة المناطق المغربية ذات طابع تجاري لا سياسي<sup>4</sup>.

### الإنسانية بالرباط

سلسلة نصوص مترجمة رقم 15، دار الطبع، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2001، ص 54.

<sup>1</sup> صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، 1850-1900 عالم المعرفة العدد 197 ص 283 .

<sup>2</sup> j.l.miege, le Maroc et l'europe (1822-1906), tome 2 ,édition la porte ,p.92

<sup>3</sup> شروتر دانييل، يهود السلطان: المغرب وعالم اليهود السفر د، ص 58

<sup>4</sup> شروتر دانييل، يهود السلطان: المغرب وعالم اليهود السفر د، ص 58

وكانت فئة تجار اليهود تتمتع بامتيازات، على الرغم من قلة عدد أفرادها، التي كان المخزن في حاجته إليه في تعامله التجاري مع أوروبا وقد تم تشديد المراقبة على التجارة الخارجية بحيث يعتبر كل نشاط تجاري يمارسه التجار غير الحاصلين على رخصة مخزونية تهريبا وخارقا للقانون المغربي، الشيء الذي انعكس سلبا على التجار المحليين المغاربة، فقد أصبح من الصعب على أي تاجر مستقل أن يدخل حلبة المنافسة نظرا لحصول تجار اليهود على سلفات مالية مهمة علاوة على تم منحهم من تسهيلات في تسديد الواجبات الجمركية وما ينفرد به التجار اليهود في احتكار العديد من السلع.

لكن بعد التحولات التي عرفها المغرب بعد توقيع الحماية وبعض المعاهدات الأوربية جعل أولئك اليهود المغاربة يختارون الخضوع للحمايات القنصلية وحصولهم على جنسيات أجنبية نظرا لما وفرته لهم هذه الدولة الأجنبية من امتيازات تجارية الشيء الذي دفع بالمخزن المغربي لإجراء تغيرات في البنى الاقتصادية، وعمل على اختيار مجموعة من التجار اليهود والمسلمين من تطوان مراكش والصويرة ودمنات أملا في الوقوف على وجه هذه التطورات، غير أن محاولته باءت بالفشل وعلى الرغم من الامتيازات التي منحها السلطان للتجار المسلمين فقد عجز جلهم عن الصمود في وجه المنافسة القائمة أكثر من بضع سنوات، وإذا كانت الأعمال التجارية لبعض أولئك التجار المسلمين قد ازدهرت فإن نجاحهم جاء نتيجة لاقتدائهم بالتجار اليهود في ربط العلاقات مع الخارج ومع ذلك فقد أشارت الكتابات التاريخية أن جميع المؤسسات التجارية المسلمة تقريبا قد اندثرت بعد مرور عقدين من الزمن.

#### - نموذج من الوساطة التجارية

لقد شهدت المناطق التي تعرف استقرارا مكثفا للطائفة اليهودية، كدمنات وغيرها أنشطة اقتصادية ذات بعد دولي من خلال الشبكة التجارية التي تربط الملاح بالمدن الساحلية كالصويرة أسفي تطاوين في اتجاه أوروبا لتصدير واستيراد مختلف السلع وتحكمت الروابط العائلية اليهودية في تسهيل كل المجرىات العملية.

دأب ممثلو هذه الشبكة محليا على إستيقاء المعلومات من مصادرهم الموزعين في عدة نقط كالأسواق المعروفة بالمنطقة والتي تحقق رواجاً تجارياً مهماً، هذا من جهة أما من جهة أخرى معرفة النقص الذي يتخلل نوعية المواد التموينية الأساسية كالسكر، الشاي، الأقمشة الشموع، التي تستهلك محليا وتلقى إقبالا كبيرا.... ثم المواد الموجهة نحو التصدير كالجلود الزيت، التمر، اللوز، الفواكه التي يتكلف التجار اليهود المندمجين في شبكة الوساطة باقتنائها بكميات وفيرة وتخزينها لحملها إلى الموانئ في أفق توجيهها نحو دول أوروبا.

ويحدث أن تتقطع الصلة بين حلقات الشبكة اليهودية فيختل التوازن الاقتصادي الذي تقوم على أساسه الوساطة المذكورة كما حصل عند مقتل التاجر اليهودي يعقوب الدهان بنيفة على إثر معاقبته بالجلد من طرف عامل المنطقة لأسباب اقتصادية، وما أعقب ذلك من أزمة سياسية بعد احتجاج التمثيلات القنصلية الأجنبية بطنجة لدى وزير الخارجية المغربي محمد بركاش والتي طالبت بمعاينة الطالعين في هذه الحادثة بإيعاز من المنظمات اليهودية لتشابك المصالح الاقتصادية الرأسمالية<sup>1</sup>

هذه الأخيرة التي ضخمت من هذا الحدث ووظيفته سياسيا من أجل التدخل المباشر في الشؤون الداخلية للبلاد وفرض أمر جديد على السلطات المغربية وهو تمتع الطائفة اليهودية بالامتيازات.

<sup>1</sup> وثائق مخزنية أعداد 1288-1292-1293-138 متضمنة بالصفحات 44-59 بمجلة الوثائق التي تصدرها مديرية الوثائق



ومن التدايعات التي تناسلت بعد هذه الواقعة الاستياء الذي عبره ممثلو فرنسا وإنجلترا لدى السلطات الدبلوماسية المغربية من سوء معاملة اليهود والإمعان في اضطهادهم و الدعوة التي تبني الحزم و الشدة مع المرتكبين لمثل هذه الأفعال.<sup>1</sup>

لقد تضافرت عدة عوامل في نجاح الوساطة التجارية اليهودية منها مهاراتهم في خلق شبكات محكمة التنظيم ، واكتساب تجربة في إدارة كل التفاصيل من مرحلة اقتناء البضائع المطلوبة إلى غاية تسويقها خارج البلاد وساعدت الروابط العائلية في تذليل الصعاب التي هي من طبيعة المعاملات التجارية، فالوساطة التجارية التي ميزت اليهود كانت تخدم مصالحهم الاقتصادية ويجنون من ورائها أرباحا طائلة لاحتكارهم لها مماثل اقتصادا مصغرا داخل اقتصاد الدولة المغربية، هذه الأخيرة كانت عاجزة عن تصحيح الأوضاع السائدة، لأنها مقيدة بالاتفاقيات الدولية، لكن المصالح الاقتصادية متداخلة مع الرأسمالية العالمية.

## 6 - مظاهر الحياة الدينية والثقافية لليهود المغاربة

تشكل الثقافة اليهودية جزء من الثقافة المغربية العامة، وهي التي تؤشر على أصالة العنصر اليهودي المغربي. وهناك مؤشرات كثيرة تدل على هذا الأمر لعل أبرزها ما عرفه المخطوط العبري في المغرب من ازدهار ورواج، وظل أعلام اليهود يكتبون ويؤلفون بشكل يبني درجة اندماجهم في المجتمع المغربي وفي الثقافة المرية ، ثم ماكانوا يتمتعون به من ساحات تسامح مجتمعي مهم، مما أهلهم للعب أدوار مهمة ولضمان حضور ثقافي متميز في المغرب.

ونورد هنا أن نذكر سعيهم إلى تعلم اللغة العربية ، والإبداع فيهما، نحوا وصرفا ومعجما وبلاغة وبيانا وقضايا نظرية ، وقد بلغ الاهتمام مداه في الأندلس مع علماء لغة يهود أندلسيين، ومن المؤكد أن الخصومات اللغوية العبرية في الأندلس كانت هي أسباب نهضة فكر اليهود بصفة عامة؛ ذلك أن رؤساء المذاهب اللغوية العبرية في خصوماتهم احتتموا برجال السياسة و السلطة من اليهود فاستغل هؤلاء الفرقة وشجعوا أولئك وغيرهم من أعلام اليهود الذين تشرّبوا الثقافة العربية الإسلامية ليفتحوا أبوابا جديدة لم يكن للفكر العبري علم بها فصنعوا ما عرف فيما بعد بعصر الفكر اليهودي الذهبي تقليدا وتأليفا وترجمة<sup>2</sup>.

وفي المجال الديني، فإن أصول التسامح تجاه اليهود تنبع من الاستناد إلى المفهوم الديني الإسلامي "أهل الذمة" الذي أعطى لمعتقي الأديان السماوية الأخرى غير الإسلام مساحة للعيش في كل المجتمعات المسلمة، وهو ما وفر لليهود إمكانية الاندماج في المجتمع المغربي " <sup>3</sup>

فالدستور المغربي لسنة 2011 يعترف بالرافد اليهودي دليل على العيش المشترك والتعدد الديني فلم يغيب العنصر اليهودي عن مختلف المناطق المغربية، ولم يسجل التاريخ عدم وجودهم بل انتشروا في القرى والمدن، وعاشوا حياة مستقرة " فالتعايش بينهم كان يتحقق في الحياة اليومية وفي المخيال الاجتماعي وفي الثقافة الشعبية....وفي فضاءات الالتقاء هذه تنهار الحدود الدينية والوطنية، ويظل اليهودي المغربي بصفته جزءا لا يتجزأ من المحيط الاجتماعي والثقافي واللغوي للغرب الإسلامي و العالم الأندلسي المغاربي"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> وثائق مخزنية اعداد 1366 - 1375 متضمنة بالصفحات 287-313 نفس المجلة

<sup>2</sup> التراث العبري اليهودي مرجع سابق. ص 47 .

<sup>3</sup> شورتر دانيل ، مرجع سابق، ص 35

<sup>4</sup> حاييم الزعفراني، مرجع سابق ص 288

لقد وجد اليهود المغاربة في الحضارة الإسلامية، أنفسهم فجدوا واجتهدوا وأبدعوا ونافسوا، فحرصوا على أداء تعاليمهم وتقاليدهم والاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم الدينية ومراسمهم الجنائزية مستفيدين في ذلك من التسامح الذي طبع وجودهم في المغرب، ونجد في مختلف أنحاء البلاد عددا مهما من المزارات والأضرحة التي تخصهم أو تجاور مزارات وأضرحة المسلمين، بل هناك مزارات وأضرحة مشتركة بين المسلمين واليهود، واستمرار وجود هذه الأمكنة الدينية إلى اليوم وكثافة كبيرة تدل على استمرار التسامح تجاه اليهود المغاربة، وتجدر الإشارة إلى أن مختلف هذه المزارات تعتبر محجا للطوائف اليهودية من مختلف بقاع العالم تحل بها في أوقات معينة من السنة، وتخصص لها احتفالات وطقوس تؤدي بعيدا عن كل تشنج أو مشاكل

## 7- خاتمة

يعتبر الخطاب الديني ذا أهمية في تشكيل البنية الذهنية للمجتمعات الإنسانية، ووسيلة للتعايش السلمي والرقي الحضاري بين الشعوب، ضرورة أساسية في حياة الفرد والمجتمع، وشرط مؤكد للتعاون الإيجابي بين الشعوب، فالعلاقات الدولية تقوم على أساس التفاهم والتعايش والاحترام المتبادل.

تجديد الخطاب بين الحضارات هو تعبير عن أبرز قيم الحضارة فحوار الحضارات والأديان مهمة إنسانية ومطلب واقعي بما يتضمنه الاعتراف بالآخر، والإشكال الذي تواجهه الإنسانية اليوم لا يتجلى في اختلاف الحضارات والثقافات، وإنما في مسألة تدبير الاختلاف والتنوع، بعيدا عن التعصب والتطرف والهيمنة، فالتحالف بين الحضارات له مفهوم واحد هو إصلاح العالم، فما من أمة من الأمم إلا ولها روابط تاريخية، ثقافية، حضارية، وهذا ما عبر عنه اليهود المغاربة داخل بلاد المغرب.

لقد عاشت الطائفة اليهودية في كنف المغرب وحافظت على منظومتها الثقافية وخصوصيتها الدينية وساهمت من موقعها في تنشيط الاقتصاد المحلي بممارسة الحرف اليدوية وكذا التجارة وانخرط بعض تجار المدن في شبكة التجارة الرأسمالية العالمية كوسطاء انطلاقا من نواة الملاح ومع خضوع المغرب للاحتلال الفرنسي وتطبيق بنود الحماية طرأت عدة تحولات بنيوية سواء في تبدل نمط عيش اليهود أو في جغرافية استقرارهم بالمجال.

فعلاقة المسلمين بغيرهم يجب أن تبنى على التعاون والعدل " لا يعني التعايش مجرد التجاوز والتخلي عن الخصومات والتفريق في الحقوق الوطنية وإنما نكون أطرافا مختلفين ومع ذلك نستطيع أن نعيش تحت سقف عالمي واحد بسلام بل بتعاون وتبادل العيش من أنشطة متنوعة تبادلا إيجابيا وبناء عادلا وهذا ما دعا إليه الإسلام في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "1 فالحضارة الإسلامية شاملة لجميع الأجناس سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين تخاطب العقل كأسلوب معرفي للتفاهم والتحاور والتعايش، وبذلك ينفرد القرآن الكريم برؤيته السمحة التي شملت كافة الأجناس للبحث عن المشترك الإنساني .

### لائحة المصادر والمراجع

- ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، الطبعة 2 ، الدار البيضاء 1984.
- بشير عبد الرحمن، اليهود في المغرب العربي، عبد الرحمن بشير الطبعة 1 سنة 2001 الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
- جمال الدين محمد محمود ، الإسلام و المشكلات السياسية المعاصرة، دار الكاتب المصري واللبناني ( القاهرة ، بيرت، 1992).
- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب تاريخ ثقافة ، دين (ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم)، الطبعة الأولى 1987 الدار البيضاء.
- دانييل ليفي شروتر يهودي السلطان ، تعريب خالد بن الصغير ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط أكادال ، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، الرباط، 2011.
- شمعون ليفي، محاولات في التاريخ و الحضارة اليهودية المغربية ، ط 1، الرباط.
- صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، 1850\_190 عالم المعرفة العدد 197.
- وثائق مخزنية أعداد 1288-1292-1293-138 بمجلة الوثائق التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية عدد 11 المطبعة الملكية، الرباط ،
- يهود المغاربة من منبث الأصول إلى رياح الفرقة، دار رقرق للطباعة والنشر الرباط الطبعة 1، 2009،
- ,histoire des juifs en Afrique du nord hachette, nouvelle édition André chouraqui - France, 1987,
- Daniel rivets, Lyautey et l'instruction du protectorat français au Maroc (1912\_1925) tome 2 édition l'harmattan, 1988
- Mohmed kenbib juf et musulmans au Maroc 1859-1948, université Mohamed 5 - édition faculté lettre et sciences humains rabat, thèses et mémoires n 21 njaha et Jadida 1994 .
- haim zafrani ,mille ans de vie juive au Maroc ,Maisonneuve et lacrose paris,1983 -
- j.l.miege,le Maroc et l'Europe (1822-1906),tome 2 ,édition la porte



الجامعة الإسلامية - غزة  
كلية الشريعة والقانون

## الخطابُ الدينيُّ في العلاقاتِ السياسيَّةِ بينَ الثَّوابِتِ والمُتغيِّراتِ في ضوئِ السنَّةِ النَّبويَّةِ

إعداد

د. رائد بن طلال بن عبد القادر شعت

أستاذ الحديث المشارك بالجامعة الإسلامية - غزة

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## ملخص البحث

يُعدُّ هذا البحث من الموضوعات المعاصرة والهامة؛ لأنه يُظهر شمولية السنة النبوية لكل نواحي الحياة، ويُظهر دورها في محاكاة الواقع المعاش، ومواكبة المستجدات والأحداث. وذلك من خلال دراسة بعض النماذج الهامة في حياة النبي ﷺ، والاستفادة منها في الواقع، فيما يتعلق بالجانب السياسي، من حيث العلاقات بين المسلمين أنفسهم، والمسلمين وغيرهم. وقد تبين أن أبواب السياسة الشرعية ومسائلها، من المتغيرات في أكثر الأحيان، وليست من الثابتة؛ فالضابط في الأمر المصلحة المترتبة، والأثر المتعلق، بهذا الفعل أو ذلك؛ فقد أبرزت لنا السنة النبوية، أن السياسة تكتنفها المرونة والليونة في بعض المواقف، كما برزت الصلابة والقوة في مواقف أخرى، مما يؤكد أنه لا تتعارض جدّة الشريعة ومعاصرئها مع ثوابتها وأصالتها. وقد جعلته بعنوان: "الخطاب الديني في العلاقات السياسية بين الثوابت والمتغيرات في ضوء السنة النبوية".

## Abstract

This research consider a contemporary and important subject, because It shows that the Prophetic Sunnah is comprehensive in all aspects of life, and it shows its role in simulating the reality and keeping abreast of developments and events.

And this by studying some important models in the life of the Prophet Muhammad – peace and blessing be upon him –, and indeed taking advantage of them in reality, in terms of the political aspect, in terms of relations among Muslims themselves and Muslims with others.

It has been shown that the doors of the legitimate policy and its issues are more often than not constants; the officer in the matter of interest is the result, and the effect is related to this or that act. The Sunnah has shown us that politics is flexible and flexible in some situations, And strength in other positions; which confirms that the novelty of the law and the contemporary conflict with the fundamentals and originality.

It has been shown that the doors of the legitimate policy and its issues are variables and not constants most time, what governs this matter Interest, and the impact of this or that act; so the Prophetic Sunnah has shown us that politics is flexible in some situations, and power has emerged in other positions, which confirms that it does not contradict the novelty of the law and its contemporary with its fundamentals and originality.

It has made him entitled: "Religious discourse in political relations between constants and variables in the light of the Sunnah".

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على خير الأنام، أما بعد:

فقد جاءت السنة النبوية عوناً للقرآن الكريم في إدارة أمور الحياة الكريمة، التي يصبو إليها الأحرار، في كل زمان ومكان، فلم يأت النبي ﷺ لينادي بصلاح العقيدة والعبادة فحسب، أو ينادي بتحقيق السعادة في الآخرة دون الأولى، وإنما جاء بمنهج إسلامي شامل ومتكامل لجميع جوانب الحياة. فما تركت السنة النبوية المطهرة شيئاً إلا وبينته بياناً كاملاً، في جميع مجالات الحياة -الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية- وهذا يدل دلالة واضحة على شمولية هذا الدين، وشمولية السنة النبوية.

ولمّا كانت الحياة على ظهر الأرض، لا تستقيم إلا بتنظيم العلاقة السياسية بين المسلمين أنفسهم من جانب، وبين المسلمين وغيرهم، ولما كانت فكرة المؤتمر تقوم على تجديد الخطاب الديني ومرونته، بحسب الحاجة ومتطلبات العصر، فيما لا يتعارض وثوابت العقيدة، وبما أن الشريعة الإسلامية تواكب المستجدات والأحداث، ولا تقف جامدة أمامها؛ وقع اختياري للمشاركة في هذا المؤتمر، من خلال مفردات العنصر الرابع، وهو الخطاب الديني وتقييم السلوك السياسي، ضمن المحور الثالث: الخطاب الديني وقضايا العصر. وقد سميته بعنوان: "الخطاب الديني في العلاقات السياسية بين الثوابت والمتغيرات في ضوء السنة النبوية".

### أهمية الدراسة وبواعثها:

أولاً: إن نصوص السنة النبوية تُحاكي الواقع المعاش في جميع أحواله، وتقدم الحلول العملية لمشكلاته ومستجداته، وترسم الطريق نحو مستقبلٍ زاهرٍ، وموضوعنا هذا من جملة ما تُحاكيه السنة النبوية. ثانياً: حاجتنا في هذه الأيام إلى استقراء نصوص الكتاب والسنة، واستنباط الفوائد والمعاني منهما، وتوظيف ذلك بما يتناسب مع احتياجات العصر ومتطلباته.

ثالثاً: بيان عظم الشريعة وحكمتها، حيث تجمع بين دفتيها ثوابت ومتغيرات، ضابطها تحقيق المصلحة للعباد، ودرء المفسدة عنهم.

رابعاً: توعية المسلمين من خلال نشر الثقافة الإسلامية والفكرية بينهم، خاصةً جيل الشباب منهم، وبالمقابل تحذيرهم من الاغترار بالأفكار الجامدة والشاذة والمتطرفة.

### منهج الباحث:

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الخطوات الآتية: أولاً: انتقاء نماذج هامة، من خلال مواقف عدة من السنة النبوية وكذا السيرة النبوية، ودراستها دراسة حديثة موضوعية، بما يخدم فكرة الموضوع، ويلبي نتائجه المرجوة. ثانياً: تخريج الأحاديث والحكم عليها بما يناسب حالها، مع الاختصار؛ حتى لا تتضخم الهوامش في غير فائدة.

ثالثاً: التعليق على الأحاديث بما يناسب المقام، مع الاستعانة على ذلك بالرجوع إلى شراح الحديث، وبيان العلاقة بين النص والواقع المعاش ما أمكن.

مشكلة الدراسة ومحدداتها وتساؤلاتها:

تكمن مشكلة الدراسة في المسائل السياسية القابلة للمرونة والتغيير، بحسب متطلبات العصر واحتياجاته، ولن تكون شاملة لجوانب السياسة ومسائلها، ويمكن صياغة مشكلة البحث بالأسئلة الآتية:

\_ هل الأحاديث الواردة في محل الدراسة وثناياها تفي بالغرض المطلوب من فكرة المؤتمر؟  
\_ هل يتعارض مفهوم تجديد الخطاب الديني، مع جِدَّة الأحاديث النبوية ومحاسنها لكل الأحوال؟  
\_ ما مدى التلائم بين منطوق الأحاديث ومفهومها؟  
\_ ما المآخذ التي أخذت على أصحاب العقول والأفهام القاصرة في هذا الباب؟  
\_ ما الطريقة المثلى في التعامل مع نصوص الشريعة، وخاصة الأحاديث النبوية؟

**الدراسات السابقة:**

رغم أن هذا الموضوع له علاقة بالجانب السياسي الإسلامي، وقد كثرت الكتابات والدراسات فيه، إلا أنه لم يُتناول من قبلُ بهذه الكيفية، من حيث بيان الثوابت والمتغيرات في العلاقات السياسية بين الراعي والرعية في ظل الدولة الإسلامية، وبين الدولة الإسلامية وغير المسلمين.

**محتوى البحث:** تشتمل الدراسة على مبحثين رئيسين:

**المبحث الأول:** العلاقات الداخلية بين المسلمين. وذلك من خلال بيان: طرق تولي الحاكم، وتعدد صور البيعة له، والشروط الواجب توافرها فيه، وواجباته نحو الرعية، وحقوقه عليهم.

**المبحث الثاني:** العلاقات بين المسلمين وغيرهم. وذلك من خلال بيان: الحوار والمفاوضات معهم، وكذا التهذئة والصلح، وكيفية التعامل مع من ينقض العهد، وحكم الاستعانة بهم، ومعاملة أسراهم.

### **المبحث الأول: العلاقات الداخلية بين المسلمين**

حرصت الشريعة على تنظيم العلاقات الداخلية بين المسلمين أنفسهم، من حيث العلاقة بين الراعي والرعية، ومن حيث العلاقة بين الرعية أنفسهم، إذ لا يُعقل أن تستقيم الحياة دون ضوابط ومعالم وحدود، تنظم العلاقة، وترسم الطريق. وفيما يلي دراسة بعض المسائل السياسية كمنادج:

#### **المطلب الأول: طرق تولي الحاكم**

إذا نظرنا إلى الأنظمة السياسية المعاصرة فيما يتعلق بكيفية اختيار رئيس الدولة في عصرنا، نجد أنها اتبعت طرقاً، وهي: (إما أن يتم انتخابه بطريقة الإقتراع العام المباشر، وإما أن يتم انتخابه عن طريق البرلمان، وإما أن ينتخب عن طريق جمعية، وإما أن ينضم هؤلاء المندوبون إلى أعضاء الجمعية التشريعية وينتخبون جميعاً رئيساً الجمهوري<sup>(1)</sup>). أما الإسلام فإنه لم يعتمد طريقة معينة لاختيار الحاكم ويلزم الأمة بها، ويُجرم عليها أن تمارس غيرها، فقد تصلح طريقة لزمانٍ معينٍ وأخرى لزمانٍ آخر، فما كان بالأمس قد لا يتناسب مع طبيعة اليوم، وما يناسب اليوم قد لا يصلح غداً<sup>(2)</sup>. ومن خلال النظر والتأمل في الأحاديث التي تشير إلى هذه القضية، ندرك أن تولية الحاكم لها طرق عدة، هي:

**أولاً: طريقة العهد والاستخلاف:** وهي أن يعهد الإمام بالإمامة إلى رجل يختاره؛ ليكون خليفته من بعده، وهذه الطريقة أجمع العلماء على جوازها<sup>(3)</sup>. أخرج البخاريُّ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لِعُمَرَ:

(1) رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي، د. محمد رأفت عثمان، ص 231.

(2) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، د. أبو فارس، ص 228.

(3) ينظر: الأحكام السلطانية، ص 10، وشرح صحيح مسلم 205/15، ومقدمة ابن خلدون ص 206، 210.

ألا سَتَخْلِفُ؟ قال: إن أَسْتَخْلِفُ فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي أَبُو بَكْرٍ ﷺ، وإن أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتْتُوا عَلَيْهِ، فقال: رَاغِبٌ رَاهِبٌ<sup>(1)</sup>. وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا<sup>(2)</sup>.

فيه جواز الاستخلاف من قبل الإمام لمن يأتي بعده، واختيار عمر ﷺ لصنيع رسول الله ﷺ لا يعني عدم مشروعية صنيع أبي بكر ﷺ، وإنما هو من باب بيان الأفضل عنده، ولو كان ذلك غير مشروع لَمَا فعله أبو بكر ﷺ وَلَمَا قَبِلَهُ عمر ﷺ<sup>(3)</sup>. قال العيني: "وفيه دليل على أن الخلافة تحصل بنص الإمام السابق"<sup>(4)</sup>.

**ثانياً: طريقة اختيار أهل الحل والعقد:** إن الأمة هي صاحبة الحق في اختيار من يتولى الإمامة العظمى فيها، وذلك عن طريق اختيار أهل الحل والعقد، وهم أهل الرأي والشورى وأهل الصلاح والتقوى، فهم أخبر من غيرهم وأعلم بمن يصلح لهذه المسؤولية. وهذه الطريقة تتفق تماماً مع مبادئ الإسلام وروحه، وما قرره للأمة من حق الشورى، وعليها من وجوب البيعة، بل إنها الطريقة المثلى التي تناسب كل العصور<sup>(5)</sup>. أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ قال: ... وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا فِيهَا حَضْرَتًا مِنْ أَمْرٍ أَقْوَى مِنْ مَبَايَعَةِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، حَشِينَا إِنْ فَارَقْنَا الْقَوْمَ وَلَمْ تَكُنْ بَيْعَةً، أَنْ يُبَايَعُوا رَجُلًا آخَرَ مِنْهُمْ بَعْدَنَا، فَإِمَّا بَايَعْنَاهُمْ عَلَى مَا لَا نَرْضَى، وَإِمَّا نُخَالِفُهُمْ فَيَكُونُ فِسَادًا، فَمَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَلَى غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا يُتَابَعُ هُوَ وَلَا الَّذِي بَايَعَهُ تَعَرَّةً<sup>(6)</sup> أَنْ يُقْتَلَ<sup>(7)</sup>.

فيه مشروعية مشاورة أهل الحل والعقد وجماهير المسلمين فيمن يتولى إمامة المسلمين. وفيه إنكار من عمر ﷺ على من أراد أن يبائع شخصاً على غير مشورة من المسلمين<sup>(8)</sup>. وفيه دلالة على الإجماع من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، بأن الاختيار من قبل أهل الحل والعقد هو الطريق المشروع في ذلك، بل إن هذا الإجماع يعد من أقوى الإجماعات، فقد تم اختيار أبي بكر ﷺ من قبل الصحابة أولاً، وهم أهل الحل والعقد، ثم من قبل المسلمين عامة<sup>(9)</sup>.

(1) أي: راغب في التثاء، راهب من إظهار ما بنفسه من الكراهة. أو راغب في الخلافة راهب منها. أو راغب فيما عند الله راهب من عذابه، ولا أعول على نياتكم. ينظر: عمدة القاري 463/16.

(2) صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب الاستخلاف 409/3 ح7218. وأخرجه مسلم في صحيحه 1454/3 ح1823.

(3) شرح السنة 81/10\_82.

(4) عمدة القاري 463/16.

(5) ينظر: الأحكام السلطانية ص6.

(6) أي: حذراً من القتل، وهو مصدر من أغررته تعرييراً أو تغرة، والمعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وصاحبه وعرضهما للقتل. ينظر: فتح الباري 155/12.

(7) صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت 315/3 ح6830.

(8) ينظر: فتح الباري 160/12.

(9) ينظر: نظام الحكم في الإسلام، ص92.



ثالثاً: طريقة الإستيلاء بالقهر والغلبة: وهي تُشبه ما يُعرف اليوم بالانقلاب العسكري ونحوه، دون مشورة من المسلمين أو بيعة. أخرج البخاريُّ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مِنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"<sup>(1)</sup>.

فيه مشروعية انعقاد إمامة المتغلب الذي وصل إليها بطريق غير مشروع، وكره الناس إمامته، فإنهم مطالبون بالصبر على ذلك، ولا يخرجون عن طاعته وإن جار. وهذه الطريقة وإن كانت النفس تأبأها وتنفّر منها؛ لأنها انقلاب على إرادة الأمة، إلا أن السواد الأعظم من العلماء أقرّ ثبوتها، واعتبر أن الإمام المتغلب بسيفه صار إماماً تجب طاعته؛ لما في ذلك من حقن للدماء وتسكين للدهماء، إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا يجوز مبايعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها<sup>(2)</sup>. وقد نقل ابن حجر العسقلاني إجماع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه<sup>(3)</sup>. بيد أن هذا الإجماع الذي ذكره فيه نظر؛ لأنه ثبت ما يناقضه، وهو أن كثيراً من العلماء المعتبرين أنكروا إمامة المتغلب، وأوجبوا إزالته والخروج عليه، منهم: أبو حنيفة ومالك والباقلاني والقلقشندي وابن حجر الهيتمي وغيرهم<sup>(4)</sup>. وقال د. الزحيلي معقّباً على هذا الحديث: "يتبين لنا أن القهر والغلبة حالة استثنائية غير أصلية لا تتفق مع الأصل؛ لكون السلطة قائمة بالاختيار والمشورة، وإقرارها فيه مراعاة لحال واقعة للضرورة ومنعاً من سفك الدماء"<sup>(5)</sup>.

مما سبق يتبين لنا، أن تولية الحاكم لرئاسة الدولة الإسلامية واجبة على كلّ حال، وهذا الحكم ثابت لا يتغير، وأن لها صوراً متنوعة ومتعددة، مشروعة وجائزة، إلا ما كان من طريقة الغلبة والقهر، فهي طريقة منبوذة، وإن قبلنا بها درءاً للمفسدة أحياناً، فيلزمنا عدم قبولها أحياناً كثيرة، بل ومنابتها؛ درءاً للمفسدة.

ومن حكمة الإسلام أنه لم يلتزم طريقة أو صورة محددة يلزم أتباعه العمل بها، وترك ما سواها، بل جعل الأمر فيه مرونة تتناسب كل زمان ومكان؛ بحسب المصلحة، وهذا إن دلّ فإنما يدل على عظمة هذا الإسلام الذي يواكب العصور والقرون، دون أن يقف جامداً أمام الحوادث والمستجدات.

ومن هنا يتبين لنا مشروعية الانتخابات المعاصرة، فهي إحدى الطرق التي من خلالها يتم تولية الحاكم وولي الأمر، وإذا كانت المصلحة أحياناً تقتضي قبول الحاكم عن طريق القهر والغلبة، فمن باب أولى قبول طريقة الانتخابات، وما تُقرّزه من نتائج.

### المطلب الثاني: كيفية البيعة وصورها

تعد البيعة عقد التزام بين الرعية بالسمع والطاعة والولاء للحاكم، مقابل التزامه بالواجبات، وقد تنوعت صورها وكيفيةها:

أولاً: البيعة باليد وبسطها: فالمتتبع للنصوص الكريمة من القرآن والسنة النبوية يجد أن البيعة غالباً ما كانت تقع مصافحة باليد، وذلك في مواطن كثيرة، منها: بيعة العقبة الأولى، وبيعة العقبة الثانية، وبيعة الرضوان التي تمت تحت الشجرة يوم الحديبية، وهذه البيعة خاصة بالرجال دون النساء. قال تعالى عن بيعة الرضوان واصفاً

(1) صحيح البخاري-كتاب الفتن-باب قول النبي ﷺ: "سترون بعدي أموراً تتكرونها" 3/374 ح7053. وأخرجه مسلم في صحيحه 3/1477 ح1849.

(2) ينظر: الأحكام السلطانية ص4، وروضة الطالبين 46/10، وشرح صحيح مسلم 439/6، وفتح الباري 9/13، وعمدة القاري 16/329.

(3) فتح الباري 13/17.

(4) ينظر: مآثر الأناقة في معالم الخلافة للقلقشندي 59/1، وتفسير الكشاف 39/1، والبداية والنهاية 84/10.

(5) الفقه الإسلامي وأدلته 682/6.

مبايعة النبي ﷺ لأصحابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: 10). فهذه الآية القرآنية الكريمة تبين لنا أن البيعة بين رسول الله ﷺ وبين الصحابة الكرام كانت مصافحة باليد، لهذا قال: "فوق أيديهم".

أخرج النسائي من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُبَايِعُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُبَايِعَكَ وَاشْتَرِطْ عَلَيَّ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ؛ قَالَ: "أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ" (1).

فيه أن البيعة إنما تتم بين الإمام والرجل من الرعية بالمصافحة باليد وبسطها، وقد جاء التأكيد على هذه القضية في جميع روايات الحديث مع اختلاف ألفاظها، فتارة يقول الصحابي: ابسط يدك، وأخرى ابسط يمينك، وثالثة أمدد يدك، ونحو ذلك من العبارات التي تؤكد أهمية البيعة باليد وبسطها.

ثانياً: **البيعة بالكلام والإشارة**: الأصل في البيعة أن تكون مصافحة باليد، ولكن يُستثنى من ذلك بيعة النساء، فإنها تكون بالكلام أو بالإشارة أو بهما معاً. أخرج البخاري من طريق عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها رَوَى النَّبِيُّ ﷺ، أَخْبَرْتُهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، يَقُولُ اللَّهُ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ﴾ إلى قوله ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾. قال عروة: قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا الشَّرْطِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "قَدْ بَايَعْتِكَ كَلَامًا"، وَلَا وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدَهُ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ فِي الْمُبَايَعَةِ. مَا يُبَايِعُهُنَّ إِلَّا بِقَوْلِهِ: "قَدْ بَايَعْتِكَ عَلَى ذَلِكَ" (2).

أفاد الحديث تحريم مصافحة المرأة في البيعة وغيرها. ثم إن هذا الحديث فيه ردٌّ على من احتجَّ بحديث أم عطية رضي الله عنها: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَدَّ يَدَهُ مِنْ خَارِجِ النَّبِيِّ، وَمَدَدْنَا أَيْدِينَا مِنْ دَاخِلِ النَّبِيِّ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ" (3). على فرض صحته، فإنه وإن كان يُشعر بجواز مبايعة النساء باليد في الظاهر، إلا أنه أُجيب عنه بأن مد الأيدي من وراء حجاب إشارة إلى وقوع المبايعة، ولا يستلزم منه وقوع المصافحة، ولهذا جاء التأكيد على هذه القضية باستخدام أسلوب القسم: "لا والله ما مست يده" (4).

ثالثاً: **البيعة على المنبر**: وتُسمى بيعة العامة؛ لأن الإمام بعد أن يبایعه أهل الحل والعقد، يبایعه جماهير المسلمين وعامتهم، فيصعد على المنبر ليراه الجميع، ومن ثمَّ تتم البيعة بينه وبينهم. أخرج البخاري من حديث أنس قال: سَمِعْتُ خُطْبَةَ عُمَرَ الْآخِرَةَ حِينَ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَذَلِكَ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ تُوْفِي النَّبِيَّ ﷺ فَتَشَهَّدَ، وَأَبُو بَكْرٍ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، قَالَ: كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَعِيشَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَدْبُرْنَا، يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَحْرَهُمْ. فَإِنْ يَكُ مُحَمَّدٌ ﷺ قَدْ مَاتَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نُورًا تَهْتَدُونَ بِهِ، هَدَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَانِي اثْنَيْنِ فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ فَهَوُمُوا فَبَايَعُوهُ، وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ قَدْ بَايَعُوهُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي

(1) سنن النسائي-كتاب البيعة-باب البيعة على فراق المشرك 4/77ح4188. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير 2/317ح2318، والبيهقي في سننه الكبرى 9/13ح17529. والحديث إسناده صحيح: وقد صحَّحه الألباني في صحيح سنن النسائي 3/126ح4188.

(2) صحيح البخاري-كتاب تفسير القرآن-باب إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات 2/510ح4891.

(3) أخرجه البزار في مسنده 1/374ح252، وابن حبان في صحيحه 7/314ح3041.

(4) ينظر: عمدة القاري 13/396، وفتح الباري 8/505.

ساعده، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعتُ عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه الناس عامة<sup>(1)</sup>.

قال ابن حجر: "قوله: فقوموا فبايعوه..، فيه إشارة إلى بيان السبب في هذه البيعة، وأنه لأجل من لم يحضر في سقيفة بني ساعدة"<sup>(2)</sup>. فالبيعة الثانية إداً هي بيعة العامة، وهي أعم وأشهر من المبايعة الأولى التي وقعت في سقيفة بني ساعدة<sup>(3)</sup>.

**رابعاً: البيعة بالكتابة والمراسلة:** تعد البيعة بالكتابة والمراسلة استثنائية؛ لأن الأصل في البيعة أن تكون مصافحة باليد، وإنما تجوز هذه البيعة من باب اليسر والرخصة، خاصة لمن بعدت به الديار عن عاصمة الخلافة وموطن الخليفة، أو لصاحب عذر من مرض أو سفر ونحوهما. أما عن كيفية هذه البيعة، فيقوم المسلم بإرسال كتاب إلى الخليفة يعلن له فيه بالسمع والطاعة. أخرج البخاري من طريق عبد الله بن دينار قال: لما بايع الناس عبد الملك كتب إليه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، إلى عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين، إني أقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على سنة الله ورسوله، فيما استطعت، وإن بقيت فذ أقرؤا بذلك<sup>(4)</sup>.

مما سبق يتبين لنا، أن طريقة مبايعة الإمام وتوليته لرئاسة الدولة الإسلامية، قد تقع كلاماً مصحوباً بالمصافحة، وقد تقع مشافهة دون مصافحة، وقد تكون بالإشارة باليد دون كلام أو مصحوبة به، وقد تكون البيعة بأن يصعد الإمام على المنبر والناس مجتمعون حوله فبايعونه، وهذه تسمى بيعة العامة، وقد تكون البيعة كتابة ومراسلة؛ مما يدل على حكمة الشريعة ومرونتها بما يتناسب مع كل حالة، بيد أن الثابت الذي لا يتغير لزوم إعطاء البيعة للحاكم، برهاناً على السمع والطاعة والولاء، والانتماء لنظام الدولة؛ لما في ذلك من ترسيخ حالة الاستقرار، وهذا هو الغرض الرئيس من وراء البيعة، بغض النظر عن طريقة البيعة.

### المطلب الثالث: شروط الحاكم

يُشترط أن تتوفر في الحاكم مواصفات تؤهله للقيام برئاسة الدولة، المتمثلة برعاية مصالح الناس والعمل على تحقيقها، ودرء المفاسد عنهم، وفيما يلي سأذكر نماذج من الشروط:

**أولاً: النسب القرشي:** والمراد: أن يكون الحاكم قرشياً، أي: ينتهي نسبه إلى فهر بن مالك، وقيل: النضر بن كنانة. وقد تباينت في هذا الشرط آراء العلماء؛ فذهب جمهور أهل السنة والشيعة وبعض المعتزلة، إلى وجوب هذا الشرط، وأنه ينبغي أن يكون الحاكم قرشياً، وإلا لم تتعد إمامته؛ لأن قرشياً كانت صاحبة العصبية الغالبة التي تستطيع أن تحقق الأمن والحماية والعدالة، وكانت لها الصدارة، وكلمتها نافذة بين القبائل العربية كلها، فمن المصلحة إناطة الأمر العام وسياسة الدنيا بها<sup>(5)</sup>. ودليلهم ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الناس تبع لقرش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم"<sup>(6)</sup>. ومن حديث معاوية رضي الله عنه

(1) صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب الاستخلاف 409/3ح7219.

(2) فتح الباري 222/13.

(3) ينظر: عمدة القاري 464/16.

(4) صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب كيف يبايع الإمام الناس 406/3ح7205.

(5) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص6، وأصول الدين للبغداد ص275، وفتح الباري 23/16.

(6) صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب قوله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم..." 175/2ح3495.

قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهَ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ"<sup>(1)</sup>. ففي الحديثين دليل على أن الحاكم لا بد أن يكون قرشي النسب. وفيهما دليل على استمرارية هذا الحكم طالما وجد في قريش من يستحقه، وأن القرشي أحق بالإمامة من غيره. وفيه تحذير لمن نازع قريشاً في هذا الأمر. وفيه تقييد أمر الخلافة في قريش بإقامتهم شريعة الله في الأرض، فإن لم يقيموا الدين خرج الأمر منهم<sup>(2)</sup>.  
 وذهب الخوارج وبعض المعتزلة وأبو بكر الباقلاني من الأشاعرة، إلى عدم وجوب اشتراط هذا الشرط، وأنه يجوز أن تكون الإمامة في غير قريش<sup>(3)</sup>. لكن الأفضل أن هذا الشرط يؤخذ به عند الترجيح بين مرشحين، قد استوفى كل واحد منهما الشروط المتفق عليها بين العلماء، فإنه يقدم في هذه الحالة من كان قرشياً على غيره<sup>(4)</sup>. وهذا الرأي هو الذي تميل إليه النفس؛ لأنه يجمع بين الرأيين السابقين؛ حيث يصعب في عصرنا هذا تمييز القرشي من غيره، كما أن هذا الشرط لا يتناسب مع واقع العصر اليوم، ويمكن الاستفادة منه وتوظيفه فيما يُعرف اليوم بالانتخابات، بأن يتولّى رئاسة الدولة من ينتمي للحزب السياسي الأكبر؛ لأن الحزب سيقف خلفه ويدعمه بقوة، وهذا هو الغرض من النسب القرشي. وهو الحاصل اليوم في أغلب دول العالم، خاصة الدول المتحضرة والمتقدمة التي تمارس الديمقراطية. فالأصل أن لا نقف جامدين عند ألفاظ الحديث وحرفيتها، بل لا بد من النظر في أعماقه ومدلولاته بما يُحقّق المصلحة المرجوة منه.

**ثانياً: الذكورية:** اشترط العلماء في الحاكم أن يكون ذكراً، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ {النساء: 34}. فالآية وإن نزلت بخصوص القوامة في الأسرة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فتبقى الحجة قائمة في الآية، فإذا كانت المرأة لا تقوى على إدارة شئون الأسرة، فكيف تقوى على إدارة شئون المسلمين<sup>(5)</sup>. وأخرج البخاري من حديث أبي بكره ﷺ قال: لَقَدْ نَفَعَنِي اللَّهُ بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ، بَعْدَمَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأَقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَكُوا عَلَيْهِمْ بَنَتْ كِسْرَى، قَالَ: "لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ امْرَأَةٌ"<sup>(6)</sup>.

لأن المرأة لا تتحمل عادةً المسؤولية المترتبة على هذه الولاية أو تلك، كما أن المرأة ناقصة العقل، قليلة الرأي، ليست أهلاً للحضور في محافل الرجال؛ لأن الوالي مأمور بالبروز للقيام بأمر الرعية؛ ولأنها ضعيفة الشخصية والإرادة؛ ولأن في ولايتها هلاكاً وفساداً للمجتمع، وسبباً في هزيمة قومها، وهو ما يُفهم منه وجوب اشتراط الذكورية في الحاكم، وهذا باتفاق علماء المسلمين، ولا خلاف فيه<sup>(7)</sup>.

بيد أن الواقع المعاش اليوم أثبت أن المرأة نجحت في كثير من الملفات التي تحمّلتها؛ وعليه يجوز للمرأة أن تلي الأعمال التي لا تتعارض مع طبيعتها وخصائصها، والتي تصلح لأدائها من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، طالما أن الفتنة قد أُنبت في حَقِّها، بل إن من الأعمال ما لا تصلح إلا بوجود امرأة تقوم بها وتلي أمرها، كالتجمعات

(1) صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب مناقب قريش ح3500.

(2) ينظر: عمدة القاري 51/11. فيض القدير 498/1.

(3) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني 116/1، وأصول الدين للبغدادي ص275، وإرشاد الساري 220/10.

(4) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص192-193، وسلطة الدولة في المنظور الشرعي، د. منصور الحفناوي ص263، والنظام السياسي في الإسلام، د. أبو فارس ص197، والفقهاء السياسي في الإسلام، د. محمود الديك ص98.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 168/5، وتفسير القرآن العظيم 491/1، وفي ظلال القرن 65/2-651، والإسلام

سعيد حوى ص380، والنظام السياسي في الإسلام د. أبو فارس ص183.

(6) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر 375/2 ح4425.

(7) ينظر: أحكام القرآن 1445/3، وشرح السنة 77/10، والمغني 92/10، ونيل الأوطار 168/9، وسبل الإسلام 123/4.

وفيض القدير 303/5.

النسائية لبعض الكليات والمدارس والمدن الجامعية للطالبات، وغيرها من دور العلاج والإصلاح. كما أن لها الحق في ممارسة العمل السياسي على قدر طاقتها وحسب طبيعتها، وهو أول حق تمتعت به المرأة في الإسلام، فقد كافحت المرأة المسلمة فهاجرت وجاهدت وبايعت وأنفقت من أموالها كل ذلك في سبيل الله.

**وخلاصة الأمر:** أن اشتراط القرشية والذكورية في الحاكم، من الشروط التي تتغير بتغير الأزمنة والأحوال؛ بحسب قاعدة تحقيق المصالح ودرء المفاسد. وبالمقابل هناك شروط ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأشخاص، منها:

**أولاً: الإسلام:** وهو شرط فيمن يتولى أمر المسلمين؛ لأن مهمته إقامة الدين، وتوجيه سياسة الدولة في حدوده، وهذا لا يمكن لغير المسلم أن يقوم به؛ إذ إن فاقده الشيء لا يعطيه؛ لهذا أوجب الله على المؤمنين طاعة أولي الأمر منهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: 59). فلفظة "منكم" تدل على أنه يجب على الأمة أن تتصّب إماماً منها حاكماً عليها، وهذا يقتضي وجوب الطاعة له بعد تنصيبه ما دام محتكماً بشرع الله ويحكم به<sup>(1)</sup>.

وأخرج أحمد من حديث أبي أيوب رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تَبْكُوا عَلَى الدِّينِ إِذَا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، وَلَكِنْ ابْكُوا عَلَيْهِ إِذَا وَلِيَهُ غَيْرُ أَهْلِهِ"<sup>(2)</sup>.

فيه أنه ينبغي على الحاكم أن يكون من أهل الإيمان والنُّقى، وفيه تحذير للمسلمين وتهديد بضياح الدين من حياتهم إذا تولى أمرهم حكام كفرة، وهذا فيه دلالة ضمنية على عدم صحة إمامة الكافر الذي لا ينتمي إلى هذا الدين، وهو ما عبر عنه بقوله: "إذا وليه غير أهله".

**ثانياً: العدالة:** اشتراط العلماء العدالة في الحاكم؛ لأنه يتولى أعلى منصب في الدولة، قال ابن خلدون: "وأما العدالة؛ فلأنه منصب ديني ينظر في سائر المناصب التي هي شرط فيها، فكان أولى باشتراطها فيه"<sup>(3)</sup>. ثم إن العدالة عند الفقهاء هي: التحلي بالفرائض والفضائل، والتخلي عن المعاصي والردائل وعن كل ما يُخلُّ بالمروءة، بحيث لا يصرُّ على الصغائر من الذنوب ولا يجاهر بها، وأن يكون صادق اللهجة، ظاهر الأمانة عفيفاً، بعيداً عن الريب وفوق الشبهات، بل يجب على الحاكم أن يحارب الفساد ويؤدب الفسقة، ويضرب بيد من حديد على كل من يحاول زرع الفتنة في المجتمع المسلم<sup>(4)</sup>.

وليس المقصود بالعدالة أن يكون معصوماً من الخطأ والزلل، خالياً من كل نقص، مبرأً من كل عيب، فالعصمة صفة لا يدركها إلا من اصطفاها الله تعالى واختارهم -وهم الأنبياء والرسل-، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للشيعا الإمامية، الذين يقولون بعصمة الإمام كعصمة النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(5)</sup>.

أخرج أحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ لَكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه: «أَعَادَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ»، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ، قَالَ: أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي لَا يَقْتَدُونَ بِهَيْبِي وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّوا عَلَى حَوْضِي...<sup>(6)</sup>.

- (1) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، د. أبو فارس ص39، والفقهاء الإسلامي وأدلته 6/693.
- (2) مسند أحمد 5/493-23648، وأخرجه الحاكم في مستدرکه 4/560-8571، والطبراني في المعجم الكبير 4/158-3999.
- (3) المقدمة ص212.
- (4) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص62، والإسلام لسعيد حوى ص381، والفقهاء الإسلامي وأدلته 6/694.
- (5) ينظر: عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر ص51-53، والنظام السياسي في الإسلام د. أبو فارس ص186، والفقهاء السياسي في الإسلام د. محمود الديك ص91.
- (6) مسند أحمد 3/393-14454، وأخرجه الحاكم في مستدرکه 1/152-265، وعبد بن حميد في مسنده 1/345-1138.

### ثالثاً: البلوغ:

يُعد البلوغ شرطاً من شروط التكليف، وبما أن منصب الحاكم أكثر التكاليف الشرعية مسئولية؛ فإن شرط البلوغ فيه أكد من غيره، قال ابن حزم: "إن جميع أهل القبلة، ليس منهم أحد يجيز إمامة صبي لم يبلغ"<sup>(1)</sup>، وقال الشوكاني: "لا يصح أن يكون الصبي قاضياً"<sup>(2)</sup>. قلت: فإذا كان يُشترط في القاضي أن يكون بالغاً، والقضاء ولاية صغرى، فهذا الشرط في الولاية العظمى أكد. ثم إن الصبي الصغير لا يملك الولاية على نفسه وماله، فيُحجر عليه في تصرفاته المالية، فكيف سيلبي أمور المسلمين ويتصرف فيها<sup>(3)</sup>.

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ عليه السلام يقول: "هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيِ غُلْمَةٍ"<sup>(4)</sup> مِنْ قُرَيْشٍ فقال مروان: غُلْمَةٌ؟ قال أبو هريرة: إِنْ شِئْتُ أَنْ أَسْمِيَهُمْ بَنِي فُلَانٍ وَبَنِي فُلَانٍ<sup>(5)</sup>. فيه أن البلوغ شرط هام في الحاكم، وأن هلاك الأمة وفسادها نتيجة حتمية، إذا تولى أمرها الغلطة.

### رابعاً: الكفاءة:

اشترط العلماء الكفاءة فيمن يتولى أمر المسلمين، ومن مستلزماتها: النجدة والشجاعة في إقامة الحدود واقتحام الحروب؛ لیسد الثغور ويجهز الجيوش؛ للدود عن حياض الأمة إذا هوجمت من قبل أعدائها، وأن يكون صاحب رأي سديد يُفرضي إلى سياسة الرعية، وتدبير أمورها بما يحقق لها المصالح ويدبر عنها المفاسد، وأن يكون صاحب حنكة سياسية ويقظة واعية بحيث لا تعتريه الغفلة، وأن يكون عالماً بأحوال الرجال وأخلاقهم وكفاءتهم؛ حتى يُؤفّق في اختيار أهل الكفاءة منهم<sup>(6)</sup>.

أخرج مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قال: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزِيٌّ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا"<sup>(7)</sup>.

قال النووي: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو حق من لم يكن أهلاً، أو كان أهلاً ولم يعدل فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلاً للولاية وعدل فيها فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة"<sup>(8)</sup>.

ومن خلال النظر في الشروط الأربعة السابقة: الإسلام والعدالة والبلوغ والكفاءة، نجد أنها شروط ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأحوال؛ لتحقق المصلحة بها في كل زمان، وعلى أي حال.

والبيهقي في شعب الإيمان بنحوه 46/7ح9399، وابن حبان في صحيحه 9/5ح1723. والحديث إسناده صحيح: وقد صحّحه المنذري في الترغيب والترهيب 134/3ح3389.

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل 4/110.

(2) نيل الأوطار 9/68.

(3) ينظر: النظام السياسي في الإسلام د. أبو فارس ص181، والفقهاء السياسي في الإسلام د. محمود الديك ص92.

(4) صبية صغار السن، ومفردها غلام، أي: حديث السن، وتصغيرها أغيلمه، ينظر: لسان العرب 6/665.

(5) صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب علامات النبوة في الإسلام 2/195ح3605.

(6) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص191، والنظام السياسي في الإسلام د. أبو فارس ص187، والدولة الإسلامية وسلطتها

التشريعية د. حسن عبد اللطيف ص128.

(7) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب كراهة الإمارة بغير ضرورة 3/1457ح1825.

(8) شرح صحيح مسلم 6/422.



### المطلب الرابع: واجبات الحاكم

أولاً: الرفق واللين بالرعية: بحيث يكون الحاكم رقيقاً رحيماً برعيته، يسوسهم بالرفق واللين، قال تعالى واصفاً نبيه ﷺ بالرفق واللين بالرعية: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]. فالآية تبين مدى رحمة الله التي نالت النبي ﷺ ونالتهم؛ حيث جعل الله تعالى نبيه ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر؛ لأن الناس بطبعهم بحاجة إلى كنفٍ رحيم، ورعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة<sup>(1)</sup>. ثم إن الآية وإن كان الخطاب فيها موجه إلى رسول الله ﷺ، فهو عام يشمل الخلفاء والأمراء الذين يخلفون رسول الله ﷺ في أمته ويقفون به في سيرته وسياسته مع رعيته.

أخرج مسلمٌ من طريق عبد الرحمن بن شماسة قال: أنبتُ عائشة رضي الله عنها أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجلٌ من أهلِ مِصرَ، فقالت: كيف كان صاحبكُم لكم في عزائكم هذه، فقال: ما نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئاً، إِنَّ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنْهَا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فقالت: أما إنَّه لا يَمَنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي، أَنْ أُحْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: "اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِي شَيْئاً فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ"<sup>(2)</sup>.

فيه وجوب اتصاف الحاكم باللين والرفق، ولهذا استخدم رسول الله ﷺ أسلوب الدعاء؛ ليؤكد على أهمية الأمر. قال النووي: "وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى"<sup>(3)</sup>.

وبالمقابل ينبغي على الحاكم أن يتابع أحوال الرعية، ويراقب عماله وولاته ويحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة، بل ينبغي عليه أن يبعث العيون التي تقدم له التقارير الشافية والصورة الصادقة عنهم، ولهذا كان بعض الخلفاء يأمر عماله وولاته على الأمصار أن يوافوه كل سنة في موسم الحج؛ ليأخذ منهم التقارير عن سياستهم وإدارتهم لشئون الرعية. ومن هنا كان العمال والولاة يحرصون على القيام بأعمالهم على أكمل وجه، خشية أن يُفْتَضَحُوا على رؤوس الأشهاد في موسم الحج.

ثم إن محاسبة الحاكم للولاة والعمال ومتابعة سياستهم، تجعل الولاة والعمال يشعرون بأنهم ليسوا أصحاب القرار المطلق أو السلطة العليا، بل هناك سلطة عليا تحاسبهم وتتابع أحوالهم، فيا لبيت قادة الأمة وحكامها عملوا بهذا الواجب، فقاموا بمحاسبة الوزراء والولاة على فسادهم وخروجهم عن قيم المسؤولية؛ لكان ذلك سبباً في صلاح المجتمعات الإسلامية، ولكنهم رتغوا معهم. قال ابن القيم: "وكان النبي ﷺ يستوفي الحساب على عماله، يحاسبهم على المستخرج والمصروف"<sup>(4)</sup>. أخرج البخاري من حديث أبي حميد الساعدي ﷺ قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد على صدقات بني سليم يدعى ابن النبتية فلما جاء حاسبه<sup>(5)</sup>.

(1) ينظر: في ظلال القرآن 1/500-501.

(2) صحيح مسلم- كتاب الإمارة-باب فضيلة الإمام العادل 3/1458ح1828.

(3) شرح صحيح مسلم 6/427.

(4) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص210.

(5) صحيح البخاري-كتاب الزكاة-باب قول الله تعالى: "والعالمين عليها" ومحاسبة المصدقين مع الإمام 1/332ح1500.

فيه وجوب محاسبة الولاة والعمال وسائر الرعية على ما يقترفون من المخالفات الشرعية والإدارية، محاسبة الحاكم لعماله وولاته على كل ما يصدر منهم بحق الرعية، وعلى كل ما يدخل بيت المال ويخرج منه، ومنعهم من قبول الهدية ممن لهم حكم عليهم إلا بإذن الحاكم<sup>(1)</sup>.

**ثانياً: فتح الباب في وجه ذوي الحاجات:** يجب على الحاكم أن يستقبل الناس ويستمع إلى مطالبهم وحاجاتهم وشكواهم، ولا يغلق بابه دونهم، ولا بأس أن يحدد أياماً أو أوقاتاً لمقابلة الناس والاستماع لهم حتى تنتظم سياسته وإدارته، أما أن يغلق بابه في وجه ذوي الحاجات على الدوام، فهذا لا يحل له بحال، بل إنه يعدُّ من الكبر والإعراض عن سماع الحق.

أخرج البخاريُّ من حديث أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه أنه توصَّأ في بيته ثمَّ خرَّج فقال: لأرْمَنَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله ولأكوننَّ معه يومي هذا، قال فجاء المسجد فسأل عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: فقالوا: خرَّج وجهه ها هنا فخرَّجْتُ على إثره أسألُ عنه حتى دخلَ بئرَ أريسٍ فجلستُ عندَ البابِ وبأبها من جريدٍ حتى قصى رسولُ الله صلى الله عليه وآله حاجته، فتوصَّأ فمُنتُ إليه فإذا هو جالسٌ على بئرِ أريسٍ، وتوسَّطَ قُفُّها<sup>(2)</sup>، وكشفت عن ساقيه، ودلَّاهما في البئرِ، فسلمتُ عليه ثمَّ انصرفتُ فجلستُ عندَ البابِ، فقلْتُ لأكوننَّ بؤابَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله اليومَ فقلتُ: يا رسولَ الله هذا أبو بكرٍ يستأذنُ فقال: "أذننَّ له وبئره بالجنة"<sup>(3)</sup>.

فيه جواز أن يكون المرء بواباً للحاكم وإن لم يأمره ويكلفه الإمام بذلك، ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أمره أن يكون بواباً في وقت ذلك المجلس؛ حتى يتسنى له أن يبشر هؤلاء المذكورين بالجنة، ويحتمل أنه أمره بحفظ الباب أولاً إلى أن يقضي حاجته، ويتوصَّأ كي لا ينكشف لأحد، ثم أكمل أبو موسى رضي الله عنه حفظ الباب بعد ذلك من تلقاء نفسه. وفيه دليل على أنه يجوز للحاكم أن يتخذ حاجباً أو بواباً، والدليل على ذلك إقرار النبي صلى الله عليه وآله لأبي موسى رضي الله عنه هذا الصنيع، هذا إذا رجحنا أن أبا موسى رضي الله عنه تولى الأمر من تلقاء نفسه، وبالتالي يتأكد الجواز من باب أولى إذا كان بأمر النبي صلى الله عليه وآله<sup>(4)</sup>.

وأخرج البخاريُّ من حديث أنس رضي الله عنه قال لامرأة من أهله: تعرِّفينَ فلانة، قالت: نعم، قال: فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله مرَّ بها وهي تبكي عندَ قبرٍ فقال: "اتقي الله واصبري"، فقالت: إليك عني فإنيك خلوتُ من مُصيبيتي، قال: فجأوزها ومضى فمرَّ بها رجلاً، فقال: ما قال لك رسولُ الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: ما عرفته، قال: إنَّه لرسولُ الله صلى الله عليه وآله، قال فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بواباً فقالت: يا رسولَ الله، والله ما عرفتك، فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: "إنَّ الصبرَ عندَ أولِ صدمة"<sup>(5)</sup>.

في هذا الحديث وعيد شديد لمن كان حاكماً بين الناس واحتجب عنهم غير عذر؛ لما في ذلك من تأخير إيصال الحقوق أو تضييعها<sup>(6)</sup>. وقال بدر الدين العيني: "واختلَّف في مشروعية الحاجب للحاكم، فقال الشافعي وجماعة: ينبغي للحاكم أن لا يتخذ حاجباً، وذهب آخرون إلى جوازه، وقال آخرون: بل يستحب ذلك لترتيب الخصوم ومنع المستطيل ودفع الشرير"<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: شرح صحيح مسلم 433/6، والطرق الحكمية ص210، وفتح الباري 179/13، وعمدة القاري 428/16.  
(2) المراد بقف البئر: الداكة التي تجعل حولها، وأصل القف ما غلط من الأرض وارتفع، أو هو من القف اليابس؛ لأن ما ارتفع حول البئر يكون يابساً في الغالب. ينظر لسان العرب 453/7، وشرح صحيح مسلم 171/8.  
(3) صحيح البخاري-كتاب فضائل الصحابة-باب قول النبي صلى الله عليه وآله لو كنت متخذاً خليلاً... 209/2 ح3674.  
(4) ينظر: شرح صحيح مسلم 170/8، وفتح الباري 44/7، وعمدة القاري 409/11.  
(5) صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب ما ذكر أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن له بواب 393/3 ح7154.  
(6) ينظر: شرح صحيح مسلم 227/6، وفتح الباري 143/13.  
(7) عمدة القاري 401/16.



وأخرج أبو داود من حديث أبي مريم الأزدي رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ على مُعَاوِيَةَ فقال: ما أَنْعَمْنَا بِكَ أبا فُلان؟ وهي كلمة تَقُولُهَا الْعَرَبُ، قُلْتُ: حَدِيثاً سَمِعْتُهُ أُخْبِرُكَ بِهِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ وَفَقَّرَهُمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَفَقَّرَهُ"، قال: فَجَعَلَ رجلاً على حَوَائِجِ النَّاسِ<sup>(1)</sup>.

فيه دليل على حرمة احتجاب الحاكم عن الرعية، وإغلاق بابيه في وجوههم، وعدم استماعه إلى مطالبهم وشكواهم؛ لما فيه من تأخير إيصال الحقوق أو تضييعها<sup>(2)</sup>. ثم إن بين حديثي أنس وأبي مريم الأزدي رضي الله عنهما من جهة، وحديث أبي موسى رضي الله عنه من جهة أخرى تعارضاً في الظاهر، فالحديثان يدلان على عدم مشروعية اتخاذ الإمام حاجباً، أما حديث أبي موسى رضي الله عنه فيدل على جواز ذلك. ويمكن الجمع بين هذا التعارض الظاهري بما يلي:

**أولاً:** أن الإمام إذا لم يكن في شغل من أهل بيته، ولم يكن منفرداً بخاصة نفسه فإنه يرفع حجابيه بينه وبين الناس، ويبرز لهم لقضاء حوائجهم، وإلا فيضع حاجباً لا يُدْخِلُ عليه أحداً إلا بإذنه<sup>(3)</sup>.

**ثانياً:** أن النفي للحاجب في بعض الأوقات لا يستلزم النفي مطلقاً، ولهذا كان غالب أمره صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له حاجب راتب<sup>(4)</sup>.

**ثالثاً:** أن الذي يُكره، بل قد يُحْرَمُ، هو الاحتجاب عن الرعية على الدوام، أما الاحتجاب عنهم في بعض الأوقات، أو لعذر، فلا حرمة فيه ولا كراهة<sup>(5)</sup>.

**رابعاً:** أن النساء لا يُحجبن عن الدخول في الغالب؛ لأن الهدف من الحاجب هو منع دخول من قد يَطَّلِعُ على ما لا يحل له الاطلاع عليه من النساء، وذلك مباح للنساء، ولهذا دخلت المرأة كما في حديث أنس رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تجد حاجباً<sup>(6)</sup>.

مما سبق يتبين لنا مرونة الشريعة وعدم جمودها، حيث تتغير الحالة في بعض الواجبات بحسب المصلحة والحاجة، وبالمقابل هناك واجبات ثابتة لا تتغير بتغير الأزمنة والأحوال، يجب على ولي الأمر أن يأخذ بها، وأن يعمل على تطبيقها، منها:

**أولاً: حفظ الدين وإقامة شعائره وحدوده:** يجب على الحاكم أن يقوم على حفظ الدين، وإقامة شعائره وحدوده، وهذا من أول الواجبات المطالب بتحقيقها، وهو ما عبر عنه الماوردي بقوله: "حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع، أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذ به يلزمه من الحقوق والحدود؛ ليكون الدين محروساً من خلل، والأمة ممنوعة من زلل"<sup>(7)</sup>، وأكد ابن تيمية بقوله: "ولي الأمر إنما نُصِّبَ؛ ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية، فإذا كان الولي

(1) سنن أبي داود-كتاب الخراج والفيء والإمارة-باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية 3/1288ح2948. وأخرجه أحمد في مسنده 4/283ح18056. والحديث إسناده صحيح: صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 2/128ح629.

(2) ينظر: سبل السلام 4/124، ونيل الأوطار 8/269، وفيض القدير 5/470.

(3) ينظر: فتح الباري 13/143.

(4) ينظر: نيل الأوطار 8/270-271.

(5) ينظر: المرجع السابق.

(6) ينظر: المرجع السابق.

(7) الأحكام السلطانية ص15.

يُمْكِنُ مِنَ الْمُنْكَرِ بِمَالٍ يَأْخُذُهُ، كَانَ قَدْ أَتَى بِضَدِّ الْمَقْصُودِ، مِثْلَ مَنْ نَصَبْتَهُ لِيُعِينِكَ عَلَى عَدُوِّكَ فَأَعَانَ عَدُوَّكَ عَلَيْكَ، وَبِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَخْذِ مَالٍ لِيُجَاهِدَ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَاتَلَ بِهِ الْمُسْلِمِينَ"<sup>(1)</sup>.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ﷺ حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ اللَّهُ" ثُمَّ قَامَ فَحَطَبَ، قَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ، وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَأَيُّمُ اللَّهِ نُو أَنْ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"<sup>(2)</sup>.

فِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ إِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَأَنَّهُ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَاكِمِ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ عَلَى أَقْرَبِ النَّاسِ لَهُ، قَالَ النَّوَوِيُّ: "وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحَدِّ بَعْدَ بُلُوغِهِ إِلَى الْإِمَامِ، وَعَلَى أَنَّهُ يَحْرَمُ التَّشْفِيعَ فِيهِ، فَأَمَّا قَبْلَ بُلُوغِهِ إِلَى الْإِمَامِ فَقَدْ أَجَازَ الشَّفَاعَةَ فِيهِ أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَشْفُوعُ فِيهِ صَاحِبَ شَرٍّ أَوْ أَدْنَى لِلنَّاسِ، فَإِنْ كَانَ لَمْ يَشْفَعُ فِيهِ، وَأَمَّا الْمَعَاصِي الَّتِي لَا حَدَّ فِيهَا، وَوَجِبَتْهَا التَّعْزِيرُ فَتَجُوزُ الشَّفَاعَةُ وَالتَّشْفِيعُ فِيهَا، سِوَاءَ بَلَّغَتْ الْإِمَامُ أَمْ لَا؛ لِأَنَّهَا أَهْوَنُ"<sup>(3)</sup>.

**ثَانِيًا: الْحَرَصُ عَلَى مَصَالِحِ النَّاسِ وَمُبَاشَرَةُ أُمُورِهِمْ:** عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى تَحْقِيقِ مَصَالِحِ الرَّعِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ مَنْطِقِ الْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي صَارَتْ فِي عُنُقِهِ بِمَجْرَدِ انْعِقَادِ الْبَيْعَةِ لَهُ، فَيُبَاشِرُ أُمُورَ الرَّعِيَّةِ وَيَتَقَدَّرُ أَحْوَالَهُمْ، دُونَ الرُّكُوعِ إِلَى وِلَايَتِهِ وَعَمَالِهِ؛ لِهَذَا عَتَبَ الْمَآوِرِيُّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ وَاجِبَاتِ الْحَاكِمِ، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: "أَنْ يَبَاشِرَ نَفْسَهُ مِشَارَفَةَ الْأُمُورِ وَتَصَفُّحَ الْأَحْوَالِ؛ لِيَنْهَضَ بِسِيَاسَةِ الْأُمَّةِ وَحِرَاسَةِ الْمَلَةِ، وَلَا يَعْوَلُ عَلَى التَّقْوِيضِ تَشَاغُلًا بِلَذَّةٍ أَوْ عِبَادَةٍ، فَقَدْ يَخُونُ الْأَمِينَ وَيَغْشَى النَّاصِحَ"<sup>(4)</sup>، وَقَالَ النَّوَوِيُّ: "يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ مِرَاعَاةَ الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ، وَالْإِهْتِمَامَ بِإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ"<sup>(5)</sup>.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ {التوبة: 128}. بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّهُ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مَشَقَّةَ أُمَّتِهِ، وَيَحْزَنُهُ أَنْ يِرَاهُمْ فِي الضِّيقِ وَالشَّدَةِ، وَأَنَّهُ يَحْرِصُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، وَتَحْقِيقِ الْمَصْلَحَةِ لَهُمْ؛ حَتَّى وَإِنْ كَلَّفَهُمْ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسَهُمْ، كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرُكُوبِ الصَّعَابِ، فَمَا ذَلِكَ مِنْ هَوَانٍ بِهِمْ وَلَا قَسْوَةٍ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَإِنَّمَا لِتَحْقِيقِ النِّفْعِ لَهُمْ<sup>(6)</sup>.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمُرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فِي الْأَمْرِ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنَا مَعَهُمْ. قَالَ أَبُو عَيْسَى: حَدِيثٌ عَمْرٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ<sup>(7)</sup>.

فِيهِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى جَوَازِ السَّمْرِ فِي الطَّاعَاتِ، لَا سِوَمَا الْحَاكِمِ إِذَا سَمَرَ مِنْ أَجْلِ مَصَالِحِ النَّاسِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْحَاكِمِ أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الْمَنْفَعَةِ لِلنَّاسِ، وَيُشْرِكُ مَعَهُ أَهْلَ الْحَلِّ

(1) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ص72.

(2) صحيح البخاري-كتاب الحدود-باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان 306/3ح6788.

(3) شرح صحيح مسلم 184/6.

(4) الأحكام السلطانية ص15.

(5) شرح صحيح مسلم 148/6.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 302/8، وتفسير القرآن العظيم 404/2، وفي ظلال القرآن 1743/3.

(7) سنن الترمذي-كتاب الصلاة-باب ما جاء في الرخصة في السمر بعد العشاء 331/1ح169. وأخرجه أحمد في مسنده 33/176، وابن خزيمة في صحيحه 186/2ح1156، وابن حبان في صحيحه 379/5ح2034. وله شاهد صحيح من حديث ابن مسعود ﷺ. أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار 330/4. والحديث إسناده صحيح: حسنه الترمذي، وصححه أحمد شاكر، وتعبق الترمذي في تحسينه للحديث. ينظر: سنن الترمذي 333/1ح669.

والعقد، قال الطحاوي: "فبين هذا الحديث سمر النبي ﷺ، والذي كان يسمره، وأنه من أمور المسلمين فذلك من أعظم الطاعات، فدل ذلك أن السمر المنهي عنه خلاف هذا"<sup>(1)</sup>.

إذا فالسمر بعد العشاء لا كراهة فيه إذا كان لحاجة دينية عامة أو خاصة، وهذا لا يتعارض مع أحاديث النهي عن السمر بعد العشاء؛ لأن المقصود بالنهي: السمر في غير فائدة<sup>(2)</sup>، وقد بَوَّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب العلم باباً بعنوان "السمر في العلم"، أورد فيه حديثين يرى فيهما جواز السمر بعد العشاء في الطاعة كالعلم ونحوه.

ومما يدل على وجوب حرص الحاكم على متابعة مصالح المسلمين، والعمل على تحقيقها، ما أخرجه أحمدُ مِنْ طريقِ موسى بن طُلْحَةَ قال: سَمِعْتُ عثمانَ بن عفانَ ؓ وهو على المنبرِ والمُؤدِّنُ يُعَيِّمُ الصَّلَاةَ، وهو يَسْتَحْبِرُ النَّاسَ، يَسْأَلُهُمْ عَن أَخْبَارِهِمْ وَأَسْعَارِهِمْ<sup>(3)</sup>.

### ثالثاً: الشورى في الحكم:

إن الشورى تعني: تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة في قضية من القضايا، وعرضها على أصحاب العقول والأفهام؛ حتى يُتوصل إلى الرأي السديد منها ليعمل به، ويحقق نتائج حسنة، فالحاكم مهما بلغ من رجاحة العقل وكثرة التجارب وسعة الإطلاع، إلا أن رأيه إن استبدَّ به ولم يأخذ بمبدأ الشورى فإنه سيكون وبالاً عليه وعلى أمته.

لهذا فإن الناظر والمتأمل في سياسة النبي ﷺ وأسلوب إدارته للدولة الإسلامية، يدرك أنه كان قائماً على أساس الشورى فيما لا وحي فيه. وقد سار الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون من بعده على هذا المبدأ الذي هو من أساسيات الحكم والقيادة؛ لهذا ذهب أكثر الفقهاء إلى وجوب الشورى على الحاكم<sup>(4)</sup>.

قال تعالى أمراً نبيه ﷺ والخلفاء من بعده: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159]. وجه الاستدلال: أن كلمة "شاورهم" أمر، والأمر يدل على الوجوب إلا إذا وجدت قرينة تصرفه من الوجوب إلى الندب؛ لهذا استدلل الفقهاء بهذه الآية على وجوب الشورى<sup>(5)</sup>. قال ابن عطية معقلاً على هذه الآية: "والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا لا خلاف فيه"<sup>(6)</sup>. وقال سيد قطب: "يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم - حتى ومحمد ﷺ - هو الذي يتولاه، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه... أما شكل الشورى والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه الأمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها، وكل شكل، وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى لها مظهرها، فهي من الإسلام"<sup>(7)</sup>. إذاً فمبدأ الشورى واجب على الحكام في ظل الدولة الإسلامية، وعلى الفئة المؤمنة المجاهدة التي تشق طريقها نحو إصلاح المجتمع وإقامة الدولة، وهي تصارع أمواج الظلم والطغيان، فينبغي أن يكون مبدأ الشورى ركيزة قوية أساسية في طريقها نحو تحقيق هدفها، وهذا أمر ثابت لا يتغير، بيد أن طريقة الشورى وكيفية ممارستها يمكن لها أن تتماهى مع طبيعة العصر.

(1) شرح معاني الآثار 330/4.

(2) ينظر: تحفة الأحوذني 512/1 - 513.

(3) مسند أحمد 73/1 ح 540. وقد انفرد به الإمام أحمد، ولم أعره عليه عند غيره. والحديث إسناده صحيح: صححه الهيئتي في مجمع الزوائد 87/2، وأحمد شاكر، ينظر: مسند أحمد 396/1 ح 540.

(4) ينظر: أحكام القرآن 330/2، وحكم الشورى في الإسلام وتنتجتها ص 19.

(5) ينظر: التفسير الكبير للرازي 67/9، والشورى وأثرها في الديمقراطية د. عبد الحميد الأنصاري ص 57، والفرد والدولة في الشريعة الإسلامية د. عبد الكريم زيدان ص 32، والنظام السياسي في الإسلام، د. أبو فارس ص 89.

(6) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 280/3.

(7) في ظلال القرآن 501/1.

أخرج البخاريُّ من حديث المشور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالاً: حَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عامَ الحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الخُلَيْفَةِ قَلَدَ الهُدْيِ، وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعَمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُرَاعَةَ وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ فُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ<sup>(1)</sup>، وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: "أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ: أَتُرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذُرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَإِلَّا تَرَكْنَا هُمْ مَحْرُوبِينَ". قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهَ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَا، قَالَ: "امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ"<sup>(2)</sup>.

فيه أنه لا يجوز للحاكم أن ينفرد بالقرار دون اللجوء إلى أصحابه ومعرفة رأيهم، وفيه أنه يحق للحاكم أن يأخذ بما يراه مناسباً من الآراء، وفيه جواز استشارة البعض والاكتفاء برأيهم دون مواصلة الاستماع إلى الآخرين، ولهذا فَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْقَرَارِ بِمَجْرَدِ انْتِهَاءِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ مِنْ إِبْدَاءِ رَأْيِهِ.

#### رابعاً: العدل في الحكم:

ينظر الإسلام إلى الناس نظرة واحدة؛ لهذا أوجب على الحكام العدل بين الناس، وعده من أقدس الواجبات وأهمها، دون الالتفات إلى معايير قبلية أو نسبية أو مالية<sup>(3)</sup>، وقد عبر الماوردي عن هذا الواجب بقوله: "تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين حتى تعم النصفة، فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم"<sup>(4)</sup>، وقد نقل الرازي الإجماع على هذا الواجب<sup>(5)</sup>.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ {النساء: 58}. فالكرامة تبين وجوب الحكم بالعدل، وقد ذكر القرطبي اختلاف العلماء فيمن يُراد بهذا الخطاب، فبعضهم يعتبره خاصاً بالولاية بأن يقيموا العدل ويحكموا به، وبعضهم يرى أنه خاص بالنبي ﷺ، ثم رجَّح القرطبي أنه شامل وعام لجميع الناس، بحيث يتناول الولاية ومن دونهم من الناس<sup>(6)</sup>.

وأخرج مسلمٌ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْمُفْسِدِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَغْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا"<sup>(7)</sup>. فيه أنه يجب على الحاكم أن يعدل بين الرعية، وفيه بيان فضل الحاكم العادل ومنزلته عند الله يوم القيامة، قال النووي: "ومعناه: أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة..."<sup>(8)</sup>، وقال المناوي: "قدَّم النبي ﷺ قوله "في حكمهم"؛ ليشمل من بيده أزمة الشرع، ثم أرفده "بالأهل"؛ ليتناول كل من في مؤنثه أقارب أو عيال، وختم بقوله "وما ولو"؛ ليستوعب كل من تولى شيئاً من الأمور، فيشمل نفسه بأن لا يضيع وقته في غير ما أمر به"<sup>(9)</sup>.

#### المطلب الخامس: حقوق الحاكم

(1) هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً، والتحيش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشاً تحت جبل يسمى حُجُشاً فَمُشُوا بِذَلِكَ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 330/1.

(2) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة الحديبية 322/2 ح4178.

(3) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، د. أبو فارس ص46-47.

(4) الأحكام السلطانية ص15.

(5) التفسير الكبير 141/10.

(6) ينظر: الجامع لأحكام القرآن 255/5-256.

(7) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب فضيلة الإمام العادل 1458/3 ح1827.

(8) شرح صحيح النووي 211/12.

(9) فيض القدير 392/2.

مما لا خلاف فيه بين أهل العلم أن ولي الأمر أو الحاكم له حقوق، من أهمها: السمع والطاعة، أخرج البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"<sup>(1)</sup>.

والحديث فيه تحريم الخروج على الحاكم بغير مسوغ شرعي، ولو شبراً واحداً، وهذا فيه كناية عن معصية السلطان ومحاربتة، والسعي في حل عقدة البيعة، ولو بأقل شيء، فعبير عن ذلك بمقدار الشبر، وأنه لا ينزل بالفسق والظلم، ولا يجوز منابذته بالسيف، إلا إذا عطل أحكام الشريعة وقواعدها، وهو ما عبّر عنه في بعض الروايات بإقام الصلاة<sup>(2)</sup>. أخرج مسلم من حديث عوف بن مالك ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: "حِينَئِذٍ أُمِّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَيْمَتِكُمُ الَّذِينَ تَبْغُضُونَهُمْ وَيَبْغُضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ"، قيل: يا رسول الله أفلا تُنابذهم بالسيف؟ فقال: "أَلَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَأَكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ"<sup>(3)</sup>.

وحتى لا يُتوهم أن حق السمع والطاعة ثابت للحاكم، لا يتغير على الإطلاق، وفي كل حال؛ فقد نبّه النبي ﷺ أن طاعتهم مرهونة بطاعة الله ورسوله، وإقام الصلاة، التي هي شعار الإسلام ومظهره العام، ولذلك من كان حكمه لا يغلب عليه في الظاهر الحفاظ على معالم الشريعة، لزم عزله، ووجبت منابذته<sup>(4)</sup>. أخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ"<sup>(5)</sup>.

#### المبحث الثاني: العلاقات بين المسلمين وغيرهم

نظمت الشريعة العلاقة مع غير المسلمين، سواء كانوا محاربين أو غير محاربين، وسواء كانوا يعيشون تحت سلطان المسلمين، أو يعيشون في ديارهم، فكل حالة لها ما يناسبها من الأحكام والمسائل والتوجيهات. وفيما يلي دراسة بعض المسائل السياسية المتعلقة بغير المسلمين كنماذج:

#### المطلب الأول: الحوار والمفاوضات

وردت في مفاوضات النبي ﷺ مع قريش روايات كثيرة؛ سأكتفي بالإشارة إليها، وذلك أن قريشاً أرادت أن تُنفذَ إرادتها في رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين، من خلال سياسة التعذيب والإيذاء<sup>(6)</sup>، ولما فشلت في ذلك، لجأت إلى سياسة الحصار والمقاطعة الشاملة في شعب أبي طلب<sup>(7)</sup>.

(1) صحيح البخاري-كتاب باب قول النبي ﷺ: "سَتَرُونَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكَرُونَهَا" ح7053.

(2) ينظر: شرح صحيح البخاري 475/19، وشرح صحيح مسلم 454/6، وعمدة القاري 329/16، وسبل السلام 261/3، ونيل الأوطار 358/7.

(3) صحيح مسلم-كتاب الإمارة-باب خيار الأئمة وشرارهم 1481/3 ح1855.

(4) ينظر: فتح الباري 131/13، وتحفة الأحوذى 298/5.

(5) صحيح البخاري-كتاب الأحكام-باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية 391/3 ح7144.

(6) ينظر: صحيح البخاري-كتاب المناقب-باب علامات النبوة في الإسلام ح3612، والسيرة النبوية لابن هشام 319/1.

(7) ينظر: صحيح البخاري-كتاب الأنصار-باب تقاسم المشركين على النبي ﷺ، وسنن البيهقي الكبرى 5594/6 ح13076.

ولما فشلت في ذلك لجأت إلى سياسة المفاوضات المتمثلة بالتهديدات من جانب، ومن جانب آخر تضمنت جملةً من المساومات والإغراءات؛ حيث عرضوا عليه الملك والشرف والمال والنساء<sup>(1)</sup>. ثم عرضوا عليه أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلهه؛ فنزلت سورة الكافرون<sup>(2)</sup>.

وبالنظر في مجموع الروايات التي ذكرت لنا قصة المفاوضات، نلاحظ أن النبي ﷺ رفض جميع العروض المقدمّة من قبل قريش في جولات المفاوضات، واتخذ موقفاً حاسماً دون مراوغة أو مداهنة، ودون ليونة أو مرونة في الموقف، فضلاً عن التنازل عن العقيدة والثوابت.

بينما لو نظرنا إلى موقف قريش، لما رأوا صلابة المسلمين واستعلاءهم بدينهم، ورفعة نفوسهم فوق كل باطل، أيقنوا أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم، أو تنازلهم عن معتقداتهم وثوابتهم، رغم أنهم الأضعف في معادلة الصراع في المرحلة المكية أمام قريش، التي هي أقوى القبائل العربية اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وأكثر القبائل تدين لها بالسمع والطاعة والولاء.

وبالمقابل لو أنعمنا النظر في الروايات التي ذكرت لنا المفاوضات في المرحلة المدنية بين النبي ﷺ وقريش، وبخاصة في مفاوضات صلح الحديبية، نجد أن النبي ﷺ قدّم ليونة أو مرونة، حتى بدا الأمر في ظاهره لبعض الصحابة تنازلاً، وهو ما عبّر عنه عمر رضي الله عنه بقوله: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ؟ أَوْلَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: "بَلَى"، قَالَ: فَعَلِمَ نُعْطِي الدِّلَّةَ فِي دِينِنَا؟ فَقَالَ: "أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، لَنْ أُخَالِفَ أَمْرَهُ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي"<sup>(3)</sup>. مما يدل على أن سياسة المفاوضات من حيث المبدأ جائزة شرعاً، غير أن هناك ثوابت في الموقف لا يمكن التنازل عنها، أو إبداء الليونة والمرونة فيها أمام العدو.

والذي حمل النبي ﷺ أن يتصلّب في مفاوضاته مع قريش في المرحلة المكية، رغم ضعفه؛ أنها كانت تساومه على العقيدة، ولأن الضعيف إذا قدّم تنازلاً، سيؤدي ذلك إلى اغترار العدو القوي، فيطالبه بالمزيد من التنازلات، كما هو الحال في المفاوضات التي جرت ولا زالت، بين اليهود الصهاينة ومنظمة التحرير الفلسطينية، بينما أبدى النبي ﷺ في المرحلة المدنية الليونة والمرونة في موقفه، رغم أنه الأقوى في معادلة الصراع؛ لأن القوي حين يلين أو يتنازل، لن يكون ذلك عن ضعف، ولن يغتر العدو بذلك.

### المطلب الثاني: التهدئة والصلح

إن الناظر والمتأمل في سير الصلح الذي عُقد بين النبي ﷺ والكفار يرى أن الصلح قد جلب للمسلمين ما لم يجلبه السيف، وحسبك في صلح الحديبية الذي أنزل الله فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، وقد سماه الله بالفتح المبين، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ {الأنفال: 67}؛ وقد نزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح، وهو

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 293/1، ومسند أبي يعلى 349/3 ح1818، والمستدرک علی الصحیحین 278/2 ح3002، وصححه الحاكم.

(2) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 362/1.

(3) ينظر: مسند أحمد 217/31 ح18910. والسيرة النبوية لابن هشام 316/2. والحديث إسناده حسن.

في طريق عودته من الحديبية، فقال: "لَقَدْ أَنْزَلْتُ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةً، لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ"، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (1).

أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه، قال: تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ (2).

نقل ابن حجر عن الزهري قوله: "فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتْحٌ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ فَتْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ اتَّقَى النَّاسُ، وَلَمَّا كَانَتْ الْهُدْنَةُ وَوَضَعَتِ الْحَرْبَ وَأَمِنَ النَّاسُ، كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَاتَّقَوْا وَتَفَاوَضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ، وَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْغِلُ شَيْئًا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْنِكَ السَّنَتَيْنِ، مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ، يَعْنِي: مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ"، وعلق على كلام الزهري بقوله: "وَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ مَصْلَحَةِ الصُّلْحِ الْمَذْكُورِ غَيْرُ مَا ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ، أَنَّهُ كَانَ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي دَخَلَ النَّاسُ عَقِبَهُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَكَانَتْ الْهُدْنَةُ مِفْتَاحًا لِذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَتْ قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَّةِ مُقَدِّمَةً لِلْفَتْحِ سُمِّيَتْ فَتْحًا" (3).

يرى جمهور العلماء أنه يجوز للمسلمين سواء أكانوا ضعفاء أم أقوياء، عقد هدنة مع الأعداء، إذا رأوا المصلحة في ذلك، بما لا يزيد عن عشر سنين، واستدلوا بفعل النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الحديبية، فإن زادت المدة على العشر، بطل العقد فيما زاد عليها، وإذا انقضت المدة وظهر للمسلمين أن المصلحة في تجديدها، جاز استئنافها من جديد ولا يجوز التأبيد. بينما ذهب الأحناف وغيرهم إلى أنه يجوز عقد الهدنة لأكثر من عشر سنين، على ما يراه الإمام من المصلحة (4).

**وخلاصة القول:** أن الهدنة جائزة متى اقتضت الضرورة أو المصلحة، سواء في حالة الضعف أو القوة، وتكون مؤقتة أو محددة لأجل لا يزيد على عشر سنين، ويجوز تمديدها إذا استمرت الحاجة إليها. كما يجوز للإمام أن يعمل بالصلح المطلق، إذا تحققت المصلحة بذلك.

وعليه فإن مسألة الهدنة أو التهذئة والصلح، من المسائل التي تخضع لضابط المصلحة، فهي ليس من الثوابت، وتحديدتها بمدة زمنية محددة، على اختلاف الأزمنة والأحوال، ليس من المصلحة في شيء.

### المطلب الثالث: كيفية التعامل مع ناقضي العهود

من المقرر في الشريعة الإسلامية احترام العهود والعقود والمواثيق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ {المائدة: 1}. وقد التزم المسلمون بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم بها، بعد إبرامها مع يهود المدينة بعد الهجرة إليها مباشرة، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل قبائل اليهود القبيلة تلو القبيلة؛ لما نقضوا العهود والمواثيق.

(1) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة الحديبية 2/322ح4177.

(2) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب غزوة الحديبية 2/318ح4150.

(3) فتح الباري 5/348.

(4) ينظر: المغني 9/297، وفتح الباري 5/348.



فبدأ بقتال بني قينقاع في السنة الثانية من الهجرة<sup>(1)</sup>، ثم بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة<sup>(2)</sup>، ثم بني قريظة في السنة الخامسة من الهجرة<sup>(3)</sup>، ثم خيبر في السنة السابعة من الهجرة<sup>(4)</sup>. وأوصى -وهو على فراش الموت- بإجلانهم من الجزيرة العربية<sup>(5)</sup>، مما يُشعر بأنه وضع لنا قواعد في التعامل مع اليهود في صراعنا معهم والقضاء عليهم.

وبالنظر في العقوبة التي ألحقها بكل قبيلة من قبائل اليهود على حدة -رغم أن سبب الغزوة لكل قبيلة منها واحد، وهو نقضهم العهد والميثاق-، نجد أنها تنوعت ما بين إجلاء من المدينة -وهو الأكثر-، وبين قتل رجالهم وسبي أطفالهم ونسائهم، وبين إبقائهم في مزارعهم شريطة مشاطرة الثمر.

أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: حَارَبَتْ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةَ، فَأَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَأَقْرَّ قُرَيْظَةَ وَمَنَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى حَارَبَتْ قُرَيْظَةَ، فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا بَعْضَهُمْ لَحِقُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمَّنَهُمْ وَأَسْلَمُوا، وَأَجْلَى يَهُودَ الْمَدِينَةِ كُلَّهُمْ، بَنِي قَيْنَقَاعَ (وَهُمْ رَهْطٌ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ)، وَيَهُودَ بَنِي حَارِثَةَ، وَكُلَّ يَهُودِ الْمَدِينَةِ<sup>(6)</sup>.

والضابط في مسألة تنوع العقوبة؛ تحقيق المصلحة الأكثر تحققاً، فإن الإجلاء، والقتل، ومشاطرة الثمر، لا شك أنها عقوبات موجعة للأعداء، وفيها مصلحة للمسلمين، بيد أن المصلحة الأكثر، أن يختار ولي الأمر لكل قوم عقوبة تناسبهم في الردع والإثخان، وتعود على المسلمين بالمنفعة الأكثر.

**فأما يهود بني قينقاع:** فقد ترك النبي ﷺ قتلهم، وقبض أموالهم، وأخذ منها ثلاث قسي ودرعين وثلاثة أسياف وثلاثة رماح، وكان الذي تولى جمع الغنائم محمد بن مسلمة ﷺ. وقرر النبي ﷺ إجلاءهم، ووكل هذا الأمر لعبادة بن الصامت ﷺ، فأجلاهم من المدينة المنورة حتى بلغ بهم أذرعات الشام<sup>(7)</sup>، فهلك أكثرهم بعد أن لبثوا فيها قليلاً<sup>(8)</sup>.

**وأما يهود بني النضير:** لما قذف الله الرعب في قلوبهم، وأعلنوا استسلامهم وانسحابهم، أمر النبي ﷺ محمد بن مسلمة ﷺ بإجلانهم إلى الشام<sup>(9)</sup>. وقيل: إلى خيبر<sup>(10)</sup>. وجمع ابن هشام بين القولين، بأن أشرافهم ذهبوا إلى خيبر، وعامتهم إلى الشام<sup>(11)</sup>.

**وأما يهود بني قريظة:** فقتل النبي ﷺ رجالهم ومقاتلتهم، وسبى وقسم نساءهم وأطفالهم وأموالهم<sup>(12)</sup>.

(1) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 314/3.

(2) ينظر: المرجع السابق 143/4.

(3) ينظر: المرجع السابق 192/4.

(4) ينظر: المرجع السابق 297/4.

(5) ينظر: صحيح مسلم-كتاب الجهاد والسير-باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب 1388/3ح1767.

(6) صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب حديث بني النضير... 287/2ح4028.

(7) بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. ينظر: معجم البلدان 130/1.

(8) ينظر: الكامل في التاريخ 34/2، والسيرة الحلبية 478/2، والرحيق المختوم ص267.

(9) ينظر: مصنف عبد الرزاق 357/5ح9732.

(10) ينظر: طبقات ابن سعد 58/2.

(11) ينظر: سيرة ابن هشام 111/3.

(12) ينظر: صحيح البخاري-كتاب المغازي-باب حديث بني النضير... 287/2ح4028.



وأما يهود خيبر: فقد أقرهم النبي ﷺ بالبقاء في مزارعهم، مقابل شطر الثمر، وهو ما يُعرف بالمساقاة<sup>(1)</sup>. أخرج البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر، أو زرع<sup>(2)</sup>. وفي رواية: فسألوا أن يُقرهم بها على أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: تُقرُّكم بها على ذلك ما شئنا، فقرأوا بها، حتى أجلاهم عمر<sup>(3)</sup>. وقال عمر رضي الله عنه: "لولا آزر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي ﷺ خيبر"<sup>(4)</sup>.

إن قبول النبي ﷺ بعرض يهود خيبر أكسب الدولة الإسلامية نمواً في الاقتصاد؛ إذ إن الصحابة الكرام كانوا لا يحسنون الزراعة، كما أن في اشتغالهم بها إنشغال عن معالي الأمور؛ لأن الفلاحة تحتاج إلى إدامة العمل في استصلاح الأرض ورعاية الزرع، مما يستنفد الطاقات. قال ابن بطال: "إنما عامل أهل خيبر على العمل في أرضها إذ لم يوجد من المسلمين من ينوب منابهم في عمل الأرض، حتى قوي الإسلام واستغنى عنهم، وأجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعامة الفقهاء يجيزون استجارهم عند الضرورة وغيرها"<sup>(5)</sup>. وقد ترجم الإمام البخاري في كتاب الإجارة بما يدل على هذا المعنى، فقال: "باب استئجار المشركين عند الضرورة أو إذا لم يوجد أهل الإسلام، وعامل النبي ﷺ يهود خيبر"<sup>(6)</sup>.

يُعدُّ صنيع النبي ﷺ مع يهود خيبر دليلاً على اهتمامه بتنمية الاقتصاد والنهوض به، وحرصه على تحقيق الأمن الغذائي؛ حيث عاقبهم بإبقائهم في مزارعهم مع مشاطرة الثمر، بينما عاقب بني قينقاع بقتالهم وإجلائهم ونفيهم من المدينة، وكذا يهود بني النضير، وعاقب يهود قريظة بسبي أطفالهم ونسائهم، وقتل رجالهم ومقاتلتهم؛ لأن خيبر كانت ثروة زراعية تعمل على نهضة الاقتصاد، فلو عاقبهم بما عاقب به غيرهم؛ لهلك الثمر وفسد، ولخسرت الدولة الإسلامية هذه الثروة الاقتصادية، والسلة الغذائية الهامة.

#### المطلب الرابع: حكم الاستعانة بغير المسلمين

اختلف أهل العلم في حكم استعانة المسلمين بغيرهم في الجهد، فذهب أكثر أهل العلم إلى عدم جواز ذلك. أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أنها قالت: حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَدْرٍ، فَلَمَّا كَانَ بِحَرَّةِ الْوَبَرَةِ أَدْرَكَهُ رَجُلٌ قَدْ كَانَ يُذَكِّرُ مِنْهُ جُرْأَةً وَنَجْدَةً، فَفَرِحَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: جِئْتُ لِأَتَبِعَكَ، وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟" قَالَ: لَا، قَالَ: "فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالشَّجَرَةِ أَدْرَكَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ، قَالَ: "فَارْجِعْ، فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ"، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ فَأَدْرَكَهُ بِالْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ: "تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟" قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "فَأَنْطَلِقْ"<sup>(7)</sup>.

(1) والمراد بالمساقاة: أن يدفع الرجل شجره إلى آخر؛ ليقوم بسقيه ورعايته، بجزءٍ معلومٍ له من ثمره، وإنما سميت مساقاة؛ لأنها مفاعلة من السقي؛ ولأن أهل الحجاز أكثر حاجة شجرهم إلى السقي؛ لأنهم يستقون من الآبار. ينظر: المغني 554/5.

(2) صحيح البخاري-كتاب المزارعة-باب إذا لم يشترط السنين في المزارعة 105/3 ح2329.

(3) صحيح البخاري-كتاب المزارعة-باب أوقاف أصحاب النبي ﷺ وأرض الخراج ومزارعتهم ومعاملتهم 106/3 ح2334.

(4) صحيح البخاري-كتاب المزارعة-باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة 107/3 ح1334.

(5) ينظر: شرح صحيح البخاري 387/6.

(6) صحيح البخاري 489/1.

(7) صحيح مسلم-كتاب الجهاد والسير-باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر 1449/3 ح1817.

هذا الحديث ظاهر الدلالة في عدم جواز الاستعانة بغير المسلم، وهو قول جماعة من العلماء<sup>(1)</sup>، بينما ثبت في مواطن عدة أن النبي ﷺ استعان بغير المسلمين واستفاد من إعادتهم، حيث دخل في جوار المطعم بن عدي بعد عودته من الطائف<sup>(2)</sup>، وأقره النبي ﷺ أبا بكر ﷺ على دخوله في جوار ابن الدغنة<sup>(3)</sup>، واستعان ﷺ بصفوان بن أمية قبل إسلامه، حيث استعار منه مائة درع<sup>(4)</sup>. واستعان بعبد الله بن أريقط دليلاً في الطريق إلى المدينة؛ لأنه كان خريئاً ماهراً<sup>(5)</sup>.

**والخلاصة:** أنه لا مانع من الاستعانة بغير المسلم، خاصة إذا كان كيان الإسلام راسخاً، وصبغة المعركة الإسلامية لا يؤثر فيها قبول معونة من غير المسلم، ما دامت لا تتعارض مع العقيدة والثوابت<sup>(6)</sup>. كما أن الاستعانة بهم لا تكون في الوظائف الرئيسية والهامة، خاصة إذا أمن غدرهم، ولم يكن في المسلمين من يقوم مقامهم. ومما سبق يتبين لنا: أن مسألة الاستعانة بغير المسلم منوطة بولي الأمر، فقد يقبلها، وقد يرفضها؛ وذلك بحسب المصلحة التي يراها.

#### المطلب الخامس: التعامل مع أسارى الكفار

الأسر مشروع، ويدل على مشروعيته قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخَّنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ {محمد: 4}. ولا يتنافى ذلك مع قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ {الأنفال: 67}؛ لأنها لم ترد في منع الأسر مطلقاً، وإنما جاءت في الحث على القتال، وأنه ما كان ينبغي أن يكون للمسلمين أسرى قبل الإتيان في الأرض، أي: المبالغة في قتل الكفار<sup>(7)</sup>.

وبالنسبة للأسرى من الكفار في معارك المسلمين، فأمرهم متروك للسلطان بحسب المصلحة ومقتضيات الحال. قال ابن القيم: "ثبت عنه ﷺ في الأسرى أنه قتل بعضهم، ومن على بعضهم، وفادى بعضهم بمال، وبعضهم بأسرى من المسلمين، واسترق بعضهم، ولكن المعروف أنه لم يسترق رجلاً بالغاً، فقتل يوم بدر من الأسرى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وقتل من يهود جماعة كثيرين من الأسرى، وفادى أسرى بدر بالمال بأربعة آلاف إلى أربعمائه، وفادى بعضهم على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة، ومن على أبي عزة الشاعر يوم بدر، وقال في أسارى بدر: "أَوْ كَانَ الْمُطْعَمُ بِنُ عَدِي حَيًّا، ثُمَّ كَلَمَنِي فِي هَوْلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْنَهُمْ لَهُ"، وفدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين، وفدى رجلاً من المسلمين بامرأة من السبي، استوهبها من سلمة بن الأكوع، ومن على ثمامة بن أثال، وأطلق يوم فتح مكة جماعة من قريش، فكان يقال لهم: الطلقاء، وهذه أحكام لم يُنسخ منها شيء، بل يُخَيَّرُ الإمام فيها بحسب المصلحة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: خير رسول الله ﷺ في الأسرى بين الفداء والمن والقتل والاستعباد، يفعل ما شاء وهذا هو الحق الذي لا قول سواه<sup>(8)</sup>.

(1) ينظر: المغني لابن قدامة 256/9.

(2) ينظر: السيرة النبوية لابن كثير 153/2.

(3) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 372/1.

(4) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 440/2.

(5) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 488/1.

(6) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة لأكرم العمري 495/2.

(7) ينظر: تفسير الطبري 59/14.

(8) زاد المعاد 61\_59/5.

## الخاتمة

أولاً: نظمت نصوصُ الشريعة الإسلامية -كتاباً وسنةً- العلاقات السياسية بين الراعي والرعية، وعلاقات الدولة الإسلامية مع غير المسلمين، ولولا ذلك لأصبح المسلمون يعيشون حالة من التخبط والضياع في الحياة. ثانياً: يُعدُّ باب السياسة الشرعية من أكثر أبواب الشريعة الإسلامية مرونة بين الثابت والمتغيرات؛ لأنه يخضع لقاعدة تحقيق المصالح ودرء المفساد، بخلاف أبواب العقيدة والتوحيد، التي لا تتغير البتة، وكذا بخلاف أبواب الفقه والأحكام، التي لا تتغير في غالب الأحيان، عدا بعض المسائل والاستثناءات في بعض الأبواب. ثالثاً: أظهرت الدراسة أن الخطاب الديني فيما يتعلق بقضايا السياسة في العلاقة بين الراعي والرعية، أو في علاقة المسلمين بغيرهم، بأنه يتسم بالمرونة؛ حيث يواكب المستجدات والأحداث، ويتلائم مع الأحوال كلها، رغم اختلافها وتنوعها؛ وعليه فالتجديد حاصل ضمناً، وليس بحاجة إلى تجديد، لكن الإشكالية تكمن في بعض العقول والأفهام، التي تقف جامدةً أمام النصوص الشرعية. قال ابن القيم: "هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام، وهو مقام ضنك في معترك صعب، فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود، وضيعوا الحقوق، وجرءوا أهل الفجور على الفساد، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا على أنفسهم طرقاً صحيحة، من الطرق يُعرف بها المحق من المبطل، وعطلوها مع علمهم وعلم الناس بها، أنها أدلة حق؛ ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع، والذي أوجب لهم ذلك نوع تقصير في معرفة حقيقة الشريعة، والتطبيق بين الواقع وبينها، فلما رأى ولأه الأمر ذلك، وأن الناس لا يستقيم أمرهم إلا بشئ زائد على ما فهمه هؤلاء من الشريعة، فأحدثوا لهم قوانين سياسية ينتظم بها مصالح العالم؛ فتوَلد من تقصير أولئك في الشريعة، وإحداث هؤلاء، ما أحدثوه من أوضاع سياستهم شرّ طويل، وفساد عريض، وتفاقم الأمر، وتعذر استدراكه، وأفرط فيه طائفة أخرى، فسوّغت منه ما يناقض حكم الله ورسوله، وكلا الطائفتين أتيت من قبل تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله"<sup>(1)</sup>.

رابعاً: إن الطريقة المثلى في التعامل مع نصوص الشريعة، وخاصة الأحاديث النبوية، فهمها في ضوء القرآن الكريم، وجمع أحاديث الباب الواحد، ومن ثمّ دراستها بحسب سياقها ومقاصدها، ومن خلال معرفة أسباب ورودها وإيرادها<sup>(2)</sup>.

وفي الختام: أوصي إخواني الباحثين بالمزيد من دراسة الأحاديث النبوية، دراسة موضوعية، تُعنى بفقه الواقع المعاش، ومواكبة المستجدات والأحداث. كما أوصي العلماء والدعاة بضرورة توعية المسلمين بأهمية فهم نصوص الشريعة، وخاصة الأحاديث النبوية في ضوءها.

والحمد لله رب العالمين

(1) إعلام الموقعين 372/4.

(2) أنصح في هذا الباب دراسة كتاب: كيف نتعامل مع السنة النبوية، للدكتور يوسف القرضاوي.

### المصادر

- \_ أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق علي الجاوي، دار الفكر بيروت، ط الأولى 1376هـ.
- \_ أصول الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي، مطبعة الدولة إسطنبول، ط الأولى 1346هـ.
- \_ إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل بيروت، ط 1973هـ.
- \_ الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الكتب العلمية بيروت.
- \_ الإسلام، سعيد حوى، ط الثالثة 1399م.
- \_ البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق أحمد فتوح، دار الحديث القاهرة، ط الرابعة 1417هـ.
- \_ التحقيق في أحاديث الخلاف، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق مسعد السعدني، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1415هـ.
- \_ الترغيب والترهيب، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1417هـ.
- \_ التفسير الكبير، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية طهران، ط الثانية.
- \_ الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر بيروت، ط الأولى 1401هـ.
- \_ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، ط الثانية 1372هـ.
- \_ الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1271هـ.
- \_ الدولة الإسلامية وسلطانها التشريعية، حسن عبد اللطيف، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية.
- \_ الديباج، جلال الدين السيوطي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار ابن عفان السعودية، ط 1416هـ.
- \_ الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال بيروت، ط الأولى.
- \_ السنة، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية بيروت، ط الأولى 1400هـ.
- \_ السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد عطارمكتبة دار الباز مكة، ط 1414هـ.
- \_ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق أبي يعلى القويسني.
- \_ السيرة الحلبية، أبو الفرج نور الدين علي بن إبراهيم الحلبي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية 427هـ.
- \_ السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة، ط السادسة 1415هـ.
- \_ السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت، ط 1395هـ.
- \_ السيرة النبوية، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط الثانية 1375هـ.
- \_ الشورى وأثرها في الديمقراطية، عبد الحميد الأنصاري، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1416هـ.
- \_ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري، دار صادر بيروت.
- \_ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، تحقيق سيد عمران، دار الحديث القاهرة، ط الأولى 1423هـ.
- \_ العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق وصي الله عباس، المكتبة الإسلامية بيروت، ط الأولى

1408هـ.

\_ الفرد والدولة في الشريعة الإسلامية د. عبد الكريم زيدان  
\_ الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الظاهري، دار المعرفة بيروت، ط الثانية  
1395هـ.

\_ الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر دمشق، ط الثالثة 1409هـ.

\_ الفقه السياسي في الإسلام، محمود الديك، ط الأولى 2000م.

\_ الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري، تحقيق عمر عبد السلام  
التدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط الأولى 1417هـ.

\_ الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق يحيى غزاوي، دار الفكر بيروت، ط  
الثالثة 1409هـ.

\_ المجروحين من الحديث والضعفاء والمتروكين، أبو حاتم محمد بن حبان البستي التميمي، تحقيق محمود إبراهيم  
زايد، دار الوعي حلب، ط الأولى 1396هـ.

\_ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي  
فاس.

\_ المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب  
العلمية بيروت، ط الأولى 1411هـ.

\_ المسند، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق محمد عبد السلام الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى  
1413هـ.

\_ المسند، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق محمد عبد السلام الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى  
1413هـ.

\_ المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت،  
مكتبة الرشيد الرياض، ط الأولى 1409هـ.

\_ المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة  
الرشيد بالرياض، ط الأولى 1409هـ.

\_ المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط الثانية  
1403هـ.

\_ المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت،  
ط الأولى 1420هـ.

\_ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم الموصل، ط الثانية 1404هـ.

\_ المغني في أبواب التوحيد والعدل، أبو الحسين القاضي عبد الجبار الأسد أبادي، تحقيق سليمان دنيا، الدار  
المصرية للتأليف والترجمة.

\_ المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق محمد شرف الدين خطاب وآخرين،  
دار الحديث القاهرة، ط الأولى 1416هـ.

\_ المقدمة، عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون، دار البيان بيروت.

\_ الموطأ، أبو عبد الله مالك بن أنس، تحقيق محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، ط الأولى 1422هـ.

\_ النسائي في الضعفاء والمتروكين، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة بيروت، ط الأولى

1406هـ.

- \_ النظام السياسي في الإسلام، محمد عبد القادر أبو فارس، ط 1980م.
- \_ النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير الجزري، تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ط 1399هـ.
- \_ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلى محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر بيروت، ط الثالثة 1399هـ.
- \_ تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق صدقي العطار، دار الفكر بيروت، ط الأولى 1421هـ.
- \_ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة دار التراث القاهرة.
- \_ تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، ط مصطفى البابي مصر.
- \_ حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها، محمد عبد القادر أبو فارس، دار العرفان، ط الأولى 1408هـ.
- \_ روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط الثالثة 1412هـ.
- \_ رئاسة الدولة في الفقه الإسلامي، محمد رأفت عثمان، دار الكتاب الجامعي مصر، ط 1975م.
- \_ زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط السابعة والعشرين 1415هـ.
- \_ سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق محمد الخولي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط الرابعة 1379هـ.
- \_ سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط الأولى 115هـ.
- \_ سلطة الدولة في المنظور الشرعي، منصور الحفناوي، مطبعة الأمانة القاهرة، ط الأولى 1410هـ.
- \_ سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، ط 1419هـ.
- \_ سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد شاكر ومصطفى الذهبي، دار الحديث القاهرة، ط الأولى 1419هـ.
- \_ سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق مصطفى الذهبي، دار الحديث القاهرة، ط الأولى 1420هـ.
- \_ سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق السيد محمد السيد، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1420هـ.
- \_ شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط الأولى 1400هـ.
- \_ شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف المعروف بابن بطلال، تحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض، ط الثانية 1423هـ.
- \_ شرح صحيح مسلم، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق محمد تامر، مكتبة الفجر للتراث القاهرة، ط الأولى 1420هـ.
- \_ صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثانية 1414هـ.

- \_ صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، ط 1390هـ.
- \_ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد بن الجميل، مكتبة الصفا القاهرة، ط الأولى 1423هـ.
- \_ صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط الأولى 1409هـ.
- \_ صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط الأولى 1419هـ.
- \_ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
- \_ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد العيني، تحقيق صدقي العطار، دار الفكر بيروت، ط 142هـ.
- \_ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت، ط 1379هـ.
- \_ في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط السابعة عشر 1412هـ.
- \_ فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط الأولى 1356هـ.
- \_ لسان العرب، محمد بن كرم المعروف بابن منظور، تحقيق نخبة من الأساتذة المختصين، دار الحديث القاهرة، ط 1423هـ.
- \_ مآثر الأناقة في معالم الخلافة، أحمد بن عبد الله القلقشندي.
- \_ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث القاهرة، ط 1407هـ.
- \_ مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي الموصللي، تحقيق حسين أسد، دار المأمون للتراث دمشق، ط الأولى 1404هـ.
- \_ مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن بيروت، ط الأولى 1409هـ.
- \_ معجم البلدان، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، ط الثانية 1995م.
- \_ نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل أبو عيد، دار النفائس الأردن، ط الأولى 146هـ.
- \_ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل بيروت، ط 1973م.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## أثر أصول الفقه ومقاصد الشريعة في تجديد الخطاب الديني

إعداد

د. محمد الحفظاوي

جامعة مولاي اسماعيل - الكلية المتعددة التخصصات بالرشيدية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م



## ملخص

هذه ورقات بينت جوانب من فوائد علم أصول الفقه ومقاصده إجمالاً ، واشتملت على نظرات في جوانب من أصول تجديد الخطاب الديني بما يحقق مقاصد الشارع ويفضي لتحقيق قيم الوسطية والاعتدال والتعايش ، وقد جاء هذا العمل من منطلق القناعة بضرورة إعادة بعث أصول منهج فهم النصوص وتطبيقها في البحث العلمي الشرعي والدرس التعليمي ، والاهتمام ببحث مناهج التفكير العلمية في الأوساط العلمية والثقافية؛ لأن التدافع المعرفي لن تحسم نتائجه إلا لصالح القادرين على امتلاك ناصية مناهج المعرفة وأصول التفكير السليمة، عوض الاكتفاء باستهلاك الفكر والمعرفة، واعتماد مناهج غير علمية في قراءة النص، وإنتاج الأفكار .

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ {التوبة/122}﴾ .

## الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسل رحمة للعالمين.

وبعد فإن العقل البشري يحتاج لقواعد يهتدي بها في حكمه على الأشياء، وفي طريقة تفكيره، وترجيحاته، ومالم يهتد للتي هي أقوم من طرق التفكير؛ فسيظل في ضلال مبين، عن الطريق المستقيم. ولقد أكرم الله المسلمين بكتاب مبين، فيه الهدى في أمور دنياهم ودينهم، إن اعتصموا به. ولقد استطاع الفكر الإسلامي بفضل النور الإلهي أن يهتدي لطرق الفهم السديد، فنظمها في علم سماه علم أصول الفقه، فما هي أهمية هذا العلم؟

يعد علم أصول الفقه من أفضل العلوم الشرعية، وأشرفها قدراً، وأكثرها فائدة؛ لتعلقه بكتاب الله وسنة

رسوله ﷺ، قال الناظم:

أصول الفقه إن فكرت فيها      تريك فضيلة المتفقهينا  
وأحكام الخطاب ومآواه      دقائق من كلام مدققينا

لذلك فأهمية علم أصول الفقه تتركز في المقصد الأساس منه وهو:تحصيل ملكة استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها على وجه الصحة. وتنزيل تلك الأحكام على مستوى الواقع بما يحقق الوسطية والاعتدال للفرد والمجتمع. والمقاصد علم أصولي ضروري في ضبط عملية الفهم للأحكام ، كما هو ضروري في تأصيل منهج التطبيق، لأن غاية تطبيق الأحكام هي تحقق مقاصدها، خاصة وأن القواعد المقاصدية والفقهية، هي من العموم والشمول بحيث يمكن أن تستوعب تلك المستجدات، وهذا التطبيق للأحكام يتم بموجب أصل الوسطية. ذلك أن المقاصد تعمل على تهيج العقل بإخراجه من طريقة التفكير الذرية أو التجزئية إلى طريقة تفكير كلية شاملة، كما أنها تشكل منهجاً وسطاً للعقل المسلم بين المنهج الحرفي الظاهري، والمنهج التفكيكي التاريخي التعطيلي.

ولاشك أن مرجع مايقع للناس اليوم من غلو وتقصير في كل شؤون الحياة، هو مركب الجهل والتعصب والهوى. ولاعاصم من الحاليين إلا بالتمسك بأصول الدين الإسلامي وفروعه ومقاصده، ولا بد لتحقيق هذا المبتغى من تجديد الخطاب الديني الموجه للداخل الإسلامي ولخارجه. وقد جعلت هذا العمل في مبحثين:

المبحث الأول: أهمية العناية بالدرس الأصولي لتجديد الخطاب الديني، وهو في أربعة مطالب :

← الأهمية المعرفية العلمية

← الأهمية المنهجية

← الأهمية التشريعية

#### ← الأهمية التعبديّة

المبحث الثاني: قضايا علمية ومنهجية لتجديد الخطاب الديني، وهو في خمسة مطالب:

- ← الوصل بين الفقه وأصول الفقه (أي ربط الدرس الفقهي بمنهج الفهم والتطبيق معا).
- ← إرجاع الفروع إلى أصولها وربطها بكليات الشريعة ومقاصدها.
- ← التفريق بين الاقتضاء الأصلي والاقتضاء التبعية للحكم الشرعي في تعاملنا مع نوازل المجتمع.
- ← استخراج قواعد تطبيق الحكم الشرعي من النوازل الفقهية.
- ← التركيز على الجانب التطبيقي للعلوم الشرعية.
- ← الوصل بين الفقه وأصول الفقه (أي ربط الدرس الفقهي بمنهج الفهم والتطبيق معا).

#### المبحث الأول: أهمية العناية بالدرس الأصولي لتجديد الخطاب الديني

##### المطلب الأول: الأهمية المعرفية العلمية:

قال الشوكاني: "وأما فائدة هذا العلم فهي العلم بأحكام الله سبحانه أو الظن بها. ولما كانت هذه الغاية بهذه المنزلة من الشرف، كان علم طالبه بها ووقفه عليها؛ مقتضيا لمزيد عنايته به، وتوفر رغبته فيه؛ لأنها سبب الفوز بسعادة الدارين"<sup>1</sup>. فهذا العلم يحمل صاحبه على التحصيل العلمي لمسائل الفقه، ولموازن الاستدلال والترجيح وفقه الأولويات، وإدراك مقاصد الشريعة.

~ فعلم أصول الفقه يمنح الدارس له، القدرة على معرفة الأحكام الشرعية، والفهم الصحيح للنصوص الشرعية؛ بتطبيق القواعد الأصولية الكلية على الأدلة التفصيلية، واستخراج الأحكام منها مما يجعل الفهم للأحكام فهما علميا صحيحا.

~ وعلم أصول الفقه يعين على فهم العلوم الأخرى؛ كالقرآن والحديث والفقه والقانون. لأنه وسيلة منهجية في فهم النص، فهو بهذا مناهج قويم لفهم العلوم المختلفة، ولبنية أساسية في تكوين شخصية العالم.

~ وبه تتم معرفة طرق استنباط الأئمة، والوقوف على مأخذهم حتى تفهم أحكامهم، وبذلك يتسع الصدر للخلاف الفقهي الحاصل بين العلماء، ولاتضيق النفوس به ذرعا.

~ كما تتم به معرفة أساليب ومناهج تنزيل الأحكام على الواقع بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية.

##### المطلب الثاني: الأهمية المنهجية:

إذا كان العقل منقادا للأهواء، مفكرا بغير منهج علمي؛ وجب الإرشاد إلى ضرورة الإصلاح والتقويم لهذا العقل، وإعادة تشكيله وفق قواعد العلم ومناهج المعرفة والفقه المتوفرة في علم أصول الفقه، لأن هذا العلم يضبط الفهم والاستنباط، ويمثل العقلية الإسلامية أفضل تمثيل. ويقدم مناهج التفكير الإسلامي المتكامل... فهو بهذا -يمثل القانون العقلي والفكري للمسلمين"<sup>2</sup>. وهو مدخل التجديد لدين الأمة لأن تجديد منهج التدين، يتم من خلال الفقه الصحيح، والفقه يضبط بمناهج الأصول.

و"علم أصول الفقه هو علم الأدلة، وعلم الاستدلال. فهو علم الأدلة، لأنه يعتني -أول وأكثر ما يعتني- بتحديد الأدلة الصحيحة المقبولة. ويثبت حجيتها. ويعرض للأدلة المظنونة أو الموهومة، والمختلف في حجيتها. ويعرض للأدلة المظنونة أو الموهومة، والمختلف في حجيتها، ليضعها حيث ينبغي أن توضع... وهو بهذا ينبه دارسه إلى أن كل شيء يجب أن يخضع للدليل. وأنه لا بد في هذا الدليل من صفة الحجية المقبولة، فليس كل "دليل" دليل. وهو

-إرشاد الفحول: 1/48<sup>1</sup>

<sup>2</sup>-حاجتنا إلى أصول الفقه لأحمد الريسوني مقال منشور بمجلة الهدى، العدد السابع والعشرون، ص: 26، 30.

علم الاستدلال، لأنه يعلم كيفية استخدام الأدلة، وكيفية ترتيب بعضها مع بعض، سواء بصفة إجمالية-كتقديم الكتاب على السنة، وتقديم الاجماع على القياس- أو عند التفصيل والتطبيق، كما في باب التعارض والترجيح.<sup>1</sup> ويستطيع الدارس لأصول الفقه الترجيح عند التعارض بناء على قاعدة: الأقوى يقدم على الأضعف. إذ أن من أهم وأنفع أبواب علم الأصول، في تكوين العقلية العلمية الشاملة:باب التعارض والترجيح. وهو باب يمكن الاستفادة منه في الحياة العملية بأكثر مما يفيد في الحياة العملية والنظرية. لأن الاعتماد على الترجيح مقبول عمليا أكثر مما هو مقبول علميا.<sup>2</sup>

ويكون الترجيح بقطعية أحد الدليلين، وكون أحد الدليلين أصلا شرعيا والآخر حكما جزئيا فيقدم الأصل، ويكون الترجيح باعتبار السند، وباعتبار المتن وغير ذلك. ومنه الموازنة والترجيح بين المصالح، ومعناه: أن توازن لنرى أوزن الأمرين من حيث الصلاح والنفع، ولنرى أوزن الأمرين من حيث فساده وضرره، فيترجح الراجح، ويظهر المرجوح.<sup>3</sup>

### المطلب الثالث: الأهمية التشريعية:

إن هذا الإبداع العلمي المنهجي (أعني علم أصول الفقه)، كان ثمرة لقناعة العلماء بأن لكل واقعة تنزل بالناس حكما في شرع الله، فقد قال الشافعي مؤسس علم أصول الفقه: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. قال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [إبراهيم/1]﴾»، وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل/44]﴾، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ [النحل/89]﴾<sup>4</sup>، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى/52]﴾<sup>5</sup>. وقال الجويني: «والرأي المبتوت المقطوع به عندنا، أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى. متلقى من قاعدة الشرع»<sup>6</sup>.

وليست هذه التصريحات من هؤلاء العلماء عارية عن الحجة العملية والبرهان التطبيقي، فقد أنتج أعلام الأمة عبر العصور فقها تطبيقيا، وخلفوا تراثا نفيسا بناء على أدوات اجتهادية متعددة، كما قال ابن رشد الجد: «فلانزلة إلا والحكم فيها قائم من القرآن، إمانص، وإما بدليل، علمه من علمه وجهله من جهله»<sup>6</sup>.

وها هوذا الشاطبي يرفض تعطيل الاجتهاد في أي زمان لأن إيقاف الاجتهاد يعد في نظره مرادفا لتعطيل الشريعة والتكليف، وهو محال! قال رحمه الله: «الوقائع في الوجود لا تنحصر، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوفا على حكمها ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو أيضا اتباع للهوى وذلك كله فساد فلا يكون بد من التوقف لا إلى غاية، وهو معنى تعطيل التكليف لزوما وهو مؤد إلى تكليف ما لا يطاق، فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان، لأن الوقائع المفروضة لا تختص بزمان دون زمان»<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - حاجتنا إلى علم أصول الفقه لأحمد الريسوني، مقال منشور بمجلة الهدى، مرجع سابق، ص: 29.

<sup>2</sup> - حاجتنا إلى علم أصول الفقه لأحمد الريسوني، مقال منشور بمجلة الهدى، مرجع سابق، ص: 29.

<sup>3</sup> - محاضرات في مقاصد الشريعة لأحمد الريسوني، دار الكلمة، القاهرة، طبعة أولى: 1431هـ-2010م، ص: 202.

<sup>4</sup> - النحل: 89.

وهكذا كان نهج العلماء الربانيين المحققين، التمسك بالاجتهاد كاستجابة حضارية لكل التحديات التي واجهها الفكر الإسلامي مع كل تطور للحياة في كل تاريخه،" فقد كانوا يلاحقون هذا التطور بإيجادهم الحلول الملائمة للحوادث التي تحل بالناس ، وتطراً على المجتمع ، فكان الفقهاء يقيسون النظر على النظر ، والفرع على الأصل ، يعملون فكرهم في النصوص ويستنتجون منها الأحكام ، ويستنبطون القواعد ، يشهرون ويرجحون ، ويخلصون إلى رأي في كل قضية إما جريا مع المصلحة ، أو درءا لمفسدة ، أو جريا مع الضرورة ، ولم يجمدوا مع النصوص ، ولا تحجروا مع الأقوال المشهورة في المذهب كما يزعم البعض ... فأثبتوا بذلك أن الفقه الإسلامي بما احتواه من أصول وقواعد ومبادئ عامة ، صالح لكل زمان ومكان ، وكفيل بإعطاء الحلول لكل ما يحدث من تطورات ومعضلات ، مادام التشريع الإسلامي احتوى على قدر هائل من القواعد تتدرج تحتها كل الجزئيات والتفصيلات التي يمكن أن تحدث مع مرور الزمان .

إن ما خلفه أسلافنا في هذا الباب ، يجعلنا نقف مع هذا الأثر وقفة إعجاب وتقدير لعقلية الفقهاء، الذين أعطوا الدليل على أن هذا الفقه ثابت بأصوله وقواعده ، ومتحرك بقياساته واستنباطاته ، يلبي حاجات الناس جميعا ، ويرضي تطلعاتهم ، وليس قاصرا كما يزعم أعداؤه وخصومه ، ويفتري عليه المفترون من المشتريين والمتفقيين<sup>1</sup>.  
**المطلب الرابع: الأهمية التعبديّة:**

طريق العلم طريق خير لا خير فوقه ولذلك كان طلب النبي ﷺ له: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا {طه/114} ﴾ .  
فالاشتغال بالعلم طالبا ونشرا، من أعظم العبادات في الدين، لذلك جاء التنصيص على فرضيته في نص الحديث النبوي، وبيان فضله وشرفه في الكتاب والسنة والآثار .

وخير العلم الفقه المشفوع بالخشية. لأن الفقه أفضل ما تستعمل فيه عوامل الأفكار ، وأنفس ماتتبعث إليه نفوس أهل الدراية ، لأنه العلم بالأحكام المنوطة بأفعال العباد ، والمبين للمعيار الشرعي الذي يترتب بحسبه الجزاء في الميعاد، فالاشتغال به تفقها و لأجل بيان شرع الله لعباده وتعليمهم ما يلزمهم معرفته بما يحقق عبوديتهم وحقيقة خلافتهم من أجل الأشغال.

وهذه الفوائد دليل كبير على عظمة هذا العلم، ودافع قوي للعناية والاشتغال به؛ فقد قال ابن الجوزي: "أعظم دليل على فضيلة الشيء النظر إلى ثمرته. ومن تأمل ثمرة الفقه علم أنه أفضل العلوم"<sup>2</sup>. قال الشاعر:  
والعمر عن تحصيل كل علم \*\*\* يقصر فابدأ منه بالأهم  
وذلك الفقه فإن منـه \*\*\* ما لا غنى في كل حال عنه

فخير الناس أهل الفقه والخلق الرفيع لقوله ﷺ: « خيركم إسلاما؛ أحاسنكم أخلاقا إذا فقهوا »<sup>3</sup>. وقال ﷺ:  
"من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"<sup>4</sup>.

ولقد « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم ؟ قال : ( أكرمهم عند الله أتقاهم ) . قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : ( فأكرم الناس يوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله ) . قالوا :

1- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي لعمر الجبدي:105.

2 - صيد الخاطر لابن الجوزي:125.

3 - الراوي: أبو هريرة. المحدث: الألباني - المصدر: صحيح الأدب المفرد - الصفحة أو الرقم: 218. خلاصة الدرجة: صحيح.

4 - أخرجه البخاري، في الجامع الصحيح، كتاب الخمس، باب قوله تعالى: "فإن لله خمسة وللرسول" حديث رقم: 3116، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق" يقاتلون وهم أهل العلم، حديث رقم: 7312.

: ليس عن هذا نسألك ، قال : ( فعن معادن العرب تسألونني ) . قالوا : نعم ، قال : ( فخيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام ، إذا فقهوا ) .<sup>1</sup>

قال الشافعي: "فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه (أي كتاب الله)، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصا واستنباطا، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه.

فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالات، ووقفه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه وديناه، وانتقت عنه الريب، ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة<sup>2</sup>. والفقه لا يحصل بالتمني أو الأحلام وإنما طريقه القواعد العلمية الموصلة إلى دراية أحكامه، وهو علم أصول الفقه نفسه.

#### المبحث الثاني: قضايا علمية ومنهجية لتجديد الخطاب الديني:

إن متطلبات تجديد الخطاب الديني وضروراته تقتضي التركيز على قضايا بعينها في الدرس الأصولي والفقهية، وأهمها- في نظرنا-:

1. الوصل بين الفقه وأصول الفقه (أي ربط الدرس الفقهي بمنهج الفهم والتطبيق معا).
2. إرجاع الفروع إلى أصولها وربطها بكلبات الشريعة ومقاصدها.
3. التفريق بين الاقتضاء الأصلي والاقتضاء التبعية للحكم الشرعي في تعاملنا مع نوازل المجتمع.
4. استخراج قواعد تطبيق الحكم الشرعي من النوازل الفقهية.
5. التركيز على الجانب التطبيقي للعلوم الشرعية.

تلك هي القضايا التي سنتناولها في مبحثنا هذا ، لقناعتنا الراسخة بأن تجديد الخطاب الديني يقتضي العناية بالقضايا المنهجية، والأبعاد العمرانية للعلوم الإسلامية، والله المستعان.

#### المطلب الأول: الوصل بين الفقه وأصول الفقه (أي ربط الدرس الفقهي بمنهج الفهم والتطبيق معا)

أي الجمع بين الفقه وأصوله في الدراسة والتدريس والبحث العلمي، وذلك في إطار مقاصد الشريعة، بما يجعل أصول الفقه علما تطبيقيا فعلا بعيدا عن الجدال الكلامي العقيم، وتجاوز النظرة القديمة القاصرة على حفظ الفروع لأن هذا الأسلوب يفقد الدرس الفقهي علميته، ويعزله عن منهجه، ولا يخرج علماء مجتهدين.

فالتجديد ههنا بشأن هذه القضية هو إحياء لما كان قبل أي منذ القرن الثاني الهجري، حيث كان أصول الفقه "مندمجا مع الفقه اندماجا عضويا لا ينفصل عنه، لأنه منطلقه وقاعدته ووعاؤه. فلما توقفت الحياة وانتهت حركة الحضارة وأخذت طريقها نحو الانحدار التدريجي، توقف الفكر الفقهي عن متابعة الحياة ورفد الحضارة، وانفصل علم أصول الفقه عن فروعه، فتحول إلى موضوع مستقل مقطوع الصلة بالحياة"<sup>3</sup>.

مما أفرز إشكالات كثيرة ناقشها الفكر الإسلامي القديم و المعاصر من مثل: علاقة الثابت بالمتغير! ومدى قدرة الفقه الإسلامي على مواكبة مستجدات العصر! مما اتخذ البعض ذريعة للدعوة لتعطيل الشريعة، والتخلص من أحكام الدين و"قيود" القيم الأخلاقية، فكان الإدلاء بعلم أصول الفقه بشقيه النظري والتطبيقي، جوابا علميا منهجيا، أجاب من خلاله علماء الأمة عن هذا الإشكال المعرفي والمنهجي قديما وحديثا.

<sup>1</sup> - رواه البخاري في الجامع الصحيح: كتاب تفسير القرآن؛ حديث رقم: 4689.

<sup>2</sup> - الرسالة: 92.

<sup>3</sup> - أزمة المتقنين تجاه الإسلام في العصر الحديث للدكتور محسن عبد الحميد، ص: 113.

لكن لا يجب الوقوف عند حد الإعجاب بما خلفه السلف من علم، بل لابد من دراسة هذا التراث وإزالة الحجب عن طرق ومناهج تعامل الفقيه مع النص الشرعي، وكيف يوظف علم أصول الفقه في إنتاج الفقه، استنباطاً وتنزيلاً، بل يمكن الاستفادة من هذا التراث لخدمة علوم أخرى<sup>1</sup>.

كما يجب أن ننتبه إلى الثغرات التي يعرفها الفقه التراثي، والتي تحتاج إلى رتق<sup>2</sup> - خاصة فقه النوازل - من مثل اتجاهه إلى الجوانب الفردية في حياة المسلم على حساب الجوانب الاجتماعية، واشتغاله بمجال العبادات والمعاملات أكثر من عنايته بالجانب السياسي والاقتصادي والإداري، وما شهدته في عصر التقليد من ركود؛ ارتبط فيه النظر الفقهي بالفروع عوض الأصول، واعتماد أقوال الرجال عوض الاستدلال، كما قال الحجوي الثعالبي - واصفاً حالة الإفتاء في العصور المتأخرة -: "وغالب هذه الكتب التي يُفتى منها سرد الفروع بدون دليل إلا ما كان من الموطأ وشروحه والمدونة، وإنني لياخذني العجب عند مطالعة فتاوى المتأخرين يأتون بالحكم مُوجهاً بتوجيه فكري ساذج من غير استدلال عليه بنص"<sup>3</sup>، ونتج عن هذا الوضع خلو الثقافة الشرعية من العلوم المنهجية التي تساعد على الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية وتنزيلها مثل علم الخلاف وأصول الفقه، ومقاصد الشريعة بالخصوص، مما أفضى إلى جمود الفقه وتأخره، "وأشأم ما نشأ عنه مسألة الحيل، التي ولع بها الفقهاء بين أكثر ومقل"<sup>4</sup>. مما يجعل من واجبات العمل العلمي العناية بهذا التراث الفقهي لهذه المرحلة دراسة وتأصيلاً وتجديداً، عملاً بمقتضى قول القرافي: "الجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضيين"<sup>5</sup>.

و إن من دواعي ومبررات ربط الفقه بأصول الفقه في إطار مقاصد الشريعة؛ أن المقصود من تنزيل الحكم الشرعي تحقيق غاياته التشريعية وليس المقصود تطبيق الحكم كيفما اتفق، وإنما لابد من الاجتهاد في تتبع المقصد الشرعي لأنه هو المراد أصالةً من تشريع الحكم ومن وضع الشريعة ككل، ولأن الحكم الشرعي يستمد قيمته التشريعية من مقصده.

إن ربط الفقه بأصول الفقه بعمقه المقاصدي تملية طبيعة الشريعة التي جعلت لمصالح العباد ومنافعهم، كما قال الشاطبي: "إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والأجل معا"<sup>6</sup>، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ {الأنبياء/107} ﴾، وكما قال الناظم:

"الدِّينُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمَصَالِحِ فِي جَلْبِهَا وَالذَّرْعُ لِلْقَبَائِحِ"<sup>7</sup>

ثم طبيعة الحوادث والمستجدات التي تتطلب المعالجة الشرعية لها وفق المنظور المقاصدي المتين، إذ تدعو "الضرورة الواقعية في الوضع الراهن إلى التركيز على المقاصد الشرعية... حتى تكون الصياغة المقصدية للشريعة محققة في الواقع للأغراض الاجتماعية، حيث أصبحت الحياة اليوم تمتد فيها العلاقات الاجتماعية، وتتكتف بما لم يكن معهوداً من قبل، فنشأ من النوازل والأوضاع... ما يستلزم في سبيل تنزيل الشريعة عليها، تنشيط البحث في المقاصد الشرعية.. لصياغة الأحكام بحسبها، وتوجيهها في سبيل إثراء الفقه الاجتماعي وإنضاجه

8"

1- ذكر الدكتور وهبة الزحيلي أهمية توظيف أصول الفقه في المقارنة بين الأديان السماوية، وذكر إمكانية الاستفادة من آليات أصولية كالمقاييس في تفسير القوانين الوضعية وذلك في مقدمة كتابه (أصول الفقه الإسلامي).

2- في اللغة الرتق: إلحام الفتق وإصلاحه.

3- الفكر السامي: 4/492.

4- أليس الصبح بقريب لمحمد الطاهر ابن عاشور: 174.

18- الفروق للقرافي المتوفى سنة 684هـ: الفرق الثامن والعشرون: 1/322، 323. الموافقات: 2/5-6.

7- رسالة في القواعد الفقهية للعلامة عبد الرحمان بن ناصر السعدي: 4.

8- في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية للدكتور عبدالمجيد النجار: 71-72. v.

ف تطبيق الشريعة -اليوم- يستلزم حركة علمية شرعية عميقة، تثمر فقهاً منهجياً تطبيقياً مقاصدياً، يرشد تنزيل الشريعة على واقع المسلمين.

وقد أشار علماء ومفكرون في مؤلفاتهم وعبر ندوات ومحاضرات إلى ضرورة العناية بالفقه في بعده المقاصدي، من ذلك قول أبي حامد الغزالي في إحيائه-عن شروط العالم-: "أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته، وإدراكه بصفاء قلبه، لا على الصحف والكتب، ولا على تقليد ما يسمع من غيره، وإنما المقلد صاحب الشرع عليه السلام، فيما أمر به وقاله، وإنما يقلد الصحابة من حيث إن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ". ثم إذا قلّد صاحب الشرع في تلقّي أقواله وأفعاله بالقبول، فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسرارهِ، فإن المقلد إنما يفعل الفعل، لأن الرسول فعله، وفعله لا بد أن يكون لسرِّ فيه، فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال، فإنه إن اكتفى بحفظ ما يُقال كان وعاءاً للعلم ولا يكون عالماً<sup>1</sup>. إن توجيه الغزالي العلماء للاهتمام بأسرار الشريعة هو نداء لربط الفقه بالمقاصد في اجتهاد الفهم، واجتهاد التطبيق معاً.

ومنه ما ختم به أحمد الريسوني، رسالته "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، إذ أوصى فيها باستخراج ودراسة الفكر المقاصدي في الفقه الإسلامي، وكيف يتم ذلك؟ وإلى أي حد<sup>2</sup>؟

و من دوافع العناية بمقاصد الشريعة وتطبيقاتها -علاوة على ماسبق-، ما يعج به واقع الصحوة الإسلامية العامة من ظاهرية حرفية؛ تباين سعة التشريع ومقاصديته، فتتفرع عوض أن تبشّر، وتُعسر على الناس شرع الله عوض أن تُيسر. وماذا إلا بسبب الغفلة عن هذا الصرح العظيم؛ مما نتج عنه تجريد النصوص عن مقاصدها وحكمها، والجمود على حرفيتها؛ مما أفسد تكاملها وترابطها، وصرفها عن دلائلها العميقة، ومعانيها الدقيقة، ففشا الخلل والتخبط.

لكن تعترضنا مشكلة علمية ونحن ندرس الفقه وأصول الفقه، وهي نقصان الشق التطبيقي لهذا العلم بيانا وتصنيفا، أي قواعد تطبيق الأحكام الشرعية، وهذا ما سنتناوله في المحور الآتي.

### المطلب الثاني: استخراج قواعد تطبيق الأحكام الشرعية من النوازل الفقهية

إن واقع البحث العلمي في حاجة ماسة إلى البحث والتصنيف في فقه تطبيق الأحكام الشرعية، وبيان مقوماته، ومجالاته التطبيقية؛ لتتضح معالمه وتتضح قضاياه.

ويبرز العمل الفقهي الاجتهادي بما يحمل من عدة أصولية منهجية وعتاد ثقافي، في ميدان الفتوى والنوازل أكثر من الفقه التقريري المجرد. لذلك فغياب قواعد التنزيل ميسرة ومصنفة، يستلزم العمل على استجلائها مما كتب نظرياً، خاصة في مصنفات بعض الفقهاء الأصوليين كالجويني والغزالي والعز بن عبد السلام والقرافي و الشاطبي، وكذلك استخراجها وبيان تطبيقها في فتاوى فقهاء الأمة ونوازلهم الفقهية، من أجل تمثل ما في التراث الأصولي الفقهي من منهج تطبيقي للشريعة، للاستفادة منه لأجل إنضاج فقه منهجي في التطبيق الشرعي يبنى عليه التطبيق العملي المنشود.

قال فريد الأنصاري: "إننا في حاجة إلى تكميل أصول الفقه بقواعد، تضمن بناء مراتب التشريع... المتعلقة بترتيب التفكير الفقهي، الضابطة لمراحله الذهنية، بدءاً بمرحلة الفهم للنص: كيف يتم؟ ثم مرحلة الاستنباط منه: كيف تقع؟ ثم مرحلة التحقيق للمناط: كيف تنتزل أحوالها ومآلاتها بين العموم والخصوص؟ وما يعترى كل ذلك من تقديم وتأخير، أو استثناء وتخصيص، للأدلة بعضها على بعض، إلى غير ذلك من سائر الأحوال، والممكنات

22- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى سنة 505هـ): 94/1. وقد نقل هذا النص أبو زيد المذكور في متن نازلة ذكرها صاحب "المعيار الجديد" في: 528/6.  
23- ينظر خاتمة كتاب: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني، : 369.



الاستدلالية في الدرس الأصولي والمقاصدي. ثم أيضا القواعد المقعدة لقوة التحقيق والتطبيق على الواقع الإنساني، وميزان أولوياتها على وزان قوة الحكم الشرعي<sup>1</sup>.

وإذا كان الأصوليون قد أحكموا النظر في دليل الحكم-أي منهج الفهم-، بمناهج وآليات ونظريات علمية دقيقة، فإن النظر في مناهج الحكم وواقع تنزيله-أي منهج التطبيق-، لم يعرف هذا المستوى من الإحكام المنهجي والضبط العلمي، إلا مع الشاطبي.

لذلك نجد النظر الأول وهو الاجتهاد الخاص ببيان الحكم الشرعي وتثقيده منهج فهمه، في كتب الفقه النظرية، وكتب أصول الفقه، التي وضعها أعلام الفقه الإسلامي وأصوله، في كل المذاهب الفقهية . أما النظر الثاني، فلم يحظ بنفس الدرجة من الاعتبار في مصنفات أصول الفقه، باستثناء إشارات في مصنفات أصولية للجويني خاصة في كتابه "البرهان"، والغزالي في كتابه "شفاء العليل" و"المستصفى"، والقرافي في كتابه "الفروق"، والعز بن عبد السلام في كتابه "قواعد الأحكام"، وتفصيل منهجي محكم عند الشاطبي في كتابه "الاعتصام" و"الموافقات".

وهذا لا يعني أن هذا العلم كان مفقودا في الأمة، بل إن هذا الفقه كان حاضرا منذ القرون الأولى على مستوى التطبيق، دلّ على ذلك الاجتهادات المقاصدية للخلفاء الراشدين، وتنزيلات الأئمة المجتهدين للأحكام على وقائع زمانهم، خاصة منهم عمر بن الخطاب؛ الذي امتنع عن تنزيل جملة من الأحكام الشرعية لانعدام المناط الموجب للتنزيل، كما أتى بأحكام غير منصوصة؛ بناء على مقاصد الشريعة وكلياتها وما يقتضيه التطبيق المقاصدي للشريعة. فمن الصنف الأول: إيقاف سهم المؤلفة قلوبهم، وعدم تنفيذ حد السرقة عام المجاعة . ومن الصنف الثاني: إدخال الديوان في مؤسسة الدولة، وليس ذلك إلا لما أبصره رضي الله عنه من حكمة التشريع ومقاصده<sup>2</sup>.

وبرغم وجود هذا الفقه، إلا أنه لم يدون علما له قواعده وبقي محفوظا في صدور العلماء، وحاضرا في اجتهاداتهم. فاكتفوا به كملكة عقلية واجتهاد عملي، واقتصر الفقهاء على تدوين الأحكام المجردة في موسوعات ميبوة حسب الموضوعات الفقهية، أما الأصوليون فعملوا على تدوين قواعد استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها، دون الالتفات إلى قواعد تنزيل هذه الأحكام.

يقول الجويني: "والمختار عندنا أن المفتي من يسهل عليه درك أحكام الشريعة"<sup>3</sup>. فحصر مهمة المفتي في إدراك الأحكام الشرعية فقط! ونفس المعنى ذكره عند تعريفه المفتي بقوله: "المفتي من يستقل بمعرفة أحكام الشريعة نصا واستنباطا"<sup>4</sup>، دون زيادة "وتطبيقا" أو "تنزيلا"!

وهذا ما ذكره مؤرخ العلوم ابن خلدون في مقدمته بقوله- في شأن علم أصول الفقه-: "هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة، وكان السلف في غنية عنه بما أن استقادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى مزيد مما عندهم من الملكة اللسانية. وأما القوانين التي يُحتاج إليها في استقادة الأحكام خصوصا، فمنهم أخذ معظمها... فلما انقضى السلف وذهب الصدر الأول، وانقلبت العلوم كلها صناعة كما قررناه من قبل؛ احتاج الفقهاء والمجتهدون إلى تحصيل هذه القوانين والقواعد، لاستقادة الأحكام من الأدلة؛ فكتبوها فنا قائما برأسه سموه أصول الفقه"<sup>5</sup>. فانظر كيف تحدث صاحب المقدمة عن قواعد الاستنباط فقط !

<sup>1</sup> - الفطرية لفرید الأنصاري: 225، 226.

<sup>2</sup> - ينظر كتاب: منهج عمر بن الخطاب في التشريع للدكتور محمد بلتاجي.

<sup>3</sup> - البرهان في أصول الفقه للجويني: 870/2.

<sup>4</sup> - البرهان: 870/2.

<sup>5</sup> مقدمة ابن خلدون: 454، 455.



وقد أشار الشاطبي في موافقاته، إلى هذه الثغرة في التصنيف العلمي عند السابقين، عندما رأى من الضروري بيان أدلة مشروعية وصحة هذا النوع من الاجتهاد-أي تحقيق المناط-؛ لإغفال العلماء له، بقوله-بعد البيان-: "وماتقدم وأمثاله كاف مفيد للقطع بصحة هذا الاجتهاد، وإنما وقع التنبيه عليه لأن العلماء قلما نبهوا عليه على الخصوص، وبالله التوفيق"<sup>1</sup>.

لذلك وانطلاقاً من وعيه بالحاجة العلمية للتصنيف في هذا الفن؛ قام الشاطبي بسد الثغرة، فالتزم في مشروعه العلمي بالعبارة بطرفي الاجتهاد استنباطاً وتنزيلاً، وهذا ظاهر في مصنفاته. وانظر كيف وضع تعريفاً للمفتي على خلاف سابقه فقال: "المفتي قائم في الأمة مقام النبي والدليل على ذلك أمور: أحدها النقل الشرعي... والثاني أنه نائب عنه في تبليغ الأحكام... والثالث أن المفتي شارع من وجه، لأن ما يبلغه من الشريعة إما منقول عن صاحبها، وإما مستنبط من المنقول. فالأول يكون فيه مبلغاً، والثاني يكون فيه قائماً مقامه في إنشاء الأحكام. وإنشاء الأحكام إنما هو للشارع، فإذا كان للمجتهد إنشاء الأحكام بحسب نظره واجتهاده؛ فهو من هذا الوجه شارع واجب اتباعه والعمل على وفق ما قاله، وهذه هي الخلافة على التحقيق، بل القسم الذي هو فيه مبلغ لا بد من نظره فيه من جهة فهم المعاني من الألفاظ الشرعية، ومن جهة تحقيق مناطها وتنزيلها على الأحكام، وكلا الأمرين راجع إليه فيها فقد قام مقام الشارع"<sup>2</sup>. فحدد وظيفة المجتهد الاجتهادية في فهم النصوص، وتحقيق مناطاتها لأجل تطبيق مادلت عليه من أحكام في حياة الناس. وقال في موضع آخر من موافقاته محددًا ارتباط الأدلة بالواقع: "لا بد... من أخذ الدليل على وفق الواقع بالنسبة إلى كل نازلة"<sup>3</sup>.

وهكذا فإذا كانت قواعد الاستنباط قد دونت من طرف العلماء - كما سبق ذكره-؛ فإن منهج تطبيق الأحكام الشرعية لم يحض بنفس العناية، لكن مع ذلك يمكن تلمسه في الفقه التطبيقي الذي تحفل به كتب النوازل على مر الأزمان والعصور.

ذلك أن فقه النوازل هو المجال العلمي الذي يتفاعل فيه الحكم الشرعي مع الواقع، وتتجمع فيه العلوم النقلية والعقلية لتتصهر في عملية تطبيق الحكم على محله، بالكيفية التي يتحقق فيها المراد الشرعي من الحكم. قال عبد المجيد عمرالنجار: "إن هذه الممارسة-أي المعالجة الشرعية لواقع الناس بواسطة الإفتاء والاجتهاد- على عهد الاجتهاد خاصة، اشتملت على وجوه من المعالجة التطبيقية للشريعة أثرت بكثير مما سجله علم أصول الفقه في التنظير المنهجي، فهذا العلم بما آل إليه من التوقف عند القرن الخامس، قصر عن أن يستوعب تنظير ما جرت به الممارسة الفقهية الواقعية المدونة، خاصة في كتب الفتاوى والنوازل؛ ولذلك فإننا نحسب أن هذه الكتب التي أهملت في مجال الاهتمام الفقهي العام، تتطوي على كنوز من فقه التطبيق الشرعي، وإن إحياءها واستخراج هذا الفقه منها لينطوي على عظيم الأهمية في سبيل إعادة المنهجية لتطبيق الشريعة في واقعنا الراهن، على أساس من العلم المرشد لا على أساس من العاطفة الجامحة"<sup>4</sup>.

فالتعريف بأساليب ومناهج الفقهاء في الاجتهاد وطرق وكيفيات تنزيل النص على الواقع، وكيفية مراعاة مقاصد الشريعة وأحكامها بالنظر إلى حال الزمان وأهله. من متطلبات البحث العلمي في الدراسات الإسلامية.

إن خلو التراث الأصولي من بيان واف لقواعد تعرف بطريقة التطبيق للأحكام الشرعية، وبالمصير الواقعي لعلاقة الحكم بمقصده، يعتبر أكبر الثغرات في علم التطبيق المقاصدي، وربما عادت كثير من المزالق في الاجتهادات الفقهية، قديماً وحديثاً، إلى هذه الثغرة. لكن العكوف على التراث التطبيقي لاستخلاص المنهج وأدوات بناء المعرفة

الموافقات: 62/4،<sup>1</sup>

الموافقات: 149، 148/4،<sup>2</sup>

ن.م: 53/3،<sup>3</sup>

32-فصول في الفكر الاسلامي بالمغرب لعبد المجيد عمر النجار: 187، 188.

الشرعية، قد يكون المخرج من الأزمة، إذ أننا لانعاني في تراثنا من خصائص في المعرفة بقدر ما نعاني من حاجة شديدة إلى أدوات بنائها، وكثير منها سكت عنه الأوائل.

### المطلب الثالث: إرجاع الفروع إلى أصولها وربطها بكليات الشريعة ومقاصدها

إن من أسباب ركود الفقه في تاريخه أن اتجه نحو المنحى الفروع، والجمود على الآراء الفقهية المأثورة عن أئمة المذاهب وتلامذتهم، مما أفضى إلى تعطيل الاجتهاد والمنهج السليم في التفقه في الدين، وخلق حالة من القصور في الاستنباط لعدم إعمال أصول الفقه في العمل الفقهي، وعدم توظيف العلم لتلبية حاجات الأمة. من هنا تأتي ضرورة النهوض بالبحث الفقهي عن طريق العناية بالكليات، والمعاني الكبرى، بدل التيه وراء الجزئيات التي لا تنتهي، كما قال محمد الروكي: "الجزئيات محكومة بالكليات، والفروع تابعة لأصولها، فإذا حصلنا الكليات وضبطنا الأصول؛ ملكنا الهيمنة على الجزئيات والفروع بامتلاك أزمته... وهذا الفكر التعقيدي لا تقتصر الحاجة إليه في النظر إلى التراث وتقويمه فقط، بل حتى في توظيفه وتنزيل المستخلص منه على الواقع"<sup>1</sup>. وهي كليات "يمكن الاحتكام إليها والاستمداد منها فيما لانهاية له من القضايا والحوادث والمشاكل التي تجد وتتكاثر في كل يوم وفي كل مكان، مما ليس له حكم خاص به وصريح فيه"<sup>2</sup>. لذلك يفزع الفقهاء عندما يستفتون في نوازل كثيرة إلى كليات الشريعة كحفظ النفس وحفظ المال والإصلاح والمنفعة، مما يدل على كون هذه الكليات حاكمة لما استجد من مشكلات فهي أصول لكل ما يندرج تحتها من الفروع والجزئيات، سواء كان منصوصاً أو غير منصوص.

ثم إن الأحكام الشرعية لا تستقيم بلانظر في قواعدها وأصولها، من هنا نرى كيف كان فقهاؤنا يعتمدون على كليات الأحكام الجزئية، ويرون ضرورة مراعاتها، عند إجراء الدليل في محله، وذلك وفق قاعدة وضع الجزئي في نطاق الكلي؛ كما قال الشاطبي: "فمن الواجب اعتبار تلك الجزئيات بهذه الكليات عند إجراء الأدلة الخاصة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، إذ محال أن تكون الجزئيات مستغنية عن كلياتها، فمن أخذ بنص مثلاً في جزئي معرضاً عن كليها فقد أخطأ"<sup>3</sup>.

لأن النازلة الجزئية قد يتخلف فيها مقصد حكمها الكلي عليها، فلا يجري عليها ذلك الحكم؛ فيتم إسقاط الحكم وعدم إيقاعه على النازلة لتخلف الحكمة في الحكم الجزئي، كأن يفرض تطبيق الحكم إلى ضرراً، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»<sup>4</sup>، بمعنى أن التشريع الاجتهادي الفروع المفضي إلى الإضرار بالغير فرداً كان أو مجتمعاً، غير مشروع في الإسلام.

ثم إن المقصود من النظر في الجزئيات التوصل إلى المعنى الكلي. فمن مقتضيات التطبيق المقاصدي للحكم الشرعي استحضار المجتهد كليات الشريعة ومقاصدها، وهو ينظر في الأدلة الجزئية ليكون الحكم المستنبط منها، مبنياً عليها أي على الأدلة الكلية.

وقد يتم الاستناد إلى المعنى الكلي عند عدم الدليل النقلية الجزئي في نفس الواقعة للحكم عليها، وهو ما يصطلح عليه بالمصالح المرسلية، وهذا ما مثل له الشاطبي بقوله: "جمع المصحف كان مسكوتاً عنه في زمانه

<sup>1</sup> من تعقيب الدكتور محمد الروكي على ورقة الدكتور عبد المجيد النجار: مبادئ أساسية في تقويم التراث، قدمت في الدورة التدريبية: "نحو منهجية للتعامل مع التراث الإسلامي. دورة علمية تدريبية لفائدة الأساتذة الباحثين في التراث العربي الإسلامي. أيام: 17-23/6/1417هـ-10/30-11/5/1996م، طبع معهد الدراسات المصطلحية بفاس، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، طبعة أولى: 1421هـ-2000م.

- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية للدكتور أحمد الريسوني: 33. 2  
الموافقات: 6/3. 3

<sup>4</sup> حديث صحيح أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الأفضية، باب القضاء في المرفق، حديث رقم (1461). وأخرجه ابن ماجة موصولاً في السنن، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، الحديث رقم: (2341).

عليه الصلاة والسلام، ثم لما وقع الاختلاف في القرآن وكثر حتى صار أحدهم يقول لصاحبه: أنا كافر بما تقرأ به، صار جمع المصحف واجبا ورأيا رشيدا في واقعة لم يتقدم بها عهد، فلم يكن فيها مخالفة، وإلا لزم أن يكون النظر في كل واقعة لم تحدث في الزمان المتقدم بدعة، وهوباطل باتفاق؛ لكن مثل هذا النظر من باب الاجتهاد الملائم لقواعد الشريعة، وإن لم يشهد له أصل معين وهو الذي يسمى المصالح المرسله<sup>1</sup>.

وفائدة هذا المنهج تظهر في أن تطبيق الحكم الشرعي الجزئي قد يكون آيلا لما فيه مفسدة، بسبب ظروف خارجية تلابسه، لا بسبب تطبيق الحكم في ذاته. لتخلف مقصد الحكم الكلي، فلا يطبق الحكم الأصلي للواقعة، ويتم إسقاطه وعدم إيقاعه على النازلة، واستبداله بغيره، لتخلف الحكمة في الحكم الجزئي.

وهكذا فالأحكام الشرعية قد تتخلف مقاصدها عند تطبيقها على بعض النوازل والأوضاع الواقعية؛ لما يحفها من ملايسات، تجعل الغرض من الحكم منفصلا عنه في العمل، وإن كان لازما له في النظر.

ومثال ذلك في أحكام الحدود، حيث لاتقام الحدود في حالة الغزو لما قد يؤول إليه هذا الإجراء من مفساد تعود على أصل الدين بالضرر.

**المطلب الرابع: التفريق بين الاقتضاء الأصلي والاقتضاء التبعي للحكم الشرعي في تعاملنا مع نوازل المجتمع**  
إن من الأدوات المنهجية في التطبيق المقاصدي للحكم الشرعي، معرفة أن الحكم الشرعي له اقتضاءان: أصلي وتبعي، وأن معرفة واقع النازلة هو الذي يفيد في تحديد أي الاقتضاءين يناسب حكم النازلة، ليتحقق مقصده الجزئي أو المقصد الكلي العام، لأن الاعتماد على مجرد الاقتضاء الأصلي للحكم الشرعي في كل الأحوال والنوازل، هو إلغاء لمقوم أساسي من المقومات المنهجية للتطبيق المقاصدي، لارتباطه بفقہ الواقع واعتبار القرائن والأحوال والمناطات والمآلات.

يقول الشاطبي: "اقتضاء الأدلة للأحكام بالنسبة إلى محالها على وجهين، أحدهما: الاقتضاء الأصلي قبل طرؤ العوارض، وهو الواقع على المحل مجردا عن التوابع والإضافات؛ كالحكم بإباحة الصيد والبيع والإجارة، وسن النكاح، وندب الصدقات غير الزكاة وما أشبه ذلك.

والثاني الاقتضاء التبعي: وهو الواقع على المحل مع اعتبار التوابع والإضافات؛ كالحكم بإباحة النكاح لمن لا أرب له في النساء، ووجوبه على من خشي العنت، وكرهية الصيد لمن قصد فيه اللهو، وكرهية الصلاة لمن حضره الطعام أو لمن يدافعه الأخبثان. وبالجملة: كل ما اختلف حكمه الأصلي لاقتتران أمر خارجي<sup>2</sup>.

فلا بد عند إجراء الأدلة من على الوقائع والنوازل من التفريق بين الاقتضاءين الأصلي والتبعي، ومفاد قول الشاطبي أن المحل إذا كان مطلقا لم يقترن بتوابع وإضافات معتبرة، فالبناء على تنزيل الحكم عليه يكون على الاقتضاء الأصلي، بأن نجري الدليل على إطلاقه، بخلاف إذا كان المحل مقترنا بتوابع وإضافات معتبرة ومؤثرة، فلا بد من أخذها بعين الاعتبار أثناء الاستدلال.

فعندما ينظر المجتهد في الواقعة ويتصورها تصورا صحيحا ويصنفها تصنيفا مقاصديا يلوذ إلى الأدلة ليعرض عليها النازلة، ويطبق الحكم على النازلة. وهو في هذا الإعمال للأدلة يراعي، إجراء هذا الدليل ضمن إطاره المقاصدي، و التمييز بين الاقتضاء الأصلي، والاقتضاء التبعي، وتحديد المطلوب شرعا.

إن من الثغرات المنهجية في الفقه المعاصر لدى كثير من الباحثين وأهل العلم والدعاة، الإفتاء بناء على الاقتضاء الأصلي للحكم الشرعي وطرح الاقتضاء التبعي جانبا، مما يستلزم بيان هذا الخلل، وعناية البحث العلمي بهذه القضية المنهجية الضرورية في عملية الإفتاء.

الموافقات: 253/2. <sup>1</sup>

الموافقات: 50/3. <sup>2</sup>

وهنا مطلب ضروري في موضوع النظرة التجديدية للعمل الفقهي الاجتهادي وهو اندماج هذا العلم وأهله في مجالات معرفية أخرى يقتضيها النظر في الوقائع، سواء باعتبار الاقتضاء الأصلي أو التبعية للحكم الشرعي، فيشترط في المتصدر للفتوى علمه بالعصر الذي هو فيه، وإطلاعه على أحوال الناس وعاداتهم، ونفسياتهم، وانفتاحه على علوم أخرى، أو استدعاء خبراء ومتخصصين لمعالجة نازلة ما، لذلك نجد في متن كثير من النوازل ما يدل على ذلك؛ فقد قال المسناوي أثناء جوابه عن نازلة في الرهن: "لاشك أن عقود الرهان، مما غلب عليها الفساد في هذا الزمان، كما هو مشاهد بالعيان، وكثر التساهل في ذلك من المنتصبين للشهادة لغلبة الجهل ورقة الأديان، فقلما تجد أحدا يوقعها على الوجه الشرعي، ويعتبر فيها الشرط المرعي، بل يعقدونها على صورة الحق والصواب، وهي في نفس الأمر سراب، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل ما هم"<sup>1</sup>، فانظر كيف وصف النوازل حال أهل زمانه في معاملاتهم، مما يساعده على إصابة الحق في حكمه، إذ العلم بالأعراف والعوائد يعين على معرفة ما يوافق قواعد الشرع، وما يخالفه لتستقيم الفتوى.

وقال محمد بن علي الفلالي، مؤكدا على حسن النظر مع التحقيق في النوازل: "ونؤكد على متولي حكم النازلة أن يمعن النظر فيها ويثبت جهده"<sup>2</sup>. لذلك فمن الضروري دراسة الواقعة أو الحالة المعروضة درساً وافياً، بتحليل دقيق لعناصرها وظروفها وملابساتها في عملية الاجتهاد التطبيقي.

وهكذا فإذا كان لكل نازلة حكمها الشرعي علمه من علمه وجهله من جهله، فإن الواجب على النوازل فقه واقع النازلة؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره. فلا بد من تصور النازلة قبل الحكم عليها، كما قال الرهوني: "فلا بد ممن ابتلي بالحكم بين الناس من نظر خاص في كل نازلة نازلة تحدث بين يديه، فينظر فيها إلى حال المدعي والمدعى عليه، وإلا انقلبت المصلحة مفسدة"<sup>3</sup>.

ففهم النازلة هو ما يصطلح عليه فقه الواقع، و"المقصود بالواقع في هذا المقام الأفعال الإنسانية التي يراد تنزيل الأحكام عليها، وتوجيهها بحسبها، فهذه الأفعال الواقعة في مختلف مناحي التصرف في صبغتها الفردية والجماعية لا يمكن أن تنزل عليها أحكام الوحي لتوجيه مجراها، إلا بعد حصول العلم بها علماً يشمل مختلف أحوالها"<sup>4</sup>.

لذلك قد يستعين المجتهد هنا بتقارير الخبراء والمختصين من أجل التشخيص، بحسب نوع المحل، كما قال السجلماسي في نوازل العيوب من المعيار الجديد: "إن المرجوع فيه إلى البيطرة إنما هو عيوب الدواب، وأما عيوب آدمي فإنما يرجع فيها الأطباء، حسبما يظهر من مساطر الموثقين وكتب الأحكام"<sup>5</sup>. وكما قال ابن فرحون في الرجوع إلى أهل الاختصاص في مجالات مختلفة: "ويرجع إلى أهل الطب والمعرفة بالجراح في معرفة طول الجرح وعمقه وعرضه، وهم الذين يتولون القصاص... ويرجع إلى أهل المعرفة من الأكرياء في معرفة عيوب الدواب. وكذلك يرجع إلى أهل المعرفة في عيوب الدور، وما فيها من الصدوع والشقوق وسائر العيوب. ويرجع إلى أهل المعرفة من التجار في تقويم المتلفات وعيوب الثياب. ويرجع إلى أهل المعرفة من النساء في عيوب الفرج وفي عيوب الجسد مما لا يطلع عليه الرجال. وكذلك يرجع إلى أهل المعرفة بالجوائح وما ينقص من الثمار. وكذلك يرجع إلى أهل المعرفة بمسائل الضرر مما يحدثه الإنسان على جاره، أو في الطرقات وأنواع ذلك"<sup>6</sup>.

1- المعيار الجديد للوزاني: 92/6.

2- المعيار الجديد: 443/7.

3- المعيار الجديد: 412/7..228/5.

4- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل لعبد المجيد النجار: 112.

5- المعيار الجديد: 485/5.

6- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لابن فرحون: 81، 80/2.

فتحقيق المناط قد يكون المرجح فيه أهل تخصصات علمية ومهنية غير أهل الشريعة، وذلك بحسب المحل والواقعة، وهذا من الضوابط التي تجعل الفقه منفتحاً ومنمدمجاً مع غيره من العلوم الدنيوية.

### المطلب الخامس: التركيز على الجانب التطبيقي للعلوم الشرعية

لا بد من الاهتمام بقضية التطبيق في التعامل مع العلوم الشرعية؛ دراسة وبحثاً وامتنالاً، لأن هذه العلوم تجمع بطبيعتها بين النظر والتطبيق، ولأن رسالة الإنسان المسلم في هذا الكون مرتبطة بعمران الأرض بالخير والصلاح. كما قال الشاطبي: "كل علم شرعي ليس بمطلوب إلا من جهة ما يتوسل به إليه وهو العمل"<sup>1</sup>. إن التجديد في التراث الشرعي عموماً والأصولي خصوصاً يقتضي العناية بالقضايا المنهجية والجوانب التطبيقية والأبعاد العمرانية لهذا التراث، وغيره من تراث العلوم الإسلامية الأخرى، ومثال ذلك علم المقاصد فلئن كان من الباحثين والعلماء من اهتم بدراسة المقاصد من جهة تعريفها، ومضامينها ومبادئها، وأنواعها وأعلامها، ومنهم من اهتم بالناحية التاريخية وبيان جذورها الحضارية وأهميتها التشريعية. فإن جماع هذه الحصيلة شكلاً كسبياً معرفياً معتبراً ودفعاً معنوياً، أبرز نواحي مختلفة للمقاصد، مما يشجع على الإقدام على العناية بالناحية التطبيقية؛ ليشمل البحث العلمي كل الجوانب النظرية والتطبيقية.

وإننا لنجد في مشروع الشاطبي الأصولي نموذجاً للتجديد في أصول الفقه، عندما ركز على البعد التربوي لهذا العلم<sup>2</sup>، واعتبر الاجتهاد صناعة تربوية في الجوهر، والفتوى تعبيراً تربوياً إصلاحياً مما يصلح أن يكون مذهبه الإصلاحية ونظريته التربوية موضوعاً للدراسة والبحث. وقد جاء مشروع الشاطبي - كما ذكر فريد الأنصاري - كمرحلة ثالثة من مراحل أصول الفقه، إذ ابتدأ بمرحلة التأسيس وهي المرحلة البيانية مع الإمام الشافعي (المتوفى سنة 204هـ)، تلتها المرحلة المنطقية مع إمام الحرمين (المتوفى سنة 478هـ) وأبي حامد الغزالي (المتوفى سنة 505هـ). إن ما يهمننا هنا أن الشاطبي نحا بأصول الفقه منحى عملياً وقصد الإصلاح والتجديد لدين الأمة من باب العلم<sup>3</sup>، عكس مشروع الغزالي الأصولي البعيد عن الامتداد العملي والتربوي لعلم أصول الفقه الذي خلطه بالمنطق، وهو عمل غير محمود في الصناعة كما قال ابن عاشور<sup>4</sup>، في حين هاجم الشاطبي المنطق الأرسطي لكونه خارجاً عن مقتضى النظر الأصولي، الذي ينبني على قصد الامتنال، والبحث في الماهيات بحث فيما ليس تحته عمل، فحكم بعدم شرعية علم المنطق من خلال عرضه النقدي لقضية الحد، من باب إبطال ما لا ينبغي عليه عمل، وإخراجه من الدائرة الأصولية<sup>5</sup>. ولم ينفرد الشاطبي بهذه المعارضة فنجد أيضاً ابن تيمية وابن الصلاح وغيرهم بسبب أن المنطق الأرسطاليسي يقوم على المنهج القياسي، بينما المنهج الشرعي يرتكز على المنهج الاستقرائي التجريبي، هذا المنهج الذي كان غريباً عن المزاج اليوناني فانتقلت هذه الروح الجديدة في البحث العلمي قوامها التجربة والملاحظة والقياس، من العرب إلى العالم الأوربي، فكان المسلمون بهذا - كما قال سامي النشار - هم مصدر الحضارة الأوربية القائمة على المنهج التجريبي<sup>6</sup>.

إن كان تخليص الشاطبي أصول الفقه من المنطق من عناصر مشروعه التجديدي لهذا العلم لإيمانه بأن الغرض من العلم العمل به كما هو مطلوب شرعاً، وهذا هو مقتضى العبودية لله تعالى؛ إذ لم يثبت فضل العلم

1 - الموافقات: 38/1.

2- ذكر محمد سليم العوا في كتابه: الفقه الإسلامي في طريق التجديد، الحاجة إلى فقه تربوي، كجانب من جوانب التجديد في الفقه الإسلامي المعاصر.

- المصطلح الأصولي عند الشاطبي لفريد الأنصاري: 169.

- أليس الصبح بقريب لابن عاشور: 177.

- المصطلح الأصولي عند الشاطبي لفريد الأنصاري: 202.

6- مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار: 291.

إلا من جهة التوسل به إلى العمل. قال الشاطبي في هذا المعنى: "والعلم الذي هو العلم المعترف شرعا-الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق- هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخلي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه طوعا أو كرها"<sup>1</sup>. وقال: "كل علم شرعي، فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، لا من جهة أخرى، فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى فبالتبعية والقصد الثاني لا بالقصد الأول"<sup>2</sup>.

إننا نرى في إبداع الشاطبي أهمية إدراك السياق الاجتماعي والتاريخي الذي يعيشه العالم أو الباحث في إبداعه العلمي، فقد عاش في عصر ضعف الوازع الديني في النفوس، وقوي التكالب على الدنيا، وانهارت الأندلس أمام تكاليف الأعداء، وخور الأهل والأقرباء، فكان مشروعه جوابا علميا تربويا لعلاج مشكلات الواقع، والعمل على تطبيق أحكام الشرع التي اعتراها الإهمال.

من هنا تأتي أهمية إدراك الباحثين للسياق الاجتماعي الخاص والعام، وتوظيفه في عملهم العلمي، ولن يتم لهم ذلك إلا بالتمرس بالحياة الواقعية، والانخراط في مواقع التدبير والتسيير حيث التطبيق والممارسة للأحكام الشرعية، كالإدارة والاقتصاد والقضاء والإعلام والإفتاء. لإنضاج العلم الشرعي والفقه العملي. وقد رأينا في تاريخنا علماء مجددين وفقهاء بارعين مبدعين في صنعتهم لصلتهم بالواقع من خلال وظائف مارسوها كالقضاء والإفتاء والإمامة والخطابة والتجارة في الأسواق، فكان علمهم في عملهم، وعملهم ملهم لعملمهم وراجع إليه. لأن العلم لا يحيا حياة كاملة مثمرة إلا بالتطبيق العملي.

لكن في عصور الإنحطاط يصير العلم مفصولا عن الواقع، معزولا عن العمل كما حصل في تاريخ الأمة وحاضرها، وصدق حبيب الرحبي إذ قال: "تعلموا العلم واعقلوه وانتفعوا به، ولا تعلموه لتجملوا به فإنه يوشك إن طال بكم العمر أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه"<sup>3</sup>. ويكون القصد من العلم التزين ونيل المناصب، والعناية برواية العلم ونصومه أكثر من فقهاها ودرايتها، وما كان هذا شأن أهل العلم الربانيين فإن "همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية"<sup>4</sup>.

#### خاتمة:

وفي الختام، فهذه ورقات بينت جوانب من فوائد علم أصول الفقه ومقاصده إجمالا، واشتملت على نظرات في جوانب من أصول تجديد الخطاب الديني بما يحقق مقاصد الشارع ويفضي لتحقيق قيم الوسطية والاعتدال والتعايش، ونجمل نتائج وتوصيات البحث في الآتي:

#### النتائج:

- ⇨ إن لأصول الفقه من الفوائد المعرفية العلمية والمنهجية و التشريعية والتعبدية، ما يبرز قيمته في التعامل مع النصوص الشرعية ومع الواقع.
- ⇨ إن علم أصول الفقه نتاج خالص للأمة الإسلامية ينضاف لاختصاصها بالإعراب والأنساب والإسناد، فهي أمة حرصت على ترشيد الفكر كما حرصت على تسديد اللسان وتمحيص الرواية.
- ⇨ إن الوصل بين الفقه وأصول الفقه يعيد للدرس الفقهي حيويته ويجعل أصول الفقه درسا مطبقا ينتج المعرفة الفقهية بناء على قواعد علمية بعيدا عن الأهواء ومناهج المذاهب المنحرفة.

1- الموافقات: 40/1.

2- الموافقات: 34/1.

3- اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي، ص 34.

4- اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي: 35.



⇐ إن إرجاع الفروع إلى أصولها وربطها بكليات الشريعة ومقاصدها يجعل النظر الاجتهادي علميا واستراتيجيا في مقاربة القضايا الواقعية وينأى بالتفكير عن النظرة الجزئية الذرية التي تفسد أكثر مما تصلح.

⇐ يلاحظ أن التفريق بين الاقتضاء الأصلي والاقتضاء التبعية للحكم الشرعي في تعاملنا مع نوازل المجتمع يفضي إلى مراعاة تحقق المصالح وتقويت المفاسد الممكنة.

#### التوصيات:

جاء هذا العمل من منطلق قناعتنا بضرورة إعادة بعث أصول منهج فهم النصوص وتطبيقها في البحث العلمي الشرعي والدرس التعليمي ، والاهتمام ببيت مناهج التفكير العلمية في الأوساط العلمية والثقافية .

لأن التدافع المعرفي لن تحسم نتائجه إلا لصالح القادرين على امتلاك ناصية مناهج المعرفة وأصول التفكير السليمة، عوض الاكتفاء باستهلاك الفكر والمعرفة، واعتماد مناهج غير علمية في قراءة النص، وإنتاج الأفكار.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ {التوبة/122}﴾.

#### قائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة

- ✓ المصحف الشريف.
- ✓ الحديث النبوي الشريف.
- ✓ أبحاثيات البحث في العلوم الشرعية محاولة في التأصيل المنهجي للدكتور فريد الأنصاري، دار السلام، الإسكندرية، طبعة أولى: 1431هـ-2010م.
- ✓ أبجد العلوم لصديق بن حسن خان ت 1307هـ، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة أولى: 2011م-1332هـ.
- ✓ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى سنة 505هـ). طبع دار الكتب العلمية، بيروت: 1417هـ-1997م.
- ✓ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي الشوكاني (1250هـ).
- ✓ أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث للدكتور محسن عبد الحميد، مكتبة أسامة بن زيد، الرباط، طبعة أولى: 1405هـ-1985م.
- ✓ أصول الفقه تاريخه ورجاله للدكتور شعبان محمد اسماعيل، دار السلام بالقاهرة والمكتبة المكية بمكة المكرمة، طبعة ثانية: 1419هـ-1998م.
- ✓ اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة خامسة: 1404هـ-1984.
- ✓ أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي دار الفكر، دمشق، طبعة أولى: 1406هـ-1986م.
- ✓ اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة خامسة: 1404هـ-1984.
- ✓ أليس الصبح بقريب لمحمد الطاهر ابن عاشور، دار السلام، القاهرة، طبعة أولى: 1427هـ-2006م، دار سحنون تونس.

- ✓ البحر المحيط للإمام الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (794-745هـ)، تحقيق لجنة من علماء الأزهر، دار الكتب القاهرة، طبعة الثالثة: 1424-2005م.
- ✓ البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المتوفى سنة: 478هـ، تحقيق الدكتور عبد العظيم محمود الديب، طبع دار الوفاء، المنصورة، طبعة ثالثة: 1412هـ-1992م.
- ✓ تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام للإمام العلامة برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري المالكي، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه الشيخ جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت: 1422هـ/2001م.
- ✓ التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه للسيد أحمد عبد الغفار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،: 1995.
- ✓ التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ثالثة: 1408هـ-1988م.
- ✓ تفسير النصوص في الفقه الإسلامي لمحمد أديب صالح، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة رابعة: 1413هـ-1993م.
- ✓ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد ابن احمد الانصاري القرطبي المتوفى سنة 671 هـ ، طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ، طبعة أولى : 1416 هـ - 1995 م .
- ✓ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن بردزبه البخاري المتوفى سنة 256هـ. دار الفكر، بيروت، طبعة أولى: 1422هـ-2002م.
- ✓ خلافة الإنسان بين الوحي والعقل لعبد المجيد النجار. دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة أولى: 1407هـ-1987م.
- ✓ دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين لمحمود سعد، مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة أولى: 1430هـ-2009م.
- ✓ المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي لفتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ثالثة: 1434هـ-2013م.
- ✓ رسالة في القواعد الفقهية للعلامة عبد الرحمان بن ناصر السعدي. المكتبة الاسلامية، عين شمس الشرقية، طبعة أولى: 1422هـ-2001م.
- ✓ الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ)، دار العقيدة، القاهرة، طبعة أولى: 1430هـ/2008م.
- ✓ صيد الخاطر لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي المتوفى سنة 597هـ. دار الفكر ،بيروت: 1420هـ-1999م.
- ✓ الطريق إلى التراث الإسلامي مقدمات معرفية ومداخل منهجية للدكتور علي جمعة محمد، نهضة مصر، الجيزة.



- ✓ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي: 1291هـ-1376هـ:  
291/4. طبع دار الكتب العلمية ببيروت، طبعة أولى: 1416هـ-1995م.
- ✓ الفطرية لفريد الأنصاري. الكلمة للطبع والإشهار، مكناس. منشورات رسالة القرآن رقم: 3.
- ✓ الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق للإمام أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي المتوفى  
سنة 684هـ ، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة أولى: 1418هـ-1998م.
- ✓ فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب لعبد المجيد عمر النجار. طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة  
أولى: 1992م.
- ✓ في المنهج التطبيقي للشريعة الإسلامية للدكتور عبدالمجيد النجار. طبع دار النشر الدولي، الرياض، طبعة  
أولى: 1415هـ-1994م.
- ✓ القاموس الفقهي لسعدي أبوجيب. طبع دار الفكر، دمشق: 1424هـ- 2003م.
- ✓ كتاب التعريفات للشريف علي بن محمد الجرجاني، طبع دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة  
ثالثة: 1408هـ-1988م.
- ✓ الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية للدكتور أحمد الريسوني. طوب بريس، الرباط: 2007.
- ✓ مجلة الهدى العدد السابع والعشرون.
- ✓ محاضرات في مقاصد الشريعة لأحمد الريسوني، دار الكلمة، القاهرة، طبعة أولى: 1431هـ-2010م.
- ✓ محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي للدكتور عمر الجيدي. منشورات عكاظ،  
مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- ✓ المدخل الفقهي العام لمصطفى أحمد الزرقا، طبع دار القلم دمشق، طبعة أولى: 1418هـ-1998م.
- ✓ المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإمام  
الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى سنة 261هـ. دار الفكر، بيروت، طبعة  
أولى: 1421هـ-2000م.
- ✓ مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين قضايا ومناهج، للدكتور الشاهد البوشيخي،  
دار القلم مطبعة النجاح، الدار البيضاء، طبعة أولى: 1413هـ-1993م.
- ✓ المناهج الأصولية في مسالك الترجيح بين النصوص الشرعية لخالد محمد علي عبيدات دار  
النفائس، الأردن، طبعة أولى: 1433هـ-2012م.
- ✓ مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي سامي النشار، دار السلام، القاهرة، طبعة أولى: 1429هـ-  
2008م.
- ✓ مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد) لأبي الوليد ابن رشد الجد، تحقيق محمد الحبيب التجكاني. مؤسسة  
النجاح الجديدة، الدار البيضاء، طبعة أولى: 1412هـ-1992م.
- ✓ معالم المنهج الإسلامي للدكتور محمد عمارة ، دار الشروق، القاهرة، طبعة ثانية: 2009م.

- ✓ المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب. للفقير العلامة الشيخ المهدي الوزاني المتوفى عام 1342هـ، تحقيق الأستاذ عمر بن عباد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط: 1417هـ-1996م.
- ✓ مقدمة ابن خلدون لأبي زيد عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، طبع دار القلم، بيروت.
- ✓ المناهج الأصولية في مسالك الترجيح بين النصوص الشرعية لخالد محمد علي عبيدات، دار النفائس، الأردن، طبعة أولى: 1433هـ-2012م.
- ✓ منهج المتكلمين في استنباط الأحكام الشرعية لعبد الرؤوف ماضي خرايشة، دار ابن حزم، بيروت، طبعة أولى: 1426هـ-2005م.
- ✓ منهج عمر بن الخطاب في التشريع للدكتور محمد بلتاجي، دار السلام، القاهرة، طبعة أولى: 1423هـ-2002م.
- ✓ الموافقات في أصول الشريعة لأبي اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي المتوفى سنة 790 هـ، طبع المكتبة العصرية، بيروت . طبعة أولى: 1423 هـ - 2002 م.
- ✓ الموطأ للإمام مالك بن أنس المتوفى سنة 179هـ، برواية يحيى بن يحيى بن كثير الليثي الأندلسي القرطبي المتوفى سنة 243هـ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار، دار المعرفة، الدار البيضاء، طبعة أولى: 1419هـ، 1998م.
- ✓ نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي لأحمد الريسوني. منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، طبع دار الأمان، الرباط، طبعة أولى: 1411هـ-1991م.
- ✓ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة 1255هـ دار الفكر، بيروت: 1419هـ-1998م.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## بصائر ربانية للتجديد في النوازل والقضايا المعاصرة

إعداد

د إدريس مولودي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالكلية متعددة التخصصات بالرشيدية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه و نستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم أما بعد؛

من خلال العنوان يتضح أنني لن أخوض في نوازل فقهية معاصرة بعينها، ولا في اختلافات الفقهاء المعاصرين وغيرهم في ذلك، إلا ما كان على سبيل التوضيح بالمثال.

إنما القصد العودة إلى الوحي المتلو وغير المتلو، للإبصار عبره ما يسر الله تعالى من التيسير وقدر من التقدير، من الهدايات والضوابط الربانية التي تهدي المجتهد وتثير سبيله، لدلالة العباد على وجه الحق والصواب، بعيداً عن التقليد والعصبية وما شابه في القضية المعالجة، ومنهج التنزيل فيها، للإسهام في إقامة الدين في النفس والمجتمع، خصوصاً بعدما لوحظ في واقعنا المعاصر الذي اتسم بالثورة الإعلامية والمعلوماتية، من تسبب وجرأة في الفهم والإفهام وإصدار الأحكام...

والإبصار المرام انطلاقاً من قول الحق سبحانه: {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف: 203] أي هذا القرآن العظيم .. وقال الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ} [الأنعام: 104]

وقديماً قال الإمام الشافعي: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها." <sup>1</sup> يقصد عموم النوازل والقضايا إلى قيام الساعة.

ويقول ابن حزم: "لا يمكن وقوع نازلة لا يكون حكمها منصوصاً في القرآن وبيان النبي صلى الله عليه وسلم إما باسمها الأعم، وإما باسمها الأخص." <sup>2</sup> وقال أبو الوليد، رضي الله عنه: "فلا نازلة إلا والحكم فيها قائم من القرآن، إما بنص، وإما بدليل، علمه من علمه، وجهله من جهله." <sup>3</sup>

وهذا مما تطابقت عليه أقوال العلماء، ومن ثم فعلي في هذا البحث المتواضع استنتاج نصوص الوحي مسترشداً بكلام علماء التفسير وعلوم القرآن وغيرها، لاستخلاص الهدايات والضوابط التي غالباً ما تتم الغفلة عنها، ومن ذلك ماله تعلق بالجانب القلبي والتربوي...

وبناء على ما سلف وغيره يمكن تقسيم البحث إلى العناصر التالية:

-مقدمة

المبحث الأول: إطلالة على المصطلحات المركب منها عنوان البحث

المبحث الثاني: المراد بالتجديد في النوازل والقضايا المعاصرة.

المبحث الثالث: هدايات وبصائر علمية ومفاهيمية

المبحث الرابع: هدايات وبصائر قلبية وتربوية

-خاتمة.

<sup>1</sup> - الرسالة للشافعي (1/ 20)

<sup>2</sup> - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (4/ 184)

<sup>3</sup> - مسائل أبي الوليد ابن رشد (1/ 681)

## المبحث الأول: إطلالة على المصطلحات المركب منها عنوان البحث:

المصطلحات المفاتيح للموضوع - كما يبدو - هي "بصائر" و"توازل" و"التجديد" ومن ثم من المفيد في هذا البحث تناول دلالاتها اللغوية والاصطلاحية، ولنبدأ بلفظ "بصائر" الذي هو جمع بصيرة وقد ورد في القرآن الكريم جمعا خمس مرات<sup>1</sup>، ومفردا مرتين<sup>2</sup>:

### 1-تعريف البصائر

#### أ-البصائر في اللغة:

يقول ابن فارس: "الْبَاءُ وَالصَّادُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ؛ يُقَالُ: هُوَ بَصِيرٌ بِهِ. [ومنه البصيرة]... وَالْبَصِيرَةُ: التُّرْهَانُ<sup>3</sup>. وَأَصْلُ ذَلِكَ كَلِمَةٌ وَضُوحُ الشَّيْءِ... وَأَمَّا الْأَصْلُ الْأَخْرَفِيُّ فَبَصِيرٌ الشَّيْءِ غِلْظُهُ. وَمِنْهُ الْبَصْرُ، هُوَ أَنْ يَضْمَ أُدِيمٌ إِلَى أُدِيمٍ، يُخَاطَبَانِ كَمَا تُخَاطَبُ حَاشِيَةُ النَّوْبِ. وَالْبَصِيرَةُ: مَا بَيْنَ شَقَّتَيْ الْبَيْتِ، وَهُوَ إِلَى الْأَصْلِ الْأَوَّلِ أَقْرَبُ...<sup>4</sup>"

ويقول ابن منظور: "البصيرة: الشُّقَّةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى الْخِبَاءِ. وَأَبْصَرَ إِذَا عَلَّقَ عَلَى بَابِ رَحْلِهِ بَصِيرَةً، وَهِيَ شُقَّةٌ مِنْ قُطْنٍ أَوْ غَيْرِهِ"<sup>5</sup> ويقول: "والْبَصِيرَةُ: الذَّرْعُ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ جُنَّةً بَصِيرَةً. وَالْبَصِيرَةُ: النُّرس"<sup>6</sup> ويقول الراغب: "البصير يقال للجارحة الناضرة.. وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر.. والضرير يقال له: بصير على سبيل العكس، والأولى أن ذلك يقال لما له من قوة بصيرة القلب لا لما قالوه، ولهذا لا يقال له: مبصر وباصر..."<sup>7</sup>

ومما سلف نخلص إلى أن البصيرة قوة القلب المدركة العالمة، عبرها نبصر البراهين الممكنة من اعتقاد صحة الأشياء من عدمها، وبها يكون الاعتبار<sup>8</sup>.. فُحفظ من ثم مما يزل ويضل.

#### ب-البصائر في الاصطلاح العام:

<sup>1</sup> - قال الله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ} [الأنعام: 104] وقال: {وَإِذَا لَمْ تَأْتِيَهُمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَاقِبِ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: 203] وقال سبحانه: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكُمْ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} [الإسراء: 102] وقال: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: 43] وقال: {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَاقِبِ الْمُؤْمِنِينَ} [الجاثية: 20]

<sup>2</sup> - قال الله تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108] وقال: {قِيلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: 14]

<sup>3</sup> - "والْبَصِيرَةُ: الْحُجَّةُ وَالِاسْتِبْصَارُ فِي الشَّيْءِ". الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/بصر

<sup>4</sup> - مقاييس اللغة/بصر

<sup>5</sup> - لسان العرب/بصر. "وَمَنْ عَلَّقَ عَلَىٰ بَابِهِ بَصِيرَةً: لِلشُّقَّةِ" القاموس المحيط/بصر

<sup>6</sup> - لسان العرب/بصر وانظر المحكم والمحيط الأعظم/بصر

<sup>7</sup> - المفردات في غريب القرآن/بصر

<sup>8</sup> - "وقال الليث: البصيرة: اسم لما اعتقد في القلب من الدين وتحقق الأمر... عن ابن الأعرابي:.. والبصيرة: الشُّقَّةُ الَّتِي

تكون على الخبَاء... [و] قَالَ: والبصيرة: العبرة، يُقال: أما لك بصيرة في هذا؟ أي: عبرة تعتبر بها" تهذيب اللغة/بصر. وانظر تاج العروس/بصر. وقال القاضي عياض: "وأبصر واستبصر من البصيرة وهو المتيقن للشَّيْءِ والمعتمد لصِحَّتِهِ" مشارق الأنوار على صحاح الآثار (1/ 95) وقال الفيروزآبادي: "والبصير: المُبْصِرُ، ج: بُصْرَاءُ، والعالِمُ، وبالهاء: عَقِيدَةُ الْقَلْبِ، وَالْفِطْنَةُ... القاموس المحيط/بصر

يقول الجرجاني: "البصيرة: قوة للقلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، بمثابة البصر للنفس يرى به صور الأشياء وظواهرها، وهي التي يسميها الحكماء: العاقلة النظرية، والقوة القدسية".<sup>1</sup>  
ج- البصائر في القرآن:

يقول الدكتور محمد حسن جبل في معجمه مبينا البصائر في عموم مواردنا في القرآن: "لَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ" [الأنعام: 104]: آيات وبيانات يُبَصَّرُ بها وَيُسْتَدَلُّ، جمعُ بصيرة وهي الدلالة، ومثلها كل (بصائر) في القرآن.<sup>2</sup>

والذي يتفق مع ما سلف ويعتبر من أجود تعاريف البصائر قول ابن عطية: "البصائر» جمع بصيرة، وهي ما يتفق عن تحصيل العقل للأشياء المنظور فيها، بالاعتبار، فكأنه قال: قد جاءكم في القرآن والآيات طرائق إبصار الحق والمعينة عليه، والبصيرة للقلب مستعارة من إبصار العين"<sup>3</sup> فالأمر إذن يتعلق بإعمال العقل والقلب للإبصار عبر الآيات لاستتارة الطريق. وذلك على كل حال وفي كل مجال.. لأن القرآن يهدي للتي أقوم} في كل شيء، كما يدل على ذلك حذق متعلق الهداية في آية الإسراء. وهو ما يتفق مع ورود لفظة "بصائر" جمعا في الدلالة على القرآن، وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور: "وَأَيُّمَا جَمَعَ «الْبَصَائِرَ» لِأَنَّ [فِي] الْقُرْآنِ أَنْوَاعًا مِنَ الْهُدَى عَلَى حَسَبِ النَّوَاجِي الَّتِي يَهْدِي إِلَيْهَا، مِنْ تَثْوِيرِ الْعُقْلِ فِي إِصْلَاحِ الْإِعْتِقَادِ، وَتَسْيِيدِ الْفَهْمِ فِي الدِّينِ، وَوَضْعِ الْقَوَانِينِ لِلْمُعَامَلَاتِ وَالْمُعَاشَرَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَالذَّلَالَةِ عَلَى طُرُقِ النَّجَاحِ وَالنَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مَهَاوِي الْخُسْرَانِ".<sup>4</sup> وفي ختام هذه الإطلالة نقول: آيات القرآن الكريم كما جاء في آية الأنعام ونظائرها بصائر وبيانات ودلائل تُبَصَّرُ بها وعبرها الأشياء على حقيقتها، ومن ثم كانت نورا مبينا يهدي السالكين درب المرسلين، يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} [النساء: 174] وذلك على كل المستويات تفكيراً وتعبيراً وتدبيراً.

## 2-تعريف النوازل:

### أ-النوازل في اللغة:

النوازل جمع نازلة، قال الزبيدي: «النازلة: الشديدة من نوازل الدهر، أي شدايدها، وفي المحكم: النازلة: الشدة من شدايد الدهر تنزل بالناس، نسأل الله العافية، وقد نزل به مكره». <sup>5</sup>

### ب-النازلة في الاصطلاح:

من اجمع تعاريفها: قول محمد الحبيب التجكاني: "حادثة واقعية نزلت بالناس في زمان ومكان معين، سئل عنها مفت من المفتين، أو إحالة من طرف المحكمة على المفتين"<sup>6</sup> ويصطلح عليها أيضا باصطلاحات أخرى، استعملها الفقهاء الأقدمون أو المعاصرون، مثل الفتاوى والمسائل والأسئلة والأجوبة والجوابات والحوادث والمشكلات والوقاعات والمستجدات والقضايا...

## 3-تعريف التجديد:

1 - التعريفات/ باب الباء، يقول الكفوي: "البصيرة: هي قوة في القلب تدرك بها المعقولات" الكليات/فصل الباء.

2 - المعجم الاشتقاقي المؤصل/بصر

3 - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (2/ 331) يقول ابن القيم: "وَالْبَصِيرَةُ نُورٌ يَجْعَلُهُ اللَّهُ فِي عَيْنِ الْقَلْبِ، يُفَرِّقُ بِهِ الْعَبْدَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيُسَبِّتُهُ إِلَى الْقَلْبِ: كُنْسَبَةُ صَوِّ الْعَيْنِ إِلَى الْعَيْنِ. وَهَذِهِ الْبَصِيرَةُ وَهِيَئُهَا وَكُنْسَبَةُ. فَمَنْ أَدَارَ النَّظَرَ فِي أَعْلَامِ الْحَقِّ وَأَدْلَتِهِ، وَتَجَرَّدَ لِلَّهِ مِنْ هَوَاهُ: اسْتَنَارَتْ بَصِيرَتُهُ. وَرُزِقَ فُرْقَانًا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ". مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 320)

4 - التحرير والتتوير (9/ 238)

5 - تاج العروس/نزل. وانظر أيضا معاجم العين ومقاييس اللغة والقاموس المحيط...

6 - منهج استخراج الأحكام الفقهية للنوازل المعاصرة: دراسة تأصيلية تطبيقية: 93 .

### أ-التجديد في اللغة:

يقول الراغب: "ثوب جديد: أصله المقطوع، ثم جعل لكل ما أحدث إنشاؤه"<sup>1</sup> ويقول الزبيدي: "والجديد: ما لا عهد لك به"<sup>2</sup> ويقول ابن منظور: "وتجدد الشيء: صارَ جديداً. وأجدّه وجدّده واستجدّه أي صيّره جديداً."<sup>3</sup> بمعنى "إعادة الشيء بعد فترة"<sup>4</sup> أي بعد فتوره وخفوته، وبتعبير آخر أوضح "التجديد أن يعيد الشيء بصفته الأولى، وإلا لم يكن تجديداً."<sup>5</sup>

### ب-التجديد في الاصطلاح:

والتجديد في الاصطلاح الشرعي ارتبط بالحديث الذي رواه أبو هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ يُبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»<sup>6</sup>.

ومن ثم ففي الاصطلاح الحديثي "المُرَاد مِنَ التَّجْدِيدِ إِحْيَاءُ مَا اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، وإماتة ما ظهر من البدع والمُحَدَّثَاتِ"<sup>7</sup>

ولم يرد لفظ "تجديد" في القرآن الكريم، إلا بمشتقاته، وذلك في عشرة موارد، ثمانية منها بلفظ "جديد" تعلقت جميعها بالخلق كقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} {إبراهيم: 19} وقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مِرْقَةٍ لَكُمْ فِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} {سبأ: 7} قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَمِيدُ، إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} {فاطر: 15، 16} من معاني النص الأول والثالث ما يدل على المعنى الاصطلاحي في الحديث، ما قاله الشوكاني: "إِنَّ يَشَاءُ يُفْنِيكُمْ وَيَأْتِ بِدَلِكُمْ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، يُطِيعُونَهُ وَلَا يَعُصُونَهُ"<sup>8</sup> على صفة أبيكم آدم ومن سار على دربه من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم بدلالة مفهومية في نصوص متعددة مثل قوله تعالى: {وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالِكُمْ}<sup>9</sup> [محمد: 38] وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} {المائدة: 54}.

أي إن غاب واندرس شرع الله تعالى واقعا على الأرض، من قبلكم فلم تقيموه وتحفظوه، سيجدد الخالق سبحانه الخلق، بإهلاككم والإتيان بخلق جديد يحبونه عز وجل ويعبدونه حق عبادته.

1 - المفردات في غريب القرآن/جدة

2 - تاج العروس/جدة

3 - لسان العرب/جدة

4 - معجم لغة الفقهاء (ص: 121)

5 - شرح البخاري للسفيري (2/ 244)

6 - سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب ما يُذَكَّرُ فِي قَرْنِ الْمَائَةِ، الحديث رقم: 4291. المعجم الأوسط للطبراني، باب الميم، الحديث رقم: 6527. ومستدرک الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، الحديث رقم: 8592. وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 1874 في صحيح الجامع.

7 - عون المعبود وحاشية ابن القيم (11/ 263)

8 - القدير للشوكاني (4/ 395) وانظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (7/ 148)

9 - ومن النصوص المشابهة قول الله تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ} [الأنعام: 133] وقوله: {إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} [النساء: 133] ...

### المبحث الثاني: المراد بالتجديد في النوازل والقضايا المعاصرة:

بناء على ما سلف، وأن الله تعالى أكمل دينه، بيانا كما قال: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: 89] بدلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي علمنا كل شيء، فما من نازلة تنزل بالبشرية إلا وفيه حكمها - كما سبقت الأقوال في ذلك - ونضيف ما قاله ابن حزم: "فَمَا كَمَلْ بِشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَمَنْ الْبَاطِلُ أَنْ لَا يُوجَدَ فِيهِ حُكْمٌ نَازِلَةٌ مِنَ النَّوَازِلِ"<sup>1</sup> وَحَكَى ابْنُ فُورَكٍ عَنْ ابْنِ الصَّائِغِ: أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَخُلْ الْعَقْلُ قَطُّ مِنَ السَّمْعِ، وَلَا نَازِلَةٌ إِلَّا وَفِيهَا سَمْعٌ أَوْ لَهَا تَعَلُّقٌ بِهِ. أَوْ لَهَا حَالٌ يُسْتَضْحَبُ."<sup>2</sup> من هاهنذا فلا بد من العودة الدائمة للوحي للتحصين وضبط السير، وهذا أساس التجديد المطلوب - وهو من أهم البصائر - كما يبصرنا به حديث الذي لا ينطق عن الهوى: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها."<sup>3</sup> فليس التجديد إلغاء أو إهمالا لتراث سلف هذه الأمة، بل الأصل الرجوع إليه والنظر فيه بعين فاحصة مستبصرة ببصائر الوحي، للبناء عليه استقادة من جهود السابقين، منهاج ومعرفة بالأجوبة التي ضمنوها كتبهم القيمة. ومما يدعونا لذلك، الإبصار في مثل قول الله تعالى: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83] وقوله: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: 43]

وليس التجديد دائما الإتيان بالجديد فمن التجديد العودة إلى النبع صافيا بعدما تم تكديره، بسبب من تراكم الغفلة والفجور والإفراط في التوسع في الملذات وقسوة القلوب.. فتجديد الدين تخليصه مما شابهه مما ليس منه ثم عرضه غضا طريا كما بدأ.. والمجتهد النوازلي يتناول ما نزل به - سيرا على قول ابن منظور: "النَّازِلَةُ تَنْزَلُ بِالْعَالِمِ الَّذِي أَمَرَ بِالْإِجْتِهَادِ فِيهَا"<sup>4</sup> - سواء الجديد منه أم القديم، وتناوله للقديم المجتهد فيه قبل، بقصد الترجيح، بعرضه على الأصول، أو الإفادة منه تخريجا عليه، أو ما شابهه، للوصول لما يحقق مقاصد الشرح تنزيلا على أحوال الناس. وأصول التشريع مرجعها إلى أصلها؛ كتاب الله تعالى. وبيانا لذلك نورد توضيح قول الشافعي السالف الذكر: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها."<sup>5</sup> وذلك على لسان أبي المظفر السمعاني الذي قال: "فإن قال قائل أن من الأحكام ما يثبت.. بالسنة قلنا ذلك مأخوذ من كتاب الله في الحقيقة، لأن كتاب الله تعالى أوجب علينا اتباع الرسول صلوات الله عليه، وفرض علينا الأخذ بقوله، وحذرنا مخالفته، قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7] وقال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [التغابن: 12] وقال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ} [النور: 63].

قال الشافعي: فما قيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن الله قيل. فإن قيل: هيئات القبوض في البياعات وكيفية الإحراز في السرقة، وغالب العقود في المعاملات، ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة. قلنا: قد قال الله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: 199] والعرف ما يعرفه الناس ويتعارفونه فيما بينهم معاملة، فصار العرف في صفة القبوض والإحراز والنفوذ معتبرا بالكتاب، فعلى هذا نقول أن الكتاب أمثل الدلائل، والسنة مأخوذة منه، والقياس مأخوذ من الكتاب والسنة، والاجماع مأخوذ من الكتاب والسنة والقياس.<sup>6</sup>

1 - النبذة الكافية (ص: 60)

2 - البحر المحيط في أصول الفقه (1/ 212)

3 - سبق تخريجه

4 - لسان العرب/نزل

5 - الرسالة للشافعي (1/ 20)

6 - قواطع الأدلة في الأصول (1/ 29)



### البحث الثالث: هدايات وبصائر علمية ومفاهيمية

#### 1- إعادة الاعتبار لمعنى الفقه، عبر بصائر الوحي:

لا ينبغي أن نقف فقط على معنى الفقه الصناعي، الذي حفظناه عن الفقهاء أي: "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة [ة] من أدلتها التفصيلية".<sup>1</sup> فليس الفقه كما انتق هو المعلومات الفقهية التي يكون شخص ما وعاء لها، يكون الأمر كذلك عندما نفرق بين تعريف كل من علماء الشريعة والحقيقة، فالمرجع إذن للفهم الحق، هو الوحي سواء كان قرآنا أم سنة.

- من البصائر في ذلك: ﴿قُلْ لَا فِرْقَةَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122]

ومنها من السنة البيان: عن معاوية، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»<sup>2</sup>

المعنى الصناعي للفقه -المشار إليه أعلاه- هو فرع عن المعنى العام بمعهود الوحي قرآنا وسنة، كما يدل على ذلك ظاهر النصين السالفين، فقد بين النص القرآني وظيفة التفقه في الدين والمقصد منه، وهو إنذار المتفقه قومه رجاء الارتقاء بهم إلى منزلة الحذر والخوف والخشية من الله تعالى. ولا شك ان الوظيفة والمقصد معا من الصفات القلبية.

والفقه في حديث معاوية، لا دليل على تخصيصه بالفقه بالمعنى الخاص، ويؤكد ذلك أن الخير المترتب على التفقه في الدين، ورد بلفظ عام، يجعل المتفقه مصطبغا بالخير ومصدرا للخير.

أما تسمية الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال، فإن هذا إنما هو اصطلاح خاص، حادث لعلماء الأصول الفقهية، فيدخل في مدلوله الشرعي -على المعنى العام-: معرفة حقائق الإيمان، ومعرفة أحكام شرائع الإسلام، ومعرفة السير والسلوك إلى الله بمعرفة مراتب الإحسان؛ فمن أراد الله به خيرا ففقهه في هذه الأمور، ووقفه للعمل بها.<sup>3</sup>

ومن ثم يتضح أن الفقه خضع لنوع من التطور من حيث دلالاته ومعناه، ويؤكد ذلك ما أورده الألويسي في سياق تفسيره لآية التوبة أعلاه، عن الإمام الغزالي فقال: "قال حجة الإسلام الغزالي عليه الرحمة: كان اسم الفقه في العصر الأول، اسما لعلم الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب، وتدل عليه هذه الآية، فما به الإنذار والتخويف هو الفقه، دون تعريفات الطلاق واللعان والسلم والإجازات. وسأل فرقد السنجي الحسن عن شيء، فأجابه فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن: ثكلتك أمك هل رأيت فقيها بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه، الورع، الكاف عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم، ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى اه. وهو من الحسن بمكان.<sup>4</sup>

لم هذه التبصرة؟ لأن بعض الفقهاء في كثير من الأحيان يعرضون الأحكام جافة مجردة عن العقيدة والسلوك...

1 - المدخل إلى مذهب أحمد: ص58. و انظر البحر المحيط للزركشي 1 / 21. والفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة (المقدمة/ 18) ..

2 - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، الحديث رقم: 71. و صحيح مسلم، كتاب الزكوة، باب النُّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، الحديث رقم: 100 - (1037) واللفظ للبخاري.

3 - توضيح الأحكام من بلوغ المرام (7/ 486)

4 - روح المعاني (6/ 46)

## 2- تصحيح التصور عن المفاهيم المرتبطة بالنازول المعاصرة:

مما يقوي السير في التجديد المقصود، الدراسة المعمقة للألفاظ المرتبطة بالنازول في الوحي، ففي النوازل المالية مثلا، لابد من دراسة ألفاظ المال والكسب والإنفاق والصدقة والزكاة والتجارة والبيع والربا والقرض... وأزعم أن المنهج المبلغ المقصد هو منهج الدراسة المصطلحية حسب فقه الباحث للمنهج والإحسان في تنزيله.. وكما يقولون صح بالتجريب...

- من البصائر المؤصلة لذلك حديث جبريل، الذي صحح التصور عن بعض المفاهيم الكلية في الدين، التي هي الإسلام والإيمان والإحسان..

3- إِبْصَارِ التَّفَاوُتِ فِي الْفِقْهِ وَشَرَايِطِ التَّصَدِي لِفَقْهِ النَّوَازِل: لا يخفى على ذي بصيرة ما يلاحظ في واقعنا المعاصر الذي اتسم بالثورة الإعلامية والمعلوماتية، من تسيب وجرأة في الفهم والإفهام وإصدار الأحكام، دون أهلية لذلك. والأهلية تقتضي التحقق بشرائط تصدّر المجالس للإفتاء؛ من العلم بأدلة الأحكام، وأدوات الفهم، وترتيب الأدلة، والعلم بمواطن الاضطرار والحرج وعموم البلوى وما شابه... واستحضار فقه الموازنات وفقه المقاصد وغيرها من الألفاء...

- من البصائر: قول الله تعالى: {لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ...} [النساء: 162] وقوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18] وقوله: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: 83] وقوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28] وقوله: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36] ...

ومن السنة البيان:

- عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ، كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَعِيَّةٌ، قِيلَتِ الْمَاءُ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَعَّعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبُتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ قَفَّعَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»<sup>1</sup>

- عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلِغَهُ، فَرُبَّ حَامِلٍ فِئْهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِئْهُ لَيْسَ بِقِيهِ»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - أخرجه البخاري في كتاب العلم: باب من علم وعلم، الحديث: 79. وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم الحديث رقم: 2282.

<sup>2</sup> - سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، الحديث رقم: 3660. و سنن الدارمي، باب الإقتداء بالعلماء، الحديث رقم: 235. سنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الحديث على تبليغ السماع، 2656. السنن الكبرى للنسائي، كتاب العلم، الحث على إبلاغ العلم، 5816. وغير هؤلاء. وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 6763 في صحيح الجامع. قال محقق كتاب التفسير من سنن سعيد بن منصور: هو حديث متواتر صنّف فيه الشيخ عبد المحسن العباد - أتابه الله - مصنفاً بعنوان: (دراسة حديث، (نضّر الله امرأ سمع مقالتي)) رواية ودراية) ، وجمع فيه طرق هذا الحديث، فبلغت أربعة وعشرين طريقاً عن أربعة وعشرين صحابياً، ولحديث بعض الصحابة طرق عنه، وهو باللفظ الأول هنا من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه عند أبي داود في سننه... " التفسير من سنن سعيد بن منصور (المقدمة/ 2-3)

فالذي فقه في دين الله ليس وعاء يحفظ ما فيه، وإنما هو ممن علم وعلم، فهو من المبصرين لهدايات الوحي، ودرجة إبصار الهدى في المسائل حسب الاجتهاد في بلوغ الشرائط أعلاه، ويمكن إيراد بعض أهمها بنوع من التفصيل والترتيب كما يلي:

أ- تصحيح القصد والورع، وسيأتي التفصيل فيه في المبحث الموالي ب- فقه الدين، وقد سبقت الإشارة إليه إجمالاً.  
ج- فقه الواقع وفقه التنزيل وما يحتاجه من: استيعاب للتطورات واستمرارية التواصل مع العامة والخاصة والعمل المؤسسي إلى جانب الخبراء حسب النازلة...

د- خطوات النظر في النوازل: من أهم خطواتها إضافة إلى تحقيق الإخلاص لله تعالى وصدق التوكل عليه...  
أولاً- فقه حقيقة النازلة: وذلك بتصورها تصوراً واضحاً.. وتحقيق ذلك ب:

- جمع كل ما يتصل بالنازلة من أدلة وقرائن، لتعرف حقيقتها وأقسامها ونشأتها والظروف المحيطة بها..  
- سؤال أهل الاختصاص والاستعانة بهم في موضوع النازلة فإذا كانت المسألة طبية فينبغي الرجوع للأطباء والمختصين وهكذا...

- تحليل القضية المركبة إلى عناصرها الأساسية التي تتكون منها: كثيراً ما يوقع التسرع بغياب التحليل المجتهد في الخطأ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " من أفتى بفتيا وهو يعمى عنها كان إثمها عليه"<sup>1</sup>  
ثانياً- تكييف النازلة تكييفاً فقهياً: بتحرير الأصل الذي تنتمي إليه، وتعيين مصادره المعينة في معرفة الحكم..  
ثالثاً- عرض النازلة على المصادر الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع، كما فعل الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم -، وقد لا يجد الباحث نصاً صريحاً في المسألة لأنها نازلة، ولكنه قد يجد دلالة النصوص عليها بالالتزام أو التضمن..

رابعاً- عرض النازلة على أقوال الصحابة واجتهاداتهم: فقد كان عمر رضي الله عنه ينظر في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم يجد، نظر في قضاء أبي بكر رضي الله عنه، وكان التابعون ينظرون في اجتهادات الصحابة..

خامساً- البحث في حكم النازلة في اجتهادات الأئمة: قال ابن البر: " لا يكون فقيهاً في الحادث ما لم يكن عالماً بالماضي"<sup>2</sup> ...

سادساً- البحث في قرارات المجامع الفقهية والندوات الفقهية المتخصصة: والتي يصدر عنها قرارات وفتاوى فقهية تغني الباحث وترضيه.

سابعاً- البحث في الرسائل العلمية المتخصصة كرسائل الدكتوراه والماجستير في علوم الشريعة وخاصة فيما يتعلق بالنوازل المعاصرة.

ثامناً- إذا لم يجد الباحث حكماً للنازلة فيما سبق من خطوات فإنه يعيد النظر في النازلة، ثم يفترض فيها أقسام الحكم التكليفي من وجوب أو ندب أو إباحة أو تحريم. ويبحث في كل افتراض ما يترتب عليه من مصالح ومفاسد، ويوازن بينهما مراعيًا في ذلك، عدم مصادمة النصوص الشرعية واعتبار مقاصد الشريعة الإسلامية والقواعد الفقهية...<sup>3</sup>

1 - مسند إسحاق بن راهويه، الحديث رقم: 335. وسنن الدارمي الحديث رقم: 162. قال المحقق: إسناده صحيح.

2 - جامع بيان العلم وفضله (2/ 818)

3 - ينظر للتفصيل في هذه الخطوات: المعاملات المالية المعاصرة: 24-29.. للدكتور محمد عثمان شبير. وفقه الميسر

## المبحث الرابع: هدايات وبصائر قلبية وتربوية

### 1- بدء البحث باسم الله تعالى، والصبر على التكاليف واليقين بالتوفيق:

كما يقولون: من أشرقت بدايته أشرقت نهايته، والإشراق كل الإشراق في البدء باسم الله تعالى وصدق التوكل عليه، والتبرؤ من كل حول وقوة إلا من حوله تعالى وقوته، فلا حول ولا قوة إلا به، ثم بذل المستطاع مع الصبر على مشاق طريق البحث عن الحق والصواب، مستصحباً اليقين بتوفيق الله تعالى، وتسديده للوصول إلى علم ما لم تكن تعلم، بل وإلى الإمامة في الدين.

من البصائر في ذلك: قول الله تعالى: {أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1 - 5]

وقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} [السجدة: 24]

يقول السعدي بيانا وتأكيذا في الآية الثانية: "أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا" أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدى... وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر على التعلم والتعليم، والدعوة إلى الله، والأذى في سبيله، وكفوا أنفسهم عن جماعها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.. وإنما وصلوا إلى درجة اليقين، لأنهم تعلموا تعليماً صحيحاً، وأخذوا المسائل عن أدلتها المفيدة لليقين. فما زالوا يتعلمون المسائل، ويستدلون عليها بكثرة الدلائل، حتى وصلوا لذلك، فبالصبر واليقين، تُتَالِ الإمامة في الدين.<sup>1</sup>

### 2- التقوى تنير سبيل فتح المستغلقات: وهو صحيح مجرب تشهد له وقائع لا حصر لها في تاريخ هذه الأمة..

من البصائر: قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال: 29] وقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ } [الحديد: 28]

النصان يدلان على أن طالب الدليل للوصول إلى الحق في شيء ما، كلما تحقق وتخلق بالتقوى، وارتقى في مدارجها تيسرت السبل أمامه وأدرك مطلبه. وتأكيذا لما سلف يقول ابن جزري في سياق تفسير النص الأول: "فُرْقَاناً أي تفرقة بين الحق والباطل، وذلك دليل على أن التقوى تتورق القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم"<sup>2</sup>

ويقول الشوكاني: "وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَجْعَلُ لَهُمْ مِنْ ثَبَاتِ الْقُلُوبِ، وَتَقْوَابِ الْبَصَائِرِ، وَحُسْنِ الْهُدَايَةِ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَهُمَا عِنْدَ الْإِلْتِبَاسِ"<sup>3</sup>

والفرقان في سورة الأنفال، فسر في سورة الحديد بالنور الذي يتبصر به، فيأمن ضلال الطريق، يقول ابن كثير: "وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ" يَعْنِي: هُدًى يُبَيِّنُ بِهِ مِنَ الْعَمَى وَالْجَهَالَةِ"<sup>4</sup>

ومن أجمل ما نختم به هذه البصيرة ما جاء عن ابن القيم: "... وَكُلَّمَا قَرُبَ الْقَلْبُ مِنَ اللَّهِ زَالَتْ عَنْهُ مُعَارَضَاتُ السُّوءِ، وَكَانَ نُورٌ كَشَفَهُ لِلْحَقِّ أَتَمَّ وَأَقْوَى، وَكُلَّمَا بَعُدَ عَنِ اللَّهِ كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْمُعَارَضَاتُ، وَضَعُفَ نُورٌ كَشَفَهُ لِلصَّوَابِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَهْدِيهِ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، يُفَرِّقُ بِهِ الْعَبْدَ بَيْنَ الْخَطَا وَالصَّوَابِ.

<sup>1</sup> - تيسير الكريم الرحمن (ص: 656)

<sup>2</sup> - التسهيل لعلوم التنزيل (1/ 325) وانظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (2/ 324)

<sup>3</sup> - فتح القدير للشوكاني (2/ 346)

<sup>4</sup> - تفسير ابن كثير (8/ 32)

وَقَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فِي أَوَّلِ مَا تَقِيَهُ: إِنِّي أَرَى اللَّهَ قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا فَلَا تُطْفِئُهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا { [الأنفال: 29] وَمِنْ الْفُرْقَانِ النُّورِ الَّذِي يَفْرُقُ بِهِ الْعَبْدَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَكُلَّمَا كَانَ قَلْبُهُ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ كَانَ فُرْقَانُهُ أَتَمًّا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.<sup>1</sup>

3- استشعار الافتقار إلى الله تعالى وصدق التوجه إليه: قبل بدء البحث وأثناءه وبعده، لأبد من ارتداء جلباب الفقر إلى الله تعالى، واستشعار فضله كلما دله على شيء من فقه أحام نازلة ما، فإن فعل يسر الله تعالى له الأسباب، وفتح له الأبواب.

- من البصائر: قول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ } [فاطر: 15] وقوله تعالى: { إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } [طه: 98] وقوله: { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: 74] وقوله: { وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: 85] وقوله تعالى: { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه: 114]..  
ففي النص الأول "يُخْبِرُ تَعَالَى بِغَنَائِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَبِافْتِقَارِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا إِلَيْهِ، وَتَدَلُّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ { أَيُّ: هُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ<sup>2</sup> ومن ذلك ما يتعلق بالعلم عموماً والعلم بالأحكام الشرعية خصوصاً، لأن نسبة علمنا إلى علمه تعالى كلا علم، ذلك ل { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } وفي معنى ذلك يقول أبو السعود: "يعلم كُنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه، فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم من الأمر والنهي"<sup>3</sup> ومن ثم يجب استشعار الباحث عن حكم نازلة ما، الافتقار إلى العليم الخبير، وصدق التوجه إليه تعالى ليهديه للتي هي أقوم في الأحكام. والقوة في ذلك والدليل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا»<sup>4</sup>

و عن عائشة أم المؤمنين، لما سئلت بأي شيء كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»<sup>5</sup>

زيادة في البيان يقول ابن القيم: "يَنْبَغِي لِلْمُوقِفِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الْمَسْأَلَةُ أَنْ يَنْبَغَتْ مِنْ قَلْبِهِ الْإِنْفِقَارُ الْحَقِيقِيُّ [الْحَالِي] لَا الْعِلْمِيُّ الْمَجْرَدُ إِلَى مُلْهِمِ الصَّوَابِ، وَمُعَلِّمِ الْخَيْرِ، وَهَادِي الْقُلُوبِ، أَنْ يُلْهِمَهُ الصَّوَابَ، وَيَفْتَحَ لَهُ طَرِيقَ السَّادِ، وَيَدُلَّهُ عَلَى حُكْمِهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَمَتَى قَرَعَ هَذَا النَّبَابَ فَقَدْ قَرَعَ بَابَ التَّوْفِيقِ، وَمَا أَجْدَرَ مَنْ أَمَلَ فَضْلَ رَبِّهِ أَنْ لَا يَحْرِمَهُ إِيَّاهُ، فَإِذَا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ هَذِهِ الْهَمَّةَ فَهِيَ طَلَانِعُ بَشَرِي التَّوْفِيقِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُوَجِّهَ وَجْهَهُ وَيُحَدِّقَ نَظْرَهُ إِلَى مَنْبَعِ الْهُدَى وَمَعْدِنِ الصَّوَابِ وَمَطْلَعِ الرُّشْدِ، وَهُوَ النَّصُوصُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَثَارِ الصَّحَابَةِ، فَيَسْتَفْرِعُ وَسِعَهُ فِي تَعْرِفِ حُكْمِ تِلْكَ النَّازِلَةِ مِنْهَا، فَإِنْ ظَفِرَ بِذَلِكَ أَحْبَرَ بِهِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ بَادَرَ إِلَى التَّوْبَةِ وَالِاسْتِعْفَارِ،

1 - إعلام الموقعين عن رب العالمين (4/ 199-198)

2 - تفسير ابن كثير ت سلامة (6/ 541)

3 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (5/ 129)

4 - سنن ابن ماجه، بابُ الْإِنْفِقَاعِ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، رقم الحديث: 251. وسنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، رقم الحديث: 3599. وقال الشيخ الألباني: صحيح. وقد حذف منه الجز الضعيف.

5 - صحيح مسلم، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَضَائِهَا، بابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، رقم الحديث: 200 - (770)

وَالْإِكْتَارِ مِنْ يَكْرِ اللَّهِ... فَمَتَى أُعِينَ مَعَ هَذَا الْإِفْتِقَارِ، بِبَدَلِ الْجُهْدِ فِي دَرْكِ الْحَقِّ فَقَدْ سَلَكَ بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ".<sup>1</sup>

4- التجرد من الهوى المتبع وفساد القصد: وذلك بتصحيح القصد والورع واتباع الحق، دون مراعاة للمستفتي من حيث المكانة والجاه والمنصب... ولما يترتب على الفتوى من مغامر أو مغارم..، لأن مراعاة ذلك ولا شك من فساد القصد واتباع الهوى المضل عن سبيل الحق في قول الحق والحكم به في النوازل وغيرها.. كما دلت على ذلك النصوص البصائر.

-من البصائر: قول الله تعالى: {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} [ص: 26] وقوله: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم: 23]..

-قوله تعالى في آية سورة ص: { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} نص في أن اتباع هوى النفس سبب الضلال في الحكم، ومحاباة البعض على حساب البعض الآخر ظلماً.

يقول الشيخ السعدي: {فاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ} أي: العدل، وهذا لا يتمكن منه، إلا بعلم بالواجب، وعلم بالواقع، وقدرة على تنفيذ الحق، {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى} فتميل مع أحد، لقرابة أو صداقة أو محبة، أو بغض للآخر {فَيُضِلَّكَ} الهوى {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ويخرجك عن الصراط المستقيم<sup>2</sup>، والتاريخ حافل بالمفتين والحكام أصحاب الأهواء الذي يقضون بناء على أهوائهم، أو أهواء متبوعيهم.. فقد "حكى الباجي عَمَّنْ يَثْبُتُ بِهِ أَنَّهُ وَقَعَتْ لَهُ وَقَعَةٌ، فَأَقْتَى فِيهَا وَهُوَ غَائِبٌ جَمَاعَةً مِنْ فُقَهَائِهِمْ يَعْنِي فُقَهَاءَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ بِمَا يَضُرُّهُ، فَلَمَّا عَادَ سَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: مَا عَلِمْنَا أَنَّهَا لَكَ، وَأَقْتَوْهُ بِالرَّوَابِيَةِ الْأُخْرَى الَّتِي تُوَافِقُ قَصْدَهُ. قَالَ الْبَاجِي: وَهَذَا مِمَّا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِهِ فِي الْإِجْمَاعِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ".<sup>3</sup>

#### 5- تنبيه البصيرة القلبية للمستفتي:

عدد من النوازل خصوصاً المالية منها -كما في مظانها- تكون مزاعم ودعاوى، رغبة في الاستيلاء على المال وأكله بغير وجه حق، لضعف الإيمان وسيطرة الهوى وحب المال، مما يؤدي إلى الغفلة وانطماس البصيرة.. الأمر الذي اقتضى الاجتهاد في فتح مستغلقها... ومن البصائر في هذه المسألة:

قول الله تعالى: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} [التوبة: 35]

وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وظُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: 29، 30] من تأمل وحي الله تعالى يجده يعرض الأحكام على المكلفين في قالب وعطي، قاصدا النفوذ إلى أعماق قلوبهم، لتسهيل استجابتهم لمقتضيات هذه الأحكام.

يقول السعدي في سياق تفسيره لنص سورة النساء أعلاه: "تأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله: {لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ} {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} كيف شمل أموال غيرك ومال نفسك، وقتل نفسك وقتل غيرك، بعبارة أحصر من قوله: "لا يأكل بعضكم مال بعض" و"لا يقتل بعضكم بعضاً" مع قصور هذه العبارة على مال الغير ونفس الغير فقط.

1 - إعلام الموقعين عن رب العالمين (4/ 131-132)

2 - تيسير الكريم الرحمن (ص: 712)

3 - تبصرة الحكام في أصول الأفضية ومناهج الأحكام (1/ 72-73)



مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين، فيه دلالة على أن المؤمنين في توادم وتراحمهم وتعاطفهم ومصالحهم كالجسد الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية... وفيها أنه تتعدّد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا بأي طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها ونهاكم عن انتهاكها.

ثم قال: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} أي: أكل الأموال بالباطل وقتل النفوس {عُدُونًا وَظُلْمًا} أي: لا جهلا ونسيانا {فَسَوْفَ نُضَلِّيهِ نَارًا} أي: عزيمة كما يفيد التكرير {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا}.<sup>1</sup> وهذه بصيرة نبوية تطبيقا لمقتضى ما قد سلف:

- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»<sup>2</sup>

الرواية الموالية للحديث، مفصلة ومجلية لأثر الوعظ على قلب كل من المتخاصمين، مما أدى إلى تنازل كل منهما عن حقه لصاحبه.

- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَارِيثَ بَيْنَهُمَا قَدْ دُرِسَتْ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنْكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَحَنَ بِحُجَّتِهِ، .. مِنْ بَعْضٍ، فَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي بِهَا إِسْطَاطًا<sup>3</sup> فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". فَبَكَى الرَّجُلَانِ، وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: حَقِّي لِأَخِي، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَمَا إِذْ فُلْنُمَا، فَأَذْهَبَا فَاقْتَسِمَا، ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ، ثُمَّ اسْتَهَمَا، ثُمَّ لِيَحْلِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ "4.

- خاتمة: نحن في زمان قد يصدق عليه ما قيل: "هذا زمان الغيم والرؤية فيه عسيرة"، ومن ثم وجب التسلح بأسباب تقوية الرؤية، لإزالة الغشاوة عن الأمة، وتلك مهمة حملة لواء العلم من أبنائها، الذين وجب عليهم أن يحملوه بقوة، ويأخذوا للأمر أهبتة، باعتبارهم ورثة الأنبياء، كما جاء بذلك؛ الحديث الصحيح، الذي يورده البعض في سياق الفخر، لكن الحق أن الحديث مخيف جدا، ويجب أن يأخذه الذي له نصيب من العلم، على أنه يحمله مسؤولية جلية، مسؤولية وراثته النبوة، والقيام مقامها، ومن ثم التزود بما يناسبها مما به يصح التصور، ويصلح القلب، ويستقيم السلوك... مما أشير إلى غيظ من فيض كثير منه في البحث، والله من وراء القصد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين.

1 - تيسير الكريم الرحمن (ص: 175)

2 - صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر، واللحن بالحجة، الحديث رقم: 5 - (1713).

3 - معنى الإسطام: "الحديدة التي تحرك بها النار وتُسْعَرُ أي أقطع له ما يُسْعَرُ به النار على نفسه ويشعلها، أو أقطع له نارا مسعرة، وتثديره: ذات إسطام" لسان العرب/سطم.

4 - مسند أحمد ط الرسالة، الحديث رقم: 26717. و مسند أبي يعلى الموصلي، الحديث رقم: 6897. قال المحقق

حسين سليم أسد: إسناده حسن. و السنن الصغير للبيهقي، الحديث رقم: 3402

## مصادر ومراجع

### - القرآن الكريم

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- الإحكام في أصول الأحكام، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي، دار الفكر بيروت، ط/1415هـ-1995م.

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ) قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخرّيج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - البحر المحيط في أصول الفقه، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ) دار الكتبي، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994م

- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ) تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، الطبعة: 1419 هـ

- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: 799هـ) مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة: الأولى، 1406 هـ - 1986م - التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الطبعة التونسية دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ط 1997م.

- التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - 1416 هـ

- تفسير الشعراوي، الشيخ محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة. - تفسير القرآن العظيم للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط2/1420هـ-1999م.

- التفسير من سنن سعيد بن منصور، لأبي عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: 227هـ) دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م

- تاج العروس من جواهر القاموس للإمام محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، دراسة وتحقيق علي شبري، دارالفكر بيروت، ط1/1414هـ-1994م.

- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م

- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ) تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م



- توضيح الأحكام من بلوغ المزام، لأبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: 1423هـ) مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، 1423 هـ - 2003 م
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) تحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م
- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية القاهرة، ط/2 1384 هـ - 1964 م.
- الرسالة، للشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطليبي القرشي المكي (المتوفى: 204هـ) تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1358هـ/1940م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (المتوفى: 1270هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ
- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر بيروت.
- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2). ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
- سنن الدارمي، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 2000 م
- السنن الصغير للبيهقي، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي. باكستان، الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1989 م
- السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
- شعب الإيمان لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط/1 1423 هـ - 2003 م.
- فتح القدير تأليف محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، دار الفكر بيروت، ط/2 1414هـ - 1993 م.

- الفقه الميسر، تأليف كل من أ. د. عبد الله بن محمد الطيار، وأ. د. عبد الله بن محمد المطلق، ود. محمد بن إبراهيم موسى، مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: ج 7 و 11 - 13: الأولى 1432/2011، باقي الأجزاء: الثانية، 1433 هـ - 2012 م
- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، لمجموعة من المؤلفين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة الطبع: 1424 هـ
- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م
- قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المرزوي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ) تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ/1999م
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت
- لسان العرب للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار الفكر ط1/1410هـ-1990م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ
- المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري، لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: 956هـ) حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م
- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ] تحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: 1346هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1401
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحققت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) لد. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب - القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010 م.
- المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلجعي - حامد صادق قنبيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م

- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق : عبد السلام محمد هارون دار الفكر الطبعة : 1399هـ - 1979م.
- المعاملات المالية المعاصرة، للدكتور محمد عثمان شبير، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة: 1427هـ-2007م.
- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد ت502هـ تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرف لبنان
- مسائل أبي الوليد ابن رشد (الجد) لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (المتوفى: 520هـ) تحقيق: محمد الحبيب التجكاني، دار الجيل، بيروت - دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة: الثانية، 1414 هـ - 1993 م
- المستدرك على الصحيحين محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990
- مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984
- مسند إسحاق بن راهويه، لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف ب ابن راهويه (المتوفى: 238هـ) تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1412 - 1991
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث
- منهج استخراج الأحكام الفقهية للنوازل المعاصرة: دراسة تأصيلية تطبيقية، لمسفر بن علي بن محمد القحطاني، رسالة دكتوراه، نوقشت سنة 2000م
- النبذة الكافية في أحكام أصول الدين (النبذ في أصول الفقه) لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ) تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1405
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته ، محمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط3/1408هـ-1988م.
- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ) دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، 1415 هـ.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## معالم تجديد الخطاب الديني من خلال مدرسة الإمام محمد الغزالي

إعداد

البروفيسور سليمان قوراري

مخبر المخطوطات الجزائرية في افريقيا/ جامعة أحمد دراية أدرار/ الجزائر

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

### مقدمة:

تحدث الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن مدرسته الخاصة، وذلك في مقدمة كتابه (خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة) من إعداد الأخ الفاضل (قطب عبد الحميد قطب) قائلًا «المدرسة التي أعتبر نفسي رائداً فيها أو ممهداً لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة»، وقد دَبَّجَ عديد الدارسين عن خصال وعلم الرجل مئات الصفحات في الصحف والمجلات والمؤلفات، منها مقال «الداعية المجاهد الشيخ محمد الغزالي» للكاتب المستشار عبد الله العقيل ضمن الجزء الثاني من كتابه من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، والذي قَدَّمَ عدَّةَ شهادات طيبة لأعلام العصر منها شهادة أحد شيوخ الأزهر السابقين وهو فضيلة الإمام الأكبر عبد الحليم محمود رحمه الله، ومن كلماته المأثورة «ليس لدينا إلا غزالي الأحياء والإحياء» يعني الغزالي المعاصر، والغزالي أبا حامد صاحب إحياء علوم الدين»، ونحسب الإمام محمد الغزالي واحداً من المجددين الكبار في القرن العشرين على اعتبار أن عدداً من العلماء الباحثين في موضوع التجديد الديني قد حدّدوا المجددين دون نظر للتقييدات الزمنية، وإنما بالنظر فقط لعطاءاتهم وإصلاحاتهم وجهودهم في الرقي بالأمة الإسلامية في كل المجالات الحيوية، كما شرح ذلك الباحث الدكتور (أحمد الريسوني) في رسالته (التجديد والتجويد)، والإشكالية التي سينطلق منه البحث هي: ما هي معالم التجديد عند الإمام محمد الغزالي، وكيف يمكن الاستفادة من المجالات التي حاول أن يعيد فيها للإسلام وحضارته المشرقة رونقه وسماحته وبهاءه، ليكون الدين النقي الصافي الذي تقبل عليه الأمم والشعوب وتتقياً تحت ظلاله المنعشة الوارفة؟

هذا وسنقسم البحث إلى المباحث التالية: نبذة عن حياة الإمام محمد الغزالي ومسيرته الدعوية الراشدة. ثم أهم مجالات التجديد الديني عند الإمام محمد الغزالي، والتي توزعت في باب العقائد والعبادات والمعاملات والحقوق والحريات ونظام الحكم الأمثل وكيفية الاستفادة منها لتتوير ورسم معالم حياتنا الإسلامية الراهنة والمستقبلية، ثم تأتي الخاتمة لنبرز فيها أهم ما توصلنا إليه من خلال هذا البحث.

إن المجالات التي برز فيها علم وعمل الجهاد الدعوي للرجل كثيرة ومتنوعة وخصبة وثرية إلى أبعد الحدود، فهي تشمل الكتب والمقالات والصحف والمجلات والأحاديث الإذاعية والتلفزيونية والمقابلات الصحفية، والدروس المسجدية، والخطب المنبرية، واللقاءات التوعوية والرحلات العلمية، فالغزالي يرى ضرورة توظيف كل الوسائل المباحة وتسخيرها لخدمة قضايا الإسلام والمسلمين، ونشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وتكوين السفراء الممتازين والمحامين البارعين لعرض تعاليم القرآن الكريم العرض الحسن، وإيصال دعوة الحق ورسالة الإسلام الصافية لكل الأصقاع والبقاع بشتى اللغات واللهجات، وبالنظر إلى شخص الإمام محمد الغزالي الأسرة والمتأسية بمنهج الكتاب والسنة فقد تعلقته به القلوب واشترأت لطلعته الأعناق، وتهللت بصورته الوجوه وأشرفت بعطائه وجهاده وكفاحه الأراضي التي حلّ أو نزل بها وتسابقت لمجالسه جموع المسلمين للاستفادة من علمه الغزير والتمتع ببيانه المشرق وتغذية الأرواح بحكمه الغالية وفوائده ودرره العالية، قال عنه عبد الله العقيل وكان من متبعيه منذ أن كان طالباً في كلية الشريعة في الأزهر الشريف «إن الأسلوب الذي يسلكه الأستاذ الغزالي في عرض الإسلام على جماهير الناس من مصدريه الكتاب والسنة أسلوب تفرد به وتميز وأصبح صاحب مدرسة قائمة بذاتها ويعتبر من أنجح الأساليب لنشر الدعوة لما يتسم به من جمال العرض وصدق اللهجة وحرارة العاطفة وإشراقه الديباجة فضلا عن الروح المتدفقة بالإيمان الحي المتحرك المتفاعل مع الناس والأحداث» هذا والله ولي التوفيق

### أولاً: نبذة عن حياة الإمام محمد الغزالي ومسيرته الدعوية الراشدة:

العلامة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، رمز كبير من رموز الدعوة الإسلامية الحديثة والمعاصرة الوسطية المعتدلة،قالت الموسوعة العربية العالمية عن هذا الإمام الجليل ما نصه : « محمد الغزالي(1335 - 1416هـ، 1917 - 1996م)، عالم ومفكر إسلامي مصري كبير، ولد بمحافظة البحيرة بمصر. حفظ القرآن الكريم في كُتَّاب القرية. التحق بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر سنة 1937م وتخرج فيها سنة 1941م متخصصاً في مجال الدعوة، كما حصل على درجة التخصّص في التدريس من كلية اللغة العربية عام 1943م. عمل في وزارة الأوقاف المصرية وتدرج فيها إلى أن عين وكيلاً أول للوزارة، كما عمل محاضراً في مجال الدعوة وأصول الدين في جامعة الأزهر وجامعة أم القرى في مكة المكرمة. كان له دور كبير في نشر الوعي الإسلامي في أجهزة الإعلام في العديد من الدول العربية كالمملكة العربية السعودية وقطر والكويت والجزائر. وله الفضل في تطوير كلية الشريعة في قطر وإنشاء جامعة الأمير عبد القادر الإسلامية بقسنطينة في الجزائر. تصدى لتيارات الغزو الفكري في العالم الإسلامي. ومن مؤلفاته: فقه السيرة؛ الإسلام والأوضاع الاقتصادية؛ دفاع عن العقيدة والشريعة؛ نظرات من القرآن؛ هموم داعية، بالإضافة إلى مئات المقالات في كثير من صحف العالم الإسلامي. حاز جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام 1409هـ، 1989م»<sup>1</sup> .

تحدث الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن مدرسته الخاصة قائلاً « المدرسة التي أعتبر نفسي رائداً فيها أو ممهداً لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي، كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد والتاريخ ومزج هذا كله بالفقه الصحيح للكتاب والسنة»<sup>2</sup>، وقد دَبَّجَ عديد الدارسين عن خصال وعلم الرجل مئات الصفحات في الصحف والمجلات والمؤلفات، منها مقال « الداعية المجاهد الشيخ محمد الغزالي » للكاتب المستشار عبد الله العقيل<sup>3</sup>.

### جهاد الدعوة عند الإمام الغزالي وأهم ميادينها:

إنَّ أهم الميادين التي برز فيها علم وعمل الإمام الغزالي هي : الجهاد الدعوي ، وتأليف الكتب و تدبيح المقالات في الصحف والمجلات، وتقديم الأحاديث الإذاعية والتلفزيونية و إجراء المقابلات الصحفية، وشرح تعاليم الدين عن طريق الدروس المسجدية، والخطب المنبرية، والمساهمة في اللقاءات التوعوية والرحلات العلمية. إنَّ الغزالي يرى ضرورة توظيف كل الوسائل المباحة وتسخيرها لخدمة قضايا الإسلام والمسلمين، ونشر الدعوة الإسلامية بالحكمة والموعظة الحسنة، وتكوين السفراء الممتازين والمحامين البارعين لعرض تعاليم القرآن الكريم العرض الحسن، وإيصال دعوة الحق ورسالة الإسلام الصافية لكل الأصقاع والبقاع بشتى اللغات واللهجات. وفي سيرة الإمام محمد الغزالي جانب مهم يخص ميدان الابتلاء والمحنة و تحمل العذاب من الجبايرة والطغاة وأذنانهم ممن يتسمون بأسماء إسلامية ، وكل ذلك في سبيل نصره الدعوة الإسلامية والحفاظ على جذوتها متقدة منيرة الطريق لجمهير المسلمين الحائرة في هذا العالم المادي المجنون. يتحدث الغزالي في قذائف الحق بمرارة عن جرائم النظام ضد الشباب المتدين الغيور على وطنه وإسلامه قال رحمه الله« وداخل السجون والمعتقلات كان عبارة التعذيب

<sup>1</sup> الموسوعة العربية العالمية . مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية 1419 هـ ، (1999م). ج 17 ، ص: 107 .

<sup>2</sup> خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة، إعداد، قطب عبد الحميد قطب، مراجعة د/ محمد عاشور، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الأولى 1408 هـ، 1988 م، ص 15.

<sup>3</sup> ينظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة : المستشار عبد الله العقيل . دار البشير، الطبعة السابعة 1429 هـ، 2008 م. ج 2 ، من ص: 933 ، حتى ص: 947 .

قد استفادوا من الوسائل التي اتبعتها محاكم التفتيش في العصور الوسطى كما استفادوا من الوسائل التي اتبعتها «النازي» في استتصال اليهود أو التي اتبعتها الشيوعيون في محق خصومهم ..<sup>1</sup>.  
وعن طريق المقارنة بين الشعوب المتحضرة المؤمنة بقيم العدالة وحقوق المتهم وضمانات محاكمته قياسا إلى الشعوب المتخلفة المسيرة من الطغمة الفاسدة والمستبدة والجبرة يستخلص رحمه الله في قذائف الحق العبرة من كل ذلك قائلا «إننا متخلفون في مجالات صناعية وعلمية كثيرة أما في هذا المجال القدر ( مجال التعذيب داخل المعتقلات والسجون) فلدينا خبراء مهرة نسجت أعصابهم من الحقد والشذوذ يتلذذون بالآلام ويسرهم أن يسمعوا الأئين المتصاعد والدماء . ولا أقول العبرات - المراقبة. استيقنت أن ضرب هؤلاء الضحايا لم يكن لأخطاء ارتكبوها .. إن الضرب كان للإسلام نفسه»<sup>2</sup>.

#### وفاة الإمام محمد الغزالي:

وبعد عمر حافل بالجهاد في سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ونصرة الحق وأهله ونشر العلم النافع بشتى الوسائل المتاحة السمعية والبصرية والمكتوبة، وعبر كافة الوسائل التكنولوجية المتوفرة، بعد كل هذا العطاء النافع، فاضت روح الإمام محمد الغزالي إلى بارئها آمنة مطمئنة وذلك يوم السبت (19 من شوال 1416هـ = 9 من مارس 1996م) في بلاد الحرمين الشريفين في أرض الحجاز الطاهرة وذلك خلال مشاركته في مهرجان الجنادرية الثقافي بالمملكة العربية السعودية، وهذا حول موضوع الإسلام وتحديات العصر، ودُفن عليه رحمة الله في مقبرة البقيع<sup>3</sup> مجاورا قبر سيدنا محمد الرسول الشفيع عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

#### أهم معالم المدرسة الغزالية :

هذا وقد حدد الباحث (محمد عمارة) معالم منهج مدرسة الإمام محمد الغزالي وذلك كما يقول «بترويجها للعقل، وتقديم دليله، واعتبارها العقل أصل للنقل، وهي تقدم الكتاب على السنة، وتجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الأحاد، وهي ترفض مبدأ النسخ، وتتكبر إنكارا حاسما أن يكون في القرآن نص انتهى أمده. وترى المذهبية فكرا إسلاميا قد ينتفع به، ولكنه غير ملزم، ومن ثم فهي تنكر التقليد المذهبي، وتحترم علم الأئمة، وتعمل على أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية، ولا تلقي بالا إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة»<sup>4</sup>.  
فعلى سبيل المثال ما ذكره الباحث محمد عمارة عن رفض الإمام محمد الغزالي لفكرة النسخ في النص القرآني، نجد تفصيل بيانها في مؤلفه الشهير (نظرات في القرآن) حيث قال ما نصّه: (حول النسخ هل في القرآن آيات معطلة الأحكام، بقيت في المصحف للذكرى والتاريخ كما يقولون، تقرأ التماسا لأجر التلاوة فحسب، وينظر إليها كما ينظر إلى التحف الثمينة في دور الآثار، غاية ما يرجى من المحافظة عليها إثبات المرحلة التي أدتها في الماضي، أما الحاضر والمستقبل فلا شأن لها بهما؟؟؟ من المسلمين من يرون هذا الرأي حين يقولون بالناسخ والمنسوخ " على أساس أن الناسخ الأخير أبطل ما صدر قبله من أحكام " وهم يلجأون إلى هذا الفهم إعمالاً للنص الأخير، ودفعا لما يتوهم من تناقض بين ظواهر الآي .. ونحن لا نميل إلى المسير مع هذا الاتجاه، بل لا نرى ضرورة للأخذ به. وسنرى عند تحقيق الموضوع أن التناقض المتوهم لا محل له، وأن التشريعات النازلة

<sup>1</sup> قذائف الحق، محمد الغزالي، شركة الشهاب، الجزائر، (دون تاريخ)، ص1.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص95.

<sup>3</sup> ينظر، محمد الغزالي .. إمام الأئمة، [راغب السرجاني](#)، تاريخ الإضافة، 12:31-2014/06/19

<http://islamstory.com> تاريخ الزيارة 2017/6/27 الساعة 00:04

<sup>4</sup> مذكرات الشيخ محمد الغزالي، قصة حياة، دار الرشد للنشر والتوزيع، الخروب، قسنطينة، 2006م،،



في أمر ما مرتبة ترتيبًا دقيقًا بحيث تنفرد كل آية بالعمل في المجال المهيأ لها. فإذا ذهب هذا المجال وجاء غيره تلقفته آية أخرى بتوجيه يناسبه وهكذا، فهل هذا التدرج في التشريع يسمى نسخًا؟<sup>1</sup>

إن رأي الإمام محمد الغزالي نفسه تبنّاه الأستاذ جمال البنا في كتابه (تفنيد دعوى النسخ في القرآن الكريم ومقالات أخرى) قال رحمه الله وأحسن مثوبته: (وينبغي على استبعاد النسخ في القرآن الكريم نتيجة في منتهى الأهمية والخطورة تلك هي أنه ليس في القرآن نسخ بالمعنى الاصطلاحي، أي رفع حكم بحكم آخر متراخي عن الحكم الأول المنسوخ، وليس هناك دليل يمكن به إثبات هذه الدعوى العريضة وأنّ الذي حدث هو سوء تصوّر من ناحية وعدة أحاديث موقوفة من ناحية تعود إلى عداوة دفينة للإسلام وإرادة اللغو في القرآن)<sup>2</sup>، بل يرى الأستاذ جمال البنا أن هناك تعددية ولا يوجد نسخ بالمعنى الإصطلاحي الذي شاع في مصنفات الأصوليين والمفسرين .. ويعتقد الكاتب مشكوراً (أنّ منشأ هذه التساؤلات هو الخلط ما بين التعددية وهي مبدأ يأخذ به الإسلام سواء ما بين الأديان بعضها بعضاً أو ما بين الأحكام في الإسلام نفسها وما بين فكرة أنّ هذه التعددية تنفي نفسها فيما يصبح نسخاً، ويمثل التعددية المرونة .. إذ لا بد أن يكون في أصل قواعده مبدأ المرونة الذي يتكيف بها بما يقتضيه اتباع التطور)<sup>3</sup>.

إنّ القرآن الكريم أنزله الله تبارك وتعالى للعمل به بما تقتضيه الظروف الحضارية والسياقات الزمانية والمكانية، فهو أشبه ما يكون بالصيدلية النافعة كل واحد يجد بغيته فيها على حسب حالته المرضية وبالتالي يتناسب مع كون الرسالة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وتستجيب لحاجات البشرية المتجددة، فكل حكم ادعي نسخه، وإبطال مفعوله، يمكن العمل به في ظروف مشابهة لتلك التي استعدت وجوده مع التنزيل القرآني، وهذا ما بيّنه الإمام محمد الغزالي في قوله: (إن الأدوية تبقى ما بقيت الأدوية المرصدة لها، والدواء الذي ينجح في علاج حالة ما ربما لا يذكر في علاج حالة أخرى مخالفة، وهذا لا يعد غصّاً من قيمته .. بل إن المرض الواحد قد يحتاج إلى سلسلة متعاقبة من الأشفية، تستقيم مع مراحل سيره، وضروب مضاعفاته، وأعقاب الخلاص منه! وارتباط كل دور من أدوار العلة بدواء معين شيء طبيعي، ولا معنى لتوهين دواء بعدت الحاجة عنه الآن، فقد يحتاج إليه آخرون. ونصوص القرآن الكريم لا تخرج عن حدود هذا الشبه!! وقد عجبنا من استشراف القول بالنسخ عند بعض المفسرين)<sup>4</sup>.

إنّه للأسف وباسم دعوى النسخ المزعوم والذي لم يفسر على وجه الصحيح ولم يفهم في ضوء ملاسباته التاريخية صار سيفاً يسلط على عدد الآيات القرآنية التي تمّ هجرانها وإبطال مفعولها دون وعي بخطورة هذا التصرف، وبالتالي فقد خسر الإسلام بسبب هذا الفهم السيء للنسخ أقطارا وشعوباً إسلامية كان من الممكن أن تكون رافداً وعونا للإسلام والمسلمين، وقد تحدث الأستاذ جمال البنا عن ذلك بمنتهى الحسرة والألم على حال المسلمين<sup>5</sup>. إنّ معالم مدرسة الإمام محمد الغزالي مبنوثة في شتى كتبه النفيسة التي صارت مرجعاً أساسياً لكل باحث عن فهم عميق وفلسفة حقيقية لروح الدين والتدين الصحيح.

ثانياً: أهم مجالات التجديد الديني عند الإمام محمد الغزالي:

- <sup>1</sup> نظرات في القرآن، محمد الغزالي، شركة الشهاب، الجزائر، (دون تاريخ)، ص 228.
- <sup>2</sup> تفنيد دعوى النسخ في القرآن الكريم ومقالات أخرى، جمال البنا، دار الشروق، القاهرة، ج.م.ع، الطبعة الأولى 2011م، ص 100.
- <sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 103.
- <sup>4</sup> نظرات في القرآن، المرجع السابق، ص 228.
- <sup>5</sup> ينظر، تفنيد دعوى النسخ في القرآن الكريم ومقالات أخرى، المرجع السابق، ص 101، 102.



نظر الإمام محمد الغزالي إلى أمة الإسلام من أقصاها إلى أقصاها فرأى غناها المادي والأدبي، وشاهد ما تكتنزه أراضيها من خيرات وبركات، وعض أن تكون في مصاف الدول الكبرى والعظمى، رآها في ذيل السلم، تتوزعها الأهواء وتتقلب بها المصالح الشخصية والتناحر بين الإخوة الأعداء، الأمر الذي دعاه إلى طرح مجموعة من الأسئلة الجوهرية لمعرفة الأسباب، وبالتالي البحث عن الأدوية الناجعة لعلاجها من أسقامها وأمراضها، قال رحمه الله في مواجهة الواقع الكئيب للأمة العربية والإسلامية. (ما سر هذا الفتور الشائع في الأفراد والجماعات؟! ولماذا يستقبل الناس الحياة وبهم ازورار عن مواجهتها، وصدود عن مذاقها، كأن شهيتهم أوصدت دونها...؟! ولماذا نرى الأجناس الأخرى تتطلق مع مطالع الشروق، وكأنها على أبواب رحلة ممتعة؟! فهي تدأب ولا<sup>1</sup> تشعر بكلال، وتعمل، وتجد من الثمر الداني ما يغريها بالمزيد من الإنتاج...!! إن هذه الجفوة بيننا وبين الحياة مخوفة العقبي، بل هي قد وقفت بنا في أوائل الطريق، على حين مضى الآخرون خفافا يكدحون ويجدون، حتى وصلوا إلى حظوظ من الرقى والإبداع تستثير الدهش...!! ما أروعها حياة أن تلتقى مع السماء والأرض التقاء المشوق مع موعد حب، أو النقاء الشجاع مع ساحة حرب...!! وما أسمى حياة أن تتدحرج على أديم الغبراء كما يدلّف السجين بين جدران احتبس وراءها، فهو لما حوله كاره، وعنه مصروف. لا وعى هنالك ولا اكتراث...!!)<sup>2</sup>.

إن أهم مجالات التجديد الديني عند الإمام محمد الغزالي تبرز أشد البروز وتتمثل أحسن تمثيل للناظرين في باب العقائد والعبادات والمعاملات والحقوق والحريات ونظام الحكم الأمثل

### 1) التجديد في ميدان العقائد :

تعد العقيدة الإسلامية الصحيحة الركيزة الأساسية واللبنة الصلبة والقاعدة الرئيسية في بناء الشخصية الإسلامية القوية المؤمنة بربها والتمسكة بكتاب ربها والمتبعة لنهج نبيها عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، لأجل هذا لبث صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة في مكة يغرس عقيدة التوحيد الصحيحة، ويربط المؤمنين بربهم عن طريق التأمل والتفكير في خلق السماوات والأرض وما بينهما والتأمل في آيات الله جلّ وعلا المبثوثة في الأفاق وفي الأنفس، وهذا كله بوحى من رب العزة سبحانه ولو فعل غير ذلك لما شاهدنا ذلك الجيل الذي أثر ما عند الله، وضحّى بالنفس والنفيس في سبيل نصرته دين الله تعالى والتمكين له في الأرض التي كتب الله أنه يرثها عباده الصالحون ..

بيد أنّ العقيدة الصحيحة التي تربى عليها جيل الرسالة، تحولت بفعل المباحث الفلسفية والكلامية والثقافات الأخرى إلى دراسات جافة غلب عليها التعاريف ووضع الحدود والتفريعات والتقييدات، مما أضعف أثرها في النفوس، لاسيما بين الفريقين المغالي في التأويل والفريق المنكر لأي مجاز في كتاب الله وسنة رسوله، وقد بين العلامة الأستاذ السيد سابق (ر) في كتابه النفيس (العقائد الإسلامية)، كيف كانت العقيدة الإسلامية زمن الرسول الأكرم ذات أثر إيجابي وفعال، وكيف أنها بظهور الأهواء السياسية وأطماعها، والفرق الإسلامية ونزاعاتها ونزاعاتها، خفّ ضوء وشعاع العقيدة لتتحول إلى مجادلات ومناقشات لا طائل من ورائها سوى إضعاف صف المسلمين ووحدهم، قال رحمه الله وأجزل مثوبته: (ومنذ قامت دولة التوحيد على يدي خاتم أنبياء الله ورسله، بقيت العقيدة تستمد قدسيته من وحى الله وتعاليم السماء، وتعتمد أول من تعتمد على الكتاب والسنة، وتتجه في الدرجة الأولى إلى تربية الملكات، وإعلاء الغرائز، وتهذيب السلوك، كي ترفع الإنسان إلى السمو اللائق بكرامته، وتجعل منه قوة إيجابية في الحياة. ثم كانت الخلافات السياسية، والاتصال بالمذاهب الفكرية والمذاهب الدينية الأخرى؛ وتحكيم العقل فيما لا قدرة له عليه .. سبباً في العدول عن منهج الأنبياء؛ كما كانت سبباً في تحول الإيمان من

<sup>2</sup> الإسلام والطاقت المعطلة، محمد الغزالي، الزيتونة للإعلام والنشر، باتنة، الجزائر، 1988م، ص7.

بساطته وإيجابيته وسموه إلى قضايا فلسفية، وأقيسة منطقية، ومناقشات كلامية، أقرب ما تكون إلى المناقشات البيزنطية<sup>1</sup>. ولا تزال آثار هذه الخلافات المدمرة مستمرة في أشكال شتى إلى زماننا هذا، الأمر الذي دفع بعض أعلام الإسلام إلى الدعوة إلى التجديد في عرض العقيدة الإسلامية بعيداً عن الإفراط أو التفریط، مع حذف كل المباحث التي لا تمتّ بصلة إلى صفاء العقيدة وحيويتها ودورها في صنع الشخصية المؤمنة القوية.

وقد شاهد الإمام محمد الغزالي ميدانياً وهو من نوابغ علماء الأزهر الشريف وقد مر بمختلف المراحل الدراسية، ويعرف جيداً مقررات علم التوحيد، وما فيها من مباحث لا تخدم بتاتا زاوية صنع الشخصية الإسلامية العقلانية الحرة التفكير المفعمة بمشاعر الإجلال والتعظيم والتبجيل للرب الجليل العظيم، نظراً لسيرها على منهج البحث الكلامي، والشيخ يلاحظ عليه كما يقول أنه ( نظري بحث، ينظّم المقدمات ويستخلص النتائج كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة في عصرنا هذا، أو الموازين التي تضبط أفعال الأجسام، ثم تسجّل الرقم وتقذف به للطالين. كذلك سارت الاستدلالات في هذا العلم الخطير، فتكلمت عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته الكريمة، وانتهت على حقائق جيدة، يستريح إليها العقل الحصيف. بيد أن الإسلام في تكوينه للعقيدة يخاطب القلب والعقل، ويستثير العاطفة والفكر، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للثقوى الذهنية)<sup>2</sup>. ومن ثم لم يعد حاضراً في الساحة الإسلامية ذلك الإيمان القوي المحرك للنفوس والملامس لشغاف القلوب، والدافع لعمارة الأرض واستكشاف خيراتها بدلاً من البحث عن الآخر ليفعل ذلك. ذلك لأن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات والأعمال الصالحة، وينقص بالسيئات والأعمال المنحرفة عن منهج الإسلام، وكما يقرر الأستاذ (السيد سابق) (لقد كان من أثر الخلافات السياسية، والعدول عن نهج الفطرة، والتأثر بالمذاهب الطارئة، وتحكيم العقل – أن انقسمت حملة العقيدة إلى مدارس مختلفة، كل مدرسة منها تُمثّل لونهاً معيناً من التفكير؛ وتستأثر هي وحدها بالحق دون غيرها في زعمها، ومن لم يدخل في دائرة تعاليمها يُعدّ في نظرها خارجاً عن الإسلام: فمدرسة لأهل الحديث، ومدرسة للأشاعرة، ومدرسة للماتريدية، ومدرسة للمعتزلة، ومدرسة للشيعة، ومدرسة للجهمية .. إلى آخر هذه المدارس المختلفة المتعددة المذاهب والمنتوعة الآراء:

وكلّ يَدْعَى وَصُلّاً بِلَيْـ... لِي ... وِلْيَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

إذا اشتبكت دموعٌ في جفون ... تَبَيَّنَ من بكي ممن تباكَ)<sup>3</sup>

وكشف السيد سابق في كتابه (العقائد الإسلامية) أيضاً أن (أشهر الخلافات التي وسَّعت الهوة بين الأمة الواحدة، هو ما وقع من خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة. وكان أهم الموضوعات التي ثار حولها الخلاف هي ما يأتي: 1 - هل الإيمان تصديق فقط، أو هو تصديق وعمل؟ 2 - هل صفات الله الذاتية ثابتة، أو منفية عنه؟ 3 - هل الإنسان مُسَيَّر، أو مُخَيَّر ..؟ 4 - هل يجب على الله فعل الصالح أو الأصلح، أو لا يجب؟ 5 - هل الحسن والقبح يعرفان بالعقل، أو الشرع؟ 6 - هل يجب على الله أن يثيب الطائع، ويعذب العاصي، أو لا يجب ذلك؟ 7 - هل يرى الله في الآخرة، أو أن ذلك مستحيل؟ 8 - ما حكم مرتكب الكبيرة التي لم يُثب منها حتى مات؟ إلى آخر هذه المسائل التي كانت مثار فرقة بين المسلمين؛ والتي مزقت الأمة شيعاً وأحزاباً)<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> العقائد الإسلامية، سيد سابق (ت 1420هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1403هـ/ 1983م، ص: 13.

<sup>2</sup> عقيدة المسلم، محمد الغزالي، دار الشهاب للطباعة والنشر عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 1985م، ص: 5.

<sup>3</sup> العقائد الإسلامية، المرجع السابق، ص: 14.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 14، 15.

وقد حاول الأستاذ محمد الغزالي مع أخيه في ميدان الدعوة الإسلامية معالجة هذا الموضوع بنظرة تجديدية وسطية لا غلو فيها ولا تطرف قال رحمه الله تعالى: (إن الإغراق في التأويل . كما هو مذهب المعتزلة . أذهب الخشية من القلوب، كما أوقع أصحابه في نقائص عقلية مستغربة، إذ كيف يقال: عليم بلا علم، وقادر بلا قدرة؟ وهذا التفكير تقليد رديء لأرسطو الذي جرد إلهه من كل وصف، وعمل حتى أصبح إلهاً يتأمل ذاته وحسب! وقد كان المعتزلة أجراً على تأويل النصوص منهم على نقد الفلاسفة، وذلك مسلك معيب)<sup>1</sup>.

لقد أظهر الشيخ الغزالي إعجابه الكبير بطريقة أحد شيوخه في علم التوحيد زمن دراسته في الأزهر الشريف، والذي استعرض مسألة تناول آيات الصفات والآيات المتشابهة بين السلف والخلف، ويسجل لنا حواراً مع شيخه، وموقف زملائه الطلبة من هذا النقاش بهذه الصورة: (ومذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أحكم! قلت له: لماذا؟ قال: مذهب السلف أسلم، لأنه أبعد عن الخطأ في تقرير المعنى، وأرجى للثواب لأنه يبتعد عن التأويل، ويقبل التقويض كما أمرنا، أما مذهب الخلف فهو أقدر على دحض الشبهات، ورد الوسوس، وإلزام الخصوم. وسلمنا . نحن الطلاب . بما تعلمنا، ومضت السنون واللجاج لا ينتهي بين الفريقين!)<sup>2</sup>.

وانتقد الغزالي الكتب التي صنفت في العقيدة الإسلامية على الطريقة الكلامية على شكل متون احتاجت على شروح وحواشي معقدة يقضي الطالب مع شيخه زمناً طويلاً حتى يفك شفراتها ويحل معضلاتها، أو ينصرف عنها بالمرّة إذا لم يكن من ذوي الهمم العالية، علماً أنّ كثيراً منها ألف في عصور الضعف اللغوي والأدبي وتمت صياغتها بلغة ركيكة. هذا من الناحية الشكلية ومن الناحية المضمونية، فخلط مباحث العقيدة بالمباحث الفلسفة والمنطق أفقدها بهاءها ورونقها<sup>3</sup>، هذه العوامل والحقائق كلها دفعت العلامة الغزالي إلى التفكير في شرح مباحث العقيدة لجيل اليوم موصولة بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وحقائق العلم الحديث الذي وصل إلى درجات عالية ولا يزال لم يبلغها من قبل.

وتتجلى أهم معالم التجديد في مجال العقائد عند الإمام محمد الغزالي في النقاط التالية:

1. العناية في عرض العقيدة الإسلامية، بالأدلة القطعية من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ودعمها بما يناسب التفكير الحديث والمعاصر، من حجج علمية تزيد الذين آمنوا وأماناً وإيماناً وتكون سلاحاً قوياً لردّ كيد الكائدين وشبه المبطلين ودعوى الحاقدين المفسدين، وذلك على غرار دليل الإبداع الذي نجده في مثل قوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)} {الغاشية: 17 - 21}، ودليل العناية كقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (12) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)} {الجاثية: 12، 13}. ودليل الحركة كقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيماً غَفُوراً (41)} {فاطر: 41}. ثم دليل الحدوث الذي نجده في مثل قوله تعالى {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (1)} {الإنسان: 1}. وقد وقف الإمام محمد الغزالي عند هذه الأدلة وشرحها شرحاً وافياً يفي بالغرض<sup>4</sup>، ويا ليت الوعاظ والأئمة يهتدون بهذا الأسلوب

<sup>1</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، محمد الغزالي، كتاب الأمة، سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم

الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر، جمادى الآخرة 1402 هـ ص 125.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 122.

<sup>3</sup> ينظر، عقيدة المسلم، المرجع السابق، ص 9، 10.

<sup>4</sup> ينظر، المصدر نفسه، ص 13، 16.

- المفنع في عرض دروس العقيدة على عامة المسلمين، بعيدا عن المصطلحات التي مضى وقتها وسياقها، فضلا عن جفافها ومحدودية تأثيرها.
2. مزج دروس العقيدة بما توصل إليه أهل العلم والنظر الصحيح من مختلف الحضارات من أدلة دالة على وجود الخالق سبحانه<sup>1</sup>، وأنه متصف بكل صفات العظمة والجلال والجمال وذلك مثل شهادات أينشتين وغيره. حيث نجد الغزالي يذكر بعضا من ذلك مثل قول (أينشتين): (إن جوهر الشعور الديني في صميمه هو أن نعلم بأن ذلك الذي لا سبيل لمعرفة كنه ذاته موجودًا حقًا، ويتجلى بأسمى آيات الحكمة وأبهى أنوار الجمال . وإنني لا أستطيع أن أتصور عالما حقًا لا يدرك بأن المبادئ الصحيحة لعالم الوجود مبنية على حكمة تجعلها مفهومة عند العقل. فالعلم بلا إيمان يمشي مشية الأعرج. والإيمان بلا علم يتلمس تلمس الأعمى)<sup>2</sup>.
3. الابتعاد كل البعد عن المجادلات العقيمة، والاختلافات المؤدية للتدابير والتباغض، ثم التنازع والتناحر، والمؤدية في النهاية إلى الفشل الذريع في كل المجالات الحيوية ومعنى ذلك ذهاب ربح المسلمين، وفقدانهم لعزتهم وهيبتهم بين الشعوب والأمم.
4. ربط دروس العقيدة بالوحي السماوي، وتأثيرات ذلك في إصلاح المؤمنين واستقامة سلوكهم، وطهارة قلوبهم ونظافة بواطنهم من كل العلل الخفية التي هي أصل كل البلاء الذي قد يصيب أمة الإسلام في مقتلها إذا لم تبادر إلى تحصين نفسها وإصلاح أحوالها وشأنها.
5. ضرورة التصلح في فقه اللغة العربية ومعرفة أساليبها البيانية، وأن استعمال المجاز من سنن كلام العرب ولغتهم العربية التي نزل القرآن الكريم وفق أوضاعها وخصائصها اللغوية ونظمها البياني البديع، وكما ينقل الغزالي عن ابن الجوزي فإن (أقوامًا قصرت في علومهم فأروا أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة ما ظنوا هذا، وما هم إلا بمثابة قول الحجاج لكاتبه وقد مدحته الخنساء ، فقالت: [إذا هبط الحجاج أرضًا سقيمة/ تتبّع أقصى دائها فشفاها// شفاها من الداء العضال الذي بها/ غلام إذا هز القناة سقاها]. فلما أتمت القصيدة قال لكاتبه: اقطع لسانها! فجاء ذلك الكاتب المغفل بالموسى! فقالت له الخنساء: ويلك، إنما قال: أجزل لها العطاء!!<sup>3</sup>). وبعد استعراضه لشروحات ابن الجوزي في مسألة التأويل وضرورة السير وراء الدليلين النقلي والعقلي، يقول في ختام ذلك: (وما دام التأويل ضرورة في شرح بعض النصوص، وما دام السلف والخلف قد اضطروا إليه جميعًا، فنحن مع السلف نفوض رافضين التجسيم، ومع الخلف نؤول رافضين التعطيل (!..)<sup>4</sup>. وبهذا التوازن وبهذه الوسطية المعتدلة يمكن أن نوحّد جهودنا ونصفي قلوبنا ونكون يدا واحدة على أعدائنا ومن يريد الكيد والشر لديننا وكتاب ربنا وسنة نبينا.
6. إبعاد المواضيع التي أقيمت في مجال العقيدة، وترتيب أحكام الإيمان والكفر على اعتقادها أو نكرانها، دون وجود نص قطعي الثبوت، وذلك على سبيل المثال لا الحصر قضية الإمام المهدي المنتظر، وحتى إذا تم تناولها فيكون ذلك دون غلو أو مبالغة في نكر الأخبار التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن العلماء الذين تناولوا قضية المهدي دون تهويل العلامة السيد سابق (ر) حيث قال: (هذه هي خلاصة

<sup>1</sup> ينظر، المصدر نفسه، ، ص 19 وما بعدها.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 22.

<sup>3</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص 126.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ، ص 130.

الروايات التي تحدثت عن المهدي، ورويت في شأنه، وهي في جملتها لا تخرج عن كونها أخباراً عن ظهور رجل من المصلحين في آخر الزمان يرفع لواء الحق، ويعلى كلمة الله، ويُمكن للإسلام، ويكون طليعة للخير العام الذي يأتي بعده، كما كان يوحنا قبل ولادة عيسى عليه السلام. على أثر ذلك يخرج الدجال اليهودي، كمظهر من مظاهر الفتنة الكبرى، ليقاوم هذه النهضة الإسلامية، محاولاً فتنة الناس عن دينهم بما أعطى من علم وبراعة وقوة، فيبطل الله أمره بما يحدثه من آيات أكبر من فتنته بإنزال عيسى عليه السلام ليكون قوة للحق الذي يمثله المهدي حينئذ، ويتعاون كل من عيسى والمهدي ومن ورائهما كتائب الإسلام على قتله، وإحباط أمره<sup>1</sup>. وأمّا الشيخ محمد الغزالي (ر) موضوع بحثنا في معالم تجديد الخطاب الديني عنده، فقد كان لا يرى الاعتقاد في المهدي من ضروريات الديني التي لا يكمل إيمان المؤمن إلا بها، وهذا انسجاماً مع منهجه العلمي والفكري الذي كان يعلنه دون أن يخاف في الله لومة لائم، وإنما خدمة للدعوة الإسلامية ومسيرتها الرشيدة، وفي هذا الصدد يقول العلامة أ.د/ يوسف القرضاوي في مقدمته لكتاب (ندوات الغزالي) الذي جمعه الأخ الفاضل (مجد مكي): (وللشيخ الغزالي . رحمه الله تعالى . آراء جريئة جهر بها، ولم يخشَ أحداً من الصّدع بها، مثل آرائه أنه لا نسخ في القرآن الكريم، وهو ما يشاركه فيه عدد من علماء العصر، مثل الشيخ: محمد الخضري، والشيخ: خلاف، وأبو زهرة، رحمهم الله تعالى، وأكاد أشاركهم في هذا. ومثل إنكاره عقيدة المهدي المنتظر، وأنا أكاد أشاركه أيضاً في هذا، فأرى أنّ الأمر لا يستحق أن يكون عقيدة يجب الإيمان بها ضمن عناصر الإيمان المعروفة، بل يرجح من مجموع الأحاديث: أن الأمة سيظهر فيها في آخر الزمان حاكم عادل من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم . لعله من ذرية الحسن بن علي . يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وحين يظهر ويحقق هذا سيقول الناس: هذا هو المهدي الموعود)<sup>2</sup>.

إنّ الإمام الغزالي الباحث عن الحقيقة، ورجل الدعوة، والعالم الفقيه الخبير بمفردات الشريعة وتعاليمها الغراء، يدرك أكثر من غيره بفضل قراءته الواعية للنصوص النبوية ما صحّ منها وما لم يصح، العواقب الوخيمة والسلبية التي عادت ولا تزال على الأمة بسبب انتشار أحاديث المهدي وقراءتها السلبية من طرف من يظن أنّ العلم هو سرد النصوص بالأسانيد دون فقه ولا تأويل صحيح مبين. قال العلامة الإمام محمد الغزالي (ر) في بيان منهجيته في الدرس والبحث العقدي: (لما ألّفت كتابي عقيدة المسلم، لم أذكر شيئاً عن المهدي المنتظر، وعندما خوطبت في ذلك، وقيل لي: لم لم تذكره في علامات الساعة؟ قلت: من محفوظاتي وأنا طالب أنّه لم يرد في المهدي حديث صريح، وما ورد صريحاً فليس بصحيح! وإذا كان ما ورد لم ينهض إلى تكوين حكم ثابت، فكيف أجعله عقيدة تفصل بين الكفر والإيمان؟ وأردفت ضاحكاً: المشكلة الآن ليست في المهدي المنتظر، إنما هي في المهدي غير المنتظر، الذي يفاجئنا بظهوره بين الحين والحين، ويزيد العدد في إحصاء الدجالين ..)<sup>3</sup>. إنّ غياب اليقين في أحاديث المهدي وما يجعله عقيدة ملزمة تترتب عليها أحكام خطيرة تخص الإيمان والكفر، وما يمكن أن تفعله الأفكار المتطرفة اتجاه المعتدلين هي التي دفعت الباحث (عز الدين بليق) صاحب كتاب (موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة) إلى إنكاره هو أيضاً تحت عنوان فرعي (هل من مهدي ينتظر؟) مقدّماً

<sup>1</sup> العقائد الإسلامية، المرجع السابق، ص 251.

<sup>2</sup> مقدمة "ندوات الشيخ الغزالي"، موقع فضيلة الشيخ أ.د/ يوسف القرضاوي، تاريخ النشر: أربعماء،

22:17 الساعة 2018/10/17 الزيارة: <https://www.al-qaradawi.net> ، 03:00 - 2017/04/10

<sup>3</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص 132، 133.

في ذلك مجموعة من المبررات، من أبرزها كما يقول إن: (1). هناك تناقض في اسم المهدي، فتارة اسمه محمد بن عبد الله، وتارة يسمى الحارث بن حراث! 2. وتناقض في مولده، فأحاديث توضح أنه من ولد عبد المطلب، وأحاديث تقول: إنه من ولد العباس، وأخرى من ولد فاطمة ورابعة من صلب الحسن! وتناقض في تحديد مكان خروجه: فأحاديث تذكر خروجه من وراء النهر وأخرى من المدينة، وثالثة من قبل المشرق، ورابعة من خراسان! وتناقض في مدة لبثه فأحاديث تحدّد مدة لبثه سبع سنين، وأخرى تسع سنين وثالثة عشر سنة وحديث يقول من ثلاثين إلى أربعين سنة! (...)<sup>1</sup>. كما يدعّم رأيه في أحد الهوامش بما كتبه فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود في كتابه (لا مهدي ينتظر) وما جاء في مقدمة ابن خلدون<sup>2</sup>.

هذا وإنّ الأستاذ أبو الأعلى المودودي، له رأي معتدل في قضية المهدي يقترب كثيرا حسب علمي من رأي الأستاذ السيد سابق الأنف الذكر، فبعد أن يقدّم التصورات الساذجة التي تعكس أفكار الدروشة والتصوّف والفهم السلبي لنصوص الدين فإنّه يتصوّر ( أنّ الإمام المنتظر سيكون زعيما من الطراز الأحدث في زمانه بصيرا بالعلوم الجديدة بصر المجتهد المطلع... )<sup>3</sup>.

هذا مع العلم وللأسف أن بعض من يزعم انتسابه للعلم وقواعده يشنّ حربا باسم النقل ضد من يقصي عقيدة المهدي من أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة، طبعا هذا أمر خطير جدا، وليته كان نقلا يقينيا يعضده القرآن الكريم، والنص النبوي حتى وإن كان صحيحا فإنّه يحتاج إلى عقل ناضج وفهم وفقه صحيح.

إنّ ميدان العقيدة الإسلامية يجب التركيز فيه على النماذج القوية الإيمان والصلبة في مواقفها الإسلامية بحيث لا تتبع دينها بعرض من الدنيا قليل، ولا تتافق ولا تدهن في سبيل نصره دينها أحدا مهما كان حجمه أو بلغ سلطانه، وللشيخ (عبد اللطيف بن علي السلطاني) كتاب عنوانه (في سبيل العقيدة الإسلامية) كنا قرأناه منذ عقود، يقدّم من خلاله نماذج طيبة للمواقف الإيمانية مثل سيدنا إبراهيم الخليل ومحمد بن عبد الله (ع)، وأصحاب الأخدود، وبلال بن رباح، وعمار بن ياسر وأسرته الكريمة، وصهيب بن سنان الرومي وخباب بن الأرت وسلمان الفارسي (ر)، وهي نماذج سجد فيها الشباب أمل وزهرة المستقبل كل الإشعاع والنور للسير على منهج النبوة وجيل الصحابة الكرام الذين تربّوا في مدرسة النبوة، ونهلوا من نبعها الصافي والشافى<sup>4</sup>.

## (2) التجديد في ميدان العبادات:

ومن أمعن النظر في مؤلفات الإمام الغزالي، وتتبع محاضراته ومواقفه ومنهج دعوته يعلم مدى انفتاح الرجل على مختلف مذاهب الفقه الإسلامي وعلى شتى التيارات الفكرية الإسلامية معتبرا إياها نتاجا بشريا يحاول الاقتراب من بحر الإسلام الغني بالكنوز والفوائد فمنهم الغواص الماهر ومنهم دون ذلك، وهو يستعرض كل تلك الموارد بميزان العقل السليم والنقل الصحيح ليخرج برؤى فكرية وفقهية تجنح لقواعد التيسير ورفع الضرر والحرص عن عموم

<sup>1</sup> موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، عز الدين بليق، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 87.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 88.

<sup>3</sup> موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه (و اقع المسلمين وسبيل النهوض بهم)، أبو الأعلى المودودي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 1988م، ص 61.

<sup>4</sup> في سبيل العقيدة الإسلامية، عبد اللطيف بن علي السلطاني، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، الطبعة الأولى، 1402هـ/ 1982م، في مواضع متفرقة من الكتاب.



أمة الإسلام، فبالنسبة للفقهاء الإسلاميين ورؤيته التجديدية له قال قدس الله سره «والفقه الإسلامي الذي جمد عدّة قرون، ثم نهض بعد رقدته الطويلة يتعثر في مشيته، هذا الفقه يجب أن تعود إليه نضارته الأولى... وينبغي أن يدرك الجمهور أنه ليست هناك مذاهب أربعة في الإسلام، بمعنى طرق أربعة ينقسم المسلمون فرقا فرقا على صعيدها... فالفقهاء الأربعة الكبار لا يمثلون أكثر من وجهات نظر فقط للإسلام الواحد الذي لا يقبل تعددا ولا تفرقا. وهذه الوجهات فيها الخطأ والصواب، وليس هناك إلزام ديني للمسلم أن يلتزم وجهة نظر واحدة في فهمه للعبادات والمعاملات...»<sup>1</sup>.

ويضرب الإمام الغزالي (ر) نموذجا من الأحكام الفقهية التي بنيت على وجهات نظر فقهية اجتهادية لا سند لها من الكتاب المبين اللهم إلا مراعاة بعض الأعراف الاجتماعية القلبية والعصبية النسبية والتي تخالف أرقى ما وصلت عليه حقوق الإنسان في العصر الحديث، وهي مسألة إمامة ولد الزنا، وكم تعاني هذه الشريحة الاجتماعية من ظلم كبير من المجتمع نفسه الذي كان احد عوامل نشوئها وتكونها، ومع أنه في الإسلام أنه لا تتر وازرة وزر أخرى، قال الإمام محمد الغزالي (ر): (يرى ابن حزم أن ابن الزنا، والقرشي، سواء في إمامة الناس في الصلاة! إذ لا تقاضل بينهم إلا بالقراءة والفقهاء وقدم الخير والسن فقط...! قال: وكره مالك إمامة ولد الزنا...! ولا وجه لهذا القول، لأنه لا يوحى قرآن، ولا سنة صحيحة، ولا سقيمة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا قول صاحب!! وعيوب الناس إنما تكون في أديانهم وأخلاقهم، لا في أبدانهم، ولا في أعرافهم، قال الله عز وجل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). واحتج بعض المقلدين لمالك . في تحريم إمامة ابن الزنا . قالوا: يفكر من خلفه فيه فيلهي عن صلته!! قال ابن حزم: وهذا كلام في غاية الغثاثة والسقوط. ولا شك أن فكر المأموم في أمر الخليفة لو صلى بالناس، أو الأحذب إذا أهم أكثر من فكره في ولد الزنا...! ولو كان لشيء مما ذكره حكم في الدين، لما أغفله الله على لسان رسوله: (وما كان ربك نسيا). ثم روى ابن حزم عن الحسن البصري قال: ولد الزنا وغيره سواء . وعنه أيضا قال: ولد الزنا بمنزلة رجل من المسلمين يؤم . في الصلاة . وتجوز شهادته إذا كان عدلا...! وعن عائشة أم المؤمنين أنها سألت عن ولد الزنا فقالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيء: (ولا تتر وازرة وزر أخرى). وعن الزهري قال: كان أئمة من ذلك العمل . يعنى من الزنا . . وعن سفيان الثوري عن حماد سألت إبراهيم عن ولد الزنا والأعرابي والعبد والأعمى هل يؤمون؟ قال: نعم إذا أقاموا الصلاة . وعن معمر قال: سألت الزهري عن ولد الزنا هل يؤم؟ قال: نعم وما شأنه؟ وروى أن أبا هريرة لما وصف ابن الزنا بأنه شر الثلاثة . يعنى أبويه معه . قال عبد الله بن عمر: بل هو خير الثلاثة...!! ونحن لا يعنينا البت في هذه المسألة بقدر ما يعنينا الفزع من أن الأمة الإسلامية تستقر فيها أحكام لا دعامة لها من القرآن، ولا من السنة، ولا من القياس، ولا من الإجماع.. إذن كيف استقرت هذه الأحكام؟ ولماذا ألزم الناس بتبهيها على أنها من حدود الله؟ وهبها رأى مجتهد فما قيمة رأى لا يعتمد على شيء مما ذكرنا؟ وما الفرق بينه وبين الآراء المخالفة له سواء عاصرت أم جاءت بعده على مر القرون...؟! إننا أحوج الأمم إلى غربة الأحكام والعادات والموروثات التي تشيع بيننا، ومقاضاتها إلى اليقين من كتاب ربنا وسنة نبينا...!)<sup>2</sup>.

لقد كفل الإسلام الذي جاء قبل وجود المذاهب الفقهية حرية التبعّد دون حجر أو تمييز أو احتكار الحقيقة أو المنزلة العالية عند الله وعند رسوله الكريم، قال العلامة د/ محمد عمارة « إنَّ الفقه هو علم الفروع .. وتمايز الاجتهادات فيه واختلاف المجتهدين في أحكامه لم يكن في يوم من الأيام يمثل مشكلة لوحدة الأمة، بل كان مصدر غنى وثرء للعقل الفقهي والواقع الإسلامي على السواء .. وفي الفقه كان الأئمة والعلماء المختلفون في

<sup>1</sup> ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، (تنازل الشيخ المؤلف عن حقوقه لفائدة القارئ المسلم بالجزائر)، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الجزائرية الأولى، 1408هـ/1988م، ص 187.

<sup>2</sup> الإسلام والطاقت المعطلة، المصدر السابق، ص 61، 62.

المذاهب، يتلمذ الواحد منهم على من يخالفه في المذهب .. بل ورأينا في تراثنا من العلماء الأعلام من يجمع المذاهب المتعددة في فقهه وعطائه، فيفتي وفق مذهب، ويقضي وفق مذهب ثانٍ، ويدرس كل المذاهب لطلاب علمه ومريديه! ..»<sup>1</sup>.

وحسبما ذكره العلامة محمد الغزالي رحمه الله في ركائز الإيمان فإنّ على جمهور المسلمين أن يدرك تمام الإدراك أنّ الإسلام أكبر من حصره في دائرة المذاهب الفقهية السننية الأربعة الشهيرة وهي تمثل اجتهادات علمية لأربابها حاولوا قدر استطاعتهم تقديم الحلول لمشكلات أمتهم في زمانهم وبالتالي «ليس هناك إلزام ديني للمسلم أن يلتزم وجهة نظر واحدة في فهمه للعبادات والمعاملات ...»<sup>2</sup>، إنّ التعصب المذهبي هو نقطة البداية نحو إقصاء الآخر، والجروح نحو التطرف في الآراء والسلوك، وهو العدو اللدود لكل تجديد في معالجة المسائل المستجدة، ولكل روح تطورية تسير التطور الحضاري وتستجيب لإشكالياته والمسائل العويصة التي يطرحها أبنائه والنابعة من انشغالاتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فضلا عن الدينية، من هنا نجد أن الإمام محمد الغزالي طيب الله ثراه يطرح تصوّرا لتجديد مناهج تدريس الشريعة الإسلامية بعيون معاصرة يقوم على دراسة الموضوع الفقهي ابتداء من نصوص الكتاب والسنة، مع التعرض لما قدمه الأئمة الكبار من شروح حولها، مع تبيان وهذا مهم جدا أنّها تمثل اجتهادات لحل المعضلات التي عايشوها مع الحرص على تنمية ملكة الحوار والنقاش والمقارنة وتنمية روح التحرر من ريقه التعصب المذهبي<sup>3</sup>. إنّ الاجتهاد هو في نهاية الأمر جهد بشري يبذل من حصل معرفة عميقة بالشريعة وأحكامها وأسرارها لأجل تقديم الإجابات الشافية لما يمور في المجتمع من قضايا ومشكلات متعدّدة الأشكال والألوان، وبالتالي فإنّ هذا الاجتهاد يخضع لعدّة مؤثرات زمانية ومكانية، تجعله ابن مرحلته الحضارية يدور في إطارها ويخضع لمستلزماتها.

وما ذكره العلامة الغزالي في (ركائز الإيمان) قد شرّحه في كتابه المختصر الجامع (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية) تحت عنوان فرعي ( بين الاجتهاد .. والتقليد ..) ومما ذكره ما يلي: (وقد كنت أرى الطريق الأفضل في فهم الأحكام الفرعية سوق النص أولا من الكتاب والسنة، ثم إتباعه بأفهام الفقهاء الكبار، ومن يليهم من أهل العلم. ثم قرأت كلاما آخر للشيخ الأديب الفقيه على الطنطاوي تعليقا على كلمة جميلة لابن الجوزي في منع التقليد، نذكرها أولا، ثم نذكر التعليق: قال ابن الجوزي ينصح طالب العلم: ... ينبغي له أن يطلب الغاية في العلم، ومن أقبح النقص: التقليد، فإن قويت همته رفته إلى أن يختار لنفسه مذهباً ولا يتمذهب لأحد، فإن المقلد أعمى يقوده من قلده.. قال الشيخ علي: أي يستعد بالتعلم والدأب حتى يصل إلى القدرة على الاجتهاد وترك التقليد! لا أن يجتهد لنفسه وهو لا يعرف من عدّة الاجتهاد إلا حفظ أحاديث، وقدرة على معرفة مكان وجودها، والبحث في كتب الرجال عن أحوال روايتها. قال: والناس في هذه المسألة بين مُفْرِطٍ في اتباع المذاهب، لا يفرق بين الحكم المؤيد بالنص الصريح وما هو رأي للفقيه، وبين مُفْرِطٍ فيها، يتركها جملة ويحاول أن يأخذ من الأحاديث رأسا، ولو لم يكن عنده أدوات الأخذ من الحديث. قال: والحق أنه على المسلم أن يتفقه أولا في مذهب معين، فيعرف أحكام

<sup>1</sup> فقه الحضارة الإسلامية، أ.د/ محمد عمارة، دارالسلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م، ص115.

<sup>2</sup> ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، (تنازل الشيخ المؤلف عن حقوقه لفائدة القارئ المسلم بالجزائر)، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة الجزائرية الأولى، 1408هـ/1988م، ص187.

<sup>3</sup> ينظر، المصدر نفسه، ص187.



دينه، ثم ينظر في دليها، ويحاول أن يتعلم ما يعين على معرفة طرق الاستدلال وقوة الدليل، ثم ينظر، فإن رأى دليلاً ثابتاً أقوى من دليل مذهبه أخذ به..<sup>1</sup>

وما تحدّث عنه الإمام محمد الغزالي، تحدّث عنه أيضاً الشيخ سيد سابق في مقدمة كتابه الذائع الصيت (فقه السنة) حيث قال رحمه الله « فلما جاء أئمة المذاهب الأربعة تبعوا سنن من قبلهم، إلا أن بعضهم كان أقرب إلى السنة، كالحجازيين الذين كثر فيهم حملة السنة ورواة الآثار، والبعض الآخر كان أقرب إلى الرأي كالعراقيين الذين قل فيهم حفظة الحديث) لتتائي ديارهم عن منزل الوحي. بذل هؤلاء الأئمة أقصى ما في وسعهم في تعريف الناس بهذا الدين وهدايتهم به، وكانوا ينهون عن تقليدهم ويقولون: لا يجوز لأحد أن يقول قولنا من غير أن يعرف دليلاً، صرحوا أن مذهبهم هو الحديث الصحيح، لأنهم لم يكونوا يقصدون أن يقلدوا كالمعصوم صلى الله عليه وسلم، بل كان كل قصدهم أن يعينوا الناس على فهم أحكام الله»<sup>2</sup>.

ثم بيّن الإمام محمد الغزالي رحمه الله بمنهجيته التحليلية وأسلوبه البياني البليغ منافع تكوين هذه الملكة الفقهية لدى الطلاب ومنهجية التحرّر من ربة التقليد الأعمى والتعصّب المذهبي المقيت فيقول عن المنهج الذي يحبّه والمنفتح على كل منجزات التراث الإسلامي وغربلتها والاستفادة منها مما يلائم روح القرآن الكريم ومقاصده الشرعية وما يستجيب لمتطلبات وتحديات الظروف الراهنة وفق مقاصد الشارع الحكيم، حيث يقول: « إن هذا المنهج له فوائد جمة: فهو يجمع المسلمين قاطبة على أصول دينهم، ويقطع دابر التعصّب المذهبي الذي شاع بين جماهير غفيرة... وهو - بفتح باب المقارنة - يطلق العقول من سجن التقليد، ويمحصّ كثيراً من الآراء، التي تنسب إلى الأئمة وليست لها وجهة علمية .. »<sup>3</sup>.

لقد بيّن المرحوم السيد سابق أنّ روح التقليد ومحاربة التجديد والإصلاح للأسف سرت في جسد الأمة الإسلامية بعد اضمحلال واندثار الروح الاجتهادية وتنوّع الأفكار والاتجاهات، وبالتالي جاء بدلها التقوقع والتعصّب لوجهات مذهبية حسب توجّهات الدولة لخدمة مصالحها الآنية والسياسية، حيث أنّ الأتباع المقلّدون المتعصّبون بعد العصر الذهبي للأئمة المجتهدين « فترت همهم، وضعفت عزائمهم وتحركت فيهم غريزة المحاكاة والتقليد، فاكتفى كل جماعة منهم بمذهب معين ينظر فيه، ويعول عليه، ويتعصّب له، ويبذل كل ما أوتي من قوة في نصرته، وينزل قول إمامه منزلة قول الشارع، ولا يستجيز لنفسه أن يفتي في مسألة بما يخالف ما استتبّه إمامه، وقد بلغ الغلو في الثقة بهؤلاء الأئمة حتى قال الكرخي: كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ. وبالتقليد والتعصّب للمذاهب فقدت الأمة الهداية بالكتابة والسنة، وحدث القول بانسداد باب الاجتهاد، وصارت الشريعة هي أقوال الفقهاء، وأقوال الفقهاء هي الشريعة، واعتبر كل ما يخرج عن أقوال الفقهاء مبتدعاً لا يوثق بأقواله، ولا يعتدّ بقناويه»<sup>4</sup>.

إنّ التعصّب المذهبي هو نقطة البداية نحو إقصاء الآخر، والجنوح نحو التطرّف في الآراء والسلوك، وهو العدوّ اللدود لكل تجديد في معالجة المسائل المستجدة، ولكل روح تطورية تسير التطور الحضاري وتستجيب لإشكالياته والمسائل العويصة التي يطرحها أبنائه والنابعة من انشغالاتهم النفسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية فضلاً عن الدينية. يقمّ د/ محمد عمارة تصورات قيمة وموضوعية للتقريب بين المذاهب وبلورة إطار

<sup>1</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص 137.

<sup>2</sup> فقه السنة، السيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1397هـ/ 1977، م1(العبادات) ص 13.

<sup>3</sup> ركائز الإيمان بين العقل والقلب، المرجع السابق، ص 187.

<sup>4</sup> فقه السنة، المرجع السابق، م 1، ص 13.

وحدوي جامع لأمة الإسلام بعيدا عن تشنجات وتعصبات الماضي وفي هذا الإطار يقول: «فالتقريب بين المذاهب، والذي يمثل الميدان الحقيقي للجهاد الفكري المطلوب، هو الذي يوحد الأمة في الأصول والثوابت، وفي أمهات العقائد والمسائل الفكرية.. وهذا هو ميدان علم الكلام .. والجهد التقريبي - الغائب والمطلوب - هو نزاع (الألغام الفكرية - التكفيرية) التي تقسم وحدة الأمة بالتكفير لفريق من الفرقاء أو مذهب من المذاهب؛ لأنّ التكفير هو نفي للآخر، يقسم وحدة الأمة.. وهو خطر لا علاقة له بالفقه، الذي هو علم الفروع، ولا بالاجتهادات والاختلافات الفقهية، التي هي ظاهرة صحية، تثمر الغنى والثراء في الأحكام، واليسر والسعة للأمة كلها في تطبيق هذه الأحكام»<sup>1</sup>. إنّ هذا التقريب يدور حول المسائل المشتركة، والذي يتمحور حول الأصول الثابتة التي يجمعها الاعتصام بحبل الله من طرف الجميع والابتعاد عن التفرّق والتشردم والتمزّق.

ركز الإمام محمد الغزالي في مجال العبادات على القيم الروحية والأخلاقية التي تصنع من المسلم مخلوقا متعبدا متقربا إلى خالقه متضامنا متسامحا مع إخوانه، قال رحمه الله في كتابه (هذا ديننا): (أما محور العبادات في الإسلام، فهو تركية النفس، وإخلاص السريرة، وإشراب الطبيعة الإنسانية معنى الخضوع لله وحده، والامتداد فيما وراء هذا مع الناس ومع الحياة...)<sup>2</sup>. كما بيّن رحمه الله تعالى مدى اتساع الثروة الفقهية الإسلامية وأنها حاولت تنظيم علاقة الإنسان بربه ليكون عنصر بناء مهم وفعال، وأنّ الفقهاء الذين شرحوا تعاليم الدين التعبدي إنما كانوا يهتدون بتعاليم ونصوص الكتاب والسنة، على اختلاف بينهم في درجة الفهم والتأويل ودرجة ثبوت النص النبوي وقوة أو ضعف رجال سنده الرواة، وهذه الاختلافات الفقهية لها أسبابها الوجيهة ونتائجها المتعددة، ويضرب لذلك نماذج على سبيل المثال لا الحصر، ومنها قضية إمامة المرأة، وتأويل الآية الكريمة السادسة من سورة المائدة، المتعلقة بالتميم وما يتعلق به من أحكام... ويصل الإمام إلى الفكرة المهمة التالية: (وعندي أنّ أغلب الأقوال التي تداولتها المذاهب الفقهية حق، وإتّها فعل الرسول صلى الله عليه وسلم أو إقراره على اختلاف المكان والزمان. فهو - صلوات الله عليه - سدل يديه في الصلاة وضمهما. وهو رفع يديه قبل الركوع وبعده حيناً، وتركه حيناً. وهو أقرّ التكبير في الأذان مفرداً، ومثنى... إلخ)<sup>3</sup>. وهو يطالب بتجديد مناهج الدراسة الفقهية عن طريق الدرس المقارن الكاشف لأسباب الاختلاف، الذي هو اختلاف تنوع لا تضاد وأنه يمثّل أجوبة للمشاكل ورفعاً لأشكال الحرج التي قد يقع فيها كثير من المتعبدين المتدينين، قال رحمه الله في كتابه (هذا ديننا): (ولو يسرنا الدراسة المقارنة، ووسعنا منادح النظر لانفرجت أزمت ما استحكمت حلقاتها إلا يوم ضاق العطن، وعمّت الخيبة)<sup>4</sup>.

وفي دعوته التجديدية شنّ رحمه الله تعالى حرباً علمية قوية على التقليد الأعمى والتعصب المذهبي، وشدّد النكير على من يقصون الآراء الفقهية الأخرى التي لم يكتب لها الذيوع والانتشار في العصور الماضية لأسباب متعددة من أبرزها العوامل السياسية، حتى وغن كانت هذه الآراء فيها الحلول الناجعة لما تعانيه أمة الإسلام من مشكلات معقدة في الميادين الأسرية والاقتصادية والسياسية... قال رحمه الله وأجزل مثوبته: (المستغرب في مواريتنا الفقهية أنّ رجال القرون الأخيرة ضاعفوا الحجب بين إمام وإمام، وفقه و فقه!! وحرصوا على استدامة الفوارق بين جماهير المقلدين، حتى لكأنهم أتباع عدة شرائع لا أبناء دين واحد.. مع أنّ الزمن لا يقف.. ومع أنه تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من فجور...! ومع أنّ الجماعة الإنسانية تدخل في أطوار متباينة من ناحية العلاقات الدولية والأوضاع الإدارية والاقتصادية والسياسية. ومع ضرورة بقاء الدين مهيمنا على توجيه القافلة

<sup>1</sup> فقه الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 116.

<sup>2</sup> هذا ديننا، محمد الغزالي، دار الكتب، والمطبوعات الجميلة، الجزائر، الثلاثي الثالث 1988 م، ص 242.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 249.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

السائرة. مع هذا كله، فإن التفكير الإسلامي الفقهي توقف في أغلب ميادين المعاملات، إن لم يكن جمد فيها كلها...! وأغلقت أبواب الاجتهاد بضعة قرون، حتى انكسرت أخيراً تحت ضغط الحاجات الملحة.. وصحب انكسارها فوضى منكرة في الفهم والتطبيق<sup>1</sup>.

وما نكره الأستاذ محمد الغزالي فصله تفصيلاً أ.د/ أحمد الخليلي قائلاً: (مما أثر سلباً على الفقه قديماً وحديثاً أنّ الذي يضع أو ينشئ أحكامه فرد، كما أنّ المخاطبين به الملزمين بالتطبيق هم الأفراد كذلك، وأنّ العقل لا دور له في صياغة أحكامه)<sup>2</sup>. والنتيجة ما هي يا ترى؟ النتيجة في الحقيقة مرّة وقاسية جداً لا زالت تلقي بمآسيها على حاضر المسلمين، الذي لا يفكر إلا في ضوء ما قاله الأولون، ولنستمع إلى ما يقوله أ.د/ أحمد الخليلي : ( وهكذا تم ربط الإيمان بالدين بالاعتراف للحاكم باحتكار تدبير الشأن السياسي وممارسة السلطة، وللمجتهد بالانفراد بتفسير نصوص الشريعة وإعلان الأحكام الملزمة في سلوك الفرد وعلاقاته بالآخرين، وواجب الأمة هو الطاعة في الحالة الأولى، والتقليد في الحالة الثانية... وهذا ما أدى إلى وجود فقه يتلى في مؤسسات الدراسة والتكوين لا علاقة له بالواقع الذي يعيشه الناس بدءاً من العقود والشركات والمسؤولية المدنية إلى النظام السياسي ومؤسسات الدولة، والعلاقات الدولية)<sup>3</sup>.

وقد يتساءل البعض وهو محق في تساؤلاته لماذا حدث كل هذا؟ لماذا أصيب الفقه الإسلامي بأزمة خانقة يطبعها طابع التقليد المذهبي وسدّ باب الاجتهاد، والجواب كما يقول أ.د/ أحمد الخليلي: (وكان طبيعياً أن يحدث هذا نتيجة حرمان الأمة من ممارسة حقها الطبيعي في تدبير شؤون حياتها، ففقدت إحساس الشعور بالمسؤولية عن الأمانة التي حملها الإنسان أمام الله، ليحقق غايات الخلافة في الأرض. هذا حصاد إسناد إنتاج الفقه إلى الفرد المجتهد، وحرمان الأمة منه بإلزامها دينياً بالتقليد والتنفيذ التعبدية لفتاوى المجتهد)<sup>4</sup>

إنّ سعة الصدور، وتنقيتها من أدران التعصب الكريه، وإخلاص النوايا لرب العالمين، هو الكفيل بتضييق هوة الخلافات التي مردّها لأسباب علمية موضوعية، وهي تمثل مرونة الشريعة ويسرها وسماحتها واستجابتها لاحتياجات المسلم، الذي له الحق في اختيار ما يناسب أوضاعه ما لم يكن إثماً أو حراماً، لأنّ كل نص يحتمل القراءات المتعددة وفيه المساحة التأويلية الكافية، لا مجال لتضييق الحريات الدينية فيه تحت مبررات واهية ما أنزل الله بها من سلطان ولا برهان، هناك مسائل عديدة في مجال العبادات اختلفت فيها توجهات وأنظار الفقهاء قديماً وحديثاً ولكل حجته وبيانه كما هو مبسوط في الكتب التي تعالج اختلافات الفقهاء وأدلتهم، قال الإمام الغزالي(ر): (ماذا يعني هذا كله؟ يعني أن اختلاف الآراء وتباين المذاهب شيء لا يمكن تجاهله، ولا الفرار منه، فتلك سنة الله في الأذهان.

والخلاف لا يحل بالعصيّ، ولا بالسفاهة! وإنما يحلّ بالتعاون على ما اتفقنا عليه والتماس العذر للمخالف إذا كان أهلاً للبحث والاجتهاد. إن خطأ المجتهد مأجور.. وينبغي إغلاق الأبواب أمام التافهين حتى لا يتكلم في دين الله إلا أهل الذكر.. ومن طلب وجهه الله قنع بما يحسن، وحرس الإسلام في الميدان الذي يعمل به! وكمن من ميدان

<sup>1</sup> الإسلام والطاقت المعطلة، المرجع السابق، ص 75، 76.

<sup>2</sup> جمود الدراسات الفقهية أسبابه التاريخية والفكرية ومحاولة العلاج، أ.د/ أحمد الخليلي(أستاذ القانون الخاص ودير دار الحديث الحسنية للدراسات العليا/ الرباط/ المغرب)، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م، ص 35.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 36، 37.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 37.

عمل الآن يخلو من الرجال، لأن الرجال يتهاشون في ميدان الكلام حول بعض الفروع التي لا تجدي على الإسلام شيئاً<sup>1</sup>.

### 3) التجديد في ميدان المعاملات:

يذهب الإمام محمد الغزالي بفكره المستنير إلى أن الإسلام دين ودينا، مادة وروح، وأنه جاء ليحث الناس على عمارة الأرض، والتمكين فيها لدين الله تعالى بالأخذ بأسباب الحضارة وال عمران، وامتلاك كل أسباب القوة والتكنولوجيا، وامتلاك الأدوات الكفيلة، بأن يكون الإسلام وأهله في عزة ومنعة، بمقتضى العزة التي كتبها الله لنفسه ولرسوله وللمؤمنين، ذلك أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وهذا في كل مجالات الدين والدنيا.

ويرد الإمام الغزالي الضعف الذي أصاب المسلمين، والعجز الظاهر في استغلال خيرات أرضهم، والعمل الناجع لصالح الإسلام والمسلمين إلى جملة من الأسباب قائلًا: (ويمكننا هنا تحديد أربعة مصادر تولد عنها هذا الإلبار المزرى وأصابنا منها ما أصابنا: 1. فساد عاطفة التدين تبعًا لانتشار تعاليم المتصوفة، وشيوع أفكارهم القائمة عن الحياة...! 2. انكماش القيمة الإنسانية للفرد في ظل الاستبداد السياسي الطويل... 3. انطفاء القوى العقلية، وتسلسل الأوهام والخرافات على الحياة العامة... 4. المروق الظاهر عن أغلب النصوص والقواعد الإسلامية...)<sup>2</sup>.

وبالعودة إلى كتاب (مدخل إلى معرفة الإسلام) للشيخ عبد الرحمن بن الحفاف (1881 - 1957م) سنجد بيزر لنا مرونة الشريعة الإسلامية وصلاحتها لكل زمان ومكان، ومراعاتها لكل ما يستجد من تطورات، قال رحمه الله وجعل الجنة مثواه: (إن التشريع الإسلامي ليس صلبًا ولا جامدًا في الجزئيات، ويمكن أن يساير أحوال أي مجتمع في أي زمان، وغايته هي مصلحة المجتمع دون أي اعتبار آخر، ومن مبادئه الأساسية وجوب مراعاة المصلحة إذا كانت عامة وواجبة...)<sup>3</sup>، وسنجد هذا العالم الفاضل عبد الرحمن الحفاف، وهو المجيد والمتمن لأساليب وتعابير اللغة الفرنسية عن (سواس باسا) هذا النص: (إن الطريقة التشريعية التي أقدّمها اليوم للجمهور، سنشبت للعقول غير المطلعة - وأنا متأكد من ذلك - أن جميع نصوص التشريعات العصرية يمكن إرجاعها إلى التشريع المحمدي، وإقرارها على قواعد مقبولة إسلاميًا. فإذا قدّم هذا الكتاب الدليل على دعواه بالفعل فلن يبقى أي تردّد في إمكان توسّع الشريعة الإسلامية، وبالتالي التوفيق بينه وبين جميع القوانين الأوروبية الحديثة... إنّ النقد من أهداف الإسلام وقانونه)<sup>4</sup>. وهذا كله إنما يتم في الدائرة الإسلامية الكبرى، التي جاءت بأبدع التشريعات وفق ما انتهت إليه العقول الصحيحة، وقرّرت الطابع السليمة في كل زمان ومكان. ركّز الإمام محمد الغزالي في دعوته للدراسة التجديدية لقطاع المعاملات على ناحيتين مهمتين أولاهما رعاية المصلحة، طبعًا المنضبطة بضوابط الشارع الحكيم، وثانيهما تحقيق العدالة<sup>5</sup>. من هنا لا بد من تجديد الفكر الديني ودفع علمائه للأخذ مما عند الآخرين من إنجازات في ميادين الحكم وتحقيق العدالة الاجتماعية والمتقنة تمام الاتفاق مع روح القرآن الكريم، وعدم التوقّع في آراء ونظريات كانت وليدة زمن الاستبداد السياسي المتحالف مع الكهنوت الديني الذي أعطى المبررات الشرعية زورا

<sup>1</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المصدر السابق، ص 141.

<sup>2</sup> الإسلام والطاقت المعطلة، المصدر السابق، ص 27.

<sup>3</sup> مدخل إلى معرفة الإسلام، الشيخ عبد الرحمن بن الحفاف (1881 - 1957م)، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، الطبعة الرابعة 2010م، ص 46.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> ينظر، هذا ديننا، المرجع السابق، ص 251، 252.

وبهتاناً للطغاة والمستبدين كي يعبثوا بمقدرات وثرورات وحرابات الأمة الإسلامية، وكانوا بالتالي سببا قويا في اضمحلال شأنها وتكالب الأعداء عليها من كل الجهات، قال العلامة الغزالي (ر): (إن هناك علماء دين لا يعرفون شيئا عن حقوق الإنسان، لا يعرفون شيئا عن الدساتير التي أرست العلاقات بين الدولة والشعب، لا يعرفون شيئا عن الطور الذي بلغته العلاقات بين الدول... والأنكى أنهم لا يعرفون وضع مجموعة الدول الإسلامية بين غيرها من المجموعات ولا يحسون ما يببب لدينهم بليل، ولا ما يرسم لتحديد مستقبلهم الثقافي والاجتماعي. ويتبع هذا القصور العقلي أن القضايا التي تستولي على الاهتمام، وتقع عليها المفاصلة تكون من النوع الهامشي أو الخيالي أو التاريخي البالي...)<sup>1</sup>.

ومن وحي هذا الواقع المأساوي الذي آلت إليه أوضاعنا في مجال الفكر الديني صار من الضروري أكثر من أي وقت مضى الاستفادة من العلوم الإنسانية في جوانبها الإيجابية والاستفادة منها في خدمة الثقافة الذاتية للأمة، حتى تتحصن وتتعرّز شخصيتها الإسلامية المتميزة والسبب في ذلك كما يقول الإمام الغزالي هو (إنها تعرض الواقع الأدبي والمادي للبشرية كلها، ومعرفة هذا الواقع مطلوبة. وإنها قد تتضمن مقترحات لخير الإنسانية أجد من المقترحات التي يعرضها أصحاب التدين المغشوش، أو السطحي للإصلاح العام! إذ يوجد بين المتدينين للأسف من يعتبر الدساتير بدعة مردودة، لأن ضبط نواقض الوضوء أهم عنده من ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم...)<sup>2</sup>.

ومن معالم دعوته التجديدية نبذه واستكراهه للتعصب المذهبي، لا سيما في قطاع الأحوال الشخصية، حينما رأى بأمر عينيه كيف أن هذه الآفة التعصبية تدمر آلاف الأسر الإسلامية قال رحمه الله تعالى: (لقد بلغ من حدة التعصب المذهبي أن بعض الشيوخ لا يبالي . في سبيل نصره بعض الآراء الفقهية . بتتصير قوانين الأحوال الشخصية. ولا يعنيه استنقاذ الأسر الإسلامية من أحكام الطلاق المدمرة التي لا تزال تدرس في جامعة الأزهر...!! فلما أفتينا بما يراه بعض الأئمة من أن طلاق الحائض لا يقع، وأن الطلاق المعلق لا يقع، غضب...!! وقال: تلك مذاهب فقهية بائدة...!!! قلت: من الذي أبادهها؟؟ إنها أولى بالحياة الآن من المذاهب التي تدرسون)<sup>3</sup>. وتفعيلا لمقاصد الشريعة الغراء التي جاءت لتحقيق مصالح الناس في العاجل والأجل، وحماية للأسرة من التشتت والنمّزق وحماية للطفولة من التشرد من الضياع والانحراف، فإن الإمام الغزالي لا يرى أية غضاضة ولا يشعر بأي حرج حينما ينتصر لرأي معتبر عند أي مذهب إسلامي له سنده المشروع المتسق مع أهداف وروح كتاب الله تعالى، قال الغزالي رحمه الله في هذا الصدد: (إنني أفتى بأن الطلاق دون شهود لا يقع، ويعجبني في هذا فهم الإمامية للآية الكريمة (فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم). وما رواه أبو داود في سننه من أن الإشهاد على الطلاق سنة الإسلام...!! ويحزنني أن أقول: إن هذا الجمود المذهبي أعمى أصحابه عن مصلحة الإسلام نفسه...!! وأن بعضهم ليرى القوانين الغربية الكافرة تطبق في أكثر من ميدان، فلا يجزع، فإذا قيل له: إن المذهب الإسلامي لفلان الفقيه القديم سيطبق، دارت عينه من الرعب.. لماذا؟ إنه التعصب الغبي)<sup>4</sup>.

ولعل من النظرات المهمة في قضايا المرأة عند الإمام الغزالي، ما يتصل بشؤون الأسرة، لا سيما موضوع الطلاق، الذي كثر فيه القيل والقال دون سند أو برهان، بل لمجرد آراء واجتهادات لأئمة عاشوا في سياقات

<sup>1</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص 81.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 47.

<sup>3</sup> الإسلام والطاقت المعطلة، المرجع السابق، ص 76.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 76، 77.

حضارية وظروف اجتماعية تختلف عما هي عليه امرأة اليوم، وقد خصص الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى مقالة مهمة في قضايا المرأة حول « التشدد في إيقاع الطلاق » عالج فيها بأسلوبه السهل الممتنع ، وبروحه الفقهية الواسعة ، والمدركة لفقهاء القرآن والسنة الصحيحة ، ومقاصد الشرع الحنيف ، كثيرا من مسائل الطلاق التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وإنما هي من اختراعات الناس وتشددهم في الدين ، فكانت الطامة الكبرى تقع على الأسرة ومستقبلها المظلم ، فرفض كثيرا من صور الطلاق التي أشيعت بالأدلة المستندة لروح الشريعة ثم قال قولته الجريئة « وأستطيع أن أضم إلى ذلك رفض الطلاق الذي ليس عليه إسهاد ، فالشاهدان لا بد منهما لقبول العقد ، والرجعة ، والطلاق ، على سواء .. وخير لنا نحن المسلمين أن نقبض من تراثنا ما يصون مجتمعنا ، ويحميه من نزوات الأفراد . أما الزهد في هذا التراث كله فهو الذي فتح الطريق لمحاولات تنصير قوانين الأسرة »<sup>1</sup> . وما ذهب إليه الإمام محمد الغزالي في رفض العديد من أشكال الطلاق التي يعتد بها الفقهاء ويتسببون من خلالها وهم لا يدرون في تشييت آلاف الأسر البريئة، ذهب إليه ثلة من العلماء والأساتذة الكبار، فقد ذكر زميله ورفيقه في الدعوة الإسلامية الشيخ الفقيه (سيد سابق) في كتابه الشهير في العالم الإسلامي (فقه السنة) حيث بين من خلال أئمة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن بعض أئمة التابعين أن الإسهاد على الطلاق واجب استنادا للآية الكريمة ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾<sup>2</sup>، وذكر سيد سابق من الأعلام النبلاء الذين ذهبوا إلى وجوب الإسهاد على الطلاق وعدم وقوعه بدون بينة، من الصحابة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعمران بن حصين، رضي الله عنهما، ومن التابعين: الإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصادق، وبنوهما أئمة آل البيت رضوان الله عليهم، وكذلك عطاء، وابن جريج، وابن سيرين رحمهم الله ويذكر لنا ما جاء في «جواهر الكلام » عن علي رضي الله عنه، أنه قال لمن سأله عن طلاق: « أشهدت رجلين عدلين كما أمر الله عزوجل؟ قال: لا، قال اذهب فليس طلاقك بطلاق.» وكذا ما سطره أبو داود في سننه عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أنه سئل عن الرجل يطلق امرأته، ثم يقع بها، ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال: « طلقت لغير سنة، وراجعت لغير سنة، أشهد على طلاقها وعلى رجعتها، ولا تعد .» ويوضح سيد سابق حسب المنهجية الأصولية أن قول الصحابي، من السنة كذا، في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم على الصحيح<sup>3</sup>.

ويذكر سيد سابق أقوالا للأئمة الأطهار تؤكد وجوب الإسهاد لحماية للأسرة المسلمة، وهو ما يترجم لنا عمق فقههم وقوة فهمهم لمقاصد الشريعة الإسلامية الغراء حيث « قال جعفر الصادق رضي الله عنه: من طلق بغير شهود فليس بشيء، قال السيد المرتضى في كتاب « الانتصار »: حجة الامامية في القول: بأن شهادة عدلين شرط في وقوع الطلاق، ومتى فقد لم يقع الطلاق. لقوله تعالى: ﴿ وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾<sup>4</sup> فأمر تعالى بالإسهاد، وظاهر الامر في عرف الشرع يقتضى الوجوب، وحمل ما ظاهره الوجوب على الاستحباب خروج عن عرف الشرع بلا دليل»<sup>5</sup> .. واستنادا إلى الرؤية الحضارية الإسلامية المتوازنة أكد الباحث (قاسم شعيب) أنه « إذا كان الطلاق في عصر النص يتم غالبا دون رجوع إلى القضاء، فإن العودة إلى القضاء اليوم أصبحت شيئا ضروريا من أجل

<sup>1</sup> قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة : محمد الغزالي . دار الشروق ، القاهرة . الطبعة الثالثة محرم 1412هـ / يوليو 1991م . ص: 184 .

<sup>2</sup> [الطلاق: 2].

<sup>3</sup> ينظر، فقه السنة، سيد سابق، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1397هـ/ 1977م، ج2، ص220، 221.

<sup>4</sup> [الطلاق: 2].

<sup>5</sup> فقه السنة، المرجع السابق، ج2، ص221.



التأكد من توفر شروط صحة الطلاق وإقرار الحقوق وتجنب المظالم وتنظيم الحياة الاجتماعية<sup>1</sup>. والحق أن الإمام محمد الغزالي يثمن الآراء والاجتهادات السديدة دون تعصب مذهبي ضيق، فهو يتفق تمام الاتفاق مع قاسم أمين الذي ذهب هو أيضا إلى اشتراط الإشهاد في هذه العمليات الحساسة، فقال تعليقا على آية الطلاق السابقة الدالة على وجوبية الإشهاد « أليس قصد الشارع أن يكون للطلاق واقعة مشهودة لدى العموم ليسهل إثباته؟ لم لا نقرر أن وجود الشهود وقت الطلاق ركن بدونه لا يكون الطلاق صحيحا، فيمتنع بهذه الطريقة هذا النوع الكثير الوقوع من الطلاق الذي يقع الآن بكلمة خرجت على غير قصد ولا روية في وقت غضب؟<sup>2</sup> ».

إنّ الطلاق البدعي مرفوض رفضا تاما من فئة من العلماء الحريصين على ردّ كل ما خالف منهج وروح القرآن الكريم، وإن كان التطبيق الجماهيري خلاف ذلك للأسف وهو ما استهجنه الإمام الغزالي قائلا (والغريب أنّ المسلمين لا يعرفون في معاملاتهم إلا طلاق البدعة هذا!! وجمهور الفقهاء على استنكاره، ولو أنهم اتفقوا على رفض آثاره لكان خيرا، ولكن فريقا منهم للأسف يمضيه. ونحن نرى الحق والمصلحة في احتقاره وإبطاله معا. ثم سرّت العدوى بإيقاع الطلاق حيث لا مكان لوقوعه في قضايا كثيرة. فالطلاق اعتبر يمينا، بل أصبح اليمين المفضلة عند الرعا ع ..!! وهذا خطأ، فالطلاق لا يكون يمينا، إنما اليمين بالله أو باسم من أسماء الله الحسنى. وما يتداوله العامة بينهم من أيمان الطلاق لا قيمة له .. وكذلك تأكيد الفعل أو الترك بالطلاق، أو الطلاق المعلق كما يقولون. إنّ هذا كله ضرب من اللغو لا تنقض به عرا الزوجية. ثم ما قيمة تطليق السكارى والحشاشين، وأشباههم من العابثين الذين لا يعنون ما يقولون، ويهرفون بما لا يعرفون، وينكرون نيتهم، أو يثيرون حولها الريبة. إنّ عقد الزواج لا يتم إلا عن بصيرة وإرادة، فكذلك إنهاؤه ما يتم إلا عن وعي وعزم<sup>3</sup>. ويصل الإمام محمد الغزالي بعد هذا الشرح والبيان المقاصدي المستفيض والعميق إلى هذه النتيجة الجامعة قائلا « ولذلك ينبغي رفض أكثر ما يجري على الألسنة من تطليق هو إلى اللغو أقرب منه إلى الحق<sup>4</sup> ».

ثالثا: السبيل إلى الاستفادة منها لتنوير ورسم معالم حياتنا الإسلامية الراهنة والمستقبلية:

نظر الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى إلى الثروة التراثية فرأها تشتمل على كنوز وجواهر ثمينة جدا لا تقدّر بثمن، ولكن إلى جانب ذلك يوجد فيها ما لا يصلح لزماننا وظروفنا ومشاكلنا لاختلاف الأجيال وتبدّل الأحوال، ومن ثمّ فلا بد من حذف بعض المواد التراثية من التدريس وتعديل الطرق البيداغوجية في تعليم أحكام الدين، وتخليص هذه الثروة من التأثيرات السياسية والأبعاد البيولوجية التي وجهتها وفق ما يخدم مصالح بعض الطبقات الحاكمة، قال الإمام محمد الغزالي رحمه الله في هذا الصدد من كتابه (حصاد الغرور): (... إنّ المذاهب الفقهية في الإسلام يكمل بعضها بعضا ولا يغني أحدها عن الآخر .. إنها كلها تمثل الفكر الإسلامي الرحب الذي يجب أن يدرس، وبيحث، ويخضع للنقد، والمقارنة، والترجيح، والمحو، والإثبات)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> فتنة الحداثة، صورة الإسلام لدى الوضعيين العرب، قاسم شعيب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، وبيروت، ومؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المملكة المغربية، الطبعة الأولى 2013م، ص 196، 197.

<sup>2</sup> تحرير المرأة، قاسم أمين، تقديم، مصطفى ماضي، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1988م، ص 160، وأيضا: قاسم أمين الأعمال الكاملة، المرجع السابق، ص 406.

<sup>3</sup> هذا ديننا، المصدر السابق، ص 179، 180.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 180.

<sup>5</sup> حصاد الغرور، محمد الغزالي، دار البيان، الكويت، الطبعة الأولى، 1390هـ/ 1970م، ص 358.

ولقد أدركت الحركة التشريعية القانونية المعاصرة مدى مرونة وخصوبة الشريعة الإسلامية وراثتها في الأحكام الفقهية الملائمة لحقوق الإنسان المعاصرة ومنها حماية وصيانة المؤسسة الأسرية من كل أسباب الشقاق والفرق المفتعلة أو الناتجة عن الفهم الضيق للنص الديني القطعي والثابت، وهذا الفهم المتجدد والمقاصدي لأحكام الشريعة الإسلامية والذي نادى به هؤلاء الأعلام ومن بينهم الإمام محمد الغزالي، بدأ يجد طريقه في الانتشار والتمكن عبر الآلية القانونية المضبوطة بجملة من الأدوات والمقاصد، وهذا ما فعلته مدونة الأسرة المغربية في تعديلاتها الأخيرة حيث نصت المادة 79 على ما يلي « يجب على من يريد الطلاق أن يطلب الإذن من المحكمة بالإشهاد به لدى عدلين منتصين لذلك، بدائرة نفوذ المحكمة التي يوجد بها بيت الزوجية، أو موطن الزوجة، أو محل إقامتها أو التي أبرم فيها عقد الزواج حسب الترتيب»<sup>1</sup>، ويفهم من نص هذه المادة أنه بدون إذن وسماح الجهة القضائية المختصة بالإشهاد لا يعتد بالطلاق، وهذه خطوة جريئة ذات بعد مقاصدي عملي تطبيقي لكل ما رددته علماء مقاصد الشريعة الغراء، منذ أمد بعيد، وهذا ما كرسته المادة 80 من المدونة حيث نصت على الآتي: «يتضمن طلب الإذن بالإشهاد على الطلاق، هوية الزوجين ومهنتهما وعنوانهما، وعدد الأطفال إن وجدوا، وسنهم ووضعهم الصحي والدراسي. يرفق الطلب بمستند الزوجية والحجج المثبتة لوضعية الزوج المادية والتزاماته المالية»<sup>2</sup> وفي القسم الثامن المخصص لإجراءات ومضمون الإشهاد على الطلاق، جاء في المادة 138 ما يلي: « يجب الإشهاد بالطلاق لدى عدلين منتصين للإشهاد، بعد إذن المحكمة به، والإدلاء بمستند الزوجية»<sup>3</sup>.

وللاستفادة من الميادين التي حاول الإمام محمد الغزالي أن يجدد فيها الخطاب الديني سواء على مستوى البناء الشكلي أو المحتوى الموضوعي، لا بد من تفعيل النواحي التالية، وهذا على ضوء المشروع العلمي والفكري الضخم الذي قدّمه الإمام الغزالي في القرن العشرين.

أولاً: العناية بالجانب التربوي الصحيح، والعناية من خلاله بتربية الأجيال الصاعدة وفق الرؤية المتزنة والمستمدة من حقائق الشريعة الإسلامية ومصادرها الأصيلة، قال الإمام الغزالي (ر): (إن التربية المنشودة ليست شيئاً سهلاً، إنها معاناة وجهد يقوم بهما المرّبي والمرّبي معاً وتشارك في تحقيق النتيجة عناصر أخرى، في مقدمتها: البيت والبيئة والسلطة الحاكمة، كما يشترك الماء والشعاع، والحر أو البرد في إنضاج الثمار... وعظمة المنبر، ونصيحة المدرس وحدهما لا تصنعان الناشئ، وإن كان لهما أثرهما. إن علم المنطق، كما عرفوه، آلة قانونية تصمم الذهن عن الخطأ في الفكر، ومع ذلك فهذا العلم لا يصنع مفكراً. وعلم العروض والقوافي قد يحصي بحور القصائد، ويكشف ما في التفاعيل من خبن وقبض، وهيئات أن يصنع شاعراً. وقد ألفنا أن نتلقى الدين كلاماً أو رسوماً، بيد أن هذا التلقي لا يصنع زكاة الأنفس، ولن تغلح نفس فقدت هذه الزكاة، ولن يفلح امرؤ إذا تحرك عقله تحركت معه قيود الخرافة أو الأوهام التي نسجها الخيال...!)<sup>4</sup>.

ثانياً: العناية كل العناية بالنصوص القطعية الثبوت، والقطعية الدلالة وبمقاصد الشريعة الكبرى التي حرصت الشريعة على تأكيدها. أما ما هو ظني الثبوت أو ظني الدلالة فمجال الاختيار فيه ومساحة الرأي واسعة وشاملة

<sup>1</sup> المادة 79 من مدونة الأسرة، وفق آخر التعديلات (سلسلة المعرفة القانونية للجميع) دار الإنماء الثقافي، الرباط، الطبعة الأولى 2010م، ص 36، ظهير شريف رقم 04.22.1 الصادر في 12 من ذي الحجة 1424 (3 فبراير 2004) بتنفيذ القانون رقم 03.70 بمثابة مدونة الأسرة، الجريدة الرسمية عدد 5184 بتاريخ 14 ذو الحجة 1424 (5 فبراير 2005)، ص 418.

<sup>2</sup> م 80 من مدونة الأسرة، ص 36.

<sup>3</sup> المادة 138 من مدونة الأسرة، ص 49.

<sup>4</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص 49، 50.



للجميع النص القرآني.. ورواية الآحاد.. قال الإمام محمد الغزالي (ر) في كتابه (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية) تحت هذا العنوان: "النص القرآني.. ورواية الآحاد.. " ما نصّه : (ويعجبنى قول الشيخ محمد رشيد رضا : التفرقة بين ما ثبت بنص القرآن من الأحكام وما ثبت بروايات الآحاد وأقيسة الفقهاء ضرورة، فإن من جحد ما جاء في القرآن يحكم بكفره، ومن يجحد غيره ينظر في عذره! فما من إمام مجتهد إلا وقد قال أقوالاً مخالفة لبعض الأحاديث الصحيحة لأسباب يعذر بها، وتبعه الناس على ذلك، ولا يُعَدُّ ذلك أحد خروجاً من الدين، حتى من لا عذر له في التقليد، فما بالك في مخالفة بعضهم بعضاً في الأقوال الاجتهادية التي تختلف فيها أقيستهم؟) وقد تسأل: ما العذر في ترك حديث صحّ؟ والجواب: نص آخر أقوى منه مثلاً! فالمالكية لم يحكموا إلا بتحريم ما ورد في الآية: ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ (البقرة: 173). وما عدا ذلك فهو مباح، وقد يكره فقط رعاية لبعض المرويات الواردة في كتب السنة. والأحناف أوجبوا الزكاة في كل ما خرج من الأرض)<sup>1</sup>. ويستشهد بقوله تعالى في محكم تنزيله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ (البقرة: 267). ومن ثمّ فإنهم (أي السادة الحنفية) رفضوا قصر الزكاة على محاصيل معينة مما ورد في السنن (..)<sup>2</sup>. والمهم في كل هذا الابتعاد عن التعصّب المذهبي، وقراءة مختلف الآراء في سياقاتها الحضارية، طالما أنها اجتهادات تخضع للتأويل النصي الذي يبحث في مرويات السنة ودرجة ثبوتها واتفاقها مع كتاب الله تعالى أولاً؟ وهذا ميدان رحب واسع ولا يخوض فيه إلا أصحاب الدراية والتخصص، كما فعل فضيلة الأستاذ الدكتور (يوسف القرضاوي) في كتابه النفيس، (فقه الزكاة)<sup>3</sup>، حينما رجّح مذهب الحنفية في (الحاصلات الزراعية التي تجب فيها الزكاة)، بل واستشهد بكلام لشيخ كبير من شيوخ المذهب المالكي وهو القاضي (أبو بكر بن العربي) الذي أيد مذهب أبي حنيفة النعمان في (أحكام القرآن) وفي شرحه على سنن الترمذي وقد جاء في كتاب (أحكام القرآن) لابن العربي ما نصّه: (وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَجَعَلَ الْآيَةَ مَرَاتَهُ فَأَبْصَرَ الْحَقَّ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ الزَّكَاةَ فِي الْمَأْكُولِ قُوْتًا كَانَ أَوْ غَيْرُهُ وَبَيَّنَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَلِكَ فِي عُموم قَوْلِهِ: «فِيمَا سَقَّتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ»<sup>4</sup>). والمهم في كل هذا هو الأخذ بالمقاصد والمصالح كما بيّن ذلك أ.د/ يوسف القرضاوي قائلاً: (قرّر المحققون من علماء الإسلام، أنّ أحكام الشريعة إنّما شرعت لمصالح العباد في المعاش والمعاد، سواء أكانت هذه المصالح ضرورية أم حاجية أم تحسينية)<sup>5</sup>.

ثالثاً: ضرورة الالتفاف حول ما هو قطعي الثبوت والدلالة من النصوص القرآنية والنبوية، وترك مساحة الاختلاف المشروع في النصوص الظنية الثبوت والدلالة والتي تسع الجميع وتجب عن التساؤلات، دونما تعصب أو أحقاد أو كراهية، وكما عانى أصحاب الفكر الحر والمستنير من الجامدين على أقوال السابقين دونما حجة أو برهان أو إثارة من العلم المبين، ففي الوقت الذي كان فيه المستنيرون يردّون على خصوم الإسلام من المبشّرين لينصّروا المسلمين كان الجامدون الرجعيون يعكفون على مقولات وآراء أكل عليها الدهر وشرب، وكانوا يخوضون

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 134.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 135.

<sup>3</sup> ينظر، فقه الزكاة، د/ يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1397هـ/ 1977م، ج 1، ص 356، 357.

<sup>4</sup> أحكام القرآن، القاضي أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م، ج 2، ص 283.

<sup>5</sup> فقه الزكاة، المرجع السابق، ج 1، ص 30.

في مسائل أدخل في الخرافات والأساطير منها في العلم النافع الصحيح، وممن تحدّث عن معاناته وصبره اتجاه هذا الفريق المعاند فضيلة العلامة الشيخ (عبد الوهاب النجار) في مقدمة كتابه الجليل (قصص الأنبياء) وذلك تحت عنوان: (كيف قابل الناس كتاب قصص الأنبياء حين ظهرت الطبعة الأولى) حيث وضّح أنّ المستنيرين والمتّقين من خريجي المدارس العالية والأزهر الشريف قابلوه بالترحاب ووجدوا فيه ضالتهم (وكان فرحهم به فرح المشوق بقاء الحبيب في غفلة من الرقيب، أو فرح الأديب بالأديب، أو العليل بالطبيب)<sup>1</sup>. وبالنسبة للفئة المغرضة الحاقدة على أصحاب الفكر التجديدي النزيه فقد قابلوه بالسخرية والتشنيع وصرف الناس عن قراءته فهم كما وصفهم الأستاذ الجليل: (عندهم التفكير في الحق جريمة لا تمحوها توبة. وإجالة الفكر في المعقولات حوبة وأيّ حوبة، والويل كل الويل لمن تدبّر آيات الله بعقله، والثبور كل الثبور لمن فهم كلام الله بغير ما فهمه الأولون، أو عقل كلام الله على غير النمط الذي خطّه الآباء الأقدمون. قد حصر الواحد منهم نفسه في دائرة من الخرافات لا يفهم سواها)<sup>2</sup>. وبمعرفة الاستراتيجية المحكمة التي وضع المؤلف مصنفه الهام وفقها يزول عن القارئ الحصيف كل عجب، خاصة لما يطلع على تلك التقارير التي كتبها جماعة من أصحاب الفضيلة في نقد الكتاب، وهو مما زاد في قيمته العلمية ودوره التنويري المعرفي، واستراتيجية المؤلف التي بنى عليها كتابه تتمثل في الأسس التالية:

- (1) أنّ العقل ركن المعتقدات الأول: فما أوجبه كان واجبا، وما أحاله كان محالا، وما أجازته كان جائزا.
- (2) أنّ الخبر الوارد عن المعصوم إذا كان قطعياً الثبوت والدلالة فهو حجة قاطعة على ما تضمنه، وذلك يشتمل شيئين: الكتاب الكريم، والخبر المتواتر.
- (3) إذا عارض الخبر العقل، وجب تأويل الخبر بما يزيل هذا التعارض.
- (4) الخبر إذا كان أحد روايته أحادا فلا يصلح أن يكون دليلا على ثبوت الأمور الاعتقادية؛ لأنّ الأمور الاعتقادية الغرض منها القطع، والخبر الظنّي الثبوت لا يفيد القطع.
- (5) ما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية: فما كان منقولاً بطريق الأحاد سواء بلغ حد الشهرة أو لا فمردود؛ لأنّ نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.
- (6) ما نقل مما يُشعر بكذب أحد الأنبياء أو معصيته وكان النقل متواترا، فما يمكن صرفه عن ظاهره صرفاً إن أمكن، وإلا فيحمل على أنّه ترك الأولى، أو قبل البعثة.
- (7) المعجزات لا تثبت بأخبار الأحاد؛ لأنّ المطلوب فيها اليقين. وخبر الأحاد لا يقين فيه.
- (8) إنكار المعجزة الثابتة بنصّ قطعي الثبوت والدلالة كفر.
- (9) الإسرائيليات لا حرج في مخالفتها، ولا في إنكارها جملة وتفصيلا.
- (10) كتب العهد القديم والجديد: ما كان منها موافقا للقرآن فهو حق، وما كان منها مخالفا للقرآن فهو باطل. وما كان القرآن ساكتا عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه. ويجوز نقله والاستئناس به.
- (11) أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصّت عليه، بل هي أوجه كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها، يجوز مخالفتها، وحمل عبارته على غيرها. ولا مؤاخذة على من خالفها.

<sup>1</sup> قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (مدرس التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين، وناظر مدرسة المرحوم عثمان ماهر باشا سابقا)، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، 1386 هـ/ 1966 م، ص (ك).

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(12) القرآن الكريم لا تتقضى عجائبه، ولا تنفَذ غرائبه؛ فلكل امرئ أن يتدبره بعقله ويفهمه على الوجه الذي يستقر في اعتقاده، بشرط أن يكون ذلك جارياً على مقتضى العربية غير مخلِّ بصاحته ولا يُخلِّ بشيء من مقاصد الدين)<sup>1</sup>.

رابعا: ضرورة الاستفادة من الحصيلة الرائعة التي أنتجتها الثقافة الإسلامية، في عصورها الزاهرة، ومن علمائها المعتدلين في شتى المجالات، للاستفادة منها والاستعانة بها في حلِّ بعض مشكلاتنا، والسير على روح ومنهج تلك البحوث للوصول إلى ما تهدف إليه أمة الإسلام وما تتبغيه من عزّة ورقّيّ وازدهار، قال الإمام محمد الغزالي في هذا الصدد كلمات مضيئة نافعة إن شاء الله (إنني لا أبخس حقه لرأي ارتآه قد يخالفه فيه الآخرون ولا أرى حرجاً في تجاوز ما يقال عن خطئه، والاستفادة من خيره الكثير بعد ذلك! إن ابن حزم مخطئ في إنكار القياس، والإغراق في الأخذ بالظاهر، بيد أنه عالم فحل في مقارنة الأديان، وفي الاستنباط من الأثر، وله عبقرية في هذا الميدان لا معنى لإهالة التراب عليها. وأبو حامد الغزالي يعترف علماء الغرب أنه ألحق بفلسفة اليونان دماراً محققاً في كتابه ((تهافت الفلاسفة)) وهو أصولي وفقهه، وأديب ومتحدث في التربية والأخلاق لا يشق له غبار! كيف أتناسى كل هذه المذاهب لأنه أخطأ في بعض المرويات. تقول: إنه من أهل التأويل!! إن مفكري السلف والخلف جميعاً اضطروا إلى التأويل، وإن كان السلف أكثر تفويضاً وأقل تأويلاً)<sup>2</sup>. وتطبيقاً للأثر الذي يرى أنّ الحكمة صالة المؤمن، وأنّ الحق هو هدف الباحث المؤمن، وأن الرجال يعرفون بالحق وليس العكس، قال الإمام محمد الغزالي (ر): (لقد تتلمذت على كتابات لابن الجوزي وابن تيمية والغزالي وابن رشد، وانتفعت من صواب أولئك كلهم، وتركت ما تعبّهم الآخرون فيه بحق! وعندي أن تأويل الغزالي حيناً لا يخدم منزلته، كما أن إنكار ابن تيمية للمجاز أو توقفه في نفي الجسمية لا يخدم منزلته. لماذا أذهل عن الجهود العلمية الجبارة التي خلفوها بعدهم في نصرة الإسلام وردّ خصومه والنصح لأمته؟)<sup>3</sup>.

خامسا: ضرورة التركيز على المقاصد والأهداف الكبرى لرسالة الإسلام، التي لا تنتظر للناس على أساس أشكالهم أو ألوانهم وإنما على أساس أعمالهم وجهودهم وما يقدمونه من خدمات في سبيل الله وفي سبيل تيسير سبل الحياة وإسعاد البشرية، وأحب الناس إلى الحق سبحانه أنفعهم لعياله، كما جاء في الأثر. ومن ثم فإنّ التركيز على الجوهر والروح هي الأساس في أي عملية تقييمية، قال العلامة (محمد الغزالي): (كنت يوماً أطلع إحدى الصحف، وكان في صدرها صورة لرئيسة وزراء إنجلترا "تاتشر" فقال لي شاب يرقبني: أترى هذه الصورة؟ قلت نعم! فاستلتي: أيعجبك هذا؟ قلت: قومها يصفونها بأنها امرأة حديدية! وقد أعجبتني موقفها في مجلس العموم وهي تطالب بإعادة عقوبة الإعدام إلى القانون الإنجليزي. صحيح أن المجلس خذلها، بيد أنني أراها أذكى وأبصر للحق من مائتي عضو عارضوها. وانتصروا عليها.. إن مسؤوليتها عن الأمن أقتعتها بضرورة القصاص، وهي أرشد وأعدل من الرجال الذين قاوموها! وأراد الشاب مقاطعتي، فقلت له: وشيء آخر سرنى منها عندما حاربت إنجلترا الأرجنتين - وكانت هذه المرأة تقود قومها - ربيت ترتدي السواد بإستمرار، كانت ترى كل جندي يقتل من أبناء وطنها أخوا، أو ابنا فهي تلبس عليه الحداد، وترف كل شارة للسرور والبهجة!! إنها في نظري أفضل من حكام في الشرق لهم شوارب ولحي! قال الشاب: ألا ترى رأسها العاري؟ قلت: أدب إسلامي ينقصها، والإسلام يرى أن الرأي عورة يضرب عليها الخمار، وسواء كانت العورة مغلظة كما يقول الأئمة أو مخففة كما يقول المالكيون، فالشعر ينبغي

<sup>1</sup> قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، المرجع السابق، ص(س) و(ع).

<sup>2</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص 139.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 139.

ستره احتراماً لتعاليم الدين. وكل ما أضمه إلى هذه الحكم أن داخل الرأس أهم من خارجه أعني أن الذكاء أو الغباء والعلم أو الجهل وقضايا أخطر من غيرها، ولا تغض من الأدب المطلوب<sup>1</sup>.

سادساً: ضرورة تليص العلوم الدينية من الزوائد والطفيليات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وتقليم شجرتها الوارفة الظلال من الأعصان المؤذية والأشواك وتنقيتها من المباحث التي لا طائل من الخوض فيها، وكما يقول العلامة محمد الغزالي فإنّ (المسلمين في العصر النبوي، ثم في عصر الخلافة الراشدة، لم تكن لديهم هذه البحوث المطولة في أصول الدين وفروعه، كانت آيات أو سور من القرآن الكريم، وجملة من الأحاديث الصحيحة هي كل ما يعرفون. حاشا للمتخصصين وأهل الفتوى. وكان فقه العبادات يتناقل بالأسلوب العملي.. ثم يتوجه الجمهور بعد ذلك إلى الكدح والجهاد وإعلاء كلمة الله!! ثم استفاضت الدراسات الدينية، وكثرت البحوث في كل ميدان<sup>2</sup>).

وانطلاقاً من مسؤولياته الدعوية أولاً، وواجباته الحضارية ثانياً، يرفع الإمام الغزالي صوته عالياً متسائلاً، ومجيباً في الوقت نفسه محرّكاً لهمم وموقظاً للعزائم دافعاً لها لتستفيق من غفلتها وتهض من كبوتها فالزمن زمن العمل والتسابق في ميادين العلم والمعرفة والأخذ بأسباب النهوض التكنولوجي في شتى المجالات خدمة لدين الله وأتباعه وخير البشرية قاطبة في ظل عزة الإسلام والمسلمين (ترى هل هذه السعة للتحلي والتسلي أم لمزيد من الخشية والتقى..؟) المقرر عندنا أن المرء مسئول عن علمه ماذا عمل به؟ والذي رأيته وأنا أعلم في ميدان الدعوة من أربعين سنة أو يزيد، أن أكثر هذه المعارف فضول، وأن الناس يقبلون عليها تزجية للفراغ، ومدافعة للبطالة.. وأن عشر ما يعلمون يكفيهم في فقه الإسلام كله، ويبقى عليهم بعد ذلك أن ينصرفوا إلى العمل المثمر. والقرن الرابع عشر ينتهي، ثم يجيء القرن الخامس عشر، ومشكلات الأمة الإسلامية تتعقد وتتضاعف.. [الليالي من الزمان حبالاً/ منقلات يلدن كل عجيبة] الأعداء تنمو أطماعهم، وتربو ضغائنهم، وتتقارب مسافة الخلف بينهم، والتخلف الحضاري عندنا يثير الأسي، ومع ذلك كله فإن بعض حملة العلم الديني يستحيي من الآراء المدفونة ما يثير الغثيان!<sup>3</sup>.

سابعاً: ضرورة الاستفادة من الثروة الفقهية في التراث الإسلامي في تطعيم منظومتنا القانونية في شتى أوجهها دون تعصب لمذهب أو انتصار لقول لا يلبي متطلبات وحاجات المجتمع والعصر الذي يعيشون فيه، وحول عملية الانتقال هذه ذكر العلامة أ.د/ عبد الرزاق السنهوري (ر) (أنه حيث ينبغي الرجوع إلى الفقه الإسلامي في كتبه المعتمدة، سواء أكان هذا الفقه هو المصدر الرسمي التي تستمد منه الأحكام أم كان هو المصدر التاريخي الذي تقسّر في ضوءه النصوص التشريعية يجب أن يراعى أمران جوهريان: الأمر الأول - هو عدم التقيد بمذهب معين من مذاهب الفقه الإسلامي. فكل مذاهب الفقه يجوز الرجوع إليها والأخذ منها. ولا محل للوقوف عند أرجح الأقوال من مذهب أبي حنيفة، بل ولا للتقيد بالمذهب الحنفي في جملته. ولعلنا نذهب إلى مدى أبعد، فنقول إنه لا موجب للتقيد بالمذاهب الأربعة المعروفة، فهناك مذاهب أخرى، كمذهب الزيدية ومذهب الإمامية، يمكن الانتقال بها إلى حد بعيد<sup>4</sup>). وهنا يلاحظ مدى الانفتاح والتسامح المذهبي الذي كان يتميز به العلامة السنهوري في تعامله مع مختلف المذاهب والاجتهادات طالما أنها في إطار الشريعة الإسلامية التي تسع الجميع التي لا يمكن أن يدعي أحد احتكارها ووقف تفسير نصوصها على مذهبه أو فرقته دون سواها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ إبداء

<sup>1</sup> سرتأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1406هـ/1986م، ص44، 45.

<sup>2</sup> مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، المرجع السابق، ص53.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص53.

<sup>4</sup> الوسيط في شرح القانون المدني الجديد ( نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام)، أ.د/ عبد الرزاق

السنهوري، مكتبة نهضة مصر، الطبعة الثالثة الجديدة، 2011م، 1، (1) ص49.

هذه المرونة طالما أن ذلك يتم لأجل تحقيق مقاصد الشريعة الغراء التي تستهدف مصلحة الإنسان في معاشه ومعاده، ومع كل هذا ينبغي الانتباه إلى أمر آخر نبه عليه العلامة السنهاوري، (هو أن يراعى في الأخذ بأحكام الفقه الإسلامي التنسيق ما بين هذه الأحكام والمبادئ العامة التي يقوم عليها التشريع المدني في جملته. فلا يجوز الأخذ بحكم في الفقه الإسلامي يتعارض مع مبدأ من هذه المبادئ، حتى لا يفقد التقنين المدني تجانسه وانسجامه. وفيما قدمناه من الرخصة في الأخذ بمذاهب الفقه جميعاً، دون تمييز بين مذهب ومذهب، ما يجعل تحقيق هذا التنسيق ميسوراً، فلا يضل الباحث في تفصيلات الفقه الإسلامي، ولا يختار منها إلا ما يتسق مع المبادئ العامة للتشريع المدني)<sup>1</sup>. وفي الاتجاه نفسه الذي يصب في ضرورة الاستفادة من الثروة الفقهية الموروثة دون تعصب أو انغلاق، وحتى إعادة النظر في عدد من الاجتهادات القديمة، قال أ.د/ يوسف القرضاوي، في كتابه "الاجتهاد في الشريعة الإسلامية" ما نصّه: ( ولا تقتصر إعادة النظر هذه على أحكام الرأي أو النظر وهي التي أنتجها الاجتهاد فيما لا نص فيه، بناء على أعراف أو مصالح زمنية لم يعد لها الآن وجود أو تأثير، بل يمكن أن يشمل بعض الأحكام التي أثبتتها نصوص ظنية الثبوت كأحاديث الآحاد. أو ظنية الدلالة .. فقد يبدو للمجتهد اليوم فهم لم يبد للسابقين، وقد يظهر له رأي ظهر لبعض السلف أو الخلف، ثم هجر ومات، لعد الحاجة إليه حينذاك، أو لأنه سبق زمنه، أو لعدم شهرة قائله، أو لمخالفته للمألوف الذي استقر عليه الأمر زماناً طويلاً أو لقوة المعارضين له، وتمكنهم اجتماعياً أو سياسياً ..)<sup>2</sup> وهذا من شأنه أن يثبت للعالم أجمع مدى مرونة الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وهذا من شأنه أن يعزز نظرة غير أتباعها الإيجابية اتجاهها وأن يردّ على حملات المغرضين والهاكدين الذين يستغلون بعض التفسيرات الفقهية التي لا تعود للإسلام كما هو مجسد في كتاب الله وسنة رسوله الثابتة والمتفقّة مع الكتاب العزيز ، بقدر ما تعود إلى التفسيرات الشخصية التي تبقى مجرد اجتهادات تعكس وجهة نظر صاحبها والنابعة من وحي محيط اجتماعي واقتصادي وسياسي معين قد يلقي بظلاله على هذه الشروح.

#### خاتمة البحث:

مما سبق عرضه وبيانه من معالم تجديد الخطاب الديني عند الإمام العلامة محمد الغزالي (ر)، نستخلص أنّ هذا الإمام الجليل كان من المجددين حقاً وصدقاً في ميدان تجديد الخطاب الديني، وكان من فرسانه الأشاوس الذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ونحسبهم إن شاء الله تعالى من الذين قال فيهم الحق سبحانه وتعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)﴾ [المائدة: 54]. ذلك لأنه امتلك الأدوات المعرفية الكافية، المعززة بالعقيدة الإسلامية الراسخة، والشخصية الإيمانية المعترّة بدينها، والتمسكة بكتاب ربها وسنة نبيها ولغتها العربية التي أنزل بها أعظم كتاب سماوي يهدي الناس للتي هي أقوم، ومنفتحة على منجزات العلم ومساهمات مختلف الحضارات، وشخصيته المجددة لها تجربة طويلة وواسعة في ميدان الدعوة الإسلامية على أرض الواقع وعبر مختلف الميادين فهو من القلائل الذين صمدوا أمام الطغاة المستبدين، ولم يتنازلوا قيد أنملة عن مبادئهم التي هي في الحقيقة المبادئ الإسلامية الصحيحة التي غرسها فيهم كتاب الله وسنة نبيه الكريم، ولم يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا قليل، ولم يكونوا كبعض أذعياء العلم النفعيين الانتهازيين الذين يلهثون وراء المناصب ويصدرون الفتاوى

<sup>1</sup> الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، ( نظرية الالتزام بوجه عام، مصادر الالتزام)، المرجع السابق، م1 (1)، ص 49، 50.

<sup>2</sup> الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر، د/ يوسف القرضاوي، دارالقلم، الكويت، الطبعة الأولى 1406هـ/ 1985 م، ص 107.

على الهوى لإرضاء هذا الحاكم أو ذاك ويحرفون الكلم عن مواضعه فكانوا بلاء وببلا وشرا مستطيرا على الإسلام وأهله وحجرة عثرة في سبيل تقدم الإسلام وازدهاره داخل وخارج أرضه.

لقد قدّم الإمام محمد الغزالي نظرات تجديدية بالغة الأهمية تخص الخطاب الديني من حيث بنيته الشكلية، بحيث تستجيب لمتطلبات العصر الذي نعيش فيه والذي عرف قفزات كبيرة جدا في الميدان التكنولوجي، وفي الميادين الخاصة بطرق عرض المواد العلمية والاستعانة بمعطيات الصوت والصورة وحاليا استغلال القفزات الرهيبة في مجال الثورة الرقمية واستغلال كل ذلك في الجانب الإيجابي خدمة للإسلام والمسلمين وخدمة لمسيرة الدعوة الإسلامية التي ينبغي العمل لاستمراريتها وانتشارها في مناطق أوسع من أرجاء الكرة الأرضية، وقدّم هذا الإمام الجليل أيضا نظرات مهمة تخص عرض المادة العلمية للخطاب الديني، التي يجب التركيز فيها على اللباب والجواهر دون القشور والزوائد، التي ينبغي تجاوزها، كذلك ركز الإمام الغزالي على وجوب الابتعاد عن كل أسباب الشقاق والتدابير والفرق، طالما أن الأمة الإسلامية تعبد ربا واحدا وتتبع رسولا نبيا واحدا هاديا ومبشرا ونذيرا وأنها تقرأ كتابا واحدا، وتصلّي لله رب العالمين في اتجاه قبلة واحدة ... ولها من عوامل الوحدة والاتلاف أكثر من غيرها من الأمم التي توحدت وشكلت قوى إقليمية يحسب لها ألف حساب.

إنّ الإمام محمد الغزالي في نظراته التجديدية للخطاب الديني المعاصر ، إنما كان يحاول نفخ الروح من جديد في هذه الأمة الإسلامية التي أتى عليها حين من الدهر سيطرت فيها الخرافات والبدع والضلالات على تفكيرها وسيرها في الحياة، واستبدّت بها ظلمات الجور والظلم والطغيان، وهو في مسيرته إنما هو سائر في درب العلماء المصلحين الذين نذروا أرواحهم وما يملكون خدمة لعقيدة التوحيد ومنهج الله المستقيم، ونظراته التجديدية التي أتينا على بيان بعضها فقط ستحقق فوائد جمة في عدّة قطاعات حيوية تحتاجها الأمة الإسلامية، هذه النظرات سيستفيد منها أهل التربية والتعليم في مختلف مراحلها، سيستفيد منها أيضا رجال الفقه والحديث والوعاظ والمرشدون وكل من يشتغل في الحقل الإسلامي، سيستفيد منها أهل السياسة والحكم كيف يسوسون الأمة وفق منهج الله المبين كما جاء في محكم كتاب رب العالمين، والمهم في كل ذلك تتمين هذه الجهود وإيجاد الورشات الصادقة في عملها والمخلصة لدينها وأمتها لوضع اللبنة المتينة لنهضة الأمة وتنشئة الأجيال القادمة النشأة الإسلامية السعيدة والسديدة. هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## دلالات الوسطية عند المفسرين

دراسة مقارنة في المرجعيات المعرفية والمذهبية والأيدولوجية

إعداد

د. خالد الطرودي

مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م



## المقدمة

ليس من السهل الإحاطة بما حملته المفسرون من دلالات للآية 143 من سورة البقرة "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" إحاطة شاملة، لغزارة المادة المتصلة بمفهوم الوسطية ودقة المبحث المنبثقة عنه. إذ لا شك فيه أن الوسطية في القرآن عموماً عرفت قراءات متنوعة من المفسرين الذين يستندون فيها إلى تأويلات مختلفة، تحوم حول دلالات النصوص في القرآن وتعوضها السنة النبوية. وقد أدرك العلماء المسلمون أن كتاب الله لا يفسر إلا بتصريف عدد من العلوم والمعارف لفهم الخطاب القرآني منها ما يتصل بعلوم القرآن مثل المكي والمدني وعلم النسخ والمنسوخ وعلم أسباب النزول؛ ومنها ما يتصل بعلوم اللغة العربية وبنظامها البياني والبلاغي والحقيقة والمجاز ودلالاتها وأسرارها. فالمفسر يمتلك علوماً تؤثر بدورها في تفسيره.<sup>1</sup>

ومن ناحية أخرى يهتم علم الدلالة بدراسة المعنى، وقد بدأ البحث عنه منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي، فكان علماء الإسلام سباقين في هذا المجال. وقد خصّ الأصوليون أقساماً في كتبهم تهتم بمباحث دلالية، وهو ما سمح بتطور استعمال مصطلح الدلالة في التعبير عن المعنى المستنبط من النصوص والألفاظ. وكان البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند اللغويين العرب، وارتبط عملهم بالآيات القرآنية وتفسير غريبها، فانصب اهتمامهم على دراسة الدلالة فكان مقتصرًا على الناحية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى ليتسنى إرجاعها إلى أصل معين. وتميز المفسرون والفقهاء بالدراسات المهمة بدلالة الألفاظ ومعانيها لاستخراج الأحكام الشرعية منها. واهتم هؤلاء أيضاً بدراسة المعنى ووضعوا قواعد وأصولاً لاستنباطه، ولم يكن ثمة فصلاً في هذا المجال بين البحث في طرق استنباط النص وبين البحث اللغوي، بل إن مباحث الدلالة عند اللغويين والمفسرين تأثرت بمباحث الأصوليين ومناهجهم في تعديد فهم النص. إلا أن كل هذه الجهود لعلم الدلالة في العلوم العربية والشرعية والأصولية لم تكن ظاهرة في علم مستقل باسم "علم الدلالة" عندهم.<sup>2</sup>

إن النظر في التفسير يتجاوز الدلالة اللغوية إلى أبعاد أخرى منها ما يتصل بمعارف المفسر، ومنها ما هو معقود الصلة بمذهبه الديني واختلاف انتماءاته الفكرية. وقد أثرت تفاسير السلف في أعمال المعاصرين قليلاً أو كثيراً، نظراً لاختلاف الدواعي والظرفيات التاريخية وخلفيات أصحابها. وهو ما نروم استجلاءه بالعودة إلى مؤلفات متنوعة من كتب التفاسير قديمها ومعاصرها، وقد حرصنا على التنوع في المادة المصدرية لتلمس دلالات الوسطية التي ارتبطت أحياناً بالدلالة اللغوية، وحملت أحياناً دلالة مذهبية، أو تأويلاً يخدم حجية الإجماع وحتى دلالة إيديولوجية حديثة.

وسنركز في هذا البحث على بسط جملة من الإشكاليات:

<sup>1</sup> ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: 1- دار الكتب العلمية - لبنان، 1993م، ج 1 ص 35.

<sup>2</sup> يذكر الباحثون أن ظهور علم الدلالة كعلم مستقل بدأ في أواخر القرن التاسع عشر (1883م) مع العالم اللغوي الفرنسي برييل ميشال كعلم فرعي من علم اللغة العام هو "علم الدلالات" مع "علم الصوتيات"، وقد تم ترجمة اصطلاح "علم الدلالة" بالمصطلح الإنجليزي سومنطيا (Semantic). ويعني الدراسة التاريخية لتطور و تغير معاني الكلمات، وقد استعمل هذا العلم في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، كعلم النفس، وعلم الإنسان، والفلسفة، والمنطق، والبلاغة، وعلم الاجتماع، حيث أصبحت كلمة Semantics تستعمل كمصطلح عام في دراسة السياسية والعلاقات بين الدوال. هذا التطور في علم الدلالة في سياقه الغربي استفاد من تراكمات معرفية سابقة، لكن الباحثين في هذا المجال لاحظوا أن الدراسات الدلالية أغفلت جهود الدالين العرب القدامى فلم تأت على ذكرهم في سلسلة تطور الاهتمام الدلالي القديم. أنظر فايز الداية، علم الدلالة العربي: النظرية والتطبيق، ط: 2- دار الفكر - دمشق 1996، ص 8.



- 1- كيف حدد اللغويون والمفسرون الدلالة اللغوية للوسطية في تفسيرهم للآية 143 من سورة البقرة القدامى منهم والمعاصرين؟
  - 2- إلى أي حد كانت التأويلات قديما ملقية بظلالها على معنى الوسطية في الفكر المعاصر؟ وهو تأويل يسمها بمياسم الاعتدال والأفضلية والخيار مقابل الغلو.
  - 3- وعليه هل للوسطية في التفسير مفهوم ثابت حافظ على تليد القول ومأثور الكلم؟ وهو ما يدعونا إلى البحث في أثر العلوم الدينية في تحديد تفسير الوسطية و البحث في مدى مساهمة معارف المسلمين في نحت ملامحه. وأبرز هذه العلوم علم الكلام والتصوف والفقهاء وأصوله؛ ناهيك عن المباحث اللغوية. ومن واجبنا أن ننظر في ملامح الحضور المذهبي للمفسرين لتحديد دلالة الوسطية. وهو حضور نبحت في جذوره التاريخية الصاربية في القدم نتساءل عن ملامح ذلك الحضور المعاصر وأشكاله وامتداداته.
- وبقى البحث في تشكل مختلف الصور المرجعية للوسطية حافظا لنا على استنباط التطور المرجعي والمفهومي لمسألة الوسطية.

## 1. الوسط والوسطية :

### أ- الدلالات اللغوية وأثرها في التفسير

تعتبر علوم اللسان العربي من العلوم والوسائل التي لا بد من الإحاطة بها لبيان معاني كتاب الله تعالى، كما اعتنى المسلمون مبكراً بتطوره على مستوى التعميد والتصنيف والتحليل، وكان الدافع الأساسي لذلك علاقته بفهم كتاب الله تعالى لاسيما ما له صلة بالجانب التحليلي منها. وقد أسهمت الدراسات الحديثة للغة العربية في الكشف عن جهود اللغويين والمفسرين والأصوليين في مجال علم الدلالة، ولم ينكروا الإضافة العلمية التي قدموها وآفاق الاستفادة منها، بل بينوا التكامل الذي يضيفه هذا العلم إلى الدراسات العربية. من هذا المنطلق نستطيع تتبع المفهوم اللغوي للوسطية وذلك بالنظر في كتب التفسير ومعاجم اللغة. ومن الملاحظ أن كلمة وسط تحمل جملة من الدلالات اللغوية التي تؤدي إلى معانٍ مختلفة، يشتق من الجذر (و، س، ط) المصدر والاسم والصفة لتفرع المعاني الحافة به.

فإن كان الوسط مصدرا دلّ على التمكن في الوسط، وهو عند اللغويين له إطلاقات قد تتعدّد في الدلالة، وتحدّد في الغاية. وقد يكون بمعنى بين طرفي الشيء أي نقيض الطرف. يقال فلان وَسَطٌ جَمَاعَةً النَّاسِ فهو يَسِطُهُمْ إذا صَارَ في وَسْطِهِمْ. ومنه سُمِّيَ وَسِطَةُ الرَّحْلِ لِأَنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْقَادِمَةِ وَالْآخِرَةِ، وكذلك وَسِطَةُ الْقِلَادَةِ.<sup>1</sup> قال ابن منظور: وَسَطُ الشَّيْءِ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ ثُمَّ أَنْشَدَ: (الرجز)

إِذَا رَحَلْتُ فَاجْعَلُونِي وَسَطًا      إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْغَدَا

أي اجعلوني وسطاً لكم كي ترفقوا بي وتحفظونني فإنني أخاف إذا كنت وحدي متقدماً عليكم أو متأخراً عنكم أن تُقرط دابتي أو ناقتي فتضرعني.<sup>2</sup> وكما ذكر الزبيدي في تاج العروس: "أن الوسط بالتحريك اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه كقولك: قبضت وسط الحبل وكسرت وسط الرمح وجلست وسط الدار ومنه المثل: يرتقي وسطا ويربض حجرة، أي يرتع أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير فإذا أصابهم شر اعتزلهم وربض حجرة أي ناحية منعزلاً عنهم. وجاء الوسط محركا أوسطه على وزن نقيضه في المعنى وهو الطرف لأن نقيض الشيء ينتزل

<sup>1</sup>الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة - تحقيق: الشيخ محمد حسن الياسين، عالم الكتب الطبعة الاولى 1994م، ج 2، ص 269.

<sup>2</sup> أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دارصادر 2003م، ج 7، ص 426.

منزلة نظيره في كثير من الأوزان نحو: جوعان وشبعان وطويل وقصير.<sup>1</sup> وقال أيضا: **وَإِسْطُ الْكُورِ وَوَاسِطُهُ أَي**  
**مَا بَيْنَ الْقَادِمَةِ وَالْآخِرَةِ وَأَشْدُّ:**<sup>2</sup> (الطويل)

**وَإِنْ شِئْتُ سَامَى وَإِسْطُ الْكُورِ رَأْسُهَا وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا نَجَاءَ الْخَفِيدِ**

وترد كلمة الوَسْطَ بمعني الأفضَل والخير. وهو ما نقرؤه في قول صاحب تاج العروس من خلال صور تمثيلية، قال: **وَإِسْطَةُ الْقِلَادَةِ الدُّرَّةُ الَّتِي فِي وَسْطِهَا وَهِيَ أَنْفُسُ خَرْزِهَا.** وقال رَجُلٌ وَسِيطٌ أَي حَسِيبٌ فِي قَوْمِهِ، كما يقال **وَإِسْطَةُ الدَّنَانِيرِ أَي خِيَارُهَا.**<sup>3</sup> وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أوسط قومه أي من خيارهم. والعرب تصف الفاضل النَّسَبِ بأنه من أوسط قومه، وهذا يعرف حقيقته أهل اللغة، لأن العرب تستعمل التمثيل كثيرا، فتمثل القبيلة بالوادي، والقاع، وما أشبهه، فخير الوادي وسطه، فيقال: هذا من وسط قومه، ومن وسط الوادي، وسرر الوادي، وسرارته، وسره، ومعناه كله من خير مكان فيه، فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جُعِلت أُمَّة وسطاً، أي خياراً.<sup>4</sup> وجاء في الأثر عن علي بن طالب رضي الله عنه قال: **عليكم بالوسط الأوسط فإنه ينزل العاليي وإليه يرتفع النازل.**<sup>5</sup> فالواضح من هذا التفسير اللغوي معنى الاختيار وعزيز المكانة والأفضلية. وقد فسرت لغة تاج العروس بألفاظ النص القرآني "أمة وسطا" لتؤكد الدلالة الاختيار.

يذكر الزمخشري: **(وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ)** ومثل ذلك جعل العجيب جعلناكم أُمَّةً وَسْطاً خياراً، وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء. ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم: **"و أنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر، إلا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف. وقيل: للخيار: وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل، والأعوام والأوساط محمية محوطة.** ومنه قول الطائي:

**كَأَنَّتْ هِيَ الْوَسْطُ الْمَحْمِيَّ فَكَتَنَّتْ بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرْفًا**

أو عدولا، لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض.<sup>6</sup> إن الانطلاق من الدلالة اللغوية لتفسير آيات من القرآن الكريم مسألة واضحة والمعروف أن تفسير الزمخشري من التفاسير التي تعتبر مرجعا مهما للباحثين في اللغة وبلاغتها.

كما بين الرازي في تفسيره أن الوسط من كل شيء خياره قالوا: ويعتقد أن هذا التفسير أولى لوجهه:  
الأول: أن لفظ الوسط يستعمل في الجمادات قال صاحب "الكشاف": **اكثر من أعرابي بمكة للحج فقال: أعطى من سطا تهنة أراد من خيار الدنانير ووصف العدالة لا يوجد في الجمادات فكان هذا التفسير أولى.**<sup>7</sup>

الثاني: أنه مطابق لقوله تعالى: **{كنتم خير أمة أخرجت للناس}** (آل عمران: 110/3).<sup>8</sup>

<sup>1</sup> محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1994، ج 1، ص 5033.  
<sup>2</sup> تاج العروس- ج 1، ص 5038.  
<sup>3</sup> تاج العروس، ج 1، ص 5038.  
<sup>4</sup> محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي بيروت 2001 ج 4، ص 306.

<sup>5</sup> القرطبي، الجامع لأحكام القرآن

<sup>6</sup> الزمخشري "الكشاف، دار المصنف 1977، ج 1، ص 97.

<sup>7</sup> تفسير الرازي، دار الفكر، 1990، ج 3، ص 68-167.

<sup>8</sup> الرازي، المصدر نفسه.

الثالث: أن الرجل إذا قال: فلان أوسطنا نسبا فالمعنى أنه أكثر فضلا وهذا وسط فيهم كواسطة القلادة، وأصل هذا أن الإبتاع يحوشون الرئيس فهو في وسطهم وهم حوله فقيل وسط لهذا المعنى.

الرابع: يجوز أن يكونوا وسطا على معنى أنهم متوسطون في الدين بين المفرط والمفرط والغالي والمقصر في الأشياء لأنهم لم يغلوا كما غلت النصارى فجعلوا ابنا وإلها ولا قصرُوا كتقصير اليهود في قتل الأنبياء وتبديل الكتب وغير ذلك مما قصرُوا فيه. واعلم أن هذه الأقوال متقاربة غير متنافية والله أعلم.<sup>1</sup>

الملاحظ في تفسير الرازي أن معنى الوسطية تجاوز دلالات الأفضلية والخيرية إلى دلالات تتصل بخصوصية الإسلام، فهو ينبذ الإفراط والغلو والتقصير مقارنة بأديان سماوية سابقة مثل اليهودية والمسيحية ولذلك تعد الوسطية خصوصية من خصائص الإسلام.

ويكون الوسط بالتحريك أي بمعنى المعتدل في الصفة. يقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء وعبد وسط وأمة وسط وشيء أوسط وللمؤنث وسطى بمعناه. وفي القرآن الكريم: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ} (المائدة) أي من وسط بمعنى المتوسط واليوم الأوسط والليلة الوسطى.<sup>2</sup>

كما تأتي بمعنى القوة والتمكن جاء في الخصائص لابن جني: أي الطرف لأن طَرَفَ الشيء أضعف من قلبه وأوسطه قال تعالى {أولم يَرَوْا أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا} وأنشد قول الطائي الكبير: (البيسط) كانت هي الوسط الممنوع فاستلّبت ما حولها الخيل حتى أصبحت طَرَفًا<sup>3</sup>

وذكر ابن منظور في هذا المعنى، أن وسط الدابة خير من طرفيها في الركوب لتمكن الراكب. ولهذا قال الراجز إذا ركبت فاجعلاني وسطا، ومنه الحديث النبوي الشريف: خيار الأمور أوسطها، وكذلك قوله تعالى: (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على شكّ فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه ولا متمكن<sup>4</sup>. وفي الدلالة اللغوية التي نقرؤها في تفسير النسفي أن للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية.<sup>5</sup> والتفسير في هذه النصوص يستند إلى مآثور القول من حديث نبوي وشعر وأمثال وغيرها.

وذكر الزمخشري في أساس البلاغة أن الوسط يعني الخيار والعدل، قال: وقوم وسط وأوساط: أي خيار. ومنه قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). ثم أنشد قول زهير (الكامل):

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> الرازي، المصدر نفسه.

<sup>2</sup> أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - ج1، ص 340.

<sup>3</sup> أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار 1955، ج 2، ص 166.

<sup>4</sup> لسان العرب - ج 7، ص 426.

<sup>5</sup> تفسير النسفي - ج 1، ص 80.

<sup>6</sup> أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان 1998. ج 2، ص 16.

وأرجع أهل اللغة منهم الجوهري<sup>1</sup> والصاغاني<sup>2</sup> والفيروزآبادي<sup>3</sup> وأبو البقاء الكفومي<sup>4</sup> وأبو هلال العسكري<sup>5</sup> وابن فارس<sup>6</sup> وابن منظور<sup>7</sup>، أن الوَسْطَ من كلِّ شيءٍ: عدلُهُ. والوسط يقتضي اعتدال الأطراف إليه ولهذا قيل الوسط العدل في قوله تعالى " وكذلك جعلناكم أمة وسطاً " أي عدلاً خياراً. وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم من خير مكان في نسب العرب وكذلك جُعِلَتْ أُمَّتُهُ أُمَّةً وَسْطاً أي خياراً<sup>8</sup>. وذكر ابن فارس: "أن الواو، والسين، والطاء بناء صحيح، يدلُّ على العدل والنِّصْفَ، وأعدل الشيء، أوسطه ووسطه" فالوسط هنا يراد به العدل<sup>9</sup>.

ويفصل الرازي بين الدلالة اللغوية والتفسير المعنوي لكلمة وسط فقال: إذا كان الوسط اسماً حركت الوسط كقوله: {أمة وسطاً} والظرف مخفف تقول: جلست وسط القوم، واختلفوا في تفسير الوسط. فقال الجوهري في "الصاح": {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً} أي عدلاً وهو الذي قاله الأخفش والخليل وقطرب. وأما المعنى فمن وجوه:

أحدها: أن الوسط حقيقة في البعد عن الطرفين ولا شك أن طرفي الإفراط والتفريط رديتان فالمتوسط في الأخلاق يكون بعيداً عن الطرفين فكان معتدلاً فاضلاً.

وثانيها: إنما سمي العدل وسطاً لأنه لا يميل إلى أحد الخصمين، والعدل هو المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الطرفين<sup>10</sup>.

وهناك من المفسرين من صرح بأن المراد بالوسط في الآية "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" التوسط بين الإفراط والتفريط فضلاً عن ما ذكرنا من أقوال جمهور المفسرين واللغويين. وممن ذهب إلى هذا القول البغوي في تفسيره ذاكراً أن الوسط يعني أهل دين وسط بين الغلو والتقصير لأنهما مذمومان في الدين<sup>11</sup>. وعند تطرق النسفي لتفسير قوله تعالى أُمَّةً وَسْطاً، قال: أي خياراً. وقيل: للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم، أو عدولاً لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض. أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطاً بين الغلو والتقصير، فإنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا<sup>12</sup>. فكان التفسير يكتسي طابعاً عقدياً ومقارنياً بين خصائص الإسلام ونظيره من الديانات السماوية السابقة.

<sup>1</sup> أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين - بيروت 1987، ج2، ص 278.

<sup>2</sup> الصاغاني الحسن بن محمد العباب الزاخر و اللباب الفاخر، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981، ج1، ص 330.

<sup>3</sup> مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان 2005، ج1، ص 893.

<sup>4</sup> أبو الحسن علي بن أسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، دار احياء التراث العربي بيروت، 1996، ج1 ص 369.

<sup>5</sup> أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، الكليات، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت 1998م، ج1، ص 1523.

<sup>6</sup> أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر. 1412 هج، ج1، ص 390.

<sup>7</sup> أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، 1979، ج6، ص 108.

<sup>8</sup> لسان العرب، ج7، ص 426.

<sup>9</sup> أبو الحسين. معجم مقاييس اللغة - ج 6، ص 108.

<sup>10</sup> تفسير الرازي، ج3، ص 68-167.

<sup>11</sup> البغوي، دار الفكر 1985، ج-1، ص 167.

<sup>12</sup> النسفي، ج1، ص 80.

ويؤكد الرازي أن العلماء بينوا أن في كل خلق من الأخلاق طرفي تفریط وإفراط وهما مذمومان، والحق هو الوسط ويتأكد ذلك بقوله تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً" وذلك الوسط هو العدل والصواب فالمؤمن بعد أن عرف الله بالدليل صار مؤمناً مهتدياً أما بعد حصول هذه الحالة فلا بد من معرفة العدل الذي هو الخط المتوسط بين طرفي الإفراط والتفریط في الأعمال الشهوانية وفي الأعمال الغضبية وفي كيفية إنفاق المال فالمؤمن يطلب من الله تعالى أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذي هو الوسط بين طرفي الإفراط والتفریط في كل الأخلاق وفي كل الأعمال وعلى هذا التفسير فالسؤال زائل.<sup>1</sup> والواضح من هذا القول الأثر الفلسفي والصوفي في بيان أعمال الأنسان.

ويذهب ابن القيم إلى القول أن جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً وهي الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفریط.<sup>2</sup> ويرى النيسابوري أن الوسط هو العدل والعدل متوسط في الأخلاق بين طرفي الإفراط والتفریط ولهذا نكره الله تعالى في معرض المدح و الامتتان.<sup>3</sup> ويرى الطبري في تفسيره أن "الوسط" في هذا الموضع، هو "الوسط" الذي بمعنى: الجزء الذي هو بين الطرفين. كما يرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط"، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غُلُوٍ فيه، غلُوُ النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها.<sup>4</sup> والظاهر أن هذه التفسيرات متصلة بالوسطية ويخصائص الدين الإسلامي عموماً.

وقال الجوهري: "وسطت القوم أسطهم وسطاً أوسطت توسطتهم، وفلان وسيط في قومه، إذا كان أوسطهم نسباً، وأرفعهم محلاً، والوسط من كل شيء: أعدل، ويقال أيضاً: شيء وسط؛ أي: بين الجيد والرديء وواسطة القلادة؛ الجوهر الذي في وسطها، وهو أجودها. فأطلق أوسط على ما كان بين طرفين متقابلين: أحدهما ممدوح، والآخر مذموم، كالجيد والرديء، وأطلق الوسط على الأجود بين جنسه، كوسط القلادة. ومن قصد الوقوع بين طرفين متقابلين، قول الشاعر: (الطويل)

**عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب نلولا ولاصعبا**

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته: "الوسط: ماله طرفان متساويان القدر، ويقال ذلك في الكمية المنفصلة؛ كالجسم الواحد، إذا قلت: وسطه صلب، وضرب وسط رأسه، بفتح السين، ووسط بالسكون، يقال في الكمية المنفصلة، كشيء يفصل بين جسمين، نحو: وسطاً لقوم كذا، والوسط تارة يقال في ماله طرفان مذمومان؛ يقال: هذا أوسطهم حسباً، إذا كان في واسطة قومهم، وأرفعهم محلاً كالجود الذي هو بين الإسراف والبخل، فيستعمل استعمالاً لقصد المصون عن الإفراط والتفریط، في مدح به نحو: السواء، والعدل، و النصفة، ومنه قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، و على ذلك" قال أوسطهم.<sup>5</sup> فنتبين من كلامه معنى آخر، وهو الواقع بين طرفين متساويي القدر، معا للإمحاء بالتفريق بين الوسط والوسط. قال ابن منظور في اللسان مبيناً الفرق بين الوسط بالفتح، والوسط بالسكون "واعلم أن الوسط يأتي صفة، وإن كان أصله أن يكون اسماً، من جهة أن أوسط الشيء أفضله وخياره، كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيه لتمكن الراكب، ومنه الحديث "خير الأمور أوساطها."<sup>6</sup>

<sup>1</sup> الرازي، ج 3، ص، 68-167.

<sup>2</sup> ابن قيم الجوزية، إغائة اللفان في مصايد الشيطان، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، 1432، ج 1، ص 182.

<sup>3</sup> القمي النيسابوري غرائب القرآن و رغائب الفرقان

<sup>4</sup> الطبري، ج 3، ص 141.

<sup>5</sup> أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ، مادة وسط.

<sup>6</sup> أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الأولى 2003، ج 5 ص 169 رقم الحديث. 6229.

فلما كان وسط الشيء أفضل وأعدله، جاز أن يقع صفة؛ وذلك في مثل قوله - تعالى "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"؛ أي: عدلاً وأما الوسط - بسكون السين - فهو ظرف لا اسم، على وزن نظيره في المعنى، و "بين"؛ تقول: جلست وسط القوم؛ أي: بينهم، ولما كانت "بين" لا تكون بعض ما تضاف إليه، بخلاف الوسط الذي هو بعض ما يضاف إليه، كذلك وسط، لا تكون بعض ما تضاف إليه، ألا ترى أن وسط الدار منها، ووسط القوم غيرهم؛ فقد حصل لك الفرق بينهما من جهة المعنى ومن جهة اللفظ، والوسط بالتسكين: يقال في ما كان متفرق الأجزاء، غير متصل؛ كالتأس، والدواب، فإذا كان متصل الأجزاء - كالدَّار، والرأس فهو بالفتح، وكلما يصلح فيه "بين" فهو بالسكون، وما لا يصلح فيه "بين"، فهو بالفتح، وقيل: كل منهما يقع موقع الآخر.<sup>1</sup>

ونستنتج من كلام اللغويين والمفسرين أن المعنى الدقيق للوسط، يكمن في العلاقة القائمة بينه - أي الوسط - وبين طرفيه، فالوسط من الألفاظ المشتركة فحيثما ورد وجب البحث في القرائن والدلائل التي ترجح حمله على أحد المعاني. فيأتي الوسط ويشترط له أن يكون محاطاً بطرفيه، وليس منفصلاً عنهما، ولا ينفك من الشيء المحيط به جوانبه، كوسط الدار، ووسط رأسه، وكذلك أن الوسط يحمي الأطراف.<sup>2</sup> وقد يكون بين طرفين محمودين، وتقوم الدلالة هنا على الأخذ من كل طرف بنصيب، دون امتناع الذهاب في كل طرف إلى أقصى مده، ودون أن يعتدي طرف على طرف، كالجمع بين العلم والعمل، أو بين الدين والعلم.<sup>3</sup> كما يضاف لفظ الوسط إلى الشيء الواحد، يقال قعدت وسط الدار، ولا يمكن أن يقال: قعدت وسط الدارين، والوسط يقتضي اعتدالاً الأطراف إليه، ولهذا قيل: الوسط العدل، قال تعالى: -وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا. ففي هذا السياق نبه البيضاوي في تفسيره على أن مدلول الآية من حيث العلاقة بين اشتقاق لفظ "الوسط" ومراحل استعماله ليبين أن الوسط حيثما ورد فهو يحتمل أحد الدلالات والقرائن وهي التي ترجح أحد هذه الاحتمالات. فقال: "وهو في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب، ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتقریط، كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن، ثم أطلق على المتصف بها."<sup>4</sup>

يروم هذا العرض لجهود اللغويين والمفسرين البحث في الدلالات الوسطية في الآيات، حيث قدمت مؤلفاتهم وصفا يهتم به علم الدلالة بالرغم من أنها لم تعالج مسألة المعنى معالجة مباشرة، والأکید عندنا أن المعاني اللغوية ودلالاتها الحافة وما حملته من معطيات ذهنية تتصل بطبيعة أمة الإسلام ستكون مؤثرة في نصوص التفسير ومنطلقاً لترسيخ معاني الأفضلية و الاختيار و الاعتدال ونبذ الغلو والتقصير وذلك لبيان ملامح أمة الوسط.

## 2- الدلالات التفسيرية ل"جعلناكم أمة وسطاً"

من يلاحظ المتتبع لمجمل التفسير في قوله تعالى - (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)، أن هذه الأعمال قديمها وحديثها اتخذت شكلاً متفرعاً لبيان المعاني المختلفة من حيث السياق. فمن المفسرين من اكتفى ببيان الاتفاق في تحديد المدلول اللغوي، أو التقارب في صياغة المعاني التفسيرية المقترنة بالمدلول اللغوي وقد بينا هذا في الجزء الأول من هذا البحث. وفريق آخر رأى أن الدلالات التفسيرية تكمن في الاعتماد على الروايات من الأخبار والأحاديث لتحديد معنى الوسطية في الآية الكريمة وهو ما يعرف بالتفسير بالمأثور. وفريق ثالث اعتمد على التأويل والرأي لصرف لفظ الوسط الوارد في الآية عن معناه الظاهر إلى معنى آخر يحتمله، وهذا النوع من التفسير قد تفرع ليتبرج عن مدى تطور المدارس التفسيرية في تاريخ الفكر الإسلامي.

<sup>1</sup> لسان العرب مادة وسط.

<sup>2</sup> السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمد التونجي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع 1993، ج 4، ص 356.

<sup>3</sup> المفردات في غريب القرآن مادة وسط.

<sup>4</sup> البيضاوي، ج 1، ص 180.



اشتهر مفسرون يعتمدون على التفسير بالمأثور منهم: مجاهد بن جبر المخزومي (ت 104 هـ)، ومقاتل بن سليمان (ت 150 هـ)، والطبري (ت 310 هـ)، والبعثي (ت 516 هـ)، وابن كثير (ت 774 هـ)، والثعالبي (ت 875 هـ). ويعتقد هؤلاء المفسرون أن هذا التفسير هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وهو أيضاً ثابت عن جمهور المفسرين ومعظمهم ولم يخالف في ذلك منهم إلا القليل. وهذه أقوالهم نعرضها لتوضيح معنى الوسط في الآية هو العدل. قال الثعالبي {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}، أي: عدولاً؛ روي ذلك عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وتظاهرت به عبارات المفسرين، ومنه قوله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} <sup>1</sup>. ورد في تفسير مجاهد بن جبر: أنا عبد الرحمن، قال: نا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا ورقاء عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [الآية: 143]. أي: عدلاً. <sup>2</sup> واعتمد مقاتل في تفسيره للآية على أن اليهود منهم مرحب، ورافع، وربيعة قالوا لمعاذ: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبله الأنبياء، ولقد علم محمد أن عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل، فأنزل الله تعالى في قول معاذ: وكذلك، جعلناكم أمة وسطاً، يعني عدلاً، نظيرها في ن والقلم، قوله سبحانه: ( قال أوسطهم)، يعني أعدلهم. <sup>3</sup> وهو تفسير يستفاد منه في علم أسباب النزول. أما الطبري فقد اعتمد روايات متعددة رويت عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، وابن عباس وابن وهب لبيان معنى العدل في الآية، قال: وأما التأويل فإنه جاء بأن الوسط العدل، وذلك معنى الخيار لأن الخيار من الناس عدولهم. ذكر من قال: الوسط العدل. حدثنا سالم بن جنادة ويعقوب بن إبراهيم، قالوا: ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: "عُدُولاً". حدثني علي بن عيسى، قال: ثنا سعيد بن سليمان، عن حفص بن غياث، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: {جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: عُدُولاً. حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} يقول: جعلكم أمة عدولاً. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: هم وسط بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأمم. <sup>4</sup> كما اعتمد البغوي في تفسيره لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} على الخبر الذي يحدد معنى الآية في سبب النزول فقال: نزلت في رؤساء اليهود، قالوا لمعاذ ابن جبل: ما ترك محمد قبلتنا إلا حسداً، وإن قبلتنا قبله الأنبياء، ولقد علم محمد أن عدل بين الناس، فقال معاذ: إنا على حق وعدل فأنزل الله تعالى: { وَكَذَلِكَ } أي وهكذا، وقيل: الكاف للتشبيه أي كما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } مردودة على قوله: {وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا} [البقرة: 130] أي عدلاً خياراً قال الله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} [القلم: 28] أي خيرهم وأعدلهم. <sup>5</sup>

من خلال هذه العرض نلاحظ أن مجمل التفسير التي تناولت قوله تعالى -{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}، اتفقت وتقايرت في صياغة المعاني التفسيرية المقترنة بالسياق و المدلول اللغوي والمعتمدة على التفسير بالمأثور، على أن الوسط هو الأفضل والخير والعدل سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الأمة.

ومن ناحية أخرى اقترن سياق مفهوم الوسط بالأفضلية في الآية بمفهوم "المركز أو المركزية". <sup>6</sup> يذكر الرازي قول أبي مسلم في تقريره قوله تعالى كما هديناكم إلى قلة هي أوسط القبل وكذلك جعلناكم أمة وسطاً. وأنه عائد إلى ما تقدم من قوله في حق إبراهيم عليه السلام: {وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا} [البقرة: 130] أي فكما اصطفيناها

<sup>1</sup> تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن

<sup>2</sup> تفسير تفسير مجاهد

<sup>3</sup> تفسير مقاتل بن سليمان،

<sup>4</sup> الطبري، دار الكتب العلمية، 1992، ج 2، ص 8.

<sup>5</sup> البغوي، دار الفكر 1985، ج-1، ص 167.

<sup>6</sup> الحبيب العلاني الوسطية في القرآن الكريم، مداد موقع الكتروني

في الدنيا فكذاك جعلناكم أمة وسطا. كما يحتمل عند الرازي أن يكون التقدير: {ولله المشرق والمغرب} (البقرة: 115) فهذه الجهات بعد استوائها في كونها ملكا لله وملكاً له، خص بعضها بمزيد التشريف والتكريم بأن جعله قبلة فضلا منه وإحسانا وكذلك العباد كلهم مشتركون في العبودية إلا أنه خص هذه الأمة بمزيد الفضل والعبادة فضلا منه وإحسانا لا وجوبا. وأنه قد يذكر ضمير الشيء وإن لم يكن المضمّر مذكورا إذا كان المضمّر مشهورا معروفا كقوله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} (القدر: 1) ثم من المشهور المعروف عند كل أحد أنه سبحانه هو القادر على إعزاز من شاء وإذلال من شاء فقوله: {وكذلك جعلناكم} أي ومثل ذلك جعل العجيب الذي لا يقدر عليه أحد سواه جعلناكم أمة وسطا. <sup>1</sup>في هذا السياق ذكر القرطبي عند تفسيره الآية التي جاءت بعد ذكر تحويل القبلة، حيث قال: "وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم والوسط العدل وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها." <sup>2</sup>وبين الرازي أن أعدل بقاع الشيء وسطه، لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال، والأطراف يتسارع إليها الخلل والفساد والأوسط محمية محوطة فلما صح ذلك في الوسط صار كأنه عبارة عن المعتدل الذي لا يميل إلى جهة دون جهة. <sup>3</sup>

كما تبنى النسفي معنى الوسط في الأمور من خلال مفهوم المركز المقترن بالمكان، يقول: الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم وسطا بين الغلو والتقصير. <sup>4</sup>ومن جهته فسّر ابن كثير الآية بجملة من الأخبار تبين معنى العدل المقترن بالشهادة، قال: وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله: "يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه، قال: فذلك قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: والوسط: العدل، فتدعون، فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم "رواه البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش، وقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك، فيدعى قومه، فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه، فيدعى محمد وأمه، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا، فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} قال: عدلاً. وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه وابن أبي حاتم، من حديث عبد الواحد بن زياد عن أبي مالك الأشجعي عن المغيرة بن عتيبة بن نھاس، حدثني مكاتب لنا عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه." <sup>5</sup>

وفي نفس السياق ذكر الطوسي أن المعنى الوسطية مقترن بالشهادة. قال: فإن قيل: بأي شيء يشهدون على الناس، قلنا فيه ثلاثة أقوال: أحدها - ليشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال: {وجيء بالنبيين والشهداء} وقال {يوم يقوم الأشهاد} ثم ذكر قول ابن زيد. قال: الأشهاد أربعة الملائكة، والأنبياء، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم والجوارح. كما قال: {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} كما يربط معنى الشهادة بالبلاغ فتكون حجة عليهم فقال - يشهدون الأنبياء على أممهم المكذبين

<sup>1</sup> الرازي، دار الفكر، 1990، ج 3، ص، 167-68.

<sup>2</sup> تفسير القرطبي، ج 2، ص 153.

<sup>3</sup> الرازي، ج 3، ص، 167-68.

<sup>4</sup> النسفي، ج 1، ص 80.

<sup>5</sup> تفسير بن كثير، دار الجيل بيروت، 1990، ج 1، ص، 181.



بأنهم بلّغوا. وجاز ذلك لإعلام النبي صلى الله عليه وسلم إيّاهم بذلك. {لتكونوا شهداء على الناس} أي حجة عليهم فيما يشهدون، كما أن النبي شهيد بمعنى حجة في كل ما أخبر به. والنبي وحده كذلك. فأما الأمة فجماعتها حجة دون كل واحد منها.<sup>1</sup>

وربط الرازي معنى الشهادة بالمدح والعدالة فقال: لا شك أن المراد بقوله: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} طريقة المدح لهم لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفا ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهداء له ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول إلا وذلك مدح فثبت أن المراد بقوله: (وسطا) ما يتعلق بالمدح في باب الدين، ولا يجوز أن يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بكونهم شهداء إلا بكونهم عدولا، فوجب أن يكون المراد في الوسط العدالة.<sup>2</sup> كما ناقش الرازي أوجه اختلاف العلماء في أن الشهادة المذكورة في قوله تعالى: {لتكونوا شهداء على الناس} هل تحصل في الآخرة أو في الدنيا؟ فقال:

الأول: إنها تقع في الآخرة، والذاهبون إلى هذا القول لهم وجهان. الأول: وهو الذي عليه الأكثر: أن هذه الأمة تشهد للأنبياء على أنهم الذين يكذبونهم، روي أن الأمم يجحدون بتلغ الأنبياء، فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام، فيسأل عن حال أمتهم فيزيكهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله: {كيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} (النساء: 41). وقد طعن القاضي في هذه الرواية من وجوه: أولها: أن مدار هذه الرواية عن أن الأمم يكذبون أنبياءهم وهذا بناء على أن أهل القيامة قد يكذبون، وهذا باطل عند القاضي.<sup>3</sup>

وثانيها: أن شهادة الأمة وشهادة الرسول مستندة في الآخرة إلى شهادة الله تعالى على صدق الأنبياء، وإذا كان كذلك فلم لم يشهد الله تعالى لهم بذلك ابتداء؟ وجوابه: الحكمة في ذلك تمييز أمة محمد في الفضل عن سائر الأمم بالمبادرة إلى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الأنبياء، والإيمان بهم جميعا، فهم بالنسبة إلى سائر الأمم كالعدل بالنسبة إلى الفاسق، فلذلك يقبل الله شهادتهم على سائر الأمم ولا يقبل شهادة الأمم عليهم إظهارا لعدالتهم وكشفا عن فضيلتهم ومنقبتهم.<sup>4</sup>

وثالثها: أن مثل هذه الأخبار لا تسمى شهادة وهذا ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا علمت مثل الشمس فاشهد" والشيء الذي أخبر الله تعالى عنه فهو معلوم مثل الشمس فوجب جواز الشهادة عليه. ويذكر الرازي أن شهادة الأنبياء وهو المراد بقوله حاكيا عن عيسى عليه السلام: {وكنتم عليهم شهداء ما دمت فيهم فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد} (المائدة: 117) وقال في حق محمد وأمته في هذه الآية: {لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} وقال: {كيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} (النساء: 41).<sup>5</sup>

ويذكر الرازي أن الشهادة المذكورة في الآية من خصوصية أمة محمد عليه الصلاة والسلام لا غير فقال: قد يكون معنى الشهادة هي شهادة أمة محمد خاصة، ويعضد هذا الشرح قوله تعالى: {وجيء بالنبیین والشهداء} (الزمر: 69) وقوله تعالى: {ويوم يقوم الأشهاد} (غافر: 51). ويضيف الرازي بأن شهادة الجوارح هي بمنزلة

<sup>1</sup> الطوسي

<sup>2</sup> الرازي، ج 3، ص، 68-167.

<sup>3</sup> تفسير بن كثير، دار الجبل بيروت، 1990، ج 1، ص، 181.

<sup>4</sup> المصدر نفسه.

<sup>5</sup> المصدر نفسه.

الإقرار بل أعجب منه قال تعالى: {يوم تشهد عليهم ألسنتهم} (النور: 24) الآية، وقال: {اليوم نختم على أفواههم} (يس: 65).<sup>1</sup>

ومن ناحية أخرى بين الرازي دلالة هذه الشهادة بقوله: أن أداء هذه الشهادة إنما يكون في الدنيا وتقريره أن الشهادة والمشاهدة والشهود هو الرؤية يقال: شاهدت كذا إذا رأيته وأبصرته، ولما كان بين الإبصار بالعين وبين المعرفة بالقلب مناسبة شديدة لا جرم قد تسمى المعرفة التي في القلب: مشاهدة وشهودا، والعارف بالشيء: شاهدا ومشاهدا، ثم سميت الدلالة على الشيء: شاهدا على الشيء لأنها هي التي صار الشاهد شاهدا، ولما كان المخبر عن الشيء والمبين لحاله جاريا مجرى الدليل على ذلك سمي ذلك المخبر أيضا شاهدا، ثم اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة، إذا عرفت هذا فنقول: إن كل من عرف حال شيء وكشف عنه كان شاهدا عليه والله تعالى وصف هذه الأمة بالشهادة، فهذه الشهادة إما أن تكون في الآخرة أو في الدنيا لا جائز أن تكون في الآخرة.<sup>2</sup>

ويعلل الرازي اقتران الشهادة بالعدالة فيقول: لأن الله تعالى جعلهم عدولا في الدنيا لأجل أن يكونوا شهداء وذلك يقتضي أن يكونوا شهداء في الدنيا، إنما قلنا: إنه تعالى جعلهم عدولا في الدنيا لأنه تعالى قال: {وكذلك جعلناكم أمة} وهذا إخبار عن الماضي فلا أقل من حصوله في الحال، وإنما قلنا: إن ذلك يقتضي صيرورتهم شهودا في الدنيا لأنه تعالى قال: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس} رتب كونهم شهداء على صيرورتهم وسطا ترتيب الجزاء على الشرط، فإذا حصل وصف كونهم وسطا في الدنيا وجب أن يحصل وصف كونهم شهداء في الدنيا.<sup>3</sup>

ويفسر الرازي مدى تحمل الشهادة في الدنيا فيقول: تحمل الشهادة لا يحصل إلا في الدنيا، ومتمحل الشهادة قد يسمى شاهدا وإن كان الأداء لا يحصل إلا في القيامة قلنا: الشهادة المعتبرة في الآية لا التحمل، بدليل أنه تعالى اعتبر العدالة في هذه الشهادة والشهادة التي يعتبر فيها العدالة، هي الأداء لا التحمل، فنبت أن الآية تقتضي كون الأمة مؤدين للشهادة في دار الدنيا، وذلك يقتضي أن يكون مجموع الأمة إذا أخبروا عن شيء أن يكون قولهم حجة<sup>4</sup>

وينتهي الرازي ببيان الدلالة اللفظية بقوله: إنما قال: {شهداء على الناس} ولم يقل: شهداء للناس لأن قولهم يقتضي التكليف إما بقول وإما بفعل وذلك عليه لا له في الحال، فإن قيل: لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرها؟ قلنا؛ لأن الغرض في الأول إثبات شهادتهم على الأمم وفي الآخر الاختصاص بكون الرسول شهيدا عليهم.<sup>5</sup> وخالصة القول أن الوسطية لدى هؤلاء المفسرين، هي وسطية عقدية بين طرفي التقصير والغلو؛ اليهود "الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم وكذبوا على ربهم وكفروا به"، والنصارى الذين رفعوا درجات عيسى وأمه ووقعوا في تأليههما، فسبب وصف المسلمين بالأمة الوسط "لتوسطهم في الدين". فتفسير هؤلاء المفسرين وإن كان يستند إلى عدد من النصوص سواء في الكتاب أو السنة فإنه، من ناحية أخرى كان متأثرا بمحيطه التاريخي والتحديات العقدية التي كانت تواجه الفكر الإسلامي في القرون الأولى وفي مقدمتها تحدي الديانتين اليهودية والنصرانية .

<sup>1</sup> المصدر نفسه.

<sup>2</sup> تفسير بن كثير، المصدر نفسه.

<sup>3</sup> المصدر نفسه.

<sup>4</sup> الرازي، ج 3، ص، 68-167.

<sup>5</sup> الكشف، ج 1، ص، 97.

### 3- الدلالات الفقهية

استدل أهل أصول الفقه بهذه الآية على حجية إجماع علماء الأمة حجة شرعية فيما أجمعوا عليه. قال الألوسي في تفسيره روح المعاني، وشاع عن أبي منصور الاستدلال بالآية. على أن الإجماع حجة إذ لو كان ما اتفقت عليه الأمة باطلاً لا نثلت به عدالتهم وهو مع بنائه على تفسير الوسط بالعدول وللخصم أن يفسره بالخيار فلا يتم إذ كونهم خياراً لا يقتضي خيريتهم في جميع الأمور فلا ينافي اتفاقهم على الخطأ. لا يخلو عن شيء، أما أولاً: فلأن العدالة لا تنافي الخطأ في الاجتهاد إذ لا فسق فيه كيف والمجتهد المخطئ مأجور، وأما ثانياً: فلأن المراد كونهم (وسطاً) بالنسبة إلى سائر الأمم، وأما ثالثاً: فلأنه لا معنى لعدالة المجموع بعد القطع بعدم عدالة كل واحد، وأما رابعاً: فلأنه لا يلزم أن يكونوا عدولاً في جميع الأوقات بل وقت أداء الشهادة وهو يوم القيامة، وأما خامساً: فلأن قسارى ما تدل عليه بعد والتي حجية إجماع كل الأمة أو كل أهل الحل والعقد منهم وذا متعذر، ولا تدل على حجية إجماع مجتهدي كل عصر والمستدل بصدد ذلك.<sup>1</sup>

ويعلق الألوسي إثر ذلك رابطاً بين مفهوم العدالة والعصمة لتحقيق مبدأ التوسط في اللغة لا تخلو من أبعاد إقناعية حاجية، فأجيب عن الأول والثاني بأن العدالة بالمعنى المراد تقتضي العصمة في الاعتقاد والقول والفعل وإلا لما حصل التوسط بين الإفراط والتفريط وبأنه عبارة عن حالة متشابهة حاصلة عن امتزاج الأوساط من القوى التي ذكرناها فلا يكون أمراً نسبياً، وعن الثالث: بأن المراد أن فيهم من يوجد على هذه الصفة، فإذا كنا لا نعرفهم بأعيانهم افتقرنا إلى اجتماعهم كيلا يخرج من يوجد على هذه الصفة. لكن يدخل المعتبرون في اجتماعهم. ومتى دخلوا وحصل الخطأ انثلت عدالة المجموع. وعن الرابع: بأن { جَعَلْنٰكُمْ } يقتضي تحقق العدالة بالفعل، واستعمال الماضي بمعنى المضارع خلاف الظاهر. وعن الخامس: بأن الخطاب للحاضرين. أعني الصحابة كما هو أصله. فيدل على حجية الإجماع في الجملة، وأنت تعلم أن هذا الجواب الأخير لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً، لأنه بعيد بمراحل عن مقصود المستدل، على أن من نظر بعين الإنصاف لم ير في الآية أكثر من دلالتها على أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم، وذلك لا يدل على حجية إجماع ولا عدمها.<sup>2</sup> فالآية بهذا المعنى تدل على تفضيل أمة المسلمين على غيرهم من الأمم ولا تدل ضرورة على حجية الإجماع. ويواصل الألوسي إثر ذلك ناقداً مذهب الشيعة الأنتي عشرية في استدلالهم بالآية على عصمة الأنبياء فقال: نعم ذهب بعض الشيعة إلى أن الآية خاصة بالأئمة الإثني عشر، ورووا عن الباقر أنه قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه، وعن علي كرم الله تعالى وجهه: نحن الذين قال الله تعالى فيهم: { وَكَذٰلِكَ جَعَلْنٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } وقالوا: قول كل واحد من أولئك حجة/أفضلاً عن إجماعهم، وأن الأرض لا تخلو عن واحد منهم حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، ولا يخفى أن دون إثبات ما قالوه خرط القتاد.<sup>3</sup> فالسياق يقتضي البحث في الخلاف المذهبي بين عقائد أهل السنة في مسألة الإمامة. وما صاغه الشيعة من تأويلات متصلة بهذه الآية. وهي ملاحظة يمكن أن تتسحب على آيات أخرى تأولها أصحاب المذاهب الإسلامية.

ومن جهة أخرى رأى صاحب التبيان الجامع لعلوم القرآن الطوسي: رأي البلخي، والجبائي، والرماني، وابن الاخشاد، وغيرهم بأن هذه الآية تدل على أن الإجماع حجة من حيث أنّ الله وصفهم بأنهم عدول، فإذا عدلهم الله تعالى، لم يجز أن تكون شهادتهم مردودة - وقد بينا في أصول الفقه أنه لا دلالة فيها على أن الإجماع حجة - وجملته أن الله تعالى وصفهم بأنهم عدول، وبأنهم شهداء وذلك يقتضي ان يكون كل واحد عدلاً، وشاهداً، لان شهداء جمع شهيد، وقد علمنا أن كل واحد من هذه الأمة ليس بهذه الصفة، فلم يجز أن يكون المراد ما قالوه، على

<sup>1</sup> تفسير الألوسي، دار الفكر، 1987، ج 2، ص، 3.

<sup>2</sup> الألوسي، المصدر نفسه.

<sup>3</sup> تفسير الألوسي، المصدر نفسه.

أن الأمة إن أريد بها جميع الأمة، فقد بينا ان فيها كثيراً ممن يحكم بفسقه بل بكفره، فلا يجوز حملها على الجميع. وان خصوصها بالمؤمنين العدول، لنا أن نخصها بجماعة، كل واحد منهم موصوف بما وصفنا به جماعتهم: وهم الأئمة المعصومون من آل الرسول صلى الله عليه وسلم على أنا لو سلمنا ما قالوه من كونهم عدولا، ينبغي أن نجنبهم ما يقدح في عدالتهم وهي الكبائر، فأما الصغائر التي تقع مكفرة، فلا تقدرح في العدالة، فلا ينبغي أن نمنع منها، ومتى جوزنا عليهم الصغائر لم يمكننا أن نحتج بإجماعهم، لأنه لا شيء أجمعوا عليه إلا ويجوز أن يكون صغيراً فلا يقدح في عدالتهم، ولا يجب الاقتداء بهم فيه لكونه قبيحاً. وفي ذلك بطلان الاحتجاج بإجماعهم. وكيف يجنبون الصغائر، وحال شهادتهم ليس بأعظم من شهادة النبي صلى الله عليه وسلم عليه ومع هذا يجوزون عليه الصغائر فهلا جاز مثل ذلك عليهم، ولا تقدرح في عدالتهم - كما لم تقدرح في عدالة النبي<sup>1</sup>؟

وفي نفس السياق حول حجية الإجماع من خلال الآية يورد الرازي مواقف أصحابها وحججهم فيقول: احتج جمهور الأصحاب وجمهور المعتزلة بهذه الآية على أن إجماع الأمة حجة فقالوا: أخبر الله تعالى عن عدالة هذه الأمة وعن خيريتهم فلو أقاموا على شيء من المحظورات لما اتصفوا بالخيرية وإذا ثبت أنهم لا يقدمون على شيء من المحظورات وجب أن يكون قولهم حجة.<sup>2</sup>

ثم بين الرازي قول من قال أن الآية متروكة الظاهر، لأن وصف الأمة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وخلاف ذلك معلوم بالضرورة، على أنه فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الأئمة المعصومين، سلمنا أنها ليست متروكة الظاهر لكن لا نسلم أن الوسط من كل شيء خياره والوجه التي ذكرتموها معارضة بوجهين. الأول: أن عدالة الرجل عبارة عن أداء الواجبات واجتباب المحرمات وهذا من فعل العبد وقد أخبر الله تعالى أن جعلهم وسطا فافتضى ذلك أن كونهم وسطا من فعل الله تعالى وذلك يقتضي أن يكون كونهم وسطا غير كونهم عدولا وإلا لزم وقوع مقدور واحد بقاديرين وهو محال.<sup>3</sup> الثاني: أن الوسط اسم لما يكون متوسطا بين شيئين، فجعله حقيقة في العدالة والخيرية يقتضي الاشتراك وهو خلال الأصل، سلمنا اتصافهم بالخيرية ولكن لم لا يكفي في حصول هذا الوصف الاجتباب عن الكبائر فقط، وإذا كان كذلك احتتمل أن الذي اجمعوا عليه وإن كان خطأ لكنه من الصغائر فلا يقدح ذلك في خيريتهم. ويعقب الرازي على أنه مما يؤكد هذا الاحتمال أنه تعالى حكم بكونهم عدولا ليكونوا شهداء على الناس وفعل الصغائر لا يمنع الشهادة.<sup>4</sup>

وذكر الرازي أن اتصاف الأمة بالشهادة إنما تكون في حالة الأداء لا في حالة التحمل وذلك بقوله: سلمنا اجتنابهم عن الصغائر والكبائر ولكن الله تعالى بين أن اتصافهم بذلك إنما كان لكونهم شهداء على الناس معلوم أن هذه الشهادة إنما تتحقق في الآخرة فيلزم وجوب تحقق عدالتهم هناك لأن عدالة الشهود إنما تعتبر حالة الأداء لا حالة التحمل، وذلك لا نزاع فيه، لأن الأمة تصير معصومة في الآخرة.<sup>5</sup>

ثم بين الرازي نوعية الخطاب الذي توجه والمخاطبين الذين تشملهم هذه الآية فقال: سلمنا وجوب كونهم عدولا في الدنيا لكن المخاطبين بهذا الخطاب هم الذين كانوا موجودين عند نزول هذه الآية لأن الخطاب مع من لم يوجد محال وإذا كان كذلك فهذه الآية تقتضي عدالة أولئك الذين كانوا موجودين في ذلك الوقت ولا تقتضي

1 الطوسي

2 الرازي، ج 3، ص، 68-167.

3 الرازي، ج 3، ص، 68-167.

4 الرازي، المصدر نفسه.

5 الرازي، المصدر نفسه.

عدالة غيرهم.<sup>1</sup> كما ذكر الرازي أن هذه الآية تدل على أن إجماع أولئك حق فيجب أن لا نتمسك بالإجماع إلا إذا علمنا حصول قول كل أولئك فيه لكن ذلك لا يمكن إلا إذا علمنا كل واحد من أولئك الأقوام بأعيانهم وعلمنا بقاء كل واحد منهم إلى ما بعد وفاة محمد وعلمنا حصول أقوالهم بأسرهم في ذلك الإجماع ولما كان ذلك كالمعتذر امتنع التمسك بالإجماع.<sup>2</sup>

ويذكر الرازي أن الخطاب في قوله تعالى {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} يقتضي حال الاجتماع فقال: والجواب عن قوله الآية متروكة الظاهر قلنا: لا نسلم فإن قوله: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} يقتضي أنه تعالى جعل كل واحد منهم عند اجتماعه مع غيره بهذه الصفة، وعندنا أنهم في كل أمر اجتمعوا عليه فإن كل واحد منهم يكون عدلا في ذلك الأمر، بل إذا اختلفوا فعند ذلك قد يفعلون القبيح، وإنما قلنا إن هذا خطاب معهم حال الاجتماع، لأن قوله: {جعلناكم} خطاب لمجموعهم لا لكل واحد منهم وحده، على أن وإن سلمنا أن هذا يقتضي كون كل واحد منهم عدلا لئنا نقول ترك العمل به في حق البعض لدليل قام عليه فوجب أن يبقى معمولا به في حق الباقي وهذا معنى ما قال العلماء: ليس المراد من الآية أن كلهم كذلك، بل المراد أنه لا بد وأن يوجد فيما بينهم من يكون بهذه الصفة، فإذا كنا لا نعلم بأعيانهم افتقرنا إلى اجتماع جماعتهم على القول والفعل، لكي يدخل المعتبرون في جملتهم، مثاله: أن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا قال إن واحدا من أولاد فلان لا بد وإن يكون مصيبا في الرأي والتدبير فإذا لم نعلمه بعينه ووجدنا أولاده مجتمعين على رأي علمناه حقا لأنه لا بد وأن يوجد فيهم ذلك المحق، فأما إذا اجتمعوا سوى الواحد على رأي لم نحكم بكونه حقا لتجويز أن يكون الصواب مع ذلك الواحد الذي خالف، ولهذا قال كثير من العلماء: إنا لو ميزنا في الأمة من كان مصيبا عن كان مخطئا كانت الحجة قائمة في قول المصيب ولم نعتبر البتة بقول المخطيء.<sup>3</sup>

وبين الرازي مذهب من قال أن المراد بالوسطية في الآية تكمن في العدالة وأن فعل العبد خلق لله تعالى بقوله: لو كان المراد من كونهم وسطا هو المراد من عدالتهم، لزم أن يكون فعل العبد خلقا لله تعالى قلنا: هذا مذهبنا على ما تقدم بيانه، قوله: لم قلت أن إخبار الله تعالى عن عدالتهم وخيريتهم يقتضي اجتنابهم عن الصغائر؟ قلنا: خبر الله تعالى صدق، والخبر الصدق يقتضي حصول المخبر عنه، وفعل الصغيرة ليس بخير، فالجمع بينهما متناقض، ولقائل أن يقول: الإخبار عن الشخص بأنه خير أعم من الإخبار عنه بأنه خير في جميع الأمور، أو في بعض الأمور.<sup>4</sup>

ويعلق الرازي عن هذا مبينا مفهوم الخير والخيرية للأمة الإسلامية بقوله: ولذلك فإنه يصح تقسيمه إلى هذين القسمين فيقال: الخير إما أن يكون خيرا في بعض الأمور دون البعض أو في كل الأمور، ومورد التقسيم مشترك بين القسمين، فمن كان خيرا من بعض الوجوه دون البعض، يصدق عليه أنه خير، فإن إخبار الله تعالى عن خيرية الأمة لا يقتضي إخباره تعالى عن خيريتهم في كل الأمور، فثبت أن هذا لا ينافي إقدامهم على الكبائر فضلا عن الصغائر وكنا قد نصرنا هذه الدلالة في أصول الفقه إلا أن هذا السؤال وارد عليها.<sup>5</sup>

ثم بين الرازي نوعية الخطاب في قوله تعالى {وكذلك جعلناكم أمة وسطا} هل هو خطاب لجميع الأمة أولها وآخرها، من كان منهم موجودا وقت نزول هذه الآية ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة، كما أن قوله: {كتب عليكم القصاص} (البقرة: 178)، {كتب عليكم الصيام} (البقرة: 183) يتناول الكل، أم لا يختص بالموجودين في

1 الرازي، المصدر نفسه.

2 الرازي، المصدر نفسه.

3 الرازي، المصدر نفسه.

4 الرازي، المصدر نفسه.

5 الرازي، المصدر نفسه.

ذلك الوقت، وكذلك سائر تكاليف الله تعالى وأوامره وزواجره خطاب لجميع الأمة؟ فأجاب: لو كان الأمر كذلك لكان هذا خطابا لجميع من يوجد إلى قيام الساعة، وإنما حكم لجماعتهم بالعدالة فمن أين حكمت لأهل كل عصر بالعدالة حتى جعلتهم حجة على من بعدهم؟ قلنا: لأنه تعالى لما جعلهم شهداء على الناس، فلو اعتبرنا أول الأمة وآخرها بمجموعها في كونها حجة على غيرها لزالمت الفائدة إذ لم يبق بعد انقضائها من تكون الأمة حجة عليه، فعلمنا أن المراد به أهل كل عصر، ويجوز تسمية أهل العصر الواحد بالأمة، فإن الأمة اسم للجماعة التي تؤم جهة واحدة، ولا شك أن أهل كل عصر كذلك ولأنه تعالى قال: {أمة وسطا} فعبّر عنهم بلفظ النكرة ولا شك أن هذا يتناول أهل كل عصر.<sup>1</sup>

ويعلل الرازي حجية الإجماع بشهادة الأمة في الدنيا وهو لا يمنع كونهم شهداء في الآخرة، فقال أن لا معنى لقولنا الإجماع حجة إلا هذا فنثبت أن الآية تدل على أن الإجماع حجة من هذا الوجه أيضا، واعلم أن الدليل الذي ذكرناه على صحة هذا القول لا يبطل القولين الأولين لأننا بينا بهذه الدلالة أن الأمة لا بد وأن يكونوا شهداء في الدنيا وهذا لا ينافي كونهم شهداء في القيامة أيضا على الوجه الذي وردت الأخبار به.<sup>2</sup>

ويبين الرازي أن قوله تعالى: {لتكونوا شهداء على الناس} إشارة إلى أن قولهم عند الإجماع حجة من حيث أن قولهم: عند الإجماع يبين للناس الحق، ويؤكد ذلك قوله تعالى: {ويكون الرسول عليكم شهيدا} يعني مؤديا ومبينًا، ثم لا يمتنع أن تحصل مع ذلك لهم الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لأنهم إذا أثبتوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد، ثم يشهدون بذلك يوم القيامة كما أن الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم.<sup>3</sup>

ويختتم الرازي رفضه حجية موضوع الإجماع في هذه الآية بمن ظهر كفره وفسقه من الشبهة والخوارج والروافض بقوله: دلت الآية على أن من ظهر كفره وفسقه نحو المشبهة والخوارج والروافض فإنه لا يعتد به في الإجماع لأن الله تعالى إنما جعل الشهداء من وصفهم بالعدالة والخيرية، ولا يختلف في ذلك الحكم من فسق أو كفر بقوله أو فعل، ومن كفر برد النص أو كفر بالتأويل.<sup>4</sup> وهي مسألة نتناولها بالتفصيل في الجزء الموالي في هذا البحث.

#### 4- الدلالات العقديّة:

ذكر الرازي في تفسيره آراء وأقوال سابقيه من العلماء والمفسرين في هذه الآية وزاد عليهم معنى كلاميا خلاصته أن الأشاعرة رأوا في قوله تعالى: وكذلك جعلناكم، تأييدا صريحا لمذهبهم، فأفعال العباد حسب هؤلاء مخلوقة لله تعالى، مقابل قول المعتزلة الذين انتصروا للإرادة والمسؤولية الإنسانيّتين. فقال: احتج الأصحاب بهذه الآية على أن فعل العبد مخلوق لله تعالى لأن هذه الآية دالة على أن عدالة هذه الأمة وخيريتها جعل الله وخلقه وهذا صريح في المذهب، قالت المعتزلة: المراد من هذا الجعل فعل الألفاظ التي علم الله تعالى أنه متى فعلها لهذه الأمة اختاروا عندها الصواب في القول والعمل، أجاب الأصحاب عنه من وجوه.

الأول: أن هذا ترك للظاهر ﷻ ونك من لا يصار إليه إلا عند قيام الدلائل على أنه لا يمكن حمل الآية على ظاهرها، لكننا قد بينا أن الدلائل العقلية الباهرة ليست إلا معناه، أقصى ما للمعتزلة في هذا الباب التمسك

<sup>1</sup> الرازي، المصدر نفسه.

<sup>2</sup> الرازي، المصدر نفسه.

<sup>3</sup> الرازي، المصدر نفسه.

<sup>4</sup> الرازي، المصدر نفسه.



بفصل المدح والذم والثواب والعقاب، وقد بينا مرارا كثيرة أن هذه الطريقة منتقضة على أصولهم بمسألة العلم ومسألة الداعي، والكلام المنقوض لا التفات إليه البتة.

الثاني: أنه تعالى قال قبل هذه الآية: {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة: 142) وقد بينا دلالة هذه الآية على قولنا في أنه تعالى يخص البعض بالهداية دون البعض، فهذه الآية يجب أن تكون محمولة على ذلك لتكون كل واحدة منهما مؤكدة لمضمون الأخرى.

الثالث: أن كل ما في مقدور الله تعالى من الألطاف في حق الكل فقد فعله، وإذا كان كذلك لم يكن لتخصيص المؤمنين بهذا المعنى فائدة.

الرابع: وهو أن الله تعالى ذكر ذلك في معرض الامتتان على هذه الأمة وفعل اللطف واجب والواجب لا يجوز ذكره في معرض الامتتان.

ولم يقتصر الاختلاف حول دلالة الوسطية في العقيدة على هذه المظاهر التي تحيل على الظروف التاريخية والتحديات الفكرية، بل اتخذ نزعة مذهبية وطائفية، بحيث استقل علماء الشيعة ومفسريهم بمعنى خاص لآية الوسطية، قال أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي رحمه الله: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) يعني أئمة وسطا أي عدلا وواسطة بين الرسول والناس والدليل على أن هذا مخاطبة للأئمة عليهم السلام قوله في سورة الحج " ليكون الرسول شهيدا عليكم " يا معشر الأئمة " وتكونوا - انتم - شهداء على الناس " وإنما نزلت " وكذلك جعلناكم أئمة وسطا ". كما ذكر الكاشاني في تفسيره الصافي في تفسير كلام الله الوافي يعتبر أن الخطاب في الآية الكريمة موجه للأئمة المعصومين وأنهم هم المشار إليهم في قوله تعالى بالأئمة الوسط. ولم يكن التفسير الصوفي لهذه الآية ببعيد عن مدلول الشيعة من حيث المضمون؛ فالوسطية وتوابعها درجات ومراتب وأعلى هذه المراتب مرتبة الأولياء العارفين بالله، التي تخول لهم الشهادة على " علماء الظاهر " والناس أجمعين، يقول ابن عجيبة (ت 1224هـ). وهو أحد رجالات التصوف المغاربة الذين أغنوا التراث الصوفي الإسلامي بنصوص عديدة. في كتابه "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد": "فكما أن الأمة المحمدية تشهد على الناس، والرسول يشهد عليهم ويزكيهم، فكذلك العلماء يشهدون على الناس، والأولياء يشهدون على العلماء، فيزكون من يستحق التزكية، ويردون من لا يستحقها، لأن العارفين بالله عالمون بمقامات العلماء أهل الظاهر".<sup>1</sup>

##### 5- دلالات الوسطية في التفاسير المعاصرة: بين المرجعية المذهبية للسلف ورهان المعاصرة:

##### أ- المرجعية المذهبية السنية المعاصرة: محمد الطاهر بن عاشور ومحمد رشيد رضا نموذجا:

يعدّ تفسير التحرير والتتوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور من أبرز التفاسير المعاصرة التي تمثل امتدادا معرفيا للتفاسير التليدة. وقد اتبع فيه صاحبه نهج السلف الصالح في بيان المعنى اللغوي لألفاظ الآيات. ففي سياق تفسير الآية 143 من سورة البقرة؛ يلخص ابن عاشور بأن الوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفاً ولما كان الوصول إليه لا يقع إلا بعد اختراق ما يحيط به أخذ فيه معنى الصيانة والعزة طبعاً كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدواب إلا بعد أكل ما في الجوانب فيبقى كثير العشب والكلاء، ووضعاً كوسط المملكة يجعل محل قاعدتها ووسط المدينة يجعل موضع قصبها لأن المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤة فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفاً فأطلقوه على الخيار النفيس كناية.<sup>2</sup> وهذا القول

<sup>1</sup> ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،

<sup>2</sup> ابن عاشور، الدار التونسية للنشر والتوزيع 1989، ج 2، ص 14.

كما هو معلوم منقول عن الكتب التراثية التي تعد معينا لا ينضب لمن رام استقصاء لغة العرب من مضانها. وهي دلالات درجت على الألسن وباتت منطلقا للتفسير في بعده الحقيقي والمجازي.<sup>1</sup>

وذكر ابن عاشور في هذا الصدد أن إطلاق الوسط على الصفة الواقعة عدلاً بين خلقين ذميين فيهما إفراط وتفريط كالشجاعة بين الجبن والتهور، والكرم بين الشح والسرف والعدالة بين الرحمة والقساوة، فذلك مجاز بتشبيه الشيء الموهوم بالشيء المحسوس فذلك روي حديث: "خير الأمور أوساطها" وسنده ضعيف وقد شاع هذان الإطلاقان حتى صارا حقيقتين عرفيتين.<sup>2</sup>.....

كما أضاف ابن عاشور إلى هذا المعنى أن الآية ثناء على المسلمين لأن الله ادخر لهم الفضل وجعلهم وسطاً بما هيا لهم من أسبابه في بيان الشريعة بيانا جعل أذهان أتباعها سالمة من أن تروج عليهم الضلالات التي راجت على الأمم.<sup>3</sup> ويستفاد من تفسير ابن عاشور أن هذه الوسطية التي وسمت بها الأمة يمكن اختزالها في سلامة أذهان أتباع الشريعة الخاتمة، وهو وصف لا يخرج عن خيرية الشاهد وهي غاية العدالة.<sup>4</sup>

قال ابن عاشور: "وفي بيان هذا الاستدلال طرق: قال جماعة الخطاب للصحابة وهم لا يجمعون على خطأ فالآية حجة على الإجماع في الجملة، ويرد عليه أن عدالة الصحابة لا تنافي الخطأ في الاجتهاد وقد يكون إجماعهم عن اجتهاد أما إجماعهم على ما هو من طريق النقل فيندرج فيما سنذكره.<sup>5</sup>

قال ابن عاشور والحق عندي أن الآية صريحة في أن الوصف المذكور فيها مدحٌ للأمة كلها لا لخصوص علمائها فلا معنى للاحتجاج بها من هاته الجهة على حجية الإجماع الذي هو من أحوال بعض الأمة لا من أحوال جميعها، فالوجه أن الآية دالة على حجية إجماع جميع الأمة فيما طريقه النقل للشريعة وهو المعبر عنه بالتواتر وبما علم من الدين بالضرورة وهو اتفاق المسلمين على نسبة قول أو فعل أو صفة للنبي - صلى الله عليه وسلم - مما هو تشريع مؤصل أو بيان مجمل مثل أعداد الصلوات والركعات وصفة الصلاة والحج ومثل نقل القرآن، وهذا من أحوال إثبات الشريعة، به فسرت المجملات وأسست الشريعة، وهذا هو الذي قالوا بكفر جاحد المجمع عليه منه، وهو الذي اعتبر فيه أبو بكر الباقلاني وفاق العوام واعتبر فيه غيره عدد التواتر، وهو الذي يصفه كثير من قدماء الأصوليين بأنه مقدم على الأدلة كلها.

وأما كون الآية دليلاً على حجية إجماع المجتهدين عن نظر واجتهاد فلا يؤخذ من الآية إلا بأن يقال إن الآية يستأنس بها لذلك فإنها لما أخبرت أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطاً وعلماً أن الوسط هو الخيار العدل الخارج من بين طرفي إفراط وتفريط علمنا أن الله تعالى أكمل عقول هذه الأمة بما تنشأ عليه عقولهم من الاعتقاد بالعقائد الصحيحة ومجانبة الأوهام السخيفة التي ساخت فيها عقول الأمم، ومن الاعتقاد بتلقي الشريعة من طرق العدل وإثبات أحكامها بالاستدلال استنباطاً بالنسبة للعلماء وفهماً بالنسبة للعامة، فإذا كان كذلك لزم من معنى الآية أن عقول أفراد هاته الأمة عقول قيّمة وهو معنى كونها وسطاً، ثم هذه الاستقامة تختلف بما يناسب كل طبقة من الأمة وكل فرد، ولما كان الوصف الذي ذكر أثبت لمجموع الأمة قلنا إن هذا المجموع لا يقع في الضلال لا عمداً ولا خطأ، أما التعمد فلأنه ينافي العدالة وأما الخطأ فلأنه ينافي الخلقة على استقامة الرأي فإذا جاز الخطأ على أحادهم لا يجوز تواردهم جميع علمائهم على الخطأ نظراً، وقد وقع الأمران للأمة الماضية فأجمعوا على الخطأ

<sup>1</sup>ابن عاشور، المصدر نفسه.

<sup>2</sup>ابن عاشور، المصدر نفسه.

<sup>3</sup>ابن عاشور، المصدر نفسه.

<sup>4</sup>الحبيب العلاني الوسطية في القرآن الكريم، مداد، موقع الكتروني

<sup>5</sup>ابن عاشور، المصدر نفسه.



متابعة لقول واحد منهم لأن شرائعهم لم تحذرهم من ذلك أو لأنهم أساءوا وأويلها، ثم إن العامة تأخذ نصيباً من هذه العصمة فيما هو من خصائصها وهو الجزء النقلي فقط وبهذا ينتظم الاستدلال.<sup>1</sup>

هذا وقد اتخذ مفهوم الوسطية في العصر الحديث دلالة أكثر تطوراً اقترن بمفهوم الالتزام والسببية. فقد جاء في تفسير المنار "ولكن يقال: لم اختير لفظ الوسط على لفظ الخيار، مع إنَّ هذا هو المقصود، والأول إنما يدل عليه بالالتزام؟ والجواب من وجهين: أحدهما: إنَّ وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي، فإنَّ الشاهد على الشيء لا بدَّ أن يكون عارفاً به، ومن كان متوسطاً بين شيئين فإنه يرى أحدهما من جانب وثنائهما من الجانب الآخر، وأمَّا من كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضاً. وثنائهما: إنَّ في لفظ الوسط إشعاراً بالسببية، فكأنه دليل على نفسه، أي: أنَّ المسلمين خيار وعدول؛ لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من أرباب التعطيل المفرطين، فهم كذلك في العقائد والأخلاق والأعمال."<sup>2</sup>

ويستعيد محمد رشيد رضا جملة من الدلالات التفسيرية التي نستحضر مرجعيتها التراثية ببسر في تفسير الآية المتصلة بالوسطية؛ يقول في هذا السياق {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} وهو تصريح بما فهم من قوله: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} [البقرة: 213] إلخ، أي: على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمةً وسطاً. قالوا: إنَّ الوسط هو العدل والخيار، وذلك أنَّ الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تقريط وتقصير، وكلٌّ من الإفراط والتقريط ميل عن الجادة القويمية، فهو شرٌّ ومذموم، فالخيار: هو الوسط بين طرفي الأمر، أي: المتوسط بينهما.<sup>3</sup> ويبين رشيد رضا بقوله: ذلك أنَّ الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين: قسم تقضي عليه تقاليدته بالمادية المحضة فلا هم له إلاَّ الحطوظ الجسدية كاليهود والمشركين، وقسم تحكم عليه تقاليدته بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسمانية، كالنصارى والصابئين وطوائف من وثني الهند أصحاب الرياضات. كما بين أن الأمة الإسلامية، قد جمع الله لها في دينها بين الحقين؛ حق الروح وحق الجسد، فهي روحانية جسمانية، وإن شئت قلت: إنَّه أعطاهما جميع حقوق الإنسانية، فإنَّ الإنسان جسم وروح، حيوان وملك، فكأنه قال: جعلناكم أمةً وسطاً تعرفون الحقين، وتبلغون الكمالين {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ} بالحق {عَلَى النَّاسِ} الجسمانيين بما فرطوا في جنب الدين، والروحانيين إذ فرطوا وكانوا من الغالين، تشهدون على المفرطين بالتعطيل القائلين: {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية: 24] بأنهم أخذوا إلى البهيمية، وقضوا على استعدادهم بالحرمان من المزايا الروحانية، وتشهدون على المفرطين بالغلو في الدين القائلين: إنَّ هذا الوجود حبس للأرواح وعقوبة لها، فعلينا أن نتخلص منه بالتخلي عن جميع اللذات الجسمانية، وتعذيب الجسد، وهضم حقوق النفس وحرمانها من جميع ما أعدّه الله لها في هذه الحياة - تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال، وجنوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقواها الحيوية، تشهدون على هؤلاء وهؤلاء، وتسبقون الأمم كلها باعتدالكم وتوسطكم في الأمور كلها، ذلك بأنَّ ما هديتم إليه هو الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال؛ لأنَّ صاحبه يعطي كل ذي حق حقه - يؤدّي حقوق ربّه، وحقوق نفسه، وحقوق جسمه، وحقوق ذوي القربى، وحقوق سائر الناس.<sup>4</sup> والظاهر في هذا القول أنه يمزج بين البعد الفلسفي والخطاب الإنساني الذي يخاطب الأنفس ويستحثها في نفس عاطفي واضح.

ب- المرجعية المذهبية الشيعية المعاصرة: الطببائي نموذجاً:

<sup>1</sup> ابن عاشور، المصدر نفسه.

<sup>2</sup> تفسير المنار

<sup>3</sup> ابن عاشور، المصدر نفسه.

<sup>4</sup> تفسير المنار

ولم يكن الطبطبائي<sup>1</sup> وهو شيعي المذهب ببعيد عن تفسير رشيد رضا عند تأويله لقوله تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً}، إذ يقول: الظاهر أن المراد كما سنحول القبله لكم لنهديكم إلى صراط مستقيم كذلك جعلناكم أمة وسطاً، وقيل إن المعنى ومثل هذا الجعل العجيب جعلناكم أمة وسطاً (هو كما ترى)، وأما المراد بكونهم أمة وسطاً شهداء على الناس فالوسط هو المتخلل بين الطرفين لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذلك الطرف،

ويميز الطبطبائي هذه الأمة بالنسبة إلى الناس لأهل الكتاب والمشركين فيقول: على هذا الوصف فإن بعضهم - وهم المشركون والوثنيون - إلى تقوية جانب الجسم محضاً لا يريدون إلا الحياة الدنيا والاستكمال بما لها وزخارفها وزينتها، لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، ولا يعاونون بشيء من الفضائل المعنوية والروحية، وبعضهم كالنصارى إلى تقوية جانب الروح لا يدعون إلا إلى الرهبانية ورفض الكمالات الجسمية التي أظهرها الله تعالى في مظاهر هذه النشأة المادية لتكون ذريعة كاملة إلى نيل ما خلق لأجله الإنسان، فهؤلاء أصحاب الروح أبطلوا النتيجة بإبطال سببها وأولئك أصحاب الجسم أبطلوا النتيجة بالوقوف على سببها والجمود عليها.<sup>2</sup>

فهذا القول يستحضر ما ذكر في كتب التفسير قديماً من مقارنة بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات السماوية فأضاف الطبطبائي مقارنة أمة الوسط بالمشركين والوثنيين الذين غرقوا في الجانب المادي دون الروحي. ثم يعقب الطبطبائي فيقول:

لكن الله سبحانه جعل هذه الأمة وسطاً بأن جعل لهم ديناً يهدي منتحليه إلى سواء الطريق وسط الطرفين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بل يقوي كلا من الجانبين - جانب الجسم وجانب الروح - على ما يليق به ويندب إلى جمع الفضيلتين، فإن الإنسان مجموع الروح والجسم لا روح محضاً ولا جسم محضاً ومحتاج في حياته السعيدة إلى جمع كلا الكماليين والسعادتين المادية والمعنوية، فهذه الأمة هي الوسط العدل الذي به يقاس ويوزن كل من طرفي الإفراط والتفريط فهي الشهيدة على سائر الناس الواقعة في الأطراف، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المثال الأكمل من هذه الأمة - هو شهيد على نفس الأمة، فهو صلى الله عليه وآله وسلم ميزان يوزن به حال الأحاد من الأمة، والأمة ميزان يوزن به حال الناس ومرجع يرجع إليه طرفا الإفراط والتفريط، هذا ما قرره بعض المفسرين في معنى الآية.<sup>3</sup>

ولئن لم يذكر الطبطبائي من هم هؤلاء المفسرون فأنا نرى أن النفس الشيعي حاضر في العملية التفسيرية يترجم عن سياق معرفي وأيديولوجي مهم.

وهو في نفسه معنى صحيح لا يخلو من دقة إلا أنه غير منطبق على لفظ الآية فإن كون الأمة وسطاً إنما يصحح كونها مرجعاً يرجع إليه الطرفان، وميزاناً يوزن به الجانبان لا كونها شهادة تشهد على الطرفين أو يشاهد الطرفين، فلا تتاسب بين الوسطية بذاك المعنى والشهادة، وهو ظاهر على أنه لا وجه حينئذٍ للتعرض بكون رسول الله شهيداً على الأمة، إذ لا يترتب شهادة الرسول على الأمة على جعل الأمة وسطاً، كما يترتب الغاية على المغيبي والغرض على ذيه.

### ج- التوظيف الدعوي الإيديولوجي المعاصر: سيد قطب نموذجاً:

أما السيد قطب فقد تناول تفسير قوله تعالى "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً" فكانت منطلقاً مستقيماً. فذكر أوصاف أمة الوسط وأماراتها في مؤلفه الشهير "في ظلال القرآن"، فوسطية الإسلام حسب قطب هي وسطية في التصور والاعتقاد، بين الروح والمادة، في العلاقات

<sup>1</sup> تفسير الميزان في تفسير القرآن/ الطبطبائي

<sup>2</sup> الطبطبائي، المصدر نفسه.

<sup>3</sup> الطبطبائي، المصدر نفسه.

والارتباطات بين الفرد والجماعة، وسطية في الموقع الجغرافي للأمة المسلمة. أي أنها شاملة لجميع أنواع الحياة الفردية والجماعية وتعطي للأمة موقعها الحقيقي في الفعل الحضاري.

يرى فطاب أن الأمة الوسط هي التي تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والقسط؛ وتضع لهم الموازين والقيم؛ وتبدي فيهم رأيها فيكون هو الرأي المعتمد؛ وترن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل. لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها. وهي شهيدة على الناس، وفي مقام الحكم العدل بينهم. وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها؛ فيقرر لها موازينها وقيمها؛ ويحكم على أعمالها وتقاليدها؛ ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة.. وبهذا تتحدد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها.. لتعرفها، ولتشرع بضخامتها. ولتقدر دورها حق قدره، وتستعد له استعداداً لائقاً.<sup>1</sup> ويمكن تنزيل هذا التفسير في إطار حركة الأخوان المسلمين التي كان السيد قطب رمزاً من رموزها تهدف إلى استعادة المثل الأخلاقية العالية ودعوة إلى استنهاض الهمم للراقي بالمسلمين.

وإنها للأمة الوسط بكل معاني الوسط سواء من الوساطة بمعنى الحسن والفضل، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد، أو من الوسط بمعناه المادي الحسي.<sup>2</sup> وهو بذلك يستعيد دلالات المعنى اللغوي ويتعداه إلى جانب نفسي فلسفي يتصل بماهية الإنسان وتركيبته.

ويسترسل السيد قطب في تحليل معنى أمة الوسط وتفسير دلالاتها في التصور و الاعتقاد في رسم ملامح المسلمين تصويراً مثالياً في لغة إنشائية فقال:

أمة وسطاً.. في التصور والاعتقاد.. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي. إنما تتبع الفطرة الممثلة في روح متلبس بجسد، أو جسد متلبس به روح. وتعطي لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد، وتعمل لترقية الحياة ورفعها في الوقت الذي تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها، وتطلق كل نشاط في عالم الأشواق وعالم النوازع، بلا تفريط ولا إفراط، في قصد وتناسق واعتدال.<sup>3</sup>

أمة وسطاً.. في التفكير والشعور.. لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة... ولا تتبع كذلك كل ناعق، وتقلد تقليد القردة المضحك.. إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول؛ ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب؛ وشعارها الدائم الحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، في تثبت ويقين.<sup>4</sup>

وهو خطاب يقوم على ثنائيات تمثل الهوية الحضارية من جهة والعلم من جهة أخرى دون أن تكون الثانية ملغية للأولى، إنما هي ضالة المؤمن يأخذها ليرسخ معنى الوسطية. ثم يواصل السيد قطب في نفس السياق خطابه الإنشائي مازجا بين الدعوة إلى اتباع التجربة والمعرفة والتنبه من خطر التقليد الأعمى "تقليد القردة والمضحك" وكأن السيد قطب ينبه أمة الوسط إلى حقيقة تفرض نفسها تتمثل في امتلاك ناصية العلوم والمعارف دون إهمال الخصوصية الحضارية والفكرية للإسلام.

إن الرؤية الفكرية التي يحملها سيد قطب دعت إلى النظر في نظام أمة الوسط فتوجه إلى أخلاقها وتربيتها. فهو خطاب ضمير والأخذ بأسباب التأديب ويدعوها إلى الأنظام وفق قواعد التشريع فتزواج بين قوة السلطة والوحي وتتخذ في ذلك موقعا وسطاً.

1 سيد قطب

2 سيد قطب المصدر نفسه.

3 سيد قطب

4 سيد قطب

أمة وسطاً.. في التنظيم والتنسيق.. لا تدع الحياة كلها للمشاعر، والضماير، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب. إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهديب، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب؛ وتزواج بين هذه وتلك، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان، ولا تكلمهم كذلك إلى وحي الوجدان.. ولكن مزاج من هذا وذاك.<sup>1</sup> والواضح من هذا الخطاب أنه خطاب يشدذ الهمم ويقوي النفوس في لغة خطابية حماسية ظاهرة فإذا بسيد قطب يسترسل إثر ذلك ليتحدث عن طبيعة الفرد والعلاقات الاجتماعية.

أمة وسطاً.. في الارتباطات والعلاقات.. لا تلغي شخصية الفرد ومقوماته، ولا تلاشي شخصيته في شخصية الجماعة أو الدولة؛ ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعاً لا هم له إلا ذاته.. إنما تطلق من الدوافع والطاقت ما يؤدي إلى الحركة والنماء، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه. ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة؛ وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق.<sup>2</sup> فالمطلوب التوسط بين خصوصية الفرد ومصلة المجموعة فلا يغلو الفرد في أنانيته ولا يلغي مصلحته أمام مصلحة المجموعة.

ويتحول الخطاب إلى خطاب حماسي أشبه بالتجيش يتغذى بوسطية الأمة جغرافياً فأذا بها تنفع أهل الأرض كافة بثمار الوسطية روحياً وفكرياً.

أمة وسطاً.. في المكان.. في سرّة الأرض، وفي أوسط بقاعها. وما تزال هذه الأمة التي غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هي الأمة التي تتوسط أقطار الأرض بين شرق وغرب، وجنوب وشمال، وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعاً، وتشهد على الناس جميعاً؛ وتعطي ما عندها لأهل الأرض قاطبة؛ وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الروح والفكر من هنا إلى هناك؛ وتتحكم في هذه الحركة ماديها ومعنويها على السواء.<sup>3</sup> أن هذا الخطاب المتعالي المثالي على نبل ما يحمله من معان لا يمكن أن يعبر عن واقع المسلمين وقد تدهقروا حضارياً وعلمياً وفكرياً فبات الخطاب رهين الفكر البيدولوجي الذي ينبع منه.

أمة وسطاً.. في الزمان.. تنهي عهد طفولة البشرية من قبلها؛ وتحرس عهد الرشد العقلي من بعدها. وتقف في الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها؛ وتصدها عن الفتنة بالعقل والهوى؛ وتزواج بين تراثها الروحي من عهود الرسالات، ورصيدها العقلي المستمر في النماء؛ وتسير بها على الصراط السوي بين هذا وذاك.<sup>4</sup>

أن هذا القول يفهم منه أن الإسلام نبذ الفكر الأسطوري الذي عرفته الأنسانية في بدايتها فحارت الخرافة والأوهام لترجح كفة العقل حتى ترتقي بالإنسان روحاً وعقلاً وأخلاقاً.

وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذي وهبه الله لها، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره لها، واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هي التي اختارها الله لها، واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها! والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها.<sup>5</sup>

1 سيد قطب

2 سيد قطب

3 سيد قطب

4 سيد قطب

5 سيد قطب

فالحل يكمن في صراط مستقيم تلتزم الأمة بالسير عليه لتكون أمة وسطا وهو منهج الله أي دين الإسلام ، فإن هي اتخذت مناهج مختلفة مثل التغريب والأنبهار بالآخر والتقليد الأعمى، فإنه لا سبيل عند سيد قطب لتحقيق هذه الوسطية إلا بالبقاء في ظلال القرآن.

ويختتم سيد قطب واصفا وظيفة الأمة و دورها فقال :وأمة تلك وظيفتها وذلك دورها، خليفة بأن تحتل التبعة وتبذل التضحية، فلقيادة تكاليفها، وللقيامه بتبعاتها، ولا بد أن تفتن قبل ذلك وتبتلى، ليتأكد خلوصها لله وتجردها، واستعدادها للطاعة المطلقة للقيادة الراشدة.<sup>1</sup>

تتضح من خلال لطائف وطرائف "تفسير" سيد قطب لآية الوسطية التأثير القوي بالهجوم الإسلامية المعاصرة، والمتمثلة في الإلحاد وطغيان الحياة المادية وتحدي الاشتراكية والرأسمالية...، فقد وسعوا من دلالة الوسط في الآية الكريمة ليشمل معاني حديثة، ووضعوا له علامات وخرائط جديدة لم تكن معروفة من قبل . فهذه الظرفية الحضارية التي عاينها سيد قطب ميزت تفسيره للآية مقارنة بالتفسير القديمة ليكون لها بعد دفاعي لإبراز مميزات أمة الوسط غير أن خطابه تميز بنفحة أيديولوجية واضحة فضلا عن إنشائية.

### الخاتمة

إن هذه الإطلاقة السريعة على تاريخ مفهوم الوسطية استنادا إلى قوله تعالى: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» يؤكد المرونة الكبيرة التي يتمتع بها هذا المفهوم، وتحمله معاني ودلالات متعددة، وفي بعض الأحيان متضاربة، بل الأخطر من هذا أنه من المفاهيم التي يسهل تعبئتها بمحتوى مذهبي ضيق كما لاحظنا آنفا. فهل هذه الخاصية التي يختص بها مفهوم الوسطية علامة ضعف فيه أم علامة قوة؟ ومما يلاحظ على كلام المفسرين في هذه الآية الاختلاف والتباين، تباين الأوضاع التاريخية للمفسرين، والتحديات العقديّة والفقهية والأخلاقية التي كانت تجتازها الأمة في زمانهم، وأيضا تبعا لاختلاف الأنساب المذهبية الكلامية والسياسية.

المتأمل فيما تقدم من دراسة في هذا البحث يلاحظ الإضافة العلمية والمنهجية التي قدمها المفسرون واللغويون والأصوليون لاكتشاف أحكام القرآن وتفصيل آياته وبيان معانيه. فعلم اللغة والأصول استعملت مترابطة مع بعضها، وكان الهدف منها مغرقة المعنى الجزئي لدراسة البنية المتكاملة من حيث الدلالة والسياق للموضوع في كامل القرآن. فالبحث الأصولي والفقه في المصطلحات الشرعية، والفرق بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية إنما اتجه إلى نماذج محدودة من المفردات، وهي مفردات ظاهرة التباين والاختلاف بين المعنى اللغوي والمعنى في السياق القرآني، والهدف منها البحث في الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن.

أما إعمال علم الدلالة في منهج المفسرين واللغويين والأصوليين، فإنه يهدف أساساً إلى إدراك طبيعة التحول في المفهوم وكيف تم توظيفه في العمل التفسيري لاستخراج المعاني والأحكام. فإدراك هذه المنهجية في توظيف الدلالات وتحولها ضمن السياق القرآني يسهم بقدر كبير في اكتشاف منهج القرآن في التعبير والدعوة، ومنهجية التغيير الاجتماعي والثقافي وصولاً إلى غرس المفهوم الإسلامي في المجتمع، باستثمار مجموعة المفهومات التي يستخدمها الأفراد بمعانٍ مشترك جزئياً أو مبانة كلياً للمعنى الجديد، لكن في توظيفها توطين للفكرة الجديدة في عقول المدعوين.

فبدأ البحث عن الدلالة قد طبقه الأصوليون والمفسرون عند الحديث عن الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية، كما بحث اللغويون عن دلالات الألفاظ في اللغة مقارنة بالشعر الجاهلي.<sup>2</sup> وكذلك الشأن بالنسبة لأهمية

1 سيد قطب

<sup>2</sup> وإن كانت دراسات قليلة وجزئية ولم تتطور إلى معجم تاريخي للغة العربية، إذ من الصعوبات التي لا تخفى عند المعنيين بالقضايا اللغوية غياب معجم تاريخي للألفاظ العربية، وعدم مراعاة التطور الدلالي في المعجم المتوفرة.

السياق النصي فقد اعتنى به المفسرون في إطار المعاني الكلية للآية، لكن هذا الاهتمام بهذه الجوانب ظل في إطار فهم النص والمعنى، لا في إطار تحليل المفاهيم القرآنية ضمن نسق محدد. إن المحاولات المتواصلة من بعض المفسرين على أن دلالة الوسطية تدعو إلى العدل والخيرية والأفضلية ضد الغل والتطرف، إلا أنها في أكثر الأحيان وهو رأي التفسير المعاصرة ليست نقطة وسط بين الخير والشر لأن هذا التصور يفرغها من محتواها ويبيدها عن دلالاتها. كما أن دلالة الوسطية في التفسير الحديثة لا تلغي العدل والخيرية والأفضلية، وتضيف الاجتهاد الغير المملى أو المسقط حتى لا يهمل الشخصية الإسلامية الفاعلة، و يؤسس لتعميق الهوية بين التصور الأصيل للإصلاح، والتصور المسقط الذي لا يحلّ مشكلا، ولا يقدم للقضية ما يدفعها نحو تحقيق الإصلاح وإعادة تشكيل الشخصية الإسلامية المناسبة لكل مرحلة تاريخية بعيدا عن الوصاية والتبعية.<sup>1</sup>

انظر: صالح غزم الله زياد، "المصطلح الأدبي: بين غناه بالمعرفة و غناه في التاريخ"، مجلة عالم الفكر - الكويت، مجلد: 28، عدد: 3 (يناير - مارس 2000م)، ص: 107.

<sup>1</sup> الجيب العلاني الوسطية غي القرآن الكريم



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## تجديد الفتوى في الخطاب الديني

إعداد

محمد محمد علي بعيو

عضو هيئة التدريس بالجامعة الأسمرية الإسلامية - ليبيا -

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## الملخص

تجلى أهمية البحث في ارتباطه الارتباط الوثيق بالاجتهاد؛ ذلك أن الفتوى هي ترجمان الاجتهاد وأثره العملي في الخطاب الديني، فإذا ما تم بإحسان مراعاة متطلبات الخطاب الديني الناشئ عن الاجتهاد؛ قلّ الخلاف واجتمعت الكلمة، وإن تمّ الإعراض عن هذا الإحسان وقع الخلل في الخطاب الديني، وتفرقت الأمة، وتشتت شبابها إلى جماعات يعادي بعضها بعضاً، وتكالب على الإسلام أعداؤه ووصموه بما ليس فيه.

وقد تألف البحث من خمسة مباحث وخاتمة:

**المبحث الأول:** مفهوم تجديد الفتوى والخطاب الديني، وقد بينت فيه مفهوم التجديد ومصطلح الفتوى والخطاب الديني، وأثر المفتي في تجديد الخطاب الديني.

**المبحث الثاني:** دواعي تجديد الفتوى، وقد هدف هذا المبحث إلى إلقاء نظرة على داعية تجديد الأحكام وفق مصالح الخلق الدينية والدنيوية.

**المبحث الثالث:** التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى، وقد تعرّضت فيه إلى التأصيل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول والاستقراء لتجديد الفتوى عند حصول الموجب.

**المبحث الرابع:** ضوابط تجديد الفتوى، وقد بينت فيه إلى الضوابط التي على المجتهد أن يراعيها في اجتهاده؛ كي يُثبت ما اعتقده من الصواب فيما ساغ له فيه الاجتهاد، وإلى ضوابط الفتوى عبر وسائل الإعلام.

**المبحث الخامس:** مزايا تجديد الفتوى، وقد تعرّضت فيه إلى المزايا التي أضفت على التجديد ميزة في أنّ بناء أحكام الشرع قام على تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد. وأما الخاتمة فقد اشتملت على أهم نتائج البحث وتوصياته.

## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه؛ وبعد:  
فتجديد الخطاب الديني عن طريق الفتوى له الأثر البالغ في اجتماع المسلمين على كلمة سواء، وفي تلافي الخلل الناتج من التشدد والتساهل في الفتوى، وما يحدثه من آثار سلبية على الأمة من ضعف وتفرق، وكذلك في إصلاح ما ترتب على فقد المرجعية للخطاب مع الآخرين في القضايا الدينية والنوازل المستجدة من التعصب والتشدد، ومن التدد في مشارب الخطاب بين شباب الأمة الذي أفسد ذات البين، وأعطى لأعداء الإسلام ذريعة الكيد له ولأهله.

ولا تصفو حياة الأمة في جميع المجالات، بل ولا معنى لتجديد حياتها الدينية والدنيوية وفق تحقيق مصالحها نحو النهوض والرقى إلا باجتهاد موقف وفتوى رشيدة مع خطاب الوسطية الذي لا إفراط فيه ولا تفريط؛ ذلك أنّ العالم هو عصا كل أعمى من العوام، بها يصول على الباطل ليدحضه<sup>(1)</sup>، وبها تتصلح العوائد النفسية الخاطئة التي انقادت وراء داعية الأهواء.

كما أنّ النوازل - وهي المسائل المستجدة - في مخاض مطرد متلاحق، وهو ما يستدعي بإلحاح نظر الاجتهاد المواكب؛ حتى يكون العباد على بصيرة بحكم الشرع من خطابه، ذلك « أنّ الصبغة الدينية تذهب التنافس

(1) ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير، 293/9.



والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرّد الوجهة إلى الحق، فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء؛ لأنّ الوجهة واحدة والمطلوب متساوٍ عندهم، وهم مستميتون عليه»<sup>(1)</sup>.  
ومراجعة سنّة التغيير على الأمكنة والأزمنة وردّ ما يجدر على حياة الأمة إلى الأصول والثوابت؛ له الأثر العظيم النفع على كيان الأمة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتربوي، ففيه سلامة الإسلام من الادعاء بدعوى الإرهاب والعصبية المقبولة، وسلامة الفقه من عواقب الهرم والشيخوخة والإصابة بداء التقهقر والانحطاط والانكماش عن الواقع المعيش.  
ولما كان لتجديد الفتوى تلك الأهمية على صعيد الخطاب الديني مع الفرد والأمة؛ جاء هذا البحث الموسوم بـ«تجديد الفتوى في الخطاب الديني».

### إشكالية البحث:

إنّ الواقع المعيش يتجدّد ويتغيّر، ومن لوازم صالحية الخطاب الديني وفعاليتها في المجتمعات تجديده -بما يتناسب والعصر-، والذي من أهم مرتكزات تأثيره؛ الفتوى، وعدم تجديدها ليجدد الخطاب الديني بها تجعل من ذلك وصفاً للشريعة بشبهة الجمود والتشدد وعدم ملاءمتها للعصر، وهذا يحدث تناقضاً بين دعوى المرونة في الشريعة وجمودها في الفتوى؛ فكيف السبيل لتجديد الفتوى في الخطاب الديني؟

### خطة البحث ومنهجه:

جاء البحث في خمسة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: مفهوم تجديد الفتوى والخطاب الديني.

المبحث الثاني: دواعي تجديد الفتوى.

المبحث الثالث: التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى.

المبحث الرابع: ضوابط تجديد الفتوى في الخطاب الديني.

المبحث الخامس: مزايا تجديد الفتوى في الخطاب الديني.

والخاتمة فيها نتائج البحث وأهم التوصيات.

أمّا المنهج الذي سلكته في بيان هذه المباحث فهو المنهج التحليلي الاستقرائي يقوم على قواعد البحث العلمي في ترتيب المادة العلمية، وتوثيق النقول من مظانها، وتخريج الأحاديث وبيان حكمها إن كانت في غير الصحيحين.

أسأل الله العليّ القدير أن يهبنا الإخلاص والسداد فيما قصدناه، ويهدينا سواء الصراط، ويجنبنا مضلات الفتن، وأن يغفر لنا خطايانا، وأستغفر الله العظيم على كلّ حال ومقال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

(1) المقدمة، لابن خلدون، ص158.

## المبحث الأول

### مفهوم تجديد الفتوى والخطاب الديني

#### تحديد المفهوم:

التجديد في اللغة: يقال: جدّد فلان الأمر، إذا أحدثه وصيّره جديداً، وتجدّد الشيء صار جديداً، والجديد: خلاف القديم<sup>(1)</sup>.

وعرّف تجديد الفتوى بأنه: مراعاة الفتوى لتغيّر الزمان والمكان، وتنزيل النوازل على ما يتطلبه الحال وتقتضيه الحياة التامة المتجدّدة بتجدّد الأيام<sup>(2)</sup>.

والمراد بتجديد الفتوى هنا: قبل إصدارها يعني: التأكّد من صلاحيتها الزمانية، والمكانية، والشرعية، وبعد إصدارها: مراجعتها والحكم عليها بمدى استمرارية مناسبتها؛ للإبقاء عليها أو تطويرها أو استبدالها لتسهم في تطوير الخطاب الديني.

والمجتهد المجدّد: هو الفقيه المستقرغ لوسعه في تحصيل حكم شرعيّ عمليّ بطريق الاستنباط<sup>(3)</sup>؛ لإحياء ما اندرس من الحقّ أو لتحقيق المناط على الوقائع المتجددة، مع مراعاة الظروف والأحوال والأزمان والأمكنة والمصالح في تقرير العدل.

وإنما كان المجدّد بهذا التعريف؛ لأنّ المجتهد إنما يتّسع مجال اجتهاده بإجراء العلل والالتفات إليها، فإذا نظر في علّة الحكم عدّى الحكم بها إلى محلّ هي فيه؛ لتقع المصلحة المشروع لها الحكم، ولولا ذلك لم يستقم له إجراء الأحكام على وفق المصالح إلا بنص أو إجماع<sup>(4)</sup>.

**والفتوى والفتوى** والفتوى في اللغة: ما أفتى به الفقيه، إذا بيّن الحكم، يقال: أفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فيها فأفتاني إفتاءً، إذا أجابه وأبان الحكم فيها، وأصل الفتوى من الفتى وهو الشّابّ الحدث الذي شبّ وقويّ، فكأنّه يقويّ ما أشكل ببيانه، فيشبّ ويصير فتياً قوياً<sup>(5)</sup>.

واصطلاحاً: هي الإخبار بالحكم الشرعي لا على وجه الإلزام<sup>(6)</sup>.

**والخطاب في اللغة:** الكلام بين متكلم وسماع، ومنه اشتقاق الخطبة - بضم الخاء وكسرهما -<sup>(7)</sup>.

(1) ينظر: مصباح المنير، للفيومي، 92/1، المعجم الوسيط، 160/1.

(2) نظرية الاجتهاد وعلاقتها بالفتوى، للصادق الغرياني، ص9. وهو بحث مقدّم إلى المؤتمر الأول لإدارة الفتوى في دول شرق آسيا الذي نظّمته الجامعة الإسلامية بماليزيا.

(3) ينظر: إرشاد الفحول، للشوكاني، ص418.

(4) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 200/1.

(5) ينظر: لسان العرب، لابن المنظور، تاج العروس، للزبيدي، 211/39، 212.

(6) شرح مختصر خليل، للخرشي، 109/3.

(7) ينظر: المصباح المنير، للفيومي، 173/1.

وعرفه الأصوليون بأنه: الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيئ للفهم، وعرفه قوم بأنه: ما يقصد به الإفهام، وهو أعم من أن يكون من قصد إفهامه متهيئاً أم لا (1).

والأحكام التي خاطبنا الشرع بها نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة، هو عليها لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا؛ كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها؛ فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة (2)، وهذا ليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ ذلك لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية، والتكليف كذلك لم يحتج في الشرع إلى مزيد، وإنما معنى الاختلاف أن المصلحة إذا اختلفت رجعت كل واقعة إلى أصل شرعي يحكم به عليها (3).

#### أثر تجديد الفتوى في معالجة التشدد أو الانحلال في الخطاب الديني:

لقد حظي المفتي في الشرع بالحظوة الرفيعة والمنزلة السامية؛ فهو المخبر عن الله تعالى بالحق، وهو مع الله - ﷻ - كالمترجم مع الحاكم (4)، وقائم مقام النبي - ﷺ - ونائب منابه (5)؛ لأن من بلغ مبلغاً فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصف، هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي - ﷺ - في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله (6).

ومن المهام المنوطة بالمفتي شرعا: أن يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال؛ لأنه إذا ذهب بالمستفتي مذهب العنت والحرج بغض إليه الدين وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة، وإذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة، والشرع إنما جاء بالنهي عن الهوى، واتباع الهوى مهلكة (7).

واندراس كثير من معالم الدين بظهور التشدد أو الانحلال في الخطاب الديني له أسبابه، منها:

• ضياع العلم بسبب حفظ النص من غير فهم له أو عمل به، وفي هذا يقول أبو الدرداء - ﷺ - حيث قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: (هذا أو أن يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء)، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه

(1) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، 98/1.

(2) ينظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم، 330/1، 331.

(3) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 285/2، 286.

(4) ينظر: الفروق، للقراقي، 541/2.

(5) الموافقات، للشاطبي، 248/4.

(6) ينظر: المصدر نفسه، 106/4، 107.

(7) ينظر: المصدر نفسه، 258/4، 259.

نساءنا وأبناءنا، فقال - ﷺ -: (تَكَلِّتْكَ أُمَّكَ يَا زَيْدًا! إِنْ كُنْتَ لِأَعْدِكَ مِنْ فَقْهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟!)(1).

• تنصيب من ليس أهلا للاجتهاد لبيان الحكم الشرعي، وقد أخبر النبي - ﷺ - عن ذلك بقوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَمُتُّوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)(2).

• نقصان العلم وقلة مجالسه؛ لذهاب أهله، يقول ابن مسعود - ﷺ -: « عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه أن يذهب بأصحابه، عليكم بالعلم؛ فإن أحدكم لا يدري متى يفترق إليه أو يفترق إلى ما عنده، إنكم ستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم؛ فعليكم بالعلم، وإياكم والتبذع، وإياكم والتنتطح، وإياكم والتعمق، وعليكم بالعتيق»(3).

• تعمّد تجفيف منابع العلم الشرعي ومحاربة أهله بشتى وسائل القمع من قبل ولاية الأمور بذرة سيئة لغراس التشدد المذموم؛ فإنه كما قال الإمام مالك - رحمه الله -: « إذا قلّ العلم ظهر الجفاء، وإذا قلّت الآثار كثرت الأهواء»(4).

• توسّع رقعة الخلاف في أصول الدين ومسائله بين من ليس لهم به علم سبب في نشأة التباغض والتنافر بين أخوة الدين، وعن هذا الأمر صرح ابن رجب - رحمه الله - بقوله: « ولما كثر اختلاف الناس في مسائل الدين وكثر تفرقهم؛ كثر بسبب ذلك تباغضهم وتلاعنهم، وكلّ منهم يظهر أنه يبغض الله، وقد يكون في نفس الأمر معذورا، وقد لا يكون معذورا، بل يكون متبعا لهواه، مقصرا في البحث عن معرفة ما يبغض عليه»(5).

• التعصّب المذموم للمذهب الفقهي وجهل المتعصّب بمقاصد الشريعة وروحها السمحة، فأرضين الفهم الخادج على الواقع المعيش ولو بقوة السلاح.

وفي هذا الخصوص نبّه الإمام ابن تيمية على سبب احتلال التتار لبلاد الشرق بقوله: «وببلاد الشرق من أسباب تسليط الله التتار عليها: كثرة التفرق والفتن بينهم في المذاهب وغيرها، حتى تجد المنتسب إلى الشافعي يتعصّب لمذهبه على مذهب أبي حنيفة حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أبي حنيفة يتعصّب لمذهبه على مذهب الشافعي وغيره حتى يخرج عن الدين، والمنتسب إلى أحمد يتعصّب لمذهبه على مذهب هذا أو هذا، وفي المغرب تجد المنتسب إلى مالك يتعصّب لمذهبه على هذا أو هذا، وكلّ هذا من التفرق والاختلاف الذي نهى الله ورسوله عنه، وكلّ هؤلاء المتعصّبين بالباطل المتبعين الظن وما تهوى الأنفس، المتبعين لأهوائهم بغير هدى من

(1) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم، (ح2653)، 31/5، 32، قال عنه الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني. ينظر: صحيح سنن الترمذي، 3/59.

(2) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، (ح100)، 35/1، مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (ح26732)، 4/2058.

(3) أخرجه الدارمي في سننه، باب من هاب الفتيا وكره التنطح والتبذع، (ح143)، 1/66.

(4) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 17/308، 20/163.

(5) جامع العلوم والحكم، ص330.

الله مستحقون للذم والعقاب، وهذا باب واسع لا تحتمل هذه الفتيا لبسطه؛ فإنّ الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين، والفرع المتنازع فيه من الفروع الخفية؛ فكيف يقدر في الأصل بحفظ الفرع؟<sup>(1)</sup>.

• عدم مراعاة الواقع المعيش من قبل المفتي ولا سيما في هذا الزمان؛ حيث يخرج على الإعلام مرئياً كان أو مسموعاً أو مكتوباً من يطلق حكماً واحداً في كلّ حالة دون مراعاة واقع المستفتي، وهو مخالفٌ للمقصود الشرعي في تلقي التكليف الذي يقصد: « النظر فيما يصلح بكلّ مكلف في نفسه بحسب وقت ودون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص؛ إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزان واحد»<sup>(2)</sup>.

• تقاعس وليّ الأمر عن تصفّح أحوال المفتين وعضّ الطرف عن المتصدّين للرئاسة بالعلم؛ عاملٌ للإخلال بميزان القسط، وانتشار الفساد، وتكثير لأهله<sup>(3)</sup>.

ولا يظهر أثر المفتي على سعيد الفرد والأمة في تحقيق معنى صالحية الشريعة لكلّ زمان ومكان، وفي كون أحكامها كليّات ومعانٍ مشتملة على حكمٍ ومصالحٍ صالحَةٍ لأن تتفرّع منها أحكامٌ مختلفة الصور متحدّة المقاصد<sup>(4)</sup> إلا بما يبرز الدور المنوط به من خلال إرساء آليات عملية على المجتهد فيه، من أهمّها:

• تنصيب المفتي من الدولة يكون بالاعتماد على غلبة الظنّ ممّن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه<sup>(5)</sup>، ولا يفتي العالم حتى يراه الناس أهلاً للفتوى<sup>(6)</sup>.

• حرص وليّ الأمر على اختيار المفتي العالم لعادات وتصرفات الناس في معاشهم حتى يتمكّن من إصدار الحكم الصائب القاصد تحقيق مصالح العباد .

يقول عبد السلام الهوّاري - رحمه الله - : « إنّ » الغرابة في استعمال كليّات علم الفقه وانطباقها على جزئيات الوقائع بين الناس وهو عسير على كثير من الناس؛ فتجد الرجل يحفظ كثيراً من العلم ويفهم ويعلم غيره، فإذا سُئل عن واقعة ببعض العوام من مسائل الصلاة أو من مسائل الإيمان لا يحسن الجواب، بل لا يفهم مراد السائل عنها إلا بعد عسر، وللشيخ في ذلك حكايات «<sup>(7)</sup>.

• بيان النهج الذي سلكه المفتي في فتواه للمستفتي على الوقائع، والابتعاد عن الفتوى من غريب الأحكام « التي لم تشتهر حتى تتضافر عليها الخواطر ويعلم صحّة ما فيها»<sup>(8)</sup>.

قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - في بيان مسلكه في الإفتاء: «ولست ممن يحمل الناس على غير المعروف المشهور من مذهب مالك وأصحابه؛ لأنّ الورع قلّ، بل كاد يعدم، والتّحفظ على الديانات كذلك، وكثرت

(1) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 454/22.

(2) الموافقات، للشاطبي، 98/4.

(3) ينظر: الذريعة في مكارم الشريعة، للأصفهاني، ص182.

(4) ينظر: المقاصد، لابن عاشور، ص92.

(5) عون المعبود، لشمس الدين آبادي، 263/11.

(6) الذخيرة، للقرافي، 52/1.

(7) المعيار المغرب، للونشريسي، 79/10، 80. وينظر: مواهب الجليل، للحطاب، 87/6.

(8) الأحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام، للقرافي، ص262. وينظر: تبصرة الحكام، لابن فرحون، 61/1.

الشّهوات وكثر من يدّعي العلم ويتجاسر على الفتوى فيه، فلو فتح لهم باب في مخالفة المذهب لآتسع الخرق على الرّاقع، وهتكوا حجاب هيبة المذهب، وهذا من المفسدات التي لا خفاء بها»<sup>(1)</sup>.

• توظيف المفتي الإعلام عبر وسائله الحديثة في نشر العلم الصائب؛ لتبصير الناس أمور دينهم وللإسهام في اجتثاث الفكر المشوش؛ فقد كان النبي -ﷺ- يفتي بالقول وهو أمر مشهور<sup>(2)</sup>، وبالفعل؛ ومنه قوله -ﷺ-: (وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي) <sup>(3)</sup>، وبالتقرير وبالكتابة؛ ومنه قوله -ﷺ- لأصحابه للذي سأله أن يكتب له: (أكتبوا لأبي شاه)<sup>(4)</sup>.

وقد قال الإمام الشاطبي في هذا الشأن معلّقاً على قول النبي -ﷺ-: (أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبَ)<sup>(5)</sup>: « والتبليغ كما لا يتقيد بكيفية معلومة؛ لأنه من قبيل المعقول المعنى، فيصح بأي شيء أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها، كذلك لا يتقيد حفظه عن التحريف والزّيع بكيفية دون أخرى إذا لم يعد على الأصل بإبطال؛ كمسألة المصحف»<sup>(6)</sup>.

وليس المجتهد في طريق الاستنباط إلى التجديد متروكاً على شأنه، موكولاً لأمره، بل لا يُقرّر الصّواب ولا يُبطل الباطل ولا يفحص في كلّ مسألة عن وجوه الدلائل إلا إن كانت هناك دواعٍ تستدعي منه التجديد لمحيط معيشه، وضوابط يتم العمل عليها؛ حتّى يصاحب الحكم الجديد نصّ الدليل ومقتضاه، ولا يعرف قدر هذا المسلك إلا من صفا فهمه عن التعصبات، وأخلص ذهنه عن الاعتقادات المألوفات، والله المستعان»<sup>(7)</sup>.

\* \* \*

(1) الموافقات، 4/146.

(2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 4/246.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ...، (ح631)، 1/154.

(4) أخرجه الدارقطني في سننه، 3/96، 97.

(5) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، (105)، 1/36.

(6) الاعتصام، 1/318.

(7) الروضة الندية، لصديق حسن خان، 2/475.

## المبحث الثاني

### دواعي تجديد الفتوى

لا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قُصد بها مصالح الخلق الدنيوية والدنيوية<sup>(1)</sup>، وإنما تتبدل الأحكام وتتغير عند تغير مناصب الحكم أو عند إصابة متعلقه بسوء الفهم وقصوره؛ انسجاماً مع مصالح الخلق.

ومما يدعو إلى تجديد الفتوى كي يسلم الخطاب الديني من التشدد أو الانحلال ما يلي:

○ صدور الفتوى ممن ليس أهلاً للاجتهاد:

الاجتهاد الصادر ممن ليس بعارف بما يفترق الاجتهاد إليه غير معتبر في الشرع؛ لأن حقيقة أنه رأي بمجرد التشهي والأغراض، وخبثاً في عمائة، واتباعاً للهوى، فكل رأي صدر على هذا الوجه فلا مزية في عدم اعتباره؛ لأنه ضد الحق<sup>(2)</sup>، وفي بيان حكم الصواب من قوة الدليل من المجتهد تجديداً للدين، من حيث إن في البيان إحياء لما اندرس من العمل بالكتاب والسنة وإماتة للبدع والمحدثات، ولا سيما إذا كان صاحبها ذا صيت واسع وله أتباع كثير.

○ الأحكام التي مدرکہا العوائد:

كل ما هو في الشريعة يتبع العوائد، يتغير الحكم فيه عند تغير العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة<sup>(3)</sup>، على أن يؤخذ في الاعتبار العوائد والأعراف التي أقرها الشرع وعدّها من المحاسن أو التي نفاها الشرع وعدّها من القبائح، فهذه ثابتة أبداً لا تتبدل ولا تتغير<sup>(4)</sup>، وإن العادة لتختلف باختلاف الناس والأحوال والأوقات<sup>(5)</sup>.

○ فساد أهل الزمان وطروء طارئٍ فيه:

كثير من الأحكام تختلف باختلاف الزمان؛ لتغير عرف أهله أو لحدوث ضرورة أو لفساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه أولاً للزم منه المشقة والضّرر بالناس، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ودفع الضّرر والفساد لبقاء العالم على أتم نظام وأحسن إحكام<sup>(6)</sup>.

○ مراعاة أحوال الأشخاص ونياتهم:

الأحاديث التي وردت في أنواع من أعمال البرّ بأنها أفضل الأعمال ليست متعارضة، وإنما تدلّ على أنّ النبي - ﷺ - يجب كل مخاطب بما هو أليقّ به، وهو به أقوم، وإليه أرغب، ونفعه فيه أكثر<sup>(7)</sup>.

(1) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 64/2.

(2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 167/4.

(3) الإحكام، للقراني، ص 218.

(4) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 283/2.

(5) ينظر: حاشية الجمل، 300/5.

(6) نشر العرف، لابن عابدين، 125/2. وينظر: المدخل الفقهي العام، للزرقا، 938/2.

(7) ينظر: سبل السلام، للصنعاني، 116/1.

○ بناء الحكم على الحيل؛ لأن الحيل ليست من مسالك الاجتهاد، « وقد اتفق السلف على أنها بدعةٌ محدثةٌ، فلا يجوز تقليد من يُفتي بها ويجب نقض حكمه »<sup>(1)</sup>.

○ اتضاح الحق في حكم المسألة للمفتي بعد بيان الخطأ؛ حيث « أجمع المسلمون على أن من استبانته له سنة رسول الله - ﷺ - لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس »<sup>(2)</sup>، وفي هذا يقول الإمام مالك - رحمه الله - : « إنما أنا بشرٌ أخطئُ وأصيب، فانظروا في قلبي؛ فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه »<sup>(3)</sup>.

فمن أفتى من أهل العلم وغلط في فتواه أنكر عليه فتواه التي ليست مطابقة للحق وردت عليه؛ فقد أنكر النبي - ﷺ - على أبي السنابل بن بعكك قوله لسبيعة الأسلمية لما مات زوجها ووضعت حملها بعد ذلك بأيام: إنها لا تتقصي عدتها إلا بعد أربعة أشهر وعشر ليال<sup>(4)</sup>.

○ قصور الفهم في تصوّر المسألة وحدوث خطأ التنزيل عن كلام الشرع:

نبّه الإمام ابن القيم - رحمه الله - على هذا في قوله: « تنزيلُ كلامه - أي: كلام الشرع - على الاصطلاحات التي أحدثها أرباب العلوم من الأصوليين والفقهاء وعلم أحوال القلوب وغيرها؛ فإن لكل من هؤلاء اصطلاحات حادثة في مخاطبتهم وتصانيفهم، فيجيء من ألف تلك الاصطلاحات الحادثة وسبقت معانيها إلى قلبه فلم يعرف سواها، فيسمع كلام الشارع فيحمله على ما ألفه من الاصطلاح، فيقع بسبب ذلك في الفهم عن الشارع ما لم يرده بكلامه، ويقع الخلل في نظره ومناظرته ما يقع، وهذا من أعظم أسباب الغلط عليه مع قلة البضاعة من معرفة نصوصه »<sup>(5)</sup>.

○ حمل اصطلاحات أهل العلم المتقدمين على عُرف أهل العلم المتأخرين:

« قد غلط كثيرٌ من المتأخرين من أتباع الأئمة على أئمتهم بسبب ذلك؛ حيث تورّع الأئمة عن إطلاق لفظ التحريم وأطلقوا لفظ الكراهة، فنفي المتأخرون التحريم عمّا أطلق عليه الأئمة الكراهة، ثم سهّل عليهم لفظ الكراهة وخفّت مؤنثه عليهم، فحمله بعضهم على التنزيه، وتجاوز به آخرون إلى كراهة ترك الأولى، وهذا كثيرٌ جداً في تصرفاتهم؛ فحصل بسببه غلطٌ عظيمٌ على الشريعة وعلى الأئمة »<sup>(6)</sup>.

○ مراعاة الأخذ في قوة التجربة والتطور العلمي الدقيق لتغيير الأحكام:

« إن التجربة أقوى في تحصيل المطلوب من المعرفة الكثيرة »<sup>(7)</sup>، والأمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية وعدم الجمود على الحالات الأولى إذا طرأ تطورٌ جديد، ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين<sup>(8)</sup>.

(1) إعلام الموقعين، لابن القيم، 287/3.

(2) المصدر نفسه، 7/1، 282/2.

(3) الاتباع، لابن أبي العز الحنفي، ص79، إعلام الموقعين، لابن القيم، 75/1.

(4) ينظر: أضواء البيان، للشنقيطي، 335/7.

(5) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، 271/2، 272.

(6) إعلام الموقعين، لابن القيم، 39/1، 40.

(7) فتح الباري، لابن حجر، 218/7.

(8) أضواء البيان، للشنقيطي، 38/3.



○ ظهور الانترنت وسوشيال ميديا ( مواقع التواصل الاجتماعي) الذي أثر في خصوصية الزمان والمكان إلى حدٍّ ما، وما يشهده العالم من انفتاح على الثقافات وتشابك المصالح وسهولة التنقلات، وما أثرت العولمة والتيارات الفكرية من تغيرات على الواقع المعيش؛ لهو- لعمرى - من أهم دواعي تجديد الفتوى في الخطاب الديني الهادف نحو صالحية الدين لكل زمان ومكان، ولكل ظرف وحال.

\*\* \* \*

### المبحث الثالث

#### التأصيل الشرعي لتجديد الفتوى

إنَّ الفسادَ المنتشرَ بعد العصر الأول موجبٌ لاختلاف الحكم، لكن بحيث لا يخرج عن الشرع بالكلية؛ دفعا للضرر والفساد<sup>(1)</sup>، ومما يدلُّ على ذلك:

#### أولاً: القرآن الكريم:

■ قال تعالى: ﴿بِذَرْتَنِي فِيهَا مُبَدَّلًا وَهِيَ كَالْحِجَابِ غُصَّةً يَأْخُذُهَا ظَنُومٌ لَوِ بَازِلٌ يُرْسِلُهَا وَيُحْمِلُهُهُمُ الْقَوْمَ خَالِفًا مِنْكُمْ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُؤْتَى﴾<sup>(2)</sup>.

وجه الدلالة: المراد من قوله الله تعالى: ﴿تَوَّابٌ غَافِرٌ﴾، أي: على قوانين الشرع إِمَّا بُوْحِيٍّ، وَنَصِّ، أَوْ بِنَظَرٍ جَارٍ عَلَى سَنَنِ الْوَحْيِ<sup>(3)</sup>، وتجديد الحكم للوقائع لا يخلو عن هذا.

■ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

وجه الدلالة: لكل مسألة حكم معيَّن إذا أدرك المجتهدُ عند تصفُّح قوانين الشرع الكلية جزئيات المسألة<sup>(5)</sup>.

■ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(6)</sup>.

وجه الدلالة: إن المراد بالحفظ حفظ الأصول الكلية المنصوصة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(7)</sup>؛ إذ المسائل الجزئية تتخلف عن الحفظ الجزئي؛ لتفاوت الظنون وتطرق الاحتمالات في النصوص الجزئية ووقوع الخطأ فيها؛ فدلَّ على أن المراد بالذكر المحفوظ ما كان منه كلياً<sup>(8)</sup>، فهو الذي لا يخالطه غيره، ولا يداخله التغيير ولا التبديل<sup>(9)</sup>.

#### ثانياً: السنة النبوية:

○ عن عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - يقول: حدثتني خالتي - يعني عائشة - رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله - رضى الله عنه -: (يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهدٍ بشرِكٍ لهدمتُ الكعبةَ فألزقتها بالأرض، وجعلتُ لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدتُ فيها سنةً أدرك من الحجر؛ فإن قرئنا اقتصرنا حيث بنت الكعبة)<sup>(10)</sup>.

(1) بدائع السلك، لابن الأزرق، 1/295.

(2) النساء : 105.

(3) المحرر الوجيز، لابن عطية، 2/108.

(4) الأنعام : 38.

(5) البحر المحيط، للزركشي، 4/548.

(6) الحجر : 9.

(7) المائدة : 3.

(8) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 1/32.

(9) ينظر: المصدر نفسه، 2/58.

(10) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، (ح1333)، 2/969، 970.

وجه الدلالة: ترك ما هو صواب خوف وقوع مفسدةٍ أشدّ، وتقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة؛ مراعاة في تغيير الحكم<sup>(1)</sup>.

○ عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فقال رسول الله ﷺ -: (الْجُرُوءُ ثَلَاثًا ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ)، فلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنَ صَحَايَاهُمْ وَيَجْمَلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فقال رسول الله ﷺ -: (وَمَا ذَاكَ؟)، قالوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الصَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فقال: (إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا)<sup>(2)</sup>.

وجه الدلالة: أن النهي عن أكل لحوم الصحايا بعد ثلاث لم يكن عبادة فنسخت، وإنما كان لعلّة الدافّة<sup>(3)</sup>؛ ليدلّ على ارتباط الأحكام معللة بالأوصاف المؤثرة فيها وتعديها بتعدي أوصافها وعللها<sup>(4)</sup>.

○ سئل النبي - ﷺ - في أوقات مختلفة عن أفضل الأعمال وخير الأعمال، فأجاب بأجوبة مختلفة كلّ واحد منها لو حمل على إطلاقه أو عمومه لاقتضى مع غيره التّضاد<sup>(5)</sup>، وما ذاك إلا لاختلاف الأشخاص والأحوال والأوقات.

### ثالثاً: عمل الصحابة والتلف الصالح:

قد كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يجتهدون في التّوازن وقيسون بعض الأحكام على بعض ويعتبرون النّظير بنظيره<sup>(6)</sup>؛ لاختلاف أحوال النّاس وظروف زمانهم ومكانهم، ف«إن تجدد الأحكام لتعدّد عللها في المحال بعده - ﷺ - ليس نسخاً، وإنما النسخ تجديد حكم مطلقاً»<sup>(7)</sup> فمن ذلك:

• قول عمر بن الخطاب - ﷺ - لأبي موسى الأشعري - ﷺ -: (لا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك، أن تراجع الحقّ؛ فإن الحقّ قديمٌ، ومراجعة الحقّ خيرٌ من التّماذي في الباطل)<sup>(8)</sup>.

قال الإمام السرخسي معلقاً: « وهذا ليس في القاضي خاصّة، بل هو في كلّ من يبيّن لغيره شيئاً من أمور الدّين، الواعظ والمفتي والقاضي في ذلك سواء إذا تبيّن له أنّه زلّ فليظهر رجوعه عن ذلك؛ فزلة العالم سبب لفتنة النّاس<sup>(9)</sup>، ومراجعة الحقّ يكون بتعهده مع متطلبات الحياة نحو مواكبة سير الحكم للزمان والمكان - والله أعلم -

• روى الإمام مالك أنّه سمع ابن شهاب يقول: كانت صوّالُ الإبلِ في زمانِ عمرَ بن الخطّابِ إبلا مُؤبّلةً تتأتججُ لا يمسّها أحدٌ، حتّى إذا كان زمانُ عُثمانَ بن عفّانَ أمرَ بتعريفها ثمّ تُباعُ، فإذا جاء صاحبها أعطيَ ثمنها<sup>(10)</sup>.

(1) ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ، 2/400.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي ...، (1971)، 3/1561.

(3) الاستدكار، لابن عبد البر، 5/232.

(4) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، 1/198.

(5) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 4/99.

(6) إعلام الموقعين، لابن القيم، 1/203.

(7) الذخيرة، للقرافي، 12/393.

(8) سنن الدارقطني، 4/206.

(9) المبسوط، 16/62.

(10) الموطأ، كتاب الأضحية، باب القضاء في الضوال، (1449)، 2/759، البيهقي في سننه الكبرى، (11860)، 6/191، ومعرفة السنن

والآثار (3826)، 5/32.

• عن السائب بن يزيد قال: كنا نؤتي بالشَّارِبِ على عهد رسول الله - ﷺ - وإمرة أبي بكرٍ وَصَدْرًا من خِلافةِ عُمَرَ فَتَقُومُ إليه بِأَيْدِينَا وَنِعَالِنَا وَأُرْدِيَتِنَا، حتى كان آخرُ إمْرَةٍ عُمَرَ فَجَلَدَ أَرْبَعِينَ، حتى إذا عَتَوْا وَفَسَقُوا جَلَدَ ثَمَانِينَ<sup>(1)</sup>.

وجه الدلالة: إنَّما جاز لهم أن يجمعوا على تعيّن الحكم، والحكم المعلوم منه - ﷺ - عدم تعيّنهم؛ لعلمهم بأنه - ﷺ - انتهى إلى هذه الغاية في ذلك الرّجل لزيادة فساد فيه، ثم رأوا أهل الزمان قد تغيّروا إلى نحوه أو أكثر، حتى إذا عتوا وفسقوا وعلموا أنّ الرّمان كلّما تأخّر كان فساد أهله أكثر، فكان ما أجمعوا عليه هو ما كان حكمه - ﷺ - في أمثالهم<sup>(2)</sup>.

• عن ابن عبّاسٍ - رضي الله عنهما - قال: كان الطّلاقُ على عهد رسول الله - ﷺ - وأبي بكرٍ وَسَنَتَيْنِ من خِلافةِ عُمَرَ طَلاقِ الثَّلَاثِ وَاحِدَةً، فقال عُمَرُ بنُ الحُطَّابِ - ﷺ -: (إنَّ النَّاسَ قد اسْتَعَجَلُوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عليهم، فَأَمْضَاهُ عليهم)<sup>(3)</sup>.

قال الإمام ابن القيم: « فهذا مما تغيّرت به الفتوى لتغيّر الزمان، وعلم الصحابة - ﷺ - حُسنَ سياسةِ عمر وتأييده لرعيته في ذلك فوافقوه على ما ألزم به، وصرّحوا لمن استفتاهم بذلك »<sup>(4)</sup>.

• عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها سمعت عائشة - رضي الله عنها - تقول: لو أنّ رسول الله - ﷺ - رأى ما أحدثت النساءُ لَمَنَعَهُنَّ الْمَسْجِدَ كما مُنِعَتْ نساءُ بني إسرائيل، قال: فقلت لِعَمْرَةَ: أنساءُ بني إسرائيل ممنعهن المسجد؟ قالت: نعم<sup>(5)</sup>.

وجه الدلالة: إنّ الحكم يتغيّر عند فساد الزمان؛ لأنَّ « المفسدة في ذلك الرّمن كانت مأمونة بخلاف اليوم »<sup>(6)</sup>.

• قال عمر بن عبد العزيز: « تحدث للناس أفضية على قدر ما أحدثوا من الفجور »<sup>(7)</sup>.  
وجه الدلالة: لم يرد - رحمه الله - نسخ حكم، بل المجتهد فيه ينتقل له الاجتهاد؛ لاختلاف الأسباب<sup>(8)</sup>،  
فاختلاف المناط موجب لاختلاف الحكم؛ ردعاً لأهل الباطل عن بطلانهم<sup>(9)</sup>.

#### رابعاً: الإجماع:

إنَّ إجراء الأحكام التي مدركها العوائد مع تغيير تلك العوائد خلاف الإجماع وجهالة في الدين، بل كل ما هو في الشريعة ما يتبع العوائد، يتغيّر الحكم فيه عند تغيّر العادة إلى ما تقتضيه العادة المتجددة<sup>(10)</sup>، وقد اتفقت

(1) أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، (ح6779)، 276/4.

(2) ينظر: شرح فتح القدير، لابن الهمام، 310/5، 311. وينظر: البحر الرائق، لابن نجيم، 31/5.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، (ح1472)، 1099/2.

(4) إعلام الموقعين، 36/3.

(5) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب انتظار الناس قيام الإمام العالم، (ح869)، 207/1، مسلم، كتاب الصلاة، باب خروج النساء

إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة...، (ح445)، 329/1، واللفظ لمسلم.

(6) شرح النووي على صحيح مسلم 178/6. وينظر: عمدة القاري، 296/6.

(7) الذخيرة، للقراني، 206/8، 122/12.

(8) الفروق، للقراني، 1314/4.

(9) ينظر: الاعتصام، للشاطي، 294/2.

(10) الإحكام، للقراني، ص218.

كلمة فقهاء المذاهب على أنّ الأحكام التي تتبدّل بتبدّل الزمان وأخلاقِ النَّاس هي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصليحية، أي: التي قرّرها الاجتهاد بناءً على القياس أو على دواعي المصلحة<sup>(1)</sup>.

#### خامساً: المعقول:

يقول الإمام الجويني - رحمه الله - : «كم من أمر تقضي العقول بأنه الصواب في حكم الايالة والسياسة، والشرع وارد بتحريمه، فلسنا ننكر تعلق مسائل الشرع بوجوه من المصالح، ولكنها مقصورة على الأصول المحصورة وليست ثابتة على الاسترسال في جميع وجوه الاستصلاح ومسالك الاستصواب»<sup>(2)</sup>.

#### سادساً: الاستقراء:

إن الأصل المقتضى في الشرع أنّ الأحكامَ محمولةً على معانٍ يترتّبُ الحكمُ عليها أينما وجدت إلا أن يدلّ نصٌّ أو إجماعٌ على اختصاص الحكم بمورده فيمتنعُ إلحاق غيره به<sup>(3)</sup>، ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأنّ هذه المفسدة لا يجوز قربانها وإن لم يكن فيها إجماعٌ ولا نصٌّ ولا قياسٌ خاصٌّ؛ فإنّ فهم نفس الشرع يوجب ذلك<sup>(4)</sup>، وإنّ اختلاف الأحكام والشرائع بحسب اختلاف الأزمان والأحوال سنة الله في جميع الأمم، وشرعٌ من قبلنا شرعٌ لنا، فيكون ذلك بياناً على اختلاف الأحكام عند اختلاف الأحوال في زماننا، وظهر أنّها من قواعد الشرع وأصول القواعد، ولم يكن بدعاً عمّا جاء به الشرع<sup>(5)</sup>.

\*\* \* \*

#### المبحث الرابع

##### ضوابط تجديد الفتوى في الخطاب الديني

تنزيلُ الأحكام على الوقائع من أدقّ وجوه الفقه وأكثرها للغلط<sup>(6)</sup>، وإنما ينتفي الخطأ متى صدر الاجتهاد من أهله، وتمّ في نفسه ووضع في محلّه ولم يقع مخالفاً لدليل قاطع<sup>(7)</sup>؛ فالاجتهاد طريق لمعرفة حكم الله تعالى في كلّ حادثة، فلو لم يبق مجتهد؛ لتعطّلت أحكام الله، فإنّ غير المجتهد إنّما يقول حرّاً وتخميناً، وذلك ليس بطريق الشرع<sup>(8)</sup>.

وإن الأحكام التي يُرجع في معرفتها إلى الاجتهاد، ما كان الاجتهاد فيها ممّا لا يُزيل الألفة ولا يُوجب الوحشة ولا يوجب البراءة ولا يقطع موافقة الإسلام، وهو الاختلاف الواقع في النوازل التي عُدمت فيها النصوص في الفروع وعُمضت فيها الأدلة<sup>(9)</sup>؛ فإنّ كلّ ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيّناً أو

(1) المدخل الفقهي العام، للزرقا، 941/2، 942.

(2) غياث الأمم، ص 310.

(3) ينظر: شفاء الغليل، للغزالي، ص 640، 642.

(4) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام، 160/2.

(5) ينظر: الذخيرة، للقراي، 47/10.

(6) ينظر: البحر المحيط، للزركشي، 571/4.

(7) المستصفي، للغزالي، ص 361.

(8) ينظر: الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء، 422/5.

(9) ينظر: قواطع الأدلة في الأصول، للسمعاني، 308/2.

ثبت بإجماع الصحابة أو فقهاء الأمصار لم يحل ولا يسوغ الاجتهاد والاختلاف فيه لمن علمه<sup>(1)</sup>؛ فعلى المجتهد أن يراعي في اجتهاده الضوابط والآليات التالية؛ حتى يثبت ما اعتقده من الصواب فيما يسوغ له فيه الاجتهاد:

(أ) - تكييف النازلة:

لإدراك عقل المعاني في النازلة وإثبات الفهم والتطبيق على الأدلة على المجتهد أن يقوم بالفحص ممتثلاً

لما يلي:

• ألا يتصدّر للإفتاء حتى يراه الناس أهلاً للفتيا؛ كي يكون نائباً عن الشرع في الحكم على أفعال المكلفين<sup>(2)</sup>، وأن ينتصب « للفتوى بفعله وقوله، بمعنى أنه لا بد له من المحافظة على أفعاله حتى تجري على قانون الشرع؛ ليُتَّخَذَ فيها أسوة »<sup>(3)</sup>.

• أن يكون بصيراً بأحوال الناس واصطلاحاتهم؛ ليعرف مكر الناس وخداعهم، وأن يكون حذراً فطنا ممّاً يصورونه في سؤالاتهم؛ لنلّا يوقعوه في المكروه، فربّما تصوّر له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحقّ بصورة المبطل وعكسه<sup>(4)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول الإمام القرافي - رحمه الله -: « وعلى هذا القانون تُراعى الفتاوى على طول الأيام، فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجلٌ من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك، وأسأله عن عرف بلده وأجره عليه وافتته به دون عرف بلدك والمقرّر في كتبك، فهذا هو الحقّ الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين وسلف الماضين »<sup>(5)</sup>.

• اعتبار خصوصيات الأحوال والأبواب وغير ذلك من الخصوصيات الجزئية؛ فإن للخصوصيات خواصّ يليق بكلّ محلٍ منها ما لا يليق بمحلٍ آخر، كما في النكاح مثلاً، فإنه لا يسوغ أن يُجرى مجرى المعاوضات من كل وجه<sup>(6)</sup>.

• وقوف المجتهد على فهم النازلة بنفسه، فمن ذلك ما قرره الإمام القرافي في الحشيشة هل تبطل الصلاة؟ فقال: « سئل بعض فقهاء العصر عن صليّ بالحشيشة معه هل تبطل صلاته أم لا؟ فأفتى أنّه إن صلى بها قبل أن تحمّص أو تعلق صحت صلاته، أو بعد ذلك بطلت صلاته، وقال في تعليل الفرق: بأنّها إنّما تغيب العقل بعد التحميص أو الصلق، أمّا قبل ذلك فهي ورق أخضر فلا، بل هي كالعصير الذي للعنب وتحميصها كغليانه، وسألته عن هذا الفرق جماعة ممن يعانيتها فاختلّفوا على قولين: فمنهم من سلم هذا الفرق، وقال: لا تؤثر إلا بعد مباشرة النار، ومنهم من قال: بل تؤثر مطلقاً، وإنّما تحمّص لإصلاح طعمها وتعديل كفيّتها خاصّة، فعلى القول بعدم هذا الفرق تبطل الصلاة مطلقاً، وعلى القول بالفرق يكون الحقّ ما قاله المفتي إن صحّ أنّها من المسكرات

(1) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 560. وينظر: للمع في أصول الفقه، للشيرازي، ص 129

(2) ينظر: المدونة، 12/149.

(3) الموافقات، للشاطبي، 4/251.

(4) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، 4/204. وينظر: مطالب أولي النهى، للرحيبي، 6/438.

(5) الفروق، 1/314، وينظر: الإحكام، للقرافي، ص 232، تبصرة الأحكام، لابن فرحون، 3/73، إعلام الموقعين، لابن القيم، 3/78.

(6) الموافقات، للشاطبي، 4/228.

وإلا صحّت الصلاة بها مطلقاً، وهو الذي اعتقده أنها مفسدة، والمفسدة لا تبطل الصلاة كالبنج والسيكران وجوزة بابل»<sup>(1)</sup>.

• الإحاطة بأقوال من قبله واستدلالاتهم في الحادثة قبل الشروع في الفتوى.

يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -: «ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالماً بما مضى قبله من السنن وأقوال السلف وإجماع الناس واختلافهم ولسان العرب، ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح العقل، وحتى يفرق بين المشتبه، ولا يعجل بالقول به دون التثبوت<sup>(2)</sup>؛ فلا يكون فقيهاً في الحادث من لم يكن عالماً بالماضي<sup>(3)</sup>. وعلم المفتي بالماضي لا يبيح له أن يفتي بما سطره الأوائل في كتبهم إلا بعد أن يتقّد العرف هل هو باق أم لا؟ فإن وجدته باقياً أفتى به، وإلا توقّف عن الفتيا، وهذه هي القاعدة في جميع الأحكام المبنية على العوائد، كالنقود والسكك في المعاملات والمنافع في الإجازات، والأيمان والوصايا والنذور في الإطلاقات، فلا يجوز له أن يفتي بتلك الفتاوى المسطرة في الكتب بعد أن زالت تلك العوائد؛ ضرورة أنها فتيا بالحكم المبني على مدرك بعد زوال مدركه، والفتيا بذلك الحكم خلاف الإجماع<sup>(4)</sup>.

• معرفة مواقع الخلاف لا حفظ مجرد الخلاف<sup>(5)</sup>؛ فلا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه<sup>(6)</sup>.

• استشارة أهل العلم والصلاح وأهل الخبرة في الواقعة، «والمرجع في كل شيء إلى الصالحين من أهل الخبرة به»<sup>(7)</sup>.

عن شريح القاضي قال: قال لي عمر بن الخطاب: (أن اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله - ﷺ -، فإن لم تعلم كلّ أفضية رسول الله - ﷺ - فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين، فإن لم تعلم كلّ ما قضت به أئمة المهتدين؛ فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح)<sup>(8)</sup>.

• مدارس المفتي من خالفه من أهل العلم في حكم الحادثة قبل الصّدع بما يراه هو الحق.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه؛ لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثبّيتاً فيما اعتقده من الصواب، وعليه في ذلك بلوغ غاية جهده والإنصاف من نفسه حتّى يعرف من أين قال ما يقول وترك ما يترك»<sup>(9)</sup>.

(1) الفروق، 1/361، 362.

(2) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 510.

وفي هذا الصّدق قال الإمام الشاطبي مبيّناً الهدف من إحاطة المفتي لفتوى من قبله: «يجب على كلّ ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل». الموافقات، 3/77.

(3) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، 2/47، إيقاظ المهتم، للعمري، ص 33.

(4) ينظر: الفروق، للقرافي، 3/958.

(5) الموافقات، للشاطبي، 4/162.

(6) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، 2/46، إيقاظ المهتم، للعمري، ص 32.

(7) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 29/36.

(8) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، 1/491. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، 23/19، إعلام الموقعين، 1/84، 1/204.

(9) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 510، 511.

فالمناظرة والاستشارة في النوازل وفي الأحكام مشروعة؛ فإنَّ العالم قد يكون عنده ما لا يكون عند غيره ممن هو أعلم منه<sup>(1)</sup>.

• فهم مقاصد الشريعة على كمالها؛ للتمكّن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها<sup>(2)</sup>.

يقول الإمام الجويني: «لا أبتدع ولا أخترع شيئاً بل ألاحظ وضع الشَّرع، واستشير معنًى يناسب ما أراه واحتراه، وهكذا سبيل النَّصرف في الوقائع المستجدة التي لا يوجد فيها أجوبة العلماء معدة، وأصحاب المصطفى - صلوات الله عليه ورضي الله عنهم - لم يجدوا في الكتاب والسنة إلا نصوصاً معدودة، وأحكاماً محصورةً محدودةً، ثمَّ حكموا في كلِّ واقعة عننت، ولم يجاوزوا وضع الشَّرع، ولا تعدوا حدوده؛ فعلمونا أنَّ أحكام الله تعالى لا تنتهي في الوقائع، وهي مع انتفاء النَّهاية عنها صادرةٌ عن قواعد مضبوطة»<sup>(3)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب في كتابه إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما -: «ثمَّ الفهم الفهم فيما أدلى إليك ممَّا ورد عليك ممَّا ليس في قرآن ولا سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك، واعرف الأمثال، ثم اعمد فيما ترى إلى أحبها إلى الله وأشبهها بالحق»<sup>(4)</sup>.

• بذلُّ الوسع والجهد في تقرير حكم الحادثة، يقول الإمام مالك - رحمه الله -: «ربما وردت عليَّ المسألة فأفكر فيها ليالي»<sup>(5)</sup>.

وجمهور علماء المسلمين على أنَّ القدرة على الاجتهاد والاستدلال مما ينقسم ويتبعض، فقد يكون الرَّجل قادراً على الاجتهاد والاستدلال في مسألة أو نوع من العلم دون الآخر، وهذا حال أكثر علماء المسلمين، لكن يتفاوتون في القوَّة والكثرة، فالأئمة المشهورون أقدروا على الاجتهاد والاستدلال في أكثر مسائل الشَّرع من غيرهم<sup>(6)</sup>.

• الصَّدع بالحقِّ، وألا يخاف في الحقِّ لومة لائم .

لا خلاف بين علماء المسلمين على أنه لا يجوز ولا يسوغ ولا يحلُّ لأحد أن يفتي في دين الله إلا بالحقِّ الذي يعتقد أنه حقٌّ، رضي بذلك من رضيه، وسخطه من سخطه، وإتِّمَّ المفتي مخبر عن الله تعالى في حكمه؛ فلا يُخبر عنه إلا بما يعتقد أنه حكم به وأوجبه<sup>(7)</sup>.

فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدَّ له عدته، وأن يتأهَّب له أهفته، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرجٌ من قول الحقِّ والصَّدع به؛ فإنَّ الله ناصرُه وهاديه<sup>(8)</sup>.

#### (ب) - حكم النازلة:

وهو ما أدَّى إليه بذلُّ الجهد واستفراغ الوسع من تطبيق فهم الواقع والتفقه فيه على فهم الواجب في الواقع. وفي توصل المجتهد بمعرفة واقعه إلى معرفة حكم الشرع فيه الأمور الآتية:

(1) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، 190/10.

(2) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 106، 105/4.

(3) غياث الأمم، ص 196، 197.

(4) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، (20324)، 150/10، معرفة السنن والآثار، (5873)، 366/7.

(5) الموافقات، للشاطبي، 286/4 . وينظر: ترتيب المدارك، للقاضي عياض، 70/1.

(6) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، 244/2، 245.

(7) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 140/4.

(8) إعلام الموقعين، لابن القيم، 11/1.

- التجردُ عن الاتصافِ بالمؤثرات السلبية، كالتعصبِ واتباع الهوى، والانتقائُ بموضوعيةٍ لاتباع الحق؛ فإن مسلك الاجتهاد يتطلّب « الانفكاك عن داعية العناد، وضراوة الاعتقاد، وحلاوة المألوف من الاعتقاد؛ فالضراوة بالعادة مخيلة البلادة، والشغفُ بالعنادِ مجلبة الفساد، والجمود على تقليد الاعتقاد مدفعة الرّشاد»<sup>(1)</sup>.
- تحقق الأسباب والشروط وانعدام الموانع؛ «فأحكام الإله مضبوطة بالحكم، محالةٌ على الأسباب والشرائط التي شرعها»<sup>(2)</sup>، والله - ﷻ - أحكامٌ تحدثُ عن حدوث أسباب لم تكن موجودة في الصدر الأول<sup>(3)</sup>.
- مراعاة مآل الحكم، وضابطه: أن المجتهد يعرض المسألة على الشريعة، فإن صحّت في ميزانها فليُنظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزّمان وأهله، فإن لم يؤدّ ذكرها إلى مفسدة، فليعرضها في ذهنه على العقول، فإن قبلتها، فله أن يتكلم فيها إمّا على العموم إن كانت مما تقبلها العقول على العموم، وإمّا على الخصوص إن كانت غير لائقة بالعموم، وإن لم يكن للمسألة هذا المساغ، فالتسكوت عنها هو الجاري على وفق المصلحة الشرعية والعقلية<sup>(4)</sup>.
- حملُ النَّاسِ على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب المجتهد بهم مذهب الشدّة ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال<sup>(5)</sup>؛ تحقيقاً لقول النبي - ﷺ -: «بَشُرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»<sup>(6)</sup>.
- والمراد بالمعهود الوسط: أن يكون «التّشريع لأجل انحرافِ المكلف أو وجودِ مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين، كان التّشريع راداً إلى الوسط الأعدل، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر؛ ليحصل الاعتدال فيه فعَل الطبيب الرّفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله وعادته وقوّة مرضه وضعفه، حتى إذا استقلّت صحته هيأ له طريقاً في التّدبير وسطاً لائقاً به في جميع أحواله»<sup>(7)</sup>.
- الحكم علمٌ يُراعى في إبلاغه إلى النَّاسِ أن يكون مما تدرّكه الأفهام؛ حسماً لباب الفساد والضلال.
- قال علي بن أبي طالب - ﷺ -: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَدَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(8)</sup>، وعن عبد الله بن مسعود - ﷺ -: «ما أنت بمُحدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِيَعْضَهُمْ فِتْنَةٌ»<sup>(9)</sup>؛ لأن الشّخص إذا سمع ما لا يفهمه وما لا يتصوّر إمكانه يعتقد استحالتة جهلاً فلا يصدق وجوده، فإذا أُسند إلى الله ورسوله يلزم تكذيبهما<sup>(10)</sup>.

(1) شفاء الغليل، للغزالي، ص 7 .

(2) قواعد الأحكام، لابن عبد السلام، 130/2.

(3) الفتاوى الفقهية الكبرى، لابن حجر، 248/4.

(4) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 191/4.

(5) المصدر نفسه، 258/4.

(6) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي - ﷺ - يتخولم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (ح 69)، 27/1، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (ح 1732)، 1358/3، واللفظ لمسلم .

(7) الموافقات، للشاطبي، 163/2.

(8) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، 41/1.

(9) صحيح مسلم، 11/1 .

(10) عمدة القاري، للعيني، 205/2.



( ج ) - دليل الحكم:

ليس لأحد دون رسول الله - ﷺ - أن يقول إلا بالاستدلال<sup>(1)</sup>، كما أن إلزام الحاكم في مسائل النزاع بالالتزام قول بلا حجة من الكتاب والسنة لا يجوز بإجماع المسلمين، فلا يفيد حكم المجتهد بصحة قول دون قول في مثل ذلك إلا إذا كان معه حجة يجب الرجوع إليها<sup>(2)</sup>، ف-«على العالم أن لا يقول إلا من جهة العلم، وجهة العلم الخبير بالأزم بالقياس بالدلائل على الصواب؛ حتى يكون صاحب العلم أبداً متبعاً خبراً وطالب الخبير بالقياس، كما يكون متبعاً البيت بالبيان وطالب قصده بالاستدلال بالأعلام مجتهداً»<sup>(3)</sup>، وفيما يلي طائفة لما يكون على الحكم دليلاً:

• النص على حكم المسألة:

أجمع المسلمون على أن من استبانته له سنة رسول الله - ﷺ - لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس<sup>(4)</sup>.

• الأخذ بالظن في تقرير الأحكام:

« للظن حالتان: حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة، فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وأروش الجنایات، والحالة الثانية: أن يقع في النفس شيء من غير دلالة، فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به وهو المنهي عنه»<sup>(5)</sup>.

• الأخذ بأقوى الوسائل لتحصيل المصلحة الكاملة عند تعددها:

فقد تتعدّد الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها أقوى تلك الوسائل تحصيلاً للمقصد المتوسل إليه؛ بحيث يحصل كاملاً راسخاً عاجلاً ميسوراً فنقدّمها على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل<sup>(6)</sup>. وعلى المفتي أن يراعي في هذا الجانب أمراً، وهو أن هذا النظر كلّه أساسه كون المصالح مشروعة والمفاسد ممنوعة؛ لإقامة هذه الحياة، لا لنيل الشهوات واتّباع الأهواء<sup>(7)</sup>، وأن اتّباع المصالح مبنية على ضوابط الشرع ومراسمه<sup>(8)</sup>.

• الاستناد إلى قرائن الأحوال:

فالشّارع لم يبلغ القرائن والأمارات ودلالات الأحوال بل من استقرأ الشّرع في مصادره وموارده وجده شاهداً لها بالاعتبار مرتباً عليها الأحكام<sup>(9)</sup>.

• ردّ المسألة إلى أصولها الكلية؛ فإنّه أوعى لحفظها وأدعى لضبطها، وحسماً لفتنة الفساد:

(1) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 25.

(2) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 3/240.

(3) الرسالة، للإمام الشافعي، ص 507.

(4) إعلام الموقعين، لابن القيم، 1/7، 2/282، مدارج السالكين، لابن القيم، 2/335، وينظر: إيقاظ الهمم، للعمري، ص 114.

(5) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 16/332.

(6) مقاصد الشريعة، لابن عاشور، ص 145.

(7) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 2/40.

(8) ينظر: شفاء الغليل، للغزالي، ص 245.

(9) الطرق الحكمية، لابن القيم، 1/16.

لابد أن يكون مع المفتي أصول كلية تردّ إليها الجزئيات؛ ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذبٍ وجهلٍ في الجزئيات، وجهلٍ وظلمٍ في الكليات؛ فيتولد فسادٌ عظيم<sup>(1)</sup>. ولا يخفى على المجتهد أنّ الفروع إنّما تُبنى على الأصول، وأنّ من لا يفهم كيفية الاستنباط ولا يهتدي إلى وجه الارتباط بين أحكام الفروع وأدلتها التي هي أصول الفقه، لا يتسع له المجال، ولا يمكنه التفرّيع عليها بحال؛ فإنّ المسائل الفرعية على اتساعها وتُعد غاياتها لها أصولٌ معلومة، وأوضاعٌ منظومة، ومن لم يعرف أصولها لم يحط بها علمًا<sup>(2)</sup>.

#### ضوابط الفتوى عبر وسائل الإعلام:

لا شك أنّ للفتوى عبر وسائل الإعلام المختلفة فوائدٌ جمة، تتلخّص في بثّ ثقافة شرعية من خلال بيان الحكم الشرعي للواقعة على مدى أوسع ونطاق أرحب من الفتوى التي تكون بعد محاوره المفتي للمستفتي وجهًا لوجه؛ لذا كان على المفتي أن يتقيد بالضوابط التالية إن خرجت فتواه عبر وسائل الإعلام؛ أهمها:

- أن يكون المفتي مؤهلًا للفتوى عبر وسائل الإعلام، وخبيرًا بالتعامل مع الناس مشهورًا له بالفضل والأمانة؛ كي يكون وقع فتواه على الأسماع علما راسخا يُقتدى به، وفي هذا المعنى قال الإمام مالك - رحمه الله -: «وليس كلّ من أحبّ أن يجلس في المسجد للحديث والفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصّلاح والفضل وأهل الجهة من المسجد، فإن رآه أهلا لذلك جلس، وما جلسْتُ حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم أي موضع»<sup>(3)</sup>.
- أن يلتزم بضوابط الفتوى وأدابها كالأهتمام بحسن المظهر فهو عامل مهمٌّ من عوامل تأثير المفتي في عقول سامعيه ونفوسهم<sup>(4)</sup>؛ فقد ذُكر أنّ أبا وائلة إياس بن معاوية المزني - قاضي عمر بن عبد العزيز على البصرة - أتى حلقة من حلّق قرّيش في مسجد دمشق، فاستولى على المجلس وقال كلاما يأخذ الألباب، فرأه الناس أحمر دميا ربّ الهيئة متشّفا، فاستهانوا به، فلمّا عرفوا فضله ومكانته اعتذروا إليه وقالوا: الذّنب مقسوم بيننا وبينك، أتيتنا في زيّ مسكين تكلمنا بكلام الملوك<sup>(5)</sup>.
- أن يتثبت في الفتوى وألا يتساهل فيها ويسرع بإصدارها قبل استيفاء حقّها من النظر والفكر، إلا أن تتقدّم معرفته بالمسؤول عنه فلا بأس بالمبادرة<sup>(6)</sup>؛ فقد كان في الصحابة - ﷺ - من يتباطأ بالجواب عمّا هو فيه غير مستريب، ويتوقف في الأمر السهل الذي هو عنه مجيب<sup>(7)</sup>.
- التعرّف على المذهب السائد في بلد المستفتي؛ حتّى لا تفضي الفتوى إلى ترك ما هو معلوم للعامة إلى ما ليس بمعلوم<sup>(8)</sup>، وألا تكون الفتوى بالشاذ من العلم؛ فإنّ أقل ما يصيب صاحبها الذلّة<sup>(9)</sup>.

(1) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 203/19.

(2) تخرّيج الفروع على الأصول، للزنجاني، ص 44.

(3) الديباج المذهب، لابن فرحون، ص 21.

(4) ينظر: المتحدّث الجيد، لعبد الكريم بكار، ص 23.

(5) ينظر: المصدر نفسه، ص 24. وينظر: التبيان والتبيين، للجاحظ، ص 67.

(6) ينظر: آداب الفتوى، للنووي، ص 37، صفة الفتوى، لابن حمدان، ص 31، 32. وينظر: تبصرة لحكام، لابن فرحون، 58/1، الفتاوى

الكبرى الفقهية، لابن حجر، 183/4.

(7) أدب المفتي والمستفتي، لابن الصّلاح، ص 82.

(8) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 147/4.

(9) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، 19/10.

- التفقه بأحوال وظروف المستفتي مع محيط معيشته قبل إصدار الفتوى عن سؤاله؛ لذلك لما همّ أبو جعفر المنصور أن يبعث القاضي غوث بن سليمان قاضياً على بلدة، فامتنع بقوله: «البلد ليس بلدي وليس لي معرفة بأهله، فإن رأيت أن تعفيني فأعفيني»<sup>(1)</sup>.
- فهم مصطلحات المستفتي واستفساره عن سؤاله ثم تفصيل بيان الحكم في الجواب؛ لأنه «إذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل»<sup>(2)</sup>.
- مراعاة المفتي لطبقات المستمعين في خطابه وتحريه الفهم في تنزيل الناس منازلهم من خلال أسلوب جوابه؛ فلا بدّ للمفتي «أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً؛ حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»<sup>(3)</sup>.
- ألا تختصّ الفتوى في شيء من مسائل الخصومات، ووجوب ردّ حكمها إلى القضاء؛ فقد جاء رجل إلى الليث بن سعد، فقال له: ما تقول في رجل قال لرجل: كذا وكذا، فقال له الليث: تصير إلى القاضي إسماعيل بن اليسع»<sup>(4)</sup>.
- عدم الجواب عما يشوّش على العامة من المسائل التي لا ينبغي عليها عمل؛ إذ ليس كلّ علم يبيّن وينشر وإن كان حقاً<sup>(5)</sup>.
- التوقّف عن الفتوى إن لم يأمن المفتي غائلتها وخاف من ترتّب شرّ أكثر من الإمساك عنها، أمسك عنها؛ ترجيحاً لدفع أعلى المفسدتين<sup>(6)</sup>.
- وعلى المفتي أن يراعي في نفسه أمراً إن تصدّى للإفتاء أنّه «قلّ من حرص على الفتوى وسابق إليها وثابر عليها، إلا قلّ توفيقه واضطرب في أمره، وإذا كان كارهاً لذلك غير مختار له، ما وجد مندوحة عنه، ولا قدر أن يحيل بالأمر فيه على غيره، إلا كانت المعونة له من الله أكثر، والصالح في فتواه وجوابه أغلب»<sup>(7)</sup>.

\* \* \*

## المبحث الخامس

### مزايّا تجديد الفتوى في الخطاب الديني

من المزايا التي أضفت على التجديد ميزة في أنّ بناء أحكام الشّرع قام على تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد ما يلي:

- عالميّة أحكام الشرع لكلّ النّاس لـ«عموم رسالته - ﷺ - بالنسبة إلى كلّ ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنّه لم يُخوّج أمته إلى أحد بعده، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به»<sup>(8)</sup>.

(1) تاريخ مدينة دمشق، لابن عسّاك، 101/48.

(2) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 146/13.

(3) البيان والتبيين، للجاحظ، ص 87، 88.

(4) كتاب الولاية وكتاب القضاء، لأبي عمر الكندي، ص 371.

(5) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 54/1، 191/4.

(6) ينظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، 157/4.

(7) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، 350/2، 351.

(8) إعلام الموقعين، لابن القيم، 375/4.

- واقعية التشريع الإسلامي على احترام اعتبارات الناس وأحوالهم في كونها ذات أبعاد ارتقائية تعمل على المواءمة بين ما يقتضيه الواقع بكلّ حيثياته ومعطياته من جهة، وبين ما ينشده الإسلام من مثالية في المصلحة والعدل؛ ليرتقي بالواقع ارتقاءً يقرّب من القيم المثالية من جهة أخرى<sup>(1)</sup>.
  - المجتهد في الأحكام مجدّد في الدين من حيث إنّه ينتفع به في العدل والتّناصف وحقن الدّماء، والتّمكّن من إقامة قوانين الشّرع على الوقائع<sup>(2)</sup>.
  - إنّ المجتهد لا لوم عليه إن بذل وسع جهده وإن لم يصب الحقّ<sup>(3)</sup>، ولا يعتف فيما فعله باجتهاده<sup>(4)</sup>؛ فالمجتهد مع خطئه له الأجر؛ لأنّ درك الصّواب في جميع أعيان الأحكام إما متعذّر أو متعسر<sup>(5)</sup>.
  - ردّ الحكم على مورد الحقّ من أنواع النّصح للشّرع الحنيف.
- يقول ابن رجب الحنبلي - رحمه الله - : « ومن أنواع النّصح لله تعالى وكتابه ورسوله وهو مما يختصّ به العلماء ردّ الأهواء المضلّة بالكتاب والسّنة على موردها، وبيان دلالتها على ما يخالف الأهواء كلّها، وكذلك ردّ الأقوال الضّعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسّنة على ردّها<sup>(6)</sup> ».
- وقوع الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروريٌّ لا بدّ منه؛ لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم<sup>(7)</sup>، وأنّ كلّ مسألة حدثت في الإسلام فاختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة، علمنا أنّها من مسائل الإسلام، وكلّ مسألة طرأت فأوجببت العداوة والتّنافر والتّنازع والقطيعة، علمنا أنّها ليست من أمر الدين في شيء<sup>(8)</sup>؛ لأنّ على الحقّ دليلاً منصوباً من قبل الله تعالى، لكن إنّما يوصل إليه بطريق ظنيّ، فما يعود إلى معرفة علّة الأصل في الظنّيات ميل عظيم، وكلّ واحد يظنّ غير ما يظنّ صاحبه، وليس يستقرّ على شيء واحد؛ فالشّرع سامح في ذلك ولم يؤاخذنا بخطأ<sup>(9)</sup>.
  - الاختلاف الواقع في التّوازل التي عُدّت فيها التّصوص في الفروع وغمضت فيها الأدلّة ورُجّع في معرفة أحكامها إلى الاجتهاد حتّى صعب الوصول إلى عين المراد منها؛ ما ذاك إلّا امتحانٌ من الله - ﷻ - لعباده للتّفاضل في درجات العلم<sup>(10)</sup>.
  - بصدع الحقّ على البدع تُحيا السنن؛ إذ كلما أظهر الشّيطان بدعة من البدع أقام الله من حزبه وجنده من يردها<sup>(11)</sup>.

(1) ينظر: اعتبار المآلات، لعبد الرحمن السنوسي، ص 35 .

(2) ينظر: المعيار المعرب، للونشريسي، 7/10. وينظر: تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، ص 59.

(3) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، 1/444.

(4) ينظر: شرح مسلم، للنووي، 12/98.

(5) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 20/252.

(6) جامع العلوم والحكم، ص 81.

(7) الصواعق المرسلّة، لابن القيم، 2/519.

(8) الموافقات، للشاطبي، 4/186، الاعتصام، للشاطبي، 3/169.

(9) قواطع الأدلّة، للسمعاني، 2/320.

(10) ينظر: المصدر نفسه، 2/308.

(11) ينظر: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، 12/298.

- الشَّرْع في كلياته وأصوله صالح لكل زمان ومكان؛ لأنَّ الشَّرْع موضوعٌ على أنه دائمٌ أبديٌّ، فالأحكام ثابتةٌ تتبَّع أسبابها حيث كانت بإطلاق<sup>(1)</sup>، والقواعد الكلية من الصَّروريات والحاجيات والتحسينيات لم يقع فيها نسخ، وإنما وقع النَّسخ في أمور جزئية دليل الاستقراء؛ فإنَّ كلَّ ما يعود بالحفظ على الأمور الخمسة ثابت<sup>(2)</sup>.
  - في تغيير الأحكام الفقهيَّة الاجتهاديَّة وتجديدها مع روح العصر إذا أصبحت تلك الأحكام لا تتلاءم مع معيش الإنسان ونظام حياته؛ لفساد الزَّمان وقلةِ وازع الدِّين أو لحدوث أوضاعٍ تنظيميةٍ وأساليب اقتصاديةٍ ونحو ذلك؛ تنزيهٌ عن الشَّريعة من العبث أو الضَّرر<sup>(3)</sup>.
  - الحكم بما جاء من الأدلَّة للنازلة فيه سدَّ لأسباب الشَّرِّ والفساد، وعدمُ تعطيل الأحكام من قبل أهل العلم العارفين بالشَّرْع، وتلبيةٌ لحاجة العباد في القيام بمصالحهم؛ « لأنَّ الأعمال الشَّرعية ليست مقصودة لأنفسها، وإنما قصد بها أمور آخر هي معانيها، وهي المصالح التي شرعت لأجلها<sup>(4)</sup>».
  - معرفةُ العباد باعثَ الشَّرْع ومصالحةُ الحكم من المجتهد؛ استمالةٌ للقلوب إلى الطمأنينة، والقبولُ بالطبع، والمسارةُ إلى التصديق؛ فإنَّ النفوس إلى قبول الأحكام المعقولة الجارية على ذوق المصالح أميل منها إلى قهر التَّحكم ومرارة النَّعبد، كما أنَّ ذكرَ محاسنِ الشَّريعة ولطائفِ معانيها وكونَ المصلحة مطابقةً للنَّص يزيدُها حُسناً وتأكيداً<sup>(5)</sup>.
  - اتِّباعُ الحقِّ والإخلاص فيه أساسٌ لعمرانِ البنيان وسلامةِ الدِّين والدُّنيا على مرور الأزمان؛ « فأصل خرابِ الدِّين والدُّنيا إمَّا هو من التَّأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه ولا دلَّ عليه أنه مراده<sup>(6)</sup>».
  - اتِّباعُ النَّاسِ للفتيا الحقِّ بالأخذ والتَّطبيق لوجود مدركِ الحقِّ فيها، مرضاةُ الله - ﷻ - ونجاةٌ من المؤاخذه؛ لا يتَّبع العبد لما جاء به الحقُّ، وبلوغه النَّاسي المطلوب في العبادة؛ فإنَّ « المقصدَ الشرعيَّ من وضع الشَّريعة: إخراجُ المكلفِ عن داعيةِ هواه حتى يكون عبداً لله اختياراً كما هو عبداً لله اضطراراً<sup>(7)</sup>».
- والله تعالى أعلم ..

\*\* \* \*

(1) ينظر: الموافقات، للشاطبي، 2/285، 286.

(2) المصدر نفسه، 3/117.

(3) ينظر: المدخل الفقهي العام، للزرقا، 2/926.

(4) الموافقات، للشاطبي، 2/285.

(5) ينظر: المستصفي، للغزالي، ص 339.

(6) إعلام الموقعين، لابن القيم، 4/250.

(7) الموافقات، للشاطبي، 2/168. وينظر: الاعتصام، للشاطبي، 3/308.

## الخاتمة

وبعد؛ فإنني أختتم البحث حامداً الله تعالى ما أعان ويسر من إتمامه بأهم النتائج وبعض التوصيات:

### أولاً: النتائج:

- تجديد الدين: إحياء للأصول وعوداً للتوابع في جميع مناحي الحياة وجوانبها المختلفة دون إهمال للمتغيرات.
- تجديد الخطاب الديني في ضوء معطيات العصر يكون بالاعتصام بالأصول والتقيّد بالثوابت، الذي يتطلب فهم الدين فهما خالصا من الشوائب، بعيداً عن تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين.
- لا يتصدى للخطاب الديني إلا من توافرت فيه المعايير والضوابط الشرعية، ولا يتمكّن المفتي من تجديد الأحكام للوقائع وتنزيلها على المستجدات إلا بفهم الواقع والتبصر فيه، ثم بتطبيق الواجب عليه .
- لتجديد الفتوى مزايا سامية تبرز صالحية الشرع لكلّ زمان ولكلّ مكان، فهو يقمّ العلاج الناجع من آثار الفكر المتحرّج الجامد على حرفيّة النصوص، وهو يخرج بالأمة من أزمتها الحضاريّة الخانقة؛ كي تتمّ لها المشاركة في صنع التّقدم والرقيّ المواكب لمتطلّبات العصر .

### ثانياً: التوصيات:

- إبراز الوسطية الإسلامية وتطبيقاتها في التشريع الإسلامي للنشء الصّغير من خلال تدريس مادّة الثقافة الإسلامية في مراحل التّعليم، والتأكيد على أهمية تدريس مقرّرات أصول الفتوى وما يتعلّق بها في الكليات والمعاهد والدراسات العليا الشرعية.
- التصدّي للشبهات التي يبثّها أدياء الإسلام بالعلم الخالص الصائب؛ للحفاظ على وحدة الأمة الفكرية والعقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والحقوقية.
- تبني ولاية الأمور الفتاوى الجماعية؛ لاستصلاح أمر الناس على تطبيق الشريعة، وتفعيل دور الجامع الفقهيّة في الواقع؛ لمواجهة الفتاوى الشاذة في مضمار المستجدات، ولبيان عوارها للناس، ولا سيما إذا كان صاحبها ذا صيت ذائع؛ حتّى لا ينجّر المجتمع إلى التطرّف أو إلى الانحلال تحت غطاء شرعيّ.
- تبصير الناس بأمر دينهم وبحكم ما يُستجدّ في دنياهم، وتأهيلهم شرعيّاً ببيان الحكم والأسرار من خلال الإعلام الهادف ونشر الفتاوى بالخصوص على نطاق رحيب مع اعتبار أعراف الناس وعوائدهم كلّ حسب مجتمعه؛ ليسهل الانقياد ويستقيم الامتثال.
- إحياء فقه البدائل الشرعية عند الكفّ عن المألوف المستقبح، والاستعانة بأهل الخبرة والاختراع في تفعيل البدائل.
- ترسيخ خطورة الفتوى في نفوس الناس بالبرامج الدعوية والتربوية.
- التزام وسائل الإعلام بشئى أنواعها في مجال الفتوى على من توافرت فيهم شروط وأداب الفتوى، والتحوّط البالغ من بنّ وترويج الفتاوى الشاذة أو المغلوطة .
- ألا يرتكب المفتي خلال برنامج الإفتاء مخالفة شرعية، وألا يجعل من البرنامج محلاً لتصدير الطعون والنقاشات ورّود على الترهات الكلامية من قبل المتصلين به.
- اختيار المفتي الوسائل المعروفة بالأمانة لإظهار علمه الراسخ من خلالها للناس، سواء كانت الوسائل الإعلام مرئياً أو عبر أثير المسموعة أو التّواصل الاجتماعي، أو مكتوباً في الصحف والمجلات ونحوها.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

\*\*\* \*\* \*\*

### فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم رحمهما الله.
- 1. آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار الفكر، دمشق، ط الأولى، 1408هـ- /1988م.
- 2. الاتباع، لصدر الدين ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: محمد عطا الله حنيف، عاصم بن عبد الله القريوتي، دار عالم الكتب، لبنان، ط الثانية، 1405هـ- /1985م .
- 3. الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، تشرف بخدمته: سلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط الرابعة، 1430هـ- /2009م .
- 4. أدب المفتي والمستفتي، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوي ابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد الله عبدالقادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1407هـ- /1987م .
- 5. إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد البديري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1412هـ- /1992م .
- 6. الاستنكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 2000م.
- 7. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1415هـ- /1995م.
- 8. اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات، لعبد الرحمن بن معمر السنوسي، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1429هـ- /2008م.
- 9. الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، دراسة وتحقيق: محمد الشقير، سعد آل حميد، هشام الصيني، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1429هـ- /2008م.
- 10. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجبل، بيروت، ط 1973م .
- 11. إيقاظ همم أولي الأبصار، لصالح بن محمد بن نوح العمري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1398م.
- 12. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لزين الدين ابن نجيم الحنفي، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية .
- 13. البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1421هـ- /2000م.
- 14. بدائع السلك، لابن الأزرق، تحقيق: علي سامي النشار، وزارة الإعلام، العراق.
- 15. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت.
- 16. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، لبنان .
- 17. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1415هـ- /1995م .
- 18. تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، لبرهان الدين أبي الوفاء إبراهيم ابن الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن فرحون اليعمري، تحقيق: الشيخ جمال مرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1422هـ- /2001م .

19. تخريج الفروع على الأصول، للإمام أبي المناقب شهاب الدين محمود بن أحمد الزنجاني، تحقيق: محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، 1427هـ- /2006م.
20. ترتيب المدارك وترتيب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1418هـ- /1998م.
21. تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة، الاسكندرية، ط الأولى، 1403/1983م.
22. جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمرو يوسف بن عبد البر النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1398.
23. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط السابعة، 1417هـ- /1997م .
24. الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
25. حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1415هـ- /1995م.
26. حاشية الشيخ سليمان الجمل على شرح المنهج (لذكريا الأنصاري)، لسليمان الجمل، دار الفكر، بيروت، لبنان .
27. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمرى المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
28. الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، لبنان، ط 1414هـ- /1994م .
29. الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، دراسة وتحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، مصر، ط الأولى، 1428هـ- /2007م.
30. الرسالة، للإمام لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1358هـ- /1939م .
31. الروضة الندية، لصديق حسن خان، تحقيق: علي حسين الحلبي، دار ابن عفان، القاهرة، ط الأولى، 1999م .
32. سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني الأمير، تحقيق: محمد عبدالعزيز الخولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط الرابعة، 1379 هـ- .
33. سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر.
34. سنن البيهقي الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ط 1414هـ- /1994م .
35. سنن الدارقطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يمانى المدني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1386 هـ- /1966.
36. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1411هـ- /1991م.



37. شرح فتح القدير، لكامل الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية.
38. شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، 1392هـ-1973م .
39. شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، للإمام محمد الخرشي، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان.
40. شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: حمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط 1390هـ-1971م.
41. صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1423هـ-2002م.
42. صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1420هـ-2000م.
43. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، 1375هـ-1955م.
44. صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، لأبي عبد الله أحمد بن حمدان النمري الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط الثالثة، 1397هـ-1977م.
45. الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة، 1418هـ-1998م .
46. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، تحقيق: محمد جميل غازي، مطبعة المدني، القاهرة.
47. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
48. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1995م.
49. غياث الأمم والتياث الظلم، لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مصطفى حلمي، دار الدعوة، الاسكندرية، ط الأولى، 1979م.
50. الفتاوى الكبرى الفقهية، للإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر .
51. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
52. الفروق: أنوار البروق في أنواع الفروق، للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي، دراسة وتحقيق: محمد سراج، علي جمعة، دار السلام، القاهرة، مصر، ط الأولى/1421هـ-2001م.
53. الفقيه و المتفقه، لأبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الثانية، 1421هـ-2001م .
54. قواطع الأدلة في الأصول، لأبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ-1997م.
55. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

56. اللمع في أصول الفقه، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1405هـ - / 1985م .
57. المبسوط، لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
58. المتحدّث الجيّد، لعبد الكريم بكار، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى 1423هـ - / 2011م.
59. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبدالشافى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1413هـ - / 1993م .
60. مجموع الفتاوى، لأبي العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ط الثانية.
61. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1393هـ - / 1973م.
62. المدخل الفقهي العام، لمصطفى أحمد الزرقا، دار الفكر، بيروت، لبنان، مطبعة طربين، دمشق، ط العاشرة، 1387هـ - / 1968م.
63. المدونة الكبرى، للإمام مالك بن أنس، دار صادر، بيروت، لبنان.
64. المستصفى في علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبدالشافى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى 1413 هـ - / 1993م .
65. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، لمصطفى السيوطي الرحباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط 1961م
66. معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
67. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
68. المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1401هـ - / 1981م.
69. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1405 هـ - / 1985م .
70. مقاصد الشريعة الإسلامية، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، دار السلام، مصر، ط 1427هـ - / 2006م.
71. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، ط الخامسة، 1984م.
72. منهاج السنة النبوية، لأبي العباس حمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط الأولى، 1406هـ - / 1986م .
73. الموافقات في أصول الفقه، لإبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت .
74. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالخطاب، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الثانية، 1398هـ - .

75. موطأ الإمام مالك، للإمام مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
76. نشر العرف في بناء بعض الأحكام على العرف (ضمن مجموعة رسائل)، للإمام محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين. بدون تاريخ طبعة.
77. الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي، تحقيق: عبد الله عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط الأولى، 1420هـ-1999م.

\*\* \*\* \*



الجامعة الإسلامية - غزة  
كلية الشريعة والقانون

## مسؤولية و دور المؤسسات التعليمية في تجديد الخطاب الديني و تطويره لمواكبة العصر

إعداد

د. سهام عبران

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - الجزائر -

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز مسؤولية و دور المؤسسات التعليمية في تجديد و تطوير الخطاب الديني لمواكبة العصر؛ حيث تطرقت إلى بعض المحاور التي أراها ضرورية للعرض فبينت من خلالها أنه يجب على الخطاب الديني اليوم أن يتسم بالمرونة لمواكبة العصر و مستجداته و مراعاة للتطور الحاصل في العالم، لذا يجب تجديده وفقا لمتطلبات الواقع المعاصر الذي يرفض التقليد، إذ لا بد أن يتوفر على الإبداع و التجديد، فالخطاب الديني الذي يتوفر على شروط نجاحه أكيد سيساهم بشكل فعال في حل قضايا و مشاكل الشعوب.

و نعني بتجديد الخطاب الديني تحديث تقنيات الخطاب و توصيل مضمونه بطريقة سلسة تستوعبها كل فئات المجتمع، و في الوقت نفسه يكون مسائرا للواقع المعاش و دون التخلي عن أساسيات و ثوابت ديننا الحنيف.

و للعمل على تجديد الخطاب الديني لابد لنا من تحديد الأهداف و اتباع استراتيجية معينة؛ لأنه في تحديد الأهداف وضوحا للرؤية هذا ما يستوجبه العمل الناجح و البعيد عن العشوائية و الإرتجال.

إنّ الواقع اليوم يدعونا إلى تجديد الخطاب الديني كحتمية من أجل بناء المجتمع و تنمية الشعوب، و كذلك البحث عن الآليات العملية لمعالجة قضايا العصر و متطلباته، و إيجاد السبل الممكنة للتعايش (1) السلمي و الإيجابي مع الآخر مهما كان انتماؤه الديني و الفكري..

## مقدمة

لا مجال للشك بأنّ عصرنا يشهد كثيرا من التغيرات و التحديات لأنه أصبحنا نعيش في قرية صغيرة فكل شيء متاح، لذا يجب أن ندرك أنّ من أكبر الإشكاليات التي يواجهها الخطاب الديني هي التوفيق بين مقتضيات العصر و التأصيل الديني؛ بمعنى أنّ يكون الخطاب الديني مسائرا للواقع المعاش دون التخلي عن أساسيات و ثوابت ديننا الحنيف، و كذلك يجب أن يتسم بالمرونة تماشيا مع لغة العصر الذي ينتمي إليه حتّى يتسنى للمتلقي فهمه و استيعابه، و الأهم من كلّ ذلك التمييز بين الخطابات الأخرى خاصة تلك المعرضة و المخالفة لمبادئ شريعتنا السّماحة.

و يعود سبب الرّكود الفكري الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم إلى فقدان القدرة على الإبداع، و كذلك عدم التعاطي مع التّراث بمنهجية عصرية تسامر الواقع المعاصر و مُستجداته، أو ربّما عدم استيعاب العقل العربي المسلم للطفرة العلمية و التكنولوجية و التحديات الراهنة. مما يؤدي إلى الإختلاف مع الآخر في جوّ من التشاحن و عدم القدرة على التواصل، و من أجل نقادي التصادم مع الآخر لابد لنا من إعادة صياغة خطاب ديني يستوعب جميع الأطراف من منطلق التلاقح المعرفي، و من أجل خلق مساحة تفاعلية مع الآخر للعيش بسلام و المُضي قدما من أجل حياة أفضل لجميع الشعوب.

و لكن أكثر ما يُقلّنا اليوم في الخطاب الديني هو كيفية التعامل مع قضايا العصر، خاصة في طريقة دراستها و تحليلها، فقد أصبح الكلّ يتحدث باسم الدين على اختلاف موقعه و مذهبه الفكري، لذا يجب أن تكون هناك جهات رسمية و مخولة للتعامل مع هذا الأمر، كي لا يكون تجديد الخطاب الديني عرضة لأفكار مغلوطة و مُتطرفة، لأنّ الفهم المغلوط للدين سيؤدي حتما إلى تعكر الأمن الإجتماعي و منه الإنساني و انتشار العنف و التطرف تحت مُسمى الدين، و أرى أنّ المؤسسات التعليمية خير مُنتج لخطاب ديني جديد وفق رؤية دينية صحيحة، كما أنّه من مسؤولياتها التصدي لمثل هذه الأفكار المتطرفة و بالمقابل نشر الفكر الواعي وفق خطاب ديني هادف؛

1- **التعايش Coexistence**: يقصد به حياة كل الأمم في سلام (تعايش سلمي) لمختلف النظم السياسية مع احتفاظ كل نظام بطابعه، و يعني عدم تدخل دولة في شؤون الدول الأخرى، و تعمل جميع الدول على التعاون الدولي و تسهم في إبعاد شبح الحرب عن العالم، و هذا التعايش السلمي ضد مبادئ العولمة و القرية الكونية الصغيرة التي لا ينفصل فيها الداخل عن الخارج. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، (نسخة الكترونية من موقع كتب عربية، 2005 م.)، ص 108.

حيث يُنَاط بهذه المؤسسات عمل عظيم في هذا المجال، فيمكنهم إدارة الذّفة العلمية و الفكرية في المجتمعات الإسلامية، كما تملك هذه المؤسسات القدرة على التأثير فالعلم الذي تحوزه يخولها لذلك.

موضوع "مسؤولية و دور المؤسسات التعليمية في تجديد الخطاب الديني و تطويره لمواكبة العصر" جدير بالدراسة، كونه يسعى للحث على ضرورة تفعيل دور المؤسسات التعليمية للنهوض بالأمة بشكل علمي و مُمنهج و يتماشي و مُستجدات الواقع بمختلف بيئاته.

و عليه نطرح الإشكال الآتي:

كيف نفهم النصّ الديني على ضوء المستجدات فهما صحيحا يتماشي مع الواقع؟

كيف يمكن للمؤسسات التعليمية بعث خطاب ديني جديد يتماشي و مستجدات العصر؟

أما فيما يخص الأهداف التي أبتغيها من دراسة هذا الموضوع فهي:

- بيان ضرورة تجديد الخطاب الديني لما يقتضيه العصر من متغيرات و مستجدات و تداعياتها على الأمة الإسلامية.
- التصدي للخطابات الدينية الداعية للعنف و التطرف في المجتمعات الإسلامية.
- ايجاد آليات جديدة و فعالة لإعادة فهم الإسلام بما يتلائم مع الواقع المعاصر.
- كما ارتأيت أن تكون محاور البحث كما يأتي:
- أهمية تجديد الخطاب الديني (مفهوم التّجديد، مفهوم الخطاب الديني، مفهوم تجديد الخطاب الديني).
- دوافع تجديد الخطاب الديني.
- شروط تجديد الخطاب الديني.
- مسؤولية المؤسسات التعليمية في تطوير الخطاب الديني ( مفهوم المؤسسات التعليمية، أهميّتها و مسؤوليتها و دورها في تطوير الخطاب الديني)

و ختمت هذا البحث بنتائج و توصيات كما ارتئيته وفق تصوري.

أما منهجي في هذه الدراسة أن أكون ملتزمة قدر الإمكان بقواعد البحث العلمي المقررة في توثيق المعلومة من مصادرها الأصلية بكل أمانة، كما أنني إعتمدت المنهج الوصفي لملائمته لطبيعة الموضوع و القائم على التحليل و الإستنباط.

1. أهمية تجديد الخطاب الديني: بداية سنقوم بتعريف مصطلحي التّجديد و الخطاب الديني.

أولاً: مفهوم التّجديد:

« التّجديد لغة، من جدّ الشّيء يَجِدُّ، جَدَّةٌ: حدث بعد لم يكن، و جدّد الشّيء صَيَّره جديداً، و استجدّ الشّيء: صار جديداً، و الجديد نقيض البالي المبتدل بالإستعمال، و الجديد: ما لا عهد لك به. و أجدّ في الأمر: اجتهد.»<sup>(1)</sup>

و من خلال المعنى اللّغوي لمصطلح التّجديد نستشف أنّ له معاني أخرى و هي كما يأتي<sup>(2)</sup>:

1. الإضافة إلى القديم، فلا يعني التّجديد إلغاء القديم إلغاءً تاماً، بل يمكن تحسينه و تجويده بأن يُضاف إليه ما يحقق أهدافه، كابتكار فكرة أو وسيلة، أو إثبات نظرية، أو اكتشاف أو اختراع و ما إلى ذلك.
2. الإزالة: فيمكن أن تتشوه الفكرة القديمة، فتصبح بالية نظراً لما تراكم عليها من أفكار خاطئة أو مضللة، او تصورات فاسدة، فنزيل هذه التراكمات ليعود جديداً ناصعاً كما كان أول عهده.

<sup>1</sup>- ابن منظور، جمال الدّين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط [ ]، (بيروت، دار صادر، ت [ ])، ج3، ص 111، 112.

<sup>2</sup>- أحلام مطالقة و آخرون، تجديد أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء التحولات العالمية المعاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، جامعة اليرموك

3. الإحياء: فقد يندرس و يندثر الأمر أو الفكرة القديمة مما يؤدي إلى هجرانها، فالتجديد يعني إحياء هذا الأمر ليعود واضحا كما كان أول ظهوره.

أما معنى التجديد في الإصطلاح فهناك تعاريف كثيرة سنذكر بعضها منها:  
« التجديد عبارة عن تكلم الجهود العلمية و العملية التي تبذل لإصلاح الناس في الدنيا: إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين، و إما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال، و إما من جهة تأييد سلطانه.»<sup>(1)</sup>

و يقول القرضاوي « إنَّ التجديد لشيء ما: هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ و ظهر، بحيث يبدو مع قدمه كأنه جديد، و بذلك بتقوية ما بلى، و توثيق ما انفتق، حتى يعود أقرب ما يكون إلى صورته الأولى، فالتجديد ليس معناه تغير طبيعة القديم، أو الإستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء و لا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعنى العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم و صحابته و من تبعهم بإحسان»<sup>(2)</sup>

و « للإسلام في التجديد، منهاجا متميزا.. "فالتجديد" غير "النسخ".. فهو و "الحداثة" - بالمعنى الغربي - نقيضان. إنَّ من موروثنا الفكري ما هو وحي إلهي، و وضع ربّاني، مُثَّل و يمثل في حياة هذه الأمة: الصانع الأول لوجودها الحضاري و القومي و الفكري .. هو صانع وحدتها، و مُقتضى دولتها، و مُعين حدود وطنها، و خالق مزاج هويتها، و المكون الأعظم لبصمتها الحضارية التي تتميز بها و تمتاز في "منتدى الحضارات" الأمم و الشعوب.. و هذا القطاع من موروثنا ثابت من الثوابت .. التجديد هو السبيل لوفاء هذا "الثابت" بدوره الذي أنيط به في حياة هذه الأمة ... و حتى نضمن فعل هذا الثابت في الحياة المتجددة، لابد من إعمال سنة التجديد لتجلية الوجه الحقيقي لمبادئه و عقائده و مناهجه و أحكامه من زوائد البدع و نواقصها، و من غبار الخرافة و ركام الشعوذة و انحرافات التصورات، التي تلو وجهه الحقيقي مع كر السنين و توالي الحقب و القرون .. فالعودة إلى منابع الجوهرية و النقية في هذا "الثابت" و تجلية وجهه الحقيقي لتعود له قدرات الفعل و التأثير ...إنها العودة للمنبع، لا مخاصمة للحاضر و المستقبل.»<sup>(3)</sup>

**ثانيا: مفهوم الخطاب الديني:** الخطاب الديني صناعة بشرية تتأتى من قراءة النصّ الشرعي؛ أي أنّه فكر ديني ناتج عن فهم و تفسير النصوص الدينية. أيضا يجب أن يكون للخطاب سلطة على سامعيه ف « الخطاب ذو التأثير الايجابي على المجتمع البشري ... هو الذي يستفاد منه جميع أفراد الأمة الصّاعين لتلك الخطابات و المتأثرين بها و السامعين لها بُغية الحصول على التغير الاجتماعي المطلوب التي تسعى إليه كل أمة و تود تحقيقه، حيث أنّ الركيزة الأساسية التي يستند عليها الخطاب الديني هي انطلاقه من رؤية فكرية تستند عليها آراء و أفكار الخطيب حيث أنّ الخطاب قيمة علمية يجب أن يبنى على فهم عميق و نظرة موضوعية.»<sup>(4)</sup>

**ثالثا: مفهوم تجديد الخطاب الديني:**

إنَّ ضرورة تجديد الخطاب الديني أمر لابد منه كسبيل لحل مشاكل الأمة الإسلامية و تنمية مجتمعاتها في ظلّ المتغيرات الزاهنة و المستجدات، كما أنّه لا يختلف اثنان على أنّ الكتاب و السنّة مرجعية الأمة الإسلامية،

<sup>1</sup> - محمد الطاهر بن عاشور، تحقيقات و أنظار في الكتاب و السنة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، تونس، 1985، ص 113.

<sup>2</sup> - يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجديد الدين و تنهض بالدين، (بيروت، 1998 م)، ص 2.

<sup>3</sup> - محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، (القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990 م)، ص 20، 21.

<sup>4</sup> - دور الخطاب الديني المعتدل في تحقيق التغير الاجتماعي، مقال منشور بتاريخ 23 تموز 2017م على موقع شبكة النبا المعلوماتية.

و هذه المرجعية طريقة حياة للمسلمين؛ بحيث تطرق النصّ الديني الإسلامي لكلّ مناحي الحياة من شريعة و سياسة و اقتصاد و اجتماع... الخ.

و على الرّغم من بُعد الحقبة الرّمنية التي نزل فيها الوحي إلّا أنّنا نجد هذا الأخير يتلائم و المستجدات و المتغيرات الحاصلة في عالمنا المعاصر لما له من مرونة مع الأوضاع أيّا كان عصرها، و هنا يكمن الإعجاز الرّياني فهو صالح لكل زمان و مكان.

كما نجد أنّ تجديد الخطاب الديني « يبحث في كيفية التّهوض من واقعه الذي هو فيه ليخاطب الواقع الذي نحن فيه، و ذلك عبر سلوك طريقة جديدة لإيصال قيم الدين نفسه، فالتّجديد في الشّكل لا في المضمون؛ إذ أنّ مضمون ديننا لا يحتاج إلى تجديد.»<sup>(1)</sup>

فتجديد الخطاب الديني لا يعني هدم الموروث و إلغائه بل التّدقيق و التّحريض فيه لتتقيته من الشوائب، و عليه فالباحثون و المختصون مطالبون بايجاد الآليات الكفيلة لتجديد الخطاب الديني دون المساس بالأصل. ربّما فيما مضى كان الدّعاة و الباحثون يفتقرون للآليات المناسبة - مثلما هي مُتاحة اليوم - كما أنّ للزمن حُكمه فنحن اليوم في عصر التّطور و الإبتعاث، و لا ننسى كثير من العوامل التي أثّرت بشكل أو بآخر في الخطاب الديني فأدخلته متاهات كان في غنى عنها. لذا اليوم قد حان الوقت كي نُطوّر الخطاب الديني و نعمل على تجديده. و عليه يمكننا أن نطرح السؤال الآتي: ماذا نعني بتجديد الخطاب الديني؟

أرى من هذا المنظور ضرورة تجديد فهم الدّين، و تصحيح المفاهيم المغلوطة التي أدت و مازالت تؤدي للتّطرف الفكري. لذا وجب علينا تجاوز منهجية الخطاب الديني الكلاسيكية و البحث عن منهجية حديثة و مواكبة لمتطلبات العصر.

أمّا المقصود بتجديد الخطاب الديني « تشكيل صياغة و تشكيل العقل المسلم من خلال خطاب مستنير لياشر مهامه التّجديدية بوعي يميز بين الثوابت و المتغيرات، و يحاول إيجاد حلول عملية لما يطرحه علينا عصرنا من قضايا لم يعرفها ماضينا، حلول تكون مشبعة بالخلقية الإسلامية، و تكون قادرة على الدّفع بنا في طريق التّقدم، طريق مواكبة العصر و المساهمة في إنجازاته.»<sup>(2)</sup>

و لكن للأسف؛ تقريبا نجد أنّ أغلب الدّعوات إلى التّجديد أو ما يطلق عليها المشاريع الفكرية تريد إحداث قطيعة مع التّراث و التّخلي عنه جملة و تفصيلا و إخضاع النصّ الديني الإسلامي إلى مناهج غربية على غرار ما حدث في عصر النّهضة في أوروبا؛ حيث يمكننا تسمية هذا النّوع من الدّعوات بتيار المقلّدون حيث أنّهم تشبعوا بالثقافة الغربية و نظروا للإسلام من نفس نظرة الغربيين للمسيحية و النتيجة أو القناعة المتشكلة عندهم: الإسلام هو المسؤول عن التّخلف...<sup>(3)</sup>، بل أنّ هذا التيار « يتبنى و يردد آراء الغربيين و يجذب سلوكهم و مواقفهم، بما في ذلك موقفهم من الإسلام... و تحميل العقيدة الإسلامية مسؤولية الانحطاط و التّأخر، و فساد الحياة الإجتماعية و إعتبار الإسلام العقبة الأساسية و الوحيدة في سبيل التّطور و التّقدم العربي!»<sup>(4)</sup>

## 2. دوافع تجديد الخطاب الديني

<sup>1</sup> - ربيع حسن كوكبة، الخطاب الديني: واقع الخطاب و خطاب الواقع، مقال منشور بتاريخ 21 / 08 / 2017 على موقع الجماهير

[www.jmahir.alwehda.gov.sy](http://www.jmahir.alwehda.gov.sy)

<sup>2</sup> - محمد إبراهيم المنوفي، تجديد الخطاب الديني بين التنوير و التّزوير، الندوة العلمية السابعة عشر بقسم أصول التربية جامعة كفر الشيخ بعنوان التربية و تجديد الخطاب الديني الواقع و المأمول . 18 مارس 2015.

<sup>3</sup> - نعيمة ادريس، الحوار المسيحي الإسلامي بين المصادقية و التشكيك، ط [ ]، ( الجزائر، كنوز الحكمة، 2001م.)، ص 99.

<sup>4</sup> - العربي التبسي، مقالات في الدّعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع و تعليق: أحمد الرفاعي الشرفي، ط 1، (باتنة: الجزائر، دار الشهاب، 1984م.)، ص 10.



أ. **واقع الخطاب الديني المعاصر:** إنّ الخطاب الديني اليوم « لم يعد يواكب تطورات العصر؛ فلم يعد مستساغاً أن نعتمد منبر المسجد أو الحلقات الدراسية فقط في عرض مبادئ الدين ... فنحن بحاجة ماسة إلى صياغة أسلوب خطاب ديني لا يلتفت إلى الاختلاف بل يظهر و يوظف القيم و المبادئ الثابتة بين جميع أتباع المذاهب و يرفض الخطاب الداعي إلى التشدد الذي رأينا نتاجه في زمننا الذي نعيشه، فتلك النتائج هي التي أظهرت إرهاباً و تكفيراً و دماراً ... و إنّ الخطاب الديني الذي صدره المتشددون بعيداً عن منابع الإسلام الصافية الحقّة لم ينتج إلّا التطرف و كراهية الآخر و تكفيره»<sup>(1)</sup>

ب. **مواجهة التحديات المعاصرة**<sup>(2)</sup>: فهم الواقع المعاصر يقودنا حتماً إلى إدراك التحديات التي تواجهها مجتمعاتنا الإسلامية، و من ثمة معرفة كيفية مواجهه هذه المتغيرات و المستجدات و ذلك بوضع خطة عمل واضحة، تعمل بداية على تكوين و تأطير المكلفين و المخولين لهذا الخطاب وفق برنامج منهجي دقيق. و من أبرز ما تواجهه مجتمعاتنا الإسلامية ما يأتي:

- **العولمة: Globalization** « مفهوم و مصطلح انتشر في السنوات الأخيرة، فكرته الأساسية ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع و الخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال (الرأسمالية هي ديانة الإنسانية و أن النسبية الفكرية ستكون لها الغلبة على المطلقات الأيدلوجية)، أو في انتشار المعلومات و الأفكار و سرعة تدفقها، أو في تأثر أمة بقيم و عادات و تقاليد و قواعد غيرها من الأمم، و واكب انتشار العولمة الطريق السريع للمعلومات و السموات المفتوحة و انتشار الفضائيات و اتفافية الجات التي ألغيت الحواجز الجمركية بين الشعوب و الأمم و الحماية الفكرية للأعمال و الأفكار و المنتجات و سيطرة القيم الغربية الأمريكية على العالم فيما يخص أساساً الديمقراطية و حقوق الإنسان و المجتمع المدني، فالعولمة ما هي إلّا رسكلة العالم، و تتم السيطرة عليه في ظل هيمنة دول المركز و سيادة النظام العالمي الواحد و بالتالي إضعاف القوميات و إضعاف فكرة السيادة الوطنية و صياغة ثقافة عالمية واحدة تضمحل إلى جوارها الخصوصيات الثقافية و النمط السائد حالياً هو العولمة الأمريكية على غيرها من الإيدلوجيات.»<sup>(3)</sup>

- **الغزو الفكري:** يقصد بالغزو الفكري الغربي « إزالة مظاهر الحياة الإسلامية و صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، مما يتعلق بالعقيدة و ما يتصل بها من أفكار و تقاليد و أنماط سلوك.»<sup>(4)</sup>

إنّ ممكن قوّة المسلمين في دينهم، و لقد أدرك الغرب هذه الحقيقة فعملوا على هدم الإنتماء الإسلامي - إلّا التسمية - للمسلمين فكل ما نراه اليوم من نمط الحياة و السلوكيات الإجتماعية لدليل على تراجع المسلم في أخلاقه و تخليه عن قيمه إلّا القلة منهم، لذا قال لويس التاسع « بعد هزيمة حملته الصليبية ... إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده - فقد هزمتهم أمامهم في معركة السلاح - و لكن حاربوهم في عقيدتهم فهي ممكن القوّة فيهم.»<sup>(5)</sup> لذا فعقيدتنا صمام أمان لنا، و علينا أن نحافظ عليها و عدم الإنصياع لكل ما هو وارد من الضفة الأخرى و لا القابلية الإستعمار الفكري التي تحدث عنها مالك بن نبي و هي « مجموعة من المميزات

<sup>1</sup> - ربيع حسن كوكبة، الخطاب الديني: واقع الخطاب و خطاب الواقع، مقال منشور بتاريخ 21 / 08 / 2017 على موقع الجماهير

<sup>2</sup> - **العصرنة أو المعاصرة Modernization** العصرنة أو المعاصرة مفهوم يعني التقدم الإجتماعي و الإقتصادي لجميع القوميات لتناسب روح و فلسفة و علوم العصر الذي نعيشه، و لا بد من التوافق بين الإصالة و المعاصرة. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، مرجع سابق، ص 295.

<sup>3</sup> - اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية، مرجع سابق، ص 306، 307.

<sup>4</sup> - محمد قطب، واقفنا المعاصر، ط [ ]، (الجزائر، مكتبة رحاب، ت [ ]،) ص 195.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 196.

النفسية و الاجتماعية التي تجعل من أمة ما فريسة سهلة للغزاة المستعمرين»<sup>(1)</sup> « و هي بالنسبة لابن نبي، تنشأ في نفسية الفرد عندما يكون في وضعية قابلة لأي استغلال و هيمنة، فالمجتمع الإسلامي عاجز عن تحقيق نهضته ما دام أفرادها يتصفون بنوع من السلبية و اللامبالاة اتجاه مشكلات الواقع ...، و حالة الرضى بالواقع المتدهور و الأليم دون بذل الجهد لتغييره ...، كما أن القابلية للإستعمار تتجلى في ذلك الكسل العقلي و العملي الذي نواجه به مشكلات تتطلب الفعالية و الهمة العالية و النشاط الدائم، فلا يمكن لمجتمع يريد النهوض من كبوته أن يُهمل البحث العلمي و يعطل طاقات بشرية هائلة و يخدرها بمختلف أنواع التخدير أو يشغلها بمشكلات ثانوية عن مشكلاتها الجوهرية خوفا من ردود أفعالها غير المتوقعة... و يضاف إلى هذا وجه من أوجه القابلية للإستعمار و هو محاربة المجتمع لفضايا الأخلاق و نشر الرذيلة بين أفرادها.»<sup>(2)</sup>

### 3. شروط تجديد الخطاب الديني:

أ. إعمال العقل: و ذلك بالدعوة للإجتهد فديننا دين عقل كما جاء على لسان محمد عبده حيث يؤكد على أن « أصول الدين لا سبيل للإعتقاد بها إلا بالعقل، فبرهانها من العقل و هو ما تقرر بين المسلمين»<sup>(3)</sup> « فلهذا دعا محمد عبده و بكل قوة إلى فتح باب الإجتهد لأنه يرى أن ضعف المسلمين و انحلالهم يعود أولا و آخر إلى احتجاب نزعة العقل عندهم و ركونهم إلى التقليد و إغلاق باب الإجتهد، و الإقتصار على ما كان يردده السابقون من الفقهاء و المعلمين. و الإجتهد عنده مظهر من مظاهر استخدام العقل في الإسلام لأن من خلاله يستطيع المسلم و بوحى من دينه أن يكتف نفسه عبر فهمه لمسار حياته و لأن الإجتهد كما يقول محمد اقبال "هو أساس الحركة في الإسلام، بما هو دين يوفق بين الدوام و التغيير"»<sup>(4)</sup>

فالدعوة للإجتهد و التجديد مستمرة ففي كل عصر و قطر من أمتنا الإسلامية نجد من يدعو للتجديد و الإصلاح و النهوض بالأمة « و مناداة محمد عبده بالإجتهد تعني الفهم الجديد الذي يجب أن يعطى للقرآن و السنة لفهم مقاصدهما البعيدة و استخراج الأحكام بصورة تحقق للمسلم المعاصر كرامته و حرته التي كفلها الشرع الإسلامي ... و هو اجتهد يحاول فيه ايجاد صياغات جديدة تتلائم و العصر الحاضر.»<sup>(5)</sup>

ب. مواكبة العصر: « نجد من بين الآراء من تحتم تحديث التفكير الديني حتى يتلائم مع العصر، و هو طريق محفوظ بالمخاطر و المزالق، لكن لا تنفع فيه الخطابة الفارغة و لا كمّ الأقواه و منع مواجهة الآراء المختلفة بعضها بعضا.»<sup>(6)</sup> و هؤلاء هم « المصلحون تيار يعتقد الإسلام و يؤمن بقدراته، لكن يؤمن بضرورة للتطور و التحديث، لأنه فعلا يحمل المقومات التي تؤهله لمجابهة التحديات و بالتالي يجب اخضاع الموروث الإسلامي للدراسة وفق المناهج الحديثة و تحية ما يعيقه، و الإبقاء على ما ينفع فقط و العمل على جعل

1- SNED, Alger, 1982, Mostafa Bentefnouchet, La Culture En Algérie Mythe Et Réalité, P 133.

نقلا عن: لوزية لعميري، "نظرية الثقافة عند مالك بن نبي"، (ماجستير، قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الآداب و اللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2014م.)، ص 58.

2- لوزية لعميري، "نظرية الثقافة عند مالك بن نبي"، (ماجستير، قسم اللغة و الأدب العربي، كلية الآداب و اللغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2014م.)، ص 58، 59.

3- محمد عبده، رسالة التوحيد، ( القاهرة، شركة الأمل للطباعة و النشر، 1997م.)، ص 357.

4- بلقاسم شتوان، تحرير العقل عند الإمام محمد عبده، مجلة الدراسات العقديّة و مقارنة الأديان، مخبر البحث في الدراسات العقديّة و مقارنة الأديان بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة- الجزائر، العدد 4، 2008م، ص 327.

5- بلقاسم شتوان، تحرير العقل عند الإمام محمد عبده، مرجع سابق، ص 327.

6- نعيمة ادريس، الحوار المسيحي الإسلامي بين المصادقية و التشكيك، مرجع سابق، ص 99.

الإسلام يساير العصر دون أن يفقد مقوماته طبعاً. (1) إلا أن هذا التيار يواجه عقبة المناوئين للتجديد باعتبار أن تجديد الخطاب الديني « مؤامرة جديدة ضد الإسلام تهدف إلى تحطيمه من الداخل باستخدام أبنائه في ذلك، و رأى الحل في التمسك برأي السلف الصالح كسبيل للنجاة. (2) إلا أنني أرى أن هذا التيار هو تكريس للجمود الفكري و الإنغلاق و التقوقع حول الذات، و لا يستجيب لمتطلبات الواقع في حين نجد « أن تجديد الخطاب الديني لن يكون مجدياً ما لم يعاد النظر في التعاطي مع النصوص الدينية - قرآناً و سنة - كماذة مقدسة تشكل بوابة الإصلاح لكل زمان و مكان فهي تجاري الواقع و تُوجد حلولاً لمشكلاته. (3) و هذا ما يطلق عليه الجمع بين الأصالة و المعاصرة « أي الإلتزام بقاعدة الثابت و المتغير في الإسلام، فلا يجوز الإخلال - بالنصوص الثابتة، فالفكر الإسلامي له مصادره و ضوابطه و قيوده، لا تتجاوز برأي و لا يناقضها اجتهاد، فيؤدى العقل البشرى دوره المشروع في التفكير، و يضيف الجديد من آرائه و تصوراته في ذلك وفق معايير و أصول تضبط حركة النمو، و تحقق التلاحم بين الفكر و الإنسان، و يدخل في هذا الضابط عدم إغفال ما أتى به السابقون و اللاحقون، فمن رام التجديد فلا يجوز له أن يتجاوز جهود السابقين بما يخدم العصر، فلا يمنعه أنه ابن عصره أن يعتمد على ما جاء به الأوائل و ما بحثه الأقران و المحدثون، بل إن الجمع بين ما هو أصيل و معاصر هو حلية التجديد و زينته، و ميزة هذا الجمع الاتصال بين الماضي و الحاضر، و مراعاة مراحل التدرج و التطور للأفكار و النظريات، و معرفة سمات كل مرحلة. (4) - تحسين و تطوير أسلوب الخطاب الديني و ذلك يتطلب « الفهم المعمق للحياة الإجتماعية و مشاكلها و قضاياها، و القدرة على التمييز بين مستويات الناس و عدم تجاهل الفوارق العقلية و الإجتماعية و غيرها. (5) إذن على المشتغلين في حقل تجديد الخطاب الديني وضع حدود لهذا الخطاب وفق قيمنا الإسلامية المستمدة من الكتاب و السنة و عدم الخضوع لتيارات فكرية مذهبية معينة و عدم المساس بركائز الدين: كما تحدث عنها محمد عمارة (6):

\* مبادئ الإسلام، كما تمثلت في منابعه الجوهرية و النقية، البلاغ القرآني، و البيان النبوي للقرآن الكريم، كما تمثل في السنة النبوية الثابتة.

\* و ثوابت التراث العربي الإسلامي، التي تمثلت سمات الهوية الحضارية للأمة، و التي حفظت لأجيالها تواصلها الحضاري و وحدتها كأمة، عبر الزمان و المكان.

\* و كل ما أبدعه العقل الإنساني، في مختلف الحضارات، مما هو "ابن الدليل" كما تمثل في الحقائق و القوانين التي تمثلت و تمثل العلوم التي لا تتغير موضوعاتها بتغير الحضارات و المعتقدات .. أي العلوم الموضوعية المحايدة، التي هي "مشترك إنساني عام" متميز عن "العلوم الإنسانية" .. و منها الثقافة .. التي تدخل في الخصوصيات التي تتمايز فيها الحضارات ..

1- المرجع نفسه، ص 99.

2- المرجع نفسه، ص 99.

3- ربيع حسن كوكبة، الخطاب الديني: واقع الخطاب و خطاب الواقع، مرجع سابق.

4- إبراهيم الكنانى و آخرون: تجديد الفكر الإسلامي، (السعودية، مركز الثقافة العربية، 2006 م.)، ص 25، نقلاً عن: محمد عبد العاطي سلامة أبوكمون، بعض المتطلبات التربوية لتجديد الخطاب الديني في ضوء التحولات العالمية المعاصرة، المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث، جامعة كفر الشيخ، العدد 6، 2016م، ص 2، ص 92، 93.

5- العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 16.

6- محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، (القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990م.)، ص 71، 72.

و كذلك عصرنة الخطاب الديني وفق آليات معاصرة و الحفاظ على الهوية الإسلامية و التأقلم مع مستجدات العصر و بذلك يكون « مشروعا تجديديا لا يقيم قطيعة مع التراث، و إنما يتجاوز المتخلف منه، ذلك الذي تجاوزه التطور .. و لا يقيم قطيعة مع الحضارات الأخرى، و إنما يميّز في عطائها بين "المشترك الإنساني العام" و بين "الخصوصيات" التي تتميز بها تلك الحضارات .. و لا يدير ظهره للواقع - حاضرا و مستقبلا - فيهجره إلى الماضي - كما فعل تيار التقليد للموروث - أو إلى "الأخر الحضاري" - كما فعل تيار التغيير - ... و استلهام الموروث، و الإستعانة بالوافت الملائم، كمنطلقات لإبداع جديد للواقع العربي الإسلامي الجديد .. فالإبداع هو الهدف و الأساس و السبيل إلى الإحياء و التجديد.»<sup>(1)</sup>

#### 4. مسؤولية المؤسسات التعليمية في تطوير الخطاب الديني

##### أ. مفهوم المؤسسات التعليمية:

« هي عبارة عن مكان أو موقع يتم فيه اللقاء فئات مجتمعية مختلفة الأعمار، و يتم فيها تعليمهم و تزويدهم بالكثير من المعلومات المختلفة حسب نوع هذه المؤسسة التعليمية، و تتكون هذه المؤسسة التعليمية من أعضاء الهيئة التدريسية أو المعلمون، و الطلاب، و أولياء الأمور، و الهيئات الإدارية فيها، و يقوم الطلاب بالبقاء في هذه المؤسسة لتلقي العلم لفترات زمنية معينة، تعتمد هذه الفترة أيضاً على نوع المؤسسة التعليمية، فهناك العديد من أنواع المؤسسات التعليمية مثل رياض الأطفال، و المدارس، و المعاهد، و الكليات، و الجامعات.»<sup>(2)</sup>

إذن المؤسسات التعليمية هي سلطة معرفية، و ملتقى طالبي العلم و المعرفة و من يقومون بتلقين العلوم على اختلافها و تنوعها.

##### ب. أهمية المؤسسة التعليمية:

« للمؤسسات التعليمية أهمية كبيرة حيث أنها تؤثر في الطالب، و قد تعمل على تغيير سلوكياته و أفكاره المختلفة، و تعمل كذلك على تلبية حاجاتهم التربوية و التعليمية، و من أهمية المؤسسة التعليمية ما يلي:

- المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية، و تلقين العلم و المعرفة و تقوم أيضا المؤسسات التعليمية بتقويم سلوك الفرد... ، و ترسيخ أخلاقيات الدين الإسلامي.
- تفتح عقليّة الطالب، و حرصه على تعلم كل ما هو جديد للوصول إلى المستوى المطلوب من التطور و التقدم العلمي و التكنولوجي.
- زيادة الثقافة العامة لدى الطلاب، من خلال زيادة حرصهم على قراءة الكتب، و تمدهم بالمهارات الأساسية للتكيف و العيش مع البيئات الاجتماعية المختلفة.
- تُساعد الطالب على تحمّل المسؤولية، و وضع أهدافه الخاصة بالحياة.
- تقوم المدارس بتأسيس الطالب و تهيئته للدراسة الجامعية، و التي تعمل على تكوين و ترسيخ معلومات في مجال محدد يقوم الطالب باختياره في بداية دراسته الجامعية.

ت. مسؤولية و دور المؤسسات التعليمية: بما أنّ هذه المؤسسات تحوي على أفراد يمثلون النخبة من المتعلمين و المفكرين فهم أقدر على التفكير في حال الأمة و النهوض بها لأنّ؛ « الأفراد أقدر على الصبر من الجماعات... لأنّ الرؤية عندهم أكثر وضوحا و أقوى من الجماعات»<sup>(3)</sup>

1- محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 72، 73.

2- هبة كامل، تعريف المؤسسة التعليمية، مقال منشور بتاريخ 25 يناير 2016، على موقع [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)

3- محمود الخالدي، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، (الجزائر، شركة الشهاب، 1989م)، ص 40.

و لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف يمكن للمؤسسات التعليمية أن تنتج خطاب ديني معتدل مواكب للعصر و يساهم في حل قضايا و مشاكل الشعوب؟

بداية سنتحدث عن مسؤولية المؤسسات التعليمية تجاه المجتمع؛ حيث تكمن هذه المسؤولية في بيان الرؤية الإسلامية الصحيحة و دحض الخلفيات أو الأفكار المغلوطة و الناتجة عن الفهم الخاطئ للإسلام و تعاليمه. و كذلك الدعوة إلى توشي الحيطه و الحذر من الخطابات الدينية المتطرفة و بيان جهاتها لتوعية و تعريف المجتمع بها للمحافظة على الأمن القومي، كذلك التصدي بكل قوة للخطابات الدينية الداعية للعنف و التكفير و التطرف و التي تشوه صورة الإسلام و تقدمه على أساس أنه دين عنف و ارهاب.

و الأهم من كل ذلك الإستمرارية في تجديد الخطاب الديني بمعنى « التربية و التكوين المستمر، أو بناء الإنسان إسلاميا و رعايته،...، ذلك أن بقاء الإسلام عقيدة و سلوكا - مرهون بالدعوة و الإستمرارية.»<sup>(1)</sup>

كما أنه للمؤسسات التعليمية دور كبير في توجيه المجتمع و ذلك بتقديم خطاب نهضوي للأمة، فعلى المشتغلين بالخطاب الديني داخل المؤسسات التعليمية أن تعد برامج و تنتهج أساليب تتماشى و الواقع المعاصر و تحدياته، و هذا ما يوجب التمكن و التحكم في مفردات عصرنا من تقنيات و أساليب تلقين حديثة تتميز بالسرعة و الدقة.

و كذلك على المؤسسات التعليمية العمل على تعزيز السلوكيات الإيجابية و تصويبها و كذلك نشر القيم الأخلاقية و الإنسانية في المجتمع و هي من أساسيات ديننا الحنيف، اقامة دورات علمية و تعليمية حول مستجدات العصر، و توزيع منشورات للتحفيز و بيان مدى توافق الواقع مع صيغة الخطاب الديني.

أيضا على المؤسسات التعليمية التخطيط و التنسيق فيما بينها من أجل التبادل المعرفي و الإتفاق على صيغة موحدة للخطاب الديني لإستئارة المجتمع و الخروج به من دائرة التقليد و الركود إلى بر الإبداع و الإجتهد و أريحية العيش.

<sup>1</sup> - العربي التبسي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، مرجع سابق، ص 13.

#### خاتمة:

و في نهاية هذا البحث أتمنى الرقي و الإزدهار لأمتنا الإسلامية؛ لأنّ ديننا كلّه رقي و نور، و أن نعود لسابق عهدنا لأنّه لنا من المؤهلات ما يكفي، و لا نريد أن تبقى الدّعوة إلى تجديد الخطاب الديني حبيسة المؤتمرات و الندوات و أن تكون مجرد أفكار و مقترحات على الورق، بل أن تجسد على أرض الواقع و أن تجد الدّعم الكافي و المساندة الفعّالة من الجهات المعنية و أن تُدحض كل العراقل و المعوقات، و المطبات التي تعترى كل محاولة لتجديد الخطاب الديني.

#### نتائج و توصيات:

- الوصول إلى خطاب ديني حقيقي تتجسد ملامحه في الميدان، و يأخذ بالمجتمع الإسلامي إلى بر الأمان و العيش بسلام.
- إنشاء مراكز متخصصة تعمل على التّحديث الدائم للخطاب الديني كلّما اقتضت الضرورة، و كذلك الجاهزية التّامة لأيّ مستجد.
- إننا نعيش في محيط متعدد الخلفيات الفكرية و الأزمات و الصّراعات و آفات الإرهاب المقيت كلها مخاطر تدفعنا جميعا إلى اليقظة و الحذر، و التجند للحفاظ على سلامة أمتنا الإسلامية.
- تحصين المجتمعات العربية الإسلامية من المخاطر الخارجية، مما يتطلب إستعداد شعبي مسلح بروح الهوية الإسلامية و مشبع بالحرص على صون ديننا الحنيف.
- إنّ العمل على تجديد الخطاب الديني هو مساهمة ثمينة في إرشاد المجتمع لتقويم الأمور و درء المخاطر الوافدة إليه من الخارج.

### قائمة المصادر و المراجع

1. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط [ ]، (بيروت، دار صادر، ت [ ])، ج3.
2. محمد الطاهر بن عاشور، تحقيقات و أنظار في الكتاب و السنة، (تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1985م).
3. محمد إبراهيم المنوفي: تجديد الخطاب الديني بين التنوير و التزوير، الندوة العلمية السابعة عشر بقسم أصول التربية جامعة كفر الشيخ بعنوان: التربية و تجديد الخطاب الديني الواقع و المأمول، 18 مارس 2015
4. نعيمة ادريس، الحوار المسيحي الإسلامي بين المصادقية و التشكيك، (الجزائر، كنوز الحكمة، 2001م).
5. محمود الخالدي، التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، (الجزائر، شركة الشهاب، 1989م).
6. العربي التبسي، مقالات في الدّعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع و تعليق: أحمد الرفاعي الشرفي، ط1، (باتنة: الجزائر، دار الشهاب، 1984م).
7. بلقاسم شتوان، تحرير العقل عند الإمام محمد عبده، مجلة الدراسات العقديّة و مقارنة الأديان، مخبر البحث في الدراسات العقديّة و مقارنة الأديان بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة- الجزائر، العدد 4، 2008م.
8. هبة كامل، تعريف المؤسسة التعليمية، مقال منشور بتاريخ 25 يناير 2016، على موقع [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com)
9. ربيع حسن كوكبة، الخطاب الديني: واقع الخطاب و خطاب الواقع، مقال منشور بتاريخ 21 /08 /2017 على موقع الجماهير [www.jmahir.alwehda.gov.sy](http://www.jmahir.alwehda.gov.sy)
10. محمد عبد العاطي سلامة أبوكمون، بعض المتطلبات التربوية لتجديد الخطاب الديني في ضوء التحولات العالمية المعاصرة، المجلة العربية للعلوم و نشر الأبحاث، جامعة كفر الشيخ، العدد 6، 2016م، م2،
11. يوسف القرضاوي، من أجل صحوة راشدة تجديد الدين و تنهض بالدينا، (بيروت، 1998 م).
12. أحلام مطالقة و آخرون، تجديد أهداف الدراسات الإسلامية في ضوء التحولات العالمية المعاصرة، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، جامعة اليرموك الأردن، العدد 28، 2014م، م 5.
13. محمد عبده، رسالة التوحيد، (القاهرة، شركة الأمل للطباعة و النشر، 1997م).
14. محمد قطب، واقعا المعاصر، ط [ ]، (الجزائر، مكتبة رحاب، ت [ ]).
15. محمد عمارة، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، (القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر، 1990م).
16. لويزة لعميري، "نظرية الثقافة عند مالك بن نبي"، (ماجستير، قسم اللّغة و الأدب العربي، كلية الآداب و اللّغات، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2014م).
17. دور الخطاب الديني المعتدل في تحقيق التغيير الاجتماعي، مقال منشور بتاريخ 23 تموز 2017م على موقع شبكة النّبأ المعلوماتية. [www.annabaa.org](http://www.annabaa.org)



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية وتدريبها

إعداد

أ.سمية بنت سالم بن سليمان الريامية د. ميمونة بنت درويش بن الحاج الزدجالية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م



## ملخص:

هدف هذا البحث إلى التعرف على دور شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في تجديد الخطاب الديني، ولتحقيق هذا الهدف اطلعت الباحثة على مجموعة من الدراسات السابقة التي تتعلق بفاعلية شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت حيث ظهرت في الأونة الأخيرة إقبال الدعاة والخطباء على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في نشر الخطابات الدينية والدعوة إلى الإسلام. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وسعت الدراسة للإجابة على السؤال الرئيس الآتي: ألا وهو: كيف يمكن توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية وتربيتها؟

وقد قامت الباحثة بتوضيح ذلك عن طريق طرح أمثلة عملية لتوظيف شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية وتربيتها ومنها توظيف الفيس بوك وتويتر والإنستقرام واليوتيوب في تدريس التربية الإسلامية. وقدمت الباحثة مجموعة من التوصيات أهمها: ضرورة الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في خدمة التربية الإسلامية وتربيتها لماله من أثر كبير في نشر الخطاب الديني لدى فئة الطلبة، والاستفادة منها في نهضة الأمة ورفع شأن المجتمع ونشر القيم والأخلاق الحسنة خاصة في وقتنا المعاصر الذي انتشرت به الشائعات، والمغريات.

الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، التربية الإسلامية.

## مقدمة

الحمد لله الذي من علينا برسالة الإسلام وبعث سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لدعوة الناس كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة: 2)، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125) من هنا ندرك أهمية الدعوة إلى الله .

كما نعلم أن الخطاب الديني جاء عالمي ولجميع البشر أي للناس كافة، وليس لفئة معينة من الناس، ودون تفریق على أساس الجنس أو اللون أو غيره، كما يقول الله عزوجل في محكم تنزيله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)

ولقد ظهر في الأونة من ينادي بضرورة الإهتمام بتجديد الخطاب الديني، والإسراع بمراجعة جذرية وشاملة وعميقة للطرق والأساليب والصيغ والمناهج التي تعتمد في مجال تبليغ مبادئ الإسلام وأحكامه وتوجيهاته ومقاصد شريعته إلى الناس كافة.(اليحياوي، 2015)

وما دام هناك حاجة ماسة للتجديد والتطوير فكان لابد من مواكبة العصر بما يتناسب مع العقيدة الإسلامية؛ من هنا جاءت أهمية البحث عن دور شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في تجديد الخطاب الديني.

## دور شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في تجديد الخطاب الديني

تعد مواقع التواصل الاجتماعي ظاهرة إعلامية بارزة في وقتنا الحالي؛ إذ تستقطب عددا كبيرا من فئات المجتمع وخاصة فئة الشباب حيث يعتبرون الفئة الأكثر تأثرا على المجتمعات بما يملكونه من طاقات والقابلية على التغيير.(العقلة، 2017)

لذا لابد أن ينحو الخطاب الديني منحى جديدا في ضوء ذلك.

وإن الكلمة تقال الآن فتتقل عبر وسائل الإعلام في لحظات إلى أطراف الكرة الأرضية فيسمعها المسلم وغير المسلم في شتى أرجاء العالم وبالتالي يرى هل هي مناسبة له أم لا؟! وهل المتكلم يخاطب فكر الإنسان وعقله أم لا يزال يعيش في دائرة محدودة لا تتسع إلا له وأهل منطقته. (هلال، عبد الغفار حامد، 2015)

ونحن الآن نعيش في عصر لا بد على الداعية المسلم أن يراعي فيه المتغيرات الحاصلة ويرى ما يناسبهم ويحدثهم بلسان الآن، وأن يستغل شبكات التواصل المعروفة كتويتر، الفيس بوك، اليوتيوب ومواقع الإنترنت في نشر الدعوة الإسلامية ومناقشة الناس حول القضايا التي تهمهم علمياً، وثقافياً، وعلى الداعية أن يتسم بروح المحاور فلا يقوم بتكفير الناس أو وصفهم بصفات بذئية. بالتالي يستخدم شبكات التواصل بطريقة صحيحة، وضرورة الاستفادة من التقنيات الحديثة في مجال التواصل والإتصال وبخاصة القنوات الفضائية والشبكة العالمية، والإنترنت؛ وذلك لتيسير إيصال الخطاب الإسلامي إلى الناس جميعاً على اختلاف مستوياتهم. (الخطيب، محمد علي، 2005)

وقد حضر الدين على الشبكة العنكبوتية منذ بداياتها، وساهم الأفراد في إنشاء مواقع وصفحات لها لإبراز رسالتها، والدعوة إلى عقيدتها، والرد على مخالفيها. وأفادت غالبية الحركات الإسلامية المتطرفة من الإنترنت؛ وذلك لحاجتها لتعبير عن نشاطها الديني والسياسي، بعيداً عن الرقابة الحكومية المباشرة، مما أتاح لها هامشاً من التحرك تمكنت من خلالها من نقل الأفكار.

في حين تراخت المؤسسات الإسلامية المعتدلة. بسبب توافر قنوات بديلة لها، عن إيصال رسالتها، وربما أيضاً بسبب عدم استيعاب بعض قياداتها للقوة الكامنة في الوجود على الإنترنت، وعلى الرغم من ذلك كان الحضور الإيجابي والبناء لممثلي الإسلام المعتدل على الشبكة العالمية. (مركز المسبار للدراسات والبحوث، 2015)

هناك من المفتين والدعاة ممن يدعون إلى ضرورة إستيعاب الشباب والإهتمام بقضاياهم باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة للوصول إليهم واستهدافهم من خلال خطط تجديد الخطاب الديني. (البحيري، 2015) وكذلك حث بعض وزراء الدول الأئمة والدعاة على فتح حسابات على صفحات التواصل الاجتماعي عبر الإنترنت. مثل تويتر والفيس بوك وهو ما يعرف بالإعلام الجديد ويؤدي إلى التطور والإنتشار. لا سيما "الفيسبوك" الذي يعد أكثر إنتشاراً من "تويتر" في العالم العربي. لذلك يجب عليهم إستغلالهما أحسن إستغلال في مجال الدعوة. (بوهوس، 2018)

إذن تمثل شبكات التواصل الاجتماعي دوراً مهماً في حياتنا حيث أصبح من السهل نقل المعلومات وإرسالها بكل سهولة ويسر وبسرعة. ونظراً لأهمية شبكات التواصل الاجتماعي، أجريت العديد من البحوث والدراسات التربوية في هذا المجال، كدراسة مجازي (2015) التي هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج إرشادي إلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي في تحسين مستوى الذكاء الإنفعالي لدى عينة من طالبات جامعة الأقصى، وتكونت العينة من 22 طالبة من كلية التربية بجامعة الأقصى، وتوصلت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات عينة الدراسة على الدرجة الكلية وأبعاد مقياس الذكاء الإنفعالي في القياسين القبلي والبعدي، والقياسين البعدي والتابعي مما يؤكد على فاعلية البرنامج الإرشادي الإلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي المستخدم في تحسين الذكاء الإنفعالي لدى طالبات جامعة القدس. ودراسة الحصان (2015) التي هدفت إلى تشخيص واقع توظيف شبكات التواصل الاجتماعي لدى معلمات العلوم للمرحلة المتوسطة، وتقديم تصور مقترح في تعليم وتعلم العلوم، وتكونت من 60 معلمة من معلمات العلوم في المرحلة المتوسطة، وتوصلت نتائج الدراسة أن واقع توظيف معلمات العلوم في المرحلة المتوسطة لشبكات التواصل الاجتماعي في تعليم وتعلم العلوم متدنية، كما توصلت إلى أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات معلمات المرحلة المتوسطة عينة الدراسة على مدى توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في تعليم وتعلم العلوم. ودراسة منصور (2017) التي هدفت إلى التعرف على مستويات ودوافع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى الشباب الجامعي، وتكونت عينة الدراسة

من 200 طالبة وطالبة من جامعة الملك سعود وصنعاء، وأشارت النتائج بعدم قبول الفرض الأول القائل بأن متغير استقرار المجتمع يؤثر على درجة اعتماد الطلاب على شبكة التواصل الاجتماعي كمصدر إخباري أو تعليمي، وإلى قبول جزئي للفرض الثاني بأن متغير تأثير استقرار المجتمع يؤثر على متغير تأثيرات الاعتماد على شبكات التواصل الاجتماعي معرفياً ووجدانياً وسلوكياً؛ إذ كانت الفروق كانت جوهرية بين طلاب الجامعتين في التأثيرات المعرفية والوجدانية. ولم تكن جوهرية في التأثيرات السلوكية. أما نتيجة الفرض الثالث فلم تكن المتغيرات الديموغرافية مؤثرة إلا في حالات محدودة، من متغيرات الاعتماد على الشبكات كمصدر تعليمي وإخباري. و دراسة الشهري (2018) التي هدفت إلى معرفة أثر توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية المهارات الحياتية لدى طلاب المرحلة الثانوية من وجهة نظر الطلاب والمعلمين، وتكونت عينة الدراسة من 375 معلم ممن يعملون ممن يدرسون المرحلة الثانوية التابعة لإدارة التربية والتعليم بمدينة الرياض تم اختيارهم بطريقة عشوائية وفي حين كانت عينة الطلبة مكونة من 954 طالباً، ومن نتائج الدراسة جاءت استجابات أفراد عيني الدراسة من المعلمين والطلاب، على "واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية المهارات الحياتية لدى طلاب المرحلة الثانوية" بمتوسط عام يشير إلى خيار (موافق) على أداة الدراسة، وجاءت استجابات أفراد عيني الدراسة من المعلمين والطلاب، على "المعوقات التي تواجه طلاب المرحلة الثانوية عند استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية المهارات الحياتية" بمتوسط عام يشير إلى خيار (موافق) على أداة الدراسة، أما استجابات أفراد عينة الدراسة، على "سبل تفعيل شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية المهارات الحياتية لطلاب المرحلة الثانوية" بمتوسط عام يشير إلى خيار (موافق بشدة) على أداة الدراسة.

#### إيجابيات شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الأنترنت:

- أدى إلى خلق عالم إفتراضي أسهم في حدوث نوع من الديمقراطية حرية الرأي والتشاور عبر عدة آليات من بينها الدردشة وتعليقات القراء ومنشوراتهم التي تتيح للمستخدمين الإندماج في القضايا والتعبير عن آرائهم.(نوشي؛ الربيعي، 2017)
  - تسمح بتبادل الخبرات والأفكار والنشاطات والقيم، والإهتمامات في إطار شبكاتهم الشخصية.(الزبون؛ ملحم؛ العواملة، 2017)
  - إمكانية التواصل مع العالم الخارجي، وطرح الأفكار والقضايا المتعلقة بالأمور الحياتية والمعاصرة ومعالجتها، وتبادل الأفكار.
  - القيام بالأنشطة المختلفة التي تساهم في التقرب من الآخرين، والتواصل معهم.
  - عرض المشاريع والتجارب والإبداعات التي تساهم في خدمة المجتمعات ونموها وإزدهارها.
- معيقات شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الأنترنت في تجديد الخطاب الديني**
- قلة مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي من الدعاة والخطباء.
  - ضعف البنية التحتية، وهو ضعف في الأنترنت لدى بعض الدول.
  - ضعف الإمكانيات وتوفير الأجهزة.
  - زيادة الأعباء وقلة الوقت.
  - وجود سلبيات عند استخدام شبكات التواصل منها:
    - 1- عدم وجود الرقابة، وإنعدام المسؤولية لدى البعض.
    - 2- انتشار الشائعات والمبالغة في نقل الأمور.

### 3- عدم الإحترام في بعض المناقشات (العبيدي، 2018).

ويتضح مما سبق أن الدراسات السابقة أكدت جميعها على أهمية توظيف شبكات التواصل الاجتماعي، وأن مجال توظيف توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في تدريس التربية الإسلامية لا يزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات، لذلك واستجابة لتوصيات بعض الدراسات السابقة التي أوصت بإجراء مزيد من الدراسات في مجال توظيف شبكات التواصل الاجتماعي وفي تخصصات جديدة لم يتم التطرق إليها من قبل؛ لذلك جاءت هذه الدراسة للكشف عن مدى توظيف توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في تدريس التربية الإسلامية بسلطنة عمان. وهي الأولى من نوعها في سلطنة عمان على حد علم الباحثان .

#### مشكلة البحث:

كما أننا نعلم أن الخطاب الديني جاء عالمي ولجميع البشر أي للناس كافة، وليس لفئة معينة من الناس، ودون تفريق على أساس الجنس أو اللون أو غيره، كما يقول الله عزوجل في محكم تنزيله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) سورة الأنبياء، الآية: 107

ولقد ظهر في الآونة من ينادي بضرورة الإهتمام بتجديد الخطاب الديني، والإسراع بمراجعة جذرية وشاملة وعميقة للطرق والأساليب والصيغ والمناهج التي تعتمد في مجال تبليغ مبادئ الإسلام وأحكامه وتوجيهاته ومقاصد شريعته إلى الناس كافة.(اليحياوي، 2015)

وما دام هناك حاجة ماسة للتجديد والتطوير فكان لابد من مواكبة العصر بما يتناسب مع العقيدة الإسلامية؛ من هنا جاءت أهمية البحث عن دور شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في تجديد الخطاب الديني. ويمكن تحديد مشكلة البحث الحالي في الاجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

كيف يمكن توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية وتدريسها؟

#### أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على دور شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في تجديد الخطاب الديني، وولتحقيق هذا الهدف اطلعت الباحثان على مجموعة من الدراسات السابقة التي تتعلق بتجديد الخطاب الديني حيث ظهرت في الآونة الأخيرة إقبال الدعاة والخطباء على استخدام شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في نشر الخطابات الدينية والدعوة إلى الإسلام.

#### أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث من أهمية الموضوع المرتبط به وتتمثل هذه الأهمية في بيان دور الشبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في خدمة التربية الإسلامية وتدريسها فبالبحث والدراسة نجد أن البحث الحالي قدم نماذج عملية لكيفية الاستفادة من مواقع التواصل الاجتماعي لتدريس التربية الإسلامية كجانب مهم في تجديد الخطاب الديني من خلال مناهج التربية الإسلامية.

#### التعريفات الإجرائية لمصطلحات البحث

فيما يأتي تعريفا إجرائيا لأهم المصطلحات الواردة في البحث الحالي:

#### مواقع التواصل الاجتماعي: (Social networking)

هي منظومة إلكترونية تشمل تطبيقات متعددة منها الانستقرام، تويتر، الفيس بوك، واليوتيوب وغيرها التي تساعد على إنشاء حسابات شخصية أو تعليمية ثم الاستفادة منها في نشر العلم والخبرات والمناقشات والتجارب وتبادل الآراء ومما يؤدي إلى خدمة العملية التدريسية.

### التربية الإسلامية: (Islamic Education)

هي تنشئة وتكوين إنسان مسلم متكامل من جميع نواحيه المختلفة من الناحية الصحيحة والعقلية والأعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية، في جميع مراحل نموه، في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام وفي ضوء الأساليب وطرق التربية التي بينهما.

#### منهجية البحث

في ضوء موضوع البحث، استخدمت الباحثتان المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على جمع البيانات، ثم تصنيفها وتحليلها، واستخراج النتائج منها لملائمته لطبيعة هذا البحث.

#### نتائج البحث

للإجابة عن سؤال البحث والذي نص على: كيف يمكن توظيف شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الانترنت في خدمة التربية الإسلامية وتدريسها؟

قامت الباحثتان بالإجابة عن هذا السؤال عن طريق تقديم نماذج عملية من تطبيقات الباحثتان لشبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية وتدريسها، كما يأتي:

#### أولاً: توظيف الفيس بوك: Facebook.com

يعتبر واحد من أهم مواقع التواصل الاجتماعي وهو يمثل قاعدة تكنولوجية سهلة بإمكان أي شخص أن يفعل بواسطتها ما يشاء، ويتكون الموقع من مجموعة من الشبكات تتألف من مجموعة من الأعضاء، وتصنف المجموعة على أساس الأقليم أو الجامعة أو المدرسة (المدني، 2015)

وقامت الباحثتان بتوظيف الفيس بوك في التعليم

وهنا نموذج من التطبيق

المدرسة المطبق فيها سلمى بنت قيس للتعليم الأساسي (12-5) ولاية العوabi

المعلم المشرف المنفذ للمشروع بالمدرسة: سمية الريامية - معلمة تربية اسلامية

الصف الدراسي المستهدف : الصف العاشر

المادة الدارسية المطبق فيها المشروع: مادة التربية الاسلامية

عنوان الصفحة

[http://www.facebook.com/groups/425660480835139/476678885733298/?notif\\_t=group\\_activity](http://www.facebook.com/groups/425660480835139/476678885733298/?notif_t=group_activity)

- عدد أعضاء المجموعة: 30

صورة من تفاعل الطالبات على مجموعة لتعلو الهمم على الفيس بوك

#### ثانياً: تويتر (Twitter)

هو أداة محادثة تسمح لك بإرسال واستقبال رسائل قصيرة وتسمى (Tweet) في إطار مجتمع تويتر الخاص بك، كما أنه موقع شبكات اجتماعية ظهر في أواخر عام 2006م يقدم خدمة تدوين مصغر والتي تسمح لمستخدميه بإرسال تغريدات بحد أقصى 140 حرفاً للرسالة الواحدة والتي قام الموقع بزيادتها إلى 280 حرف في العام 2017م (العتيبي، 2018).

توظيف تويتر في التعليم

- يقوم المعلم بإنشاء حساب له على تويتر .

- يقوم المعلم بعرض حسابه على السبورة أو ارساله للطلاب عبر عناوين البريد الإلكتروني الخاصة بطلابه.

- يقوم الطلاب بمتابعة المعلم عبر حسابه (Follow).
  - يقوم المعلم بمتابعة طلابه بعد أن تظهر لديه اشارات (mention) تفيد بمتابعتهم له.
  - يقوم الطلاب بإرسال رسائل مباشرة خاصة (Direct Messages) للمعلم لتأكيد متابعتهم له كون الرسائل الخاصة متاحة فقط لمن يتابعك وتتابعه على تويتر.
  - يقوم كل معلم بإنشاء قائمة (List) لكل صف أو فصل أو شعبة يقوم بتدريسها وتضم القائمة عناوين حسابات طلابه ليسهل متابعة كل التغريدات التي ينشرها طلابه في القائمة (الشعبة/الفصل/الصف).
  - يقوم كل طالب بإنشاء قائمة لكل مادة ليسهل عليه متابعة التغريدات التي تخص كل مادة - يقوم كل معلم مادة بإنشاء/هاشاق خاص به متبوعا بإسم الصف أو الفصل أو الشعبة (#علوم\_5 = مادة العلوم للصف الخامس أ، #رياضيات\_9ب = مادة الرياضيات للصف التاسع ب ، #تقنية\_معلومات\_11ج ، #تاريخ\_10هـ ، #مهارات\_حياتية\_9ب ، #تربية\_إسلامية\_5د..إلخ) حتى يسهل متابعة كل التغريدات حول دروس كل مادة على حدة.
  - يفتح المعلم النقاش حول أي موضوع في الدرس عبر وسوم/هاشاقات ، بحيث تشمل الوسوم اسم المادة واسم الدرس والفكرة المراد مناقشتها مثال: (#تربية\_إسلامية\_11ب #السيرة\_النبوية #غزوة\_أحد).
  - يمكن للمعلم التمهيد للدرس عبر سؤال أو نقاش من خلال تغريدة متبوعة بوسم/هاشاق كما سبق توضيحه.
  - يمكن للمعلم إعلام طلابه بموعد الإمتحان أو تغيير موعد الحصة عبر تغريدة متبوعة بوسم لاسم المادة والصف والدرس.
  - يمكن للمعلم والطلاب إثراء الدرس بتغريدات مقتبسة من مقالات ودراسات وبحوث موجودة على شبكة الأنترنت.
  - يمكن للمعلم التغريد في نهاية كل حصة بخلاصة الدرس أو الوحدة ليستفيد منها طلابه، ويتم التناقش عليها في وقت لاحق.
  - مقتبس من مدونة الأستاذ موسى البلوشي ويب 0.2 من أجل التعليم للرجوع إلى المدونة هذا الرابط.  
<http://web02inedu.blogspot.com/2012/12/google.html>
- نموذج توظيف تويتر في تدريس التربية الإسلامية  
عنوان الحساب : <https://twitter.com/sumaya2013>  
عدد التغريدات: 2494  
عدد المتابعين للحساب: 591  
عدد الحسابات التي يتابعها حساب  
لتعلو الهمم: 30  
معدل التغريدات: خمس تغريدات في اليوم  
إيجابيات توظيف تويتر:  
- أتاح للطلبة التواصل المستمر مع المعلم، ومعرفة معلومات أكثر للدروس، وهذا التواصل أدى لفهم الدروس المشروحة بشكل أكبر.  
- استغلال الوقت في مايفيد من حل أسئلة وغيره.  
- أتاح للطلبة إظهار مواهبهم بسبب إهتمام المعلم بهم في تطوير هذا المجال.  
- تسهل للطلاب التواصل مع المعلم أو المعلمة بحيث إذ واجه أي صعوبة يلجأ إلى تويتر، ويباشر بالسؤال وسيجد الرد حالا.

### ثالثاً: الإنستغرام (Instagram)

هي شبكة إجتماعية يمكن من خلال مشاركة الصور والفيديوهات، والتعليق عليها ومشاركتها للآخرين. ويمكن الاستفادة منه في الناحية العلمية.

وذلك من خلال:

أولاً: مقاطع فيديو فيها شرح لبعض المفردات الصعبة للدروس.

ثانياً: طرح مسابقات من خلاله لدروس ومن يجاوب يكون له درجة أو هدية.

ثالثاً: أسئلة تقويم للدروس حتى يستوعب الطلبة وكون الشيء المصور يبقى أثره في ذهن الطلبة.

(الكندري، 2013)

توظيف الإنستغرام في تدريس التربية الإسلامية

عنوان الحساب: لتعلو الهمم

<https://www.instagram.com/2013sumaya>

عدد الصور و الفيديوهات المنشورة : 204

عدد المتابعين: 269

عدد الذين يتابعهم الحساب: 5

### رابعاً: اليوتيوب (You Tube)

هو موقع إجتماعي يسمح للمستخدمين بتحميل وعرض ومشاهدة مقاطع فيديو، ويتم من خلاله نقل الأخبار المصور المسموعة والمرئية إلى الأشخاص. ويتم تبادلها على نطاق واسع بين مختلف الأشخاص. (الكندري، السجاري،

العسلاوي، بالبول، 2015)

توظيف اليوتيوب في التعليم عمل قناة على اليوتيوب يتم فيها تحميل جميع الفيديوهات وقدقنا بعمل ذلك، والتفاعل بها واضح. وذلك بإضافة التعليقات، وأيضاً استقادت الطالبات من هذه القناة كبيرة بحيث من الجميل أن تكون المادة الدراسية مشاهدة وتثير الطلبة فماتراه العين يرسخ أكثر في ذهن الطلبة، وهذا ما نلاحظه، مما يجعل الحصة أكثر مشوقة وممتعة ويستطيع الطالب تحميل الفيديوهات التي تعينه على المادة الدراسية وتكون بالنسبة له كمرجع.

<https://www.youtube.com/channel/UCYPveDVRXalve6P-Zsvxvzw>

### الخلاصة

تحظى الشبكات الاجتماعية بأهمية بالغة من حيث الفكرة التي تقوم عليها، حيث تتمثل وظيفتها بتفعيل المجتمعات الافتراضية وإحيائها، إذ توظف البرمجيات في خدمة الأفراد لتتشارك فيما بينهم بالاهتمامات والأنشطة أيضاً، وتمتاز بسهولة استخدامها، واختصار الوقت والمسافة في جمع المستخدمين من مختلف أنحاء العالم في وقت قصير، وقد حظيت هذه السنوات بأهمية كبيرة باستخدامها في خدمة العملية التعليمية ونشر ثقافة التعليم الإلكتروني وهنا قامت الباحثتان باستثمار شبكات التواصل الاجتماعي في خدمة التربية الإسلامية حيث أنشأت حسابات على شبكات التواصل على تويتر والفيس بوك واليوتيوب والإنستغرام بمسمى لتعلو الهمم بحيث تقوم بنشر ما يتعلق بمادة التربية الإسلامية وطرح أسئلة للطالبات وعمل مسابقات إسلامية، ونشر بعض التغطيات التي تحدث في المدرسة والتي تقوم بها الطالبات أو المعلمات لخدمة الإسلامية مما كان له أثر في إثراء التربية الإسلامية، وزيادة الدافعية والتحفيز والتشجيع للمشاركة من قبل الطالبات والمعلمات وبهذه الطريقة يسهل على المجتمع والمدارس الأخرى وحتى الدول الثانية متابعة هذه الفعاليات، ومشاهدة تفاعل الطالبات على هذه الحسابات، وكما أن الباحثتان استفادت من مواقع الإنترنت بعمل مدونات على موقع بلوجر وتم من خلاله نشر مواضيع قيمة تتعلق بالتربية



الإسلامية وتدرسيها فهناك ما يقارب 14 مدونة قامت بها الباحثتان أثناء عملية التدريس لبعض المناهج الدراسية تم نشرها للإطلاع عليها والاستفادة من المعلومات الموجودة كإثراء لمادة التربية الإسلامية، وواضح بها جهود الطالبات، وأضافا إلى ذلك مشاركة من دول أخرى في التعليقات، وهناك مشاهدة من دول غير مسلمة والمسلمة. وهذا وإن دل على شيء دل على أهمية توظيف الشبكات الاجتماعية ومواقع الإنترنت في خدمة العملية التعليمية خاصة أننا في عصر تحديات القرن الحادي والعشرين الذي ينبغي علينا أن نواكب كل جديد فيه بما يتناسب مع مناهجنا الدراسية وما من شأنه خدمة الدين والإسلام.

#### التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة توصي الباحثتان، بضرورة:

- الاستفادة من شبكات التواصل الاجتماعي ومواقع الإنترنت في خدمة التربية الإسلامية وتدرسيها لماله من أثر كبير في نشر التعليم وبقاء أثر التعلم.
- توجيه الطلبة وفئة الشباب بالأخص لاستخدام هذه المواقع الاجتماعية والشبكات بشكل إيجابي، والاستفادة منه في نهضة الأمة ورفع شأن المجتمع ونشر القيم والأخلاق الحسنة خاصة في وقتنا المعاصر الذي انتشرت به الشائعات، والمغريات.

#### المقترحات

في ضوء نتائج الدراسة تقترح الباحثتان إجراء دراسة تجريبية لتعرف أثر توظيف وسائل التواصل الاجتماعي في تجديد الخطاب الديني على تحصيل الطلبة في سلطنة عمان.

#### المراجع

##### القرآن الكريم

- هلال، عبد الغفار حامد(2015). أعمال ندوة: في ضرورة تجديد الخطاب الديني: المغرب: المغرب. (257-272)
- الزيون، أحمد محمد؛ أبو ملح، محمد حسني؛ العواملة، عبدالله أحمد (2017). درجة تأثير شبكات التواصل الاجتماعي الرقمية على المنظومة القيمية لطلبة كلية عجلون الجامعية. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية 3، 10، 3، 10
- مركز المسبار للدراسات والبحوث (2015). الدين ومنابر التواصل الاجتماعي. <https://www.almesbar.net>. تاريخ الاسترجاع 13 / 8 / 2018.
- المدني، أسامة غازي (2015). دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات السعودية ( جامعة أم القرى نموذجاً). مجلة الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة السلطان قابوس.
- العتيبي، غادة محمد (2018). واقع توظيف شبكات التواصل الاجتماعي ( الفيس بوك والتويتر) في التعليم من وجهة نظر معلمات المرحلتين الثانوية والمتوسطة في مدينة الرياض. مجلة كلية التربية بأسبوط- مصر. 219-249، الكندري، يعقوب يوسف؛ السجاري، مها مشاري؛ العسلاوي، حمد عادل؛ البالول(2015). المتغيرات الاجتماعية المؤثرة في استخدام شبكة التواصل الاجتماعي. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. جامعة الكويت، 441.
- الكندري، إسراء (2013). استخدام الاستقرار في التعليم.
- http://esraaalk.blogspot.com/2013/11/blog-post.html تم الاسترجاع بتاريخ 22 / 9 / 2018م.
- مجازي، جولتان(2015). فاعلية برنامج إرشادي إلكتروني عبر شبكات التواصل الاجتماعي في تحسين مستوى الذكاء الانفعالي لدى عينة من طالبات جامعة الأقصى. مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية). 29(6).



منصور، حسن محمد حسن(2017). شبكات التواصل الاجتماعي كمصدر تعليمي وإخباري لدى طلبة الجامعة\_ دراسة مقارنة في طرح نموذج الاستخدام والإعتماد. *المجلة المعرفية للعلوم الإنسانية*. المملكة العربية السعودية. 35-139

الشهري، فراح بن سعد بن عبدالله(2018). توظيف شبكات التواصل الاجتماعي في تنمية المهارات الحياتية لدى طلاب المرحلة الثانوية من جهة نظر الطلاب والمعلمين. *المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية*، المملكة العربية السعودية. 488-430

الحصان، أماني بنت محمد(2015). واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى معلمات العلوم للمرحلة المتوسطة. *مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي*، المملكة العربية السعودية. 35(2)، 1-25  
يوهوس، عبدالرزاق(2018). تجديد الخطاب الديني ضرورة يفرضها العصر.  
<https://www.el-massa.com/dz> تاريخ الاسترجاع 2018/1/2م

البحيري، أحمد(2015). المفتي يدعو إلى استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لاستيعاب الشباب. *مجلة المصري اليوم*  
<https://www.almasryalyoum.com/news/details/740933> تاريخ الاسترجاع 2018/9/25

نوشي، زينة سعد؛ الربيعي، حسين جمعة (2017). شبكات التواصل الاجتماعي وحرية التعبير عن الحقوق الفردية والتنوع الاجتماعي. *مجلة الباحث الإعلامي*. 37-66

العقلة، إحسان(2017). أهمية شبكات التواصل الاجتماعية  
تاريخ <https://mawdoo3.com>  
الاسترجاع 2018/10/25

العبيدي، إبراهيم(2017). إيجابيات وسلبيات شبكات التواصل الاجتماعية  
تاريخ <https://mawdoo3.com>  
الاسترجاع 2018/10/10

الحيواوي، يحي(2015). في الحديث ضرورة تجديد الخطاب الديني.

<http://www.aljazeera.net/knowledgegate> تاريخ الإسترجاع 2018/10/18

#### المواقع الالكترونية

البلوشي، موسى(2012). مدونة ويب2 للتعليم

<http://web02inedu.blogspot.com/2012/12/google.html>

الريامية، سمية(2013). تويتر لتعلو الهمم

<https://twitter.com/sumaya2013>

الريامية، سمية(2013). يوتيوب تعليمي

<https://www.youtube.com/channel/UCYPveDVRXalve6P-Zsvxvzw>

الريامية، سمية(2013). لتعلو الهمم

<https://www.instagram.com/2013sumayah>



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## الاعتزاز بالذات الحضارية

- رؤية شرعية -

إعداد

أ.م.د. خليل نوري العاني

جامعة الانبار - كلية التربية / القائم

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## ملخص البحث

ان ارادة بناء او اعادة بناء أي حضارة وتشبيدها والنهوض بها لا يتم الا بان يتوفر في هذه الارادة ميزة الاعتزاز والفخر بأصالة هذا الحضارة، وإنّ الموقف من الذات وإمكاناتها عامل في غاية الأهمية في بلوغ النجاح أو السقوط في الفشل، وهذا الأمر كما يسري على الأفراد فإنه يسري على الأمم والشعوب بنفس الدرجة. فالأمة التي لا تثق بقدراتها ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حقّ قدرها لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلّاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتقد إلا ما يقولون ولا تتفد إلا ما يقررون، فلا يمكن لأمة أن تنهض وهي تشعر بمركب نقص في ذاتها يجعلها تنظر إلى نفسها على أنها عاجزة عن مسايرة الأمم القوية المزدهرة، فضلاً عن التقدم عليها. ولو رجعنا إلى القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية المطهرة فسوف نجد الكثير من الآيات والاحاديث التي تدعو إلى ضرورة التمسك والاعتزاز بالذات الحضارية الإسلامية وتؤكد عليها. وهذا يدل على الموقع المهم، الذي يريد الإسلام أن يشغله هذا الموضوع في حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة الإسلامية ككل.

### Abstract:

The will to build or rebuild any civilization and to promote it is not only to have in this will the advantage of pride and pride in the authenticity of this civilization, and the position of the self and its potential is very important in achieving success or fall in failure, and this applies to individuals, Applies equally to nations and peoples. A nation that does not trust its own capabilities and does not value its own potentials can not but always be a shadow of others, a subordinate to them. They only believe what they say and implement what they decide. A nation can not rise, As incapable of keeping pace with the strong and prosperous nations, as well as progressing on them. If we return to the Koran and the Sunnah and the prophetic biography of the Prophet, we will find many verses and Hadiths that call for the need to uphold and pride of the Islamic civilization and emphasizes them. This indicates the important position that Islam wants to occupy in the life of the Muslim individual, the Muslim community, and the Islamic Ummah as a whole

### مشكلة البحث:

ان من يتتبع كتابات الكثير من الباحثين في مجال العلوم الاسلامية والفكر الاسلامي وهم يبحثون في موضوع تجديد الفكر الاسلامي او تجديد الخطاب الديني فان اول ما سيقع عليه نظره دعوات للانفتاح على الغرب وعلى الشرق او على الاخر حسب تعبيرهم، ودعوات الى ترك الكثير من الاحكام الفقهية القديمة او نبذ بعض النصوص الدينية او اعادة فهمها من جديد وغيرها الكثير من الدعوات التي قد تكون معتدلة ومقبولة او متطرفة ومنبوذة حسب الكاتب وفكره ودعوته وخطابه. الا اننا لا نكد نجد في من يتصدى لفكر التجديد وخطاب التجديد وقضايا التجديد من يتناول ضرورة التمسك والاعتزاز بذاتنا الحضارية وهويتنا الاسلامية وعد هذا الموضوع جزءا لا يتجزأ من الدعوة الى تجديد الخطاب الديني او تجديد الفكر الاسلامي بل والانطلاق منه في خطاب التجديد بدلا من الطابع الانهزامي الاستسلامي السلبي الذي يخيم على موضوعات تجديد الخطاب الديني المطروحة على الساحة الفكرية والثقافية والإعلامية.

### اهمية البحث:

ان اغلب دعاة التجديد الان عندما يطرحون موضوع التجديد وقضايا التجديد في كتاباتهم وادبياتهم ويوجهونه الى الداخل العربي الاسلامي فانهم يعللون سبب هذه الدعوة واهميتها الى انتشار الفكر الديني المتشدد وما نتج عنه من سلوك متطرف لدى فئة من المسلمين خاصة من الشباب ويعزون سبب انتشار هذا التطرف الى الفكر والخطاب الديني الموجود.

واثارة هذه القضية امر حسن من حيث المبدأ ولكن كم هي نسبة دعاة الفكر والخطاب الديني المتطرف مقارنة بدعاة الفكر والخطاب الديني المعتدل، وما نسبة الاثنان معا، مقارنة بدعاة الفكر العلماني والتغريبي.

من جهة اخرى كم هي نسبة المسلمين الذين يقتنعون ويؤيدون هذا الفكر والخطاب الديني المتطرف، مقارنة بنسبة المقتنعين بالفكر والخطاب الديني المعتدل، والاثنان معا مقارنة بنسبة الغير مقتنعين والغير مؤيدين ولا متبعين لأي فكر او خطاب ديني متطرف كان ام معتدل .

بلا شك ان الفئة الاخيرة هي التي تشكل الثقل الاكبر في مجتمعنا العربي الاسلامي، ومن اهم اسباب ذلك عدم القناعة بالقائمين على الخطاب الديني ومن يمثل ويتكلم باسم الخطاب الديني فضلا عن الشعور بالهزيمة النفسية والشعور بالنقص والنظرة الدونية للمجتمعات العربية الاسلامية والاحساس بتفوق الاخر ومحاولة تقليده واتباعه وغيرها من المصطلحات التي تعبر عن هذا الموضوع وعليه ليس هؤلاء احري ان يتوجه اليهم دعاة التجديد ويبتكرون خطابا دينيا جديدا لإقناعهم بانهم خير امة اخرجت للناس وغرس الاعتزاز في نفوسهم بذاتهم الحضارية وهويتهم الاسلامية.

اما عندما يكون خطاب التجديد ودعوات التجديد موجها الى الخارج فان الموجة ستتقلب الى ما وصل اليه الاخر من الرقي والتطور وما نحن عليه من الانحطاط والتأخر ثم يبدئون بإلقاء اللوم على النصوص الدينية او طريقة فهمها وما سببته للامة من اشكالات جعلتها تقبع في قاع الامم وكأن هذه النصوص لم تكن موجودة عندما كنا سادة الامم.

ومرة اخرى اعود بالسبب في هذا الى النظرة الفوقية للاخر والنظرة الدونية للذات والاستسلام للشعور بالهزيمة الحضارية والعجز عن السبق الحضاري بسبب مجموعة من النصوص الدينية والمنظومات القيمية -حسب قناعتهم- التي تقف حائلا بيننا وبين ان نكون مثل الاخر في عنفوانه ومجده وسطوته وتطوره العلمي الذي لم تسبقه اليه امة قط وكأن الله سبحانه لم يخبرنا ابدا بان عادا ذات العماد التي لم ولن يخلق مثلها في البلاد لم يعد لها شاهد الا التراب لانهم تحدوا الله سبحانه وتعالى وخالفوا فطرته التي فطر الناس عليها.

#### هدف البحث:

ان الأمة التي تريد ان تنهض لبناء حضارتها او اعادة مجدها عليها ان تطرح اولاً من نفسها ذلك الشعور بمركب النقص او الرضا بالتبعية للآخر، وان أي سلوك او شعور بمركب النقص هذا لدى ابناء أي حضارة سيفشل حتما أي جهد او مسعى للنهوض بهذه الحضارة.

وقد قمت بتقسيم البحث على ثلاثة مطالب تناولت في المطلب الاول ما ورد في القرآن الكريم من الآيات القرآنية التي تحث على الاعتزاز بالذات الحضارية والهوية والاسلامية وضرورة التمسك بها وعدم الحيد عنها وكيفية تناول المفسرين لهذه الآيات، وتناول المطلب الثاني ما جاء في السنة النبوية والسير المطهرة من احاديث تناولت هذا الموضوع بعناية واهتمام ، فيما بين المطلب الثالث فهم الصحابة الكرام لهذا الموضوع وتطبيقهم له.

## المطلب الاول

### القران الكريم وحته على الاعتزاز بالذات الحضارية

لو رجعنا إلى القرآن الكريم فسوف نجد الكثير من الآيات التي تدعو إلى ضرورة التمسك والاعتزاز بالذات الحضارية الإسلامية وتؤكد عليها. وهذا يدل على الموقع المهم، الذي يريد الإسلام أن يشغله هذا الموضوع في حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة والأمة الإسلامية ككل.

ففي القرآن الكريم نجد سورة البقرة غنية وغزيرة بهذه المعاني، فالآيات من (104-145) جميعها تتحدث لنا عن وجوب التمسك والاعتزاز بديننا وشريعتنا، وهويتنا الخاصة، والتمسك والاعتزاز أيضاً بمنهجنا وسلوكنا الخاص الذي وضعه لنا ربنا ﷺ وعلمنا إياه. ويحذرنا في الوقت نفسه من خطورة ترك هذا المنهج والسلوك والتشبه بالكافرين والمشركين ليس فقط في الاعتقاد بل حتى في التشريع والأفعال والأقوال لما في ذلك من خطر كبير علينا، قد يصل إلى درجة الخروج عن هذا الدين وهو ما يريده المشركون، ولا يرضون بديلاً عنه.

ونلاحظ إن هذه الآيات منها ما يتحدث عن موضوعنا بصورة مباشرة ومنها ما يتحدث عنه بصورة غير مباشرة، فيدور في فلكه ويتبعه، وقد وجدت أن الشهيد سيد قطب في تفسيره لهذه الآيات قد أكد على أن موضوع التمسك بالذات الحضارية الإسلامية والاعتزاز بها هو الموضوع الرئيسي الذي تتحدث عنه هذه الآيات، إذ يقول: «فأما المادة الأساسية لهذا الجزء، ولبقيّة السورة، فهي إعطاء الجماعة المسلمة خصائص الأمة المستقلة، وشخصيتها المستقلة. المستقلة بقبلتها وبشرائعها المصدقة لشرائع الديانات السماوية قبلها والمهيمنة عليها، وبمنهجها الجامع الشامل المتميز كذلك.. وقبل كل شيء بتصورها الخاص للوجود والحياة، ولحقيقة ارتباطها بربها، ولوظيفتها في العارض وما تقتضيه هذه الوظيفة من تكاليف في النفس والمال، وفي الشعور والسلوك، ومن بذل وتضحية»<sup>(1)</sup>. وإذا أخذنا على سبيل المثال من هذه الآيات قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(2)</sup>.

نجد أن الدعوة هنا واضحة و صريحة من الله ﷻ للمؤمنين بالنهي عن التشبه بالمشركين أو تقليدهم، فيدعوهم إلى منهج وسلوك وأفعال وحتى أقوال، خاصة بهم. ففي هذه الآية: «يتجه الخطاب إلى (الذين آمنوا) يناديهم بالصفة التي تميزهم، والتي تربطهم بربهم ونبیهم، والتي تستجيش في نفوسهم الاستجابة والتلبية. وبهذه الصفة ينهاتهم أن يقولوا للنبي ﷺ (راعنا) -من الرعاية والنظر- وأن يقولوا بدلاً منها مرادفها في اللغة العربية (انظرونا) .. ويأمرهم بالسمع بمعنى الطاعة... والسبب في ذلك النهي. أن سفهاء اليهود كانوا يميلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ، وهم يوجهونه إلى النبي ﷺ، حتى يؤدي معنى آخر مشتقاً من الرعونة... ومن ثم جاء النهي للمؤمنين عن اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأمرنا أن يستبدلوا به مرادفه في المعنى، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالتة، كي يفوتوا على اليهود غرضهم السفیه الصغير»<sup>(1)</sup>.

وأيضاً نجد في قوله ﷺ: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ اتَّبَعْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾<sup>(2)</sup>. التنبيه والتحذير وأيضاً التهديد والوعيد من الله ﷻ للرسول ﷺ، ولأمته بأنهم لا يجدر بهم ولا يحق لهم أن يتبعوا أو يفتقروا أثر أهل الكتاب لأنهم على باطل ولأن شريعتك يا محمد هي الحق، فأنت أحق أن تتبع. وأنهم مهما توددت إليهم وحاولت

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب/دار الشروق/بيروت/القاهرة/ط15/1408هـ/م1/ج2/ص123.

(2) سورة البقرة / من الآية 104 .

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب/م1/ج1/ص100/مصدر سابق .

(2) سورة البقرة / الآية (120) .

معهم ولنت لهم فإن يتبعوك ولن يرضوا عنك، إلا إذا تبعتمهم أنت ووافقتمهم على ما يريدونه ويهوونه هم، لا ما يريد الله سبحانه ويشاءه، وهذا محال منك يا محمد ومن أمك.

يقول العلامة ابن كثير عن هذه الآية: «وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبداً فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله سبحانه، في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق... وقل يا محمد إن هدى الله الذي بعثني به هو هذا الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل... وفي قوله تعالى، ولئن أتبعتم أهواءهم... تهديد ووعيد شديد للأمة عن إتباع طرائق اليهود والنصارى، بعد ما علموا من القرآن والسنة- عياداً بالله من ذلك- فإن الخطاب مع الرسول ﷺ، والأمر لأمتهم» (3).

وهناك أيضاً حادثة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، التي تُعد من أهم الأدلة على فريضة التميز والاختصاص- وهما لب وجوه موضوع الاعتزاز بالذات الحضارية- الذي يريده الله ﷻ ويريد رسول الله ﷺ. قال ﷺ: «قَدْ نَزَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» (4).

لقد كان ﷺ، يجبُّ ويتمنى أن تتحول القبلة إلى المسجد الحرام لكي يخالف اليهود والنصارى، ويصبح للمسلمين قبلتهم الخاصة، وهي قبلة أبيهم إبراهيم ﷺ من قبل، فهم أحقُّ بها، لأنهم على منهجه وعقيدته، وهم الأحقُّ بوراثته قبلته، من أهل الكتاب الذين ابتعدوا عن دين إبراهيم وعن ديانة التوحيد، التي جاء بها كل الأنبياء. وقد نال موضوع تغيير القبلة أهمية ومكانة خاصة سواء في القرآن الكريم - حيث وردت أكثر من آية تتحدث عن هذا الموضوع- أم في فكر النبي ﷺ. جاء في تفسير البيضاوي حول هذه الآية: «قد نرى تقلب وجهك في السماء، تردد وجهك في جهة السماء تطلعاً للوحي. وكان رسول الله ﷺ يقع في روعه ويتوقع من ربه أن يحولَه إلى الكعبة، لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وأقدم القبلتين، وأدعى للعرب إلى الإيمان، ولمخالفة اليهود، وذلك يدل على كمال أدبه حيث انتظر ولم يسأل» (1).

وجاء في تفسير ابن كثير: «إن رسول الله ﷺ، لما هاجر إلى المدينة أمره الله سبحانه، أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود! فاستقبلها رسول الله ﷺ، بضعة عشر شهراً، وكان ﷺ يُجِبُّ قبلة إبراهيم، فكان يدعو الله، وينظر إلى السماء فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» (2).

وحول موضوع تحويل القبلة، ودوره في تثبيت التميز والاختصاص للأمة المسلمة، وأن يكون لها هويتها الخاصة، وخصوصيتها المستقلة ليس فقط في المنهج والاعتقاد ولكن حتى في السلوك والعبادات الظاهرة وأشكال الحياة المختلفة، حول هذا الموضوع تكلم الأستاذ الشهيد سيد قطب بكلام نفيس، جاء فيه: «إن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة: الاختصاص والتميز في التصور والاعتقاد، والاختصاص والتميز في القبلة والعبادة.

(3) تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء/دار الفكر/بيروت/1401هـ/ج(1)/ص164.

(4) سورة البقرة / الآية (144).

(1) تفسير البيضاوي : ناصرالدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي / دراسة وتحقيق: عبد القادر عرفان العشا/دار الفكر/بيروت/(1416هـ-1996م)/ج1/ص420 .

(2) تفسير القرآن العظيم : ج1/ ص190 / مصدر سابق .

وهذه كتلك لا بد من التمييز فيها والاختصاص. وقد يكون الأمر واضحاً فيما يختص بالتصور والاعتقاد، ولكنه قد لا يكون بهذه الدرجة من الوضوح فيما يختص بالقبلة وشعائر العبادة.. وهنا تُعرض النقطة إلى قيمة أشكال العبادة. إنَّ الذي ينظر إلى هذه الأشكال مجردة عن ملابساتها، ومجردة كذلك عن طبيعة النفس البشرية وتأثيراتها.. ربما يبدو له أنَّ في الحرص على هذه الأشكال بذاتها شيء من التعصب الضيق، أو شيء من التعبد للشكليات! ولكن نظرة أرحب من هذه النظرة، وإدراكاً أعمق لطبيعة الفطرة، يكشفان عن حقيقة أخرى لها كل الاعتبار.

إنَّ في النفس الإنسانية ميلاً فطرياً - ناشئاً من تكوين الإنسان ذاته من جسد ظاهر وروح مُغيب - إلى اتخاذ أشكال ظاهرة للتعبير عن المشاعر المضمرة. فهذه المشاعر المضمرة لا تهدأ ولا تستقر حتى تتخذ لها شكلاً ظاهراً تدركه الحواس، وبذلك يتم التعبير عنها. يتم في الحس كما تم في النفس. فتهدأ حينئذ وتستر، وتُفرغ الشحنة الشعورية تفرغاً كاملاً، وتحس بالتناسق بين الظاهر والباطن، وتجد تلبية مريحة لجنوحها إلى الأسرار والمجاهيل وجنوحها إلى الظواهر والأشكال في ذات الأوان. وعلى هذا الأساس الفطري أقام الإسلام شعائره التعبديّة كلها - فهي لا تُؤدى بمجرد النية، ولا بمجرد التوجه الروحي - ولكن هذا التوجه يتخذ له شكلاً ظاهراً: قياماً واتجهاً إلى القبلة وتكبيراً وقراءةً وركوعاً وسجوداً في الصلاة. وإحراماً من مكان معين، وهكذا في كل عبادة حركة، وفي كل حركة عبادة. ليؤلف بين ظاهر النفس وباطنها، ويُنسق بين طاقاتها، ويستجيب للفطرة بطريقة تتحقق مع تصوره الخاص..

ولم يكن بُد من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو ويتخصص بتصوره ومنهجه واتجاهه.. فهذا التمييز تلبية للشعور بالامتياز والتفرد، كما أنه بدوره يُنشئ شعوراً بالامتياز والتفرد. ومن هنا كذلك كان النهي عن التشبه بمن دون المسلمين في خصائصهم، التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنه كالنهي عن طريقتهم في الشعور والسلوك سواء . ولم يكن هذا تعصباً ولا تمسكاً بمجرد شكليات. وإنَّما كان نظرة أعمق إلى ما وراء الشكليات - كان نظرة إلى البواعث الكامنة وراء الإشكال الظاهرة - وهذه البواعث هي التي تُفرق قوماً عن قوم، وعقلية عن عقلية، وتصوراً عن تصور، وضميراً عن ضمير، وخُلُقاً عن خُلُق، واتجهاً في الحياة عن اتجاه ...

فالرسول ﷺ نهى عن تشبه في مظهر أو لباس . ونهى عن تشبه في حركة وسلوك. ونهى عن تشبه في قول أو أدب. لأنَّ وراء هذا كله، ذلك الشعور الباطن الذي يميز تصوراً عن تصور، ومنهجاً في الحياة عن منهج، وسمة للجماعة عن سمة...

نعم هو نهى عن التلقي من غير الله ومنهجه الخاص الذي جاءت هذه الأمة لتتحققه في الأرض. نهى عن الهزيمة الداخلية أمام أي قوم آخرين في الأرض. فالهزيمة الداخلية تجاه مجتمع ما هي التي تندس في النفس لنقلد هذا المجتمع المعين. والجماعة المسلمة قامت لتكون في مكان القيادة البشرية، فينبغي لها أن تستمد تقاليدها - كما تستمد عقيدتها - من المصدر الذي اختارها للقيادة...

والجماعة المسلمة التي تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه. إنَّ القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة في الصلاة، فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز. رمز للتمييز والاختصاص. تميز التصور، وتميز الشخصية، وتميز الهدف، وتميز الاهتمامات، وتميز المكان... والأمة المسلمة اليوم في حاجة إلى التمييز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الجاهلية السائدة، والتمييز بأهداف واهتمامات تتفق مع تلك الشخصية وهذا التصور، والتمييز برؤية خاصة تحمل اسم الله وحده، فتعرف بأنَّها الأمة الوسط التي أخرجها الله للناس لتحمل أمانة العقيدة وتراثها<sup>(1)</sup>.

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب/ م1/ ج2/ ص127-129/ مصدر سابق.



وإذا انتقلنا إلى آية أخرى في نفس السورة، في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تُكْحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلِأُمَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (2).

نجد في هذه الآية الأمر الإلهي بتحريم النكاح بين المسلمين والمشركين لكي يكتمل التمايز والاستقلال بين الجماعة المسلمة الموحدة وبين المشركين، ذلك أن «النكاح هو أعمق وأقوى وأدوم رابطة تصل بين اثنين من بني الإنسان، وتشمل أوسع الاستجابات التي يتبادلها فردان. فلا بدّ إذن من توحيد القلوب، والتقاءها في عقدة لا تحل ولكي تتوحد القلوب يجب أن يتوحد ما تتعقد عليه، وما تتجه إليه. والعقيدة الدينية هي أعمق وأشمل ما يعمر النفوس، ويؤثر فيها، ويكيف مشاعرها، ويُعين طريقها في الحياة كلها.. فلما أن أراد الله سبحانه للجماعة المسلمة أن تستقل في المدينة، وتتميز شخصيتها الاجتماعية كما تميزت شخصيتها الاعتقادية، بدأ التنظيم الجديد يأخذ طريقه، ونزلت هذه الآية تحريم إنشاء أي نكاح جديد بين المسلمين والمشركين» (3).

وفي قوله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (4).

نجد هنا التأكيد مرة أخرى من الله ﷻ للمسلمين يحذرهم فيها وينهاهم عن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم ويصفه بأنه كفر وخروج عن الملة وتكذيب واستهانة بمنهج الله الذي بين أيديهم، «لقد جاءت هذه الأمة المسلمة لتنشئ في الأرض طريقها على منهج الله وحده، متميزة متفردة ظاهرة... وإن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم تحمل ابتداءً معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة؛ كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها... ولقد كان رسول الله ﷺ، يتشدد مع أصحابه- رضوان الله عليهم - في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج. بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شؤون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة، كشؤون الزرع وخطط القتال وأمثالها من المسائل العملية البحتة التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي ولا بالنظام الاجتماعي ولا بالارتباطات الخاصة بتنظيم حياة الإنسان. وفرّق بين هذا وذاك، فمنهج الحياة شيء والعلوم البحتة والتجريبية والتطبيقية شيء آخر... فلا ضير وفق روح الإسلام وتوجيهه من الانتفاع بجهود البشر كلهم من العلوم البحتة علماً وتطبيقاً» (1).

أما في قوله ﷺ: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُبَارِعُوكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ (2).

فإنها واضحة وضوح الشمس ولا تحتاج إلى شرح أو تفسير، فالخطاب صادر من الله ﷻ إلى الرسول ﷺ وأمته، بأنكم على الحق وعلى الطريق المستقيم، وأن لكل أمة من الأمم شريعتهم الخاصة، وحضارتهم الخاصة، وثقافتهم الخاصة، وهويتهم الخاصة وأنتم لستم بدعاً من الأمم، فأنتم مثلهم لكم شريعتكم وحضارتكم وثقافتكم وهويتكم الخاصة أيضاً. فدع عنك يا محمد- والخطاب يشمل أمته كذلك- جدالهم ونقاشهم ولا تحزن عليهم إذا هم لم يستجيبوا لك- إذ أنت تريد هدايتهم وتريد الخير لهم- فأنهم سيبقون على ما هم عليه- إلا من رحم الله تعالى- وتبقون على ما أنتم عليه.

(2) سورة البقرة / الآية (221).

(1) في ظلال القرآن: سيد قطب/ م1/ ج2/ ص239/ مصدر سابق .

(2) سورة آل عمران / الآيات (101-100) .

(1) في ظلال القرآن/ سيد قطب/ م1/ ج4/ ص437-439/ مصدر سابق .

(2) سورة الحج / الآية (67).



وإن سُنَّةَ الله وإرادته في هذه الحياة أن يكون الناس مختلفين في الشرائع وفي التوجهات وفي الأفكار... ولا يمكن أن يكونوا أمة واحدة على شريعة واحدة ومنهج واحد وعقيدة واحدة وفكر واحد... فهذا مخالف لسنة الله تعالى، يقول ﷺ: «لِكَلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» (3). ومثلها قوله ﷺ: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (4).

جاء في تفسير القرطبي لهذه الآية: وقوله ﷺ: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً» قال سعيد بن جبير: "على ملة الإسلام وحدها، وقال الضحاك: أهل دين واحد، أهل ضلالة أو أهل هدى. ولا يزالون مختلفين: أي على أديان شتى.. ولذلك خلقهم، قال الحسن ومقاتل وعطاء ويمان: الإشارة للاختلاف أي وللإختلاف خلقهم» (1).

إذن فلكل أمة شريعة ومنسك ومنهج خاص بها، والأمة التي تريد المحافظة على وجودها، واجب وفرض عليها أن تلتزم وتعتز وتفخر بمنهجها ومنسكها وشريعتها وعقيدتها وبالتالي هويتها، سيما إذا كانت تعتقد أنها على الحق وعلى الطريق المستقيم وأنها خير أمة أخرجت للناس. قال ﷺ: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» (2).

وهناك أيضاً سورة كاملة هي سورة (الكافرون) تتحدث بأكملها عن التميز والاستقلال الذي ينبغي أن يكون عليه المسلمين عن غير المسلمين ابتداءً من أعظم شيء وهو الدين والعقيدة وإلى ما دونها من الأمور -كما مر علينا سابقاً-: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» (3).

إن هذه السورة «إجمال لحقيقة الافتراق الذي لا النقاء فيه، والاختلاف الذي لا تشابه فيه، والانفصال الذي لا اتصال فيه، والتميز الذي لا اختلاط فيه... ولقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهري الكامل، الذي يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق. الاختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق... فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح، لكم دينكم ولي دين» (4).

وللأهمية العظمى، والمكانة الكبيرة، التي يريد الله ﷻ، أن يشغله هذا الموضوع في حياة الفرد المسلم، والجماعة المسلمة. فإنه سبحانه قد فرض على كل مسلم أن يدعوه بلسانه، في كل يوم وليلة سبعة عشر مرة على الأقل، بأن يهديه إلى الطريق المستقيم، والمنهج القويم، المعابر بالضرورة لمنهج الآخرين، نجد ذلك في قوله ﷻ في سورة الفاتحة: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ».

(3) سورة المائدة / من الآية (48).

(4) سورة هود / الآيات (118-119).

(1) الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي/ تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني / دار الشعب/ القاهرة / ط2/ بدون ت/ ج9/ ص114-115.

(2) سورة الجاثية / الآيات (18-19).

(3) سورة الكافرون.

(4) في ظلال القرآن: سيد قطب / م(6) / ج(30) / ص3992 / مصدر سابق.

وهاتان الآيتان هما أوضح وأهم الآيات التي تتحدث عن ضرورة تمييز المسلم عن غيره، وأن تكون له هويته الخاصة في هذا المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه.

## المطلب الثاني

### السنة النبوية وحثها على الاعتزاز بالذات الحضارية

أما في السنة النبوية المطهرة فإننا نجد كثرة من الأحاديث، التي تدعو المسلمين إلى ضرورة أن يكون لهم منهجهم الخاص وأسلوبهم الخاص وبالتالي هويتهم الخاصة، وهذه الأحاديث ليست مقتصرة على موضوع واحد، وإنما نجدها تدخل في مواضيع شتى ومناسبات مختلفة، والهدف والغاية واحدة فيها جميعاً، وهو التمييز عن الآخرين، وخاصة بالأمور الدينية التعبدية، وأيضاً في الأمور التي يلحقنا من وراءها ضرر وأذى، أو استهانة وشماتة، واستهزاء من الآخر إذا ما عرف أننا نتبعه ونقلده فيما هو عليه أو نطيعه فيه.

يقول الرسول ﷺ في الحديث الشريف موجهاً كلامه إلى الأمة الإسلامية في كل زمان وكل مكان: (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله و سنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)<sup>(1)</sup>.  
لقد وعى الرسول ﷺ هذا الأمر، نجد هذا في الحديث الشريف: (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقال يا رسول الله: إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب. قال: فغضب. وقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب فو الذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)<sup>(2)</sup>.  
ونجد من خلال هذه الأحاديث الكثيرة- والتي سنورد بعضاً منها- مدى الأهمية الكبيرة التي يشغلها هذا الموضوع في فكر النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يحب مخالفة المشركين، ويحث المسلمين على ذلك وخاصة - كما قلنا- في الأمور الدينية التعبدية، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها: (أن الرسول ﷺ كان أكثر ما يصوم من الأيام السبت والأحد ويقول: إنهما يوماً عيد للمشركين وأنا أحب أن أخالفهم)<sup>(3)</sup>.

ولما وجد النبي ﷺ، أن اليهود يعظمون يوم السبت ويصومونه قال لأصحابه: (لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبه أو عود شجرة فليمضغها)<sup>(4)</sup>.

أما قصة صيام يوم عاشوراء، فإن فيها معنى كبيراً، وفائدة عظيمة، نستطيع أن نخرج بها. فهي تعطينا دلالة واضحة على أن النبي ﷺ، لا يحب مخالفة غيره- المشركين وأهل الكتاب - والتميز عنهم حقداً أو كراهية أو لمجرد المخالفة. وإنما الهدف من هذه المخالفة هو إضفاء منهج وسلوك وهوية للمسلمين خاصة بهم، وأيضاً بناء شخصية مستقلة لهذه الأمة ليس فيها تقليد أو تشبه بغيرها، قد يوحى للمقابل بضعف أو إعجاب به أو بمنهجه، فإن مثل هذا الشعور تجاه الآخر يضعف الأمة ويهزمها نفسياً وداخلياً- أولاً وقبل كل شيء- وأيضاً يجعل الآخر يشعر بالتفوق والغلبة، وأنّ المقابل له ضعيف ومهزوز، وهذا خطر ليس أكبر منه يهدد الأمة بأكملها بالسقوط والانهازم.

(1) المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري / تحقيق: د. مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / ط (1) / 1990م / ج1/ص172/رقم الحديث319.

(2) مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي/ تحقيق: كمال يوسف الحوت/ مكتبة الرشد/ الرياض/ ط1/1409هـ/ ج5/ص312/رقم الحديث(26421).

(3) المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم / ج1/ص602 / رقم الحديث1593/مصدر سابق.

(4) المرجع نفسه/ ج1/ ص601/ رقم الحديث (1592).

وقصة صيام يوم عاشوراء تعطينا الدلالة على ذلك، فالنبي ﷺ لما قدم المدينة، وأختلط باليهود وتعرف عليهم، وجدهم يصومون هذا اليوم فسألهم عنه، فقالوا: (هذا يومٌ عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه. فصامه موسى شكراً، فنحن نصومه. فقال ﷺ: فنحن أحق وأولى بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه)<sup>(1)</sup>. ولما كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يعرفون مدى حرص النبي ﷺ على مخالفة أهل الكتاب، وخاصة في الأمور التعبدية. قالوا له: يا رسول الله ﷺ إنه يومٌ تعظمه اليهود والنصارى. فقال ﷺ: (فإذا كان العام المقبل إن شاء الله تعالى، صمنا اليوم التاسع)<sup>(2)</sup>.

من هذا الحديث يتبين لنا أنه لو كان الموضوع موضوع كراهية وحقد، أو مجرد حب للمخالفة، لكان من المنطقي أن يعود النبي ﷺ عن صيام هذا اليوم، وأن ينهى المسلمين عن صيامه. ولكن الأمر ليس كذلك. فالنبي ﷺ تصرف إزاء هذا الموضوع تصرفاً عقلياً، فكان منه أن أخذ هذا الأمر عن اليهود وأقتبسه منهم، ولكنه أجرى عليه تغييرات وتعديلات، نحى به منحى آخر، حتى لا يفرح اليهود ويقولوا أن محمداً ﷺ قلدنا واتبع شريعتنا في هذا الأمر. وقد كان التغيير والتعديل الذي طرأ على الموضوع تغييراً إيجابياً وليس تغييراً سلبياً، ذلك أنه ليس من مبادئ ولا فكر ولا سنة النبي ﷺ أن يرفض أو يستبعد الحق والصواب أو الحسن والصالح من الأعمال التي تصب في منفعة المسلمين، لمجرد أنها أتت من الطرف الآخر -أو لتوسع المعنى أكثر فنقول لمجرد أنها أتت من العدو وهو القائل ﷺ: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)<sup>(3)</sup>. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فهكذا ينبغي أن يكون تفكيرنا، وهكذا ينبغي أن تكون نظرتنا إلى الأمور، وطريقتنا في التعامل مع الأحداث والمستجدات التي تطرأ علينا.

وتتضح الدلالة على هذا الموضوع بصورة أكبر في قصة الأذان، ذلك أن النبي ﷺ، شعر أن طريقة مناداة المسلمين للصلاة ليست عملية - وذلك قبل أن يُشرع الأذان كما هو عليه الآن - حيث كان أسلوب المناداة للصلاة عند المسلمين هو أن يسير رجل في الطريق فينبه الناس على حضور وقت الصلاة، وخاصة عندما رأى ﷺ طريقة النداء للصلاة عند اليهود والنصارى، وكانوا متفوقين على المسلمين في هذا الموضوع من الناحية النفسية والعملية. عند ذلك عزم النبي ﷺ على أن يكون للمسلمين طريقة للنداء إلى الصلاة، ولكن أسلوبها من الضروري أن يكون مخالفاً لما هو عليه الأمر عند اليهود والنصارى. فعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: (كانت الصلاة على عهد رسول الله ﷺ، يسعى رجل في الطريق فينادي الصلاة الصلاة، فأشدت ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله لو اتخذنا ناقوساً. قال: ذلك للنصارى. قالوا: لو اتخذنا بوقاً. قال: ذلك لليهود)<sup>(1)</sup>.

وفي رواية أخرى: (وقد كان رسول الله ﷺ حين قدمها - أي المدينة - إنما يجتمع الناس إليه للصلاة بحين مواقيتها بغير دعوة. فهم رسول الله ﷺ أن يجعل بوقاً كيقوق اليهود الذي يدعون به لصلواتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس فُنحِت ليضرب به للمسلمين إلى الصلاة. فبينما هم على ذلك أرى عبد الله بن زيد بن عبد ربه أخو الحارث بن الخزرج النداء. فأتى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، إنه طاف بي هذه الليلة طائف، مرّ بي رجل

(1) صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / بدون (ت) / ج2/ص796 / رقم الحديث 1129.

(2) المصدر نفسه / ج2/ص797 / رقم الحديث (1134) .

(3) سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي / تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون / دار إحياء التراث العربي / بيروت / بدون (ت) / ج5/ص51 / رقم الحديث (2687) .

(4) صحيح ابن خزيمة: محمد بن اسحق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري / تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي / المكتب الإسلامي / بيروت / 1390 هـ / ج(1) / ص191 / رقم الحديث (369) .

عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده فقلت: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس. فقال: وما تصنع به. قلت: ندعو به إلى الصلاة. فقال: ألا أدلك على خير من ذلك. قلت: وما هو. قال: تقول: الله أكبر، الله أكبر،... فقال ﷺ: إنها لرؤيا حقّ إن شاء الله تعالى. فقم مع بلال فألقها عليه فإنه منك. فلما أدن بلال، سمع عمر بن الخطاب ﷺ وهو في بيته. فخرج إلى رسول الله ﷺ، وهو يجرد رداءه، وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق، لقد رأيت مثل ما رأى. فقال: فله الحمد، فذاك أثبت (2).

من قصة الأذان نستنتج، أنّ الرسول ﷺ، عندما رأى أنّ المسلمين ينقصهم ويعوزهم شيء، وهذا الشيء موجود عند الطرف الآخر المقابل للمسلمين، أو حتى المعادي للمسلمين، لم يتحرج ولم يتردد أبداً في سد هذا النقص عند المسلمين، عن طريق الاستعادة مما هو موجود عند الطرف الآخر. ولكن هذا الاقتباس لم يكن حرفياً، بحيث يبدو الأمر وكأنه - طاعة الأدنى للأعلى، وتبعية المغلوب للغالب، وتقليد العاجز الضعيف للقوي المنتصر. فهذا كان أبعد ما يكون عن فكر ورؤية النبي ﷺ، وما هو عليه دائماً في مثل تلك الأمور ولكنه ﷺ اقتبس منهم الفكرة فقط، فطوّرها وعدّلها، ونحى بها منحى جعل منها شيئاً خاصاً للمسلمين، يتميزون به عن غيرهم، لا بل ويتفوقون عليهم فيه.

والحقيقة أنّ تمييز المسلمين عن غيرهم، وتمسكهم بهويتهم الخاصة واعتزازهم بها، كان موضوعاً يشغل النبي ﷺ كثيراً، ولهذا نجد هناك أحاديث كثيرة جداً - فضلاً عن التي ذكرناها - كلها تتحدث وبصورة واضحة ومباشرة وصريحة، عن أهمية احتفاظ المسلمين بهويتهم الخاصة، وخصوصياتهم المستقلة، التي تميزهم عن غيرهم. ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ في موضوع صبغ الشعر: (إنّ اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) (1). وقوله ﷺ، في موضوع الصلاة بالنعال والخف: (خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في خفافهم ولا نعالهم) (2). وأيضاً قوله ﷺ: (ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإنّ تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف) (3). وقال ﷺ، في مرضه الذي لم يقم منه: (لعنة الله على اليهود والنصارى إتخذوا قبور أنبياءهم مساجد) (4). محذراً المسلمين من أن يصنعوا صنيعهم ويقلدونهم في هذه البدع السيئة.

وقد بلغت درجة حرص النبي ﷺ على مخالفة أهل الكتاب والمشركين، وعلى أن يكون للمسلمين هويتهم الخاصة. أنه في موضوع حيض المرأة، حيث كان اليهود إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها.. فسأل أصحاب النبي ﷺ عن هذا. فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَدْنَىٰ فَاَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ (5). فقال رسول الله ﷺ: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه) (6).

ولكن وعلى الرغم من كل هذه الأوامر والنواهي والتحذيرات والتعليمات فإنه ﷺ، تنبأ لأمته بأنها ستترك هويتها وتستهنين بها وستركض وراء الآخر ركضاً تقلده وتتشبه به وتذر ما هي عليه وراء ظهرها نجد ذلك في

(2) المصدر نفسه / ج(1) / ص192 / رقم الحديث (370) .

(1) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج / ج(3) / ص1663 / رقم الحديث (2103) / مصدر سابق .

(2) المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبد الله الحاكم/ج1/ص391/ رقم الحديث 956/ مصدر سابق .

(3) سنن الترمذي : محمد بن عيسى الترمذي/ج5/ص56/ رقم الحديث 2695/ مصدر سابق .

(4) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري/ تحقيق: مصطفى ديب البنا/ دار ابن كثير/

اليمامة/ط3/1407هـ/ج1/ص168/ رقم الحديث (425) .

(5) سورة البقرة / من الآية (222) .

(6) صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج/ج1/ ص246 / رقم الحديث (302) / مصدر سابق .

قوله ﷺ: (للتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبٍ لسلكتموه. قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى. قال: فمن) (1).

مع التأكيد هنا ان هذا الحديث لا ينطبق على حال وواقع الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان. وإنما في أزمنة دون أخرى وأمكنة دون أخرى وبدرجات متفاوتة.

مما سبق نخرج بنتيجة مفادها أن الله ﷻ ورسوله ﷺ، يريدون الخير والعزة لهذه الأمة، ويريدون لها أن تتال شرف الشهادة على الناس، بأنها خير الأمم التي أخرجت للناس، بشرط أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ولا تستطيع الأمة القيام بهذا الواجب إلا إذا كان لها شخصيتها المستقلة وهويتها الخاصة، حتى تستطيع أن تؤثر في المقابل، وبدون هذه العزة فستفشل هذه الأمة حتماً في الوصول إلى هذه المرتبة العظيمة التي أرادها الله ﷻ لها.

فلكل مجتمع كفيته وخصائصه المميزة ولكل مجتمع حضارته التي تتبع من قيمه الاصلية، فالنهوض الحضاري لا يتحقق باستيراد عقائد الامم والحضارات الاخرى او استعارة افكارها ومنتجاتها بل الواجب تحميمها وتنقيتها واختيار الصالح والنافع منها والملائم لامتنا الاسلامية.

### المطلب الثالث

#### الصحابة الكرام واعتزازهم بدينهم وامتهم

لقد استحق الصحابة الكرام وتابعيهم الإمامة على الناس بكل أنواعها لأنهم طبّقوا المنهج الذي يكون الناس بموجبه تبع لهم، ويكونون هم القادة في كل مجالات الحياة.

ومن الامثلة التي توضح مدى اعتزاز جيل الصحابة- وهو الجيل الأنموذج والقوة لبقية الأجيال المسلمة- بهويتهم الإسلامية واعتزازهم بذاتهم الحضارية وحرصهم الكبير على التمسك بها، ومقاومة أي نوع من أنواع الانصهار أو الذوبان أو الخضوع للهويات الأخرى. حيث تذكر لنا كتب التاريخ الإسلامي، أنّ رستم قائد الفرس في معركة القادسية طلب من المسلمين أن يرسلوا له رسولاً لكي يفاوضه ويسأله عن الإسلام، وعمّا جاء بهم. والحقيقة أنّ رستم أراد أن يعرف أيّ قوم يحارب، وما هو سر قوتهم.

فأرسل له القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، الصحابي ربيعي بن عامر رضي الله عنه، فدخل عليهم وقد زينوا مجلسهم بالنمارق والزرابي والحريز، وأظهروا اليواقيت واللآلئ الثمينة العظيمة، ولبسوا أفرخ ثيابهم، وجلس رستم على سرير من الذهب وعليه تاج مرصع بالجواهر. كل هذا لكي يظهروا بمظهر العظمة أمام هذا الإعرابي القادم من الصحراء، الذي لا يملك سوى رمحه وفرسه، وخلق من الثياب يلبسها. فعلوا هذا ظانين أنّه سيندهش وينبهر ويستعظم أمرهم، وسينقل لقومه خبرهم وأيّ قوم هم. ولكن كل هذه المظاهر الكاذبة الفارغة لم تكن لتخيف أو حتى تؤثر في ذلك المسلم الذي تحمل الجوع والعطش، وسار كل هذه المسافة، من أجل أن يحقق ما جاء من أجله، وما نذر حياته له، ألا وهو تبليغ أعظم رسالة سماوية للبشر، كي تخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

فأدرك هذا الصحابي بذكائه وفطنته ما يريده الفرس من وراء الظهور بهذا المظهر من العظمة أمامه، وأنّ هذا كله ليس إلا نوع من أنواع الحرب النفسية أو المعنوية يهدف العدو من وراءها إلى إشعار المقابل- المسلمين - بقوة وعظمة من جاءوا لمحاربتهم، فيكسرون بهذا معنوياتهم ويضعفون من عزيمتهم قبل اللقاء.

(1) صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل البخاري / ج(3)/ ص1274/ رقم الحديث (3269) // مصدر سابق

فأراد الصحابي الجليل، أن يقلب هذه الحرب النفسية عليهم، وأن يجسد في هذا اللقاء عزة المسلم وشموخه واستعلائه فوق كل تلك المظاهر الكاذبة، وأن يوضح ويبين لهم أنّ هدف وغاية المسلمين هي أسمى وأعلى من تلك العظمة والأبهة الفارغة، التي يعتقدونها ويؤمن بها الفرس.

فأقبل عليهم بثيابه الرثة وفرسه القصيرة الزباء، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الصواري، وأقبل على رستم بسلاحه ودرعه وبيضته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتكم، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمح فوق تلك النمارق حتى خرق عامتها. ثم دار حوار بينهما انتهى بإعجابهم وانبهارهم ببطنته وذكائه واعتداده بنفسه وقومه، وشدّة اعتزازه وتمسكه بدينه وقيمه ومبادئه ورسالته التي يحيا من أجلها<sup>1</sup>.

فلو لم يكن للمسلمين مثل هذا الاعتزاز بذاتهم وبهويتهم الإسلامية، ومثل هذه الثقة بربهم، وأنه ناصرهم ما داموا معه، لما هانت عليهم أنفسهم، ولما هانت عليهم الدنيا وزخرفها وبهرجها، ولما استطاعوا أن يفتحو الفتوحات العظيمة، وأن ينشروا دين الله في أرضه، ويقيموا حضارتهم العريقة في أرجاء واسعة من المعمورة.

### الخاتمة

لقد شددت الشريعة الإسلامية في تحذير المسلمين من التبعية والتقليد، فنحن أمة ذات حضارة متميزة وذات أصول وفكر مميز ولنا طابعنا المستقل الخاص بنا، وديننا الإسلامي يدعونا إلى المحافظة على ذاتنا الحضارية وخصوصيتنا الدينية والثقافية وحتى السلوكية، وعلينا أن نعلم أن هذا الاعتزاز بالذات هو أكبر أهداف الغزو الاستعماري، وما الدعوة إلى العولمة التي تمثلها الحضارة الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية إلا مثالا واضحا على استهداف الذات الحضارية التي تريد الاحتفاظ بثقافتها وافكارها وقيمتها الأصيلة وتأتي الحضارة الإسلامية في مقدمة تلك الحضارات التي تستهدفها العولمة وتريد تدميرها وقطعها عن جذورها واصالتها بالكلية ولن يرضوا بأقل من هذا فإذا ما اردنا أن نقاوم هذه الهيمنة وأن نحافظ على ذاتنا الحضارية المستقلة المتميزة فعلينا قبل كل شيء أن نفخر بانتمائنا إليها وأن نحافظ على استقلالنا وتميزنا الفكري والحضاري الخاص بنا.

ان من اهم التحديات التي تواجه تجديد الخطاب الديني، الاستسلام المطلق للواقع بإيجابياته وسلبياته، بحيث يصبح هذا الواقع مصدرا لاستمداد الاحكام الشرعية، وهذا الخلل بل التطرف الفكري سببه الاساس الشعور بالنقص، والنظرة الدونية للمجتمعات العربية والإسلامية، وتقديس غيرها.

ان النتيجة التي يريد هذا البحث الخروج بها هي اىصال رسالة لكل الذين يكتبون في مواضيع تجديد الدين او تجديد الخطاب الديني تقول: ان لكل مجتمع كفيته وخصائصه المميزة، ولكل مجتمع حضارته التي تتبع من قيمه الاصيلة، فنحن أمة ذات حضارة متميزة وذات اصول وفكر مميز، ولنا طابعنا المستقل الخاص بنا، وديننا الإسلامي يدعونا إلى المحافظة على ذاتنا الحضارية وخصوصيتنا الدينية والثقافية وحتى السلوكية، ونحن لسنا بدعا من الامم او المجتمعات، فإما ان نركن في أي خطاب تجديدي الى ثوابتنا ومبادئنا، ونعتز بتاريخنا وحضارتنا وثقافتنا، او ان ندوي في افكار غيرنا ومثاهاته.

1 - ينظر: الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بـ (ابن الأثير) /

دار الكتب العلمية / بيروت / ط(1) / 1987م / ج(2) / ص312 / بتصرف بسيط .

المصادر

- القرآن الكريم

- 1- الاسلام على مفترق الطرق/ محمد اسد/ ترجمة عمر فروخ ومصطفى الخالدي/ دار العلم للملايين/ بيروت / ط4/ 1962
- 2- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء/دار الفكر/بيروت/1401هـ.
- 3- تفسير البيضاوي: ناصرالدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي / دراسة وتحقيق: عبد القادر عرفان العشا/دار الفكر/بيروت/(1416هـ-1996م).
- 4- الجامع لأحكام القرآن : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي/ تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني / دار الشعب/ القاهرة /ط2/ بدون ت.
- 5- سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي/ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون / دار إحياء التراث العربي/ بيروت / بدون ت .
- 6- صحيح ابن خزيمة : محمد بن اسحق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري / تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي / المكتب الإسلامي / بيروت / 1390 هـ .
- 7- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري / تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي / بيروت / بدون (ت)
- 8- صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري/ تحقيق: مصطفى ديب البنا/ دار ابن كثير/ اليمامة/ط3/1407 هـ .
- 9- في ظلال القرآن: سيد قطب/دار الشروق/ بيروت/القاهرة/ط15/1408هـ.
- 10- الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم المعروف بـ (ابن الأثير) / دار الكتب العلمية / بيروت / ط(1) / 1987م.
- 11- مقدمة ابن خلدون/ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون دار القلم / بيروت / ط (5) / 1984م
- 12- المستدرک على الصحيحين: محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري / تحقيق : د. مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية / بيروت / ط (1) / 1990م
- 13- مصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي/ تحقيق: كمال يوسف الحوت/ مكتبة الرشد/ الرياض/ط1/1409 هـ .





الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## أحكام التعايش السلمي في منظور القرآن الكريم خلال الدعوة المكيّة

إعداد

الدكتور أحمد محيي الدين صالح

كلية الآداب / قسم علوم القرآن / تخصص الفقه المقارن

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م



## ملخص البحث

### عنوان البحث: ( لتعايش السلمي في منظور القرآن الكريم خلال الدعوة المكية)

يسعى هذا البحث لمعالجة جزء من الخطاب الديني الذي يشكل أساساً مهماً في تشكيل الفكر والوعي داخل الشعوب المسلمة وبخاصة في أوساط الشباب، هذا الخطاب تشوه بسبب اختلاط تعاليم القرآن الكريم الخالدة والصالحة لكل زمان بالفكر البشري والنتائج الفقهي والاجتهادي المدون خلال القرون السابقة التي عاشها المسلمون، والتي شهدت تقلبات كبيرة في الفكر الإسلامي وواقع الدول والشعوب المسلمة والصراعات الحضارية صبغت هذا الفكر بطابع البشر في كل عصر.

حدث في القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر تشوه كبير في الخطاب الديني داخل الأمة الإسلامية، نتيجة استدعاء تطبيق فكر وفقه مستمد من قرون غابرة في واقعنا المعاصر، مما أنتج فكراً متطرفاً يعيش على صراعات الماضي ويحاول سحبها إلى الحاضر، وأنشأ جيلاً من الشباب يعتاش على الصراع كان وقوداً للحركات المتطرفة التي نشرت الصراعات الداخلية والدموية وقامت بممارسات وحشية بعيدة عن تعاليم القرآن والإسلام وشوهت صورته في العالم.

ولعلاج هذه الإشكالية لابد من معالجة الفكر الذي يتولد عنه هذا الخطاب المنحرف، وفي هذا البحث نحاول العلاج من خلال العودة المباشرة إلى الوحي: العودة إلى دراسة نصوص القرآن الكريم تعتمد على فهم نصوص الوحي في ضوء التطبيق العملي للنبي ﷺ الذي كان يمثل التفسير العملي المعصوم للنص القرآني، دراسة سياقية تضع الآيات في سياق السيرة النبوية، و نطلق من هذا الفهم لتجديد الخطاب الديني بما يناسب هذا العصر منضبطين بالمعنى المستمد من السياق القرآني والسيرة النبوية العطرة.

يبدأ البحث بدراسة المصطلح الشائع اليوم في العلاقات الدولية (التعايش السلمي) وتحليل مفهومه ومقارنته بالمصطلحات المقاربة الواردة في القرآن الكريم، ويعرج لدراسة حالة التعايش بين المسلمين ومخالفهم من المشركين في عهد الدعوة المكية الذي امتد لمدة ثلاث عشرة سنة من خلال التوجيهات التي وردت في آيات القرآن الكريم التي نزلت في العهد المكي حول العلاقة بالمخالفين وكيفية التعامل معهم، معتمدين التسلسل التاريخي في نزول الآيات وأسباب النزول ومتتبعين لأحداث السيرة الصحيحة المرتبطة بتلك الآيات والأحداث.

ونجد نتيجة بحثنا هذا: أنّ بناء منظومة قوية الإقناع للفكر والعقل، واضحة تجلي حقيقة المنهج الرباني القرآني النبوي في التعامل مع المخالفين والتعايش معهم، هذه المنظومة قادرة على تصحيح ومعالجة المنطلقات المنحرفة والشبهات المنتشرة التي تغذي الفكر المتطرف، وتبني نظرة تجديدية معاصرة لخطاب ديني معتدل ومنضبط يأخذ بيد الشعوب المسلمة لمواجهة التحديات الحضارية المعاصرة.

## Abstract

The title of the research: (peaceful coexistence in the perspective of the Holy Quran during the Makkah dawaa)

This research seeks to address part of the religious discourse, which is an important basis in the formation of thought and awareness within the Muslim peoples, especially among young people, this speech is distorted because of the mixing of the teachings of the Koran timeless and valid for all time human thought and the jurisprudence and jurisprudence produced during the previous centuries lived by Muslims, Witnessed great fluctuations in Islamic thought and the reality of Muslim countries and peoples and civilizational conflicts shaped this thought by the human nature of each era.

In the last century and the beginning of the present century, a great distortion of the religious discourse within the Islamic Ummah has occurred, as a result of the call to apply the thought and jurisprudence derived from centuries lost in our contemporary reality, which produced an extremist thought that lives on the conflicts of the past and attempts to withdraw them to the present. Fueling extremist movements that spread internal and bloody conflicts and carried out brutal practices far from the teachings of the Quran and Islam and distorted its image in the world.

In order to deal with this problem, we must address the thought that generates this deviant discourse. In this research, we try to cure through a direct return to revelation: the return to the study of the texts of the Qur'an depends on understanding the texts of revelation in the light of the practical application of the Prophet, The Qur'anic study is a contextual study that places the verses in the context of the Prophet's biography, and we proceed from this understanding to renew the religious discourse in accordance with the contemporary meaning of the Qur'anic context and the prophetic biography of the Prophet.

The study begins with the study of the common term in international relations (peaceful coexistence), the liberation of its concept and its comparison with the related terms mentioned in the Holy Quran. The study deals with the coexistence between Muslims and their dissidents during the period of the Makkah da'wa, which lasted thirteen years, Which was revealed in the Mecca era on the relationship between the violators and how to deal with them, relying on the historical sequence in the descent of the verses and the reasons for descent and follow the events of the correct biography associated with these verses and events.

We find the result of this research to build a strong system of persuasion of thought and mind, clear manifesting the truth of the Qur'anic prophet's approach to dealing with the violators and coexistence with them, this system is able to correct and address the perverse premises and suspicions spreading pervasive extremist ideology, and adopt a modern view of modern moderate and disciplined religious discourse takes the hand The Muslim peoples to face contemporary cultural challenges.

### المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد ....

فإن الله سبحانه وتعالى حين تجلت حكمته في ابداع هذا الكون الممتد، وظهر علمه المطلق في خلق الخلق، ومنهم آدم وبنوه وإنزالهم إلى هذه الأرض لأداء اختبار العبودية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾<sup>(1)</sup> ومن أجل تيسير هذا الاختبار على بني آدم؛ وإقامة للحجة عليهم أرسل إليهم الرسل منهم، وأنزل عليهم كلامه وكتبه، تبين لهم الطريق المستقيم للعيش على هذه الأرض لتحقيق الغاية السامية من خلقهم، وتسهيلا عليهم ورحمة بهم كي يؤديوا هذا الاختبار بنجاح.

ومما أنزله الله سبحانه في كلامه المبين، وأوامره التي تنظم علاقة العبد بربه، وعلاقته مع باقي البشر، فكانت تلك الأوامر والنواهي حاكمة على الإنسان بحكم الربّ لعبده، مع أنّ غاية تلك الأوامر والنواهي مصلحة الإنسان نفسه، ولا حاجة للربّ الكريم فيها فهو الغني الحميد سبحانه.

ولذلك عرّف الأصوليون الأحكام الشرعية بأنها: " خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو التخيير أو الوضع"<sup>(2)</sup>، فالأصل في الأحكام الشرعية أنها مستمدة من كتاب الله سبحانه وتعالى ووحيه، ومبينة بسنة رسوله ﷺ ، فالوحيين: الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان على الحقيقة لأحكام الشريعة الإسلامية، وما باقي المصادر إلا مصادر تبعية غاية حالها الكشف عن حكم الكتاب والسنة، فالإجماع والقياس والاستصحاب والاستحسان والمصلحة ليست مصادر للتشريع، بل هي وسائل اجتهادية لكشف حكم الله المبني على وحيه.

### إشكاليات البحث العلمي في الموضوع:

لاحظ عدد من المفكرين الإسلاميين<sup>(3)</sup> أنّ تطور دراسة الفقه الإسلامي مرّ بعدة أطوار وجابه العديد من التحديات والمتغيرات، ومرّ بمراحل تطور ومراحل جمود وخمول، ولعلّ مرحلة الجمود على التقليد والانغلاق المذهبي، واعتماد أقوال المجتهدين في المذهب كأقوال لها نوع من التقديس - لا يمكن الخروج عنها- هذه المرحلة أضرت بتطور علم الفقه، رغم تقديرنا لجهود العلماء في تلك العصور التي طغى فيها الجمود والتراجع في جميع نواحي الحياة. يقول الدكتور عمر عبيد حسنة: " ويمكن أن نقول بأن العجز لحق أيضا بطريقة التعامل مع آيات الأحكام نفسها التي أخذت هذا الجهد، وتلك المساحة من الميراث الثقافي، وأصبحنا أتباعا مقلدين، غير قادرين ليس فقط على تجاوز فهم السابقين والامتداد بالآيات إلى آفاق إضافية، وإنما عاجزين أيضا عن الإتيان بمثال آخر غير ما جاء به الأقدمون، وهذا من أشنع حالات التقليد. وكما أن مناخ التقليد الجماعي جعلنا عاجزين عن الامتداد، ودون سوية التعامل مع القرآن، فكذاك أصبحنا . بذلك . دون سوية التعامل مع الواقع المعاصر؛ لأننا أوقفنا عطاء القرآن للزمن، وهو المتغير السريع، وحاولنا التفاهم معه بفهوم عصر آخر يختلف في طبيعته، ومشكلاته، وعلاقاته،

(1) هود:7.

(2) ينظر إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (25/1) تحقيق الشيخ

أحمد عزو عناية، ط- دار الكتاب العربي، الأولى 1419هـ.

(3) ينظر: مقدمة كتاب (كيف نتعامل مع القرآن) للشيخ محمد الغزالي، ط- دار النهضة-مصر، الطبعة الأولى.

ومعارفه عن عصرنا، وأعطينا صفة القدسية والقدرة على الامتداد والخلود لاجتهاد البشر، ونزعنا صفة الخلود والامتداد عن القرآن، عمليا وإن كنا نرفضها نظريا، كما أسلفنا<sup>(1)</sup>

فلا بد من عودة جديدة اليوم للقرآن الكريم والسنة المطهرة كي يأخذا مكانتهما كمصدرين وحيدين للتشريع، لا بمعنى أن يكون ذلك تبعاً للهوى، أو أن يقوم بذلك من ليس بأهل ولا يملك الأدوات اللازمة لذلك، وليست عودة تنتكر للجهود الكبيرة لعلمائنا الأفاضل على مر التاريخ الإسلامي - هذا مرفوض تماما - بل عودة منضبطة بضوابط الأصول وتبني على ما بناه أسلافنا وعلمائنا من تراث مجيد، لكن في نفس الوقت بناء ينطلق من الوحي ومقاصده وأن لا عصمة إلا لوحي الله سبحانه.

#### أهمية البحث والمشكلة التي يعالجها:

من المسائل الخطيرة التي تواجهها الأمة اليوم: فهم واقعها وعلاقتها بالأمم من حولها، ومهمتها على هذه الأرض، وأبناء أمتنا الإسلامية يعيشون واقعا من التخبط الفكري زاده حدة ما يعيشه بعض فقهاءنا من تخبط فقهي بين التراث الفقهي القديم وضغوط الواقع المعاصر الأليم، فأصبحت الأمة اليوم تعاني من انتشار أفكار متضاربة متطرفة تؤدي إلى تبني آراء فقهية متشددة أو متميعة ووجهات غريبة لا تتناسب روح العصر ولا تنطلق من محكم القرآن الكريم، ومن أسباب هذه الظاهرة انتشار بعض الاجتهادات الفقهية التي خالطها النقص البشري وكانت لزمان ومكان غير زماننا ومكاننا، وفي بحثنا هذا نحاول العودة للتأصيل الفقهي لأحكام التعايش بين المسلمين وغيرهم وبين المسلمين أنفسهم منطلقا من محكمات وواضحات الكتاب المبين؛ لأنه الوحي المعصوم وحده، ومحكمة الآراء الفقهية على ضوء تلك المحكمات؛ لأن الحكم لله ولا قدسية لآراء البشر، كي نصوغ نظرية فقهية لأحكام التعايش تتناسب روح العصر وتساهم في علاج أزمات الأمة.

#### الدراسات السابقة:

تناول موضوع التعايش السلمي في الفقه الإسلامي عدد من الباحثين من زوايا متعددة، ومن أهم الدراسات السابقة للموضوع:

- 1- التعايش (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) إعداد: عبدالله بن موسى يلکوي، إشراف: الدكتور: عبدالله بن حمد العويسي - رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية مقدمة لجامعة العلوم والتكنولوجيا / صنعاء 2008م.
- 2- التعايش السلمي في إطار التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم للباحثة مزنة بنت بريك المحلبي ، رسالة ماجستير في قسم التربية الإسلامية في جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية 1432-1433هـ.
- 3- القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية للباحث عبد العزيز العوضي ، بحث مقدم إلى ندوة "فقه رؤية العالم والعيش فيه . المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة" التي أقامتها وزارة الأوقاف في سلطنة عمان.
- 4- الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري ، بحث من اصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) مقدم للمؤتمر الدولي العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة 1418 هـ.

#### منهجية البحث:

منهجية بحثنا للموضوع هي منهجية الدراسات الفقهية لآيات الأحكام - لأنها تخصصي الدقيق - لكنها ممزوجة بمنهجية الدراسات القرآنية الموضوعية؛ لأنَّ الهدف هو دراسة الأحكام من منظور السياق القرآني، ولفهم أدق لمراد الله سبحانه منا ومقاصده في كتابه، بعيداً عن لي أعناق الآيات وفهمها بشكل يتناغم مع رغباتنا- كي نجرد الفهم للقرآن الكريم عن أهوائنا- اتبعنا منهج الفهم والاستنباط لآيات القرآن الكريم وفق سياقاته التي أنزل فيها، فمراعاة السياق المحيط بنزول الآيات حالاً ومقالاً من القواعد المهمة لضبط فهم كلام الله سبحانه والعصمة فيه من الزلل، يقول الدكتور يوسف القرضاوي : "ومن الضوابط المهمة في حسن فهم القرآن، وصحة تفسيره: مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسياق التي وردت فيه، ولا تقطع عما قبلها وما بعدها، ثم تجر لثقيد معنى أو تؤيد حكماً يقصده قاصد"<sup>(1)</sup>.

فحاولنا تتبع الآيات الكريمة المتعلقة بالتعايش السلمي منضبطين بسياقاتها، متتبعين أسباب نزول الآيات لفهم ملامسات الظروف المحيطة بالآية، مستفيدين من تاريخ نزول الآيات التي تبين لنا مراحل تدرج الأحكام الشرعية، ونلتزم في كل ذلك بتتبع السيرة النبوية من مصادرها الموثوقة، إذ أن السيرة النبوية تمثل التطبيق العملي المعصوم الشارح والمبين والمفصل لأحكام القرآن الكريم ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾<sup>(2)</sup>، مستفيدين في ذلك بأقوال العلماء والفقهاء والمفسرين بما يوافق السياق القرآني من المصادر المعتمدة. هذا وما كان من صواب في هذا البحث فهو محض فضل من الله سبحانه وتعالى نحمده ونشكره عليه ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ٣ ﴾ [الأعراف:43] وما كان من خطأ أو نقص أو تقصير فمني ومن الشيطان واستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وأسأل الله الكريم أن يتقبله بمنه وفضله. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

#### الباحث

(١) كيف نتعامل مع القرآن العظيم للدكتور يوسف القرضاوي - (ص274)، دار الشروق - القاهرة، ط : الثالثة، 1421هـ - 2000م.

(2) النحل: 44.

## المبحث الأول

### مفهوم التعايش السلمي

#### تمهيد:

تقدم أنّ العديد من البحوث تناولت التعايش السلمي من جوانب وزوايا متعددة، وكثير من هذه البحوث تطرق لبيان مفهوم التعايش السلمي، وفي بحثنا هذا لا بدّ من تحديد مفهوم (التعايش السلمي) الذي يتناوله البحث بدقة؛ لأنّ هذا المصطلح حديث، وقد تمّ استعماله في معانٍ مختلفة بينها بعض التباين، والبحث يتناول (أحكام التعايش السلمي) ومعلوم أنّ المقصود بمصطلح (أحكام) أو (حكم) في الفقه الإسلامي، هو بيان (حكم الله عزّ وجلّ)، ومعرفة ذلك الحكم -سواء بطريق قطعي أو ظني- هو نسبة لذلك الحكم إلى الله سبحانه وتعالى، وهي مسألة خطيرة، لا بدّ فيها من توخي غاية الدقة.

ومسألة الحكم على المصطلحات مسألة خطيرة نبه عليها القرآن الكريم، فحذّر من انحراف خطير وقع فيه بعض أهل الكتاب وبعض المشركين، وهو محاولة التحايل والتلاعب بالمصطلحات وتعليق أحكام بمصطلح معيّن ثم التلاعب بمفهوم ذلك المصطلح وفق أهوائهم كي يحلّوا ما حرم الله.

﴿إِنَّمَا النَّسِيخُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلَهُمُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ٣٧﴾<sup>(1)</sup>  
وعنّ عبادة بن الصّاميت قال: قال رسول الله ﷺ: (( يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي بِالْخَمْرِ بِاسْمِ يُسْمُونَهَا إِيَّاهُ ))<sup>(2)</sup>.

#### أولاً: تعريف التعايش لغة واصطلاحاً:

تعريف التعايش لغة: جاء في المعجم الوسيط: " عاش: عيشا وعيشة ومعاشا صار ذا حياة فهو عائش، أعاشه: جعله يعيش يقال أعاشه الله عيشة راضية، عايشه: عاش معه، عيشه: أعاشه، تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة ومنه التعايش السلمي"<sup>(3)</sup>.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "تعايش الجيران: عاشوا على المودة والعطاء وحسن الجوار" تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة- تعايشت الدولتان تعايشاً سلمياً"، التّعايش التّلمّي بين الدّول: الاتّفاق بينها على عدم الاعتداء"<sup>(4)</sup>.

"وسيراً على المعني اللغوي تكون كلمة (السلمي) وصف مؤكد لطبيعة التعايش، وعلى فرض وجود نوع من التعايش غير السلمي يكون الوصف مقيداً يخرج به نوع التعايش غير السلمي"<sup>(5)</sup>  
ومن حيث الاصطلاح: ورد أيضاً في معجم اللغة العربية المعاصرة: " عيش مشترك بين أقوام يختلفون مذهباً أو ديناً أو بين دول ذات مبادئ مختلفة"<sup>(6)</sup>.

(1) التوبة: 37.

(2) رواه أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل (318/5) برقم (23085) تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط-مؤسسة قرطبة - القاهرة، وسنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني (باب الخمر يسمونها بخير اسمها) (1123/2) برقم (3385) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط- دار الفكر - بيروت

(3) المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء مادة (عيش) (639-640 /2) تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط- دار الفكر - القاهرة.

(4) معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر مادة (عيش) (1583/2)، بمساعدة فريق عمل، ط- عالم الكتب، الأولى،

1429 هـ - 2008 م

(5) القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية للباحث عبد العزيز العوضي (ص7) بحث مقدم إلى ندوة "فقه رؤية العالم والعيش فيه - المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة" التي أقامتها وزارة الأوقاف في سلطنة عمان.

(6) المصدر نفسه

والناظر في تعريفات الباحثين لمفهوم التعايش يجد أنهم اختلفوا في تحديد المفهوم بناء على مستوى التعايش: كونه سياسيا أو اقتصاديا أو دينيا أو عرقيا أو مذهبيا، أو بناء على مستوى التعايش: كونه بين اتباع الديانات والمذاهب، أو الدول أو الأفراد.

ثمة من يعرف مفهوم التعايش السلمي "بأنه سياسة خارجية تنتهجها الدولة المحبة للسلام وتستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفقتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الإمكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية".<sup>(1)</sup>

ويرى آخر أنّ "التعايش السلمي يعني حالة من العلاقات الدولية تعيشها دول لها أنظمة اجتماعية متباينة أو ذات عقائد متعادلة جنباً إلى جنب دون حرب".<sup>(2)</sup>

وهذا التعريف ينظر للتعايش بصورة أوسع من التعريف السابق، فالتعريف السابق يطلق التعايش على العلاقة بين دول محبة للسلام، بينما التعريف الثاني يرى أن الهدف من سياسة التعايش السلمي يتمثل في عدم اللجوء إلى استعمال القوة في العلاقات الدولية رغم وجود العداوة والتباين.

وهناك من يرى أن التعايش السلمي لا يقوم فقط بين الدول وإنما بين الشعوب أيضاً، فالتعايش: "هو القبول بوجود الآخر والعيش معه جنباً إلى جنب دون سعي لإلغائه أو الإضرار به سواء كان هذا الآخر فرداً أو حزبا سياسيا أو طائفة دينية أو دولة مجاورة أو غير ذلك".<sup>(3)</sup>

ومن الجلي القول بأنّ هذا التعريف أشمل من التعاريف السابقة.

ورغم أنّ المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الدكتور عبد العزيز التويجري يعرف التعايش السلمي بأنه: "يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما، وفق قاعدة يحددها مع تمهيد السبل المؤدية إليها"<sup>(4)</sup> وهو في هذا التعريف يميل إلى حصر التعايش بين الدول، إلا أنه يعود فيوسع المصطلح والمفهوم ويجعله ضمن مستويات ثلاثة فيقول: "المستوى الأول: سياسي، إيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية. وقد عرف التعايش، أول ما عرف، على هذا المستوى الأول.

المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية، من قريب أو بعيد.

المستوى الثالث: ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث، ويشمل تحديداً معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري. والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن

(1) ينظر: التعايش السلمي ومصير البشرية لحسين فهمي مصطفى (ص22) نقلا عن التعايش (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) إعداد: عبدالله بن موسى يلكوي، إشراف: الدكتور: عبدالله بن حمد العويسي - رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية مقدمة لجامعة العلوم والتكنولوجيا / صنعاء 2008م. صفحة (24).

(2) المصطلحات السياسية لموريس كرنستون، دار النهار للنشر- بيروت، الطبعة الثانية 1970م، نقلا عن: التعايش (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) (ص25)

(3) سلسلة أوراق ديمقراطية، تصدر عن مركز العراق لمعلومات الديمقراطية، التعايش في ظل الاختلافات، (ص58) العدد الثاني، حزيران 2005م.

(4) الحوار من أجل التعايش عبدالعزيز بن عثمان التويجري (ص 77-78)، ط- دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 1998م.



والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً، من دون استثناء<sup>(1)</sup>.

ورغم شمول هذه المستويات التي ذكرها الدكتور التويجري، لكنه يقتصر على التعايش بين الدول والشعوب والديانات والحضارات، فهو يشير إلى التعايش الخارجي فقط، وهناك من توسع في هذا المفهوم فأدخل فيه التعايش الداخلي فالتعايش هو "مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس والأديان منسجمين مع بعضهم البعض، ولا يتطلب أدنى فكرة للتعايش سوى أن يعيش أعضاء هذه الجماعات معا دون أن يقتل أحدهم الآخر"<sup>(2)</sup>. ويؤكد ذلك عدد من الباحثين بقولهم: "ومصطلح التعايش السلمي كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا ليس هنالك أي مانع للتوسع في استخدامه في ساحة العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة وبخاصة المقيمين في دولة واحدة"<sup>(3)</sup>.

ويقول باحث آخر: "وإذا كان المفهوم يتجه إلى البحث للتعايش بين الاتجاهات المتباينة دينياً أو سياسياً فإنني أرى أن الحاجة ماسة لبلورة رؤية مستوعبة حتى لأهل الملة الواحدة المتفقة دينياً والمتباينة من بعض الوجوه التي تؤدي إلى الاحتراب في كثير من البلدان وخاصة الإسلامية. وإذا كان الأمر كذلك فإن التعايش السلمي يمكن أن يشمل الآتي:-

1. التعايش بين أهل الملة الواحدة.
2. التعايش بين أهل الملل المختلفة.
3. التعايش بين الدول المختلفة سياسياً.
4. التعايش بين القوى الاجتماعية المختلفة.<sup>(4)</sup>

#### ثانياً: تحديد مفهوم التعايش:

بعد هذه الجولة في تعاريف مصطلح التعايش لا بد من تفكيك هذه التعاريف للوصول إلى تحديد المفهوم بدقة، وإذا تفحصنا هذه التعاريف وجدنا أن أغلب التباين الواقع بينها ليس بسببه مفهوم (التعايش) في حد ذاته، بل الغالب هو سبب خارجي، فكثير من التعاريف كان الفرق بينها هو في تحديد جهة التعايش ولم تختلف في المفهوم، فبعضها جعل التعايش بين الدول والبعض الآخر بين الشعوب، وبعض التعاريف نشأ الفرق بينها بسبب مستوى التعايش، هل هو خارجي بين الحضارات والدول؟ أو هو داخلي بين الأديان والمذاهب والأعراق؟.

وإذا تفحصنا التعاريف مرة أخرى نجد عدداً من التعبيرات التي يقصد بها بيان مفهوم التعايش، مثلاً: (عيش مشترك بين مختلفين) - (نبذ الحرب بصفقتها وسيلة لفض المنازعات) - (حالة من العلاقات الدولية تعيشها دول متباينة جنباً إلى جنب دون حرب) - (القبول بوجود الآخر والعيش معه جنباً إلى جنب دون سعي لإلغائه أو الإضرار به) - (قيام تعاون بين دول على أساس من التفاهم وتبادل المصالح، اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما)

(1) الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري (ص4) بحث من اصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) مقدم للمؤتمر الدولي العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة 1418 هـ.  
(2) تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد الصراع الأثني لانتونيا نسايز ومارتا ميناو، ترجمة: فؤاد السروجي، الطبعة الأولى 2006م، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ص29، نقلا عن التعايش (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) (ص26).

(3) مشكلة الحرب والسلام لمجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة شوقي جلال وسعد رحيمي (ص21)، ط- دار الثقافة الجديد بمصر، نقلا عن القواعد الكبرى للتعايش السلمي (ص7).

(4) القواعد الكبرى للتعايش السلمي (ص8)



- (الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي) - (البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة)، فإذا حللنا هذه العبارات يمكننا الخلوص لمستويات من المفاهيم:

- 1- أنّ هذا النزاع ناتج عن اختلاف بين الطرفين وليس خلافا مصلحيا محدودا، سواء كان الاختلاف دينيا أو فكريا أو طائفيا أو عرقيا أو أثنيا أو قوميا أو سياسيا.
- 2- المستوى الأول هو نبذ الحرب في فض النزاعات واعتماد الوسائل السلمية، وهذا المستوى متفق عليه في مفهوم التعايش.
- 3- مستوى الحد من الصراع وترويض الخلاف.
- 4- مستوى التعاون والتفاهم وتبادل المصالح.
- 5- مستوى القبول بوجود الآخر والعيش معه دون سعي لإلغائه أو الاضرار به.

المشكلة أنّ التعاريف لم تحدد بدقة المستوى المطلوب لمفهوم التعايش، لكن يمكننا الخلوص إلى وجود مدرستين تتبنى كلّ منهما مستوى معين لمفهوم التعايش:

الأولى: هي المدرسة التي ينسب لها نشأة المصطلح، حيث تنسب بعض المصادر نشأة مصطلح (التعايش السلمي) إلى قادة الاتحاد السوفيتي السابق، فطرح المصطلح كحلّ لحالة الصراع بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، فلم يوجد سوى خيارين: الأول الحرب، والثاني: التعايش السلمي فيقول: " فسواء كان جارك يعجبك - أو لا - فليس هناك سوى حل واحد هو إيجاد مجال للتفاهم معه لأنه ليس لنا سوى هذا الكوكب وهو لنا جميعا"<sup>(1)</sup>.

وواضح من طرح هذه المدرسة أنّ مفهوم التعايش فيها يتضمن المستوى الأول وهو نبذ الحرب والمستوى الثاني وهو الحد من الصراع، لكنه لا يشمل باقي المستويات؛ لأنه يقرر بعدم وجود روح المحبة والتعاون، وأنّ الصراع سيبقى لكن بوسائل أخرى، فخرشوف لم يكن يعني به تراجع بلده الاتحاد السوفياتي عن تحقيق أهدافه المعلنة، بقدر ما كان يعني به محاولته تحقيق تلك الأهداف بطريقة تتسجم مع مقتضيات التغيرات التي طرأت على المسرح الدولي، كوجود ما يعرف بتوازن الرعب<sup>(2)</sup>.

الحقيقة أنّ هذا المفهوم: وهو التعايش من أجل التغالب عن طريق وسائل أخرى غير الحرب، باستخدام ما يصطلح عليه بالقوة الناعمة، كالضغوط الاقتصادية والسياسية والاعلامية وغيرها أمر سائد في عالم السياسة اليوم، على المستوى الخارجي بين الدول أو الحضارات، أو التحالفات بل حتى الديانات، وأوضح مثال له جهود السلام والتعايش السلمي بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني.

المدرسة الثانية: هي التي تعتمد جميع مستويات التعايش الأخرى، فتقصد بالتعايش السعي للوصول إلى حالة التعاون والتفاهم وتبادل المصالح والقبول بوجود الآخر والعيش معه دون سعي لإلغائه أو الاضرار به، وهذا المعنى هو الذي يقصده أغلب الباحثين في كتاباتهم، وهو شعار أغلب المؤتمرات العالمية، بل يكاد أن يكون اليوم هو المعنى العلمي لمفهوم التعايش السلمي، مع أنّ وجوده على أرض الواقع وفي عالم السياسة الدولية عزيز.

**وهنا أجد من الصواب تقسيم مصطلح التعايش السلمي على قسمين:**

الأول: التعايش السلمي التغالبي، حيث يتعامل الطرفان المختلفان بالوسائل السلمية بعيدا عن العنف والحرب، لكن مع استمرار الصراع والمغالبة بين الطرفين، أو من أحدهما.

(ب) نيكيتا خروشوف، التعايش السلمي كما افهمه تعريب، نجده هاجر وسعيد الغز، الطبعة الأولى، عام 1961م، ص 11، نقلا عن: التعايش (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) (ص28).

(2) الموسوعة السياسية تأليف د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون (ص 764-765) ط- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1974.

الثاني: التعايش السلمي بالتساوي، حيث يسعى الطرفان المختلفان إلى حلّ الخلاف في جو تسوده العدالة والرغبة في إعطاء كلّ ذي حق حقه دون مغالبة أو محاولة لإلغاء الآخر أو الإضرار به. يقول الدكتور عبد العزيز التويجري: "فالتعايش، بهذا الفهم الموضوعي لطبيعته ولسالته، هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش: أي الحياة فيما بينهما وفق قاعدة يحددها، وتمهيد السبل المؤدية إليه، إذ أن هناك فارقاً بين أن يعيش الإنسان مع نفسه، وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الأخيرة يقرر المرء أن يدخل في عملية تبادلية مع طرف ثانٍ، أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح، أو أهداف، أو ضرورات مشتركة. ولا يخرج مفهوم التعايش بين الأديان، عن هذا الإطار العام، بأية حال من الأحوال، وإلاّ فقد خصوصياته، وانحرف عن غاياته، وهذا ما يحتم وجود قاعدة ثابتة يقوم عليها التعايش بين الأديان. وهو أمر له صلة وثيقة برسالة كلّ دين من هذه الأديان، وبالمبادئ التي يقوم عليها، وبالقيم والمثل التي يدعو إليها"<sup>(1)</sup>.

وقد أسهنا هنا في تحديد المصطلح، وذلك أنّ دراستنا تختص بأحكام التعايش السلمي في القرآن الكريم، ومصطلح التعايش لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، فالقرآن الكريم استخدم مصطلح (السلم) للدلالة على معنى قريب مما يقصد به مفهوم التعايش، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَحُوا لِلْسَلْمِ فَأَجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>(2)</sup>، وقريب من ذلك (كلمة سواء) في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

فكان لا بدّ من تحديد المصطلح من أجل البحث بموضوعية ومصداقية في القرآن الكريم عن الأحكام المتعلقة بهذا المفهوم.

وسنجري في بحثنا على تقسيم مصطلح التعايش على القسمين الذين توصلنا لهما: التعايش السلمي التغالبي، والتعايش السلمي المتساوي.

### التخوف من مصطلح التعايش السلمي:

لا بدّ أن نشير هنا إلى ما أورده عدد من الباحثين في مسألة التعايش من منظور الشريعة الإسلامية من تخوف وريبة، يقول الدكتور سلمان العودة: "غير أنّ المفهوم المعاصر لكلمة (التعايش) بات ذا صخب وجدل شديد؛ جعل بعض المهتمين الإسلاميين يحسّون بأنّ هذه الكلمة حُفنت بمفاهيم ذات دلالات سلبية شائعة، تجعل الشريعة كلاًّ مباحاً، وهناك تخوف من أنّ هذا المفهوم قد يكون خلفه تدوير لأسس الإسلام، وتقديم أنصاف العقائد وخليط من الإسلام، وهذه دعاية مسيئة بحق للوجه الإيجابي لهذا المفهوم، ودعاية مسيئة بحق الإسلام، إضافة إلى نسبته إلى الفكر الغربي الذي أشاعه بهذا الاسم أوجد شيئاً من التخوف المشروع بأنّ ترويجه الغربي تمّ بإرادة متنفذة؛ لتغيب القيم الإسلامية، وإدماج المشرق مع المغرب وذوبان هويته"<sup>(4)</sup>.

ويقول الدكتور التويجري: "يتعين علينا بادئ الأمر، أن نؤكد تأكيداً جازماً، أن التعايش الذي نفهمه، ونؤمن به، والذي نرحب بالتعاون من أجل إقراره، لا يعنى بأية حال من الأحوال، تميع المواقف، وخط الأوراق، ومزج العقائد وتذويبها وصدها في قالب واحد، حتى وإن زعموا أنه قالب إنساني في الصميم. ذلك أن أصحاب العقائد السليمة لا يقبلون هذا الخط المريب الغامض، ويرفضون رفضاً بصيراً واعياً أن يفرطوا في خصوصياتهم ومقوماتهم وقيمهم،

(1) الحوار من أجل التعايش (ص80)

(2) الأنفال: 61.

(3) آل عمران: 64.

(4) التعايش للدكتور سلمان بن فهد العودة (ص3) المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار

خشية أن يوصموا بالتعصب، أو حتى يظفروا بصفة التحرر من العقد المركبة. إن التعايش الذي يسلب المسلم هويته، ويجعل توازنه يختل، وكيانه يهتز، هو ليس بتعايش، وإنما هو غش، واحتيال، وتضليل<sup>(1)</sup>.

إذن ليس من الإنصاف في شيء إلغاء مصطلح بكل ما يحمله من أجل تخوف ما وإن كان مشروعاً، بل يمكن وضع ضوابط وشروط لقبوله تزيل المخاوف ولا تخرمنا من الخير الذي فيه، تقول إحدى الباحثات: "كما أن لدى البعض تخوف من أن هذا المفهوم قد يؤدي إلى تذبذب لأسس الإسلام وقيمه، وهو تخوف مشروع، إلا أنه لا ينبغي التحفظ على المفهوم لمجرد التخوف، إذ ليس كل تخوف يعتبر حقاً، بل يفترض الرجوع إلى كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ لتجلية المفهوم والتأكد من صحته أو خطأه"<sup>(2)</sup>.

ويقول الدكتور سلمان العودة: "ومع تقديرنا لهذا التحفظ؛ غير أن انتشار المفهوم بهذا الاسم (التعايش) في أدبيات مختلفة لا ينفي إطلاقاً أساس المعنى المحفوظ والمعترف به والمقدم في النصوص الإسلامية، إنه لا ينبغي التحفظ من هذا المصطلح أو غيره، لكونه محقوناً أو مشحوناً؛ إذ لا مشاحة في الاصطلاح - كما قيل -، ويفترض أن يكون التعامل معه بهدوء وواقعية؛ برده إن كان خطأً، وفرزه إن كان قابلاً للفرز، وهذا ما يدعونا إليه الدين الإسلامي وقواعده، ذلك أن (الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها)"<sup>(3)</sup>.

إذن فيمكن تجاوز المخاوف التي طرحها بعض الباحثين من مصطلح (التعايش) وذلك بتحرير المصطلح بشكل دقيق، ثم عرضه على القرآن الكريم والحكم عليه بما جاء في كلام الله قبولاً أو رفضاً، فليس من العدل والإنصاف نفي شيء بالكامل لمجرد وجود تخوف ما منه.

### ثالثاً: المصطلحات ذات العلاقة الواردة في القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم العديد من الألفاظ التي لها علاقة بمصطلح التعايش السلمي، لعل من الأنسب التعريف بها كي يتوضح المجال المشترك بين المصطلحات، ومن هذه المصطلحات:

1- السِّلْمُ: ضد الحرب، والسَّلْمُ والسَّلْمُ واحد، وفي التنزيل: ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ﴾ . وجنتك بفلان سَلماً، أي مستسلماً لا يُنازع<sup>(4)</sup>، والسِّلْمُ السلام، و السِّلْمُ الصلح بفتح السين وكسرهما يذكر ويؤنث، والسلام المسالم تقول أنا سلم لمن سالمني و السَّلَامُ السَّلَامَةُ<sup>(5)</sup>.

وَالسِّلْمُ: فِي حَقِيقَتِهِ الشَّرْعِيَّةُ لَا يَبْعُدُ عَن حَقِيقَتِهِ اللُّغَوِيَّةِ، وَلِذَا قَالُوا: هُوَ الصُّلْحُ، خِلَافُ الحَرْبِ، أَوْ هُوَ تَرْكُ الجِهَادِ مَعَ الكَافِرِينَ بِشُرُوطِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٦١ (6). (7)

2- الصُّلْحُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا

(1) الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين (ص22)

(2) التعايش السلمي في إطار التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم للباحثة ممنة بنت بريك المحلبدي (ص8) رسالة ماجستير في قسم التربية الإسلامية في جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية 1432-1433هـ.

(3) التعايش لسلمان العودة (ص27)

(4) الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (1/34) تحقيق: عبد السلام هارون، ط- مكتبة الخانجي، القاهرة/مصر، الطبعة الثالثة.

(5) ينظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي مادة (سلم) (ص326) تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت 1995م.

(6) الأنفال: 61.

(7) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء (230/25) صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر.

- صُلْحًا وَأَصْلَحَ خَيْرٌ ۝١٢٨﴾<sup>(1)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغِي حَتَّى تَبْغِيَ الَّتِي تَبَغِي عَلَيْهَا فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ جُنَاحٌ بَيْنَهُمَا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾<sup>(2)</sup>، لُغَةً: اسمٌ بِمَعْنَى الْمُصَالِحَةِ الَّتِي هِيَ خِلَافُ الْمُخَاصِمَةِ. وَأَصْلُهُ بِمَعْنَى الصَّلَاحِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى اسْتِقَامَةِ الْحَالِ، وَالْإِصْلَاحُ نَقِيضُ الْإِسْفَادِ<sup>(3)</sup>، وَشَرْعًا: هُوَ عَقْدٌ يَرْفَعُ النَّزَاعَ بِالْتَّرَاضِي أَيْ بِتَّرَاضِي الطَّرْفَيْنِ الْمُتَخَاصِمِينَ وَيُزِيلُ الْخُصُومَةَ وَيَقْطَعُهَا بِالْتَّرَاضِي<sup>(4)</sup>.
- 3- العهد: قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَيْتُمُوهُمْ إِلَيْهِمْ عَاهَدْتُمْ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٤﴾<sup>(5)</sup>، الْعَهْدُ: الْأَمَانُ وَالْيَمِينُ وَالْمَوْثِقُ وَالذِّمَّةُ وَالْحِفَاطُ وَالْوَصِيَّةُ وَعَهْدٌ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ فَهَمَ أَي أَوْصَاهُ وَمِنْهُ اشْتَقَّ الْعَهْدُ الَّذِي يُكْتَبُ لِلْوَلَاةِ، وَكُلُّ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْمَوَاطِقِ فَهُوَ عَهْدٌ، الْعَهْدُ الْأَمَانُ وَكَذَلِكَ الذِّمَّةُ<sup>(6)</sup>
- وأهل العهد: هُمُ الَّذِينَ صَالَحَهُمْ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِنْهَاءِ الْحَرْبِ مَدَّةً مَعْلُومَةً لِمُصْلِحَةٍ يَرَاهَا، وَالْمَعَاهِدُ: مِنَ الْعَهْدِ: وَهُوَ الصُّلْحُ الْمُؤَقَّتُ، وَيُسَمَّى الْهُدْنَةَ وَالْمُهَادَنَةَ وَالْمُعَاهَدَةَ وَالْمُسَالِمَةَ وَالْمُؤَادَعَةَ<sup>(7)</sup>.
- وإصطلاحاً: ما يتفق رجلان أو فريقان من الناس على التزامه بينهما لمصلحتهما المشتركة، فإن أكدها ووثقها بما يقتضي زيادة العناية بحفظه والوفاء به سمي ميثاقاً<sup>(8)</sup>.
- والغرض الأول من المعاهدات في الإسلام هو ترك قتال كل من الفريقين المعاهدين للآخر، وحرية التعامل بينهما<sup>(9)</sup>.
- و يدخل ضمن معنى المعاهدة الميثاق، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مَبِثٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقْتَلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوكُمْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ آعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقْتَلُوكُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ۝٩٠﴾<sup>(10)</sup>
- 4- الأمان: قال تعالى: ﴿سَتَجِدُونَ ءآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝٩١﴾<sup>(11)</sup>، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾<sup>(12)</sup>، الْأَمَانُ فِي اللُّغَةِ: عَدَمُ تَوْفُّعٍ مَكْرُوهٍ فِي الزَّمَنِ الْأَتِيِّ، وَأَصْلُ الْأَمْنِ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَزَوَالُ الْخَوْفِ<sup>(13)</sup>، وفي الشرع: هو عقد يفيد

(1) النساء: 128

(2) الحجرات: 9.

(3) ينظر: مختار الصحاح مادة (صلح) (ص 375) ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور المصري (2/516) ط- دار صادر - بيروت.

(4) ينظر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام العدلية، لعلي حيدر (2/4) تحقيق تعريب: المحامي فهمي الحسيني، ط- دار الكتب العلمية،

بيروت- لبنان. والقاموس الفقهي لغة واصطلاحاً لسعدي أبو جيب (ص 215) ط- دار الفكر. دمشق - سورية، الثانية 1993م.

(5) التوبة: 4.

(6) ينظر مختار الصحاح مادة (عهد) (ص 467) ولسان العرب (3/311)

(7) الموسوعة الفقهية الكويتية (7/105)

(8) ينظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي-دراسة مقارنة للدكتور وهبة الزحيلي (ص 346) ط- دار الفكر-دمشق، الثالثة 1419هـ.

(9) المصدر السابق.

(10) النساء: 90.

(11) النساء: 91.

(12) التوبة: 6.

(13) ينظر مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (1/48) ط- دار القلم - دمشق، تاج العروس من جواهر

ترك القتال والقتال مع الكفار<sup>(1)</sup>، وترك القتال قد يكون نتيجة للأمان الذي منحه الكفار للمسلمين كما هو نتيجة للأمان الذي يمنحه المسلمون للكفار.. وعليه، ففي كلتا الحالتين، يجب وقف القتال ضد هؤلاء الكفار من أهل الحرب، سواء كانوا مانحين للأمان، أم كانوا ممنوحين له من قبل المسلمين، ومن هنا يبرز كونه نوعاً من المودعة<sup>(2)</sup>، ومما يدخل في معنى الأمان:

5- الذمة ودفع الجزية: ولم يرد مصطلح الذمة في القرآن الكريم، بل ورد في السنة النبوية، لكن الحكم الشرعي بدفع الجزية ورد في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صُغُرُونَ ٢٩﴾<sup>(3)</sup>، والذمة: في اللغة تُفسر بالعهد وبالأمان كتسمية المعاهد بالذمة، وفسر قوله صلى الله عليه وسلم: (ذمة المسلم واحدة يسعى بها أذناهم)<sup>(4)</sup>: بالأمان<sup>(5)</sup>، وتعريف عقد الذمة هو: إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة، وقيل: التزام تغيير غير المسلمين في دارنا وحمايتهم والذب عنهم بشرط بذل الجزية والاستسلام منهم<sup>(6)</sup>.

6- الصفح الجميل: ومعناه: صفح بلا معاتبة<sup>(7)</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصَّحِ الصَّحْحَ الْجَمِيلِ ٨٥﴾<sup>(8)</sup>، أمر نبيه ﷺ بالصفح وذلك يقتضي المهادنة<sup>(9)</sup>. "أي فأعرض عنهم، واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء، وقيل: هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد؛ لأن المقصود من ذلك أن يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح، فكيف يصير منسوخاً"<sup>(10)</sup>، ومثله قوله تعالى: ﴿فَاصَّحِ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩﴾<sup>(11)</sup>

7- كلمة سواء: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤﴾<sup>(12)</sup> بمعنى: "عدل بيننا وبينكم مستوية، أي أمر مستو يقال: دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَاهُ فِي سِوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وإنما قيل للنصف سواء لأن أعدل الأمور

القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي (184/34) تحقيق: مجموعة من المحققين، ط- دار الهداية.

(1) ينظر مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الخطيب الشربيني الشافعي (236/4) ط- دار الفكر-بيروت.

(2) ينظر الجهاد والقتال في السياسة الشرعية للدكتور محمد خير هيكل (1499/3) ط- دار البيارق-عمان-الأردن.

(3) التوبة: 29.

(4) رواه الإمام البخاري في صحيحه، باب (حرم المدينة) (661/2) برقم (1771)

(5) ينظر المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (ص111) تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط- المكتبة العصرية،

الثانية 1997م، وتاج العروس (205-206/32)

(6) ينظر منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن أحمد بن محمد عليش (213/3) ط- دار الفكر - بيروت 1409هـ، وكشاف القناع عن متن

الإقناع لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي (116/3) تحقيق هلال مصيلحي مصطفى، ط- دار الفكر - بيروت 1402هـ.

(7) ينظر مجموع الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (183/10) تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، ط- دار الوفاء، الثالثة

1426 هـ..

(8) الحجر: 85.

(9) ينظر: تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (452/5) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض،

ط- دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1422 هـ

(10) تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (164/19) ط- دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى 1421هـ

(11) الرُحُف: 89.

(12) آل عمران: 64.

وأفضلها أوسطها"<sup>(1)</sup>، فالدعوة لكلمة سواء تعني: " أنه دعاهم إلى معانٍ جميع الناس فيها مستنون صغيروهم وكبيرهم، وقد كانت سيرة المدعويين أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً فلم يكونوا على استواء حال، فدعاهم بهذه الآية إلى ما تألفه النفوس من حق لا يتفاضل الناس فيه"<sup>(2)</sup>.

8- الجدال بالتي هي أحسن: قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْهُدَىٰ وَوَحَّدُوا لَهُمْ مَسْلُومًا ۖ﴾<sup>(3)</sup>، ومثله قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّىٰ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۖ﴾<sup>(4)</sup>، والمجادلة: مفاعلة من الجدال، وهو إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره، و(بالتي هي أحسن) أي إلا بالمجادلة الحسنى، قال مجاهد: هِيَ مُحْكَمَةٌ فَيَجُوزُ مُجَادَلَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ عَلَىٰ مَعْنَى الدُّعَاءِ لَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى حُجَجِهِ وَأَيَاتِهِ، رَجَاءً إِجَابَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِغْلَاطِ وَالْمُخَاشَنَةِ<sup>(5)</sup>.

هذه جولة في عدد من المصطلحات الواردة في القرآن الكريم والتي لها علاقة بمصطلح التعايش، وتعريف بهذه المصطلحات حيث سيدور كثير من بحثنا حولها، ومما لا يخفى ورود مصطلحات في القرآن الكريم تحمل معانٍ مناقضة ومضادة لهذه المصطلحات استخدمها القرآن الكريم في التعاملات التي لا يصح معها قبول مبدأ التعايش السلمي، مثل: القتال، القتل، الحرب، الجهاد، الدفع، الانتصار، النبذ على سواء، أحصروهم، القعود في كل مرصد، وهذه المصطلحات تضاد معنى التعايش كما بيناه وبضدها تتبين الأشياء، سيكون مدار البحث بيان الأحكام المتعلقة بهذه المصطلحات التي تطرق لها القرآن الكريم، والله سبحانه وتعالى وحده المعين على ذلك وهو يهدي السبيل.

(1) تفسير معالم التنزيل لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (49/2) تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية -

سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة، 1417 هـ.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (463/1) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،

ط- دار الكتب العلمية - لبنان، الأولى 1413 هـ.

(3) العنكبوت: 46.

(4) النحل: 125.

(5) ينظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (350/13) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط- دار

الكتب المصرية - القاهرة، الثانية، 1384 هـ، والتحرير والتنوير من التفسير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور

(181/20) ط- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الأولى 1420 هـ.

## المبحث الثاني

### التعايش السلمي في مرحلة الدعوة

#### تمهيد:

تواتر في السيرة النبوية أن دعوة الإسلام ونزول القرآن كان منجما ومفرقا لا جملة واحدة ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (1) والأوامر بالشرعية كانت متدرجة، فنزل أول ما نزل الآيات التي تبين الإيمان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته وفعاله، والملائكة والبعث والنشور واليوم الآخر والجزاء وتذكر قصص الأنبياء، وفي ذلك تقول زوج النبي ﷺ السيدة عائشة ؓ حين سئلت عن ترتيب نزول القرآن الكريم ((إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها يكرر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام. نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندد الخمر أبدا، ولو نزل لا تزئوا لقالوا: لا ندد الزنا أبدا. لقد نزل بمكة على محمد في صلى الله عليه وسلم وإني لجارية العب: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده)) (2).

كما أنه من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية قاعدة تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد (3)، عقد ابن القيم في كتابه (إعلام الموقعين) فصلاً نفيساً في تقرير أن الشريعة مبنية على مصالح العباد، وقد عنون له: "فصل في تغيير الفتوى، واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد" ثم قال: "الشريعة مبنية على مصالح العباد هذا فصل عظيم النفع جداً وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به" (4).

ثم ضرب ابن القيم رحمه الله أمثلة على ذلك منها: "إن النبي ﷺ: ((نهى أن تقطع الأيدي في الغزو)) (5)، فهذا حد من حدود الله تعالى وقد نهى عن إقامته في الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبا كما قاله عمر وأبو الدرداء وحذيفة وغيرهم، وقد نص أحمد وإسحاق بن راهويه والأوزاعي وغيرهم من علماء الإسلام على أن الحدود لا تقام في أرض العدو" (6).

(1) الإسرائ: 106.

(2) الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (باب تأليف القرآن) (6/185) برقم (4993) تحقيق محمد زهير الناصر، ط- دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، الأولى، 1422هـ، و سنن النسائي الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (باب كيف نزل القرآن) (5/5) برقم (7987) تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، ط- دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى 1411هـ - 1991م.

(3) تنظر هذه القاعدة في إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (3/3) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط- مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة 1388هـ/1968م، ودرر الحكام شرح مجلة الأحكام (43/1)

(4) إعلام الموقعين (11/3)

(5) رواه في السنن أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (باب الرجل يسرق في الغزو أيقطع) برقم (4408) (6/458) تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط- دار الرسالة العالمية، الأولى، 1430 هـ، والجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (باب ما جاء أن لا تقطع الأيدي في الغزو) برقم (1450) (53/4) تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ط- دار إحياء التراث

العربي - بيروت، وهو في سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (باب في أن لا تقطع الأيدي في الغزو) برقم (2492) (303/2) ط- دار الكتاب العربي - بيروت، 1407هـ، ت: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، وقال الشيخ الألباني: صحيح، ينظر مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (319/2) ط- المكتب الإسلامي - بيروت، الثالثة 1985م ت: محمد ناصر الدين الألباني.

(6) إعلام الموقعين (5/3)



وإذا كان الأمر كذلك فإن كثيرا من الأحكام المتعلقة بالتعايش السلمي في الشريعة الإسلامية خضعت للمتغيرات في مراحل نزول القرآن الكريم وتدرج الشريعة الإسلامية وتغير الأحكام بحسب تغير الأزمان والأماكن والأحوال، ويجب فهم هذه الأحكام التي نزل بها القرآن الكريم وفق سياقاتها الزمانية والمكانية وأسباب نزولها؛ لأن تجريد الآيات الكريمة عن سياقها قد يؤدي إلى سوء الفهم للآيات وإنزال الأحكام في غير موضعها ومناطقها، مما يؤدي - كما قال ابن القيم - إلى الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل إليه.

وإذا نظرنا إلى مراحل تدرج التشريع في القرآن الكريم، وتقسيم الآيات بحسب نزولها عند العلماء المتخصصين في علوم القرآن الكريم، نجد قسمين رئيسيين هما، الآيات المكية والآيات المدنية، وفي الاصطلاح المعاصر تكرر مصطلحي: مرحلة الدعوة ومرحلة الدولة.

وفي بحثنا هذا في النظر لأحكام التعايش السلمي في القرآن الكريم، سنتطرق إلى القسم الأول: أحكام التعايش السلمي في مرحلة الدعوة، على أمل إتمام الموضوع في بحث ثانٍ إذا يسّر الله.

### أولا: أحكام التعايش السلمي في مرحلة الدعوة.

بعد نزول أول آيات القرآن الكريم على النبي ﷺ نزل الأمر عليه بوجوب الدعوة إلى الله سبحانه بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۙ قُمْ فَأَنْذِرْ ۚ﴾ (1)، وبدأ النبي ﷺ بحمل هذه الأمانة وتبليغها (2).

ومرحلة الدعوة استغرقت جميع المرحلة المكية زهاء ثلاثة عشر عاما، أي أكثر من نصف المدة التي كانت فيها البعثة والنبوة ونزول الوحي من السماء الذي زاد على ثلاثة وعشرين عاما، لكن هذه المرحلة أيضا لم تكن طورا واحدا، بل قسمت إلى ثلاثة مراحل: الأولى مرحلة الدعوة السرية والكتمان والتي استغرقت ثلاثة أعوام على أغلب الروايات، ثم مرحلة الدعوة العلنية واضطهاد قريش حتى العام العاشر من البعثة، ومرحلة العرض على القبائل والهجرة وهذه المرحلة استغرقت ثلاثة أعوام (3).

كانت مرحلة الدعوة السرية تتسم بالهدوء، وكان الهدف منها الابتعاد عن أي مسبب للتصادم مع المحيط (قريش)؛ حفاظا على الدعوة الناشئة وأفرادها الذين ما يزال برعم الإيمان غضا في قلوبهم (4)، لم يتدخل المسلمون بأي شأن من شؤون غيرهم في نقد أو مواجهة أو مخالفة ظاهرة، والأصل أن لا تظهر المخالفة في شيء إلا في حالة اضطرارية قاهرة، فلا بد من المحافظة على السرية التامة، وهذا الأمر داخل في نطاق الحفاظ على التعايش السلمي بين المؤمنين الجدد ومحيطهم الذي يعيشون فيه الذي يتبنى العقائد الباطلة (5).

(1) المدثر: 1-2.

(2) ينظر المنهج الحركي للسيرة النبوية للشيخ منير محمد الغضبان (20/1) ط- مكتبة المنار- الأردن-الزرقاء، السادسة 1411هـ، و السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث لعلي محمد محمد الصلابي (84-85/1) ط- دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت- لبنان، السابعة 1429هـ.

(3) ينظر السيرة النبوية للصلابي (93/1، 120/1، 231/1) و السيرة النبوية بين الآثار الروية والآيات القرآنية لمحمد بن مصطفى بن عبد السلام الديبسي (291/1) رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشراوي، 1431 هـ - 2010 م.

(4) ينظر السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي لأحمد أحمد غلوش (339/1) ط- مؤسسة الرسالة، الأولى 1424هـ-2003م، والجهاد والقتال في السياسة الشرعية (ص372)

(5) ينظر المنهج الحركي للسيرة (30/1) ودار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة دعوية في تاريخ الإسلام للدكتور قحطان قدوري محجم (ص498) بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الثاني عشر-كانون الأول 2011م.



ثم جاءت المرحلة الثانية وفيها جاء الأمر بعلنية الدعوة بعد نزول قوله تعالى ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٩٤<sup>(1)</sup>، فبدأ النبي ﷺ يدعو قريش علناً لتوحيد الله ونبذ الشرك والاستسلام لله والدخول في دين الإسلام<sup>(2)</sup>، لم يلق المشركون بالاً للجهر بالدعوة لعبادة الله، لكن حينما بدأ النبي ﷺ في إنكار الشرك بالله وعبادة غيره وبيان حقيقة آلهة قريش المزعومة، أعظموا ذلك وناكروه وأظهروا العداوة وبدأت مرحلة إيذاء النبي ﷺ والمسلمين<sup>(3)</sup>، وتضاعف الأذى بمرور الأيام حتى بلغ أقصى أنواع التعذيب، بل وصلت حدّ القتل<sup>(4)</sup>.

في مواجهة هذا الاضطهاد الفكري والديني وأعمال العنف، كان موقف القرآن الكريم واضحاً منذ الأمر بالجهر بالدعوة، وهو الأمر بالإعراض ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ٩٤، وتكرار الأمر بالصبر على الأذى ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ ١٣٠<sup>(5)</sup>، ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ ٦٠<sup>(6)</sup>، فكان الأمر بكف اليد والنهي عن القتال أو حتى رد الأذى بعنف إلا حفاظاً على النفس، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ ٧٧<sup>(7)</sup>، روي في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له رضي الله عنهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمننا صرنا أذلة فقال: ((إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم)) فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ ٧٧<sup>(8)</sup>.

فكان حكم الصبر على المسلمين الوجوب، والقتال محرم، كما أوضحته الآية الكريمة ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾، ونصّ الرواية الصحيحة السابقة، قال ابن العربي: " قَالَ عَلْمَاؤُنَا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ لَمْ يُؤَدِّنْ لَهُ فِي الْحَرْبِ، وَلَمْ تَجَلَّ لَهُ الدِّمَاءُ، إِنَّمَا يُؤَمَّرُ بِالِدُعَاءِ إِلَى اللَّهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، وَالصَّفْحِ عَنِ الْجَاهِلِ مُدَّةَ عَشْرَةِ أَعْوَامٍ، لِإِقَامَةِ حُجَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ"<sup>(9)</sup>، وسبب استمرار حالة السلم رغم اشتداد الأذى زيادة على الأسباب السابقة في الحفاظ على المؤمنين من خطر الاستئصال وإجهاض الدعوة، وسفك الدماء - بالتأكيد - سيكون ذريعة للمشركين لاستباحة دماء المسلمين، نستطيع أن نضيف أسباباً أخرى أهمها:

(1) الحجر: 94.

(2) ينظر السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (97/2) تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط- دار الجيل، 1411هـ.

والمنهج الحركي للسيرة (37/1)

(3) السيرة النبوية لابن هشام (98/2) والسيرة النبوية والدعوة في العهد المكي (342/1)

(4) ينظر السيرة النبوية لابن هشام (159/2)

(5) طه: 130.

(6) الروم: 60.

(7) النساء: 77.

(8) ينظر سنن النسائي الكبرى (باب سورة النساء) (325/6) برقم (11112) والسنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ب)

مبتدأ الإذن بالقتال (11/9) برقم (17519) تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط- مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414 -

1994م، والمستدرک علی الصحیحین لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (باب تفسير سورة النساء) (336/2) برقم

(3200) تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، ط- دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1411 - 1990م، وقال الحاكم صحيح

على شرط البخاري ووافقه الذهبي، و لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (63/1) تحقيق أحمد عبد

الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

(9) أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المالكي (301/3) تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط- دار الكتب العلمية- بيروت- الثالثة

1424هـ.

إنّ مرحلة الدعوة والإقناع والحوار والجدال والتي هي أحسن وإتمام مرحلة البلاغ المبين الواضح وإيصاله لكلّ من يعيش في مكة لم تكتمل، بدليل دخول عدد جديد - ولو كان يسيراً - في الإسلام طوال هذه المدة، واستعمال العنف والمواجهة كان سيضع سداً نفسياً كبيراً أمام نشر الدعوة، حيث أنّ العنف يولد البغضاء والعداوات التي توغر القلوب وتمنع الإنسان من الاستماع.

والمرحلة الثالثة كانت مؤكدة للتمسك بالنهج السلمي، فرغم زيادة عدد المسلمين حتى بلغوا المئات، وبالتأكيد كانوا قادرين على مواجهة المشركين لدرجة ما، أو على الأقل ردّ عدوان بعضهم وإحداث بلبلة بين صفوفهم<sup>(1)</sup>، إلا أنّ هذه المرحلة لم تشهد إلا البحث عن مكان بديل آمن يحمي الدعوة ويتبناها، وابتدأ ذلك في رحلة النبي ﷺ إلى الطائف في السنة العاشرة من البعثة بحثاً عن مأوى بديل للدعوة فيها، ورغم أن المحاولة فشلت، إلا أنّ النبي ﷺ لم ييأس واستمر في عرض نفسه على القبائل حتى تم لقاء وفد الأنصار وتمت بيعتا العقبة ومن ثمّ الهجرة إلى المدينة المنورة<sup>(2)</sup>.

### ثانياً: التعايش السلمي في المرحلة المكية:

تبين لنا من السرد السابق أنّ عهد الدعوة في مكة بمراحله الثلاث كان متميزاً بحالة السلم وخالياً من العنف إلا في حالات معدودة محصورة اضطر فيها بعض المسلمين للدفاع عن نفسه، ومعنى هذا أنّ مسيرة الدعوة الإسلامية في مكة من فاتحتها إلى خاتمتها كانت تستخدم الوسائل السلمية من جهتها، لا ترفع سيفاً، ولا تشهر سلاحاً رغم ما كان يقع على صاحب هذه الدعوة وعلى الرعيّل الأول من المؤمنين بها من صنوف الأذى، وضروب الاضطهاد، وكان الحكم الشرعي والأمر الإلهي بالتزام السلم والصبر والعتق واضحاً وصريحاً، والنهي عن القتال والعنف صريحاً أيضاً، وهذا يعني أنّ الجانب الأكبر من حياة الرسول ﷺ ودعوته التزم السلمية، فالنبي ﷺ كان من مبعثه الشريف وحتى وفاته ثلاثة وعشرون عاماً، عاشت الدعوة منها ثلاثة عشر عاماً ونيف سلمية، وخاضت ميادين القتال مع المشركين أقلّ من عشر سنين في المدينة<sup>(3)</sup>.

" كانت الحركة الإسلامية تعيش في ظل الجاهلية، في ظل المجتمع الذي تترع فيه الخمر، وتتصب فيه الرايات الحمر للزانيات، وفي ظل الأصنام التي بلغت ثلاثمائة ومع ذلك لم يتعرض المسلمون لهذه المفاصد أو يقاوموها، أو يوجهوا جهدهم للنيل منها أو تحطيمها، لقد كانوا بعيدين عن هذا كله. واتجه همهم إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. والحركة الإسلامية في مثل هذه المرحلة تتخذ هذا الموقف، تبتعد عن المواجهة ومواطن الإثارة، وتكف أيديها عن القتال من خلال أوامر القيادة.

لم يكن صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم جنباء ولا أذلاء، بل كانوا يعانون من الضبط والالتزام بعدم القتال ما لا يعلمه إلا الله، وكانوا يعانون من الضغط على أعصابهم والكبت على نفوسهم ما يكون القتال معه أهون بألف مرة عليهم، ومع ذلك لم نسمع عن مخالفة واحدة، واندفاع مفاجئ واحد<sup>(4)</sup> وإذا أردنا أن نثبت ملاحظتنا لبيان أحكام التعايش السلمي في هذه المرحلة فيمكننا تثبيت النقاط الآتية:

(1) قال الإمام القرطبي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (38) "رُوي أنّها نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة وأذاهم الكفار وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، أراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار ويقتال ويعدّر ويقتال، فنزلت هذه الآية إلى قوله: "كفور". فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى أفصح نهى عن الخيانة والعدر. ينظر

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (67/12)

(2) السيرة النبوية لابن هشام (266/2 إلى 270) والسيرة النبوية للصابي (1/210-209)، وكذلك (231)

(3) ينظر الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (372/1)

(4) المنهج الحركي للسيرة النبوية (124/1)

1. أنّ مرحلة الدعوة السرية في أعوامها الثلاث تميزت بكتمان الحق من حيث عدم إعلانه بشكل عام، والسكوت عن الباطل والمنكر العام، مقابل تربية مجموعة محدودة على الحق الصراح ومحو الباطل وقيمه من قلوب هذه المجموعة، وكان هذا الكتمان والسكوت هدفه الحفاظ على سلمية التعايش وعدم الدخول في صدام يجهض الدعوة الإسلامية في مهدها ويسدّ طريقها.

والسؤال: هل هذه قاعدة مطردة لمراعاة التعايش مع المخالفين، فيشرع كتمان الحق والسكوت عن الباطل في سبيل استمرار التعايش؟ الحقيقة أنّ الجواب الذي توضح لنا أنّ هذه القاعدة غير مطردة، بدليل إعلان الدعوة بعد انتهاء هذه المدة، ولو كانت القاعدة مطردة فما هو المسوغ الشرعي لتعريض المسلمين لصنوف الاضطهاد والقتل بإعلان الدعوة للحق وانكار الشرك؟ فليس الحفاظ على التعايش السلمي مبرراً لكتمان الحق والسكوت على المنكر، وإنما المبرر هو انتظار التوقيت المناسب والظروف الملائمة للقيام بذلك، وحالة السكوت أمر مؤقت لا غير.

2. في مرحلة علنية الدعوة وتعرضها لشتى صور العنف والعذاب، لا يمكننا تسمية حالة الصبر الجميل والصفح الجميل التي عاشها المسلمون (تعايشاً سلمياً) بالمعنى الاصطلاحي الذي أثبتناه، وهو التعايش المتكافئ المتساوي بين المختلفين؛ فالضغط الذي مارسه معسكر الشرك كان هائلاً ولا يمكن إطلاق مصطلح (التعايش) عليه، فقد تقدم في مفهوم التعايش أنه يحتاج رضا الطرفين المتعايشين، ولا يمكن القول بأنّ الإسلام والمسلمون كانوا راضين عن هذه الحال التي عاشوها في مكة، بل هي حالة مقاومة سلمية مرحلية لاستكمال مهمة التبليغ، وتهيئة الظروف المناسبة لإيجاد مكان آمن يحتضن الدعوة والمسلمين.

وإذا قلنا أنّ سلمية المسلمين في هذه المرحلة لا يمكن تسميتها تعايشاً بالمعنى الاصطلاحي لمفهومنا المعاصر اليوم، لكن لا بد من التنبيه إلى أنّ منهج (السلمية) وتحريم (العنف) كان أمراً جازماً وواضحاً في القرآن الكريم طوال مدة الدعوة المكية، وأنّ العنف لم يكن خياراً للمسلمين، حتى أنّ الأمر بمفارقة البيت الحرام ومفارقة الوطن والأهل والمال كان أهون من الدخول في أعمال عنفٍ داخلية، ويظهر لنا جلياً أنّ القرآن الكريم في منهجه الذي رسمه للمسلمين لا يسمح بما يؤدي للحروب الأهلية الداخلية بين أهل المدينة الواحدة بما يسفك الدماء ويقطع الأرحام والصلوات ويثير الأحقاد والثارات الداخلية خصوصاً مع استمرار الحاجة للتبليغ والدعوة.

### ثالثاً: الأحكام الشرعية المستفادة من هذه المرحلة:

من خلال دراسة الحكم الشرعي للتعايش السلمي في المرحلة المكية يطرح الكثير من الباحثين سؤالاً حول إمكانية تطبيق هذه الأحكام في الواقع المعاصر في حال توافر ظروف مشابهة.

وهذا السؤال قد طرحه الكثير من الفقهاء والعلماء في كثير من الظروف التي مرت بالأمة الإسلامية، فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد الذي أنزله الله سبحانه وتعالى منهاجاً خالداً للبشر إلى يوم القيامة، وقد تكرر ذكر التوجيه بالصبر والعفو والصفح والإعراض عن أعداء الدعوة في كتاب الله في المرحلة المكية، ولابد أنّ هذه الآيات الكريمة التي تتلى إلى يوم القيامة ينتفع بها المسلمون في زمن أو واقع قد يواجهونه.

وفي ذلك يقول ابن تيمية: "وصارت تلك الآيات [أي آيات الصبر] في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله ﷺ بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه، وصارت آية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده أو لسانه، وبهذه الآية ونحوها كان المسلمون يعملون في آخر عمر رسول الله ﷺ وعلى عهد خلفائه الراشدين، وكذلك هو إلى قيام الساعة لا تزال طائفة من هذه الأمة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام، فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو

فيه مستضعف فليعمل بأية الصبر والصفح عن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين وأما أهل القوة فإنما يعملون بأية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وبأية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون<sup>(1)</sup>

وإذا كان الأمر كذلك، فهذا الحكم ينطبق كذلك في حالة استمرار الحاجة لتبليغ دين الله والبيان المبين له، والتأكد من وضوح التبليغ لكل جوانبه بحيث قامت الحجة وزال الالتباس عن الناس، فقبل إكمال حالة البلاغ هذه فالمسلمون مأمورون بالصبر وكفّ اليد، وهذا يشمل اليوم بلاد المسلمين التي تقشى فيها الجهل بدين الله، فيجب على من يريد تبليغ دين الله لهم الصبر عليهم وتحمل الأذى وعدم مقابلته بمثله والصفح حتى لو بلغ الأذى حدّ التعذيب، ويصبر على ذلك ما دام البلاغ لم يكتمل وضوحه للناس.

ويدخل في ذلك التدرج في تغيير المنكر والأمر بالواجبات فقد يدخل التخفيف في ذلك بالعمو عن وجوب إنكار بعض المنكرات والأمر ببعض الواجبات بقصد التدرج وتحقيق تطبيق أحكام الإسلام على الوجه الأمثل وفي ذلك يقول ابن تيمية: "فالعالم تارة يأمر وتارة ينهي وتارة يبيح وتارة يسكت، فالأمر أو النهي أو الإباحة كالأمر بالصلاح الخالص أو الراجح أو النهي عن الفساد الخالص أو الراجح وعند التعارض يرجح الراجح كما تقدم بحسب الإمكان، فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن إما لجهله وإما لظلمه ولا يمكن إزالة جهله وظلمه فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه كما قيل إن من المسائل مسائل جوابها السكوت كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر، فالعالم في البيان والبلاغ كذلك قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله تسليمها إلى بيانها"<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> الصارم السلول على شاتم الرسول لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (413/2) تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودي، ط- دار ابن حزم -بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ.

<sup>(2)</sup> مجموع الفتاوى (59/20)

## خاتمة بأهم نتائج البحث

- 1- أنّ مفهوم (التعايش السلمي) استعمل على مستوى العلاقات الدولية بأكثر من معنى وأهم هذه المعاني المستخدمة - مفهومين أساسيين  
الأول: التعايش السلمي التغالبي، حيث يتعامل الطرفان المختلفان بالوسائل السلمية بعيدا عن العنف والحرب، لكن مع استمرار الصراع والمغالبة بين الطرفين، أو من أحدهما.  
الثاني: التعايش السلمي بالتساوي، حيث يسعى الطرفان المختلفان إلى حلّ الخلاف في جو تسوده العدالة والرغبة في اعطاء كلّ ذي حق حقه دون مغالبة أو محاولة لإلغاء الآخر أو الإضرار به.
- 2- أقرب ما ورد في القرآن الكريم لمفهوم التعايش السلمي هو لفظ (السلم) ووردت مصطلحات أخرى مقارنة مثل (الصلح) و (العهد) و (الأمان) و (الجدال بالتّي هي أحسن)
- 3- أنّ رسول الله ﷺ والمسلمون معه عاشوا أغلب مدة الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة ما يقارب (13) عاما، وكانت تتميز بالتعامل السلمي والبعد عن العنف في مقابل (10) أعوام في المدينة النبوية استمر الصراع المسلح مع أعداء الدعوة والمعتدين عليها ما يقارب (8) سنين.
- 4- الأحكام المتعلقة بالتعايش السلمي في الشريعة الإسلامية خضعت للمتغيرات في مراحل نزول القرآن الكريم وتدرج الشريعة الإسلامية وتغير الأحكام بحسب تغير الأزمان والأماكن والأحوال، ويجب فهم هذه الأحكام التي نزل بها القرآن الكريم وفق سياقاتها الزمانية والمكانية وأسباب نزولها؛ لأنّ تجريد الآيات الكريمة عن سياقها قد يؤدي إلى سوء الفهم للآيات وإنزال الأحكام في غير موضعها ومناطقها
- 5- أنّ مرحلة الدعوة في مكة التي استغرقت أكثر من نصف عمر الدعوة تميزت بالأمر بكفّ اليد والنهي عن القتال أو حتى ردّ الأذى بعنف إلا حفاظا على النفس، فكان حكم الصبر على المسلمين الوجوب، والقتال محرم طوال تلك المدة.
- 6- الحكم بوجوب الصبر في مدة الدعوة المكية ينطبق كذلك في كلّ عصر فيه حالة استمرار الحاجة لتبليغ دين الله والبيان المبين له، والتأكد من وضوح التبليغ لكلّ جوانبه بحيث قامت الحجة وتوضحت معاني الدين بشكل جلي للناس، فقبل إكمال حالة البلاغ هذه فالمسلمون مأمورون بالصبر وكفّ اليد، وهذا يشمل اليوم بلاد المسلمين التي تفشى فيها الجهل بدين الله، فيجب على من يريد تبليغ دين الله لهم الصبر عليهم وتحمل الأذى وعدم مقابلته بمثله والعفو والصفح حتى لو بلغ الأذى حدّ التعذيب، ويحرم على من يريد الدعوة للإسلام أن يستخدم العنف والقتل والاكراه والترهيب لأنّ ذلك يضرّ بنشر الدين ودعوة الناس إليه.

### مراجع البحث

- 1- آثار الحرب في الفقه الإسلامي-دراسة مقارنة للدكتور وهبة الزحيلي ، ط- دار الفكر-دمشق، الثالثة 1419هـ.
- 2- أحكام القرآن لمحمد بن عبد الله أبي بكر بن العربي المالكي ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ط- دار الكتب العلمية- بيروت- الثالثة 1424هـ.
- 3- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني - تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، ط- دار الكتاب العربي، الأولى 1419هـ.
- 4- الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين للدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري ، بحث من اصدار المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) مقدم للمؤتمر الدولي العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة 1418 هـ.
- 5- الاشتقاق لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبد السلام هارون، ط- مكتبة الخانجي، القاهرة/مصر، الطبعة الثالثة.
- 6- إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط- مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة 1388هـ/1968م
- 7- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط- دار الهداية.
- 8- التحرير والتنوير من التفسير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور ، ط- مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الأولى 1420هـ
- 9- التعايش - للدكتور سلمان بن فهد العودة بحث مقدم إلى المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار.
- 10- التعايش (دراسة نقدية في ضوء الإسلام) إعداد: عبدالله بن موسى يلكوي، إشراف: الدكتور: عبدالله بن حمد العويسي - رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية مقدمة لجامعة العلوم والتكنولوجيا /صنعاء 2008م.
- 11- التعايش السلمي في إطار التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم للباحثة مزنة بنت بريك المحلبي ، رسالة ماجستير في قسم التربية الإسلامية في جامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية 1432-1433هـ.
- 12- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، ط-دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1422 هـ
- 13- تفسير معالم التنزيل لمحيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة ، 1417 هـ.
- 14- تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (164/19) ط- دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى 1421هـ
- 15- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت ،
- 16- الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق محمد زهير الناصر، ط-دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، الأولى، 1422هـ.
- 17- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني

- وإبراهيم أطفيش، ط- دار الكتب المصرية - القاهرة، الثانية، 1384هـ،
- 18- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية للدكتور محمد خير هيكل، ط- دار البيارق-عمّان-الأردن.
- 19- الحوار من أجل التعايش عبدالعزيز بن عثمان التويجري، ط- دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، عام 1998م
- 20- دار الأرقم بن أبي الأرقم أول مؤسسة دعوية في تاريخ الإسلام للدكتور قحطان قدوري محجم، بحث منشور في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، العدد الثاني عشر-كانون الأول 2011م.
- 21- درر الحكام شرح مجلة الأحكام العدلية، لعلي حيدر ، تحقيق تعريب: المحامي فهمي الحسيني، ط- دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- 22- سلسلة أوراق ديمقراطية، تصدر عن مركز العراق لمعلومات الديمقراطية، التعايش في ظل الاختلافات، العدد الثاني، حزيران 2005م
- 23- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط- دار الفكر - بيروت
- 24- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط- دار الرسالة العالمية، الأولى، 1430 هـ ،
- 25- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط- مكتبة دار الباز - مكة المكرمة، 1414 - 1994م،
- 26- سنن النسائي الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري، ط- دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى 1411هـ - 1991م.
- 27- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية لمحمد بن مصطفى بن عبد السلام الديبسي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي، 1431 هـ - 2010م.
- 28- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث لعلي محمد محمد الصلابي ، ط- دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت- لبنان، السابعة 1429هـ.
- 29- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط- دار الجيل، 1411هـ.
- 30- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي لأحمد أحمد غلوش ، ط- مؤسسة الرسالة، الأولى 1424هـ-2003م
- 31- الصارم المسلول على شاتم الرسول لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودي، ط- دار ابن حزم -بيروت، الطبعة الأولى 1417هـ.
- 32- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا لسعدي أبو جيب ، ط- دار الفكر. دمشق - سورية، الثانية 1993م.
- 33- القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية للباحث عبد العزيز العوضي ، بحث مقدم إلى ندوة "فقه رؤية العالم والعيش فيه . المذاهب الفقهية والتجارب المعاصرة" التي أقامتها وزارة الأوقاف في سلطنة عمان.
- 34- كشف القناع عن متن الإقناع لمنصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى، ط- دار الفكر -بيروت 1402هـ.



- 35- كيف نتعامل مع القرآن العظيم للدكتور يوسف القرضاوي :، دار الشروق . القاهرة، ط : الثالثة، 1421هـ 2000م
- 36- كيف نتعامل مع القرآن- للشيخ محمد الغزالي، ط- دار النهضة-مصر، الطبعة الأولى
- 37- لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- 38- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور المصري ، ط- دار صادر - بيروت.
- 39- مجموع الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، ط- دار الوفاء، الثالثة 1426 هـ..
- 40- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط- دار الكتب العلمية - لبنان، الأولى 1413هـ.
- 41- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت 1995م.
- 42- المستدرک على الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، ط-دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى 1411 - 1990م.
- 43- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط-مؤسسة قرطبة - القاهرة،
- 44- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، ط-المكتب الإسلامي - بيروت، الثالثة 1985م ت: محمد ناصر الدين الألباني.
- 45- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق يوسف الشيخ محمد، ط- المكتبة العصرية، الثانية 1997م
- 46- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ط- عالم الكتب، الأولى، 1429 هـ - 2008 م
- 47- المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء ، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ط- دار الفكر - القاهرة
- 48- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لمحمد الخطيب الشربيني الشافعي ط- دار الفكر -بيروت.
- 49- مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، ط- دار القلم . دمشق،
- 50- منح الجليل شرح مختصر خليل لمحمد بن أحمد بن محمد عlish، ط-دار الفكر - بيروت
- 51- المنهج الحركي للسيرة النبوية للشيخ منير محمد الغضبان ، ط- مكتبة المنار - الأردن-الزرقاء، السادسة 1411هـ،
- 52- الموسوعة السياسية تأليف د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، ط- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1974.
- 53- الموسوعة الفقهية الكويتية لمجموعة من العلماء ، صادرة عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة الأولى ، مطابع دار الصفاة - مصر.





الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## المنهج النبوي في نشر الوسطية بين الشعوب

إعداد

د. إسلام ياسين

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

### الملخص:

يتحدث هذا البحث عن المنهج النبوي في نشر الوسطية، وذلك للدلالة على أهمية الوسطية في المنهج الإسلامي، ونحن نلاحظ في العصور المتأخرة ظهور طائفة من المسلمين قد أصبح عندهم خلل في فهم الوسطية وتطبيقها، فظهر عند بعض المسلمين العنف والتطرف والغلو، ومن خلال المنهج التحليلي، والذي يقوم على: جمع المعلومات، ثم التفسير، ثم النقد، ثم الاستنباط، يبين هذا البحث مفهوم الوسطية، وهدى النبي صلى الله عليه وسلم في نشر الوسطية بين الأفراد والمجتمعات، والوسائل التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الوسطية بين الأفراد والمجتمعات.

### الكلمات المفتاحية:

الوسطية، المنهج النبوي، مواجهة الغلو، مكافحة التطرف.

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه ومن تبعهم إلى يوم الدين وبعد.

فإن الله عز وجل قد ارتضى أن يكون الإسلام هو خاتم رسالاته إلى البشر، ولهذا فقد خصه سبحانه وتعالى بخصائص وميزه بميزات عن باقي الشرائع التي سبقته.

ولعل من أهم الخصائص التي اختص الله سبحانه وتعالى الإسلام بها عن باقي الشرائع أن جعل المنهج الإسلامي منهجا وسطا، فلا إفراط ولا تفريط، فلا إفراط بغلو أو تكلف أو نطع فيه، ولا تفريط بالتهاون بحدود الله أو الإثم والفواحش أو العصيان فيه، فكانت تشريعات الإسلام وسطية بين الإفراط والتفريط، فأصبحت الوسطية في الإسلام أمر ملازم لكل شرائعه عقيدة وعلماء وعملا وأخلاقا، فلا يخلو نظام من أنظمة الإسلام أو تشريع من تشريعاته من ميزة الوسطية، حتى أصبحت من خصائصه التي يتميز بها عن غيره من الشرائع والمناهج السابقة له.

إن الباحث في موضوع الوسطية في الإسلام، ليجد في كتاب الله عز وجل وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عدداً كبيراً من الآيات والأحاديث تبرز ما للوسطية من قيمة مهمة في شرعنا الإسلامي. ولأجل الوقوف على الوسطية في الإسلام وما لها من أهمية كبرى في تشريعاته، يأتي هذا البحث لتقيد من السنة النبوية المطهرة في بيان منهج الإسلام في موضوع الوسطية من خلال هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن.

### مشكلة البحث:

تعاني المجتمعات الإنسانية من انتشار واضح لظاهرة الغلو والتطرف بشتى صوره وأنواعه، وأصبحت الأجواء المشحونة بخطاب الحقد والكراهية على اختلاف مشاربها العقدية والفكرية تنتشر في تلك المجتمعات، وقد أدى ذلك غالى حدوث النزعات والحروب والاقتيال بين الشعوب، فما تكاد تجد بلد من بلدان العالم يخلو من وجود تيارات تحاول هدم بنية الاستقرار في ذلك البلد.

ثم أننا نجد أنّ ظاهرة الغلو قد انتشرت في البلاد الإسلامية بصورة كبيرة وخصوصاً في البلاد التي حدثت فيها الصراعات الداخلية، فظهرت في تلك البلاد تيارات فكرية متطرفة متشددة، ففي التقرير العالمي للإرهاب نجد أن خمس دول إسلامية على رأس مؤشر الإرهاب العالمي لسنة 2017م، وسجلت فيها أكبر نسبة وفيات بسبب الإرهاب، حيث استحوذت هذه الدول على نسبة ثلاث أرباع نسبة الوفيات العالمية بسبب الإرهاب، وهذه الدول هي: العراق، أفغانستان، نيجيريا، باكستان، سوريا، (www.oic-cdpu.org).

لقد كان للخطابات الدينية التي تبنتها التيارات المتطرفة ضرر كبير على المجتمعات ذات الغالبية المسلمة، وخصوصاً ذلك الخطاب الديني المشحون الذي يرسخ الكراهية ونبذ الآخر، فنجد بعض الحركات والمنظمات في المنطقة الإسلامية تبث سمومها في بعض المجتمعات الإسلامية المشحونة طائفيًا ومذهبيًا وقوميًا.

والناظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه قد جعل من الوسطية بجميع أشكالها وأنواعها الأساس المتين الذي يقوم عليه المجتمع المسلم، فقد شكل الخطاب الوسطي في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين أساس لدعوته صلى الله عليه وسلم وتبليغ الناس وهدايتهم إلى الطريق القويم. ولأنَّ الإسلام هو دين الوسطية والبعد عن كل إشكال العنف والتطرف والغلو جاء هذا البحث ليفيد من سنة النبي صلى الله عليه وسلم في نشر الوسطية بين الشعوب من خلال هديه صلى الله عليه وسلم.

#### أسئلة البحث:

جاء هذا البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

1. ما تعريف الوسطية، وما الألفاظ ذات الصلة بها.
2. كيف كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في نشر الوسطية.

#### أهداف البحث:

1. بيان المقصود بالوسطية.
2. بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في نشر الوسطية.

#### أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من خلال بيان اهتمام الإسلام بالوسطية والاعتدال وجعل ذلك نهجا في حياة المسلم، كما ويكتسب أهميته أيضا في بيان أهم الوسائل النبوية في نشر الوسطية بين المجتمعات ونبذ جميع أنواع الغلو والتطرف.

#### منهجية البحث

هذا البحث نوعي، وقد اتخذ فيه الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي، وذلك من خلال استقراء كتب الحديث استقراء ناقصا، وذلك لجمع الأحاديث التي تحدثت عن موضوعات البحث ووضع كل مجموعة من الأحاديث التي تندرج تحت كل مطلب في مكانها من البحث. ثم يقوم الباحث بتحليل الأحاديث الشريفة من خلال الرجوع إلى كتب شروح الحديث لبيان المعنى المقصود من تلك الأحاديث، والاستعانة بكتب اللغة وغريب الحديث. وقد قسم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على نحو الآتي: مقدمة.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية في اللغة.

المطلب الثاني: الوسطية في الاصطلاح.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: المنهج النبوي في نشر الوسطية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأمر بالوسطية بجميع صورها وأشكالها.

المطلب الثاني: النهي عما يخالف الوسطية.

الخاتمة.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية:

المطلب الأول: الوسطية لغة:

وسَطٌ: وسط الشيء: ما بين طرفيه، وسط الشيء: ما بين طرفيه، وأوسط الشيء: أفضله وخياره، وسط الشيء: أفضله وأعدله، ووسط الشيء وأوسطه: أعدله، ورجل وسط ووسيط: حسن، وأما الوسط، بسكون السين: بمعنى بين،

تقول: جلست وسط القوم أي بينهم، وأوسطت القوم ووسطتهم وتوسطتهم: بمعنى إذا دخلت وسطهم، وأوسط قومهم: أي خيارهم، وهو أوسطهم حسبا: إذا كان في واسطة قومهم وأرفعهم محلا ومجدا، (ابن منظور، 1414هـ، 426/7-431)، (ابن فارس، 1979م، 108/6).

فالوسطية في لغة العرب تأتي على عدة معاني، وقد وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم على عدة معان أيضا، ومن تلك المعاني التي وردت لفظة الوسطية بها:

1. أن تأتي بمعنى الخيار والأفضل: وقد جاء هذا المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم: "جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ، قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَوْلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُدُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ"، (البخاري، 1422هـ، 191/4، ح3570).

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ"، (البخاري، 1422هـ، 125/9، ح7423)، أي أفضلها، والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها، (ابن الملحق، 2008م، 350/17).

2. أن تأتي بمعنى العدل: وقد جاء هذا المعنى في قوله صلى الله عليه وسلم: "يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ"، (البخاري، 1422هـ، 134/4، ح3339)، والعدل في الأصل مصدر عدلت الشيء أعدلته: إذا قومته، ثم قيل للتسوية والإنصاف، لما فيه من إقامة الأمر، وحفظه عن طرفي الإفراط والتفريط، فيبتعد عن النواهي ويأتي بالأوامر، ويلزم أوسطها بالعدالة، (الطبيبي، 1997م، 6/1788-1789).

3. أن تأتي بمعنى لما تردد بين شيئين فاضلين: وقد جاء هذا المعنى في قوله عائشة رضي الله عنها: "مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَحَدًا أَيْسَرُهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ"، (البخاري، 1422هـ، 189/4، ح3560).

4. أن تأتي بمعنى لما كان بين شرين وهو خير: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ"، وقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كُلْ مَا شِئْتِ، وَالْبَسِ مَا شِئْتِ، مَا أَخْطَأْتِكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ"، (البخاري، 1422هـ، 140/7-141).

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يَخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ"، (ابن ماجة، السنن، 1192/2، ح3605، حسنه الألباني).

5. أن تأتي بمعنى ما كان بين الجيد والرديء، والخير والشر: كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ {١٤٣} سورة البقرة، قال الإمام ابن الملحق: "وأنا أرى أنه في هذا الموضع - أي الوسط - بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل وسط الدار، وأرى أن الله تعالى إنما وصفهم بذلك لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه كالنصارى ولا هم أهل تقصير فيه كاليهود"، (ابن الملحق، 2008م، 49/22).

وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تقريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصان، (ابن القيم، 1996م، 108/2).

6. وقد تُطلق على ما كان بين شيئين نسبته إلى الطرفين جهتيهما سواء: وذلك يكون بالعدد، والزمان، والمكان، (اليفرنى، 2001م، 160/1)، ومن ذلك ما جاء في الحديث: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ"، (أبو داود، السنن، 258/4، ح4826، الترمذي، 1975م، 90/5، ح2753، قال الترمذي: حسن صحيح، وضعفه الألباني)، والمعنى: أن يأتي حلقة قوم فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها ولا يقعد حيث ينتهي به

المجلس، أو أن يقعد وسط الحلقة فيحول بين الوجوه ويحجب بعضهم عن بعض فيتضررون به، (الطبيبي، 1997م، 3074 /10).

#### المبحث الثاني: الوسطية اصطلاحاً:

لا يخرج معنى الوسطية عن مقتضى اللغة، وهذا المعنى الذي استخدمه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقد عرفت بتعريفات عدة لا تخرج عن هذا المعنى، ومن ذلك تعريف العلامة الزحيلي لها، فقال: "الوسطية في العرف الشائع في زماننا تعني الاعتدال 1 في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق، وهذا يعني أن الإسلام بالذات دين معتدل غير جانح ولا مفرط في شيء من الحقائق، فليس فيه مغالاة في الدين، ولا تطرف أو شذوذ في الاعتقاد، ولا تهاون ولا تقصير، ولا استكبار ولا خنوع أو ذل أو استسلام وخضوع وعبودية لغير الله تعالى، ولا تشدد أو إحراج، ولا تساهل أو تفریط في حق من حقوق الله تعالى ولا حقوق الناس، وهو معنى الصلاح والاستقامة"، (الزحيلي، 2005م).

ولعل الأقرب لتعريف الوسطية بأنها: "سلوك محمود- مادي أو معنوي- يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين متقابلين- غالباً- أو متفاوتين، تتجاذبهما رذيلتا الإفراط والتقريط، سواء في ميدان ديني أم دنيوي" (www.alukah.net).

#### المبحث الثالث: الألفاظ ذات الصلة:

الألفاظ ذات الصلة بمعنى الوسطية في استخدام أهل اللغة كثيرة، إلا أن هناك ألفاظاً اشتهرت على لسان أهل اللغة ذات صلة قريبة بمعنى الوسطية، ومن أهمها:

1. القصد: ففي الحديث عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: "كُنْتُ أَصْلِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْداً، وَخُطْبَتُهُ قَصْداً"، (مسلم، الصحيح، 2 / 591، ح 866)، فالقصد من الأمور: المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التقريط والإفراط، (ابن الأثير، 1979، 467).
2. المقاربة: ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا"، (البخاري، 1422هـ، 16/1، ح 39)، أي اقتصدوا في الأمور كلها، واتركوا الغلو فيها والتقصير. يقال: قارب فلان في أمره إذا اقتصد، (ابن الأثير، 1979م، 33/4).
3. التوازن: هو حالة تتعادل فيها الميول فلا يغلب أحدها على الآخر بحيث يستوعب نشاط الدّهن بأسره، (عمر، 2008م، 3 / 2432)، وهنا لا بد من الإشارة بان هناك فرق بين الوسطية والتوازن، فالتوازن يكون بين أمور عديدة لا يطغى أحداها عن الآخر، بينما الوسطية تكون في الأمر الواحد الذي لا يكون حاله متطرفاً إلى واحد من الطرفين البعيدين المتقابلين، فالوسطية تقع ضمن حدود الدرجات المختلفة زيادة أو نقصاً في الأمر الواحد، (احمد، 2007م، ص 171-172).

#### المبحث الثاني: المنهج النبوي في نشر الوسطية:

##### المطلب الأول: الأمر بالوسطية بجميع صورها وأشكالها:

تعد الوسطية من أهم الأسس والخصائص التي قام عليها الإسلام وأمر بها، ويظهر ذلك جلياً في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: {لَوْ كَذَّبَكَ جَعَلْنَاكُمُ أُمَّةً وَسَطًا لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ} {١٤٣} سورة البقرة، فأمة محمد ﷺ هي أمة الوسطية

<sup>1</sup> أي الاستواء والاستقامة، يقال اعتدل من الركون، أي استقام واعتدل المناخ أي صار الجو لطيفاً لا حر " فيه ولا برد

كونها لم تغل في الدين كما فعلت اليهود والنصارى، لذلك كانت هي خير الأمم وأعلاها، (ابن عطية، 1422هـ، 219/1).

وقد بين النبي ﷺ أن رسالته التي بعث بها قامت على هذا الأساس القويم ففي الحديث أن الرسول ﷺ، قال: "يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ - أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ - قَالَ: فَيَقَالُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: لَوْ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴿١٤٣﴾ سورة البقرة، قَالَ: الْوَسْطُ الْعَدْلُ، قَالَ: فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلَاغِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ"، (أحمد، 2001م، 383/17، ح 11283).

هذا المنهج النبوي في تقرير الوسطية في حياة المسلم علامة فارقة بين المسلمين وغيرهم، حتى أصبحت الوسطية شعارا مهما عند المسلمين، يقول وهب بن منبه رضي الله عنه: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طَرَفَيْنِ وَوَسْطًا فَإِذَا أَمْسَكَ بِأَحَدِ الطَّرَفَيْنِ مَالَ الْآخَرِ، وَإِذَا أَمْسَكَتْ بِالْوَسْطِ اعْتَدَلَ الطَّرَفَانِ، وَقَالَ: عَلَيْكَ بِالْأَوْسَاطِ مِنَ الْأَشْيَاءِ"، (أبو يعلى، 1984م، 501/10، ح 6115، وصححه أسد).

لقد كان المنهج النبوي في نشر الوسطية شامل لجميع جوانب الوجود، فتناول الوسطية في الاعتقاد وفي العبادة، وفي التعامل مع الآخر، ويمكن بيان هذا الشمول من خلال الآتي:

#### أولاً: المنهج الوسطي في الاعتقاد:

فقد بين الله سبحانه وتعالى أن هذه الأمة هي أمة وسطا في عقيدتها بين مغالاة اليهود وتقصير النصارى، وجاء المنهج النبوي ليطبق هذا الأمر الإلهي، فقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم ما فعله النصارى من تأليه سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم فقال: "لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"، (البخاري، 1422هـ، 167/4، ح 3445)، والمقصود: بأن لا نصف النبي ﷺ بما ليس فيه من الصفات ملتصين بذلك مدحه كما وصفت النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم بما لم يكن فيه فكفروا بذلك وضلوا، أما وصفه صلى الله عليه وسلم بما فضله الله به وشرفه فهو واجب في حقه صلى الله عليه وسلم، (ابن الملقن، 2008م، 401/28). كما ذم النبي صلى الله عليه وسلم صنيع اليهود والنصارى مع أنبيائهم، فقال ﷺ: "لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"، (البخاري، 1422هـ، 95/1، ح 435)، فلما كان اليهود والنصارى يتخذون الأوثان عند قبور الأنبياء تعظيما لهم، ويتخذونها قبلة لهم فيتوجهون بالصلاة إليها، لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم لينهي المسلمين عن عمل مثل صنيعهم، (الطبيي، 1997م، 937/3).

فالمسلمون وسط في عقيدتهم بالله سبحانه وتعالى، فلم يدعو بأن الله سبحانه وتعالى اتخذ صاحبة أو ولدا كما قالت النصارى، ولم يصفوا الله سبحانه بصفات المخلوق الناقص كقول اليهود بأن الله فقير وهم أغنياء، وكقولهم أنه تعب من الخلق فاستراح السبت، أما نحن المسلمين فنؤمن بأن الله سبحانه وتعالى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأنه ليس كمثله شيء وكل ما سواه عباد له فقراء إليه، (ابن تيمية، 1995م، 370/3 - 375).

ونحن المسلمين وسط في أنبياء الله سبحانه وتعالى، فلم يغلو فيهم غلو النصارى في عيسى ﷺ وادعائهم أنه ابن الله، ولا عادوا الأنبياء كما عادت اليهود، فكذبوا أنبيائهم وقتلواهم وطعنهم بمريم عليها السلام، أما نحن المسلمين فنؤمن برسول الله سبحانه وتعالى ونحبهم وأطعناهم، (ابن تيمية، 1995م، 370/3 - 375).

#### ثانياً: المنهج الوسطي في العبادات:

مع أن العبادات في الإسلام هي غاية من غايات خلق الإنسان كما بين الله سبحانه وتعالى ذلك في قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، الذاريات: 56، إلا أن العبادات في الإسلام تتميز عن العبادات في باقي الشرائع بالوسطية، فلا مغالاة وتشدد، ولا إهمال ولا تفريط فيها، فشرعية التوراة تغلب عليها الشدة والمغالاة، وشرعية الإنجيل يغلب عليها اللين والتفريط، وشرعية القرآن معتدلة جامعة بين هذا وهذا، (ابن تيمية، 1999م، 79/5).

لقد كان منهج النبي ﷺ في العبادة قائم على معاني الوسطية فلا تكليف إلا بالمستطاع ولا تسهيل حتى الإخلال، ومن ذلك ما جاء في الحديث أنه: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد عُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّم مِن ذُنُوبِهِ وما تَأَخَّرَ، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأزفد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"، (البخاري، 1422هـ، 2/7، ح 5063).

فحن المسلمين وسط في شرائع دين الله، فلم نجز لعلمانا أن يغيروا أو يبدلوا في دين الله سبحانه كما فعلت النصارى، ولم نعترض على الله سبحانه وتعالى في أن ينسخ ما يشاء ويثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء كما فعلت اليهود، (ابن تيمية، 1995م، 370/3-375)، ففي الحديث عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: يا عدي أطرح عنك هذا الوثن، وسمعتُه يُقرأ في سورة براءة: {اتخذوا أختبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله} [التوبة: 31]، قال: أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه"، (الترمذي، 1975م، 278/5، ح 3095، حسنه الألباني).

والمسلمين وسط في أمر الحلال والحرام، فلم يستحلوا الخبائث والمحرمات كما فعلت النصارى، ولم يشددوا على أنفسنا كما فعلت اليهود حتى قيل إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً. والواجب عليهم مئتان وثمانية وأربعون أمراً، ونحن المسلمين نأتمر بأمر الله ورسوله فنبیح ما أباح الله ونحرم ما حرم الله، (ابن تيمية، 1995م، 370/3-375).

فالوسطية منهج لجميع العبادات في الإسلام، ففي الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: "بعتني رسول الله ﷺ، قال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بيننا وبينها الله حاجب"، (مسلم، الصحيح، 50/1، ح 19).

فوجد الوسطية في الصلاة ففي الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي ﷺ، ثم يرجع، فيؤم قومه، فصلى العشاء، فقرأ بالبقرة، فأنصرف الرجل، فكان معاذاً تناول منه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: فتأن، فتأن، فتأن ثلاث مرار، أو قال: فاتبأ، فاتبأ، فاتبأ، وأمره بسورتين من أواسط المفضل، (البخاري، 1422هـ، 141/1، ح 701).

ونجد الوسطية في تلاوة القرآن الكريم، ففي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهدُهُ، وهو عليه شديد فله أجران"، (البخاري، 1422هـ، 166/6، ح 4937).

وعلى هذا لا تجد في تكاليف الإسلام ما لا يطيق المسلم الدوام عليه، ويؤدي به إلى الملالة والسامة، وقد ورد عنه ﷺ عدة أحاديث تبين هذا المعنى، ومن ذلك قوله ﷺ: "عليكم بما تطيقون، فوالله لا يملأ الله حتى تملوا"، (البخاري، 1422هـ، 17/1، ح 43)، وقوله ﷺ: "إن الذين يسرّ، ولئن يشأ الذين أخذوا إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"، (البخاري، 1422هـ، 16/1، ح 39)، وقوله ﷺ: "إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق"، (احمد، 2001م، 346/20، ح 13052، وحسنه الأرئوط).

يقول العلامة آل سعدي رحمه الله: "ثم إذا نظر العبد إلى الأعمال الموظفة على العباد في اليوم والليلة المتنوعة من فرض ونفل، وصلاة وصيام وصدقة وغيرها، وأراد أن يقتدي فيها بأكمل الخلق وإمامهم محمد صلى الله عليه



وسلم رأى ذلك غير شاق عليه، ولا مانع له عن مصالح دنياه، بل يتمكن معه من أداء الحقوق كلها: حق الله، وحق النفس، وحق الأهل والأصحاب، وحق كل من له حق على الإنسان برفق وسهولة، وأما من شدد على نفسه فلم يكتف بما اكتفى به النبي صلى الله عليه وسلم، ولا بما علمه للأمة وأرشدهم إليه، بل غلا، وأوغل في العبادات: فإن الدين يغلبه، وآخر أمره العجز والانقطاع، ولهذا قال: ولن يَشَاذَ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فمن قاوم هذا الدين بشدة وغلوا، ولم يقتصد: غلبه الدين، واستحسر ورجع القهقري. ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم بالقصد، وحث عليه، فقال: والقصد القصد تبلغوا، ثم وصى صلى الله عليه وسلم بالتسديد والمقاربة، وتقوية النفوس بالبشارة بالخير، وعدم اليأس"، (آل سعدي، 2002، ص78).

### ثالثا: المنهج الوسطي في الدعوة:

لقد قام المنهج النبوي في الدعوة إلى الإسلام على منهج الوسطية، ففي الحديث كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ، قَالَ: "بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا"، (مسلم، الصحيح، 1358/3، ح 1732). يقول الأمام ابن دقيق العيد: "المواعظ النافعة في الدين المؤدية إلى سلوك سبيل المتقين مطلوبة شرعا... والإكثار منها يسقط وقعها، ويؤدي إلى السامة منها، فتبطل فائدتها المطلوبة، فالإقتصاد هو المحمود... وانظر إلى الحكمة الشرعية في جعلها مرة في الأسبوع؛ لأن طول تركها يطغي النفس، ويقوي دواعيها المذمومة، فربما عسر ردها بعد تمكنها من النفس، وكثرة فعلها فيه ما ذكرنا من إبطال فائدتها وحكمها، فتوسط في ذلك"، (ابن دقيق، 2009م، 96/5).

ان المنهج الوسطي في الدعوة إلى الله هو أمر مهم للداعية فلا يكون بذلك منفرا، ولذلك نجد النبي ﷺ يطبق هذا المنهج في دعوته، ففي الحديث عن جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا"، (مسلم، الصحيح، 591/2، ح 866).

لعل من أهم ما يجب على المجتمع تفعيله لنشر الوسطية بين أفراد الأمة بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي الحديث عن النبي ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ" (الترمذي، 468/4، ح/2169، حسنه الألباني)، وقوله ﷺ: "أَنْصُرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"، (البخاري، 128/3، ح/2444).

ولا بد للمسلمين من الأخذ على يد أولئك الذين يريدون أن يتهاون المجتمع في جانب الوسطية، وصددهم بكل قوة، ذلك لأن انتشار التطرف إفراطا أو تفريطا يعني هلاك كل المجتمع، ويدل على ذلك قوله ﷺ: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقْفُوا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا حَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَّوْا، وَنَجَّوْا جَمِيعًا"، (البخاري، 139/3، ح/2493).

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر، وإذا كان هو من أعظم الواجبات والمستحبات فالواجبات والمستحبات لا بد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة؛ إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد؛ بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أتى الله على الصالح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات وذم المفسدين في غير موضع فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عبادته وليس عليه هداهم وهذا معنى"، (ابن تيمية، 1995م، 126/28).



لقد فهم الصحابة رضي الله عنهم هذا المنهج النبوي في نشر الوسطية في الدعوة إلى الله ومحاربة جميع أشكال مخالفتها، ولعل فعل ابن عباس رضي الله عنه في جداله مع الخوارج دليل على وسطية المسلم في دعوته إلى الحق، ففي الحديث عن ابن عباس: "لَمَّا اعْتَرَلَتْ حُرُورَاءُ، وَكَانُوا فِي دَارٍ عَلَى حَدِيثِهِمْ، قُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ؛ لِعَلِيٍّ آتَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَأُكَلِّمُهُمْ، قَالَ: فَإِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْبِمَانِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهْرَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرُ قَوْمًا قَطُّ أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا تَفْنُ الْإِبِلِ، وَوُجُوهُهُمْ مُعَلَّبَةٌ مِنْ آثَارِ السُّجُودِ، قَالَ: فَدَخَلْتُ، فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَزَلَ الْوَحْيُ وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنُحَدِّثْتَهُ، قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَتَقَمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَتَّى، وَأُولَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ؟ قَالُوا: نَنْقَمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوْلَهُنَّ أَنَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ {إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ} [الأنعام: 57]، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَقَاتَلَتْ وَلَمْ يَسِبْ وَلَمْ يَنْعَمْ، لِيَنْ كَانُوا كُفْرًا لَقَدْ حَلَّتْ لَهُ أَمْوَالُهُمْ، وَلِيَنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَمَا نَفْسُهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ، قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ، وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَا تُتَكْرَمُونَ، أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: أَمَا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ حَكَمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ لَنَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّقَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ {المائدة: 95} إِلَى قَوْلِهِ {يُحْكَمْ بِهِ دَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ} [المائدة: 95]، وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَرَوْجِهَا لَوْ أَنَّ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنَهُمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا} [النساء: 35]، أَسْتَدْرِكُكُمْ اللَّهُ أَحْكُمْ الرِّجَالَ فِي حَقِّنْ دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْزَبِ نَمْنُهَا رُبْعِ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ فِي حَقِّنْ دِمَائِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ، قَالَ: خَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. وَأَمَا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَاتَلَ وَلَمْ يَسِبْ وَلَمْ يَنْعَمْ، أَسْتَبُونَ أَمْكُمْ، أَمْ تَسْتَجْلُونَ مِنْهَا مَا تَسْتَجْلُونَ مِنْ غَيْرِهَا؟ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَإِنْ رَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَمْكُمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}، الأحزاب: 6، فَأَنْتُمْ تَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَاخْتَارُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: وَأَمَا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا فَرِيضًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: "اَكْتُبْ: هَذَا مَا قَاصَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ"، فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لِرَسُولِ اللَّهِ وَإِنْ كُذِّبْتُمُونِي، اكْتُبْ يَا عَلِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ، أَخْرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، فَقِيلُوا، (الصنعاني، 1403هـ، 10/157، ح 18678)، (الطبراني، المعجم الكبير، 257/10، ح 10598)، (قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، 1994م، 241/6).

ولابد من التنبيه على أنه من أراد التصدي لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عالما في أحوال الدعوة فقيها في أساليبها، حتى لا يكون منفرا للناس، جاء في الأثر عن بعض السلف قوله: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، حليفا فيما يأمر به، حليفا فيما ينهى عنه"، (ابن تيمية، 1995م، 137/28).

#### رابعا: المنهج الوسطي بين الدنيا والآخرة:

لقد كان منهج النبي ﷺ في الجمع بين إصلاح الآخرة، وإعمار الدنيا، فوسطية الإسلام بين من غلا في أمر الدنيا ولم يهتم بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد، وهدى ﷺ في هذا الباب واضح وجلي، فقد كان من دعائه ﷺ: "اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا

مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، (مسلم، الصحيح، 4/ 2087، ح 2720).

ومع أن الإسلام أمر بالزهد بالدنيا، ودم الذين أذهبوا طبيباتهم في دنياهم، إلا أنه في المقابل نهى عن التكلف بترك ما أباح الله لهم من الطيبات، فقال عليه الصلاة والسلام "فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"، البخاري، 1422هـ، 2/7، ح 5063).

يقول ابن القيم: "فدين الله بين الغالي فيه والجافي عنه، وخير الناس النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط، والآفات إنما ينتظرون إلى الأطراف، والأوساط محمية بأطرافها، فخير الأمور أوسطها"، (ابن القيم، 1432هـ، 1/330).

#### خامساً: المنهج الوسطي في الأخلاق:

إن منظومة الأخلاق الإسلامية هي منظومة متكاملة شاملة، تقوم هذه المنظومة على الوسطية في جميع جوانبها في التعامل مع الخالق والمخلوق.

وليس المقصود بالمنهج الوسطي في الأخلاق، التوسط بين خلقين، فلا يمكن أن يقصد أن يكون وسطاً بين الصدق وهو فضيلة وبين الكذب وهو رذيلة، إنما المقصود بذلك الوسطية في الأخلاق بمعنى الخيرية والفضل، فلا بد للمسلم أن يكون على أعلى مستوى من الأخلاق في التعامل مع الخالق سبحانه وتعالى، ومع المخلوق.

لقد جسد النبي ﷺ منهج الوسطية في الأخلاق على أرض الواقع فأعطى ﷺ دروساً واقعية في معاني السماحة والعفو واحترام الآخر وإن كان مخالفاً، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ عفا عن مكة وأهلها وقال: "مَنْ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَنَهَى عَنِ الْقَتْلِ إِلَّا نَفَرًا قَدْ سَمَّاهُمْ، إِلَّا أَنْ يُقَاتِلَ أَحَدٌ فَيُقَاتِلُ، وَقَالَ لَهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ: مَا تَرَوْنَ أَبِي صَانِعٍ بِكُمْ؟، قَالُوا: خَيْرًا، أَحْ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَحْ كَرِيمٍ قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ، وَلَمْ يَجْعَلْ مِنْهَا فَيْئًا قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً، لَا دَارًا وَلَا أَرْضًا وَلَا مَالًا، وَلَمْ يَسِبْ مِنْ أَهْلِهَا أَحَدًا، وَقَدْ قَاتَلَهُ قَوْمٌ فِيهَا فَقَتَلُوا وَهَرَبُوا فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْ مَتَاعِهِمْ شَيْئًا، وَلَمْ يَجْعَلْهُ فَيْئًا، وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ فِي هَذَا كَعْبِرِهِ"، (البيهقي، 1991م، 13/293، ح 18229).

لقد جاء في سنة النبي ﷺ الأمر بالتعامل باللين والرفق مع الآخرين، كقوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ"، مسلم، الصحيح، 4/2003، ح 2593، وقوله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّفًا، وَلَكِنْ بَعَثْنِي مُعَلِّمًا مُبْسِرًا"، (أحمد، 2001م، 22/391، ح 14515).

وقد قرر لنا النبي ﷺ فضيلة الوسطية في الأخلاق من جميع جوانبها، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"، (البخاري، 1422هـ، 1/24، ح 67).

لذلك نجد النبي ﷺ قد عاب على الذين غيَّبوا فضيلة الأخلاق في التعامل مع الآخرين، ففي مقام تعامل المسلم مع أخيه المسلم، نجد قوله ﷺ "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرْوَعَ مُسْلِمًا"، (أبو داود، السنن، 4/301، ح 5004، صححه الألباني).

ولا يقصد أن يكون التعامل بالأخلاق الحسنة مع المسلم فقط، بل إن ذلك يتجاوز للتعامل مع غير المسلم، ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: "أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، (أبو داود، السنن، 3/170، ح 3052، صححه الألباني).

المطلب الثاني: النهي عما يخالف الوسطية:

إن مخالفة المنهج الوسطي إما أن تكون في الإفراط بالتشدد والتطوع، وإما بالتقريب بإضاعة الأوامر والانحلال منها، يقول الأمام ابن القيم: "وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تقريب وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضاللتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد، (ابن القيم، 1996م، 2/465).

لقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم معالم المنهج الوسطي في سنته المطهرة، ثم بين لنا ما يخالف هذا المنهج ليحذرنا منها ويجنبنا الوقوع فيها، وهذا ما عبر العلماء المتأخرون عن الإفراط والتقريب، بمصطلح "التطرف"، فأصبح هو المصطلح الشائع في كتاباتهم للدلالة على مفهومي الإفراط والتقريب.

#### أولاً: تعريف التطرف:

ذهب بعض العلماء إلى أن التطرف هو الخروج أو الانحراف عن الضوابط الاجتماعية أو القانونية التي تحكم سلوك الأفراد في المجتمع، وهذا الخروج يتفاوت بين فعل يستكره المجتمع إلى فعل يشكل جريمة يعاقب عليه القانون، (حمزة، 2012م، ص 5).

بينما ذهب آخرون إلى أن التطرف هو استجابة سلوكية معينة، يميل السلوك البشري إلى الانطباع بها، وذلك انعكاساً لعدد من العوامل الداخلية- التي تتعلق بالحياة النفسية للفرد-، والخارجية- من تأثيرات البيئة والتربية والتنشأة والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المحيطة بالفرد- والتي تميل إلى التشدد والقسوة في التعامل مع الخصوم، والميل إلى تبني القرارات المتصلبة، (الجليل، 1958م، ص 17).

وقيل أن التطرف هو مجاوزة الاعتدال في العقيدة والفكر والسلوك، وذلك من خلال تبني أفكار دينية أو سياسية، يتجاوز مداها الحدود المشروعة التي جاءت بها الشريعة الغراء، (القدس المفتوحة، 2010م، ص 443). ويمكن الجمع بين التعريفات السابقة من خلال القول بأن التطرف والغلو هو الخروج عن الأنظمة الشرعية والقانونية، من خلال تبني مناهج تخالف ما جاءت به الشريعة والقوانين المنظمة لحياة الأفراد والمجتمعات.

#### ثانياً: أنواع التطرف:

يمكن تقسيم التطرف إلى قسمين رئيسيين، هما، (الطواري، 2005م، ص 6-7):

أولاً: تطرف اعتقادي: ومن أمثلة هذا النوع من التطرف، تطرف اليهود باعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وتطرف النصارى في سيدنا عيسى ﷺ، وتطرف الشيعة في أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتطرف الخوارج في حكم مرتكب الكبيرة.

ثانياً: تطرف عملي: وهو متعلق بالأمور العملية قولية كانت أم فعلية خارج نطاق العقيدة، كبعض الأحكام الشرعية، كالترهب في الدين، وحكم السبحة، وبعض الأحكام المختصة بأفعال المكلفين.

#### ثالثاً: أقسام التطرف المنهي عنه:

##### 1. النهي عن التقريب بالأوامر الشرعية:

لقد ابتلي فريق من المسلمين بالتقريب في أحكام الدين والتقشير بها، وكما أن الغلو إفراطاً في أحكام الدين، فإن التقشير تقريب في مقتضياته، وهذان مرضان خطيران ينتابان المسلم ويؤديان إلى الفساد والهلاك، والخروج عن الحق وجادة الصواب، (الزحيلي، 1428هـ، ص 77).

لقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من التقريب بما أمر به الشرع الحكيم، فقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ كَثِيرٍ عَنْ غَيْرِ نَسِيَانٍ فَلَا تَكَلِّفُوهَا، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ فَأَقْبَلُوهَا"، (الطبراني، الأوسط، 265/7، ح 7461).

فبين صلى الله عليه وسلم لأمة فضل المحافظة على ما أمر به الشارع الحكيم، فقال: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْظِيئَةٍ، وَلَنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعْيُنَةٍ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"، ( البخاري، 1422هـ، 105/8، ح 6502).

ويوضح النبي صلى الله عليه وسلم لأمة مغبة ترك ما أمر به رب العزة سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن مخالفة ذلك سبب في ضعف الإيمان عند المسلم، فقال: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرِبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نَهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"، ( البخاري، 1422هـ، 136/3، ح 1475).

وقد بين لنا صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل لا يتعبد إلا بما أمر به سبحانه وتعالى، فلا يجوز لنا أن نعبد الله إلا بما جاء في كتابه أو سنة نبيه، وما زاد على ذلك فهو من البدعة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها في قوله: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ"، ( البخاري، 1422هـ، 184/3، ح 2697).

## 2. النهي عن الإفراط بالأوامر الشرعية "الغلو":

الغلو هو "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد" (ابن حجر، الفتح، 278/13). فالغلو هو مجاوزة الأوامر الشرعية بالزيادة إلى حد مبالغ فيه فيخرجه عن مراد الله ﷻ، وعن مراد نبيه ﷺ. فقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الغلو هو سبب هلاك الأمم من قبلنا، فقال ﷺ: وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ"، (النسائي، 1986م، 268/5، ح 3057، ابن ماجه، السنن، 1008/2، ح 3029، أحمد، 2001م، 298/5، ح 3248، وصححه الألباني).

وبين صلى الله عليه وسلم أن التشدد من الإنسان على نفسه يقابله تشديد من الله عز وجل عليه، فقال ﷺ: "لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيَشَدِّدَ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَلَكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالْدِيَارِ [وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴿٢٧﴾] سورة الحديد"، (أبو داود، السنن، 276/4، ح 4904، أبو يعلى، 1984م، 365/6، ح 3694، ضعفه الألباني، وحسنه حسن أسد، قلت: الحديث حسن)، وقال ﷺ: "هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، قَالَهَا ثَلَاثًا"، (مسلم، الصحيح، 2055/4، ح 2670).

وقد بين لنا الحبيب المصطفى أن الغلو في الدين سيصبح ظاهرة في آخر الزمان، وقد حذرنا من أن نكون من هذه الطائفة، فقال ﷺ: "يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، خُدْنَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفْهَاءُ الْأَحْلَامِ، يُقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السُّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانَهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"، ( البخاري، 1422هـ، 200/4، ح 3611).

هذا الحديث من استشرافات النبي صلى الله عليه وسلم للمستقبل، فهو يخبرنا عن قوم في أول عمرهم من مرحلة الشباب، ضعفاء العقول، ينقلون من خير ما يتكلم به الخلائق من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ويدعون التخلص من العلائق والعوائق التي في الأمة، لا يجاوز إيمانهم حلقهم، يخرجون من طاعة الإمام المفترض الطاعة وينسلخون منها، ودخولهم في الدين وخروجهم منه ولم يتمسكوا منه بشيء، كالسهم الذي دخل في الرمية ثم يقتلها ويخرج منها ولم يعلق به منها شيء، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا عظيما لمن قتلهم إلى يوم القيامة، (القاري، 2002م، 2311/6).

#### الخاتمة:

لقد تبين من خلال البحث أن الوسطية من أهم الخصائص التي تميز بها الإسلام عن غيره من الشرائع، فجاء الإسلام بين إفراط المغالين، وبين تفريط المضييعين. وتبين من هذا البحث أن الوسطية في المنهج النبوي تأتي على عدة معانٍ كالتقصيل والعدل والتردد بين شيئين فاضلين وما كان خيراً بين شرين، وما كان بين الخير والشر. وقد تبين من خلال البحث أن المنهج النبوي في نشر الوسطية شامل لجميع نواحي الوجود، فلا تجد جانب من جوانب الوجود إلا وقد بين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالوسطية في التعامل معه. لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم لأمته قسمين من أقسام التطرف التي يقع الناس فيها وهم بين إفراط في التشدد والتقطع، وبين تفريط في الانحلال والانسلاخ من تلك الأوامر، ثم وضح أن كلا الطرفين على ضلالة من أمرهم، فهم يخالفون المنهج الإسلامي في الوسطية. إن الناظر في منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التأصيل للوسطية، يجده يعالج مشكلة العصر من انتشار العداوة والبغضاء والحقد في المجتمعات قاطبة، فالوسطية في المنهج النبوي شاملة لجميع نواحي الوجود، شاملة لجميع نواحي الإنسانية، فنجد الخطاب النبوي مع المسلم وغير المسلم قائم على المنهج الوسطي فلا غلو مجحف ولا تفريط مضيع.

#### النتائج:

الوسطية في الإسلام منهج حياة متكامل يشمل جميع نواحي الوجود، فلا تجد جانب من جوانب الإسلام ولا نظاماً من أنظمتها إلا والوسطية جزء لا يتجزأ منها. والوسطية تشمل مجال العقيدة والتشريع والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وفي تعامل المسلم مع الآخر، فلا غلو مذموم ولا تفريط يضيع الحكمة من التشريع. هذه الوسطية لا تقتصر على تعامل المسلم مع أخيه المسلم فقط، بل إن التعامل مع غير المسلم يجب أن يكون وفق منهج الوسطية كما أمر بها رب العزة سبحانه وتعالى ووفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم. إن التطرف مهما اختلفت أسمائه أو صفاته، هو فعل مذموم محرم، فالعبرة ليست بالأسماء، وإنما العبرة بما ينتج عنه من انتهاك للأفراد والمجتمعات.

#### التوصيات:

دعوة الحكومات الإسلامية إلى تطبيق الأحكام الشرعية، فالوسطية الإسلامية هي العلاج الوحيد لما وصلت إليه الأمة الإسلامية من تفكك وتشتت واقتتال. عقد المؤتمرات ونشر البحوث والنشرات التي تبين أهمية الوسطية من النواحي الدينية والسياسية والأمنية والإقتصادية والإجتماعية. قيام أجهزة الإعلام المختلفة بأعداد البرامج لمحاربة الغلو والتطرف ونشر ثقافة الوسطية في المجتمعات والاستعانة برجال الدعوة والإصلاح والمختصين لبيان آثاره السلبية على الأفراد والمجتمعات. دعوة الحكومات الإسلامية إلى زيادة العناية بالشباب على وجه الخصوص لأن أكثر الذين يقبلون على الغلو والتطرف هم من فئة الشباب، وتوجيه الشباب وتوعيتهم، وإعدادهم الإعداد الصحيح، ليكونوا على قدر المسؤولية التي ستلقى على عاتقهم.

### المراجع:

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، غريب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1405هـ - 1985م، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي
- ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط(1)، 1429هـ - 2008م، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث.
- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، السعودية، ط(2)، 1419هـ - 1999م، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، 1416هـ - 1995م، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.
- ابن دقيق العيد، تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، شرح الإلام بأحاديث الأحكام، دار النوادر، سوريا، ط(2)، 1430هـ - 2009م، تحقيق: محمد خلوف العبد الله
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(1)، 1422هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت: 395هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ - 1979م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط(1)، تحقيق: محمد عزيز شمس، 1432هـ.
- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(3)، 1416هـ - 1996م، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي
- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: 273هـ)، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط(2)، 1414هـ.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، السنن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد
- أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى الموصلية، المسند، دار المأمون للتراث، دمشق، ط(1)، 1404هـ - 1984م، تحقيق: حسين سليم أسد.



أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط(1)، 1421 هـ - 2001 م.

أحمد، عزمي طه السيد، الثقافة والتقاليد الإسلامية رؤية جديدة وعلم جديد، مطبعة الروزانا، الأردن، 1427هـ - 2007م.

آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، بهجة قلوب الأبرار وقرعة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ط(1)، 1422هـ - 2002م، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار طوق النجاة، ط(1)، 1422هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر بدري، الدكتور مالك، حكمة الإسلام في تحريم الخمر دراسة نفسية اجتماعية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط(1)، 1416هـ - 1996م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، معرفة السنن والآثار، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، ط(1)، 1412هـ - 1991م، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعي.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك (ت: 279هـ)، الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط(2)، 1395 هـ - 1975 م.

جامعة القدس المفتوحة، الثقافة الإسلامية، 2010م، فلسطين.

حمزة، رائد محمد حمزة، مكافحة الإرهاب والتطرف وأسلوب المراجعة الفكرية، 2012م.

الزحيلي، محمد مصطفى، الاعتدال في التدين فكريا وسلوكيا ومنهجيا، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط(3)، 1428هـ.

الزحيلي، وهبة، إذا اختل ميزان الحق والعدل والتوسط في الأمور، مجلة الوعي الإسلامي، عدد (481)، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت، 09-10-2005 م.

الشريف، محمد بن حسن بن عقيل الشريف، التنازع والتوازن في حياة المسلم، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، المصنف، المجلس العلمي، الهند، ط(2)، 1403هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، مكتبة السوادي للتوزيع، 1417هـ.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني

الطواري، طارق محمد الطواري، التطرف والغلو الأسباب - المظاهر - العلاج، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الرابع المنعقد بمدينة فيفاي vevey بسويسرا برعاية جامعة الكويت - كلية الشريعة بالتعاون مع جمعية مسلمي فيفاي A.M.V - سويسرا، ما بين 19 - 20 أغسطس 2005م، 1426هـ

الطبيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطبيبي، الكاشف عن حقائق السنن المعروف بـ(شرح الطبيبي على مشكاة المصابيح)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط(1)، 1417هـ - 1997م، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي

القاري، : أبو الحسن نور الدين الملا علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط(1)، 1422هـ - 2002م

القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث.

القاضي عياض، إكمال المُعلِّم بفوائد مسلم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط(1)، 1419هـ - 1998م، تحقيق يحيى إسماعيل.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: 303هـ)، المجتبى من السنن (السنن الصغرى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، ط(2)، 1406هـ - 1986م.

الهريري، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، الكوكب الوهاج والروض البهجة شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المنهاج، دار طوق النجاة، ط(1)، 1430هـ - 2009م، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة هاشم محمد علي مهدي.

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ - 1994م، تحقيق: حسام الدين القدسي.

اليفرني، محمد بن عبد الحق، الاقتضاب في غريب الموطأ وإعرابه على الأبواب، مكتبة العبيكان، ط(1)، 2001م، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

موقع الكتروني: (<http://majles.alukah.net/t40445>).

موقع الكتروني: [www.who.int/mediacentre/factsheets/fs345/ar](http://www.who.int/mediacentre/factsheets/fs345/ar)

موقع الكتروني: [www.alukah.net/culture/0/4341/#ixzz5YeNbtYF9](http://www.alukah.net/culture/0/4341/#ixzz5YeNbtYF9)





الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## تجديد الخطاب الديني ودوره في مواجهة التطرف

إعداد

الدكتور قيس سالم المعاينة

قسم أصول الدين / كلية الشريعة / جامعة مؤتة

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## الملخص

جاءت هذه الدراسة للحديث عن تجديد الخطاب الديني ، آلياته ومعوقاته ، ومن ثم بيان كيف أننا نحتاج اليوم لخطاب ديني عقلاني يتوافق مع التطور التكنولوجي الهائل ويوضح صورة الإسلام الحقيقية ، فالخطاب الديني الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية يقوم على القيم والأخلاق الإسلامية النبيلة التي أساسها الرحمة والتسامح وقبول الآخر وعمارة الأرض والبناء الحضاري الإنساني فهذه من اجل مقاصد الشريعة الإسلامية وغاياتها وهكذا ينبغي أن ينطلق الخطاب الديني الإسلامي.

وقد تناولت هذه الدراسة موضوع تجديد الخطاب الديني ودوره في مكافحة التطرف والحفاظ على الهوية الوطنية في مبحثين ، الأول كان في بيان مفهوم تجديد الخطاب الديني والفرق بين النص الديني والخطاب الديني ومن ثم الحديث عن آليات ومقومات الخطاب الديني ومعوقات تجديد الخطاب الديني.

وفي المبحث الثاني : تناولت الدراسة دور تجديد الخطاب الديني في مكافحة التطرف من خلال الحديث عن اسباب انحراف الخطاب الديني الى التطرف ، ومن ثم ابراز دور الخطاب الديني المعتدل في الحفاظ على الهوية الوطنية

## Summary

This study comes to talk about the renewal of religious discourse, its mechanisms and obstacles, and then how we need today a rational religious discourse that corresponds to the huge technological development and illustrates the true image of Islam. The Islamic religious discourse derived from the Holy Quran and Sunnah is based on noble Islamic values and ethics based on mercy Tolerance and acceptance of the other and the building of the earth and the construction of human civilization for the purposes of Islamic law and its purposes and so should be the Islamic religious discourse.

The study dealt with the renewal of religious discourse and its role in combating extremism and preserving national identity in two areas. The first was to articulate the concept of renewing religious discourse and the difference between religious texts and religious discourse, and then talk about the mechanisms and elements of religious discourse.

In the second part, the study dealt with the role of renewing the religious discourse in the fight against extremism by talking about the reasons for the deviation of religious discourse to extremism, and thus highlighting the role of moderate religious discourse in preserving national identity.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

لاشك أن الخطاب الديني له قوته وله تأثيره في المجتمع ، واليوم تنوعت وسائل الخطاب الديني ولم تقتصر على أروقة المسجد ، كما أن تجديد هذا الخطاب ضرورة فطرية وبشرية؛ والناظر الى الخطاب الديني الإسلامي الحالي يجده مفكك وفردى ، بينما يشهد العالم تجمعات وتطورات هائلة في مجال التقنية والمعلومات والاختراعات، وأعتقد بأن أية نهضة أو تنمية في العالم الإسلامي التي ينادي بها المخلصون من دعاة الإصلاح إن لم تصدر من مفهوم ديني فهي محكوم عليها بالفشل، فلا بد من خطاب ديني واع ومعاصر ومنضبط يستطيع أن يضع هذه النهضة ويساعد عليها ويدفعها لإخراج الأمة من هذا التيه والدوران الذي تدور فيه حول نفسها.

فكانت فكره هذا البحث للحديث عن تجديد الخطاب الديني ، آلياته ومعوقاته ، ومن ثم بيان كيف أننا نحتاج اليوم لخطاب ديني عقلاني يتوافق مع التطور التكنولوجي الهائل ويوضح صورة الإسلام الحقيقية ، فالخطاب الديني الإسلامي المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية يقوم على القيم والأخلاق الإسلامية النبيلة التي أساسها الرحمة والتسامح وقبول الآخر وعمارة الأرض والبناء الحضاري الإنساني فهذه من اجل مقاصد الشريعة الإسلامية وغاياتها وهكذا ينبغي أن ينطلق الخطاب الديني الإسلامي.

وقد تناولت هذه الدراسة موضوع تجديد الخطاب الديني ودوره في مكافحة التطرف والحفاظ على الهوية الوطنية في مبحثين ، الأول كان في بيان مفهوم تجديد الخطاب الديني والفرق بين النص الديني والخطاب الديني ومن ثم الحديث عن آليات ومقومات الخطاب الديني ومعوقات تجديد الخطاب الديني.

وفي المبحث الثاني : تناولت الدراسة دور تجديد الخطاب الديني في مكافحة التطرف من خلال الحديث عن اسباب انحراف الخطاب الديني الى التطرف ، ومن ثم ابراز دور الخطاب الديني المعتدل في الحفاظ على الهوية الوطنية

وأخيرا كانت النتائج والتوصيات التي من أبرزها أن الخطاب الديني له تأثير كبير في المجتمع فلا بد من العناية بكليات الشريعة وطلبها لأنها الصوت المعتدل والذي يمثل الخطاب الإسلامي العقلاني ، ومن ثم الاهتمام بتدريس الثقافة الإسلامية لطلبة الجامعات لأنها الضمانة الأكيدة لعدم انجرار الشباب وسقوطهم الفكري والإيماني .

**المبحث الأول : مفهوم تجديد الخطاب الديني.**

**المطلب الأول : تعريف الخطاب الديني لغةً واصطلاحاً**

**الخطاب لغةً :** جاء في لسان العرب أن (الخطاب هو مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب <sup>1</sup>).

ووردت مادة (خطب) في عدة مواضع من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخُطَابَ﴾ (ص:20)، وقال جل شأنه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:63)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ هود:372

<sup>1</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ص 361، مادة خطب.

<sup>2</sup> ابن فارس - مقاييس اللغة 198 / 2 وابن منظور، لسان العرب 361 / 1 مادة (خطب).

**تعريف الخطاب اصطلاحاً:** وعرف بأنه (كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتفترض فيه التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التي تم فيها)<sup>1</sup>. ومفهوم الخطاب لدى الأصوليين هو معنى الحكم الشرعي (خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد بالاعتناء أو بالوضع أو التخيير)<sup>2</sup> فنفهم منها أن الخطاب عموماً هو محاولة تبليغ مفهوم ما ، بلغة يفهمها المتلقي مع مراعاة المستوى العلمي والجغرافي والتدني.

فأصل الخطاب الديني أن مصدره الوحي الذي أنزل على الرسل وبعث به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إلا أن هذا المصطلح ( الخطاب الديني ) خاصة بعدما قرن بكلمة ( التجديد ) وما صاحبها من خلاف الأثريين والتجديديين ، بين من يرون التمسك بنفس الخطاب وبين من يرون ضرورة التجديد ، خاصة بعد ما تحدثت الولايات المتحدة الأمريكية عن ضرورة تجديد الخطاب الديني بما يناسب المنهج الغربي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، فعلت كلمة الطرفين حتى ظن المستمع والمتابع أن الأمر على قسمين فقط لا ثالث لهما وظن الفريق الأول أنه انتصار للأصول وظن الفريق الثاني أنه انتصار للمقاصد ، وغفل الطرفان عن وسطية الأمر وهي الأصل في الإبقاء على الأصول ومحاولة تجديد مناهج التبليغ .

و إذا أطلق هذا اللفظ في وقتنا فإنما يعني به الخطاب الإسلامي لانصرافه له في الآونة الأخيرة مع أنه يشمل كل الأديان السماوية.<sup>3</sup>

والتجديد سنة كونية وفريضة دينية وضرورة من ضرورات العصر التي لا غنى عنها، مصداقاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود ، فالكل معني بالإبداع والتجديد في تخصصه ، والخطاب الديني له أهله وهم السادة العلماء والفقهاء.<sup>4</sup>

**الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني:**

يغفل بعض المتقنين عن الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني أو الخطاب الإسلامي فيخلط بين المصطلحين، وينشأ عن الخلط بينهما مفاصد ، ولذا فلا بد من التفريق بينهما.

النص هو كل ما ثبت وروده عن الله سبحانه وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو فوق المحاسبة والاتهام ويعتبر أصلاً لا يمكن المساس به، فهو نص مقدس معجز صالح لكل زمان ومكان، مرتبط بالوحي، يأتي في مقدمة الأدلة الشرعية والحجج الدينية التي لا يمكن دحضها والمنزهة عن كل تحريف وشبهة. لهذا يشكل النص الديني الشكل الثابت الذي يمثل أساس الدين وكنهه. فالأصل أن كل ما شرع الله ورسوله فهو باق وثابت لا يتغير سواء كان متعلقاً بالعقائد أو بالعبادات أو بالمعاملات أو بالأخلاق.

1 أحمد عبدالله الطيار(2005) تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد، حولية كلية أصول الدين القاهرة، العدد (22)، المجلد الثالث، ص 12.

2 سيف الدين الامدي (1985) " الإحكام في أصول الأحكام "، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، المجلد الأول، ص137.

3 يحيى ابو زينة ، تطوير الخطاب الديني كأحد التحديات التربوية المعاصرة، بحث مقدم إلى مؤتمر

الإسلام والتحديات المعاصرة المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، غزة في الفترة: 2-3/4/2007م، ص6

4 أنظر : <http://www.wasatyea.net/?q=en/node/5175> و بحث للدكتور عياض بن نامي السلمي ، تجديد

الخطاب الديني مفهومه وضوابطه ، جامعة الامام محمد بن سعود .

أما الخطاب الديني هو الخطاب الذي ينطلق من الرؤية الدينية مرجعاً، لذلك فهو ما يستبطنه ويفهمه ويفسره الفقهاء والعلماء من النص الديني أو مصادر الاجتهاد. وهو الوساطة بين الناس وبين القرآن والسنة والتي توضح الإسلام وما فيه من أحكام، فهو طريقة ومنهاج في التفكير والتصور وفي التعبير عن الأفكار والتصورات.<sup>1</sup> من هذا المنطلق يتضح الفرق بين النص الديني والخطاب الديني رغم ما يمكن أن يمس المفهومين من التباس وخط وغموض يجعلهما بمثابة الواحد، فما يميز الخطاب الديني هو معيار الثابت والمتغير ويحكم هذا التمايز كيفية فهمه واعتباره سواء من قبل منتج الخطاب أم من لدن متلقيه، فإذا أريد بالخطاب الديني الوحي (النصوص التشريعية)، وبهذا المفهوم فالتجديد محال والتغيير مرفوض، لأنه ثابت في نفسه وهو ما يضمن استمراريته وفعالته. أما إذا أريد بالخطاب الديني الحديث عن الوحي والتعبير عنه فهما وتأويلاً وشرحاً، فهذا هو مبحث التجديد وكنهه ومجال التطور وميدانه والفرق بينهما باختصار شديد أن الخطاب الشرعي هو الحكم الشرعي، ولذا نجد علماء الفقه وأصوله يعرفون الحكم الشرعي بأنه (خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع).<sup>2</sup>

#### \*المطلب الثاني : خصائص الخطاب الديني ومركزاته ، وتحدياته وآليات تطويره .

الخطاب الديني خصائص ومميزات تميزه عن غيره كالخطاب السياسي مثلاً ومنها :

1- أنه خطاب ضمن رسالة عالمية بعث بها النبي صلة الله عليه وسلم جاءت تخاطب البشرية بغض النظر عن أعراقهم وأجناسهم واللوانهم واختلاف ألسنتهم، لذا تجد الخطاب القرآني يكرر (يا بني آدم) في عدة مواضع و(يا أيها الناس) مع تخصيص آيات للمؤمنين والمسلمين ، وفي مواضع للناس كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَيِّنَاتٍ وَنَذِيرًا﴾ (سبأ: من الآية 28) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107). وأحياناً يوجه للكفار خاصة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 21).

2- أنه خطاب شامل لكل مناحي الحياة العقدية والتعبدية والمعاملاتية ، خطاب عقائدي مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 21)، و السياسي، قال الله تعالى: ﴿وَأَن اخْكُم بِبَيْنِهِمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: 49)، و الاقتصادي، قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (البقرة: 275)، واجتماعي الذي يعالج مشاكل الأسرة والمجتمع، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النور: 33)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِذْ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 32).

3- يحقق السعادة الدنيوية والأخروية : قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: 123، 124)، وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

<sup>1</sup> محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، (ط1، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2034م) ص 21-24.

<sup>2</sup> المحصول للرازي ، 107 / 1 والإحكام للأمدى 95 / 1 .

دِينُهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّمًا يُعْبُدُونَني لَا يُشْرِكُونَ بي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿55﴾ (النور: 55).

4- خطاب نهضوي تأثيري موحد : أنه خطاب وحدوي تأثيري ، يقوم على جمع الناس على كلمة واحدة باختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم ، ليكونوا أمة واحدة تربطهم عقيدة الإسلام، واعتبر الروابط الأخرى من أمر الجاهلية ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات:10)، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:52)، فرابطة العقيدة لا تتقطع باختلاف النسب، ورابطة النسب تتقطع باختلاف العقيدة.<sup>1</sup>

#### \*مرتكزات الخطاب الديني:

يرتكز الخطاب الديني على أساسيات لا يمكن إغناء أي جزء منها لأن التكامل لا يصلح إلا بوجودها جميعا وهي :

- 1- المُخاطَب : وهو من يبلغ الرسالة.
- 2- المخاطب:وهو المتلقي الذي توجه له الرسالة ويستقبلها ويستوعبها.
- 3- محتوى الرسالة : ومضمونها ما يريد المرسل أن يوصله إلى الآخرين ، وهو اساس الخطاب الديني
- 4- وسيلة الاتصال : فالخطاب يكون شفويا أو مكتوبا ، وقد تستغل وسائل الإعلام المرئية أوالمسوعة ، أو حتى الوسائل التكنولوجية الحديثة كشبكة الإنترنت الإلكترونية، أو المساجد والمدارس القرآنية والزوايا وغيرها من الوسائل .

فإذا تكاملت هذه الوسائل لاشك أنه سيكون للخطاب تأثير وفاعليه في المتلقي إذا تم النظر في فحوى الخطاب الديني وضرورة تجديده ليتماشى مع متطلبات العصر ويناهض الفكر التعصبي والتطرفي السائد في وقتنا ، وبدوره يمكنه بعد الاستيعاب أن يبلغه لغيره لما وقر في قلبه .<sup>2</sup>

#### \*تحديات الخطاب الديني ومعوقاته:

- 1- الإلحاد: أو اللادين وهو من أكبر التحديات التي تُواجه الخطاب الديني خاصة وأنها موجهة للشباب والنشأ .
- 2- وصم الدين بالتطرف : وزرع الخلاف العرقي والمذهبي والعقدي بين المخاطبين بتهييج مواطن النزاع وتضخيم مواطن الخلاف بغرض نشر الفرقة والتشتت والتمزق.
- 3- غرس فكرة التخلف والرجعية لدى الشباب وكأن من لم يصنع صاروخا نوويا لا يعد مقبدا، حتى ارتبط الحديث عن التقدم مرهونا بامتلاك القنبلة النووية وكأن الطاقة النووية هي مدار العالم مع الطاقة الشمسية أقل منها تأثيرا وأكثر منها فائدة.
- 4- أزمة التشدد والتعصب بين المسلمين : لا يمكن للخطاب الديني أن يرقى في منطقتنا العربية إلى مستوى تحصين الشعوب من أمراض التطرف والتعصب الديني والمذهبي المتعصب ، والتشدد الفكري، ورفض الآخر، والشحن الطائفي، وتغذية الصراعات الداخلية بل هي في ازدياد مستمر بسبب التيارات السياسية التي تستغل الدين للخلاف وبهذا يستمر وجودها ونفوذها .<sup>3</sup>

<sup>1</sup> محمد عمارة (2004) " الخطاب الديني بين التجديد الإسلامي والتبديد الأمريكي" دار الشروق الدولية، القاهرة.

<sup>2</sup> مقال بعنوان "الخطاب الديني في ظل التحديات المعاصرة" منشور على موقع <http://www.wasatyea.net>

<sup>3</sup> عبدالسلام حمود الأنسي ، مفهوم الخطاب الديني ومعوقاته ، مقال منشور على موقع

**\*آليات تطوير الخطاب الديني:**

قد تكون مشكلة الخطاب الديني اليوم في الخلل في معادلة الدعوة والعمل الإسلامي ، والظن أن الإبقاء على الوسائل القديمة في الدعوة وإيصال المفاهيم هو المنهج الأمثل ، والتوهم بأن الوسائل من الثوابت والمقدسات التي لا يجوز تطويرها أو حتى مراجعتها ودراسة جدواها ، في حين لو نظرنا في أساليب الدعوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والقرون الماضية نجدها قد تجددت بتجدد الأحداث والثقافات والأفكار بسبب الإطلاع في ثقافات الآخرين . فجمع المصحف وتدوين السنة وتأليف الكتب في الحديث والمختصرات في الفقه والأصول والمنظومات المتعددة التخصصات كله من أساليب تجديد الخطاب بما يناسب العصر دون الخروج عن الأصول ودون تغيير الثوابت الحقيقية التي ذكرناها في بداية المحاضرة .

ونأتي باختصار شديد على أهم الوسائل التي تساعد على إنجاح الخطاب الديني

1- اختيار الزمان والمكان المناسبين : لما لهما من تأثير واضح في توجيه الخطاب ، وإن غفل المخاطب عن هذين الجانبين الهامين سوف يفشل فشلاً ذريعاً في الوصول إلى عقول وقلوب المخاطبين ، وسوف يكون خطابه سقيماً عقيماً ، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة في تغيير خطابه بين مكة والمدينة .

2- مراعاة مقتضى حال المدعو :

لقد كان الرسول صلي الله عليه وسلم يتحول الناس بالموعظة مخافة السامة فعن أبي وإيل قال (( كان عبدُ الله يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ حَمِيْسٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُمْ ، وَإِنِّي أَتَحَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا ))<sup>1</sup>

وكان يحذر أصحابه الذين يطيلون في العبادة حتى تشق على الناس ، من فتنهم عن دينهم (( فعن جابر قال كان معاذٌ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَصَلَّى لَيْلَةً مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَمَّهُمْ فَأَفْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ فَاَنْحَرَفَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ صَلَّى وَحْدَهُ وَأَنْصَرَفَ . فَقَالُوا لَهُ : أَنَأْفَقْتَ يَا فَلَانُ؟! قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَا تَبِيْنُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلأُحْبِرْتُهُ ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَصْحَابُ نَوَاضِحٍ نَعْمَلُ بِالنَّهَارِ ، وَإِنْ مُعَاذًا صَلَّى مَعَكَ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ أَتَى فَأَفْتَتَحَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مُعَاذٍ فَقَالَ يَا مُعَاذُ أَفَتَأَنَّ أَنَّتَ أَقْرَأُ بِكَذَا وَأَقْرَأُ بِكَذَا قَالَ : سُفْيَانُ قُلْتُ لِعَمْرُو : إِنَّ أَبَا الزُّبَيْرِ حَدَّثَنَا عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ أَقْرَأُ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ، وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ، وَسَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى . فَقَالَ عَمْرُو: نَحْوُ هَذَا ))<sup>2</sup>

3- لغة الخطاب:

عالمية الرسالة المحمدية تقتضي عالمية الخطاب الديني وبذلك يجب على الداعية أن يعرف العالم بعقائده ، وثقافته ، وتاريخه ، وحاضره ، ومشكلاته ، وتطلعاته ، وفهم الكيفيات والآليات التي يتم من خلالها تشكيل الرأي العام ، وشروط تغييره ، والتأثير عليه ، كأمر لا بد منها لتحديد المداخل الحقيقية للخطاب ، قال تعالى (( وما

<https://www.assakina.com>

<sup>1</sup> صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة

<sup>2</sup> صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في العشاء

أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه لئيبين لهم (( [ابراهيم : 4] فاللغة هي المفتاح الأول والوسيلة البليغة في إيصال المعاني السامية للدين الإسلامي.<sup>1</sup>

#### \*المبحث الثاني : الخطاب الديني وتجديده لمواجهة التطرف.

كثر الحديث في العقود الثلاثة الأخيرة تحديداً، عن تجديد الخطاب الديني، وارتفعت الأصوات هنا وهناك، تدعو إلى ضرورة الإسراع "بمراجعة جذرية وشاملة وعميقة، للطرق والأساليب والقوالب والصيغ والمناهج، التي تعتمد في مجال تبليغ مبادئ الإسلام وأحكامه وتوجيهاته ومقاصد شريعته إلى الناس كافة".

ومن خلال ما تقدم نجد أن مفهوم (تجديد الخطاب الديني) يتنازعه طرفان:

الأول: فئة تتحدث عن تجديد الخطاب الديني وهي تصدر من منطلقات غير دينية، وأعتقد أنه لا يمكن تجديد الخطاب الديني من خارج هذا الخطاب الديني نفسه سواء بظروف محلية أو عالمية.

الثاني: بعض القوى الإسلامية الخائفة التي اشتد بها الخوف فإذا سمعت مثل هذا اللفظ ترمى إلى أذهانها أنها مؤامرة لتحريف الدين أو لتغيير الخطاب.<sup>2</sup>

وأقول: إن تجديد هذا الخطاب ضرورة فطرية وبشرية؛ لأن هذا الخطاب الديني الحالي مفكك وفردى بينما يشهد العالم تجمعات وتطورات هائلة في مجال التقنية والمعلومات والاختراعات، وأعتقد بأن أية نهضة أو تنمية في العالم الإسلامي التي ينادي بها المخلصون من دعاة الإصلاح إن لم تصدر من مفهوم ديني فهي محكوم عليها بالفشل، فلا بد من خطاب ديني واع ومعاصر ومنضبط يستطيع أن يضع هذه النهضة ويساعد عليها ويدفعها لإخراج الأمة من هذا التيه والدوران الذي تدور فيه حول نفسها.

إن هذا التجديد الحي قراءة واعية واعدة للنفس والواقع، و قراءة قادرة على إيجاد الحلول الشرعية المناسبة لمشكلات الواقع.

إنه لا مناص من التجديد، وإذا لم نؤمن بذلك فأمامنا خياران:

الأول: الجمود ويعني ذلك الإطاحة بحق الحياة وسحقها في عصر تكتنفه الحركة الثائرة من كل جهة.

والثاني: الذوبان، وذلك معناه الإطاحة بحق الدين والشريعة والثقافة والتراث.

إن هذا التجديد يجب أن يكون بأيدي رجالات الإسلام وعن طريق المتخصصين الإسلاميين، ولا أقول بالضرورة: الفقهاء، وإنما المختصون على العموم، ويجب أن تكون أدوات هذا التجديد ووسائله داخلية تلمس مشاعره وتتحدث من داخل إطاره، وعلينا أن نتفق على الضرورات والقواعد الشرعية والمحكمات الدينية الثابتة، كما يسميها ابن تيمية (الدين الجامع).

أما ماهية هذا التجديد فترتيباً لسلم الأوليات وتنظيم للأهم والمقاصد الكبرى للعلم والدعوة والإصلاح واتفاق على ذلك وتسهيل تطبيق ذلك وتوجيهه في أرض الواقع، وإبراز لجانب القيم والأخلاق الإسلامية الإنسانية العامة التي يحتاج إليها الناس كلهم دون استثناء، وتطبيق قيم العدل التي يأمرنا بها الإسلام تجاه الخلق كلهم ومعاملة الناس كلهم بالحسنى، قال تعالى:

"وقولوا للناس حسنى" قال ابن عباس: (اليهودي والنصراني).<sup>3</sup>

<sup>1</sup> أحمد هليل، تحديات الخطاب الديني في ظل التحولات الدولية الراهنة، بحث منشور على موقع

<https://repository.nauss.edu.sa>

<sup>2</sup> سلمان العودة، تجديد الخطاب الديني، مقال منشور على موقع <http://www.islamtoday.net/salman>

<sup>3</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص14.



والتجديد يعني العناية بالنظريات العامة في الإسلام مثل النظريات السياسية والاجتماعية والفقهية الفرعية والأصولية، ودعم المشاريع العلمية التي تصل تراث الأمة بهذا العصر وتضيف إليها تراكماً علمياً ومعرفياً. والاهتمام بالمبادرات في الخطاب الشرعي والدعوي فالأمر قبل النهي، والأمر بالمعروف مقدم على النهي عن المنكر، والإصلاح ينفي الإفساد بالضرورة والعملية الجيدة تطرد العملة الرديئة - كما يقول الاقتصاديون-، فهذا الجهد يقوي عنصر "المزاحمة" في الفكر الإسلامي والخطاب الديني.<sup>1</sup> إن على دعاة التجديد أن ينتقلوا من ضيق الرأي والمذهب والجماعة إلى سعة الشريعة مع أهمية هذه كلها في العلم الإسلامي والديني، ولكنني أدعو إلى الاعتصام بسعة الشريعة وبحبوتها لتجديد الاجتهاد الإسلامي وتيسيره، يقول جل وعلا: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ) (النساء، 83)

#### \*المطلب الأول : التجديد في الخطاب الديني من أهم أدوات مكافحة التطرف.

لاشك أن الخطاب الديني له قوته وله تأثيره في المجتمع ، واليوم تنوعت وسائل الخطاب الديني ولم تقتصر على أروقة المسجد ، فأصبحت وسائل التواصل الاجتماعي من أهم ادوات الخطاب الديني ، فمجرد منشور واحد قد يشاهده الألاف من الأشخاص من مختلف ارجاء الكرة الأرضية ، فمن هنا لايد من الحديث عن اسباب الخطاب الديني المتطرف والتي تثير كثير من الشباب فتتحى بهم نحو التطرف والأرهاب ، ففي البداية سنتحدث عن اسباب الخطاب الديني المتطرف ثم نبين كيف يمكن من خلال علاج هذه الأسباب أن نصل الى خطاب ديني معاصر يوضح الصورة الحقيقة للدين الاسلامي والتي تثبت أن هذا الدين دين الرحمة ودين التسامح ودين المحبة .

ويمكن حصر الأسباب التي أدت الى الخطاب الديني المتطرف فيما يأتي<sup>2</sup>:

اولا : نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية من الابتدائي وحتى الجامعة في معظم البلاد الإسلامية . فما يدرس في مراحل التعليم الأساس، لا يؤهل شخصا مثقفا بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية، ليعرف ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية، وقد أدى ضعف المقررات الدينية، وعدم تليبيتها لحاجات الطلاب في توعيتهم في أمور دينهم وتتوير فكرهم بما يواجههم من تحديات في هذا العصر ؛ إلى نقص الوعي الديني بوجه عام مما يكون له الأثر السلبي على سلوك واتجاهات الأفراد واتجاهاتهم .

ثانياً : -عدم الاهتمام الكافي بإبراز محاسن الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية التي يحث عليها الدين :

ومما يحث عليه الدين الإسلامي ويدعو إليه الرفق، والتسامح، وحب الآخرين ومراعاة حقوق المسلمين منهم وغير المسلمين، والسلام، والتعاون، والرحمة، والبعد عن الظلم والاعتداء والبعد عن الحكم بالأهواء الشخصية، وغير ذلك مما يدعم الأمن والحب والعدالة بالمجتمعات ولاسيما الإسلامية فالإسلام هو دين السلام والعدل والحرية . ولا بد من إظهار هذه المحاسن والأخلاقيات منذ بداية التعليم في الصفوف الأولى مع التركيز عليها في الصفوف الثانوية وبداية الجامعي .

ثالثاً : - عدم الخضوع للنظام في مرحلة الطفولة في مختلف المراحل التربوية :

والسبب في ذلك إهمال تدريب الإرادة بممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهيجان النفسي وبمقاومة الرغبات النفسية الشهوانية ولا شك أن للإنسان نوازع وانفعالات سلبية لا بد من التحكم فيها وضبطها كالغضب،

<sup>1</sup> سلمان العودة ، تجديد الخطاب الديني ، مقال منشور على موقع <http://www.islamtoday.net/salman>

<sup>2</sup> انظر : مجلة مقاربات العدد الرابع ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ كانون الاول ٢٠١٨ م .

والشح والبخل عند الضيق والحاجة، والانتقام عند القوة والانتصار، وغيرها . ولهذا كله فإن بعض الأحداث الاجتماعية تحدث نتيجة عدم تكوين مثل هذه الروح الخاضعة للنظام<sup>1</sup>.

رابعاً: - الانحراف الفكري والقصور في العلم الشرعي:

إن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها فكره وعقيدته، فالإنسان مقود أبداً بفكرة صحيحة أو فاسدة .

وعلى هذا فإن السبب الرئيس للغلو وسلوك سبل العنف والإرهاب انحراف الفكر وضلاله، والتباس الحق بالباطل لدى أصحاب هذا الاتجاه .

ولهذا الانحراف الفكري في الخطاب الديني أسباب تتعلق بالمناهج والتعليم،<sup>2</sup> منها:

1- الخلل في منهج التلقي ؛ حيث تتلمذ طائفة من الغلاة على من لا علم عنده، أو على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم، ويلمزونهم .

وهؤلاء الغلاة يعتقدون بأرائهم، وينساقون مع أهوائهم، فيحرمون العلم النافع المتلقى من مشكاة النبوة وأنوار الرسالة، ويقعون في ضروب من الضلال، والقول على الله بغير علم، فيضلون ويضلون . وقد دلت النصوص على لزوم تعظيم العلماء، والتوجيه إلى سؤالهم، والصدور عنهم، قال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } . [الأنبياء: 7] . وقال صلى الله عليه وسلم: « إن العلماء هم ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر »<sup>3</sup>.

فالعلماء هم الذين يخلفون الأنبياء في العلم بالدين وأحكامه، وفهم نصوصه، وفي الدعوة إلى الله، وبيان ما يحتاجه الناس من أمور دينهم مما تصلح به عباداتهم ومعاملاتهم، وتستقيم به صلاتهم بغيرهم .

ولذا فإن الواجب على أحاد المسلمين الرجوع إلى العلماء الراسخين، والصدور عن رأيهم، ولا سيما في القضايا التي تتعلق بمصالح الأمة، حتى تكون أقوال المرء وأفعاله مضبوطة بالأدلة الشرعية .

كما أن على العلماء أن يوسعوا للشباب صدورهم، وأن يتلقفهم بأيدي حانية تذللهم للحق، وتصرف عاطفتهم إلى ما يرضي الله تعالى، وتوجه طاقاتهم إلى ما يعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والنفع<sup>4</sup>.

2- الأخذ بظواهر النصوص دون فقه ولا اعتبار لدلالة المفهوم، ولا قواعد الاستدلال، ولا الجمع بين الأدلة، ولا اعتبار لفهم العلماء، ولا نظر في أضرار الناس .

وهذا المنهج سبب لصنوف من الانحراف والضلال، وأشد ذلك وأعظمه خطرًا التكفير، والحكم بذلك على الأشخاص والجماعات والأنظمة دون فقه أو تثبت، أو اعتبار للضوابط الشرعية، وهو ما وقع فيه بعض الأفراد والجماعات في هذا العصر، حيث توجهوا إلى تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ورتبوا على ذلك استباحة الدماء والأموال، والاعتداء على حياة الناس الأمنيين المطمئنين في مساكنهم

<sup>1</sup> منيرة السنبل، التلوث الفكري لدى الشباب، مقال منشور في المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، م29، العدد 58.

<sup>2</sup> صاير عبد الدايم، الفكر المتطرف وأليات المواجهه، المؤسسات الدينية والثقافية جزر معزولة، مقال منشور في جريدة الاهرام، القاهرة، العدد47541، السنة 2017م.

<sup>3</sup> الترمذي، الجامع الصحيح، قال أبو عيسى ولا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة وليس هو عندي متصل هكذا حدثنا محمود بن خدّاش بهذا الإسناد وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ وهذا أصح من حديث محمود بن خدّاش ورأي محمد بن إسماعيل هذا أصح.

<sup>4</sup> عبد الله بن محمد العمرو، اسباب ظاهرة الإرهاب، مصدر الكتاب: موقع الإسلام

ومعايشهم، والاعتداء على مصالحهم العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها، فحصل بذلك فساد كبير في المجتمعات الإسلامية .

وقد جاءت النصوص بالتحذير من التكفير، والوعيد الشديد لمن كفر أحدًا من المسلمين، وليس هو كذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما »<sup>1</sup> .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه »<sup>2</sup> .

كما دلت النصوص على أن التكفير - كسائر الأحكام الشرعية - لا يتم إلا بوجود أسبابه وانتفاء موانعه، ولذا قد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به لوجود مانع يمنع من كفره كالإكراه<sup>3</sup> .

#### الخاتمة : وفيها أبرز النتائج والتوصيات .

من خلال هذا الورقة البحثية والتي تناول الباحث فيها تجديد الخطاب الديني في مواجهة التطرف وتثبيت الهوية الوطنية ، نجد أن الخطاب الديني له تأثير كبير وواضح على المجتمع وأن الخطاب الديني المتطرف هو من أهم أسباب هلاك المجتمعات ودمارها ، فحتى نرتقي بمجتمعاتنا ونلحق بركب الحضارة الإنسانية نحتاج لتجديد الخطاب الديني ليتواءم مع المرحلة وليرتقي بنا لنحلق مع الحضارة والتطور ، ويمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث ما يأتي :

أولاً : نجد أن مفهوم الخطاب الديني يقوم على أساس محاولة تبليغ مفهوم ما ، بلغة يفهمها المتلقي مع مراعاة المستوى العلمي والجغرافي والتدني.

ثانياً : يغفل بعض المثقفين عن الفرق بين الخطاب الشرعي والخطاب الديني أو الخطاب الإسلامي فيخلط بين المصطلحين، وينشأ عن الخلط بينهما مفاصد ، ولذا فلا بد من التفرقة بينهما ، والفرق بينهما ، هو أن الخطاب

<sup>1</sup> أخرجه البخاري ومسلم ، البخاري في الأدب ، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر .

<sup>2</sup> صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال من قال لأخيه كافر ، حديث رقم "61"

<sup>3</sup> عبد الله بن محمد العمرو ، اسباب ظاهرة الأرهاب ، مصدر الكتاب : موقع الإسلام

متغير حسب مقتضى الحال، أما النص الديني فهو ثابت لا يتغير وهو فوق المحاسبة والانتهاج، ويعتبر أصلاً لا يمكن المساس به، فهو نص مقدس معجز صالح لكل زمان ومكان.

ثالثاً : قد تكون مشكلة الخطاب الديني اليوم في الخلل في معادلة الدعوة والعمل الإسلامي ، والظن أن الإبقاء على الوسائل القديمة في الدعوة وإيصال المفاهيم هو المنهج الأمثل ، والتوهم بأن الوسائل من الثوابت والمقدسات التي لا يجوز تطويرها أو حتى مراجعتها ودراسة جدواها ، في حين لو نظرنا في أساليب الدعوة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم والقرون الماضية نجدتها قد تجددت بتجدد الأحداث والثقافات والأفكار بسبب الإطلاع في ثقافات الآخرين.

رابعاً : لعل من أسباب الخطاب الديني المتطرف الخلل في منهج التلقي ؛ حيث تتلمذ طائفة من الغلاة على من لا علم عنده، أو على أنفسهم، فلا يقتدون ولا يهتدون بما عليه العلماء الراسخون، بل يقدحون فيهم، ويلمزونهم ، ومن هنا فإننا نحتاج تجديد الخطاب الديني من خلال علاج الأسباب التي أدت الى انحرافه عن منهج الإسلام العام .

وأخيراً توصي هذه الدراسة بالاهتمام بكليات الشريعة وطلبتها ، لأنها الضمانة الأكيدة لتخريج دعاة مثقفين واعيين يملكون خطاباً دينياً متوازناً ومتوافقاً مع روح الشريعة الغراء ، وضرورة تدريس الثقافة الإسلامية لكافة الدارسين لأنها الخطاب الديني الوسطي الذي يوجه الطلبة نحو الاعتدال والتسامح وقبول الآخر .



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## دور المؤسسات الدينية والعلمية في تجديد الخطاب الديني

إعداد

إعداد: أ. عفاف جعواني

الجمهورية التونسية

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## مقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلم الأول والمرشد الأعظم، وعلى آله وصحبه والسائرين على الصراط الأقوم.

الخطاب الديني والإسلامي بالتحديد، هو النتاج العلمي والفكري والثقافي الصادر عن المفكرين والدعاة والمثقفين، في تفاعلهم مع مرجعية القرآن والسنة والتراث الإسلامي.

ومن هنا تكمن خطورة وأهمية هذا الخطاب في تبليغ رسالات الله وبيان منهج الإسلام في معالجة قضايا العصر والانفتاح على الثقافات والعلوم. وبناء على ذلك فإننا نجزم بحتمية تجديد هذا الخطاب من أجل أن تتحقق فيه معالم الواقعية والانفتاح، والتسلح بلغة علمية معاصرة.

ولا شك أنّ مهمة تجديد الخطاب الديني ليست عملية ارتجالية هيّنة وإنما هي مهمة ذات منهجية يضطلع بها طاقات فردية ومؤسسات علمية وتربوية.

فما هو دور المؤسسات العلمية والتربوية في تجديد الخطاب الديني وما هي الآليات والمناهج الكفيلة لتحقيق ذلك؟

## أهمية البحث:

يكتسي البحث أهميته من خلال معالجة قضية مصيرية تتعلق بالخطاب الديني في واقع يتميز بهيمنة قوى غربية وتحديات ثقافية، هذه التحديات تهدد بتفكيك هذا الخطاب خاصة وأنها تجد لها أتباعا من ساسة ومثقفين من بني جلدتنا.

إن الدفاع عن الخطاب الديني شرط لتحقيق أصالتنا ونهضتنا الحضارية وتحصين هويتنا الوطنية من موجات الاغتراب أو التعصب والانغلاق.

## أهداف البحث:

1. التعريف بالخطاب الديني من أجل الاعتزاز به ونبذ التبعية والتقليد الأعمى للغرب.
2. التحصن بالمؤسسات الدينية والعلمية والتعليمية عبر خطاب وسطي مستنير ضد موجات العولمة والتغريب.
3. استثمار الخطاب الديني في ترسيخ الثوابت الوطنية التي صيغت على مدى قرون على ضوء تاريخنا وحضارتنا..
4. الحفاظ على مقومات الخطاب الديني عبر الحصون الدينية والعلمية والتعليمية يضمن لأوطاننا المناعة ووحددة الصف وتضييق دائرة الأطماع الخارجية.

## إشكالية البحث:

تتبلور إشكالية البحث في طرح الاستفهامات التالية:

- ما هو الخطاب الديني؟
- ماذا نعني بتجديد الخطاب الديني؟
- ما هو دور المؤسسات الدينية والعلمية في تجديد الخطاب الديني؟

## منهج البحث:

سأعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وكذلك المنهج الاستقرائي حيث سأقوم بشرح مفاهيم البحث وهي الخطاب الديني، المؤسسات الدينية والعلمية، كما سأنتقل إلى أهم الجوانب الرئيسية في تجديد الخطاب الديني من خلال المؤسسات الدينية. كما سأعتمد لزاما إلى المصادر الأصلية في البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

كذلك الحرص على الأمانة العلمية في عزو الأقوال إلى قائلها، واستفراغ الجهد في نقل قول كل قائل من مصدره على قدر المستطاع.

### خطة البحث:

المقدمة وتشمل خطة البحث.  
التمهيد وفيه بيان مفاهيم البحث.  
المطلب الأول: دور المؤسسات العلمية في تجديد الخطاب الديني.  
المطلب الثاني: المؤسسة الدينية ودورها في عقلنة الخطاب الديني.  
المطلب الثالث: دور المؤسسات التعليمية في انفتاح الخطاب الديني على الثقافات والحضارات الأخرى.

### الخاتمة

### الفهارس

وأخيرا لا أزعم أن ما وصلت إليه هو كمال البحث ولكن حسبي أنني ساهمت في هذا الموضوع وحاولت إثرائه.

### المطلب الأول: مفهوم الخطاب الديني

الخطاب من خطب ، و الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلامُ بين اثنينٍ متكلمٍ وسماعٍ ، يقال خاطبه يخاطبه خطابا، سُمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة<sup>1</sup>.  
يقول الزمخشري : " خاطبه أحسن الخطاب ، وهو المواجهة بالكلام"<sup>2</sup> ، ويقول الجوهري: " وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً"<sup>3</sup> وقال الأزهري : " وقال الليث : الخطاب :مراجعة الكلام 4"وفي لسان العرب : " والخطاب والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً ، وهما يتخاطبان"<sup>5</sup> .  
جاءت مادة ( خَطَبَ ) في عدة مواضع من القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ (20) ﴾<sup>(6)</sup> ، وقال عز وجل : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (63) ﴾<sup>(7)</sup>.

- (1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1، 1979م، ج2، ص198 ، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، ج1، ص173
- (2) الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ص114.
- (3) لجوهري ، إسماعيل بن حم اد ( 1990م ) : تاج اللغة وصحاح العربية ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ج 1، ص121.
- (4) لأزهري ، محمد بن أحمد : ذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ج / 7 ص247.
- (5) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب ، دار المعارف ، ج / 14 ص1194.
- (6) سورة ص: الآية 20.
- (7) سورة الفرقان: الآية 63.

الخطاب الديني هو الخطاب الذي يستند إلى مرجعية دينية، من أصول الدين الثابتة : القرآن والسنة سواءً كان منتج الخطاب منظمة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو غير رسمية أو أفرادا متفرقين ، سعيا لنشر دين الله عقيدةً وشريعةً وأخلاقاً ومعاملات وبذل الوسع في ذلك<sup>1</sup>.

إنّ الخطاب الديني يراد به ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني مفهوم التجديد

في اللغة: مصدر جد يجد تجديدا، وفي لسان العرب: "تجدد الشيء صار جديدا، وأجده وجدده واستجده أي صيره جديدا"(3)، وقال في المصباح المنير: "جد الشيء يجد بالكسر جدة فهو جديد وهو خلاف القديم وجدد فلان الأمر وأجده واستجده إذا أحدثه فتجدد"(4)،

وفي الاصطلاح: ينطلق مفهوم التجديد في الاصطلاح من المعنى اللغوي للكلمة وهو إعادة الشيء إلى ما كان عليه قبل أن يصيبه البلى ويمر عليه الزمان، وعلى هذا المعنى دارت تعريفات العلماء والمؤطرين لمعنى التجديد في الدين، والنظر لتلك التعريفات يجدها تدور حول إعادة الأمر إلى ما كان عليه، خاصة في أمور الدين، فمن ذلك قول شيخ الإسلام بن تيمية "والتجديد إنما يكون بعد الدروس"(5).

### المطلب الثالث: مفهوم المؤسسات الدينية

ترادف لفظة " المؤسسة " العربية في الفرنسية – Institution أيضا في الإنجليزية Institution وتعني في اللغة الفرنسية: مفهوم مركزي في علم الاجتماع البناء ، تعني المبادئ التي تحكم الحياة الاجتماعية للجماعة، أو دستور الدولة تنظيم الناتجة الاجتماعية ( ولها وظائف عامة مختلفة)<sup>6</sup>. والمؤسسة في الحياة العامة تعارض الطبيعة ومرادفة للثقافة: يقال عن شيء مؤسسة عندما تكون أعمال الناس بها متميزة عن الأعمال الطبيعية<sup>7</sup>.

ويطلق على لفظة المؤسسة الدينية في اللغة الفرنسية Institution Religieuse .

المؤسسة الدينية تعني: نسق من المعايير والأدوار الإجمالية المنظمة التي تواجه الحاجة الدائمة إلى الإجابة على الأسئلة النهائية المتصلة بهدف الحياة وبمعنى الموت، وهي تختلف عن المؤسسة السياسية (Institution Politique) والتي تعني: المؤسسة الاجتماعية أو مركب المعايير الاجتماعية والأدوار التي تعمل على تدعيم النظام الاجتماعي وممارسة القوة من أجل ضمان الامتثال لنسق الدولة القائم<sup>8</sup>.

(1) الانسي ، عبد السلام حمود غالب ، مفهوم الخطاب الديني، مقال منشور على موقع السكينة، . 9/11/2013م

(2) عياض بن نامي السلمي، تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص4

(3) لسان العرب ابن منظور، ، حرف الدال، فصل الجيم. 111/1

(4) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، 92/1.

(5) مجموع الفتاوي، تقي الدين بن تيمية، 297/ 18.

(6) –Gérard Durozoi–André Roussel–DICTIONNAIRE de philosophie, P.205

(7) Ibid. P 205

(8) فاروق مداسي، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني للطباعة والنشر، دط، الجزائر، 2003، ص.(224–233)



## المبحث الأول

### دور المؤسسات العلمية في تجديد الخطاب الديني

يعد الخطاب كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر معينة ومحددة من الشخص المتكلم بها أو الكاتب للخطبة من حيث فرضها نية التأثير على السامع أو القارئ للخطبة من حيث الاهتمام بالظروف والملابسات التي تمت بها وصيغت منها.

إن الخطاب الديني الفعال هو الخطاب الذي يُمكن الإنسان من تحقيق الأهداف التي خُلق لأجلها القائمة على القوانين الربانية العادلة وعمارة الأرض، حيث أن الخطاب الديني المعتدل القائم على النصوص الشرعية والاستدلال الصحيح هو أفضل طريقة يمكن للأفراد والدول استعمالها لعلاج جميع الانحرافات التي تعاني منها المجتمعات اليوم سواء كانت هذه الانحرافات عقيدة أم فكرية، كما يُمكن الخطاب الديني اليوم من تعزيز الهوية الوطنية وترسيخ مبدأ المواطنة وتعزيزه في صفوف أفراد المجتمع.

تعمل الأمم والشعوب اليوم لتغيير واقعها المعاش من حيث توفر الفرصة المناسبة لتحقيق ذلك الإنجاز والتغيير الذي يقودها إلى الأفضل مما كانت عليه سابقاً ومن خلال تحقيق ذلك التغيير لابد من توفر ووجود الحوافز والأسباب التي تدعو له وتعمل جاهدة على تحقيقه مهما كانت الظروف والنتائج، كما تعمل على تعزيز وجود خطاب ديني متجدد يمكن من خلال النهوض بالمجتمع وترسيخ الفكر المستنير في أفراد المجتمع.

يعتبر الخطاب الديني أحد أهم عوامل التغيير في المجتمعات وهو من العوامل الرئيسية في تكوين الحضارات، حيث لا يوجد خاطب ديني إلا وكان له اتباع يؤمنون به ويتبعون قواعده، وإن غاية وأثر الخطاب الديني الصحيح هو إصلاح القوم الذين خوطبوا وتعزيز شعورهم بأهمية وجودهم ومشوا بطريقة على أسس مهمة في البناء والاكتمال للمجتمع، ومن هذه الأسس هي العدالة وهي أساس البناء وإعمار الأرض وتغيير جميع بني المجتمع من خلال القواعد الصالحة التي يسير عليها الخطاب الديني وأسسها المعتدلة الفاعلة في بناء وتغيير المجتمع من خلال تغيير عقول أفرادها وإخفاء الضلالة عنهم وتبصيرهم بكل ما يؤمن لهم السلام والعدالة المجتمعية كي يحتضنوا مجتمعاتهم ويعملوا على القضاء على كل ما يؤدي إلى دمارها فكرياً واجتماعياً ودينيّاً، من خلال انتشالهم من حضيض الانحطاط إلى أوج السمو حيث أن لكل قضية دينية أتباع ومعارضين ومن هنا تبرز أهمية عملية التغيير التي تتم من خلال العمل على تبيان المكاسب الدنيوية عند اعتناق الدين الجديد، حيث أن للخطاب الديني دور كبير على ابقاء باب التغيير مفتوحاً للتلاؤم مع التطورات من زمان لزمان ومن جيل لجيل وذلك من خلال النظر إلى المستقبل بفكر منفتح وعقل قادر على التكيف مع متطلبات الزمان الذي يعيش فيه كون هذه الفترة الزمنية التي يمر بها مجتمعنا اليوم تحتاج إلى ثقافة خطاب واعية قادرة ومنجدة على تغيير العقول الفردية ومن ثم تغير المجتمع الذي بدأ يتلاشى وينهار بسبب العصابات التكفيرية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ منه والذي بدأت تؤثر على العقول الفردية بشكل كبير جداً عمل على فقدانها مبادئها وأصولها الدينية التي نمت وترعرعت عليها.

لذلك يجب الاكثار من الخطب الدينية المعتدلة التي لها الدور الكبير والنظم الواعية منذ عصور قديمة جداً في التجدد والتغيير وإصلاح الأمة كون الدين هو عماد المجتمع وصلاحه، كون التأثير الروحي للدين مازال قائماً ليس عند العرب فقط بل في جميع انحاء العالم الاسلامي، وإن كان هنالك دور في تراجع المجتمعات والكيانات الاسلامية على المستوى العلمي والسياسي.

## المبحث الثاني

### المؤسسة الدينية ودورها في عقلنة الخطاب الديني

تعد المؤسسات الدينية واحدة من أهم المؤسسات التي تساهم في التأثير على المجتمع وتوجيهه، ونحن في ديننا لا مجال لعزل الدين عن حياة الناس، فمحاولات علمنة المجتمعات المسلمة وإبعاد الدين عن حياتها العمليّة تبوء بالفشل، ولا تؤدي النتيجة المرجوة منها.

فلا يتوقف دور المؤسسات الدينية على جانب معين، بل تعمل على كافة الأصعدة الشرعية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وتمس حياة الناس في كل النواحي، ولذلك فلها تأثيرها البليغ على حياة الفرد والمجتمع والأمة في ترسيخ مبدأ الخطاب الديني.

لقد لعبت المؤسسات الدينية دورا مهما في الحفاظ على مقومات الخطاب الديني ولازالت لحد الآن؛ وإن كان هنا فتورا نسبيا في وظائفها وأدوارها اليوم، وهذا راجع في اعتقادنا لطبيعة علاقتها مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى تكميلا للدور المناط بها، فلا سبيل لوحدة اجتماعية متناسقة ومنسجمة خارج هذه التفاعلية، والتي نراها أكثر ضرورة من السابق في ظل التحديات التي يعرفها واقعنا اليوم، وهذا دلالة على أن المؤسسة الدينية ليست كفيلة بنفسها في توجيه وترشيد سلوك الفرد والمجتمع، وأن هناك مؤسسات غير دينية تحمل على عاتقها المسؤولية نفسها من خلال قيامها بأدوارها الحقة مثل المؤسسات (السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية).

### ❖ مثال لبعض المؤسسات الدينية:

#### المسجد:

يعد المسجد مقر العبادة الخالصة لله ومؤسسة بناء قيم المعرفة، ففيه يكتسب العلم النافع الموجه للسلوك والمحدد للاختيارات الفردية والاجتماعية.

إنه البوصلة التي تقود الأمة نحو العمران والشهود الحضاري، ففي المسجد يتعانق الوحي والعلم ليشكلا معا لوحة قيمة متناسقة مصبوغة بصبغة المعرفة الحقيقية والإيمان الصحيح.

فيصبح العلم والتفكير السليم طريقين إلى الإيمان المبنوث في الوحي المنطوق، ويصير الإيمان هو الموجه والمحرض على اكتساب العلم والمعرفة المبنوثة في آيات الكون، فلا علم بلا إيمان، ولا إيمان بلا علم، وبذلك تتحقق أسمى معاني المعرفة.

#### المدارس:

تعمل المدرسة من أجل التنشئة الاجتماعية على قيم المعرفة، وهي من أهم المؤسسات التي أنشأها المجتمع ليحافظ على خصوصيته المعرفية.

فيبدأ التلميذ بالحرف تلو الحرف يشكل الكلمات، ويبني الجمل، ويراكم القيم بصبر وتدرج، ينطلق من «إقرأ» ليصل إلى «علم الإنسان ما لم يعلم»، فيرتبط بلغته رمز عزته وكرامته، ويحن إلى ثقافته مصدر معرفته، وهو يقول: أنا أقرأ إذن أنا موجود، أنا موجود بقلم، أنا موجود بكتابي، أنا موجود بتاريخ، من هنا البداية.. وهنا النهاية إذا كسروا القلم.

#### الجامعات:

كل مؤسسة تتحمل مسؤوليتها على قدر حجمها الإشعاعي وتأثيرها القيمي، لذا تعد الجامعات من أكثر المؤسسات العلمية والاجتماعية تأثيرا في قيم المجتمع المعرفية، بل إن مكانة المجتمعات الإنسانية تحدد بناء على مستوى التأثير والتأثر المعرفي بين هذه المجتمعات ومؤسسة الجامعة.

وعندما أقول الجامعة فلا أعني المدرجات والأسوار، بل أقصد الأستاذ (معلم قيم المعرفة)، والبرامج (قيم المعرفة)، والمناهج (تنزيل قيم المعرفة) لهذه الجامعة.  
بل أقصد العوالم الثلاثة: عالم الأفكار وعالم الأشخاص لبناء عالم الأشياء كما عبر عن ذلك مالك ابن نبي رحمه الله، أو بتعبير آخر: أستاذ قيم + مادة قيم + منهج = مجتمع المعرفة.  
فدور الجامعة إذن، هو توليد المعرفة عبر غرس قيمها النابعة من كينونة المجتمع الدينية والثقافية، مع مراعاة تحرير عقول الطلبة من التبعية القاتلة للإيداع والساجنة للفكر والمهيمنة على المجتمع<sup>1</sup>.

### المبحث الثالث

#### دور المؤسسات التعليمية في انفتاح الخطاب الديني على الثقافات والحضارات الأخرى

تعد العلاقة بين الخطاب الديني والمؤسسات التعليمية علاقة مهمة جداً من حيث ان المؤسسات الدينية هي الأداة التي تسوق الكلام وتشره، من خلال دورها الكبير في نشر الخطاب الديني، وقياس أهميته وتأثيراته السياسية والاجتماعية وكيفية تعاطيه مع الواقع الاجتماعي والسياسي، من خلال دور المؤسسات الدينية في صناعة الفكر الإنساني المستنير وتعزيز فرص إنارة العقول وإيجاد الحلول في مجتمعات منقسمة طغت عليها التجاذبات الفكرية. إنَّ للخطاب الديني تأثيراته وفاعليته في توجيه المؤسسات الدينية لترسيخ مبدأ الحوار والتعايش السلمي مع الآخر، ذلك من خلال ما يقدمه مضمون الخطاب من أسس ومبادئ وقيم أخلاقية وإنسانية من خلالها يستشعر المتلقي بأهمية الحوار وقيمة مبدأ حوار الحضارات والثقافات، ويسعى بذلك للحفاظ عليها وإثبات وجوده الذاتي داخل مجتمعه.

فالفرد لا يقتصر وجوده على الوجود الشكلي داخل المجتمع وانما من خلال اثبات ذلك الوجود والعمل على إقرار مبدأ الحوار وقبول الآخر بصفة فعلية.  
المؤسسات الدينية لا يمكن أن تُحَقَّق مقاصدها، ولا أن تُبلَّغ هدفها بلا خطاب يُرَكِّز على الثوابت فيها ويركز على محاسن الدين ويدعم محاور الاتفاق ويُنْتَقِي حامي الرسالة من الأتقياء.  
حيث أن للخطاب الديني دور كبير في التصدي للإرهاب واثبات الذات الوطنية وتعزيز الحوار، علماً بأنه لا يمكن ان يختلف أي اثنان في أن للخطاب الديني وسيلة مزدوجة الاستخدام؛ فقد تكون وسيلة بناء وارتقاء بالأوطان، وقد تكون وسيلة هدم وتفتيت للشعوب وللقيم، وكونها كذلك فهذا يدعو لمراجعة كل ما يصدر عن هذه المؤسسات ومن يتحدثون فيها، ويلقون الخطب الدينية او غيرها حيث للخطاب الديني دور كبير في التشويه والرياء او البناء والتعمير.

(1) - عثمان باحمو باحث في المذاهب العقديّة في الديانات، جامعة محمد الخامس، الرباط : رابط المقال

## الخاتمة

### أهم النتائج

- يمكن أن نستخلص من هذا البحث أهم نتائجه والمتمثلة بالخصوص في:
  - بيان دور الخطاب الديني في خدمة المجتمع، وحمايته من الأفكار الإرهابية.
  - إبراز دور الخطاب الديني في صناعة فكر انساني متحضر بعيد عن الأفكار المتطرفة والارهابية.
  - بيان أهمية ما تقدمه المؤسسات الدينية في تعزيز الخطاب الديني.
  - بيان دور المؤسسات التعليمية في الحفاظ على أسس وقيم الخطاب الديني، سعياً إلى ترسيخ مبدأ الحوار والانفتاح على الثقافات الأخرى.

### أهم التوصيات

- وإلى جانب ما وصلت له من نتائج في هذا البحث فإنني أوصي بما يلي:
  - يجب على الخطاب الديني ان ينطلق من القاعدة الأساسية التي تتضمن جلب المصالح وتكميلها ودفع المفاسد وتقليلها التي جاءت بها الشريعة الإسلامية.
  - تجنب سلبيات الخطاب الديني من اجل نشر الخير بشكل أفضل وميسر وسهل من خلال التزامه بمبادئ الدين والشريعة.
  - التأكيد على أن يكون للخطاب الديني مقصد التعامل الايجابي مع الآخر من خلال تفهم الآراء والافكار ودراسة السلوك النفسية والاجتماعية للأفراد بعيداً عن الانغلاق الذاتي الذي لا يحترم السلم الاجتماعي.

والله وليّ التوفيق

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- الزمخشري ، محمود بن عمر: أساس البلاغة ، تحقيق عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- لجوهري ، إسماعيل بن حماد ( 1990م ) : تاج اللغة وصحاح العربية ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان.
- لأزهري ، محمد بن أحمد، ذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون.
- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين .: لسان العرب ، دار المعارف .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سنة 1985م.
- محمد محمود: حسن، الخطاب الإعلامي في الصحافة الإسلامية، جامعة بغداد، كلية الإعلام، سنة 2004م.
- انظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م.
- فاروق مداسي، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني للطباعة والنشر، دط، الجزائر، 2003.
- صومائيل - ب- هنتكتون / من نحن- التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة حسام الدين خضور، دار الحصاد - دمشق / ط1 2005 ،
- . *Gérard Durozoi-André Roussel-DICTIONNAIRE de philosophie, P.205*
- *Ibid. P 205*
- عثمان بابحمو باحث في المذاهب العقديّة في الديانات، جامعة محمد الخامس، الرباط : رابط المقال <https://www.maghress.com/almassae/183473>
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1، 1979م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري(ت 770هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت.
- الانسي ، عبد السلام حمود غالب ، مفهوم الخطاب الديني، مقال منشور على موقع السكينة، 2013./9/11م



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## تجديد الخطاب الديني في ضوء النظريات الحجاجية - مختارات من خطب البشير الإبراهيمي أنموذجاً -

إعداد

إشراف: د. جلول بوطيبة

الباحث: عمّار منور

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم

جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

### ملخص:

يهدف هذا المقال إلى التركيز على التجديد في الخطاب الديني، وكما هو معلوم فإن جدلية التجديد في الخطاب الديني مازالت تسيل الكثير من حبر الدارسين بين مؤيد ومعارض، وقد حاولنا أن نشير إلى التجديد في الخطاب الديني عند البشير الإبراهيمي في ضوء النظريات الحجاجية، والإبراهيمي يعد رائد الحركة الإصلاحية بالجزائر، وذلك من خلال خطبه التي ألقاها في مناسبات متعددة، سعى فيها إلى إرشاد الناس وتوجيههم نحو الطريق القويم مستفيداً من الآليات الحجاجية التي تجعل المتلقي يذعن ويسلم بما يعرض عليه من أفكار، فما بالك إن كانت أفكار الشيخ الإبراهيمي مستمدة من ديننا الحنيف، كما حاولنا الإجابة عن بعض التساؤلات:

- ما المقصود بالحجاج؟
- ما أهم الآليات الحجاجية المستخدمة في خطب البشير الإبراهيمي؟
- ما هي أهم مظاهر التجديد في خطب البشير الإبراهيمي؟

### تمهيد:

يعدّ الخطاب الديني من بين أهم الخطابات على مرّ التاريخ، فهو يحرك النفس البشرية ويدفعها نحو الفعل القويم في أغلب الظروف، وقد تتجلى آثاره ويصبح أكثر من ضرورة في حالة الاستعمار الذي يهدف إلى تحطيم الهوية والقضاء على القيم الدينية، مما يجعل الأئمة والدعاة في موقف الدفاع عن العقيدة، وهذا الشيخ البشير الإبراهيمي رائد الحركة الإصلاحية وإخوانه قد حملوا راية الدفاع عن الدين الإسلامي ومقومات الهوية الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي أراد المستعمر طمس معالمها، وهذا ما جعلهم يجددون في خطبهم الدينية معتمدين على الحجاج بأساليبه الإقناعية، حتى يستميلوا المخاطبين ويحثونهم على الحفاظ على المبادئ والقيم الإسلامية، فكانوا بحق شوكة في حلق المستعمر، وقد حاولنا في هذه الدراسة أن نقف على قضية التجديد في الخطاب الديني في خطب البشير الإبراهيمي، الذي كان يبدع في القول من غير تكلف، ويتمتع ببصيرة نافذة مستلهمة من ديننا الحنيف، مستفيداً من الحجاج الذي يعد الذخيرة الأساسية التي يعتمد عليها الخطيب في التأثير على المتلقين، وقد حظي الحجاج هو الآخر باهتمام واسع في الدراسات المعاصرة.

ومن خلال هذا البحث نحاول الإجابة عن تساؤل مهم ألا وهو: أين تكمن مظاهر التجديد في خطب الشيخ البشير

### الإبراهيمي من خلال النظريات الحجاجية؟

#### أهمية البحث:

يعالج البحث قضية التجديد في الخطاب الديني عند البشير الإبراهيمي من خلال النظريات الحجاجية، وتعتبر قضية الحجاج من القضايا البلاغية التي تحظى باهتمام الدارسين المعاصرين، فاستخدام التحليل الحجاجي يسمح بالوقوف على ملامح التجديد في الخطاب الديني، وذلك من خلال استخدام الآليات الحجاجية التي تمكننا من ولوج الخطاب الديني، وقد حاولنا في هذا البحث أن نشير إلى قضية التجديد في الخطاب الديني من خلال خطب البشير الإبراهيمي، وكيف استطاع الشيخ الاستفادة من الحجاج في بناء خطابه الديني.

#### الدراسات السابقة:

والبشير الإبراهيمي من الشخصيات البارزة التي حظيت ولا زالت تحظى باهتمام الدارسين، وقد كان هناك دراسات حجاجية لخطب البشير الإبراهيمي، وخاصة خطبة مسجد كتشاوة التي تعد من الخطب الرائعة للشيخ لأنها كانت أول خطبة بعد الاستقلال، ومن هذه الدراسات: "استراتيجية الحجاج عند البشير الإبراهيمي - خطبة مسجد كتشاوة أنموذجاً" - لبوزوادة حبيب، "استراتيجية الحجاج التعليمي عند البشير الإبراهيمي مقال الطلاق أنموذجاً" لحمدي منصور جودي، إضافة إلى العديد من المقالات، ومن رسائل الماستر التي تناولت موضوع الحجاج عند البشير

الإبراهيمي نذكر على السبيل الذكر لا الحصر "الحجاج في الخطابة العربية البشير الإبراهيمي أنموذجاً" لفاطمة خوي، ونستهل بحثنا بالتعريف بالشَّيخ البشير الإبراهيمي.

## 1- التعريف بالشَّيخ البشير الإبراهيمي:

هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام 1306 هجري يوافق سنة 1889 ميلادية، في الجزائر في مقاطعة قسنطينة في بيت لا يخلو من عشرات طلاب العلم، وهو سليل أسرة عربية جزائرية عريقة، اشتهر أفرادها بالعلم والمحافظة على القيم الدينية، فقد تلقى تعليمه وتربيته على يد عمه الشَّيخ محمد المكي الإبراهيمي، وقد كان يميَّز بذاكرة حفظ عجيبة، استغلها عمه في تعليمه، فحفظ القرآن وهو ابن التاسعة، مع حفظ المتون النحوية والفقهية.

ولما بلغ العشرين سنة انتقل إلى المدينة المنورة سنة 1911م ملتحقاً بوالده الذي سبقه بالهجرة سنة 1908هـ، وفي رحلته إلى المدينة مكث بالقاهرة لمدة ثلاثة أشهر، فكان يتردد على حلقات العلم بالجامع الأزهر، فحضر دروس عدة شيوخ منهم: الشَّيخ عبد الغني محمود، والشَّيخ يوسف الدجوي، والشَّيخ سعيد الموجي، كما زار أمير الشعراء أحمد شوقي، والشاعر حافظ إبراهيم فقرأ عليه قصيدته اللائية في رثاء مصطفى كامل رحمه الله، ثم التحق بالمدينة المنورة، فاختار من مشايخ الحرم النبوي أربعمهم، فلزم أستاذه الشَّيخ محمد العزيز الوزير التونسي، فأخذ عنه الحديث وبعض أمهات النحو وفقه مالك، فلامزه ما يقارب ست سنوات، كما كان يتردد على دروس المشايخ من أمثال: الشَّيخ حسن أحمد الفيض أبادي الهندي والشَّيخ أحمد البرزنجي، كما كان يلقي دروساً منظمة في الأدب واللغة في الحرم النبوي.

ولما قامت الحرب العالمية الأولى الكبرى وقامت في أثناءها ثورة الشريف حسين المعروفة أرغمتها الدولة العثمانية على الخروج إلى دمشق، فانتقل رفقة والده إلى الشام فاستوطن بها، فعين أستاذاً للأدب العربية في المدرسة السلطانية الأولى، فلما انتهت الحرب اختار الرجوع إلى الجزائر، فاشتغل بإلقاء الدروس المتنوعة، وكان يجتمع كل أسبوع أو كل شهر بالإمام الشَّيخ عبد الحميد بن باديس، فتوحد فكر الشَّيخين على هدف واحد وهو القيام بنهضة دينية إصلاحية، نتج عنها إنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1931م، التي عملت على مواجهة الاستعمار، وإحياء الإسلام الصحيح وإحياء لسانه العربي المبين، فأسس "دار الحديث" سنة 1937، التي كان يلقي فيها الدروس، مما جعله يتعرض للعديد من الاعتقالات، ولكن بمجرد إطلاق سراحه كان يعود لمزاولة نشاطه الإصلاحي.<sup>1</sup>

أما آثاره فقد كرس الشَّيخ حياته للإصلاح وتكوين الرجال فلم يسعه الوقت للتأليف كما جاء على لسانه، ورغم هذا فقد ترك مجموع أوراقا اكتتبها، فأشرف نجله أحمد طالب الإبراهيمي على جمع آثاره في خمس مجلدات تحمل عنوان "آثار البشير الإبراهيمي".

توفي الشَّيخ البشير الإبراهيمي يوم الخميس 19 ماي سنة 1965م عن عمر يناهز 76 سنة، قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين.

## 2- تعريف الحجاج:

### مفهوم الحجاج لدى العرب القدامى:

تطرَّق العرب القدامى إلى مصطلح الحجاج، وقد ورد في المعاجم والمصادر التي شكَّلت تراثنا القديم، ومن ذلك نجد ابن فارس يعرفه بقوله: "حَاجَجْتُ فَلَانًا فَحَاجَجْتُهُ أَي عَلَبْتُهُ بِالْحَجَّةِ، وَذَلِكَ الطَّفَرُ يَكُونُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ،

<sup>1</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ج5، 1997م، ص298، ص299.



والجَمْعُ حُجَجٌ، والمَصْدَرُ الحِجَاجُ<sup>1</sup>. ومعناه أَنَّ الحجاج يظهر ويتجلى عند الخصومة، وذلك بإقامة الحجة، فَصَدَّ كَسْبُ التَّأْيِيدِ والتَّفَوُّقِ على الخَصْمِ أي أَنَّ الخصمان يستخدمان الحجج للظفر بالخصومة. يعرف ابن منظور الحجاج بقوله: "يقال حَاجَجْتُهُ أَحَاجَهُ حِجَاجًا وَمُحَاجَةً حَتَّى حَجَجْتُهُ أَي غَلَبْتُهُ بِالْحَجَجِ الَّتِي أَذَلَّتْ بِهَا (..) وَيُقَالُ: حَاجَهُ، مُحَاجَةً وَحِجَاجًا نَازِعَةً الحُجَّةِ (...) وَاحْتَجَّ بِالشَّيْءِ: اتَّخَذَهُ حُجَّةً (...) والحجة الدليل والبرهان (...) "<sup>2</sup>، يلاحظ الاشتراك بين التعريفين، فهذا التعريف يشترك في بعض من المعنى مع تعريف ابن فارس للحجاج، فكلاهما يشير إلى أَنَّ الحجاج يستوجب إقامة الحجة، للظفر بالخصومة، لكن ابن منظور يرى أَنَّ الحجة هي نفسها الدليل والبرهان الذي يحتاجه الإنسان في موقف يتطلب منه الرد على نفسه، فجعل الحجاج مساوي للبرهان والدليل.

أما الزمخشري يقول فيه: " إذ يقال حَجَجَ: احْتَجَّ على خَصْمِهِ بِحُجَّةٍ شَهْبَاءٍ، وَبِحَجَجٍ شُهْبٍ، وَحَاجَّ خَصْمَهُ فَحَجَّهُ، وَقَالَنَ خَصْمَهُ مَحْجُوجًا، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا مُحَاجَةً وَمُلَاجَةً "<sup>3</sup>. يُشَارُ إلى أَنَّ عملية الحجاج أو المحاججة تكون دائمًا بين خصمين فأكثر، والخَصْمُ الذي يكون مُحْجُوجٌ وهو الذي يكون مغلوبًا، وقد اتفق أغلب العلماء القدامى على محل الحجاج الذي يكون في النزاعات والخصومات.

#### - مفهوم الحجاج لدى المحدثين:

إنَّ مصطلح الحجاج (l'argumentation) في البلاغة الغربية الحديثة اشتهر مع العالمين بيرلمان (Perelman) وتيتيكا (Tyteca) من خلال مصنفهما مُصَنَّفٌ في الحجاج والخطابة الجديدة (Traité de l'argumentation et la nouvelle rhétorique) سنة 1958م، حيث نجدهما يقولان بشأنه: "موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"<sup>4</sup>.

إنَّ بيرلمان وتيتيكا يشيران إلى نظرية الحجاج التي تركز أساساً على تقنيات الخطاب، فهدف المرسل/الخطيب (l'éditeur) هو جعل المرسل إليه أي المستمع/المتلقي (Le récepteur) يذعن ويُسلم بما يُعرض عليه من أطروحات ومواضيع الموجهة من قبل الخطيب أو الزيادة في درجة التسليم.

يعرض أروالد ديكر (Oswald Ducrot) وجون كلود أنسكومبر (Jean Claude Anselme) إلى الحجاج باعتباره مكوّنًا من مكونات البنية اللغوية، فينطلق ديكر من الفكرة الشائعة التي مفادها " أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"<sup>5</sup>؛ أي أن كل قول يهدف إلى الإقناع والتأثير وبالتالي لا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، وهذا يؤكد بالفعل أَنَّ اللّغة في حدِّ ذاتها تملك إمكانات حجاجية هائلة توجه بها الخطاب عند إصداره.

أما طه عبد الرحمن يعرف الحجاج باعتباره: "كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ له الاعتراض عليها"<sup>6</sup>. إنَّ تصوره للحجاج مبني على نية الادعاء لدى المخاطب وحق الاعتراض للمخاطب، وهكذا يوضح طه عبد الرحمن أن للمتلقى أحقية الاعتراض إذا لم يقتنع بما يعرض عليه.

<sup>1</sup> ابن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، ط1، 1991م، مج 2، ص30، مادة (حج).

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، مج 2، ص288، مادة (ح ج ج).

<sup>3</sup> الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998م، ج1، ص169.

<sup>4</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م، ص13.

<sup>5</sup> أبوبكر العزاوي، اللّغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م، ص14.

<sup>6</sup> طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص226.

وهكذا نجد أنّ مفهوم الحجاج من خلال التعاريف السابقة يتجلى: في تقديم الحجّ التي تهدف إلى جعل المتلقي يسلم ويذعن لما يعرض عليه، مع إمكانية اعتراضه، والغاية الأسمى للحجاج هي إقناع المتلقي والتأثير عليه باستخدام الحجج التي تبرز في أشكال خطابية، وستحدث عن علاقة الحجاج بالخطابة.

### 3- الحجاج والخطابة:

اقتربت الخطابة بالحجاج منذ القدم، وقد عرفها أرسطو بقوله: "الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"<sup>1</sup>، إذن فأرسطو يشير إلى أنّ الخطابة ترتبط بالإقناع ولا يمكن أن تتأتى إلا من خلال استخدام آليات الإقناع الممكنة، والملاحظ أنّ القدامى الغربيين قد عرفوا الخطابة مثلهم مثل العرب، فأصبحوا يتفننون في استعمالها وتعليمها، وهذا ما جعل أرسطو يؤلف كتاباً سماه "فن الخطابة"، فكان بمثابة المنهج الواجب اتباعه من طرف الخطيب حتى يتمكن من استمالة الجمهور.

أما عند العرب فقد عرف العرب الخطابة منذ القدم، وكانت بغاية التأثير والإقناع، فكانت تحقق أغراضهم لكن لم ترتقي إلى مرتبة الشعر الذي كان مستودع أسرارهم، ولكن هذا لم يمنع من وجود خطباء في ذلك العصر يتقدمهم قس بن ساعدة الإيادي، ولكن الشعر كان سلاحهم في مفاخراتهم وحروبهم وحتى في سلمهم، لكن الخطابة شهدت نمواً وتطوراً في العصر الإسلامي، فأبغيت مع سيد الخلق والمرسلين عليه الصلاة والسلام، وارتقت الخطابة واحتلت مكانة هامة في حياة المسلمين، فأصبحت الأداة الأساسية لبيان الأحكام والشرائع والنصح والإرشاد، فغدت ركناً من أركان الدين، فلا تصلح صلاة الجمعة ولا صلاة العيدين إلا بها، إذن الخطابة تهدف إلى الإقناع، وتكون مشافهة بغية استمالة المخاطب، ولكنها تركز على مقومات ومن أهم هذه المقومات الإقناع الذي تشترك فيه مع الحجاج، هذا عن فن الخطابة، أما علم الخطابة فهو مجال تعلم فن الخطابة "وعرفوا هذا العلم بأنه: مجموع قوانين تُعرّف الدارس طرق التأثير بالكلام، وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يُعنى بدراسة طرائق التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها، وهو بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد الخطابة ليرتبي ملكاته وينمي استعداداته، ويطبّب لما عنده من عيوب، ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه، ليسير في الدرب، ويسلك السبيل"<sup>2</sup>، ونرى أن الخطيب يجب أن يكون ملماً بصفات وأهمها على الإطلاق أساليب الإقناع والتأثير وهذا ما نراه في خطب البشير الإبراهيمي التي تزخر بطاقت حجاجية.

### 4- البعد الحجاجي في خطب البشير الإبراهيمي:

إن المتتبع لخطابة البشير الإبراهيمي يلحظ أنّ الشيخ حمل على عاتقه مسؤولية كبيرة، فكان رائد الحركة الإصلاحية وقد تميّز ببراعته في الخطابة، وفي هذا صرح أبو القاسم سعد الله إذ يقول: "وتمتع الإبراهيمي بحافظة نادرة، وحب للأدب العربي القديم. فنهل من حياضه ما شاءت نفسه وطموحه. حفظ دواوين الشعراء ومتون اللغة وخزائن الأدب والشواهد. ولذلك بهر المعاصرين في المشرق والمغرب بحفظه واستحضاره ذخائر التراث. وقد ظهر ذلك على لسانه وقلمه"<sup>3</sup>، والواضح أنّ الشيخ تميز بامتلاكه ناصية اللغة ممّا جعله يبدع في فن الخطابة، وهذا راجع لتكوينه على أيدي المشايخ وقرعته الكامل لطلب العلم، فكان بحقّ حجة ورائداً للإصلاح في الجزائر، وقد

<sup>1</sup> أرسطو طاليس، الخطابة، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، وكالة المطبوعات، لبنان، الكويت، (د، ط)، 1979م، ص 09.

<sup>2</sup> محمد أبو زهرة، الخطابة؛ أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1،

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ج8، ص82.

استعمل الوسائل الحجاجية في خطبه، ومعلوم أن الوسائل الحجاجية تؤدي دور كبير في البنية الحجاجية لأي خطبة.

### أولاً: الوسائل اللغوية

إن دلالة الأفعال تتنوع في الخطاب، وهذا راجع إلى قصد المرسل، ويمكن أن نورد بعضاً منها:

#### (1) القسم:

القسم هو إنشاء غير طلبية « ويكون بأحرف ثلاثة تجر ما بعدها وهي " الباء"، " الواو"، " التاء"، كما يكون بالفعل " أقسم" أو ما في معناه من مثل " أحلف"<sup>1</sup>. وقد ورد في حديثه القيم الذي ارتجله الشيخ البشير الإبراهيمي في المهرجان الذي أقيم في العراق بمناسبة افتتاح أسبوع الجزائر إذ يقول: "وتالله لو أن ذاهباً ذهب من العراق، على هذه الصحارى المتصلة، فانتهى به المطاف إلى مخارم الأطلس الأشم، ثم أرهف سمعه لما يحمله الأثير من قمم جبال الأوراس لسمع جميع الأصوات، إلا صوتين لم يركباً في طبع الجزائريين، هما صوت البكاء، وصوت المكاء، بكاء الهالغ، ومكاء الخالغ. ولكنه يسمع الحنين، حنين الأبطال، إلى النزال، ويسمع الأنين، أنين العاجزين لخلو الراحة، لا لألم الجراحة. ويسمع هينمة التكبير، عند النفير، ويسمع صوت الاستصراخ لبني العمومة في هذا الشرق"<sup>2</sup>. وقد استعمله الخطيب ليبين للعراقيين بأس الجزائريين وصبرهم على الشدائد، وفي مقدمتهم الثوار المرابطين بالأوراس الأشم، ويضيف أن الزائر لبلاد الجزائر لا يسمع البكاء إنما يسمع حنين الأبطال لنزال العدو، ويسمع صوت الاستصراخ لأبناء العمومة؛ ويقصد بها العراقيون الذين يجمعهم مع الجزائريين اعتبارات موروثية، يأتي الذين الإسلامي في مقدمتها، ثم تليه اللغة العربية التي غيرت مجرى التاريخ، فهناك قواسم مشتركة كثيرة بين الجزائريين وإخوانهم في المشرق.

ثم يواصل كلمته مستعملاً القسم: "ولعمر العروبة، وما أنجبت إنها لكلمات، تنطوي على ذكريات. فلقد كان يستغيث بها الطفل العربي فتعقد لها المحافل، وتجهز الجحافل. وتقولها المرأة العربية فيهيح لها العرق الحرّ، ويتأجج الحفاظ المرّ"<sup>3</sup>. وقد استعمل الشيخ الإبراهيمي القسم هنا على الطريقة التراثية مستخدماً اسم "لعمر" وهذا ما نراه متداول كثيراً عند العرب القدامى، وخادمة لما سيأتي بعدها فهو يشير إلى نخوة العرب لنجدة أخوانهم من أقصى الأرض إلى أديانهم.

وقد مهدّ الخطيب لهذا القسم بحجج تخدم بنية خطابه الرائع، فجاء القسم هنا في موضع التأكيد على أن الجزائريين لا يهابون الموت في سبيل تحرير الوطن، ولا ييكون من أجل الدنيا إنما ييكون لتوقهم لنزال العدو، فموت المرء في العزّ خير من عيشه في الدّل، وقد استطاع بحججه أن ينفذ إلى نفوس المتلقين ويحقق غرضه الإقناعي، وبالتالي إنجاح خطابه الحجاجي.

#### (2) النداء:

يعرّف بـ « طلبُ الإقبال أو تنبيه المنادى، وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء، أو أنّه ذكر اسم المدعو بعد حرفٍ من حروف النداء»<sup>4</sup>. ويندرج ضمن الإنشاء الطلبي، وأغلب الخطب تعتمد النداء، فالنداء يأتي غالباً لتحفيز المتلقي للاهتمام بما سيعرض عليه، وهذا ما نجده في الكلمة التي ألقاها الشيخ في الحفل الذي أقيم لتكريمه بتونس سنة 1961، إذ نجده يفتتحها بالنداء بقوله: "أيا الأبناء البررة:

<sup>1</sup> عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ط)، (د،ت)، ص68.

<sup>2</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ص181

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص181.

<sup>4</sup> محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة، طرابلس، لبنان، (د،ط)، 2008م،

إن اللغة العربية تراث مشاع بين أبناء العروبة في جميع الأقطار، وإن أبناء العروبة - وإن تئات ديارهم- يشبهون ((شركة مساهمة)) رأس مالها هذه اللغة الخالدة، ولكنهم متفاوتو الحظوظ والأنصبا فيها".، ويظهر النداء في قوله "أيا الأبناء" وقد استخدم أداة النداء (أيا) التي تستخدم لنداء البعيد، والمنادى (الأبناء) ويقصد أبناء الأمة العربية، وقد شدهم لما سيقوله فيما بعد، فهو يريدهم أن يهتوا باللغة العربية فهي بمثابة شركة مساهمة لكل منهم فيها حظ ونصيب، وتكمن حاجية النداء أن له تأثيره الكبير على المتلقي فهو لا يُؤتى به لمجرد لفت الانتباه أو الإصغاء فحسب، وإنما يُؤتى به لاستمالة وجعل المتلقي ينفذ فعل إنجازي محدد، أو على الأقل جعله يُدعن ويسلم بما يعرض عليه.

### (3) التوكيد:

يعرّف الزركشي التوكيد فيقول: "إنما يُؤتى به للحاجة، لتحرز عن ذكر ما لا فائدة له، فإن كان المخاطب خالي الذهن ألقى إليه الكلام دون تأكيد، وإن كان مترددا فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان مذكرا وجب تأكيد...<sup>1</sup>، ويضيف أحمد مطلوب: "التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته إزالة الشكوك، وإمطة الشبهات عما أنت بصدده...<sup>2</sup>، فالتوكيد ضروري ولا بدّ من تواجده في الخطاب، وقد جاء في كلمة ألقاها البشير الإبراهيمي في إذاعة القاهرة يوم 01 نوفمبر 1957، بمناسبة الذكرى الثالثة لإندلاع الثورة التحريرية، فيقول: "إن هذا الغريب في أذواق المفتونين بالقوة المادية، أما المجاهدون من عرب الجزائر فإنهم يبنون أمرهم على غير هذا الأساس، يبنون أمرهم على سَمَو المعاني التي يقاتلون من أجلها، وأنهم على الحق، وأن عدوهم على الباطل، ذلك لأنهم قوم جدّوا صلّتهم بالله ناصر المستضعفين، وقامع العتاة، فجدّد الله معهم عوائد نصره، وغيّروا ما بأنفسهم من استكانة ورضى بالدون والدنية، فغيّر الله ما بهم تنبيهاً لعهد، وإنجازاً لوعده، وقد وخرتهم عقيدة الإيمان والحق من كل جانب، فقارعوا عدوهم بهما، فأوبقته جرائره وخذلته قواه، ولم تغن عنه آماله لغزارة ولا جيوشه الجزارّة شيئاً، فهو يخبط في جباله يتعدّر الخلاص منها."<sup>3</sup>، فقد وظف الإمام التوكيد في هذه الفقرة حيث أكد على أنّ الجزائريين على حق، وعدوهم على باطل، وقد جاءت مناسبة لسياق الكلمة التي كانت في الذكرى الثالثة لإندلاع الثورة التحريرية، موضعاً أنّ العدو لم تنفعه جيوشه الجزارّة ولا أسلحته المتطورة في كبح جماح النّوار، فجعلوه يتخبط في حبال لا يقدر على الخلاص منها، فجاء التوكيد في هذا الموضع مناسباً لرفع همم المجاهدين وجعلهم يواصلون حربهم ضد العدو التي تعد حرباً ضد الباطل والدّل، وبهذا يؤثر الشّيخ في المتلقين ويدفعهم نحو هدوم النّبيل.

### (4) الشرط:

إن الشرط من الأساليب المستعملة في الخطب على اختلاف مستوياتها ومتلقيها، حيث يُراد به «الربط بين حدثين يتوقف ثانيهما على الأوّل»<sup>4</sup>، وقد وقع اختيارنا على فقرة من كلمة الشّيخ الإبراهيمي في المؤتمر الثالث للأدباء العرب سنة 1957 حول حرية الأديب وحمائيتها، إذ يقول: "... إلى متي يظل الأدباء منكورين في حياتهم، فإذا ماتوا عدنا نذرف عليهم الدموع، ونشر فوقهم العطر السجين والنور المخنوق، ونتذكر - بعد الموت فقط- أن لهم أفضالاً وأمجاداً، وأن علينا حيالهم واجبات ثقلاً؟"<sup>5</sup>، فقد ورد الشرط في قوله "إذا ماتوا عدنا نذرف عليهم الدموع..."، فالشّيخ يحاول أن يدعو إلى الاهتمام بالأديب قبل وفاته، ولا يتذكرونه إلا بعد مماته، ولا ينسوا أنّ

<sup>1</sup> بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ص399.

<sup>2</sup> أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مؤسسة ناشرون، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2000م، ص239، ص240.

<sup>3</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج5، ص198.

<sup>4</sup> جمال إبراهيم قاسم، النّحو الميسّر، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2012م، ج2، ص355.

<sup>5</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج5، ص212.

عليهم واجبات تجاه الأدياء، فالشّروط هنا جاء حاملاً حمولة حجاجية توجيهية، فالشّيخ يحاول أن يدافع عن الأديب باستخدام أساليب إقناعية تتخلل كلمته التي ألقاها في هذا المؤتمر، ومن بينها أسلوب الشّروط الذي جاء خادماً لفكرة الشّيخ الإبراهيمي.

ثانياً: الوسائل البلاغية:

### 1) حجاجية الصورة:

#### 1-1 الاستعارة:

يعرّف يوسف أبو العدوس بقوله: "الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، أو انتقال كلمة من بيئة لغوية معينة إلى بيئة لغوية أخرى. وعلاقتها المشابهة دائماً"<sup>1</sup>، والاستعارة من الصور الحجاجية التي تزخر بها الخطب، ونجدها وردت في قول الشيخ الإبراهيمي: " واحتقار فرنسا التي افتضحت أمام العالم وانكشف ثوب الزور الذي كانت تلبسه"<sup>2</sup>، وتبدو الاستعارة المكنية واضحة في قوله "وانكشف ثوب الزور"، حيث شبه الزور بالإنسان، وقد ذكر المشبه وهو الزور، وحذف المشبه به الإنسان، ولكن أبقى على قرينة دالة عليه وهو الثوب، وقد جاءت الاستعارة في هذا مناسبة، ودلت على انكشاف زور فرنسا أمام العالم بأجمعه، وتزيد في إذعان المتلقي، والاستعارة تحمل طاقة حجاجية يستفيد منها الخطيب في الغالب لإثارة المتلقي وتحريك مشاعره، وبالتالي مشاركة الخطيب إحساسه وانفعاله.

#### 1-2 التشبيه:

يعرفه عبد العزيز عتيق بقوله "بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبّه به في وجه الشبه"<sup>3</sup>، وقد جاء في قول البشير الإبراهيمي في خطبته الدينية حول عيد الأضحى، إذ قال: "عباد الله! إن هذه الشعيرة الدينية وأمثالها من الشعائر هي كالريح في التجارة"<sup>4</sup>، وجاء في خطبته حول عيد الأضحى، وقد شبه شعائر الله بالريح في التجارة، واستعمل حرف التشبيه "الكاف"، والتشبيه من الوسائل البلاغية التي تشدّ انتباه المتلقي، وتجعله يتأثر بالخطاب وهو يبيّن قدرة ودكاء الخطيب في استمالة الجمهور.

#### 2- حجاجية البديع:

يُخطئ من يعتقد أنّ وظيفة المحسنات البديعية تكمن في الزخرفة والتتميق اللفظي، ولكن لديها وظيفة حجاجية فهي تحمل في ثناياها طاقات حجاجية لا يستهان بها في بناء النصّ الحجاجي، وسنحاول الوقوف على بعض المحسنات البديعية في خطب البشير الإبراهيمي.

#### 1-2 الجناس:

الجناس هو: "تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى. وهذان اللفظان المتشابهان نطاقاً مختلفان معنى يسميان ((ركني الجناس)). ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف، بل يكفي في التشابه ما نعرف به المجانسة"<sup>5</sup>،

<sup>1</sup> يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني - علم البيان - علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م، ص168.

<sup>2</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج5، ص190.

<sup>3</sup> عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1985م، ص62

<sup>4</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج1، ص406.

<sup>5</sup> عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص196

وقد جاء في واضحاً في الكلمة التي ألقاها الشيخ البشير الإبراهيمي في مجمع اللغة العربية بدمشق ارتجالاً سنة 1953، إذ يقول: "وأنا -بعد ذلك كله- واحد من هذه العصابة التي تتخذ من القلم أداة جهاد، حين فاتها أن تتخذ السيف من أدوات الجهاد، وفاتها أن تصطنع الحديد ذا البأس الشديد، فاصطنعت اليراع للقراع، واكتفت من أعمال الإيمان بأضعف الإيمان، عقوقاً لسيدنا إبراهيم الذي راغ على أصنام الكلدانيين ضرباً باليمين، في هذا الزمن الذي أصبحت لغة بنييه مشنقةً من قعقة الكئاب لا من جعجة الكتب ولا من ععجة الألسنة"<sup>1</sup>، فحضر الإيقاع بشكل لافت للانتباه، ولكن ما يلفت الانتباه أيضاً هو القوة الحجاجية التي نتجت عن الجناس المستخدم، وهذا ما يجعل المتلقي يتأثر لقول الشيخ الذي اتخذ من القلم وسيلة للدفاع عن شرف الأمة الجزائرية.

## 2-2 السجع:

وقد عرفه ابن الأثير بقوله: "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرفٍ واحدٍ"<sup>2</sup>، وقد جاء واضحاً في خطب البشير الإبراهيمي، ومنها قوله: "خطت الأقدار في صحيفتي أن أفتح عيني عليك وأنت موقفة، فهل في غيب الأقدار أن أغمض عيني فيك وأنت مطلقة؟ وكتبت الأقدار علي أن لا أملك من أرضك شبرًا. فهل تكتب لي أن أحوز في ثراك قبراً؟"<sup>3</sup>، ونلاحظ الإيقاع الحاصل في هذه الفقرة، وذلك من خلال استخدام السجع، وكذلك القوة الحجاجية التي تهز مشاعر المتلقي، فشوق الكاتب واضح لأرض الأجداد الواقعة تحت يد الأعداء، فهي تسكن فكره وعقله، فلا تغيب عنه لحظة، فصورها بطريقة جمالية مليئة بالأحاسيس الصادقة ولمشاعر المقعمة.

## 2-3 التقسيم:

يعرفه أبو هلال العسكري بقوله: "أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع ألوانه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه"<sup>4</sup>، وقد ورد في قول الشيخ البشير الإبراهيمي "... انها نغمت صادرة عن مصدرين: أعداء القرآن ينصبون بها العواثير في طريق الدعوة إليه، وضعفاء الصلة بالقرآن الجاهلين آثاره وتاريخه في إصلاح الكون كله، فليقل لنا الفریقان: متى ظلم القرآن غير المؤمنين به؟ ومتى أضاع لهم حقًا، أو استباح لهم مالًا، أو انتهك لهم عرضًا، أو هدم لهم معبدًا، أو حملهم على مكروه في دينهم، أو أكرههم على تغيير عقديّة من عقائدهم، أو حملهم في أمور دنياهم ما لا يطبقون؟..."<sup>5</sup>، ونلاحظ قدرة البشير الإبراهيمي الأدبية في توظيف التقسيم، وكيفية دفاعه عن الإسلام، إنّه حامل راية الإصلاح والداعي إلى الدين الإسلامي المبني على القيم وعلى السلم، وهكذا يؤثر كلام الشيخ في المتلقي، ويوظف الآليات الحجاجية في جعل المتلقي في مرحلة التسليم لا مرحلة الجدل مستعملاً عقله وفكره النير.

## 5- التجديد في خطب البشير الإبراهيمي

إن المتأمل لنصوص الشيخ الإبراهيمي، يلاحظ التجديد في خطاباته، وهذا التجديد لم يمس بنية الخطاب فقط بل تعداه إلى الوسائل، ومن الوسائل التي استخدمها الشيخ الإذاعة، فالإذاعة من وسائل الاتصال الجماهيري التي ساعدت الشيخ الإبراهيمي في تمريره رسائله الدعوية الهادفة إلى إصلاح الأمة، والنهوض

<sup>1</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج4، ص224.

<sup>2</sup> ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، للطباعة والنشر، القاهرة، (د،ط)، (د،ت)، ج1، ص210.

<sup>3</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج4، ص183.

<sup>4</sup> أبو هلال العسكري، الصنائع، تح محمد علي الجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى باي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1952م، ص341.

<sup>5</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج4، ص230.



بشبابها، وقد ساعده في نشر رسائله الإعلامية والتي غالباً ما تكون مقرونة بنشاط جمعية العلماء المسلمين إذاعة القاهرة، كما استعمل الشيخ المجالات في توجيه خطابه الديني، ناهيك عن الجرائد والرسائل وكذا الكلمات التي ألقاها ارتجالاً في النوادي والمؤتمرات الأدبية والتي كان فيها سفيراً للجزائر، ورافعاً لعلم الإصلاح والدفاع عن القيم الإسلامية، أما من ناحية بنية الخطاب الديني عند البشير الإبراهيمي فقد تعددت على حسب الغرض، فإذ يتبنى خطابه بما يوافق هدفه الحجاجي سواء كان تعليمياً أو دينياً أو ثورياً...، ونراه يتحدث عن وظيفة علماء الدين فيقول: "أما علماؤنا ...

... أما علماء الخلف فهم أقل من أن نسميهم علماء دين، وأقل من أن نسميهم علماء دنيا. أما الدين فإنهم لم يفهموه على أنه نصوص قطعية من كلام الله وأعمال وأقوال تشرح تلك النصوص من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله، ومقاصد عامة تؤخذ من مجموع ذلك ويرجع إليها فيما لم تفصح عنه النصوص، وفيما يتجدد بتجدد الزمان، لم يفهموه على أنه عقائد يتبع العقل فيها النقل، وعبادات كملت بكمال الدين. فالزيادة فيها كالنقص، وأحوال نفسية صالحة هي أثر تلك العقائد والعبادات وآداب تصلح المعاملة وتصححها بين الله وبين عباده وبين العباد بعضهم مع بعض"<sup>1</sup>. الواضح من كلام الشيخ الإبراهيمي أنه يطالب علماء الدين بالتجديد، فالتجديد مرتبط بالزمان، فيطالبهم بالاجتهاد ويثور على التّحجر والتّعصب الديني، كما يدعو في كل مرة إلى خدمة اللغة العربية التي تعدّ دعامة المجتمع الجزائري المسلم.

#### خاتمة:

إن الحجاج هو الأساس الذي تقوم عليه الخطابة، فغاية الخطاب هي إقناع المتلقين وحملهم على التسليم والإذعان سلوكياً وعقائدياً، وفي دراستنا لخطب البشير الإبراهيمي نلاحظ أنّ الشيخ الإبراهيمي عايش مرحلة الاستعمار وقاسم هموم الجزائريين، وحمل راية الدفاع عن الدين والوطن واللغة، فكان رائداً للإصلاح مستفيداً من ترسانة من الأساليب الحجاجية الدالة على تمكنه من فنون اللغة واستقاداته من لطائفها، فالزجل تقنن في استعمال الأساليب البلاغية، ولا ندعي أننا أحطنا بجميع الأساليب البلاغية ولكن هذا فيض من غيض، فأسلوب البشير الإبراهيمي راق زاخر بالجمال والإبداع.

وقد دافع الشيخ البشير الإبراهيمي عن التجديد في الدين الذي يساير الزمن، ولا بدّ للأئمة من الاجتهاد في هذا المجال، فلا يكونوا حبيسي العصبية التي تقف حائلاً بينهم وبين التجديد، والإتباع ليس بمذموم إن كان يناسب ويوافق ما جاء به الدين، وحاول الشيخ البشير الإبراهيمي أن يمرر رسالة إلى الأئمة داعياً فيهم السير على خطى الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، الذين لم يكونوا أبداً متعصبين بل كانوا يرجعون إلى الكتاب والسنة أولاً، ولا يغلقون باب الاجتهاد أبداً.

وفي الأخير يمكن القول أن الخطاب بمختلف مستوياته يخضع لأساليب حجاجية تخدم غايته وهدفه، ولا يمكن أن تفسد جمالية الخطاب إقناعيته، بل على العكس تزيد في درجة ذلك الإقناع، وبذلك يجتمع الإقناع والإمتاع، وجورج مولينيه يشير إلى أن البراغماتية لا تتعارض مع الأدبية، فلطالما اجتمع الإقناع والإمتاع في رسم لوحة جمالية يبرزها الخطاب الحجاجي بمختلف مستوياته وغاياته، وفي الأخير يمكن أن نرصد بعض النقاط الأساسية:

- إنّ النشأة الدينية للشيخ الإبراهيمي وتلمذه على يد مشايخ الأزهر والحرم المكي، وصداقته مع الشعراء من أمثال أمير الشعراء أحمد شوق، جعله واسع الثقافة قوي الحجة، مواكباً للعصر مستقيماً من تدعيم خطبه بشواهد المعاصرين.

<sup>1</sup> أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج4، ص113.

- خطابات الشيخ إبراهيم لا تخلو من الشواهد البلاغية، وعلى رأسها القرآن الكريم الذي يعدّ المصدر الأول والأعلى سلطة، فالشيخ استعان بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد الشعرية في خطابه المتعدّدة، ولكن رسالته للشباب أوجبت عليه استخدام الشواهد وفق ما يقتضيه الحال.
- إنّ التّجديد في خطب البشير الإبراهيمي ظاهر، وذلك راجع لمنهجه الإصلاحية الذي حمل رايته رفقة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فالتّجديد غير مقصور على قوم دون قوم وليس مربوط بزمن معين .
- إنّ التّجديد في خطب البشير كان نتيجة حتمية فهو يهدف إلى إحياء القيم الدّينية، وخطابه موجه للشّعب الجزائري الذي كان يعاني من سياسة الاستعمار التي كانت تهدف في الغالب إلى نشر الجهل والبدع حتى تقضي على المقومات الإسلامية للشّعب الجزائري.
- يروم أي خطاب إلى إقناع المتلقي، وهذا الإقناع لا يتأتّى إلا باستخدام الآليات الحجاجية، فخطب البشير الإبراهيمي تزخر بالكثير من الآليات الحجاجية، وقد استعان الشيخ بوسائل اتصال حديثة في ذلك الزمن حتى يصل خطابه إلى الفئات الشّبانية ويزرع أفكاره، وينير درب الشّباب، فقد استخدم الزّاديو والصحف، فنشر العديد من المقالات.



قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مؤسسة ناشرون، بيروت، لبنان، (د، ط)، 2000م.
- 2- أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ج2، ج5، 1997م.
- 3- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار النهضة، مصر، للطباعة والنشر، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ج1.
- 4- أرسطو طاليس، الخطابة، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، وكالة المطبوعات، لبنان، الكويت، (د، ط)، 1979م.
- 5- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.
- 6- أبوبكر العزّوي، اللّغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، ط1، 2006م.
- 7- جمال إبراهيم قاسم، النحو الميسّر، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، ط1، 2012 م.
- 8- أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى بابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1952م.
- 9- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1998م.
- 10- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
- 11- يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، علم المعاني- علم البيان- علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.
- 12- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة، طرابلس، لبنان، (د، ط)، 2008م.
- 13- حمد أبو زهرة، الخطابة؛ أصولها، تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1946م.
- 14- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 15- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكلياني للنشر، تونس، ط1، 2011م.
- 16- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 17- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (د، ط)، 1985م.
- 18- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، (د، ت).
- 19- ابن فارس، مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- 20- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.



الجامعة الإسلامية - غزة

كلية الشريعة والقانون

## ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية

إعداد

أ. سليمان بن محمد بن خلفان الكعبي

بحث مقدم للمشاركة في المؤتمر الدولي

"تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش بين الشعوب"

08 - 09 - 10 كانون الأول / ديسمبر 2018م

## ملخص البحث

### ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية

هدف البحث إلى الوصول إلى بعض ضوابط تجديد الخطاب الديني المستخلصة من فهم القواعد المقاصدية للتشريع الإسلامي، حيث اعتمد الباحث على القواعد المقاصدية الموجودة في معلة زايد للقواعد الفقهية والأصولية. وتضمن البحث على مقدمة وتمهيد، بالإضافة إلى ثلاثة مباحث، اشتمل التمهيد على تعريف المصطلحات الرئيسية في البحث، بينما تناول المبحث الأول الحديث عن تجديد الخطاب الديني بين الإفراط والتفريط، وفي المبحث الثاني تم بيان أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه، وفي المبحث الثالث تم الحديث عن ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية.

فتوصل البحث إلى أن فهم معنى تجديد الخطاب الديني عمل ساهم في تحديد موقف الباحثين والعلماء منه، فمن فهمه بمعني التبدل للأحكام والشريعة رفضه ومنعه، ومن فهمه بمعني مواكبة الجديد في كل الأمور أباحه وأطلق العنان في التجديد، ولم يجعل له ضابطا أو حدا يقف عنده، وتوسط فريق من أهل العلم في النظر إليه، فجعلوا له ضوابط ينضبط بها، وحدودا لا يتجاوزها، معتمدين في ذلك على نصوص التشريع ومقاصدها.

كما كشف البحث عن جملة من أهداف التجديد في الخطاب الديني، ومجموعة من الدوافع التي دفعت إليه، كما توصل البحث إلى عشرة ضوابط يمكن ضبط تجديد الخطاب الديني بها، تم استنباطها من بعض القواعد المقاصدية للتشريع الإسلامي.

وفي ضوء ذلك أوصى الباحث بمجموعة من التوصيات منها: أهمية التجديد في الخطاب الديني بما يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، ولا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، ومقاصد التشريعات فيها.

## مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل له العقل ليكون مناطا للفهم والعلم والتكليف بالأحكام، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد ﷺ الذي علمه ربه، وآتاه الحكمة، وجوامع الكلم، فكان خطابه واضحا، سمعته الأذان بوضوح، ووعته القلوب والأفهام، وعلى آله وأصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

يعد الخطاب من وسائل البيان والعلم والتعليم، حيث يُسهّم في حل معقدات الأمور بوصول مفاهيمها ومعانيها للعقول بالصورة التي تجعل منها منطلقا في مناحي الحياة الإنسانية، كما أنه من المميزات التي تميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات، وفي القرآن جاء المدح الإلهي لنبي الله داود عليه السلام في قوله تعالى: "أَفْء" (ص: ٢٠)، فجعل الله تعالى فصل الخطاب مئةً وفضل منه سبحانه، يؤتیه من يشاء من عباده، وفصل الخطاب هو "بلاغة الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان"<sup>(1)</sup>؛ لذا جاء الاهتمام والتركيز عليه، في بيانه، وبيان أساليبه، والحرص على مراجعته وتجديده.

ويعتبر الخطاب الديني من القضايا المهمة في حياة المسلمين اليوم؛ ذلك أن شيوع الأمية الدينية والغزو الثقافي، ومظاهر الاختراق، والأزمات الاقتصادية الطاحنة وغيرها من المشكلات الحياتية، جعل المسلم المعاصر يبتعد عن ينابيع الإسلام الصافية؛ لضيق الوقت، وكثرة العقبات، والصوارف، ولم يتبق له من صلة بحقائق الدين إلا الخطاب الديني، الذي يصله من خلال خطبة الجمعة، أو من خلال التدريس الديني، أو عن طريق وسائل الإعلام، وقد تنوعت التوجيهات في هذا الخطاب، والسبب في ذلك عائد إلى عدة أمور منها، الفكر الذي يحمله المتكلم، والثقافة الشرعية التي ينطلق من خلالها، إضافة إلى مستوى فهمه لنصوص القرآن والسنة، ورجوعه إلى فهم العلماء الراسخين في العلم والفهم، وتلك الأمور ساهمت في ظهور الخطاب الديني بأساليب، واتجاهات، وطرق مختلفة، كثير منها لا يتناسب مع الزمان المعاصر، وثقافة العولمة، وانتشار التقنية، وبعضها أدى إلى تحميل الدين الإسلامي ما لا يحتمله من أمور، ونسبت إليه كثير من الأفعال التي لا يقبلها عقل، ولا يقرها شرع.

ونتيجة لتلك الأسباب ظهرت الدعوات التي تنادي إلى تجديد الخطاب الديني، ولم تكن جميع تلك الدعوات همها الإصلاح المجتمعي، أو المفهوم الديني للأمور، بل كان هدف بعضها الانسلاخ من الدين، من خلال تجديد ما لا يتوافق منه -حسب زعمهم- مع العصر الحديث، وكان من بين المنادين بتجديد الخطاب الديني من يسعى إلى إعادة الدين إلى منبعه الصافي، وأصالته التي تتناسب كل زمان ومكان، وذلك من خلال بيان مقاصد الدين، وتشريعاته المتوافقة مع تبدل الزمان والمكان، فكانت دعوتهم في التجديد بمثابة إظهار الصورة الحقيقية للإسلام، وتوجيهاته، إضافة إلى أن دعوتهم هذه كانت في إطار مواجهة ما نسب للإسلام من أمور ليست منه في حقيقته، وهذا من حفظ الله لهذا الدين العظيم الذي تكفل سبحانه بحفظه، يقول ابن قيم الجوزية: "ولولا ضمان الله بحفظ

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، 229/23.

دينه، وتكفله بأن يقيم له من يجدد أعلامه، ويحيي منه ما أماته المبطلون. وينعش ما أخمله الجاهلون: لهدمت أركانه، وتداعى بنيانه"<sup>(1)</sup>.

والحقيقة أن الدعوة إلى التجديد تباها أعداء الإسلام ابتداء، ثم اغتر بها بعض المنتسبين للدين، تحقيقاً لأهدافهم التي يريدون من خلالها، الطعن في الدين من جهة، وتمييعه من جهة أخرى، لذا كان من المهم جداً البحث في موضوع تجديد الخطاب الديني، للوقوف على حقيقته، وبيان أهدافه ودوافعه، ومعرفة منطلقاته، ووضع الضوابط له، ويأتي مؤتمر تجديد الخطاب الديني ضرورة للاعتدال ومتطلبات التعايش السلمي بين الشعوب، المزمع إقامته في مدينة إسطنبول بدولة تركيا، لتحقيق شيئاً من هذه الأمور، ومنه جاءت فكرة هذا البحث.

وتتعلق إشكالية البحث من وجود جدل واسع حول مفهوم تجديد الخطاب الديني، ومدى تقبله في أوساط العلماء؛ بناء على المنظور الذي ينطلق منه كل فريق، والخلل الناتج من التوسع في المفهوم أو رفضه، وما يعترى هذا الخلل من مخاوف تمييع الخطاب أو جموده، إضافة إلى الخطأ في تحديد أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه، وعدم الالتزام بالقواعد المقاصدية في الدين الإسلامي ومعرفة الضوابط المستنبطة منها في تحقيق التجديد للخطاب الديني؛ مما يتطلب الوقوف على مفهوم تجديد الخطاب الديني بعيداً على الإفراط أو التقريط، وتحديد أهدافه ودوافعه، وبيان الضوابط التي تضبطه في ضوء ما يفهم من القواعد المقاصدية في التشريع الإسلامي، حيث سيتم معرفة تلك الأمور من خلال الإجابة على أسئلة البحث المتمثلة فيما يلي:

1. ماذا يراد بتجديد الخطاب الديني؟
2. ما هي أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه؟
3. ما هي ضوابط تجديد الخطاب الديني المستنبطة من القواعد المقاصدية في التشريع الإسلامي؟

#### ويهدف البحث إلى:

- 1) بيان المقصود من تجديد الخطاب الديني.
  - 2) توضيح أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه.
  - 3) استنباط بعض ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية..
- وتظهر أهمية البحث من خلال:

1. أنه يركز على بيان المفهوم الصحيح والمنطقي المراد بتجديد الخطاب الديني في ظل التجاذبات المطروحة حوله.
2. يعمل على رصد وبيان الأهداف المقصودة من الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، والدوافع من ورائها.
3. سيسهم في وضع مجموعة من الضوابط الشرعية المستنبطة من القواعد المقاصدية للتشريع الإسلامي والتي ستسهم في فهم وتطبيق مفهوم تجديد الخطاب الديني، وضبطه بالشكل الشرعي الصحيح.

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، 87/3.

## منهج البحث

تم استخدام المنهج الاستقرائي الاستنباطي التحليلي لتحقيق أهداف البحث، باستقراء ما يتعلق بمفهوم تجديد الخطاب الديني، والأفكار المطروحة حوله وحول مفهومه، والأهداف والغايات من وراء الدعوة إليه، ثم تحليلها وتلخيصها في إبراز المعنى الصحيح للمفهوم، وتحديد الأهداف الصحيحة والدوافع النبيلة من وراء الدعوة إليه، مع طرح ما سوى ذلك من معان وأهداف وغايات لتجديد الخطاب الديني، كما تم استقراء القواعد المقاصدية للتشريع من خلال الاستعانة بكتاب معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية، وتحديد أبرز القواعد المقاصدية التي يمكن أن يستنبط منها ضوابط أصيلة لضبط مفهوم تجديد الخطاب الديني وأهدافه، وآلياته، ثم تم تحليلها لاستنباط تلك الضوابط.

وقد احتوى هذا البحث على مقدمة شملت الإطار العالم للبحث حددت معالم الموضوع، ومشكلة البحث وأسئلته، وأهدافه وأهميته، إضافة إلى منهجية البحث، كما تضمنت المباحث الآتية:

- ❖ التمهيد واشتمل على أربعة مطالب، لتعريف المصطلحات الآتية: الضوابط- التجديد- الخطاب الديني- القواعد المقاصدية.
- ❖ المبحث الأول: تجديد الخطاب الديني بين الإفراط والتفريط.
- ❖ المبحث الثاني: أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه.
- ❖ المبحث الثالث: ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية.
- ❖ الخاتمة: شملت خلاصة البحث والتوصيات.

ولا أزعج أنني استوفيت في هذا البحث جوانب الموضوع كاملاً، ولكني أدليت فيه بدلو، وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به من يقرأه، وصلى الله تعالى وسلم على خاتم رسله، عبده ورسوله محمد ﷺ وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

**التمهيد:** وفيه أربعة مطالب، يراد منها الوقوف على معاني المفاهيم الواردة في البحث، وهي:

### المطلب الأول: الضوابط

**الضوابط في اللغة:** جمع ضابط، وهو مأخوذة من الضبط الذي يقصد به: "لزوم الشيء وحبسه، ضبط عليه وضبطه يضبط ضبطاً وضباطة، وقال الليث: الضبط لزوم شيء لا يفارقه في كل شيء، وضبط الشيء حفظه بالحزم"<sup>(1)</sup>، وفي المعجم الوسيط: "ضبطه ضبطاً حفظه بالحزم حفظاً بليغاً وأحكمه وأتقنه ويقال ضبط البلاد وغيرها قام بأمرها قياماً ليس فيه نقص والكتاب ونحوه أصلح خلله أو صححه وشكله"<sup>(2)</sup>، فالضبط مأخوذ من الحزم والحفظ والإتقان.

(1) لسان العرب، ابن منظور، 340/7.

(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، 1، 533.

**والضابط في الاصطلاح:** "حكم كلي ينطبق على جزئياته"<sup>(1)</sup>، وقال ابن السبكي مفرقا بينه وبين القاعدة أنه ما اختص بباب وقصد به نظم صور متشابهة<sup>(2)</sup>، وقيل هو "قضية كلية تنطبق على جزئياتها التي هي من باب واحد"<sup>(3)</sup>، وقيل هو "ما يقصد به نظم صور متشابهة، أو هو ما عمّ صورا، أو ما كان القصد منه ضبط صور بنوع من أنواع الضبط من غير نظر في مأخذها"<sup>(4)</sup>، والضابط في هذا البحث يراد به: الشروط والصفات التي يجب مراعاتها في تجديد الخطاب الديني.

ولعل من المهم جدا الإشارة إلى أن مرجع الضوابط الشرعية هو الكتاب والسنة النبوية باعتبارهما المصدر الأساسي للتشريع وضبط الأمور، ثم فهم الصحابة والتابعين، واجتهاد العلماء الربانيين التي تراعي المقاصد الشرعية المستخلصة من مصادر التشريع الأساسية، على أن تكون الغاية الأساسية من تلك الاجتهادات جلب المصالح ودفع المفاسد أو تقليل ضررها.

### المطلب الثاني: التجديد:

**في اللغة:** مصدر جد يجد تجديدا، وفي لسان العرب: "تجدد الشيء صار جديدا، وأجده وجدده واستجده أي صيره جديدا"<sup>(5)</sup>، وقال في المصباح المنير: "جد الشيء يجد بالكسر جدة فهو جديد وهو خلاف القديم وجدد فلان الأمر وأجده واستجده إذا أحدثه فتجدد"<sup>(6)</sup>، وبهذا نفهم من قولهم استجده أي صيره جديدا أن التجديد يراد منه إعادة الأمر إلى كونه جديدا بعدما مر عليه الزمن وتقدم، وبهذا فإن التجديد "يبعث في الذهن تصورا تجتمع فيه ثلاثة معان متصلة: أن الشيء المجدد قد كان في أول الأمر موجودا وقائما وللناس به عهد، وأن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديما"<sup>(7)</sup>، وعلى ذلك كان التجديد هو إعادته إلى ما كان عليه قبل أن يبلى.

**وفي الاصطلاح:** ينطلق مفهوم التجديد في الاصطلاح من المعنى اللغوي للكلمة وهو إعادة الشيء إلى ما كان عليه قبل أن يصيبه البلى ويمر عليه الزمان، وعلى هذا المعنى دارت تعريفات العلماء والمؤطرين لمعنى التجديد في الدين، والناظر لتلك التعريفات يجدها تدور حول إعادة الأمر إلى ما كان عليه، خاصة في أمور الدين، فمن ذلك قول شيخ الإسلام بن تيمية "والتجديد إنما يكون بعد الدروس"<sup>(8)</sup>، أي بعد غياب أصل الأمر وبقاء أثره<sup>(9)</sup>، كذلك قول العلقمي في معنى التجديد أنه "إحياء ما إندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"<sup>(10)</sup>، ومن ذلك تعريف المودودي للمجدد بأنه "كل مَنْ أَحْيَا معالم الدين بعد طموسها وجَدَّدَ حبله بعد انتقاضه"<sup>(11)</sup>.

(1) المرجع السابق، 533/1.

(2) لأشباه والنظائر، ابن السبكي، 11/1.

(3) القواعد الفقهية، يعقوب الباسين، 65.

(4) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبدالرحمن عبدالمنعم، 404/2.

(5) لسان العرب ابن منظور، 111/1، حرف الدال، فصل الجيم.

(6) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، 92/1.

(7) تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، محمد بن شاكر الشريف، 11.

(8) مجموع الفتاوى، تقي الدين بن تيمية، 297/18.

(9) أنظر: المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الأصفهاني، 313.

(10) عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، 260/11.

(11) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، أبو الأعلى المودودي، 13.

والتجديد إنما هو قائم على التنقية للشائب والإعادة للأصل، كما أن "التجديد في حقيقته هو: تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصاً محضاً على قدر الإمكان، ومن هنا يكون المجدد أبعد ما يكون عن مصالحة الجاهلية، ولا يكاد يصبر على أن يرى أثراً من آثارها في أي جزء من الإسلام مهما كان تافها"<sup>(1)</sup>، كما أن تجديد الدين "لا يعني اختراع إضافة لدين الله، وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة"<sup>(2)</sup>، وللشيخ القرضاوي كلام رائع حول هذا المعنى للتجديد حيث يقول: "التجديد لشيء ما هو محاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ وظهر، بحيث يكون مع قدمه كأنه جديد ... والتجديد ليس معناه تغيير طبيعة القديم، أو الاستعاضة عنه بشيء آخر مستحدث مبتكر، فهذا ليس من التجديد في شيء"<sup>(3)</sup>، ويؤكد هذا المعنى في كتاب خطابنا الإسلامي في عصر العولمة فيقول: "التجديد المنشود لا يعني الانفصال عن التراث، والتنكر للقديم، فليس كل قديم سيئاً، كما ليس كل جديد حسناً، فكم من قديم نافع كل النفع، مبارك كل البركة، وكم من جديد لا خير فيه، بل هو ضرر وشر أكيد"<sup>(4)</sup>.

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نقول بأن التجديد المقصود في هذا البحث هو إعادة الأمور إلى ما كانت عليه سابقاً، وتجديد الخطاب الديني هو إعادة النظر في أساليب الخطاب المستخدم لنشر الدين وتعليمه، مع التأكيد على أن التجديد للوسائل والأساليب وليس للشوايت من أحكام الدين، حيث أن "التجديد المقصود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهوائهم، ولكنه تغيير للمفاهيم المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين"<sup>(5)</sup>.

### المطلب الثالث: الخطاب الديني:

هذا المفهوم مركب من كلمتي هما الخطاب والديني، ولفهم المعنى التام للمفهوم لابد من فهم معنى كل كلمة يتركب منها المفهوم، وهي كالاتي:

**الخطاب في اللغة:** مصدر خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يعني الكلام بين اثنين<sup>(6)</sup>، والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، والخطبة مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر واختطبت يخطب خطابة واسم الكلام الخطبة، قال الليث إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به<sup>(7)</sup>، والخطاب هو الكلام<sup>(8)</sup>.

(1) المرجع السابق، 55.

(2) تجديد الدين، وحيد الدين خان، 5.

(3) من أجل صحوة راشدة، الشيخ يوسف القرضاوي، 30.

(4) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، 130.

(5) أنظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، 357.

(6) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 198/2، مادة خطب.

(7) لسان العرب، ابن منظور، 360/1 مادة خطب.

(8) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدي أبو حبيب، 118.



وفي الاصطلاح وردت عدت تعريفات للخطاب: منها قول الأمدى بأنه "اللفظ المتواضع عليه، والمقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"<sup>(1)</sup>، وهذا التعريف حصر الخطاب في اللفظ المقصود به الإفهام للمتهيئ، بينما نجد الدكتور الطيار يعرفه بأنه: "كل نطق أو كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم أو الكاتب، وتقتض في التأثير على السامع أو القارئ، مع الأخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف التي تم فيها"<sup>(2)</sup>، فهذا التعريف أضاف للفظ ما يكون في حكمه وهو الكتابة، حيث أن الكتابة تحل محل اللفظ في العرف والشرع، كما أضاف على التعريف السابق أهمية النظر في الظروف التي تم فيها الكلام المسموع أو المكتوب، وهنا يمكننا أن نضيف للمسموع والمكتوب، الإشارة المرئية، حيث أن الإشارة لغة يستخدمها فاقد السمع والكلام، كما يستخدمها السامع والمتكلم حين العجز عن الكلام المباشر لسبب عارض.

ويرى البعض بأن الخطاب هو "كل كلام نافع يسوق الحجج والبراهين، قصد به المخاطب من يخاطبه، بعد أن التزم به فعليا، بغرض إفهامه أمرا معينا، والتأثير فيه تأثيرا يحمله على الالتزام به"، وهذا التعريف يحصر الخطاب في الكلام النافع، الذي تؤيده الحجج والبراهين، والتزم به صاحبه قبل أن يخاطب به الغير، وهذا تحجير لمفهوم الخطاب، وحصره حصرا ضيقا، ولعل الصحيح هو أن الخطاب أعم وأشمل مما ذكر هنا.

ومما سبق يمكن أن نخلص إلى تعريف الخطاب بأنه كل ما يوجه للآخرين بغرض التوجيه والتعليم، أو التنبيه والتحذير، أو الترغيب والتشجيع، سواء كان باللفظ المسموع، أو بالحرف المكتوب، أو الإشارة المفهومة، التي تصدر من عاقل إلى عاقل، إذ أن خطاب غير العاقل لا يعتد به؛ نظرا لفقدانه العقل الذي هو مناط التكليف، كما أن الخطاب الموجه لغير العاقل نوع من العبث، إذ كيف يخاطب من لا يعي الأمور ولا يدركها.

**الديني لغة** مأخوذ من كلمة الدين، بكسر الدال، قال ابن فارس: "الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها. وهو جنس من الانقياد، والذل. فالدين: الطاعة، يقال دان له يدين ديناً، إذا أصحب وانقاد وطاع"<sup>(3)</sup>، قال في القاموس الفقهي: الدين ما يتدين به الإنسان، وهو اسم لجميع ما يعبد به الله، وهو الإسلام<sup>(4)</sup>، وعلى هذا نجد أن مصطلح الدين نسبة إلى الانقياد والتسليم، وهو هنا دين الإسلام، وله معان أخرى منها الملك والسلطان، والطاعة والجزاء، والحاكمية، والشرعية والملة<sup>(5)</sup>.

**واصطلاحاً** يراد به عند إطلاقه "ما شرعه الله لعباده من أحكام سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأخلاق، أو الأحكام العملية"<sup>(6)</sup>، فالدين عند المسلمين التسليم والانقياد لله تعالى، وهو كل ما شرعه الله تعالى لعباده مما جاء في القرآن أو السنة، وفي هذا البحث نقصد به كل ما تحتمله النصوص الشرعية الواردة في مصادر التشريع الإسلامي، وينسب إلى دين الإسلام.

(1) الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الأمدى، 95/1.

(2) تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائى الجديد، أحمد الطيار، 12.

(3) معجم مقاييس اللغة، بن فارس، 319/2.

(4) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، سعدى أبو حبيب، 133.

(5) أنظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبدالرحيم، 94-93/2.

(6) المرجع السابق، 94/2.

## الخطاب الديني:

ذكر الدكتور عياض السلمي أن المتتبع لتعريفات الخطاب الديني يجدها تتحصر في معنيين أحدهما خاص والآخر عام<sup>(1)</sup>، فالمعنى العام هو أن الخطاب الديني كل سلوك أو تصرف يكون الباعث عليه الانتماء إلى دين معين، سواء أكان خطاباً مسموعاً أو مكتوباً أو كان ممارسة عملية، أما المعنى الخاص الذي أشار إليه الدكتور هو أن الخطاب الديني يراد به ما يصدر عن رجال الدين من أقوال أو نصائح أو مواقف سياسية من قضايا العصر ويكون مستندهم فيها إلى الدين الذي يدينون به، وفي هذين التعريفين نجد أن العموم في الأول كونه منتبهاً إلى الدين حتى وإن كان خلاف حقيقة ذلك الدين، ولا شك بأن هذا التعريف فيه تجني على الدين في بعض الأحيان؛ إذ قد يصدر عن من ينتمي إلى دين معين ما يخالف تعاليم ذلك الدين، والتوجيهات التي فيه، لذا يجب التفريق بين سلوك الأفراد وتعاليم الأديان، أما المعنى الآخر فهو يشير إلى أن المستند في ذلك الخطاب هو الدين الذي يدين به المتكلم، ولعل هذا هو الأقرب من حيث المبتغى في الخطاب الديني، فهو يعني في حقيقته الصورة التي يوجه بها تعاليم الدين للمخاطبين من قبل أهل العلم والدعوة في الإسلام.

وبناء على النظرة السابقة نجد أن الدكتور قد فرق بين الخطاب الديني والخطاب الشرعي، حيث اعتبر الخطاب الشرعي بأنه النص الشرعي الوارد في القرآن أو السنة، وكل ما يستفاد منه، بينما الخطاب الديني حدده بأنه فهم العالم أو الفقيه للنص، والصيغة التي يعبر بها عن فهمه<sup>(2)</sup>، ويمكن أن نضيف إلى معنى الخطاب الديني الأسلوب المستخدم في تحقيق النصوص الشرعية، واختيار المناسب منها حسب الزمان والمكان والأفراد الذين يوجههم الخطاب.

من جهة أخرى نجد تعريفاً آخر يراه بأنه: "الحديث طبقاً لشريعة الله بعد تنقيتها من الأدران والأوهام والأباطيل التي يحاول الضالون ألحقها بها، والتصدي للمستجدات التي تظهر في كل عصر لبيان الحكم الصحيح لهذه المستجدات"<sup>(3)</sup>، ولعل أفضل تعريف للخطاب الديني وأجمعه وأشمله، هو ما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي بأنه: "البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمهم لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكاراً أو سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو جماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية"<sup>(4)</sup>، وهذا التعريف هو المقصود في هذا البحث.

(1) أنظر بحث تجديد الخطاب الديني مفهومه وضوابطه، عياض بن نامي السلمي، 5.

(2) المصدر السابق، 8.

(3) التجديد في الفكر الإسلامي مفهومه، أهميته، ضوابطه، محمد حسن أبو يحيى، 17.

(4) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، 15.

#### المطلب الرابع: القواعد المقاصدية:

يعرفها الدكتور الكيلاني بأنها: "ما يعبر به عن معنى عام، مستفاد من أدلة الشريعة المختلفة، اتجهت إرادة الشارع إلى إقامته من خلال ما بني عليه من أحكام"<sup>(1)</sup>، وهي كما يراها "تعبّر عن معنى عام قصده الشارع والتفت إليه، وعرفنا قصد الشارع له من خلال تصفح كثير من الجزئيات والأدلة التي نهضت بذلك المعنى العام"، منبها على أن القواعد المقاصدية لا تدخل ضمنها المعاني الخاصة والمقاصد الجزئية للأحكام، كمقاصد النكاح ونحوها<sup>(2)</sup>، وعرفها الدكتور محمد عثمان شبير بأنها: "قضية كلية تعبّر عن إرادة الشارع من تشريع الأحكام، وتستفاد عن طريق الاستقراء للأحكام الشرعية"، وذكر بعدها بأن حقيقتها تكمن في بيان حكم الشريعة وأسرارها التي توخاها الشارع من أصول التشريع<sup>(3)</sup>، كما أشار إلى أنها حاكمة على القواعد الفقهية ومقدمة عليها عند التعارض، لأنها تعبّر عن أهداف التشريع وغاياته، بخلاف القواعد الفقهية التي تعبّر عن وسائل تلك الأهداف والغايات<sup>(4)</sup>.

ويراها الريسوني في موسوعة معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية والتي سيكون البحث في ضوابط تجديد الخطاب الديني منطلقا من القواعد المقاصدية المذكورة فيها بأنها: "الصيغ التقعيدية المعبرة عن المقاصد الشرعية العامة، وعن مقتضياتها التشريعية والتطبيقية، أو الموصلة إلى معرفتها وإثباتها"<sup>(5)</sup>، وهو هنا يشير إلى أنها تعبّر عن المقاصد الشرعية العامة دون الجزئية أو الخاصة، وأنها تقتضي المراعاة عند النظر في نصوص التشريع، أو تطبيقها في الواقع، وحتى عند الاجتهاد والاستنباط في الأصول.

#### المبحث الأول: تجديد الخطاب الديني بين الإفراط والتفريط.

تعد قضية تجديد الخطاب الديني من القضايا التي ظهرت وانتشرت في المجتمعات الإسلامية، وقد تعالت الدعوة للتجديد في الخطاب الديني بعد ظهور كثير من الأحداث التي اجتاحت العالم بشكل عام، والعالم الإسلامي بشكل خاص، لا سيما أحداث ما يعرف بالإرهاب، وتصرفات كثير من الأفراد التي في غالبها ناتجة عن سوء الفهم للنصوص، أو الغلو في أمور الدين، والتشدد فيها، وأحيانا نادرة تكون استجابة لبعض الدعوات التي يطلقها بعض المنتسبين للأديان، وكل تلك الأمور كانت عاملا مساعدا للطعن في الأديان، مما كان لها التأثير السلبي في كل مجتمع، وعلى كل دين.

والدين الإسلامي مثله مثل باقي الأديان، لكنه نال النصيب الأكثر من الدعوة للتجديد فيه، والتجديد في الخطاب الديني المنسوب إليه، والسبب في ذلك ما ينسب إليه من عمليات تطرف وتشدد، وإرهاب وترويع، مع أنه

(1) قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضا ودراسة وتحليلا، عبدالرحمن إبراهيم الكيلاني، 55.

(2) المرجع السابق، 57.

(3) القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية، محمد عثمان شبير، 31.

(4) المرجع السابق، 32.

(5) أنظر: المقدمة الرابعة عشر (قواعد المقاصد: أحمد الريسوني)، موسوعة معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية،

بريء من ذلك كله، إذ أن من المعلوم أن دين الإسلام دين وسط، ليس فيه غلو ولا إفراط ولا تفريط في تشريعاته، ولا يقر الغلو ولا التشدد، ولا يتوافق مع ترويع الأمنيين مهما كانت ديانتهم ومعتقداتهم، يقول تعالى: **أَيُّ ذُرِّيَّةٍ تُرَدُّ عَلَى الْبَقَرَةِ: (١٤٣)**، فالآية مؤكدة على وسطية الإسلام، ووسطية الأمة الإسلامية، ولكن هذه الآية ومثلها في القرآن كثير لم يشفع إلى تبرئة الدين الإسلامي من مظاهر الغلو والتطرف، والسبب في ذلك تصرفات بعض من ينتسب إليه، وأفعالهم التي تتناقض مع الوسطية والاعتدال، فجاءت الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني؛ اعتقاداً منهم أن السبب في ذلك هو تشريعات الإسلام، وأحكامه، ونصوصه.

اختلفت النظرة نحو الدعوة إلى التجديد في الخطاب الديني اتجاهات متعددة، حيث أنكرها البعض بحجة أن الدين كامل، ولا ينبغي التغيير والتبديل فيه، وأن مجرد التجديد في خطابه قد يقود إلى التغيير في أحكامه وتشريعاته، وأفرط فيها آخرون بحجة الحاجة إلى التجديد وانطلاقاً من الأسباب التي سبق ذكرها، وأعتدل قوم فوجهاوا المراد من ذلك في الاتجاه الصحيح، انطلاقاً من فهم تشريعات الدين الإسلامي، ومقاصدها، ومن منطلق الفهم لحديث النبي ﷺ: **"إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"**(1)، وقبل أن نشرع في الحديث عن مظاهر الإفراط والتفريط في موضوع تجديد الخطاب الديني، أو نحدد الاتجاه الصحيح له، من خلال ما سطره علماء الأمة، نعيد التعريف المقصود منه "وهو البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فكراً أو سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو جماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية"(2).

فمن التفريط في تجديد الخطاب الديني هو محاربهته كلياً، والدعوة إلى مقاطعة من يدعو إليه، والنظر إلى أنه هذه الدعوة المقصود منها التبديل والتحريف والتغيير في أحكام الشريعة الإسلامية، ويرون أن التمسك بما كان عليه الأولون في كل شيء هو الأسلم، وأن العمل بخلاف ما عمله الأولون يعد ابتداعاً في الدين، ومخالفة لأحكامه، ولعل المنطلق الذي ينطلق منه أصحاب هذا الرأي أنهم جعلوا أحكام الدين وأساليبه ثابتة غير قابلة للتغيير والتبديل، وعدم نظرهم في المقاصد، وفقه الواقع الذي من أجله شرعت تلك الأحكام، وربما يكون السبب في نظرتهم للخطاب الديني هو فهمهم لتفسير معنى الخطاب، وخوفهم من أن يصل التجديد إلى أحكام الدين وثوابته التي لا تقبل التبديل أو التجديد، وأكثر آفات الناس من الألفاظ، ولا سيما في هذه المواضع التي يعز فيها تصور الحق على ما هو عليه، والتعبير المطابق، فيتولد من ضعف التصور، وقصور التعبير نوع تخبيط"(3).

والحقيقة أن دين الإسلام دين كامل متكامل، والقول برفض تجديد الخطاب الديني يعد من الجمود الذي نهى عنه الإسلام، لأن المسلم كيس فطن، والحكمة ضالته، أينما وجدها فهو أحق بها، فمن الحكمة التي ينبغي للمؤمن الأخذ بها واتباعها العمل بما يخدم الإسلام، ويعمل على نشره وتأثيره في نفوس الغير، ولا يتأتى مثل هذا إلا بخطاب متناسب مع زمان ومكان وثقافة المخاطبين، مع الحرص أن يكون هذا الخطاب مبني على أسس وأصول

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین (4 / 567) حدیث رقم (8592)، ورقم (8593) كما أخرجه أبو داود في سننه (4 / 109) حدیث رقم (4291).

(2) أنظر ص 7.

(3) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، 87/3.

ثابتة، منطلقها نصوص الوحي في القرآن والسنة النبوية، "فالدعوة إلى الإسلام إن لم تتطور في مادتها وأسلوبها، تصبح متخلفة عن العصر، ضعيفة الفائدة والأثر؛ لأن تجديد الخطاب وأسلوبه مع التمسك بالأصول التي أرساها السلف الصالح بجملتها ضرورة دعوية حتمية"<sup>(1)</sup>، فهذا يتبين لنا خطأ من قال برفض تجديد الخطاب الديني ورده بالكلية.

وفي مقابل هذا التقريط نجد قوما آخرين قد أفرطوا في فهم التجديد في الخطاب الديني، فنظروا إليه بأنه تجديد لكل أمور الدين، أحكامه وعقائده وأخلاقه، فلم يميزوا بين الثوابت التي لا تقبل التغيير والتبديل، والمتغيرات التي يمكن أن تتغير مع تغير الظروف والأحوال، فهؤلاء هم "غلاة الدعوة إلى التجديد، وهو الذين يريدون إنساف كل قديم، وإن كان أساسا لهوية المجتمع، ومبررا لوجوده، وسرا لبقائه، ولسان حالهم يقول بحذف الأمس الماضي من الزمن"<sup>(2)</sup>، وينطلقون في تأصيل دعوتهم هذه من منطلق أن لكل زمان ما يناسبه من أحكام، وعقائد، وأن الدين الإسلامي مرن، ومتجدد، وينسبون قولهم هذا إلى النبي ﷺ، مستدلين بحديث التجديد والمجدد الذي سبق ذكره، وهم هنا لا يفرقون بين الثابت من أحكام الشريعة، والعقيدة والأخلاق، التي لا تقبل التبديل والتغيير، والمتغير في الدين، الذي يكون في الوسائل والأساليب المستخدمة.

ولا يشك عاقل أن هذه الدعوة لم تقم على عقل صحيح، ولا دليل صريح، وإنما هي من باب اتباع سنن من كان قبلنا حذو القُدَّة بالقُدَّة، حتى نقع فيما وقعوا فيه من التحريف والتبديل لأديانهم، حتى أضحت محرفة تماما عما جاءت به الدعوة الصحيحة لديهم، كما أن حديث التجديد والمجدد لم يقصد به تغيير الدين وتبديل الأحكام وإنما المقصود منه أمور أخرى فسررها أهل العلم الراسخون فيه<sup>(3)</sup>، فمن أهم الأمور التي يجب التنبيه لها، والتنبيه عليها "أن تجديد الخطاب الديني لا يعني بحال المساس بالعقيدة الإسلامية، أو تجاهل حكم شرعي، أو التفاضل عن آية قرآنية أو حديث صحيح"<sup>(4)</sup>، وعلى هذا نجد أن مثل هذا الإفراط والمبالغة في أمر تجديد الخطاب الديني أدى إلى عدة أمور منها: رفض البعض لفكرة تجديد الخطاب الديني -كما أسلفنا، كما أنه أدى إلى تمييع الدين، وتغيير أحكامه وشرائعه حسب أهواء البشر ورغباتهم، الأمر الذي أدى إلى عدم الانضباط بضابط الشرع وإنما بضابط الهوى والرغبة.

وفي مقابل هذا الإفراط والتقريط في فهم المقصود من تجديد الخطاب الديني، نجد صوت الاعتدال والعقل يبرز في الواقع ليقول لنا بأن تجديد الخطاب الديني أمر شرعي ومنهج رباني، وأسلوب نبوي، حيث أن مراعاة الأحوال، وتغير الزمان والمكان والأفراد دافع إلى تغير أسلوب الخطاب الموجه إليهم، والمتتبع للآيات القرآنية والأحاديث النبوية يجد فيها ما يؤكد أمر التغير في الخطاب، لا سيما عند المقارنة بين الخطاب في مكة والخطاب في المدينة المنورة، والخطاب الموجه للمسلمين، والخطاب الموجه لأهل الكتاب، والخطاب الموجه للناس جميعا،

(1) أنظر أوراق عمل ندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني: بحث: خصائص المنهج السلفي وصلته بتجديد الخطاب الديني، أحمد محمد هليل، 4/1680.

(2) تجديد الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، سلمان محسن عبد ربه وزملاؤه، 31.

(3) أنظر: ص 4-5.

(4) نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر، أحمد محمد هليل، 14.

حيث يجد النداء يختلف باختلاف المخاطب، وعلى هذا نبه النبي ﷺ معاذ بن جبل عندما أرسله إلى أهل اليمن بقوله إنك تقدم على قوم أهل كتاب<sup>(1)</sup>، في إشارة وتوجيه إلى أهمية مخاطبتهم بما يتناسب وحالهم وزمانهم وثقافتهم.

ومن أوضح الدلائل على تغير الخطاب ومراعاة الأحوال ما رواه البخاري في صحيحة موقوفا على الإمام علي بن أبي طالب ؑ: " حدثوا الناس بما يعرفون، أحبون أن يكذب الله ورسوله؟"<sup>(2)</sup>، فتحديث الناس بما يعرفون فيه الإشارة إلى أن الخطاب الموجه للناس ينبغي أن يكون في ضوء المعرفة التي لديهم، وفي ضوء ما يتناسب مع أحوالهم زمانا ومكان وثقافة، ومما قرره أئمة الدين وفقهاء الإسلام أن الفتوى تتغير بتغيير الزمان والمكان والعرف والحال، ومعلوم أن الفتوى متعلقة بأحكام الشرع، فمن باب أولى القول بتغير الخطاب الديني بتغير الزمان والمكان والعرف والحال<sup>(3)</sup>.

وتجديد الخطاب الديني يجب أن ينظر إليه من منظورين مهمين، أولهما: أن التجديد يكون للخطاب وليس للدين وأحكامه، والثاني: أن التجديد لا يكون للثوابت الشرعية كالعقيدة والأحكام والأخلاق، وإنما يكون التجديد في الطريقة والأسلوب، فالدين في أصوله وكلياته العقائدية والتعبدية والأخلاقية والشرعية لا يتغير، ولكن الذي يتغير هو أسلوب تعليمه، والدعوة إليه<sup>(4)</sup>، فإذا انطلق تجديد الخطاب الديني من هذين المنظورين، أمكن الرد على القولين السابقين، الذي فرط أحدهما في قبول التجديد، وأفرط الآخر فيه إفراطا أدى إلى تحريف وتبديل الأحكام والشرائع.

والخلاصة مما سبق أن مفهوم الخطاب الديني والنظرة التي صاحبه تتوع بتنوع الفكر الذي يحمله صاحبه، والأهداف والغايات التي ينطلق منها وإليها، فبالغ قوم في التحذير منه مخافة الانجرار فيه إلى تغيير الدين وتبديل أحكامه وشرائعه، وبالغ آخرون في مجالات التجديد حتى وصلوا إلى القول بتبديل كل الأمور المتعلقة بالدين، لتكون متوافقة مع متطلبات الزمان والمكان، وتوسط العقلاء في موضوع التجديد ليقولوا بأن الدين فيه أمور ثابتة لا تقبل تبديلا، ولا تجديدا، وهي العقيدة والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية، التي نصت نصوص الوحيين بها، من غير خلاف في فهم المقصود منها، وفيه أمور متغيرة يمكن تغييرها بتغير الزمان والمكان والحال والثقافة، وهذه الأمور هي الأساليب والأدوات المستخدمة في الدعوة والتطبيق لتلك الثوابت من الدين.

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 1458، 2/119.

(2) صحيح البخاري، حديث رقم 127، 1/37.

(3) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، يوسف القرضاوي، 17.

(4) المرجع السابق، 17.

### المبحث الثاني: أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه.

الأهداف والغايات في كل أمر هي بمثابة القوة المحركة والدافعة نحو ذلك الأمر، وهي أشبه بالموجهات الباعثة عليه، وقد بينا في المبحث السابق أن تجديد الخطاب الديني في قبوله ورفضه، كان مبنيا على الأهداف والغايات المتوقعة منه، فالرفض جاء بناء على الخوف من تعديه إلى التغير والتحريف والتبديل في الدين الإسلامي وشرائعه وأحكامه، أما الذين ينادون به، فأهل الإفراط منهم كانت غايته وأهدافه التبديل للشرائع والأحكام بما يناسب هواهم ومصالحهم، حيث وجدوا في هذه الدعوة فرصة للانسلاخ من الدين وتبعاته، أما أهل الاعتدال منهم فكانت لهم أهداف سامية ونبيلة خلاصتها توجيه الخطاب الإسلامي الديني إلى ما يحقق مصلحة الدين الإسلامي بشكل عام، وتام حسب مقتضيات مقاصد التشريع الإسلامي، وفيما يلي جملة من أهداف وغايات تجديد الخطاب الديني من منطلق النظرة المعتدلة إليه التي ترى أن تجديد الخطاب هو للأسلوب وطريقة الدعوة وتقديم الدين، وليس للأحكام والعقائد والأخلاق.

تأتي أهداف تجديد الخطاب الديني في المنهج الوسطي المعتدل انطلاقا من مفهومه، والمقصود منه، إضافة إلى الانطلاق من فهم المقصود بالتجديد المذكور في حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: "إن الله يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"<sup>(1)</sup>، فقد ذكر الدكتور عبدالله الزبير في تفسير المراد بالتجديد ستة أمور يمكن قبولها من أقوال العلماء في معنى التجديد المراد في الحديث، ويمكن اعتبارها أهدافا لتجديد الخطاب الديني، وهذه الأمور هي<sup>(2)</sup>: الأول: إحياء ما اندرس من العلم والعمل، والثاني: الأمر بمقتضى الكتاب والسنة عند غياب الأمر بهما أو التساهل في الاستمساك بمقتضاهما، الثالث: تبيين السنة وتمييزها عن البدعة إذا اختلطتا وتمازجتا، الرابع: إماتة ما ظهر من البدع والمحدثات، بنشر العلم والدعوة به وإكثاره، والخامس: إحياء معالم الدين بعد ما أصابها الطموس، ب عوامل القسوة وطول الأمد، والسادس: ربط حبل الدين وتوثيقه في وسائله ووسائطه التعبديّة والخلقيّة والوجدانية.

وقريبا من الأهداف السابقة ما ذكره الدكتور سلمان محسن وزملاؤه في تحديد مجالات تجديد الخطاب الديني، ويمكن أن ينظر إليها على أنها أهدافا لتجديد الخطاب الديني، وهذه المجالات هي<sup>(3)</sup>: الحفاظ على نصوص الدين الأصلية الصحيحة، ونقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها، والاجتهاد في الأمور المستجدة وإيجاد الحلول لها، وتصحيح الانحرافات سواء في المفاهيم والقيم، أو السلوك والعمل، ورد المنحرف إلى أصله، وحماية الدين والدفاع عنه والجهاد في سبيله بصيانتته من عبث العابثين، وتحريف المحرفين، فهذه الأمور في حقيقتها أهداف سامية لتجديد الخطاب الديني؛ لأن البقاء على ما كان من الأمور والأفهام قد يؤدي إلى اعتقاد النقص والخلل في الدين، وعدم صلاحيته للعصر الحديث.

ومن أهداف تجديد الخطاب الديني ما أورده الدكتور محمد البشير في بيان معنى التجديد، حيث يرى أن من معاني تجديد الخطاب الديني تأسيسه على الإخلاص لله تعالى، وشحنه بالصفاء والمشاعر النبيلة وحب الخير

(1) سبق تخريجه ص 8.

(2) أنظر: مفهوم التجديد وتجديد الدين، عبدالله الزبير عبدالرحمن صالح، 100.

(3) أنظر: تجديد الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، سلمان محسن عبد ربه وزملاؤه، 28.



الناس، إضافة إلى ملامسة حاجات الناس والحرص على تبصيرهم بالتحديات والفرص التي تنتظرهم<sup>(1)</sup>، ومن الأهداف التي ترجى من تجديد الخطاب الديني "نشر العلم الصحيح بين الناس، وإظهار الشرائع التي خفيت في المجالات الشرعية المختلفة، بفعل الجهل الذي خيم على كثير من مجتمعات المسلمين، أو بفعل التأويل الفاسد الذي أضاع كثيرا من دلالات النصوص"<sup>(2)</sup>.

ونخلص مما سبق ذكره من أهداف تجديد الخطاب الديني إلى أن أبرز الأهداف المقصودة منه هو إبراز الصورة الوسطية المعتدلة للدين الإسلامي، وتقديمها للعالم بالأسلوب والطريقة التي تتناسب مع حال المخاطبين، دون جمود عند الأسلوب القديم، أو ذوبان وانغماس في الطريقة الحديثة، مع الأخذ في الاعتبار ألا يمس التجديد الجوهر والأصل الثابت من الدين، بتبديل العقائد أو الأحكام الشرعية الثابتة بنصوص قطعية في ثبوتها ودلالاتها، على أن يكون هذا التجديد صادرا من فهم وعلم، وليس من جهل وهوى.

أما عن الدوافع من وراء التجديد، نجد أن من أول الدوافع الملحة إلى تجديد الخطاب الديني التقدم والتطور في جميع مجالات الحياة، لا سيما في عصر التقنية والعولمة، الأمر الذي يستدعي معه تجديد الخطاب الموجه للناس بما لا يتعارض مع أحكام الدين وشرائعه، ولا يتعارض مع واقع الناس وثقافتهم، والحال الذي هم فيه، فمعلوم أن دين الإسلام خاصة هو متجدد في أساليبه ووسائله بما يتناسب مع الزمان والمكان الذي يكون فيه، ففي ضوء هذا الأمر نجد أن التجديد الصحيح للخطاب الديني ضرورة ومطلب شرعي، فالتجديد مواكبة للمستجدات بما يوافق الشرع وثوابت الشريعة، لأن الجمود على الماضي يؤدي إلى نبذ الدين وإهمال شرائعه، ووصفه بالتخلف والجمود والرجعية، كما أن الإسهاب في أمر التجديد وعدم ضبطه قد يؤدي إلى هدم الدين وشريعته، وذوبانه في متطلبات العولمة والعلمانية، مما يسهم في الانسلاخ منه، والتحريف لشرائعه.

ومن دوافع تجديد الخطاب ظهور وبروز الكثير من المعاملات والأمور التي لم تكن في الزمن السابق، مما يستدعي النظر فيها بما يحقق المصلحة الحالية، ولا يخالف المقاصد الشرعية الأساسية، ومن دوافع تجديد الخطاب الديني التخلية والتولية، بمعنى تنقية الدين الإسلامي وتخليصه مما نسب إليه ظلما وعدوانا من اتهامات بالتطرف والإرهاب؛ نتيجة لبعض التصرفات الفردية واللاعقلانية من بعض المنسبين إليه، مما لا يقرها شرع ولا عقل، وتحليلته بما يبرز مظاهر الجمال فيه، ويحسنه للآخرين؛ ليكون دافعا لهم نحو هذا الدين العظيم، فيقبلوا عليه ويدخلوا فيه أفواجا، وتصحيح الفهم للمنتسبين للدين الإسلامي بإبعادهم عن مظاهر التشدد والغلو والتطرف، الذي مَقَّتَهُ الإسلام وحاربه وقد صح عن النبي ﷺ قوله: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا"<sup>(3)</sup>، وفي صحيح مسلم قال رسول الله ﷺ موجها أصحابه رضوان الله عليه، والخطاب عام للأمة الإسلامية، ولكل عالم وداعية: "بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا"<sup>(4)</sup>، ففي الحديث الأول التحذير من التشدد والغلو،

(1) أنظر: تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة، محمد البشير محمد، 136.

(2) أنظر أوراق عمل ندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني: بحث: الخطاب الديني في ضوء المنهج السلفي، صالح

بن عبد الله بن حميد، 1640.

(3) صحيح البخاري، حديث رقم 39، 17/1.

(4) صحيح مسلم، حديث رقم 1732، 141/5.



والتوجيه بالتسديد والمقاربة، أما الحديث الثاني ففيه التبشير بالخير والتيسير في الأمور، وعدم التفتير والتعسير على الناس، وكل هذه الأمور لا تكون إلا باستخدام الخطاب المناسب للمخاطبين.

كذلك من الدوافع لتجديد الخطاب الديني جهل الكثير من الناس، بلغة العرب الفصيحة، وأساليبها البلاغية، مما أسهم في سوء الفهم لبعض النصوص الشرعية، وتأويلها بما لا يتناسب مع مقاصدها التي أنزلت بها، وفي بعض الأحيان يتم إقحام بعض النصوص الشرعية في مسائل غير التي أريد بها؛ فنتج عن تلك الأفهام والاقحامات أخطاء كثيرة ومتكررة، مما ساهم في الطعن في الدين، ونسبة ما ليس فيه إليه، فوجب على أهل العلم والدعوة الإسلامية العمل على تجديد أسلوب الدعوة، ومخاطبة الناس بما يفهمون ويعرفون من ألفاظ ومصطلحات تتناسب مع وقتهم وعصرهم، وبيان حقيقة الألفاظ والمصطلحات الشرعية المستفادة من نصوص الشرع في القرآن والسنة.

كما أن ظهور الجماعات والفرق والأحزاب والتكتلات، والمنظمات الإقليمية والدولية أمر دافع وضرورة دافعة نحو تجديد الخطاب الديني، لأن عدم التجديد قد يفتح الباب على مصراعيه لهذه الفرق ولجماعات والمنظمات لتحميل الدين ما لا يليق به، وإقحامه فيما لم يأت به، كما أنه قد يكون مبررا ليقول كل منهم بمقاله الذي يتخالف مع مراد التشريع، والسبب في ذلك عدم الفهم الصحيح للنصوص، أو البناء على تصرفات الأفراد المنتسبين للدين، أو اتباع الهوى المفضي للانسلاخ من الدين والتدين، فتبرز أهمية تجديد الخطاب الديني لقطع الطريق أمامهم جميعاً؛ من خلال بيان حقيقة الدين، ونصوصه المنطلقة من الفهم الصحيح لها، والمرتبطة بالمقاصد الشرعية التي أردها الشارع الحكيم، فالتجديد هنا إظهار الحق ومحاربة الباطل لمواجهة حملات التشويه، والفكر الدخيل على الإسلام وتعاليمه.

ومع ما سبق من الأمور التي سطرناها حول أهداف تجديد الخطاب الديني ودوافعه، لا بد لنا أن نبين أمرا مهما، وهو عدم الانجرار وراء كل دعوة تجديدية، قد يكون صاحبها أحد الجهال الذين ليس لهم علم صحيح، ولا فهم مستقيم لأمر الدين، وقد وجهنا رسول الله ﷺ توجيهها مَهْمًا في هذا بقوله: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالما، اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا"<sup>(1)</sup>، فهذا التنبيه يرشدنا أن لا يكون اتباعا لكل جاهل أو ناعق باسم الدين، بل يجب علينا النظر في دعوى المتكلم، وخطابه، وفي حاله، وعلمه، فإن كان خطابه متماشيا مع ضوابط التشريع ومقاصده، وحال المتكلم أنه معروف بالعلم الشرعي الواسع النابع عن فقه صحيح، وفهم مستقيم للدين أخذنا منه، وإلا فالأصل والواجب رد كلامه عليه، وعدم قبوله، لأنه كما قيل: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"<sup>(2)</sup>، وهنا نجد أنفسنا بحاجة إلى معرفة ضوابط قبول دعوة تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية للتشريع الإسلامي، وهو ما سنبيئه في المبحث التالي.

(1) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه برقم 100، 31/1، ومسلم في صحيحه برقم 2673،

60/8، كما أخرجه غيرها.

(2) أنظر مقدمة صحيح مسلم، 11/1، والقول منسوب إلى محمد بن سيرين.

### المبحث الثالث: ضوابط تجديد الخطاب الديني في ضوء القواعد المقاصدية.

تعد الضوابط في التشريع الإسلامي أساسا مهما لمعرفة الأمور، أو الإحاطة بها؛ لئلا يتداخل معها غيرها، أو تخرج عن الإطار المقصود منه، فهي "الميزان الشرعي لئلا يحصل الإفراط أو التقريط، أو الزلل أو الطيش لمن أراد الحديث في الفتوى ومسائل الفقه، وما يستجد من النوازل، وتعكس دقة الإسلام في معالجة الأمور، وتمنع العبث بالأحكام الشرعية، وتضييق الخناق على دعاة الحداثة والفوضى الفقهية"<sup>(1)</sup>، ولهذا نجد الاهتمام الكبير بتحديد الضوابط لدى أهل العلم في جميع الفنون، فوضعوا الضوابط للمستجدات والأمور التي يرون أهمية ضبطها بضابط الشريعة.

وتجديد الخطاب الديني أحد أهم الأمور التي يجب فيها الضبط بضوابط الشرع، حتى لا يكون فيها الإفراط أو التقريط الذي ذكرناه سابقا، ولعل القواعد المقاصدية للتشريع الإسلامي هي مظنة من مظان استنباط هذه الضوابط؛ نظرا لكون هذه القواعد "تجعل من التمسك بالمقاصد والسير وراء المقاصد نهجا علميا مضبوطا، مضمونا ومأمونا، وليس مجرد مسلك فكري متحرر يستعصي على الضوابط والضمانات المنهجية"<sup>(2)</sup>، وفيما يلي جملة من الضوابط التي تضبط تجديد الخطاب الديني المستنبطة من القواعد المقاصدية، علما بأن القواعد المقاصدية المذكورة هنا تم أخذها من كتاب معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية:

#### 1. الانطلاق من توجيهات الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

حيث أنها هي المصادر الأساسية لمعرفة الأحكام الشرعية، وما يرتبط بها، وأن المتكلم يقبل قوله أو يرد عليه بقدر أخذه وارتباطه بهذه المصادر، أو بعده ومخالفته لها، ولهذا نجد في القواعد المقاصدية أن "مقاصد الشرع تعرف بالكتاب والسنة والإجماع"، مما يجعل الأساس الأولي في معرفة المقاصد الشرعية هو القرآن والسنة وإجماع الأمة؛ حيث أن القرآن الكريم كلام الله تعالى، ومنهجه الذي جعله هداية للناس، ونبراسا يستضاء به، يقول الإمام الشاطبي: "الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة وينبوع الحكمة، وآية الرسالة ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة"<sup>(3)</sup>، أما السنة النبوية فهي المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، ومصدرها الأساسي الوحي الإلهي كما في قوله تعالى: "أأنح نحن نم" (النجم: 3)، كما أنه وكما يقول الإمام الشاطبي "وإذا نظرنا إلى السنة وجدناها لا تزيد على تقرير هذه الأمور؛ فالكتاب أتى بها أصولا يرجع إليها، والسنة أتت بها تقريرا على الكتاب وبيانا لما فيه منها"<sup>(4)</sup>، وأما الإجماع فهو "ثالث الأدلة الشرعية المتفق عليها في الجملة، ولذلك فالعلماء

(1) الضوابط الشرعية للثواب والمتغيرات في الإسلام، راشد سعيد شهوان، 82.

(2) أنظر: المقدمة الرابعة عشر (قواعد المقاصد: أحمد الريسوني)، موسوعة معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية،

(3) الموافقات، الشاطبي، 144/4.

(4) المرجع السابق، 346/4.

يشترطون لبلوغ رتبة الاجتهاد معرفة مواطن الإجماع، وكما أنه مصدر للأحكام الشرعية بعد الكتاب والسنة في التشريع، فهو كذلك مصدر لثبوت كثير من المقاصد الشرعية<sup>(1)</sup>.

ومن القواعد المقاصدية التي دلت على هذا الضابط، قاعدة "مقاصد الآيات القرآنية تفهم في ضوء المقاصد العامة للقرآن الكريم"، فإن كانت مقاصد الشريعة تعرف من الكتاب والسنة والإجماع، فإن مقاصد الآيات القرآنية تفهم في ضوء المقاصد العامة للقرآن الكريم، ولا يجوز إخراجها بعيداً عن تلك المقاصد، كما لا يجوز تحميلها ما لا تحتل من معان، إذ أن الأصل في الأمر كله هو أن القرآن بعضه يفسر بعض، ولا يوجد تعارض بين الآيات بعضها مع بعض، وما وجد فيه التعارض أو فهم منه ذلك فمرجعه إلى أمرين، إما أن يكون أحد النصين ناسخاً والآخر منسوخ، وإما أن يكون الفهم الذي فهمه صاحبه خطأ، وعلى خلاف المقصود في الآيات.

وفي ضوء ما سبق ينبغي أن يكون التجديد في الخطاب الديني في ضوء الفهم والدراسة بمعاني القرآن وآياته، والسنة بأنواعها، ومعرفة الإجماع الذي عليه علماء الإسلام، وعدم الخروج عن الأحكام الشرعية الثابتة بنصوص قطعية في دلالتها ومعانيها.

## 2. الحرص على المصلحة والاهتمام بها في الخطاب:

ودل على هذا الضابط عدد من القواعد المقاصدية منها قاعدة "الفتوى تدور مع المصلحة حيث دارت"، وقاعدة "المصلحة المحافظة على مقصود الشرع حجة لا خلاف فيها"، إضافة إلى قاعدة "اتباع المصالح يبني على ضوابط الشرع ومراسمه"، وكلها تؤكد أهمية العناية بتحقيق المصلحة للخلق، وقد دلت عليها الأحكام الشرعية الواردة في القرآن والسنة، حيث أننا نجد حريصة على تحقيق المصلحة للإنسان، التي فيها نفع للإنسان، ودفع المضرة عنه، ويرى الإمام الغزالي المصلحة الشرعية هي التي فيها: "المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة"<sup>(2)</sup>، وهذا يؤكد أن تحقيق المصلحة هي مقصود التشريعات الإسلامية، إلا أن من المهم الانتباه إلى أن المصلحة المقصودة هي التي تحقق مقاصد التشريع، فالعلاقة بين المصلحة والمقاصد الشرعية هي علاقة ارتباط، لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ إذ كل واحد منهما يوصل إلى الآخر، فمتى تحققت مقاصد الشريعة تحققت المصلحة، ومتى تحققت المصلحة تحققت مقاصد الشريعة.

ومن المهم جداً الإشارة إلى أن ليس كل مصلحة معتبرة شرعاً، إذ أن بعض الأمور التي ظاهرها المصلحة على خلاف ذلك، حيث أن المفسدة في باطنها، وعلى هذا لا بد من مراعاة أن تكون المصلحة محققة في الأمر، وأن المفسدة بعيدة عنه، أو أن تحقيق المصلحة غالب على المفسدة -إن وجدت-، كما أن المصلحة يجب أن تكون مبينة على ضوابط الشرع وتوجيهاته، وهو ما أشارت إليه القاعدة المقاصدية "اتباع المصالح يبني على ضوابط

(1) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية 5/17.

(2) المستصفي، أبو حامد الغزالي، 174.

الشرع ومراسمه"، فللمصلحة المقبولة شرعا شروط منها<sup>(1)</sup>: ملاءمة مقاصد الشارع الكلية النصية أو المستقرأة من النصوص الجزئية، لا تتصادم مع النصوص والأدلة الشرعية المعتمدة لا يمكن معها الجمع بينهما، وأن يشهد لها أصل عام من أصول الشريعة، وألا تقوت مصلحة أعلى منها، وأن تكون في معقول المعنى لا في التعدييات المحضة، وأن تكون عامة في الزمان والمكان والأحوال، أن تكون مطلقة عامة لا تختص بباب دون باب ولا بمحل دون محل.

ومما سبق نشير إلى أن تجديد الخطاب الديني لا ينبغي أن يكون تعسفيا، وإنما الواجب فيه أن يكون بغرض تحقيق المصلحة المستقرأة في الشرع، والتي تؤكد نصوص الشريعة، كما يجب أن يكون التجديد في إطار ما أقرته الشريعة الإسلامية وأحكامها، إذ أنه لا مصلحة في التجديد إذا تخالف الخطاب الجديد مع المقاصد والأحكام الشرعية التي لا مجال في تغييرها، حيث قررنا -سابقا- أن المصلحة ومقاصد الشرع مرتبطان ارتباطا طرديا، ولا يمكن الفصل بينهما، فلا مصلحة في خطاب خالف الشرع.

### 3. عدم تسويغ الحرام أو الخطأ ومخالفة الشرع في الخطاب:

هذا الضابط مرتبط بما تقرر في الضابط السابق، حيث أن الخطاب الذي يسوغ الحرام والخطأ، أو يخالف الشرع ومقاصده، يعتبر مخالفا لتحقيق المصلحة الشرعية، إذا لا مصلحة بمخالفة الشريعة، ومن هنا نجد القواعد المقاصدية تدل على أنه: "كل من ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل"، وأنه "يمنع الفعل متى ثبت أن المقصود منه محض الإضرار بالغير"، فهذه القواعد تكشف لنا أن "مقاصد المكلفين على أعمالهم التي تكون في صورتها الظاهرة مشروعة وصحيحة بينما هي في قصود أصحابها وبواعثهم الخفية ممنوعة وفسادة، وتقرر هذه القاعدة أن قصد المكلف إذا كان فاسداً نظراً لمناقضته لمقصود الشارع فإنه يؤثر على العمل نفسه فيبطله من أصله، أي أنه يفقده قيمته واعتباره الشرعي دنيوياً وأخروياً"<sup>(2)</sup>.

يقول الإمام الشاطبي: "كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل"<sup>(3)</sup>، ومن هذا نخلص إلى أمر مهم في تجديد الخطاب الديني وهو ألا يكون التجديد بإباحة الحرام، أو تسويغه، كما يحرم مخالفة الشريعة وأحكامها الثابتة بحجة التجديد، أو متابعة متطلبات العصر، والعولمة التي يراد منها الانسلاخ من القيم والتشريعات.

### 4. الربط بمقاصد التشريع ومآلاتها:

تقرر معنا سابقا أن المصالح مرتبطة بالشرع، وأن التشريع الإسلامي قائم على تحقيق المصالح للإنسان في الدنيا والآخرة، لهذا كان مع الضروري في تجديد الخطاب الديني أن يكون ارتباطه بمقاصد التشريع، والمآل الذي تصل إليه، وقد تقرر هذا الضابط من خلال فهم القواعد المقاصدية الآتية: "النظر في مآلات الأفعال معتبر

(1) أنظر: معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية 5/375.

(2) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية 4/412.

(3) الموافقات، الشاطبي، 28-27/3.



والشرع جاء بالنهي عن اتباع الهوى، فهذا مضاد لذلك الأصل المتفق عليه<sup>(1)</sup>، لهذا فإن أهل العلم يحذرون من تتبع الرخص، ويزجرون فاعلها، بل يعتبرون متتبع الرخص من السفهاء، ومثل الرخص ما يعرف بالحيل الفقهية، فهي مضنة الوقوع في الهوى والضلال.

ومن هنا يتبين لنا أهمية البعد عن الهوى ومخالفة الشرع عند تجديد الخطاب الديني؛ حيث أن اتباع الهوى ضلال، وليس بعد الضلال إلى النار والعياذ بالله، فم ابتغى في خطابه التجديد يجب عليه الانضباط فيه بضابط الشرع، والبعد عن هوى النفس وحظوظها المرجوة منه.

#### 7. السعي إلى تأكيد الحق، وردّ الباطل والخطأ:

هذا ضابط مهم في تجديد الخطاب الديني، حيث أن المقصود من كل عمل المسلم وقوله نصرته الحق، وردّ الباطل، وعلى ذلك بنيت كثير من أحكام الشريعة الإسلامية، وجاء نصوص القرآن والسنة، ودور الخطاب الديني عند تجديده هو الحرص على تأكيد الحق ووجوهه، إضافة إلى تمحيص الأمور ورفض الباطل، والخطأ التي ارتبط بها، ومن القواعد المقاصدية التي دلت على هذا الضابط قاعدة "مقصد الشريعة من التشريع تغيير وتقرير" التي يقصد بها: "أن الشارع لا يلغي ويغير جميع الأحوال التي يكون عليها الأفراد والشعوب والأمم قبل الإسلام، وإنما يلغي ويغير فقط ما كان فاسدا منها، ويبقى ما كان صالحا على حاله، إذ الإلغاء والإبقاء والتقرير مرتبط بالصلاح والفساد، فما كان صالحا فإنه يُقَرّ ويبقى، وما كان فاسدا فإنه يُغَيَّر ويُلغى"<sup>(2)</sup>، وعلى هذا يكون التجديد في الخطاب؛ الغرض منه التقرير للحق، والتغيير للباطل، وليس التجديد لمجرد التجديد، أو التجديد بما يقلب الحق باطلا، والباطل حقا.

#### 8. الإصلاح وتوجيه الأفراد إلى الصلاح، والمداومة على الخير:

الصلاح والإصلاح والخير، والدعوة لذلك من المهام التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، وأمرها بها أقوامهم، فقد قال الله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السلام: "أفم قد كج كد كخك" (هود: ٨٨)، وأوصى نبي الله موسى أخاه هارون عليهما السلام بالإصلاح وعدم الإفساد، واتباع طريق المفسدين، وذلك في قوله تعالى: "أير يريم ين يي نجد نذ نئم نه بج" (الأعراف: ١٤٢)، ومن هذا المنطلق نجد القواعد المقاصدية للتشريع الإسلامي تؤكد أن المقاصد الشرعية هدفها الإصلاح، والمداومة عليه، من ذلك قاعدة: "المقصد العام للتشريع هو صلاح نظام الأمة بصلاح الإنسان المهيم عليه"، وقاعدة: "من مقصود الشارع في الأعمال دوام المكلف عليها".

"فالتنتائج المتوخاة من جلب المصالح ودرء المفاسد، تبدأ وتتحقق أولا بوجود الإنسان المستصلح الصالح في ذاته وتصرفاته، وتتحقق ثانيا بوجود التدبير المستصلح لشؤون الحياة الدنيا، من أجل الفوز في الدارين وتحصيل السعادتين"<sup>(3)</sup>، يقول الطاهر بن عاشور: "إن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح، ودرء الفساد، وذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان، ودفع فساد، فإنه لما كان هو المهيم على هذا العالم، كان صلاحه صلاح العالم

(1) الموافقات، الشاطبي، 99/5.

(2) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية 3/442.

(3) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية 3/454.

وأحواله<sup>(1)</sup>، وعلى هذا يتبين لنا أن الخطاب الديني يجب أن يكون غرضه الإصلاح، وتجديد الخطاب الديني، يجب أن ينطلق من قاعدة الإصلاح، وحث الناس على الصلاح؛ لتستقيم الحياة، ويسعد الإنسان، ويؤتي الخطاب أكله التي قصدها الشارع من التشريعات.

### 9. الموازنة بين المصالح والمفاسد:

بنيت الأحكام الشرعية على جلب المصالح، ودفع المفاسد، فمصالح الإنسان في حياته الدنيوية والأخروية أمر سعت الشريعة إلى تلبية، ولكن مع التنبه والانتباه إلى أنه لا تستجلب المنافع التي يكون منها الضرر والمفسدة المتحققة التي تقوت على الإنسان مصالح كثيرة، ويؤدي به إلى مفاسد أعظم منها، وأكدت القواعد المقاصدية على ذلك لنجد قاعدة "درء المفاسد أولى جلب المصالح"، حيث يستنتج منها " أن الشيء إذا كانت تترتب عليه مفاسد ممنوعة، وتضمن في الوقت نفسه مصالح مشروعة، فإن جانب المفسدة يرجح في الاعتبار والأهمية على جانب المصلحة"<sup>(2)</sup>، ومنهج الموازنة بين المصلحة والمفسدة أمر حتمي دلت عليه القاعدة المقاصدية "إذا اتحد نوع المصلحة والمفسدة كان التفاوت بالقلة والكثرة"، فأيهما كان أعظم وأكبر فهو الأولى بالعمل به، كما أن القاعدة المقاصدية المصالح والمفاسد الأخروية مقدمة في الاعتبار على المصالح والمفاسد الدنيوية" تشير إلى أن أمور الآخرة تقدم على أمور الدنيا، ويمكن إباحة أمر قد تم النهي عنه سدا للذريعة إذا كانت المصلحة فيه غالبية، وراجحة على المفسدة، وهو ما أشارت إليه قاعدة "ما حرم سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة".

وهنا ندرك أن الخطاب الديني والتجديد فيه يكون في إطار الموازنة بين المصلحة والمفسدة، فتحقيق المصلحة الراجحة على المفسدة أمر مطلوب، كما أن دفع المفسدة المؤكدة أمر واجب شرعا، ولا يكون ذلك إلا من خلال تجديد النظر في الأمور، وتجديد الأسلوب الخطابي فيها بما يتفق مع المصالح والمقاصد الشرعية.

### 10. اللغة العربية واستخداماتها المشتهرة أساس لفهم النصوص الشرعية:

أنزل الله تعالى كتابه العزيز بلسان عربي مبين، كما أن خاتم النبيين ﷺ الذي ختم الله به الرسالات وأنزل عليه الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى كان عربياً، ولسانه عربي مبين، لهذا كان من الواجب على مريد تجديد الخطاب أن يكون عالماً باللغة العربية، حتى يتمكن من الفهم أولاً لما أنزل في القرآن، وما صح في السنة، ثم يصيغ خطابه بما يتفق مع مراد الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، يقول الإمام الشاطبي: "فإن القرآن والسنة لما كان عربيين لم يكن لينظر فيهما إلا عربي، كما أن من لم يعرف مقاصدهما لم يحل له أن يتكلم فيهما؛ إذا لا يصح له نظر حتى يكون عالماً بهما، فإنه إذا كان كذلك؛ لم يختلف عليه شيء من الشريعة"<sup>(3)</sup>، ومن هنا نجد أن من القواعد المقاصدية أن "لسان العرب هو المترجم عن مقاصد الشارع"، وقاعدة أخرى تشير إلى أن "الشرع نزل بلسان الجمهور"، فالخطاب الديني وتجديده يجب أن ينطلق من فهم اللغة ومعرفة أساليبها؛ والغرض من ذلك فهم الآيات، والأحاديث النبوية، حتى لا يتعارض جديد الخطاب مع نصوص الوحيين -القرآن والسنة-.

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، 275.

(2) معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية 4/144

(3) الموافقات، الشاطبي، 213/3.

والخلاصة التي يمكن الوصول إليها في ختام هذا المبحث في ضوابط تجديد الخطاب الديني هي أن مبتغى التجديد في الخطاب الديني ينبغي عليه أن ينضبط بضوابط تجعل من الخطاب الجديد مقبولاً، وأن من أهم الضوابط التزام نصوص الشرع الثابتة، وتحقيق المصالح النافعة، ودفع المفساد الضارة، وأن يكون الخطاب قائماً على قواعد أساسية، وفهم تام للمآلات التي ستؤول لها الأمور بعد خطابه.

### الخاتمة: خلاصة النتائج والتوصيات

الحمد لله المتفضل المنان، والصلاة والسلام على النبي الهادي من بني عدنان ﷺ، وعلى آله وصحبه الهداة المهتدين، وبعد:

يمكن إجمال نتائج البحث في الأمور الآتية:

- تجديد الخطاب الديني من المطالب الشرعية التي أقرها الإسلام وأكدتها السنة وإجماع الأمة.
- تجديد الخطاب الديني يراد به: البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى الناس مسلمين أو غير مسلمين، لدعوتهم إلى الإسلام، أو تعليمه لهم، وتربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة، عبادة أو معاملة، فkra أو سلوكاً، أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة والإنسان والعالم: فردية أو جماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملي.
- اختلف الناس في قبول مفهوم تجديد الخطاب الديني تبعاً لفهمهم لمعناه، والأهداف المقصودة منه.
- لتجديد الخطاب الديني المقبول شرعاً أهداف سامية، أهمها إحياء ما اندرس من الدين، وإعادتها للأصل الذي كانت عليه بما يتوافق مع العصر الحديث، ومتطلباته، ولا يتخالف مع الشريعة وأحكامها.
- أبرز دوافع المناداة بتجديد الخطاب الديني التقدم والتطور في جميع مجالات الحياة، وتطور التقنية، وظهور العولمة.
- تجديد الخطاب الديني المقبول له ضوابط شرعية تحكمه، من بينها الضوابط المستفادة من القواعد المقاصدية.
- توصل البحث إلى عشرة ضوابط لضبط تجديد الخطاب الديني تم استخلاصها من القواعد المقاصدية.

وفي ضوء ذلك يوصى الباحث بأهمية التجديد في الخطاب الديني بما يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، ولا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، ومقاصد التشريعات فيها، وأهمية ضبط التجديد في الخطاب الديني بمقاصد التشريع الإسلامي، وأحكام الشريعة الإسلامية.

وأشكر الله تعالى الذي أعان على هذا الجهد، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه، ويجعله من العلم الذي ينتفع به، ويغفر لي ما كان فيه من خطأ أو تعد في القول بغير علم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيه الأمين وعلى آله وصحابه أجمعين ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين.



## مراجع البحث

القرآن الكريم.

إبراهيم بن موسى الشاطبي (1997). *الموافقات في أصول الشريعة*. تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان.

أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (1979). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، دار الفكر.

أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي (1995). *عون المعبود شرح سنن أبي داود ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته*. ط2، دار الكتب العلمية: بيروت.

أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم: بيروت، والدار الشامية: دمشق.

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (1993). *المستصفى من علم الأصول*. دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (د.ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية.

أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (1990). *المستدرک على الصحيحين*. تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت.

أحمد بن محمد بن علي الفيومي (1987). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. مكتبة لبنان، بيروت.

أحمد عبدالله الطيار (2005). *تأويل الخطاب الديني في الفكر الحدائثي الجديد*. حولية كلية أصول الدين، القاهرة، العدد: 22، المجلد: 3.

أحمد محمد هليل (1433هـ). *خصائص المنهج السلفي وصلته بتجديد الخطاب الديني*. ندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني. 2-4/2/1433هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

أحمد محمد هليل (2006). *نحو تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر*. دار الفرقان للتوزيع والنشر: عمان.

تاج الدين عبدالوهاب بن تقي الدين السبكي (1991). *الأشباه والنظائر*. دار الكتب العلمية.

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (1995). *مجموع الفتاوي*. تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة.

راشد سعيد شهوان (2013). *الضوابط الشرعية للثوابت والمتغيرات في الإسلام*. دار المأمون للنشر والتوزيع: عمان.

سعدى أبو حبيب (1988). *القاموس الفقهي*. ط2، دار الفكر، دمشق.

- سلمان محسن عبد ربه، وأكرم علي مسعد، وخلف عبيد العبد (2017). تجديد الخطاب الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة. مجلة مجمع جامعة المدينة العالمية- ماليزيا. العدد 22، ص ص 8-40.
- سيف الدين علي بن محمد الأمدي (2003). الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: عبدالرزاق عفيفي. دار الصميعي: الرياض.
- صالح بن عبدالله بن حميد (1433هـ). الخطاب الديني في ضوء المنهج السلفي. ندوة السلفية منهج شرعي ومطلب وطني. 2-4/2/1433هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- عبدالرحمن بن إبراهيم الكيلاني (2005). قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي: عرضا ودراسة وتحليلا. دار الفكر: دمشق.
- عبدالله الزبير عبدالرحمن صالح (2004). مفهوم التجديد وتجديد التدين. مجلة الشريعة والقانون- كلية الشريعة والقانون- جامعة أفريقيا العالمية- السودان. العدد الرابع، ص ص 93-130.
- عياض بن نامي السلمي (د.ت). تجديد الخطاب الديني: مفهومه وضوابطه. مجمع اللغة العربية (2004). المعجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- محمد البشير محمد عبدالهادي (2007). تجديد الخطاب الدعوي الإسلامي بين الأصالة والمعاصرة. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية- السودان. السنة 10، العدد 14، ص ص 133-155.
- محمد الطاهر بن عاشور (1984). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس.
- محمد الطاهر بن عاشور (2001). مقاصد الشريعة الإسلامية. تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط2، دار النفائس، الأردن.
- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (1996). مدارج السالكين بيت منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ط3، دار الكتاب العربي: بيروت.
- محمد بن إسماعيل البخاري (1422هـ). صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة.
- محمد بن مكرم بن منظور (1414هـ). لسان العرب. ط: 3، دار صادر.
- محمد حامد الناصر (2001). العصرانيون بين مزايم التجديد وميادين التغيير. ط2، مكتبة الكوثر: الرياض.
- محمد حسن أبو يحيى (2011). التجديد في الفكر الإسلامي مفهومه، أهميته، ضوابطه. درا يافا العلمية للنشر والتوزيع: عمان.
- محمد شاكر الشريف (2004). تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف. كتاب البيان-سلسلة تصدر عن مجلة البيان.

- محمد عثمان شبير (2000). القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية. دار الفرقان: عمان.
- محمود عبدالرحمن عبدالمنعم (د.ت). معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية. دار الفضيلة.
- مسلم بن الحجاج (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- موسوعة معلمة زايد للقواعد الفقهية والأصولية. مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية (برنامج إلكتروني).
- وحيد الدين خان (2015). تجديد الدين. ترجمة: ظفر الإسلام خان، نيودلهي: الهند.
- يعقوب عبدالوهاب الباحسين (1424هـ). القواعد الفقهية. ط3، مكتبة الرشد: الرياض.
- يوسف القرضاوي (2001). من أجل صحة راشدة. دار الشروق: القاهرة.
- يوسف القرضاوي (2004). خطابنا الإسلامي في عصر العولمة. دار الشروق: القاهرة.